

الدكتور حميد مجيد هندو

الدكتور
حميد مجيد هندو

محمد عيسى السهرستاني

(١٩٣٢م - ٢٠١١م)

بعضات، الصالح، الفكر، رائد العناية الإسلامية
إشراقات مضيئة متألئة

محمد عيسى السهرستاني





محمد عسائی السید شرفی

الإنسان، الصلح، الفكر، ورأس العروة الإسلامية
إشراقات مضيئة متألئة

MOHAMMAD ALI AL SHAHRESTANI

A Man, a Reformer, a Thinker, and the Pioneer of Islamic
Architecture

Shining & Sparkling Illuminations

Written By
Dr. Hameed Majeed Haddaw



The International University of Islamic Sciences - London

محمد عيسى الشافعي

الإنسان، المصالح، الفكر، ورائد العمارة الإسلامية
وإشراقات مضيئة مثلاً

الدكتور حميد مجيد هـدو



منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن

الكتاب: محمد علي الشهرستاني
الإنسان، المصلح، المفكر، ورائد العمارة الإسلامية
المؤلف: الدكتور حميد مجيد هذو

الطبعة الأولى: ٢٠١٢



منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any means, electronic, mechanical, photo, copying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing of the publisher.

الاهداء

الى: الروح الطاهرة التي فاضت الى بارئها راضية مرضية.

الى: الداعية الاسلامي الذي وهب حياته وعقله من أجل الدين وخدمة أجداده
أئمة أهل البيت الاطهار (عليهم السلام) ونشر مبادئهم النبوية السامية.

الى: الشخصية المعمارية التي تركت بصماتها في تعمير وتطوير العتبات المقدسة
أهدي له هذه الازمامة العلمية العطرة.

المؤلف



(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

- المجادلة - الآية - ١١

" صدق الله العلي العظيم "



مقدمة

تحتل السيرة والتراجم مكانة مرموقة في المدونات التاريخية منذ أن بدأ الإنسان يرسم الحرف على الحجر ويكتب على القصب البردي أو على الرق، منذ بدأ يكتب التاريخ وإلى يومنا هذا، وإذا كان التاريخ يعرف بأنه البحث عن الحقيقة وتمحيصها وجلاء ما غمض منها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، فإن السيرة تعني بالمقابل تدوين حقائق حياة إنسان ما، للكشف عن مواهبه وقدراته، وتصبح أكثر أهمية فيما إذا كان هذا الإنسان عبقرياً أو تميز بدور في صنع الأحداث أو عملية البناء والتطوير وتقديم المجتمع وخدمة أبنائه، أو أن يكون عنصراً فاعلاً في جيله وزمانه. لذلك كانت تلك الدراسات أو الكتابات أقرب إلى التأثير الدرامي. فهذا النمط من الكتابة يحفل بكافة الانفعالات والمواقف والعواطف والتي تثور في أعماق النفس البشرية التي تتجرد منها الواقعة التاريخية والحدث. ونحن الآن عندما نسرد سيرة شخصية من الشخوص فإننا نجرد هذه الشخصية من كل ما يدعو إلى الحدس والتخمين من أسرار النفس الإنسانية وحوافزها، لذلك تبقى الواقعة التاريخية مجردة إلا من الحقيقة وحدها فهي التي تضيء عليها رداء التاريخ وبهجته وهي التي تحببها إلى النفس حين تحدوها غريزة حب الاطلاع وربما ينسحب الأمر إلى محاولة تقليد هذه الشخصية أو تلك، أو الاقتداء بها أو مقارنتها بشخصيات أخرى وتنتهج النهج نفسه أو تصنع الحدث عينه وربما تعمل

على تطوير الحدث وصياغته بشكل يتلاءم والعصر الذي يعيش فيه.

إن كتابة السيرة - التي هي فن من فنون الكتابة التاريخية - لا تحتل مكانها الحقيقي في المدونات التاريخية ما لم تكن هي نفسها تعبيراً عن الحقيقة التاريخية التي تجمع بين البطل صاحب السيرة أو الأديب أو السياسي أو الثائر المصلح وبين القوى الاجتماعية التي تتجاوب معه وتحذوه الى الغاية التي ينشدها وقد تغطي السيرة على التاريخ وتحتل الجانب الأكبر من مدوناته، فأن من فلاسفة التاريخ من يرى أن التاريخ ليس إلا سيرة عظماء الرجال بل أن هناك من يراها إحدى سمات التفكير التاريخي والسيرة قصة تاريخية لا تشذ أبداً عما يفيد التاريخ من حقائق تعتمد الوثائق والمدونات والاسانيد القاطعة البعيدة عن التزوير والافتراء والمغالاة... لهذا كان تدوين السيرة ليس بالأمر اليسير أو الهين فلا يقدر على كتابتها إلا من أربى على قدرة المؤرخ وأحاساس الأديب معاً.

فالسيرة ليست سجلاً لحياة فرد من مولده إلى مماته بقدر ما هي قصة إنسان فذ متميز بكل ما ينبع به قلبه. فأن تاريخ السير يعتلي قمة التاريخ الذي هو دراسة النشاط الإنساني في الماضي والحاضر، وأن نظرية الرجل العظيم ما زالت تسود وتترك لمستها الظاهرة في التاريخ العام الذي لا يعدو كونه تاريخاً لعظماء العالم بكل ما فيه من نقاط إشعاع مفيدة للأجيال وللإنسانية تُتخذ دروساً وعبراً وعظات.

إن الكتابة عن سيرة عَلم من الأعلام هي الطريقة المثلى لتوثيق الجوانب التي برز فيها والتي يمكن أستحصال العبرة والعظات منها لا بل الأقتداء بها ونهج الطريق نفسه الذي أخطه ذلك العلم لنفسه.

فترجمة الشخصية هي جزء من تاريخ المجتمع وان لا تفصل الدراسة عن الزمن ومراحلها وتفاعل الأحداث، فيجب الربط بين هذا وذاك. كما أن دراسة أعمال الأعلام يعني المساهمة في تدوين التاريخ، فكلما كانت النتائج صحيحة كلما كان التاريخ صادقاً وهادفاً ونقياً، لأن التاريخ هو دراسة النشاط الانساني سواء

أكان في الماضي القريب أم البعيد أم الحديث والمعاصر المعاش. ولهذا وجدنا الكثير من المؤرخين والكتاب دأبوا على تدوين أخبار الرموز الدينية والاجتماعية والسياسية منذ الأزل وإلى الزمن الحاضر. فصدرت كتب بمجلدات عديدة أو دراسات مستقلة في كتب تحدثت عن سيرة أولئك الرجال على وفق أساليب متنوعة ومناهج كلاسيكية سلكوا فيها مسالك من سبقوهم وبعضها كتب حديثة نهجت سبلاً جديدة في السرد والتحليل وجميعها كانت تهدف من وراء نشرياتها تلك هو الولوج إلى دراسة التاريخ عن طريق تقديم صورة قلمية للنشاط الإنساني وتطوره وتأثيراته في الحياة العامة بكل مفاصلها وتفصيلها.

والدراسة التي أنطوت عليها هذه الصفحات أنصبت على بيان المؤثرات الداخلية والخارجية ومدى تأثيراتها في البناء التكويني للمترجم له متغلغلاً في عمق شخصيته مستخلصاً النتائج من خلال تلك السيرة والمسيرة.

ان تلك الاستقراءات والاستنباطات كانت قائمة على أسس صحيحة ودقيقة ومنطلقاً بها من منهج تاريخي أعتمدت فيه المنهج التحليلي العلمي بعيداً عن الطريقة الوصفية السردية.

وللأمانة العلمية أقول: أن كل المعلومات الواردة في هذا الجهد تم أستقراؤها من تراثه الفكري ونتاجه المعرفي، ووثائقه الشخصية ومن خلال الأسئلة التي وجهتها له وجواباته عليها ومن خلال أستقصاءاتي الشخصية وتحرياتني الخاصة.

بدأ من أول الطريق مسافراً يحمل هموم أمته ووطنه يحمل في مزوده متاع العلم مجلواً بجلاء الحجة، متوجاً بتاج الأيمان، يدعو الى طريق الله القويم. أستثمر جهده وعقله وطاقاته في أنبل الغايات وأشرف الأماني... وظفها لخدمة معتقده ونشر المبادئ السامية التي أستقاها من أظهر منبع وأسمى ذات، من سلالة نبي الرحمة (ﷺ) من أجداده الائمة الهداة المعصومين (عليهم السلام) فكان في ذلك موفقاً ومسدداً فأستحق ما أصدرته بحقه هذا الجهد المتواضع الذي لم أنشد من ورائه

غير خدمة الذين قدّموا لديّهم ووطنهم وامّتهم ومجتمعهم الزاد الوفير المادي والروحي والعلمي وإكراماً لما بذل فكان الزاد الشهّي الذي قد لا يتناسب مع مقام الضيف الكريم الكبير والشخصية الألمعية المبتجلة الداعية للخير والأمره بالمعروف والناهية عن المنكر والعاملة دائماً في سبيل الله ونصرة مبادئ جده المصطفى وآله الأطهار (عليه السلام) والذي ما أنفك عن العمل ليل نهار من أجل خدمة أعمار وتطوير مرآقد أجداده الأئمة الطاهرين في جميع العتبات المقدسة ابتداءً من مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) ومروراً بمشاهد الأئمة الطاهرين في العراق أجمع. قرأت كل ما كتب هذا الرجل الانسان المجاهد، ووقفت على كل ما رأى، وأجانبني بتواضع عن كل ما أستغلق عليّ علمه، فلو لم يكن هكذا لما أستطاع يراعي القاصر أن يصوّر هذه الشخصية الفذة ويقدمها كما هي على حقيقتها من دون رتوش أو تزويق أو محاباة... تظهر للعيان واضحة جلية تسرّ الصديق والمحب وتبغض الحاسد اللئيم.

تلك هي الرحلة العاصفة في حياة رجل وقف ولم ينكفء، وسار بنجاح ولم يتوقف أو يكتل أو يشعر بنصب، وأعطى ولم يبخل... رحلة أستغرقت أكثر من ستة عقود من الزمن، خاض فيها غمار الحياة واستخف بالصعاب وذلل الأمنيات واستباح الفرص حتى طوعها بين يديه.

لقد خطط فكان نعم المخطط، ونفذ فكان نعم المنفذ... عمله كان خالصاً لوجه الله وما كان لله ينمو.

هكذا صوّر قلمي عسى أن يكون النجاح حليفي من دون زلل عن الحق والله الموفق والهادي الى سواء السبيل أنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

إشراقات مضيئة متألئة

النبع

بينما يتنفس الصبح أنفاسه الأولى، وحفيف الأشجار، وزقزقة العصافير، وصياح الديكة تسبّح لله لاستيقاظ المؤمنين ونهوضهم مبكرين متوجهين إلى خالقهم في صلواتهم وأدعيتهم كانت هناك صرخة وليد جديد بعد مخاض صعب في ليل حالك السواد في ٢٣ ربيع الأول من عام (١٣٥١هـ) الموافق لليوم العشرين من شهر تموز (١٩٣٢م)، بعد تلك الليلة الليلية الطويلة وبين آلام المخاض وأوجاع الطلق والقلق الذي يساور الأم انتابت الجميع فرحة لا توصف حينما تمخضت الولادة عن ولد بكر جديد فتح عينيه على عالم جديد في مدينة أبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبد الله الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في كربلاء المقدسة... هذا الوليد اختار له الوالدان اسماً من خير الأسماء فخيرها ما حُمدَ وعُبد... اسمه: محمد علي^(٥).

إستبشرت الأسرة بالمولود الذكر البكر حيث كان السبط الأول لرئيس العائلة

(*) ابن السيد محمد صالح ابن السيد مرزا علي ابن سيد صالح (والد السيد إبراهيم) ابن السيد محمد حسين بن محمد مهدي ابن أبي القاسم ابن مرزا روح الله بن جلال الدين الحسن بن مرزا رفيع الدين محمد الصدر بن جلال الدين محمد (أبو الفتوح) ابن صدر الدين اسماعيل المشهور بـ ميرزا سيد الشهرستاني ابن زين الدين أمير علي بن صدر الدين إسماعيل بن زين الدين علي ابن علاء الدين الحسين بن معين الدين عبد الله بن زكي الدين الحسين بن أشرف ابن زكي الدين الحسن بن أشرف بن نور الدين محمد أبي طاهر عبد الله محمد ابن أبي الحسن المحدث ابن طاهر ابن أبي الطيب الحسين القطعي بن موسى أبي سبحة ابن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ٧.

المرحوم السيد إبراهيم الشهرستاني (ت ١٩٥٧م) دخلت الفرحة إلى قلب الأب السيد محمد صالح بعد أن رزقه الله بولد فإنها نعمة ما بعدها نعمة، فحمد الله وشكره على ما أنعم وما رزق وصلى لله تعالى ركعتي الشكر، وأذن في اليمنى وأقام في اليسرى وعقَّ عنه في اليوم السابع كما كان يفعل جدُّه رسول الله (ﷺ) ودعا الباري (ﷻ) أن يمنَّ عليه وعلى الوليد الجديد بالصحة والرزق والهداية والصلاح وأن يكون نعم الخلف لأبيه متضرعاً إلى الله سبحانه أن يرزقه مستقبلاً بعدد آخر من الأولاد يحيطون به في العمل ويساعدونه في طلب الرزق الحلال ويشدُّون أزره عند ضعفه.

فتح الوليد عينيه في دار الأسرة قرب الصحن الحسيني الشريف في المحلة المعروفة سابقاً بمحلة آل عيسى والتي تسمى اليوم بـ (محلة باب الطاق)، بثت الوجوه، وهشت النفوس، وزغردت النسوة المتحلقات حول المرأة الولود، وفرح من كان في البيت من النساء والأطفال، وتقافز الجميع فرحاً جذاً، حيث أضيف للعائلة الشهرستانية ولد آخر سيضاف إلى قائمة الصبيان الصغار الذين يلهون ويلعبون في الزقاق الضيق الذي يضم دار الأسرة ودوراً صغيرة أخرى تمثل الطراز المعماري المتعارف عليه في ذلك الوقت، كانت الأم وهي تمسك أنامله الرقيقة وتدله تشعر أن هذا الوليد مختلف ولكن لا تعرف كيف!!!... وقد نال هذا الطفل الحظوة والدلال والاهتمام الخاص من لذن الجد والأب... فهو السبط الأول والولد المحظوظ... ولكن آمال الصغر من الصبية قد خابت فيما بعد حينما صلب عود الطفل فلم يلعب مع أقرانه وامتنع عن مشاركتهم في ذلك الزقاق الضيق في أية لعبة ولا حتى معاشرتهم لأنه يختلف منذ نشأته الأولى عن أولئك الصغار في كل تصرفاتهم فقد انشغل منذ نعومة أظفاره بالتفكير والاستغراق في أحلام بعيدة محروماً مما كان يتمتع به أقرانه من الصبية من حرية في اختيار ألعابهم ووسائل لهوهم البريء.

عاش طفولته في أجواء كربلاء التي كانت منبعاً صافياً ينهل منه المؤمنون
والموالون لآل البيت: كل معاني الأخلص والوفاء والتفاني في سبيل المبدأ.



في أحضان خاله السيد خليل السيد ابراهيم الشهرستاني سنة ١٩٣٢ م

الجدور

سَكَنَتْ كربلاءَ عوائلٌ وأسرٌ تنحدر من أصولٍ عربيةٍ معروفةٍ ومن جنسياتٍ أخرى وبنسبٍ اجتماعيٍ متجانسٍ يجتمع هذا النسبُ بسداهٍ ولحمته بحب الحسين وآل بيت الرسول ٦، وكانت العائلة الشهرستانية واحدة من هذه العوائل العريقة والمعروفة في كربلاء حيث توطنت المدينة منذ زمن بعيد ثم هاجر بعضهم إلى إيران، وقبل قرنين عاد إلى العراق المرجع الفقيه جد الأسرة الشهرستانية السيد محمد مهدي الشهرستاني مع عدد من إخوانه وأبناء عمومته في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري واستوطن محلة آل عيسى (باب الطاق حالياً) وتملك داراً تشير وثيقة الشراء إلى تأريخ (١١٨٨هـ) وتزعم الحوزة مع ثلثة من الفقهاء الكبار والمجتهدين الذين تتلمذوا على المجدد الفقيه الكبير الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ) وفي سنوات ما بعد (الوحيد) الذي يوصف بعصر المهادي الأربعة وهم: محمد مهدي بحر العلوم الذي رحل إلى النجف فيما بعد وتوفي فيها سنة (١٢١٢هـ)، ومحمد مهدي أبي ذر النراقي (ت ١٢٠٩هـ) الذي غادر كربلاء إلى كاشان وفي أواخر أيامه قدم إلى النجف فتوفي ودفن فيها، ومحمد مهدي ابن أبي القاسم الشهرستاني الذي بقي في كربلاء وتوفي فيها سنة (١٢١٦هـ)، ومحمد مهدي بن هداية الله الحسيني الأصفهاني الشهير بـ مهدي الشهيد توفي سنة (١٢١٨هـ) بخراسان حيث رحل إليها من كربلاء وقتل شهيداً في مشهد المقدسة (خراسان).

خَلَفَ السيد المرزا محمد مهدي الشهرستاني ولدًا فقيهاً تقياً هو المرزا (أبو) القاسم الذي رحل إلى بارت بعد أبيه بمدة وجيزة، أما الولد الثاني فهو المرزا محمد حسين الذي توفي سنة (١٢٤٧هـ) وكان فقيهاً ورعاً اشتهر بحسن الخط وإجادته. ومن أعيان هذه الأسرة في القرن الماضي السيد إبراهيم المتولد في كربلاء

(١٣٠٩هـ / ١٨٨٣م) والمتوفى (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) ابن السيد صالح (*) ابن السيد محمد حسين الشهرستاني وهو جد الدكتور محمد علي الشهرستاني لأمه، وقد خلف السيد إبراهيم أولاداً أفاضل منهم من رحل إلى رحمة الله كالسيد صالح (الأديب والباحث والدبلوماسي) والسيد خليل (الإداري والوجيه) ومنهم من بقي على قيد الحياة كالسيد حسين وزير النفط العراقي ونائب رئيس الوزراء وأخوة أفاضل آخرون.

وقد اشتهر في الوسط الاجتماعي في القرن الماضي السيد إبراهيم السيد صالح حيث كان له ديوان عام يرتاده الناس مقابل باب السدرة للصحن الحسيني الشريف وتعد فيه مجالس حسينية في شهر محرم الحرام وشهر رمضان المبارك وقد أصبح الديوان أثراً بعد عين عند تطوير شارع الحائر الحسيني واستبدل به مكان آخر في محلة المخيم.

كان ديوان (آل الشهرستاني) مجمعاً للأدباء والفضلاء والوجهاء والقادمين إلى كربلاء من خارجها تطرح فيه قضايا الساعة وأمور الدين وأحكام الشريعة ومشاكل المجتمع وهو مفتوح ليل نهار وفي ذاكرة الصبي صور لتلك الاجتماعات لا زالت عالقة في روحه إلى اليوم يتذكرها ويردد أحداثها كلما شده الحنين إلى أيام الصبا. يتذكر الدكتور محمد علي جدّه لأمه السيد إبراهيم وأحواله وهم يستقبلون الرائح والغادي ويهشون ويشون بوجوه رواد الديوان وقد سجل بعض المهتمين بالنشاط الأدبي والاجتماعي أحاديث نادرة وتواريخ لحوادث منسية في هذا المنتدى، كان الديوان يقع قبالة باب الصحن الحسيني الشريف (باب السدرة) وهي من الأبواب

(*) وكان للسيد صالح بن السيد محمد حسين اثنا عشر ولداً إخوة للسيد إبراهيم وللسيد إبراهيم بنت واحدة هي العلوية خديجة (عليها السلام) وقد تقدم إليها أولاد عمها للزواج منها وكان رأي السيد إبراهيم بوصفه عميد الأسرة أن يتخير لها الزوج الكفء فوق الاختيار وتمت الموافقة عندما تقدم السيد محمد صالح والد الدكتور محمد علي وذلك لأنّ والدة السيد محمد صالح حفيدة المرجع الكبير السيد محمد المجاهد الطباطبائي (ت ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م).

الشمالية التي تفضي إلى محلة باب الطاق التي تضم مساكن العديد من أبناء هذه الأسرة. كان السيد محمد علي يرتاد هذا الديوان منذ نعومة أظفاره يصغي إلى أحاديث جلاس الديوان ويتعلم منهم الكثير وقد تركت تلك الأحاديث صدئاً طيباً وأثراً واضحاً في سلوكه وعاداته وطبائعه وهوآياته... أفاد من تجارب أولئك الشيوخ في الحياة وأخذ من عاداتهم الكثير وتأثر بأرائهم في الدين والحياة وكان يقتنص الفرصة عندما يزور رجل غريب الديوان ليسأله مسائل تتناسب وعمره وبعض الأحيان يتجاوز حدود سنّه ليسأل ويستفسر عن قضايا تتجاوز فيها عقول أقرانه وهذا دليل على أن عقله وسعة أفقه الفكري أكبر بكثير من عمره الزمني.

كان يصغي إلى أحاديث كبار الشعراء والخطباء والأدباء في تلك الحقبة كالشيخ عبد الحسين الحويزي والشيخ جعفر النقدي والشيخ محسن أبي الحب وغيرهم وحتى الشباب من أقرانه كان يخالطهم ويسمع ما ينظمون وما يحفظون كالسيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني وزكي الصراف ولكن توجهاته الرئيسية كانت لدراسة الفقه والأحكام الشرعية والأصول وعلوم اللغة ودراسة الحديث الشريف ناهيك عن اهتماماته بالقرآن الكريم وتفسير آياته وإلى جانب ذلك كان هذا الاهتمام يسير جنباً إلى جنب مع الدراسات العلمية البحتة فقد جمع بين الاثنين من دون إفراط أو تفريط بينهما فقد استطاع منذ نعومة أظفاره أن يأخذ من كل علم بطرف ثم توسعت دائرة أفقه الفكري واستطاع أن يصل إلى مدارج متقدمة في هذه العلوم الدينية والدنيوية.



الطفل المعتقل في أحضان أبيه السيد محمد صالح الشهرستاني سنة ١٩٣٤م

فديوان الأسرة أو ديوان جده لأمه السيد إبراهيم كان بمثابة المدرسة الأولى التي تعلم فيها ونهل من مناهلها المبادئ الأساس للمعرفة وكانت هذه الساعات العشر التي يفتح الديوان أبوابه فيها للناس يحضر معظمها الصبي التواق إلى المعرفة ويستفيد من أحاديث روادها، وكانت في كربلاء دواوين أخرى مماثلة لهذا الديوان قد اصطحبه والده إلى تلك الدواوين الاجتماعية مثل ديوان آل كمونة وآل النقيب وآل ثابت والسيد عبد الحسين الحجة وآل بحر العلوم وغيرهم.

يتذكر الصبي السيد محمد علي وكان عمره اثني عشر عاماً أنّ ضيفاً جاء من إيران وحلّ في ديوان جده السيد إبراهيم وقدم له القهوة، فسأل الزائر الجد السيد إبراهيم بعض الأسئلة التاريخية حول الفاصلة بين مقام الإمام الحسين وأبي الفضل العباس (ؑ) وعن محل المذبح لماذا يختلف ويبعد قليلاً عن مكان الدفن؟ وعن قبر التابعي شهيد الطف حبيب بن مظاهر لماذا ينفصل عن قبور الشهداء ونهر

العلقمي يقع في القسم الغربي من المقام وينتهي بالمخيم فكيف أن أبا الفضل العباس الذي قبره في القسم الشرقي من مقام الإمام الحسين أتى من نهر العلقمي إلى المخيم واستشهد في الطريق؟ فأجابه الجد دعنا ننتظر قليلاً وسوف يأتي السيد صالح الشهرستاني ونسأله عن ذلك، والصبي محمد علي كان يعرف الإجابة عن الأسئلة التي سألتها الزائر ولكن يقول إنني استحييت أن أجيب على ذلك أمام جدي الكبير الذي كان يجهل الإجابة وأنا في سن الثانية عشر من عمري أعرف ذلك، فمع علمه وثقته بنفسه كان مؤدباً لا يتجاوز غيره.

لأسرة الشهرستانية مواقف علمية واجتماعية مشهودة فقد أنجبت ثلة من كبار الفقهاء الذين كان لهم الدور البارز في إغناء الحركة الفكرية في هذه المدينة وبرز فيها تجار وملاك ساهموا في إنعاش الحركة التجارية، وأصحاب أراض زراعية ومثقفون وأدباء وكسبة وصنّاع وفي الجيل الأخير ظهر رعييل من الأكاديميين على مستوى العالم، كالدكتور حسين إبراهيم الشهرستاني عالم الذرة وغيره.

في هذه البيئة نشأ الدكتور محمد علي وفي هذه المدينة التي لم يكن يتجاوز عدد نفوسها خمسين ألف في الثلاثينات وحدودها الجغرافية لا تتجاوز نهر الحسينية من الشمال والغرب وشارع باب الخان الممتد إلى محلة العباسية ومحلة المخيم من الجنوب.

كانت المدينة تضم عدداً من المحلات القديمة مثل محلة باب الطاق التي تسمى بـ (محلة آل عيسى) وباب السلالة وباب بغداد وباب الخان والمخيم وباب النجف والعباسية التي استحدثت شوارعها وخططت زمن الوالي العثماني مدحت باشا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (*).

(*) وبعد ذلك توسعت الأحياء الجديدة وامتدت إلى أماكن بعيدة عن كل الأطراف وازدادت نفوسها حتى وصلت اليوم إلى أكثر من مليون نسمة.

أما من الناحية الاجتماعية فهي مدينة تراثية تزخر بالمعالم القديمة وتمتاز بطراز معماري إسلامي متميز ومع الأسف الشديد قد دُرس الكثير من تلك المعالم بحكم التطوير الذي رافقه هدم وإزالة لتلك

في محلة باب الطاق التي تضم منازل آل الشهرستاني ودار السيد محمد علي وفي ظل أجواء هذه الأسرة الموسوية العريقة التي توارثت العلم والأدب والمعرفة وفي هذا الجو المطعم بأفانين الفقاهاة والعرفان والمتوج بتاج الورع والزهد والتقوى ولد الصبي وفتح عيونه على تلك المحلات الصالحة النقية الزكية ولما يبلغ الرابعة وقبل دخوله المدرسة الابتدائية راح يخرج مع والده إلى الصلاة في الحرم الحسيني المطهر فجر كل يوم ليرى جموع الزائرين تهفو بقلوبها نحو المشهد المقدس وتتقدم بأقدامها بسرعة لتؤدي صلاة الفجر إلى جوار ضريح سيد الشهداء (عليه السلام) أو في حرم أخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) وشفاهم تتحرك بالبسملة والحمدلة والمشاركة في تلاوة آيات من القرآن الكريم يتسابقون رجالاً ونساءً في خطى سريعة لكي لا يفوتهم ثواب صلاة الجماعة وخلال سعيهم للوصول إلى الحرم المطهر ترتفع أصوات المؤمنين مجلجلة تصيح بين الجموع وهي تصلي على النبي وآله فتجيب الجموع بصوت واحد معطرة أفواهها بالصلاة على محمد وآل محمد (عليهم السلام).

المعالم التراثية للمدارس الدينية التي بنيت على وفق الطراز المعاري الإسلامي والمساجد ذات الأطواق والعقود كلها أصبحت أثراً بعد عين.

ومن المعلوم إن تاريخ كربلاء عريق ومعروف.. فهو عريق في حضارته التي تمتد إلى أيام البابليين ومعلم للقداسة التي حظيت بها المدينة عندما استشهد على أرضها الإمام الحسين (عليه السلام) وروى تربتها بدمه الزكي وضمت جثته الطاهرة مع أخيه أبي الفضل العباس والشهداء من أصحابه وأهل بيته كل ذلك جعل من لهذه المدينة مكانة متميزة بين المدن أكسبها شهرة وقدسية وهيبة ومكانة ما بعدها مكانة.

هذه المدينة لم تنل الاهتمام من لدن الحكومات المتعاقبة ابتداء من التسلسل العثماني وحتى الحكم الملكي وما بعده وإلى اليوم فظلت متأخرة ومتخلفة عن ركب التقدم الحضاري الذي لحق مدن العالم مع الأسف، فهي تفتقر إلى كل ما يمت إلى الحضارة والتحضر، ومنذ النشأة الأولى للسيد محمد علي راحت هواجس نفسه تحدثه في العمل لإنقاذ هذه المدينة وإحداث نقلة نوعية فيها.



الشهرستاني في اجتماع عائلي للأسرة الشهرستانية في إيران سنة ١٩٤٩م

كانت عيون الصبي تشخص صوب هذه الجموع المسلمة الآتية من أماكن بعيدة من المشرق والمغرب فيعشق خطاهم ويتأمل تمتاتهم وتجلو نفسه ويشعر بالزهو وأبوه يقوده من يده ذاهبين ماشين بين هذه الجموع لتأدية فريضة الفجر في الحضرة الحسينية... كانت نسمات الصباح الطرية المفعمة بالرطوبة تلامس صفحة خده الأبيض الناعم فيحسها كالندى الساكن بين أوراق الزهور، كان الصبي يشم العطور والبخور التي تنشر أريجها حول الضريح المقدس يبثها ويرشها الزوار لإنعاش النفوس المزهوة بهذه الحضرة الملكوتية التي تحف بها الملائكة كل حين وأن تراقب زوار أبي الشهداء (عليه السلام).

كان الصبي كلما يتحسس هذه الأجواء المليئة بالمحبة والبركات والصلوات يخلق بروحه إلى فضاءات واسعة لا متناهية في المدى، فيبدأ يفكر ملياً بالإيمان الذي يحسه في أرواح أفراد الأسرة، يراقب وضوءهم وينظر إلى قطرات الماء وهي

تسرب من بين أصابع الجد والأب والأم وهم يتمتمون بالفاظ وكلمات روحانية (اللهم أعطني كتابي في يميني... الخ)، يتفكر في قيمة هذا الكتاب المقدس، يرسم صورة لهبات الرحمن على البشر التي تجعلهم يرتعدون حباً وبهاء وخشوعاً للخالق العظيم وهم متوجهون إلى الصلاة والدعاء والعبادة.

هذا التفكير العميق والتأمل الطويل غرس في روحه منذ نعومة أظفاره كل عمل خيرٍ رحماني فلا بد لهذه المدينة العامرة بالإيمان من راع، ولا بد لهذه المدينة من بهاء وألقٍ وإلا فما هو سر هؤلاء الناس الذين يأتون من كل حدب وصوب وبملا بسهم المختلفة وأزيائهم المتباينة للتشرف بزيارة هذه المدينة المقدسة، ويدفع به إلى التفكير بعمق هذا الإيمان الذي يلفّ كيان العائلة التي ينتسب إليها، والإيمان الذي يحتوي هذه المدينة بكل ما فيها من أزقة ودروب ضيقة، لقد كان يشهد وهو يمر من الزقاق الذي يسكنه إلى العتبة الحسينية المطهرة الباعة وقد فتحو محلاتهم للزائرين قبيل أذان الفجر استقبالاً لمجاميع الزوار الوافدين من كل أصقاع الدنيا المتوجهين إلى كربلاء يحدهم حُبّ الإمام الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين (عليه السلام) كان يرى المواقد التي توقد بالخشب لعمل وجبات الصبح الدافئة التي يتناولها الزوار بعد الانتهاء من الصلاة وأداء الزيارة كان يرى كل شيء من حوله هادئاً مناسباً بالموودة صوب الإيمان بالله... كان يفكر مع نفسه: متى يمكنني أن أكون خادماً لهذه الروضة المطهرة، ثم يعود يسأل نفسه كيف يمكنني أن أقدم هذه الخدمة؟ هل أصلي فقط؟ هل أساعد أُمي في توزيع الطعام الذي تعدّه الأسرة في المناسبات الدينية وبخاصة أيام عاشوراء؟ هل يمكنني أن أضيف شيئاً جديداً يجعلني أحظى بالاحترام كوني خادماً للحسين ولأجدادي آل بيت المصطفى (عليه السلام)؟ كانت هذه الأفكار تختلج في نفسه وتدور في رأسه الصغير وهو يعيش في كنف أسرته وفي بيئة كربلاء المعمرة بشذى الطقوس العبقية، والشعائر الدينية المشرفة والزيارات المتلاحقة للعراقيين وللعرب والمسلمين جميعاً.

ذات مرة وفي منتصف شهر شعبان جلس الصغير على حافة نهر الحسينية كان ينظر صوب المستقبل وفي الوقت نفسه ينظر إلى النسوة وهن يوقدن الشموع ويلصقنها بالأخشاب أو أصول سعف النخيل (الكرب) لتطفو سابحة في مجرى النهر أمام مقام المهدي (عليه السلام) وتتمنى كل واحدة منهن أمنية قد تعلنها وتجر بها أمام الأخريات، أو أمنية تسرها إلى نفسها ولا تبوح بها للأخريات لأنَّ هناك من الأماني ما تسكن القلب ولا يمكن البوح بها للآخرين.. كان الصغير يرصد البوح والسر كان يعرف أنَّ لهذه المدينة مستقبلاً يفاخر به الدنيا وأنَّ ما يراه صغيراً الآن سوف يكبر وما يراه ضيقاً الآن سوف يتسع.

كان يحلم وهو جالس مع أمه على حافة النهر يرقب أحاديث النسوة ودعاءهن لأبنائهن كانت تجول في خاطره آمال وأفكار لخدمة هذه المدينة فلم يكن يعلم بأنَّ الأقدار قد تبعد الإنسان عن حب، تبعده آلاف الكيلومترات عن المدينة التي يحب ويعشق وعن أسرته وعن خصوصية حياته وعن كل ما يراه حوله ويحيط به، لم يكن يعلم أنَّ المستقبل سيبدأ في بلاد بعيدة لا نخيل فيها ولا رطب.. بلاد غائمة ضبابية ساكنة ولكنها تحتوي أصحاب الأحلام الكبيرة والأفكار البعيدة والتي يمكن منها أن ينقل أفكاره ويجعلها في حيز التطبيق والواقع.

في تلك الأصقاع البعيدة ستتحول رسومه وتخطيطاته إلى وقود وحديد.. إلى مكائن جبارة من هناك سيبدأ بحية تؤهله للعودة وخدمة مدينته وبلده وخدمة إمامه سيد الشهداء (عليه السلام) وسائر مشاهد أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) وهكذا كان وتحققت الأمنيات والآمال بتوفيق من الله تعالى.

الإشراقة الوضاعة

كان الصبي حالماً بمستقبل وضاء، يحلم وهو فاتح العينين لمستقبل أشعة الشمس التي تبعث أضواءً بهيجة وهي تسقط خيوطها على القبة الذهبية والمناثر الشامخة فوق الضريح المقدس لسيد الشهداء... كان ينظر إليها نظرة المتفحص المتأمل المتفكر، كيف يمكن لهذه الأشعة أن تنعكس في جميع الاتجاهات؟ ولماذا يبقى الجزء الثاني من القبة موشحاً بالظل؟ كان يرنو إلى صوت المؤذن وهو يعلن الأذان من أعلى المناثر من دون واسطة (مكبر الصوت) ويتساءل مع نفسه كيف يمكن لهذا الصوت أن يصله من بعيد، وبينما هو يستغرق في التفكير والأحلام وتفسير الحالات والافتراضات على قدر عقله الصغير النامي المتجه صوب أفكار علمية ما كان لأصدقائه الصغار من تفسير لها سوى أن هذا الطفل الغر الصغير يختلف عنهم وهو يمتلك شيئاً آخر ولكنهم حاروا فيه لأنهم لا يعرفون تفسيراً سرّه.

مع ذلك كان الصغار يداعبونه ويلاطفونه محاولين جره إلى ألعاب صيانية يلعبونها فيستجيب حيناً ويرفض حيناً آخر عندما يكون مستغرقاً بأحلام اليقظة فهو يرى نفسه قد صنع آلة يستطيع بها أن يجعل ما حوله فسيحاً يستطيع بها أن يهدم هذه البيوت الصغيرة العتيقة الضيقة ويضع بدلاً عنها اشجاراً أو نافورات ماء كان يتخيل أن بإمكانه أن يفك الحروف ويحل الطلاسم وهو لما يزل صغيراً لم يدخل الكتاب (الشيخ).

انتبهت العائلة إلى أحلام هذا الصغير واستغراقه في أمور لا يستطيع تفسيرها أحد غيره، وجدوا أنه أذكى مما توقعوا، صحيح أن العائلة جميعاً من الأذكىاء والموهوبين

فقد كان من أجداده علماء وفضلاء وأساتذة ولكن يبدو أن هذا العقل الصغير رزقه الله موهبة تختلف عن مواهب اسلافه وأقرانه، كانت الأم فرحة مستبشرة بما تراه وتلمسه فكان اهتمامها به يفوق أي اهتمام آخر لما يتمتع به من ثقافة ومعرفة فهي خير موجه ناصح ومهتم به، وكان الولد لصيقاً بها يحدثها وتحديثه لتكشف مكانه نفسه فتعرف على دواخله لتستطيع أن تنميها وتوجهها الوجهة الصحيحة فأسرت لأبيه أن يأخذه إلى أقرب كتاب يعلم الصغار مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وكانت مثل هذه الكتابات منتشرة في أرجاء معينة من مدينة كربلاء وبخاصة في الصحن الحسيني والعباسي الشريفيين، فاستقر الرأي على إرساله إلى كتاب الشيخ محمد السراج (أبو خمرة) (ت ١٣٦٢هـ) الواقع في الصحن الحسيني بين بابي السلطانية وباب السدرة، وفي الصيف أيام الحر يفتش الطلاب أرض الصحن يجلسون على الحُصر متحلقين حول معلمهم، وفي الشتاء البارد يدخلون غرف الصحن وأواوينه المحصورة بين بابي الصحن المذكورتين والشيخ وخلفته (معاونته) يدوران بين الطلاب يعلمونهم القراءة والكتابة وأصول الخط وتلاوة القرآن المجيد، وهكذا كانت عادة أهالي كربلاء من المتمدنين والمتحضرين الذين يحرصون على تعليم أبنائهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

مرّت أشهر قليلة وإذا بالصبي يلتهم دروسه التهاماً يحفظ عن ظهر قلب سوراً قصاراً من القرآن الكريم ويتعدها إلى حفظ جزء عم وتبارك وأشعاراً حكيمية منسوبة للإمام علي (عليه السلام) ولبعض شعراء العرب المشهورين وأبياتاً في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) وواقعة الطف إلى غير ذلك مما كان يغذي به نفوس الصبية من تراث أدبي وديني وحكمي، ولطالما ضحك الطفل الصغير ملء شديقه على ما كان يفعله الشيخ (الملا) مع طلابه كل يوم خميس عندما يهّم الطلاب بالانصراف إلى بيوتهم حيث كان يختم سيقانهم بختم خاص به لكي يتبين له فيما لو ذهب الطالب إلى السباحة في نهر الحسينية يوم الجمعة فزوال الختم يعني أن الطالب قد مارس

السباحة يوم العطلة وترك دروسه وتمرد على أوامر أستاذه ومعلمه فيوم السبت يوم الحساب لمن لم يطع التعليمات فالعصا والفلقة تنتظره، وبعد أن يكمل الطالب دورته الدراسية في إتقان الكتابة والقراءة ويختم القرآن الكريم يحتفل أهل الولد وأصحابه وزملاؤه بتخرج زميلهم وتُعمل ختمة في احتفال ذي مراسم محددة تنشُد فيها أناشيد مخصوصة يدورون بالطالب في زفة بهيجة تخترق دروب المدينة ينثرون عليه الورود ويُرش عليه ماء الورد وتزغرد النسوة له ثم يأخذونه إلى بيت الأهل وقد أعدت مآدبة طعام ابتهاجاً وشكراناً لله تعالى.

كانت زفة الختمة أول حفل يشهده الصبي السيد محمد علي الشهرستاني لا زالت صورتها مخزونة في ذاكرته إلى اليوم وقد تجاوز الثامنة والسبعين من العمر، لا زال يتخيل ضوء الشموع التي حملها الصغار من أقرانه وهم يسرون أمامه مرددين الأناشيد الدينية وصواني الحناء والآس وهو يسير بتبختر وزهو فرحاً مبتهجاً بدشداشته البيضاء وغطاء الرأس الأبيض وهو يفز بين لحظة وأخرى من جراء تناثر الحلوى عليه من كل جانب والنسوة يزغردن كل ذلك كان مبعثاً لفرح الآخرين ولكنه كان بداية الحلم الذي كان يحلم به دوماً، لقد كان حلمه أن يغير صور الأشياء التي حوله إلى صورة أخرى بديلة، أن يرى هذه المدينة المقدسة العتيقة بكل ما فيها من مآثر والمزهوة بمجدها التليد والمباركة بمن دفن فيها، أن يرى مدينته هذه وكأنها قصر من قصور الجنة، وفردوس من فراديسها، ظلت الأحلام تراود فتانا المتطلع إلى مستقبل واعد لهذه البقعة الطيبة التي احتضنته وانتسب إليها هو وأجداده، يتمنى بأن يمتلك آلات وليست آلة واحدة للتغيير والبناء لم يكن يعرف أن هذه الأحلام يمكن لها أن تتحقق في سنوات بعيدة لم تأت بعد، ولكنه بدأ يتلمس خطواتها الأولى عندما بدأ دراسته في الصف الثاني الابتدائي بعد زفته هذه وانتهاء دراسته عند الشيخ محمد السراج أبي خمرة حيث لم تؤسس مدارس حديثة كثيرة تستوعب جميع الطلاب، فكان الآباء يرسلون أولادهم إلى

المدارس الدينية لدراسة مبادئ اللغة العربية وعلوم القرآن والشريعة والفقه على وفق مناهج الحوزة المعتمدة.

كانت الأيام الأولى في الصف الثاني غريبة عليه لأنه يتشوق أن يبدأ مع أقرانه في الصف الأول الابتدائي من مدرسة باب الطاق القريبة من دارهم والتي سميت فيما بعد بمدرسة السبط فقد قبلته طالباً في المرحلة الثانية متجاوزاً الصف الأول وذلك لما يتمتع به من نباهة ومعرفة بمبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن وحفظ بعض سورته وآياته مما تعلمه وأتقنه عند الكُتّاب، وكان مدير المدرسة المرحوم السيد يحيى محمد علي طعمة يعتز ويتباهى بمثل هذه الشريحة من الطلاب ويقدم لهم الدعم والرعاية*).

مرت السنوات وهذا التلميذ الصغير يقفز من مرحلة إلى أخرى يتفوق كبير جلب انتباه معلميه، لم يكن هذا التفوق وليد ساعته أو يومه، لقد كان أمراً معروفاً بالوراثة فالعائلة التي برز فيها هذا الصبي واصبح فيما بعد عالماً يشار إليه بالبنان، كانت بالأساس عائلة علمية تجذر فيها الفهم والعرفان والنباهة حيث برز فيها فقهاء كبار وخطباء مشاهير وأدباء مرموقين خلال القرنين الماضيين، ناهيك عن والده الذي تميز بميزات يغبط عليها من ورع ونزاهة وأدب جم وتقوى وقوة حافظه وصفاء ذهن، أفاد ولده من محفوظات والده كثيراً فكشكول الوالد المعرفي الذي ضم إليه باقات يانعة من خير أقوال القدامى والمحدثين وتراث السلف الصالح راح الصبي يقرأ تلك

(*) مما يتذكر الصبي في المرحلة الابتدائية التمثيلية التي لم يشارك فيها بل حضرها وسمعتها وحفظ بعض فصولها كانت عن يوسف الصديق ولغت انتباهه مشهداً منها الذي يظهر فيه مشهد رمي يوسف في البئر فراح يتابع القصة من كتب قصص القرآن ويحفظ بالتالي كل فصولها ويحكيها إلى زملائه الذين معه في المدرسة الابتدائية. وكانت له هوايات فنية ميكانيكية ورياضية وهو طالب ابتدائي لفت نظر أساتذته ومعلميه وزملائه وقد أجرى بعض التجارب البسيطة وهو في الصف الخامس الابتدائي وكانت هذه التجارب يجريها طلاب الأول أو الثاني المتوسط وربما الثالث المتوسط، وكانت والدته في البيت تساعده على إجراء بعض تلك التجارب لما كانت تملكه من ثقافة لا بأس بها فضلاً عن رعاية والده وتوجيهاته التي تركت أثراً واضحاً في مسيرة ولده.

الأوراق ليتعلم منها وينقل الكثير من سطورها متأملاً في مكوناتها ومكوناتها. فوالده (رحمته) أتعب نفسه وأجهد فكره حتى استقامت له تلك الأبحاث في ذلك المجلد الذي سمّاه (الكشكول) ضم قصصاً تاريخية نادرة يستقي القارئ منها العبر والعظات واحتوى روايات مهمة من تأريخ الاسلام وأشعاراً في الحكمة والموعظة الحسنة وغير ذلك مما ينفع الناشئة والقراء عموماً، كان الولد يستفيد من هذا الكشكول ومن محفوظات أخرى ورثتها الأسرة من تراث الأباء والأجداد في الفقه والأصول والتفسير والحديث والأدب الرفيع*).

وكثيراً ما كان الولد عندما يتأمل محتويات هذه الآثار المخطوطة يقف مندهشاً أمام هذا الكم المعرفي وما قدمه الأوائل للأجيال اللاحقة فعندما كانت تمر على الولد حادثة معينة كان يفكر مع نفسه ماذا سيكون موقفه عندما يصل إلى هذه التجربة كان يضع الكثير من علامات الاستفهام، وعندما يعجز في الحصول على إجابة مباشرة يظل يسأل ويتساءل ويبحث عند أهل الفضل والمختصين وهذا ما يجعله فوق مستوى أقرانه ويتفوق عليهم ويعلو عليهم بعض الشيء حتى تمكن من الإجابة على كثير من الأسئلة المطروحة من أمور التنظيم والإدارة بين المجموعة فأصبح الصغير قائداً ومديراً لمجريات أمور أقرانه.

هذا ما كان لوالده (رحمته) أما الوالدة المؤمنة العلوية (خديجة) فدورها التربوي لا يقل عن الدور المشرف في تنشأة الولد من حيث حسن التربية وسلامة التوجيه فمن الوالد (الحنو) ومنها (الحنان) الذي تمثل بالحرص على فلذة كبدها والأخذ

(* وكان الولد مديناً للوالد (رحمته) الذي حرص على الولد أيها حرص منذ البداية حينما بدأ الصبي يعي ويفهم وعندما سعى الوالد إلى توجيه ولده الوجهة العلمية والتربوية الصحيحة وبناءه بناء سليماً راح يصبغ به إلى مجالس العلم وحلقات المدرس الديني ومجالس عزاء الحسين ودواوين المدينة وكل ما يمكن أن يقوم سلوك وأخلاق الولد الذي يتدبه إلى كل ما يدور في المجتمع وما يشاهده مع والده في المحافل، وكان من ثمار تلك الصحبة والتوجيه الصحيح أن ترسم الولد خطى أبيه في التعامل مع الناس وغرس روح المحبة والإيثار والإخلاص في العمل والصدق مع النفس ومع الآخرين والتفاني في سبيل مصلحة الناس أجمعين والدعوة إلى الخير والتزهر عن الدنيا والتعفف في القول والعمل والسلوك.

بيده نحو مدارج الصلاح والرقي والتعلم والتخلق بالأخلاق الرفيعة والاستقامة في الحياة والافتداء بما كان عليه الصالحون والأتقياء والتمسك بأهداف الدين الحنيف، فكان لها الدور المؤثر في استقامة ولدها وتهذيبه وغرس روح الدين والعلم فيه، فدور الأبوين يصب في رافد واحد... رافد الخير والمحبة والصلاح والتربية المثلى وطلب العلم ونشدان المعرفة والتقوى والألتزام بالحدود الشرعية وفعلاً كانت الثمرة طيبة والجهود ناجحة.

بدأ الفتى يفكر منذ تلك المرحلة بالكيفية التي يجب أن يرسمها لنفسه في خدمة مجتمعه ومدينته وذاته وماذا يمكن أن يقدم؟ لم تكن طموحاته بمستوى اعتيادي فقد احتواه الحلم وظل يحلم حتى أثناء نومه.. كان يحلم بما قرأه في المكتبة العامة ويراجع مع نفسه الكتب التي قرأها في مكتبة أبيه المتواضعة، والتي احتوت على بعض الكتب المخطوطة النادرة، بعضها مخطوط قديم يؤلف تراثاً من تراث الأسرة الشهرستانية وبعضها مطبوع حجري يرقى إلى أكثر من مائة عام أو أقل من ذلك وبعضها مطبوعات حديثة راح الفتى المتعطر للمعلومة والمتهافت في الاطلاع على محتويات تلك الكنوز المعرفية وهذه يمكن أن نعدّها بداية المرحلة الفكرية والثقافية والنواة الأولى لمرحلته التعليمية والتثقيفية وهما بمثابة البداية الحقيقية لارتقاء سلم المعرفة، هذا الاندفاع نحو المستقبل في خزانة أبيه المتواضعة ومراجعته لما فيها من كتب واسترجاع ما حفظه من كشكول والده وما تعلمه من خلال مصاحبته لوالده وحضور مجالس العلم وندوات الثقافة ومجالس الخطابة الحسينية... كل ذلك كان مدعاة للتساؤل ومثاراً للاعجاب والتنبؤ بمستقبل ولدهم.

فكّرت الوالدة -يوماً- بالذهاب إلى إحدى العرافات لتكشف طالع ولدها وما يخفيه الزمن له من سعد أو نحس -لا سمح الله- ولما أخذت العرافة بكف الولد تتأمل خطوطها استبشرت به خيراً وأخبرت الوالدة بأن ولدها سيكون له شأن في مستقبل الأيام وسيكون رجلاً عظيماً في السنوات القادمة.. وطلبت الاهتمام به

والأخذ بيده فكانت بشرى أدخلت السرور إلى نفس والديه فزاد إحساس الأم بولدها الصغير الذي بدأت ملامح رسم شخصيته تبدو ظاهرة وجلية فبدأت الأم تدفعه نحو التحصيل العلمي وتواصله مع الكتب والمستجدات الحديثة في الساحة العلمية... في المكتبة اطلع على أول مجلة رآها في حياته وكانت مجلة (البذرة) التي يصدرها طلاب جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف، اطلع على الغلاف وقال: سبحان الله، فصورة الغلاف كانت شجرة لها أغصان وأوراق تشير إلى العلوم المختلفة (النحو والصرف، والفقه، والتفسير، والفلسفة، والعلوم الحديثة) وجذور عميقة تمتد في باطن الأرض فتبدو الشجرة راسخة في التربة... في تلك الليلة رأى الصبي في منامه ضوءاً ساطعاً ورأى الإمام علي (عليه السلام) يأخذ بيده ويقدم له حزمة من الخيوط تخرج منها خيوط مرتبطة بها، وكل خيط يرتبط باسم علم من العلوم، راح الإمام علي (عليه السلام) يضع في يده من كل خيط طرفاً منه، ظل الحلم حلم حياته، وقد ترك أثراً في مسيرته ولم يفارقه في كل مرحلة من مراحل حياته، وهذا كان من أسباب اندفاعه إلى طلب العلم وسهر الليالي قارئاً تاركاً كل أمور الأسرة خلف ظهره مما جعل والده يشكو تأخره في سهر الليالي بسبب مطالعته الكثيرة فوصفه بالجحود وشكا أمره إلى السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كان هو الآخر مولعاً بالقراءة والتتبع في طفولته وشبابه وقبل أن يفقد بصره حدثه الحجة السيد هبة الدين (رحمته) بقصة لطيفة حدثت له أيام شبابه فقد كان والد السيد هبة الدين هو الآخر يشكو من كثرة مطالعات ولده وقراءاته المتنوعة في الليل مما اضطر الوالد إلى سلب المصباح من غرفته فاشترى السيد هبة الدين سراً بضع شمعات لإيقادها والاستنارة بها ليتمكن من القراءة، وفي ليلة من الليالي شعر بنور ساطع في الغرفة فاعتقد بأن الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) سيراه ويحضر معه ولكنه بعد أن تحسس رأسه وشعر بحرارة حادة وجد أن عمامته على رأسه قد التهمت النار بفعل سقوط الشمعة من الرف عليها، وبعد تلك الرواية التي سمعها آمن بأن الإفراط والتفريط غير مناسبين بل هناك وسط بين هذا وذاك.

بداية الأبجدية

بعد أن أنجز المرحلة الابتدائية متفوقاً على زملائه وأقرانه فلم تشغله ملامح المراهقة التي بدت تظهر عليه، فلم تكن عائقاً أو سبيلاً لسلوك مسلك آخر غير طلب العلم وتقصي سبل المعرفة بدأت الهوايات تظهر جلية واضحة ومختلفة عما يجول في خواطر الآخرين فهي هوايات فنية وصناعية ورياضية حيث أخذ الفتى يقلد صنع المكائن ويفكر بطريقة حركتها وكيفية استمرارها في العمل ودوران العجلات والعتلات وترابطها ببعضها وبدأ يعمل نماذج مبسطة منها، ولكنه في الوقت نفسه لم يتخل عن دراسة الأدب والدين وبقي يتابع المناقشات الأدبية والدينية التي تدور في المحافل العلمية والحوزات الدينية التي كان يرتادها أبوه وكان يصغي إلى حديث الفضلاء والذين يتبادلون الآراء وي طرحون الأفكار حول العديد من المسائل الشرعية وعلم الحديث والتاريخ واللغة والعقائد والمنطق والتي نقشت في ذاكرته وظلت عالقة بها حتى أنه عندما كبر واشتد عوده بدأ يغوص في مكونات بعض هذه العلوم فكان يستذكر ما سمعه وما جرى أمامه وما احتفظت به ذاكرته.

كان يقارن ما بين الأشياء ويحقق ما بين الأشياء المتجاوبة والمتعاكسة يفصل ما بين الأضداد ويرسم خطوطاً بيانية لتصاعد الحالات ويحس أن لهذه الارتقاءات أسباباً عليه أن يعرف ماهيتها وأسبابها.

لذلك كان يضع في كل حالة مؤشرات يعود إليها عند محاولته الوصول إلى النتائج، إذ لكل فعل رد فعل، ولكل شيء سبب، ولكن وضع في باله أن الله ﷻ هو الأول والآخر والمبدء والمعيد وأنه هو صاحب الأسباب، وأن الإنسان لا بد

له من فهم الحياة والعبادات والخير والشر والفعل وردّ الفعل، وأنّ فوق كل هذا الفهم الملهم العظيم الذي يهدي لما هو أقوم وأصلح، ويهب العطايا والعقول التي يستنير الإنسان بها في سير الدروب.

مرحلة التفتح

بدأت مداركه تفتح في المرحلة الثانوية ونظرته إلى الحياة بدأت تتسع وافقه الفكري أصبح واسعاً فكانت المرحلة الثانوية نقلة نوعية في تفكيره وتصوراته وكانت المدرسة الثانوية بعيدة عن بيته ولم يكن غيرها في المدينة فكان يذهب إليها راجلاً مع بقية الطلبة من زملائه وإن كان بعضهم يركب عربات اللاندون (الريل) وبعض أولاد الأثرياء توصلهم سيارات الأهل الخاصة وهم قلة لأن أغلب الطلبة ينحدرون من طبقات فقيرة أو متوسطة وبينما كان الطلاب أثناء ذهابهم وعودتهم من المدرسة يتمازحون حيناً ويتذاكرون دروسهم التي ألقاها مدرسوهم عليهم كان الفتى (محمد علي) لا يشاركهم سلوكهم ذلك بل يتأمل لوحده ويفكر بجديّة مع نفسه يحلم بالتجارب العلمية وحجم الفضيلة المتعلقة بالاختراعات والصناعات وكم من الأجر والثواب سوف يتحقق للعالم لو أنه خدم الناس بالكيمياء أو الرياضيات، كان هناك كتاباً يسمى (العلوم العامة) يدرسه الطلبة في مرحلة من الدراسة الثانوية يجمع بين العلوم المختلفة ويعدّ الأساس لتعلم المعارف العامة والاكتشافات والاختراعات فأولع فيه ولعاً شديداً ولكنه أبعد من المناهج المقررة للطلبة بعد ذلك، وقد عمّ الفتى بهذا القرار.

يتذكر مرة أنه سأل مدرس العلوم العامة عن (المايكروفون) فنهزه الأستاذ قائلاً: (إنه أكبر من سنك) ولكنه مع ذلك حاول الطالب النبيه المتطلع نحو غد علمي مشرق أن يتعرف على (المايكروفون) بكل الوسائل، أما درس الجبر والمثلثات والتي يعدّها المنطق الرياضي الاستدلال والبرهان والنتيجة، فتولع بالفرضيات والاستدلال وكيفية الوصول إلى النتيجة وهو المنطق.

حبّه للرياضيات والدروس العلمية جاء متوقفاً مع كونه مغرماً بالعلوم الدينية الحوزوية فقد طلب من والده أن يصحبه لأحدى المدارس الدينية المنتشرة في كربلاء لأخذ بعض الدروس على الفضلاء في الحوزة وفعلاً أخذه إلى المدرسة الهندية الدينية وعيّن له أحد الفضلاء لتدريسه مقدمات العلوم الشرعية والعربية (*). وبعد إكماله هذه المرحلة بنجاح تقدم لدراسة مرحلة السطوح في المدرسة نفسها وكان من أساتذته في الفقه والأصول عدد من العلماء منهم: الشيخ جعفر الرشتي والسيد عبد الرضا المرعشي الشهرستاني والسيد مصطفى الاعتماد وقد أكمل مرحلة السطوح بتفوق نال إعجاب أساتذته وقد استطاع أن يوفّق بين دراسته في الثانوية ودراسته الحوزوية وقد حقق نجاحاً باهراً وتقدماً ملحوظاً في الدراستين.

استمر السيد محمد علي في مرحلة متقدمة من عمره وهو لما يبلغ العشرين أن يحضر بعض دروس البحث الخارج (**)، ولكنه لم يكمل هذه المرحلة حيث انشغل بالدراسة الأكاديمية في كلية الهندسة ببغداد وهنا اتخذ من مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي مكاناً ملائماً للبحث في الكتب والمراجع والمصادر والدراسة على يد أستاذه ومعلمه الأول الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني (تتئذ) الذي كان له الفضل الأول في توجيهاته الفكرية وكانت المكتبة وصاحبها ومؤسسها ينبوع الأول لانتهاج المعارف المختلفة والتزود بما يطلبه من شتى العلوم التي

(*) في هذه المرحلة بدأ بدراسة النحو وعلوم العربية - على خلاف القاعدة التي يبدأ بها الطالب - مقدماته وبعدها بدأ من الأعلى إلى الأدنى في دراسة النحو حيث درس شرح السيوطي للألفية لأنه كان قد أكمل المقدمات النحوية سابقاً كما ذكرنا، كما ركز على دراسة المنطق الذي عدّه الأساس للاستقراء العلمي ولأنه كان يهوى الرياضيات منذ الأيام الأولى لدراسته، هذه الدروس كانت مهمة جداً في المراحل المتقدمة مما أهّله في العبور إلى المراحل الأخرى بحسب نظام التدريس في الحوزات الدينية وكانت هذه الدراسات سبباً في انشغاله ببعض الشيء عن دروسه العلمية الأكاديمية وبخاصة الهندسية. (***) حيث حضر عند السيد الميرزا مهدي الشيرازي والسيد هادي الميلاني والشيخ يوسف الخراساني والشيخ محمد رضا الحائري الأصفهاني وغيرهم من أساطين الحوزة العلمية في كربلاء.

يرغب في طلبها والوقوف على دقائقها وكان للسيد هبة الدين ومؤسسته الثقافية (مكتبة الجوادين العامة) الفضل في إغنائه المعرفي والتراثي الإسلامي.

لقد أفاد من الدروس الحوزوية وبخاصة في المنطق والأصول الذي أخذ شيئاً منها على الفيلسوف الشيخ محمد رضا الحائري (تذکر) أفاد من هذه الدراسات في التطبيق على الدروس الأكاديمية، وكانت لهذه الدراسات القديمة أن توجه بدراسة العلوم الحديثة والفلسفة المعاصرة، كما أنه تزود بمناهج المدارس القديمة فأصبحت لديه ملكة مكتته من أن يمزج بين الدراستين، كان له دور كبير في شق طريقه في الحياة العلمية وتفوقه وأصبح يمتلك إمكانات أولية لبناء أساس متين لحياته المستقبلية، كما أن للمغفور له السيد هبة الدين الشهرستاني دوراً في تهيئة ذهن الفتى الذي قضى مدة بين كتب المكتبة (وأعني بها مكتبة الجوادين) التي تضم أمهات المصادر والمراجع في شتى صنوف المعرفة مضافاً إليها الدروس الشفوية التي كان يتلقاها من لدن السيد هبة الدين في جلساته الشائبة الخاصة أو من خلال مجلسه العلمي الذي كان يعقد في المكتبة، فمن خلال تلك الدروس والمعلومات التي لم تكن مقتصرة على العلوم الشرعية فحسب بل تعدتها إلى علوم الطبيعة والرياضيات والفلسفة والمنطق والهيئة والفلك وكانت بالنسبة للفتى الناهض السيد محمد علي بمثابة الدستور الذي رسم مستقبله العلمي وكانت له ميزة معينة تمكن من خلالها أن يُدخل القضايا الكبيرة والمهمة ويجازف فيها مطمئناً راضياً متأكداً من النتائج التي ستتمخض عنها تلك الأفكار والخطط وذلك لقوة وعمق إيمانه بالله تعالى وحسن توكله على الباري ﷻ في التوفيق والسداد، وكان شعاره دائماً (إعقل ثم توكل) فهو مؤمن بهذه الحكمة النبوية والمقولة الشريفة واتخذها شعاراً أساسياً له في عمله طيلة حياته الحافلة.

إعقل ثم توكل: والقصة معروفة أنه عندما جاء أعرابي إلى رسول الله (ﷺ) وقد ترك ناقته خارج المسجد ليصلي، فبعد أدائه الصلاة خرج ولم يجد ناقته، فرجع

إلى النبي (ﷺ) وأخبره باختفاء ناقته وقال له: إني توكلت على الله وتركت ناقتي خارج المسجد، فقال له رسول الله (ﷺ): اعقل ثم توكل، أي أن تربط رجل الناقة وتوثقها لكي لا تهرب ولا تتحرك ثم توكل على الله، وهذه قضية اتخذها السيد محمد علي شعاراً أو دستوراً في حياته العملية وأورد الكثير من الأمثلة في محلها أي طلب العلوم المتراكمة والاطلاع عليها فإذا أعيت عن الحلول فتوكل على الله والله الذي يعلم كل صغيرة وكبيرة ويعلم سر الأمور وخفاياها وهو قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، سوف يحل لك ما استعصى عليك.



في زيارة لاحدى رياض الاطفال في مستشفى خراسان بصحبة الحجة
سماحة السيد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٩٥٢م

بداية نضج المدارك

عندما كان في المرحلة الثانوية ساهم في الأنشطة الأدبية التي كان يقيمها الطلبة بمساعدة أو بتوجيه من قبل بعض الأساتذة من المدرسين الذين يرغبون ويسعون إلى توجيه طلابهم في هذه المرحلة العمرية لأنها تمثل تفتح المدارك وترسم آفاق المستقبل للطلاب، وهذه الأنشطة الثقافية تتمثل بالنشرات الجدارية والخطابة والتمثيل والمطاردات الشعرية وتنمية المراجع والمصادر في مكتبة المدرسة، سعى السيد محمد علي إلى إصدار نشرة جدارية سماها (العلم) وهذا الاسم جاء بتأثير مجلة (العلم) التي أصدرها السيد هبة الدين في النجف بين عامي (١٩٠٩م - ١٩١١م) وكان صداها قد تردد في ذهن الفتى محمد علي فولد إعجاباً بها لما كانت تنشره على صفحاتها من مقالات وأبحاث جديدة وأخبار الاكتشافات والاختراعات الحديثة والابتكارات المعرفية في شتى صنوف العلم المادي والربط العلمي بين ما هو حاصل وما ذكره القرآن الكريم وما تحدّث به العلماء في الماضي وكانت هذه المجلة قد أحدثت ضجة في الأوساط الثقافية والعلمية لأنها كانت تنشر ما لا يصل أخباره إلى الناس وتذيع عبر صفحاتها معلومات علمية نادرة وعلى النهج نفسه كتب نشرته الجدارية التي أعجب بها أساتذته وأفاد منها زملاؤه الطلبة، وكانت بعض المقالات يحررها بقلمه ويذيلها بتواقيع زملائه تشجيعاً لهم فكانت له قدرة فائقة في تحرير جميع المقالات والأعمدة والأخبار يكتبها ويدبّجها بقلمه بنفسه من دون أن يساعده أحد معتمداً على معلوماته وثقافته الموسوعية والعلمية بخاصة، ومن هنا بدأ إحساسه يأتي لما تفتح في روحه من مدارك تسير نحو مرحلة النضج.

كتب في تلك النشرة العلمية والأدبية الكثير من أخبار النظريات الحديثة

والمخترعات الجديدة التي أثارت ضجة بين صفوف العلماء والمثقفين والمتعلمين وأثارت شُبّهات كبيرة وتعليقات بين مؤيد ومخالف مثل نظريات (فوكل) و(غاليلو) حول دوران الأرض وقد عدّت في وقتها فتحاً جديداً على ما يدور وما يستجد في الساحة العلمية العالمية، كما أنه دافع عن المعتقدات الإسلامية ودفع الشبهات عما كتبه المستشرقون من أباطيل وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان ضد الإسلام ومبادئه الإنسانية.

في هذه المرحلة من حياته الدراسية استطاع أن يتصل بالمحافل العلمية والأدبية وأن يؤسس اللجان العديدة بدءاً من المدرسة الثانوية التي كان يديرها الأستاذ المربي حسن موسى فكانت الانطلاقة الأولى لتأسيس حركة علمية أدبية يسهم فيها عدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم فيما بعد من العلماء والباحثين وقسم رحل إلى دول الغرب والولايات المتحدة فكانت لهم ابتكارات وجهود علمية مشهودة وعاشوا وماتوا هناك والقليل منهم عاد إلى العراق ليخدم بلده.

إنّ هذه النشرة الجدارية وتلك الأبحاث العلمية والأدبية تركت أثراً كبيراً في مسيرته العلمية وكانت سبباً قوياً لأندماجه بالطبقة الواعية والمثقفة والإفادة من خبراتهم، وإنّ هذه النشرة الجدارية كانت سبباً لإحياء حفل كبير بمناسبة العاشر من المحرم حيث صدرت مناشدة شفافة ومؤثرة في أحد أعدادها للمسلمين من محبي أهل البيت (عليهم السلام) لإقامة احتفال كبير يوم عاشوراء تخليداً لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) لحثهم على المشاركة مع المواكب الحسينية ليلة العاشر من المحرم بموكب حزين أطلق عليه اسم (موكب الطلبة أو عزاء الطلاب) وأصبح لهذا الموكب صيتاً طيباً بين الجمهور حيث كان الناس ينتظرون هذا الموكب ويصطفون على امتداد الطريق الذي يسلكه أخيراً يحضرون في الصحن الحسيني المطهر لسماع القصائد الشجية التي ينشدها الخطيب أو المنشد (الرادود) وقد استمر هذا الموكب سنوات عديدة وتوسع وتطور ومن ثم أسس عزاء مشابه له إسمه (عزاء طلاب الجامعة)

فكان نزول الموكبين نزولاً حزيناً مؤثراً في النفوس وكان المثقفون والمتعلمون يؤلفون جمهوره وكانت تُسمع الأشعار والقصائد الرثائية التي قلما ينشد مثلها المشاركون في المواكب العزائية الأخرى كما إن هذين الموكبين اشتهرا بحسن التنظيم وطريقة الأداء والشعارات المختارة التي تندد بالظلم والجور والانحراف عن جادة الدين وفضح الحكام الجائرين الذين ظلموا محمداً وآل محمد (ﷺ) وما لحق بأهل البيت (ﷺ) من حيف واضطهاد ومطاردة من قبل بني أمية وبني العباس وسائر أعداء الإسلام، وحيث بدأت بواكير فكره السياسي بالتفتح والسير نحو وعي ناضج بأهمية البناء وخدمة الناس وتقديم ما هو أفضل لهم، فالثورة ليست بالكلام فقط بل بالعباء والعمل والتضحية.

نعود للنشرة الجدارية وما تركته من أثر في الساحة الثقافية، فكما يقول السيد محمد علي في إحدى النشرات: كتبت مقالة علمية أكاديمية حول دوران الأرض وما قدمه (فوكلت) و(غاليلو) حول اثبات دوران الأرض وكانت الأدلة التي قدمت من قبل هذين العالمين غير مقنعة لي وبينت في المقال بطلان الأدلة التي يدلون بها إذ يقولون إن الأجسام التي تقع من الأعلى تسقط في شرق موقعها الأصلي ويقول غاليلو إن البندول يرسم خطوطاً متغايرة أثناء حركته على الأرض إلى جهة الشرق ولكن إن كان هذين الدليلين دليل على حركة الأرض فيجب أن يكون سقوط الجسم إلى جهة الجنوب والبندول في آثاره على الأرض إلى جهة متغايرة عن الخطوط التي يرسمها في حركته الفعلية، طبيعي إن هذا الكلام لم يكن ادعاءً محضاً بل مستنداً إلى المعادلات الرياضية والفيزيائية.

لقد أحدث هذا المقال والبحث العلمي ضجة في الأوساط الطلابية وأصبحوا يستهزؤون بي لكلامي العلمي هذا، فراجعوا أفضل مدرس في الفيزياء والرياضيات وأتذكر اسمه الاستاذ مهدي هادي وأخذوني عنده لأن أدلي بحجتي وبعد استماع طويل من الأستاذ لكلامي أدار وجهه على الطلاب وقال: هذا كلام صحيح

فاستغرب الجميع من ذلك وكنت في هذه المرحلة الدراسية في الصف الخامس العلمي الثانوي وهو خاتمة الدراسة الثانوية وعندما انتقلت إلى بغداد للاستمرار في الدراسة الجامعية أصر أحد الطلاب الذي كان معي في كربلاء الاستمرار في هذه القضية فراجع أحد الأساتذة الأمريكان وعرض عليه القضية وطلب مني أن يكون لي لقاء معه وهذا الأستاذ بعد استماع للأدلة العلمية التي بيتهها قال هذا كلام صحيح ولا جواب لي على ذلك، ولكن هذا الطالب لم يكتف بذلك وأصبح يفتش ويسأل عن أفضل أستاذ في مجال الفيزياء والرياضيات لعرض القضية عليه فأشاروا عليه بوجود أستاذ مصري قدير جداً في كلية العلوم فاجتمعنا مع هذا الأستاذ وكانت النتيجة هي نفسها التي أخذناها من الأستاذ الأمريكي والمدرس العراقي في كربلاء وعجز عن رد الحجة العلمية التي أدليت بها ومرت بعض الأيام وفي يوم من الأيام وأنا في خدمة سيدي الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني وهو الذي كتب كتاب (الهيئة والإسلام) وأثبت فيه إن جميع النظريات والاكتشافات الحديثة قد قال بها القرآن والسنة النبوية وأبطل نظرية بطليموس القائلة بسكون الأرض.

فقلت لسماحته إنكم أقررتم دوران الأرض وأدلة (فوكلت وغاليلو) غير كافية وقد كان لي لقاء مع كبار الأساتذة المتخصصين في الفيزياء والرياضيات وقد عجزوا عن الجواب، فتبسم ضاحكاً وقال: إن هؤلاء الأساتذة لم يفهموا الرياضيات والفيزياء لأن الحركة الدورانية لها قوتان: قوة مركز عمودية، وهي عامودية على مركز الدوران وقوة مماسة لحركة الدوران فإذا أخذنا القوة العمركزية فكلامك صحيح ولكن إذا أخذنا القوة المماسية للدوران فكلام فوكلت وغاليلو صحيح فأسقط ما في يدي وتعجبت كثيراً كيف إن المرجع الديني والفقهاء الروحاني يعرف الفيزياء والرياضيات أكثر مما يعرفه أصحاب الاختصاص وكانت هذه الحادثة من الحوادث التي بقيت راسخة في ذهني وكان لها الأثر الكبير في مزج العلوم الدينية بالعلوم الأكاديمية.

وكانت النشرة الجدارية الفرصة لبث الوعي الديني الصحيح عند حلول ذكريات

الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من خلال تواريخ ولادتهم أو وفياتهم عن طريق المقالات وكتابة الأعمدة في بيان السيرة المثلى والمنهج القويم للنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) ناهيك عن مقالات الأدب والأخلاق والقصائد والطرائف التراثية وسير الأبطال والقادة العرب والمسلمين، كما إنَّ الفتى الطالب في المرحلة الثانوية كان يساهم في الحفلات الخطابية التي تعقد في الصحن الحسيني الشريف أو في المساجد والحسينيات وأماكن العبادة في مناسبات دينية، وكان السيد محمد علي أول من نقل المناسبات الدينية والاحتفالات من الحالة المنبرية إلى الحالة الخطابية. ومن أبرز تلك الاحتفالات في حينه ما كان يقام في الصحن الكاظمي الشريف يوم العاشر من المحرم والذي يقيمه الإمام الحجة المجدد السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (رحمته الله) حيث يُدعى إليه كبار الساسة والعلماء والأعيان والفضلاء ناهيك عن عامة الناس ويشارك فيه أساتذة المعاهد العليا في بغداد وكبار الشعراء وعدد من أساتذة دار المعلمين العالية والحقوق من الأساتذة المصريين المتدربين للتدريس في تلك الكليات، كما إنَّ النسابة والمؤرخ المحامي السيد جواد الشهرستاني (رحمته الله) كان يدير الحفل وينظمه ويشرف عليه وكان هذا الحفل يعدُّ من الاحتفالات المركزية الكبيرة حيث يغص الصحن الشريف على سعته بالحضور وينقل عبر الأثير من إذاعة بغداد مباشرة كما إنَّ الصحف والمجلات تنشر وقائع الحفل وما يلقي من القصائد والكلمات. استمر هذا الاحتفال لسنوات عديدة وقد دأبت مجلة البيان لصاحبها علي الخاقاني، ومجلة الساعة لصاحبها صدر الدين شرف الدين على نشر ما يقال وما ينشد في هذا الاحتفال، وبهذه المناسبة فقد أصدرت أخيراً مكتبة الجوادين العامة كتاباً وثائقياً تضمن كل ما ألقى من خطب وقصائد وكلمات في هذا الاحتفال طيلة سنوات انعقاده مع نبذة قصيرة في سيرة وترجمة المشاركين في الحفل.

وقد تأثر الفتى الشاب السيد محمد علي بهذه الاحتفالات تأثراً كبيراً وفكراً في إقامة إحتفالات مهمة بمناسبة ولادة الأئمة المعصومين في كربلاء وكان من

أبرزها هو الاحتفال الكبير الذي نظمه الشباب المؤمن بالتعاون مع الأستاذ السيد جواد هبة الدين في ليلة ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) في الصحن الشريف وكان هذا الاحتفال أول أحتفال يقام في الصحن الشريف ويدعى له كبار الأساتذة من الجامعات العراقية ومن الشعراء والأدباء ولأول مرة نقلت الكلمات والأشعار عبر مكبرات الصوت في المنائر وكان هذا الاحتفال باسم العائلة الشهرستانية، وبعد ذلك صار هذا الاحتفال سنة جارية تعقد في كربلاء والنجف بمناسبة ولادة الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وفي بعضها حضر عمالقة الفكر والأدب أمثال جورج جرداق من لبنان وغيره.

وبعد سنوات من توقف ذلك الحفل وبالتحديد في السنة الثانية بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ومن جراء الصراع الساخن في الساحة السياسية العراقية وتنامي الأفكار الإلحادية والضالة أقيم في كربلاء احتفال كبير ولكن في مناسبة ابتهاج وفرح في ذكرى ميلاد إمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) واستمر لسنوات طويلة، حيث يستعد أهالي كربلاء لإقامته في الحسينية الحيدرية يشارك فيه كبار الأدباء والفضلاء والشعراء من داخل العراق وخارجه يتبارى فيه الشعراء والمفكرون وتقدم فيه الجوائز للمشاركين كما أعلنت لجنة الاحتفال في أحد المرات عن مشاركة في تأليف كتاب عن الإمام علي (عليه السلام)، فتقدم عدّة مؤلفين بكتبهم وقد فاز ثلاثة ونالوا الجائزة هم: سليمان كتاني من إخواننا نصارى لبنان ومن أدبائها ومثقفها وروكس بن زائدة العزيزي من إخواننا النصارى أيضاً في الأردن ومن أدبائها وكتّابها، والدكتور مهدي محبوبة من العراق، وفي سنوات لاحقة فاز آخرون بالجائزة من العراق ومن خارجه وكانت مبادرة طيبة من لدن لجنة الاحتفال (*).

(*) وكان هذا الاحتفال بمثابة التحدي للعناصر المتطرفة وكانت المدينة تلبس أبهى حلل الزينة مبتهجة بهذه المناسبة والأهالي يستعدون لنشر معالم الزينة قبل شهر من حلول المناسبة يوم الثالث عشر من شهر رجب فكانت ليلة المولد من الليالي المتميزة ومع الأسف توقف الاحتفال بعد عام (١٩٦٨م) بسبب ضغط السلطة على القائمين بالتحفل وتضييق الحناق عليهم مما حال دون إقامة الحفل فيها بعد.

وقد حذت النجف الأشرف حذو كربلاء في إقامة مثل هذا الاحتفال بمناسبة ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) في الثالث من شهر شعبان وكذلك مدينة الحلة الفيحاء أقامت احتفالاً لم يستمر طويلاً في ذكرى ميلاد الإمام الحسن الزكي (عليه السلام).

كان الشهرستاني يستغل العطلة الصيفية في مشاريع ثقافية وتربوية محدودة نافعة وذات جدوى، فالقراءة المتنوعة ومطالعة ما يصدر حديثاً من الكتب وبعض المجلات الملتزمة كان هذا منهجه في العطلة، كما أنه لا ينسى مساعدة والده في معمله الصغير لصناعة الجواريب التي تعلمها من أبيه فاستمر طيلة وجوده في كربلاء يحيك الجواريب بتلك المكنائ اليدوية البدائية وتعلم من والده كيف يكون الإنسان عصامياً عاملاً ومحصلاً يستغل يده وقواه العقلية، يد يعمل بها وأخرى يكتب فيها وعين يشخص عمله ويرمُّ بها رزقه وأخرى يتأمل خطوط وسطور كتبه. كان الولد يبذل جل اهتمامه خلال العطلة بالمطالعة في مكتبة كربلاء المركزية وفي مكتبة والده المتواضعة في البيت ومكتبات بعض أرحامه من الفضلاء والعلماء وبعض أصدقاء والده فكان يلتهم الكتب ويحفظ النصوص المهمة منها ويسجل ما لا يستطيع حفظه وكان يسمع من والده حكمة لطالما اختزنها في صدره وتعلق بها وهي: ((خذ العلم من أفواه الرجال، وخذ الحكمة من أي إناء نضحت)) وهي جملة ذات معان كبيرة وموعظة لن ينساها منه، كما كان التردد على مجالس العلم المنتشرة في المدينة يشكل ركناً مهماً من أركانه المعرفية.

تخرجه في الإعدادية

في عام (١٩٥١م) تخرج من الإعدادية (الثانوية) الفرع العلمي وكانت رغبته دراسة الهندسة ولكن أي قسم منها: الهندسة الألكترونية أو الكهربائية، ولكن الألكترونية غير متوفرة في العراق ذلك الحين لذا توجه إلى مكان آخر في دولة مجاورة وهي إيران لوجود هذا الفرع في الدراسات الهندسية والتحق في كلية هندسة جامعة طهران ولكن ظروف إيران وانشغالها بالصراعات السياسية وقيام حركة محمد مصدق والغليان الشعبي وعدم استقرار البلد حال دون تحقيق أمنية السيد محمد علي فعاد إلى بغداد وانخرط في قسم الهندسة المدنية في الكلية الوحيدة التي كانت في العراق وفي بغداد العاصمة فقط وكانت دراسته في هذا القسم - كما يقول - بمحض إرادته ورغبته ومن دون تأثير من أحد أو توصية من والده، ويشير إلى نقطة مهمة هي البحث عن فرع هندسي مهم يتمكن أن ينمي مواهبه ويشبع نهمه العلمي ويستفيد من إعطاء نظريات هندسية جديدة وابتكارات جديدة وتقديم اختراعات جديدة إلى العالم ولكن لن تتحقق تلك الآمال وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن فأتم دراسته وتخصصه الأولي في الهندسة المدنية علّه يستفيد منها في ابتكارات جديدة ونظريات حديثة ومفيدة.

في هذه المرحلة الدراسية الجامعية وفي الأجواء العلمية في الكلية كان لبعض الأساتذة تأثير في توجيهاته ومسيرته العلمية.

كلية الهندسة في بغداد ومرحلة النضوج

بعد أن انتقل من كربلاء ومحيطها الضيق المحدود إلى محيط أوسع في العاصمة كان لهذا الانتقال أثر كبير في مجمل مسيرته العلمية والحياتية والاجتماعية لأنَّ الإمكانات ازدادت، والمجالات اتسعت، والاتصالات كثرت، والأساتذة تغيرت مستوياتهم، وتنوعت الاختصاصات فهم يختلفون عن أساتذته في الثانوية فمن الطبيعي أن يتطبع الإنسان بطباع المحيط الجديد الذي يختلف اختلافاً واسعاً عما كان عليه في المحيط الاجتماعي والدراسي السابق.

لقد أفاد من دراسته الحوزوية في كربلاء الشيء الكثير وكانت عاملاً في تعزيز دراسته الأكاديمية في كلية الهندسة فتعلم شرح الأسباب والعلل والأدلة فكان تواقاً لمعرفة جميع القضايا عندما يقدم عليها أو يدرسها أو يطلع عليها ويغوص في أعماق كل مسألة ليتعرف على أسبابها وعلل كل مسألة علمية وبخاصة الرياضية والهندسية وبعد ذلك نال من العناية الالهية التي شملته في هذه المرحلة العمرية والدراسية ففي هذه الحقبة من حياته كان يفكر ويضع القوانين الهندسية قبل أن يدرسها وهذا سرٌّ من أسرار عبقريته وذهنيته المتفتحة التي منحه الله أياها، ويقول: ((فاستسهلتُ الدراسة الجامعية وما وضعه وشرعه العلماء والمهندسون وكبار المفكرين في حل المسائل المطروحة في كل المجالات العلمية والهندسية، فالمعادلة والقانون الموضوع هو الأساس والباكورة لجني الثمار والوصول إلى النتائج وإذا كنت هكذا تعلمت من المنطق الذي درسته والعلوم العقلية التي تعلمتها في الحوزة كان لها دور مهم في معرفة وضع القانون لكل مشكلة، وعلى سبيل المثال: حينما أريد في الحسابات الإنشائية أدرس كيف يجب تسقيف غرفة ما، هنا

أستعمل عادة القانون والمعادلة وما سنّه كبار العلماء وبعض المفكرين والباحثين للوصول إلى نتيجة أن الشيلمان الذي أريد وضعه في السقف ما هو حجمه وما هي كميته، أن أضع القانون بنفسه وكان هذا بلطف الله وعنايته))، كان يدرس ويضع القانون، الذي طالما اختلف مع القانون الذي وضعه الآخرون من حيث الكيفية وخط السير والمسيرة ولكن مشتركة من ناحية النتيجة، فكان يفكر ويتأمل تأملاً علمياً هندسياً بهذا السقف الذي يريد أن يعمل، لماذا يجب أن أسقف؟ ما هي العوامل المؤثرة عليه والأحمال تسبب نزول وهطول السقف فيجب وضع شيء يتناسب ليكون مقاوماً لهذه الأحمال الموجودة على السقف وهكذا كان يدخل القضية من هذا الباب، لماذا وكيف وكيفية تلافي ذلك وكيفية انتخاب ما يقتضي عمل ذلك!!

هذه الأمور لم تكن من برامج دراسته الهندسية، إنما ممكن أن تكون هذه الأمور في الدراسات العليا، المتقدمة في مرحلتي الماجستير أو الدكتوراه. كان عندما يريد إيجاد حل لأية مشكلة هندسية كان يحلل العلل والأسباب ليصل فيما بعد إلى النتيجة الصائبة.

كان هذا عمله في كلية الهندسة ويعدّ العامل الأساس في تقدم حياته الفنية لأنه قد سلك سلوكاً مغايراً لما يسلكه الآخرون في معرفة العلل والأسباب وبهما تمكن من النجاح في أعماله فكانت القضايا عنده

قابلة للصعود والنزول والتغيير، وهذه النقطة مهمة في حياته ويعتز بها (على حد تعبيره) وقد أفاض بالحديث عنها لأنها باب الدخول والاطمئنان عند ولوج المسائل الكبيرة والعظمى التي كان الآخرون يعزفون عن تنفيذها ويمتنعون عنها لأنها لم تكن مناسبة لهم أو غير قابلة الخضوع للقوانين الموضوعية أو بالجداول الحسابية الموجودة في الكتب التي كانوا يلتزمون بها في ضوء القوانين الوضعية، هذه مرحلة جوهرية من مراحل تفكيره ودراسته ومنهجه في كلية الهندسة في

جميع مجالاتها، وبعد تخرجه فيها وحصوله على الإجازة (البكلوريوس) عام (١٩٥٦م) دخل العالم الأكاديمي والتكنولوجي الواسع وكان في عمله يضع علامات الاستفهام على كل شيء ويحاول في حل القضايا معرفة أسبابها حتى لو لم تكن من اهتماماته، ولم تكن كلية الهندسة بالشكل الذي عليه اليوم من سعة في الأقسام وتنوع في التخصصات الهندسية حيث كانت أقسامها محدودة فيها القسم المدني العام في السنة الأولى وبعدها يختار الطالب الهندسة الكهربائية أو الكيماوية وهكذا، فالقسم المدني كان خليطاً من المعماري والإنشائي إلى جانب الدراسات الهندسية الإنشائية وتأثير الأحمال والأعمال المدنية الأخرى وغيرها وكان فرع من هذا الفصل هو العمل المعماري والتصاميم المعمارية.



موظف في الإدارة المحلية لمدينة بغداد (القشلة) سنة ١٩٥٥م

ماذا تركت المشاهد العمرانية في بغداد من تأثير على تكويناته الهندسية والمعمارية؟

اشتهرت بغداد بطراز بنائي تراثي متميز وقد تأثر السيد محمد علي بتلك الطرز المتميزة عندما كان يشاهدها وهو في طريقه من الكاظمية إلى بغداد للوصول إلى كلية الهندسة في الباب المعظم، وكان يتأمل البيوت التراثية الممتدة على الطريق الموصل إلى الكلية ويدقق بنظره الثاقب أساليب البناء والواجهات والعقود والدعائم وما إلى ذلك من المظاهر الخارجية ويقارن بينها وبين ما كان عليه البناء في السنوات السابقة فكان لا بد وأن يتأثر بالطراز الحديث لهذه المباني الجديدة وبخاصة إنها تعد جزءاً من اهتماماته الدراسية.

ولابد من الإشارة أن هذه الأهتمامات سبقت مرحلة الدراسة الجامعية بوقت طويل فعندما كان في السادسة عشر من عمره وما بعدها كان والده (رحمه الله) يصحبه إلى أحد أقربائه من النقاشين الممتازين ممن اكتسب خبرة طويلة ودقيقة في عمله الفني هذا وكان السيد محمد علي ينتبه إلى عمل قريبه في النقش على اللوحات وعمل السيراميك والكاشي الكربلائي وكانت البداية بالنسبة له لتعلم الرسم ونقوش العمارة الإسلامية ومع هذا لم تكن اهتماماته بهذا الجانب فقط بل كان يتحرك في اتجاهات أخرى مختلفة:

أولاً: الاتجاه الهندسي الذي كان يشمل أيضاً العمارة الإسلامية والأعمال الإنشائية بأشكالها المختلفة.

ثانياً: حركة العلوم الدينية العقلية والتقليدية التي تسمى بالاستدلال والبيان (*).

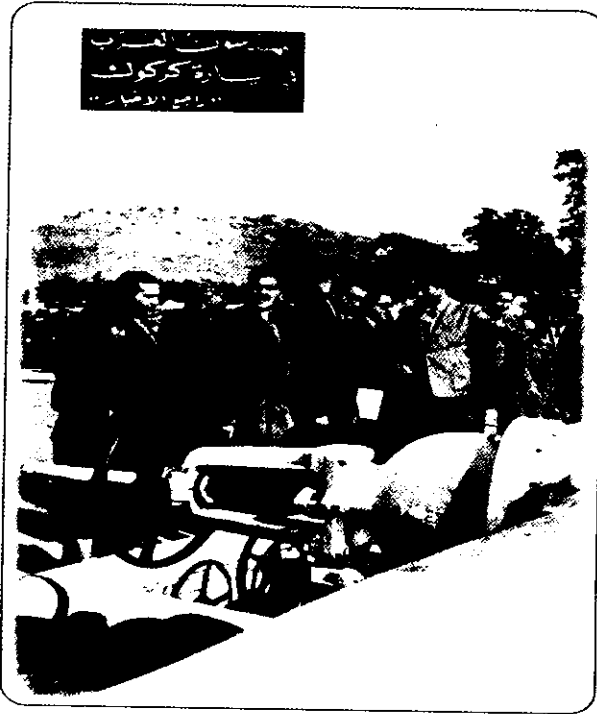
(*) معرفة الدليل في هذه الأمور العلمية الحديثة والقديمة كان يمزج بعضها مع بعض ويستخرج منها أشياء جديدة ويطبقها لأول مرة في حياته وينقلها نظرياً في حياته لأنه كان في دور الدراسة ودور التعلم فلم يتسع له المجال التطبيقي في الحياة العلمية. وخلال دراسته في كلية الهندسة أفاد مما تعلمه عندما كان يتدرب في مديرية الأشغال العامة بالقشلة يطبق لساعات في القشلة (القسم الفني في أمانة العاصمة أو محافظة بغداد) في القسم الفني ليرسم

بعد التخرج في كلية الهندسة

بعد إنجازه الدراسة في هذه الكلية وحصوله على شهادة البكلوريوس B.A استطاع أن يحصل على إعفاء من الخدمة العسكرية فطرق أبواب الوظائف الحكومية ليمارس عمله فيها، فكانت محطته الأولى العمل في الإدارة المحلية في بغداد وقد حصل التعيين فيها، ويقول: ((وباشرت العمل وكنت أعد التصاميم للمدارس والمباني العامة بالرغم من وجود رئيس للمهندسين ومهندس أقدم ولكنهم اعتمدوا عليّ في إعداد التصاميم والإشراف على البناء وتسلم المباني من المقاولين وتقديم التقارير بشأنها إلى الجهة المسؤولة))، ومن القضايا التي يتذكرها السيد محمد علي أن مجلة (أهل النفط) التي كانت تصدر في بغداد كتبت تحقيقاً تحت عنوان (عراق اليوم) في عام (١٩٥٧م) عرضت في ذلك التحقيق الصحفي، الأعمال الحديثة والتقدم العمراني في بغداد وقد أشارت إلى بناء المدارس فيها وحددت أربعة تصاميم، ثلاثة منها كانت من تصاميمه والرابع للمهندس المعماري جعفر علاوي الذي كان رئيساً لدائرة المباني الفنية في وزارة المعارف، والسر في ذلك الاختيار هو الابتعاد عن التصاميم الكلاسيكية المتداولة والتي تسالم

ويخطط بعض الأمور التي تخص اختصاصه ودراسته في هندسة وقد استفاد الكثير من هذا العمل بعد تخرجه في كلية الهندسة لأنه في هذا التدريب تعلم معرفة الأبعاد في الرسم الفني وقد اجتاز بتعلمه هذا المراحل الأولى في الهندسة وبهذا استطاع أن يبني أساساً علمياً هندسياً له. وفي هذه الحقبة وهو بعد في المراحل الدراسية لم يهمل دراسة الفقه والأصول وعلوم الشريعة الأخرى فكان يفرغ نفسه للبحث والتتبع في هذا المجال مستمراً الوقت أفضل استثمار، كذلك أفاد كثيراً من الحجة السيد هبة الدين الذي لازمه ملازمة الظل وتعلم عليه أصول الفلسفة والعقائد وعلوم الهيئة والفلك وتحليل الأحداث التاريخية وغيرها من المعارف.

عليها المهندسون قبله، فهي مرسومة وحاضرة من قبل الإنكليز وجاهزة للتطبيق فيستسهل المهندسون ذلك ولا يكدون ذهنهم أو يتعبون أنفسهم في الإبداع والابتكار والتغيير بينما كان السيد محمد علي يحاول أن يقدم تغييراً جذرياً على تلك التصاميم المعدّة مسبقاً، وفي التحقيق الصحفي الذي نشرته المجلة المذكورة أشادت بالتصاميم الجديدة التي أعدها السيد محمد علي وسلّمها للمسؤولين عن بناء المدارس والمعاهد في مناطق مختلفة من بغداد وفعلاً تم تنفيذ عدد من تلك المدارس وهي شاخصة و متميزة إلى اليوم، منها المدرسة الواقعة إلى جوار جامع براثا في العطيفية مقابل محطة البنزين، وظلت هذه التصاميم مطبقة في التنفيذ إلى اليوم ويعمل بموجبها.



مع وفد من جمعية المهندسين العرب في زيارة الحقول النفطية في كركوك سنة ١٩٥٦م
استمر عمله في الإدارة المحلية لمدة سنتين مهندساً ومصمماً ومنفذاً لعدد من
المدارس والمعاهد في بغداد ثم ترك العمل الحكومي إلى العمل الحر.

المكتب الهندسي

قرر بعد استقالته من الإدارة المحلية أن يفتح له مكتباً هندسياً في شارع الرشيد (ساحة الرصافي اليوم) واستأجر شقة في عمارة الشيخلي المطلة على الساحة المذكورة وبدأ العمل في المكتب حيث أخذ يصمم لمشاريع سكن وينفذ بعضها، منها بنائتان لأحد أصدقائه تم تنفيذهما على يده وقد حقق نجاحاً جيداً في إنجازهما بالشكل المطلوب، وكان يقوم بأعمال تجارية ومقاولات بسيطة إضافة إلى التصميم والاستشارات الهندسية.

بعد أن استقر وضعه في المكتب الهندسي وحصل على شيء من الشهرة بدأ يفكر ويحاور نفسه في التوسع بعمله إلى ولوج عالم المقاولات وتنفيذ المشاريع التي تعلن الحكومة عنها وهذا يتطلب منه أن يؤسس شركة للقيام بهذه المهام فاتفق مع ابن عمه السيد حسن الشهرستاني وأسس (شركة العدل للتجارة والإنشاءات المحدودة) انتقل إلى مكان آخر في عمارة البهبهاني (بداية سوق الشورجة) ليكون المقر الرئيس للشركة.

أول عمل عهد به إلى الشركة المذكورة كان بسيطاً وهو عبارة عن بناء سياج لمدرسة في سامراء وكان هذا أول الغيث وبعد إنجازه تمكن الشريكان أن يقوموا بأعمال وينفذوا مشاريع أكبر وخلال سنتين من العمل الناجح حاورهما صديقهما المحامي السيد محمد صالح بحر العلوم نجل السيد مهدي (أول وزير في حكومة عبد الرحمن النقيب) لتأسيس شركة جديدة يشترك فيها الثلاثة، فتم تأسيس شركة جديدة تحمل اسم (شركة الزهراء للتجارة والإنشاءات المحدودة) وتقدمت للدخول في مناقصات إنشائية كبيرة منها: مشروع بناء مستشفى الكرخ، وهو

مشروع عملاق كان المفروض أن يبني على النسق والطرز الذي بنيت فيه مدينة الطب فيما بعد، وحصل تنافس شديد بين اثنتين من الشركات العراقية وشركات بريطانية تقدم للجميع للمشاركة في هذه المناقصة ولأول مرة تدخل شركة الزهراء التي يمثلها الشريك الأساس السيد محمد علي ويقدم عرضاً في هذه المناقصة الدولية التي لم يكن في ذلك الوقت يمتلك معلومات سابقة بمثل هذه المناقصات ولكنه تمكن من الاشتراك في هذه المناقصة لهذا المشروع البالغة تكاليفه (٣،٥) مليون دينار أي ما يعادل أكثر من عشرة ملايين دولار أمريكي تقريباً وهذا الرقم يعد كبيراً في ذلك الوقت الذي كانت ميزانية الدولة العراقية فيها، مائة مليون دينار وفي النهاية قررت الحكومة تقسيم هذا المشروع وتوزيع المبالغ المرصدة له لإنشاء عشر مستشفيات في الأولوية الأخرى (محافظة أخرى) وهذا كان سبباً مهماً في رفع العبء الثقيل على الشركة التي يمتلك جزءاً كبيراً من سهامها السيد محمد علي، وظلت الكفالة التي دامت سنتين تدفع فوائدها شركة الزهراء للبنك وأخيراً لم تحظ الشركة بالمناقصة نتيجة الصراعات الحادة بين هذه الشركة وشركة بريطانية منافسة وبالنتيجة لم يحظ الجميع بالمناقصة، كل ذلك حدث وتم قبل الرابع عشر من تموز عام (١٩٥٨م).

الإحباط الذي أصابه عند نشر رسالة أهل البيت (عليهم السلام) في العالم.. البداية (أندونيسيا):

كان السيد الشهرستاني قد بدأ العمل في اتجاهين، الاتجاه العقائدي أو الديني والاتجاه الاقتصادي وسبق تفكيره في العمل والنشاط الديني أنه يتذكر حادثة حدثت له عام (١٩٥٨م) قبل أن يغادر العراق وينتقل إلى إيران وهذه الحادثة تمثلت في حضور شخصية محترمة وردت العراق من أندونيسيا من أجل البحث عن شخصية إسلامية تحمل ثقافة عالية للعمل في إحدى جامعات جاكرتا في أندونيسيا، وهذا الرجل الإعلامي يدعى السيد محمد أسد شهاب، من أحفاد أبي بكر شهاب صاحب

كتاب (رشفة الصادي) من الكتب المهمة في الولاية التشريعية والولاية التكوينية وكان أيضاً يمتلك وكالة الأنباء الآسيوية وصاحب جريدة (بامينا) وهي من الجرائد المعروفة في تلك الديار وكان قد حل ضيفاً على السيد جواد هبة الدين الشهرستاني وطلب من صديقه السيد جواد أن يحضر له أستاذاً جامعياً يجيد اللغة الإنجليزية ويملك معلومات وافية في مجال الفكر الإسلامي ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ليتوسط لمثل هذا الرجل لدى الحكومة الأندونيسية للحصول على زمالة أو عقد عمل في واحدة من جامعات جاكرتا العاصمة ويعمل على نشر الفكر الشيعي بين الأندونيسيين الذين كان تعداد نفوسهم في ذلك الحين حوالي (٩٦) مليون نسمة وأندونيسيا تعدّ أكبر بلد إسلامي ومعظم المسلمين هناك كانوا يحبون أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) وينزلونهم منزلة كبيرة في نفوسهم ولكن الجهل والامية تحجب عنهم الكثير من المعلومات التي تتعلق بأل البيت (عليهم السلام) ولم يعرفوا عنهم شيئاً حتى ولم يسمع الكثير منهم عن التشيع ومذهبه.



الشهرستاني في معرض بغداد الدولي الاول

وكانت جمعيات كثيرة ممولة من الخارج تضلل الناس وتنشر أفكاراً ناصبية وسلفية، وكان هذا الرجل الأندلسي قد دفعه حرصه وغيرته على الإسلام ومذهب أهل البيت ليحصل على عدد من الدعاة والناشطين لنشر الأفكار الوسطية المعتدلة التي تصنف آل الرسول ومذهبهم النقي الطاهر، وحاول الاتصال بالكثير من المراجع والعلماء والمفكرين والدعاة والخطباء وظل مدة يواصل اتصالاته والجميع رتب بالفكرة وناصره ووقع الاختيار أول الأمر على الأستاذ أحمد أمين (صاحب كتاب التكامل في الإسلام) وهو أستاذ جامعي ومفتش اختصاصي في الرياضيات ومفكر إسلامي متنور وصاحب قلم منسب وفكر نير وتقوى متناهية ولقيت الفكرة قبولاً أول الأمر من لدن الأستاذ أحمد أمين ولكن بعد يومين جاء معتذراً بسبب ظروفه العائلية.

والسيد أسد شهاب طلب منا أن نفتش عن آخرين وبحثنا كثيراً - على حد قول السيد الشهرستاني - فلم نعثر على أحد ينفع وتنطبق عليه الشروط التي اشترطها السيد أسد شهاب وهو وإن كان قد تنازل عن بعضها آخر الأمر كشرط الشهادة الجامعية العليا وإجادته الإنجليزية فاكتفى بإجادته اللغة العربية وبالإجازة من أحد المراجع أو الشهادة الجامعية الأولية، فاصطحبه السيد محمد علي الشهرستاني إلى النجف الأشرف وكان معهما الشيخ عبد المنعم الكاظمي على أمل أن يحصل على مبتغاه وهناك تشرف الكاظمي بمقابلة المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم وتحدث معه بهذا الشأن علّه يقع اختياره على شخص ينفي بالغرض وبعد مكث في النجف دام ثلاثة أيام ولكن من دون جدوى لم يمكن اختيار الشخص المطلوب ولم يجد المرجع الديني الإمام الحكيم أحداً لهذا الغرض.

لقد كانت هذه الحادثة بمثابة صاعقة قوية نزلت عليهم وتألّم السيد الشهرستاني من هذا الأمر فيآلها من مصيبة إذ لم يمكن الحصول على رجل يدعو لله ولنبيه الكريم ولأهل البيت في بلد واسع المساحة والكثافة السكانية فيه كبيرة، والناس

فيه متعطشون إلى سماع أخبار أهل البيت (عليهم السلام) لم يتقدم أحد لمثل هذه المهمة الشرعية ولم يعين الإمام الحكيم أحداً.

هذه الحالة عدت بمثابة ضربة قوية عبّر عنها السيد الشهرستاني بالصاعقة التي نزلت عليه ويدي تعجبه من أن التشيع بقدرته وإمكاناته لم يتمكن أن يعرف داعية يعتمد عليه في نشر مبادئ أهل البيت في تلك الأصقاع الإسلامية البعيدة، وتدارس السيد الشهرستاني هذه الحالة مع المرحوم الشيخ محمد حسين المؤيد وتوجهها إلى النجف وقابلا الشيخ محمد رضا المظفر رئيس جمعية منتدى النشر وأحد المصلحين المجاهدين والعاملين من أجل نشر مذهب أهل البيت وطرحا القضية عليه ورجوه أن يجد حلاً لهذه القضية المهمة وكانت هذه القضية سبباً من أسباب تأسيس كلية الفقه فيما بعد من قبل الشيخ محمد رضا المظفر، وفي سنة (١٩٥٨م) رحل السيد الشهرستاني إلى إيران ولم يدر ماذا حصل فيما بعد بشأن هذا الموضوع، ولكنه ظل يفكر بالمذهب وضرورة مد يد العون للمسلمين ليتعرفوا على آل البيت الأطهار (عليهم السلام) ومن هنا كانت إسهاماته الهندسية المستقبلية تحمل أكثر من هدف، فمن أهدافه نشر الوعي الديني بعامة ومذهب أهل البيت بخاصة في كل مكان ومجال عمل فيه.

رحلته إلى إيران

بعد إخفاقه في الفوز بالمناقصة الدولية في بناء مستشفى الكرخ ببغداد أصابه شيء من الإحباط وقرر السفر إلى إيران للراحة والاستجمام والتخلص من حرارة الجو الملتهبة وقضاء فصل الصيف في ربوع البلد الجار، وأثناء وجوده في إيران حدثت ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨م) في العراق وحلّ النظام الجمهوري مكان النظام الملكي وحدث ما حدث فيما بعد من صراعات سياسية بين القوى كافة وكان ذلك واحداً من الأسباب التي تمخضت عنها فكرة البقاء في إيران يضاف إليها المشكلات والملايسات والتداعيات التي حدثت في الساحة العراقية والتي تعدّ سبباً في عرقلة المشاريع المهمة ولهذا قرر التخلص من تلك العقد الصعبة التي يصعب حلها فقرر السفر خارج العراق.

نشاطه الفكري والهندسي في إيران:

في الوقت الذي غادر فيه السيد الشهرستاني إلى إيران بعد ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨م) نتيجة التطرف والاحتقان السياسي والانفلات الأمني قرر مغادرة العراق إلى إيران ويومها كانت الدعوة البهائية تبث أفكارها بين الناس هناك، وفي إيران تعرف الشاب المهندس الشهرستاني بجماعة والتقاها، وهم من الدعاة الإسلاميين الشيعة وممن وقفوا بوجه الفكر البهائي وسائر الأفكار المنحرفة والهدامة في إيران وفي تلك المدة أو الحقبة كانت النزعة البهائية على أشدها ودعاتها منتشرون في أنحاء إيران ولهم أساليبهم الخاصة في اجتذاب ضعاف الإيمان وإنصاف المثقفين والعلمانيين ولطالما وقع في حبالهم بعض الشباب وصدّقوا دعواهم وتغيّرت عقيدة الكثير منهم واستبدلوا مذهب التشيع الإسلامي بمذهب ودين البهائية وكان

المدّ كبيراً وجارفاً، وكانت هناك جمعية تبارز وتحارب البهائيين وبأساليب علمية وفكرية منظمة وهي قوية ورائعة من حيث الأساليب التي تمتلكها ومن حيث المادة العلمية والأرضية الصلبة التي تقف عليها، وكان المرشد لهذه المجموعة أو الفئة المرحوم الخطيب الشيخ محمود حلبي وهو من الأساتذة الأكفاء في المعارف الإسلامية بصرف النظر عن كونه خطيباً بارزاً وله خلفية قوية وإطلاع واسع على الفكر الفلسفي ومن المتبحرين في القضايا العرفانية وكان هذا الرجل قد جمع فئة صالحة من الناس حوله واستطاع أن يُحسن تنشأتهم وتربيتهم كما ينبغي وإعدادهم إعداداً صالحاً يمكنهم من محاربة البهائية ودحض أفكارها الهدامة المنحرفة التي أثرت تأثيراً واسعاً في المجتمع الإيراني.

وقد تعرّف السيد الشهرستاني على هذه المجموعة الصالحة بعد أن انتقل من العراق إلى إيران وأندفع في مساندتهم ومعاونتهم ولكنه لم ينتم إليهم بل كان واحداً من أشهر المناصرين لهم والمدافعين عن أهداف هذه الجمعية والجماعة وكان يحضر الجلسات العامة لهم، وهناك اشتد تشوقاً وعزيمة على أن يقوم بالدعوة الإسلامية ونشر معارف أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء المعمورة وفعلاً سعى في هذا المجال وبذل جهوداً فيما بعد وبخاصة بعد عودته من خراسان إلى طهران عام (١٩٦٤م) بعدما أنجز محطة قطار خراسان والتوسعة في الحرم الرضوي الشريف.

البداية في طهران وحديث التصاميم الجديدة:

بعد أن أقام في طهران انتمى إلى أحد المكاتب الاستشارية الهندسية وراح يعمل فيها وكانت هذه الشركة الاستشارية الإيرانية تعمل على إعداد تصاميم وخرائط بعض الفنادق الكبيرة شمال إيران وعهدت الشركة له رئاسة قسم التصاميم الإنشائية فيها وقد تمكن من عمل تصاميم حديثة وجديدة لم تكن معروفة في ذلك الزمن وهي تعدّ نقلة نوعية بعد أن كان يعمل على الخرسانة المسلحة والكونكريت في العراق، وحينما انتقل إلى إيران وجد أن الأعمال الإنشائية في الحديد والمقاطع الحديد

وكانت هذه مرحلة نوعية لأن الدراسات والتصاميم في الأعمال الخرسانية تختلف جذرياً عن التصاميم في أعمال الهياكل الحديد لكنه قدم هناك بعض التصاميم التي طرحت لأول مرة في إيران مع خبرة طويلة في هذا المجال.

يقول السيد محمد علي: لقد كان في إيران ذلك الوقت مهندس ألماني (كرين فيلد) يعدّ من أهم المصممين للهياكل الحديد والأعمال الإنشائية وقد التقيته مرة وسألني عن أحد الأعمال التي قمت بها في مصرف كبير هو (البنك التجاري) وعن أحد الجسور الضخمة التي تصنّع وتبنى لأول مرة في إيران من الجسور الورقية (PLATE) قلت له: إنه كان من تصميمي وإشرافي في التنفيذ، وسألني عن ذلك أسئلة كثيرة لأنه قال: ((إنّ هذا النوع من الجسور لأول مرة بهذه الفتحة الكبيرة أو بهذا الطول الممتد طويلاً يصنّع هنا في إيران...)).

كان السيد محمد علي موفقاً في أعماله التي تم إنجازها على يده في هذه الشركة من التصاميم الضخمة في أعمال مختلفة.

بعد مدة من عمله في هذه الشركة الاستشارية وعلى أثر تقديم تصميم جسر لأحدى الطرق والشوارع المتقاطعة في طهران بين شارعين رئيسيين وحل مشكلاتها بإنشاء جسر من الجسور الحديد بحيث يمكن الإفادة من المحلات التجارية التي تبنى تحتها لتغطية كلفة هذا الجسر، كان سبباً لنشوء خلاف بين السيد محمد علي وبين الشركة التي يعمل فيها بسبب عدم إبلاغه بتقديم هذا العطاء إلى بلدية العاصمة طهران، فترك العمل في الشركة المذكورة وفضل العمل في شركة إنشائية أخرى كانت تقوم بإنشاء محطة قطار خراسان.

محطة قطار خراسان (مشهد):

لم يكن في مدينة مشهد المقدسة محطة للقطار، فعندما شرعت الحكومة الإيرانية بمد سكة حديد طهران - مشهد، أعلنت عن إنشاء محطة كبيرة في مدينة مشهد وكان مشروعاً ضخماً للغاية عجزت عنه الشركات الإيرانية بسبب المواصفات التي

طلبتها مصلحة السكك الحديدية هناك، طلبت من الشركات البريطانية تنفيذ السقف الكبير والطويل وبعض الأعمال الحساسة لهذا المشروع، فالصالة المطلوبة كانت بطول (١٦٠) م وبفتحة (٧٠) م، ومن الطرفين جناح معلق بطول (١٧) م وكان هذا يعد من الأعمال العالمية الضخمة التي نشرت في الصحف البريطانية وغيرها.



السيد الشهرستاني أثناء تنفيذه مشروع محطة قطار مشهد وهو من المشاريع الكبيرة التي مازالت شاخصة لحد الآن منذ أكثر من نصف قرن

وعند مباشرة الشركة البريطانية العمل لإكمال السقف تركت عمل بناء المدختين الأساسيتين وسط هذه الصالة الكبيرة بسبب اختلاف السعر حيث طلبت الشركة حوالي (١١) مليون تومان لمواصلة التنفيذ بينما تقدم السيد الشهرستاني بعرض زهيد الثمن لإكمال العمل وهو مليوناً وثمان مائة فقط ولهذا سحبت الحكومة المقابلة من الشركة البريطانية وسلمتها للسيد محمد علي الذي أنجز تنفيذ المشروع بصورة كاملة وبالشروط المعلنة.

وهذا هو الإنجاز الثاني للسيد يقوم بتنفيذه في إيران وما زال المشروع شاخصاً من دون تصدع أو خراب بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على إنجازه.



الشهرستاني في احتفال وضع الحجر الاساس لمعمل السكر في خراسان

المشروع العظيم لتوسعة حرم الإمام الرضا (عليه السلام) ورفع الجدران التي
تحت القبة:

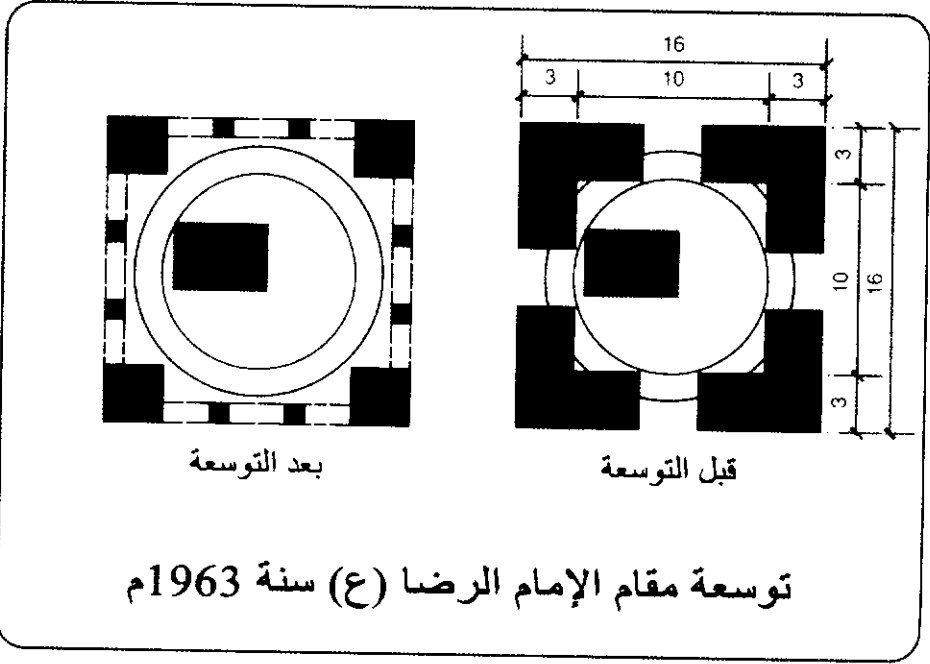
خلال وجود السيد الشهرستاني في مدينة مشهد كان كثيراً ما يتردد متشرفاً بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) وهو يشاهد تزاخم الزوار في القسم الشمالي الغربي من الروضة المقدسة حول القبر الشريف بسبب ضيق المكان حيث يضيق الممر ليصل إلى ٥٠ سم بين الضريح والجدار وهم يطوفون حول الضريح ولا بد من سلوكهم ومرورهم عبر هذا الممر الضيق وظل المهندس الشهرستاني يتأمل ويفكر ويخطط للتخلص من هذه الحالة التي كانت قائمة منذ قرون، والتي تفاقمت في السنوات الأخيرة في النصف الثاني من القرن الماضي بسبب تزايد عدد الزوار والأنفجار

السكاني في العالم بصورة عامة وسهولة النقل وتعدد وسائله، فهو يروي إحدى مشاهداته داخل الحرم المطهر فيقول: إنه في إحدى ليالي شهر رمضان لم ير أكثر من أربعة أشخاص يتعبدون (هذا كان في سنة ١٩٥٩م) بينما وصل عدد الزوار في عام (٢٠٠٨م) قرابة عشرين مليون زائر لحرم الإمام الرضا (عليه السلام) تأمل الفرق الهائل في عدد الزوار بين أمس واليوم.

إنَّ السبب في ضيق المكان أو الممر داخل الحرم المطهر يعود إلى وجود استقرار الضريح المبارك خارج مركز القبة وانحرافه إلى الجهة الغربية والسبب في انحرافه أو في استقراره في هذا المكان هو أنَّ هارون الرشيد حينما توفي في خراسان (طوس ١٩٣هـ) كان المأمون في صحبته وأراد أن يدفن أباه في بقعة أو مكان مناسب فاختار دار حُميد بن قحطبة الوالي السابق على خراسان من قبل الرشيد وكان له بستان فيها (بقعة) تسمى الإسكندرية بحسب رواية مفادها إنَّ الإسكندر المقدوني قد حلَّ فيها عندما مر في طريقه إلى الصين.

إختار المأمون مدفن أبيه في هذه البقعة وبعد الدفن بنى المأمون غرفة على القبر بأبعاد ١٠×١٠م يحيطها جدار بسمك حوالي ثلاثة أمتار، ولها أربعة مداخل شمالية وجنوبية وشرقية وغربية وحينما دس السم للإمام علي الرضا (عليه السلام) وأراد إظهار تبرأته من هذه التهمة وأنه لم يكن قد فعل ذلك الفعل الشنيع وأظهر للملأ بأنه موال للإمام (عليه السلام) ومن محبيه وأودائه بدليل اعتماده ولياً للعهد فأرتأى المأمون أن يُدفن الإمام فوق رأس أبيه الرشيد فكان له ذلك فدفنه في موقع قبره الحالي، ويذكر الرحالة ابن بطوطة في رحلته أنه شاهد صندوقين الواحد جنب الآخر للرشيد والآخر للرضا. وفي عهد الصفويين رفعوا الصندوقين واستبدلوا بهما صندوقاً واحداً وهو الموجود على قبر الإمام الرضا (عليه السلام) والضريح بطبيعة الحال أكبر من الصندوق فكان مكاناً ضيقاً بين الركن الشمالي الغربي وجدار هذه البقعة والمسافة لا تزيد عن ٥٠ - ٦٠ سم والزوار عندما كانوا يمرون عبر ذلك

الممر الضيق كانوا يرددون العبارة الآتية (لعت بر هارون) لأنَّ وجوده هو السبب في ضيق المكان، هذا ما كان مشهوراً في ذلك الزمن.



ويواصل السيد الشهرستاني حديثه قائلاً: وحينما كنت مشغولاً في الأعمال الإنشائية في محطة قطار خراسان لاحظت مشكلة الزحام داخل حرم الإمام الرضا (عليه السلام) وفكرت ملياً في كيفية حل هذه المشكلة المزمنة وتوسيع الطريق للزوار على أحسن وجه وتخليصهم من هذه الضائقة المزعجة، وقد خطرت في ذهني خواطر عديدة وأفكار هندسية متعددة واستطعت التوصل إلى حلول ناجحة وقدمت هذه الحلول إلى محافظ خراسان عن طريق المرجع الديني المرحوم السيد محمد هادي الميلاني المقيم في خراسان للسماح في التوسعة والإجراءات اللازمة لها، وكان الجواب إنَّ هذا المشروع غير ممكن لأنه سبق وأنَّ قُدِّمت دراسات حول الموضوع وكان الجواب بالرفض لعدم إمكان تحقيق ذلك،

ويواصل السيد الشهرستاني الحديث قائلاً: ولما حققت في الموضوع عرفت إنَّ الشركة الإسكندنافية هي التي عارضت مشروع التوسعة، ومن الجدير بالذكر إنَّ هذه الشركة هي التي صممت وقدمت الدراسات وأشرفت على مد الخط الحديد للقطار من جنوبي إيران وبالتحديد من مدينة خرمشهر (المحمرة) إلى شمال إيران وهو عمل جبار كان يتطلب شق (٥٥) نفقاً جبلياً وإنشاء جسر معلق كبير بين الجبلين (فرست) وبارتفاع (١٦٥) متراً عن الوادي، وبهذا تعدَّ هذه الشركة من أقدر الشركات العالمية في الأعمال الهندسية الإنشائية... وقد طلب محافظ خراسان من رضا شاه الكبير في وقته أن تقوم الشركة المنفذة لمشروع مد خط السكة الحديد المذكورة بإجراء الكشف وتقديم العرض لتوسعة المكان داخل الحرم الرضوي المقدس وتقديم الحلول ولو بتوسعة ٥٠ سم آخر (نصف متر) لكي يكون الممر مستوعباً ولو لشخص واحد أو شخصين بإمكانهم المرور عبر ذلك المضيق (إن جاز التعبير) وبعد دراسة مفصلة ومطولة قامت بها هذه الشركة الإسكندنافية قدّمت تقريرها بأنه لا يجوز مسّ هذا الجدار أو تحريكه لاعتقادهم بأنَّ البناء لا يدوم أكثر من (١٢) سنة وفي حينه وضع محافظ خراسان في ذلك الوقت علامات على بعض الشقوق أي أنه ألصق ورقة على هذه الشقوق الموجودة ووقع عليها حتى إذا تغيّر وضع الجدار أو ازداد الشق فإنه سيتوسع ويكبر فجأة وعندها تتمزق الورقة.

ويقول السيد الشهرستاني: وبالمناسبة لا بأس أن أشير أيضاً إلى أنَّ القبة المطهرة التي كانت ولا زالت موجودة منتصبة فوق مقام الإمام الرضا (عليه السلام) قد أصابها تصدعان أساسيان:

الأول: في زلزال حدث أيام الصفويين خراسان في حدود سنة (٩٥٦ أو ٩٥٥ هـ) وهذا الزلزال أطاح بقسم من الضلع الغربي من الحرم وقسم من رواق دار

السيادة (*) الذي انهار واحداثاً كبيراً يمكن إدخال اليد فيه وما قام هذا الوالي أو المحافظ أن وضع ورقة فوق هذا الشق لكي يعرف هو والآخرون فيما إذا كان قد حدث توسع أو زيادة في هذا الشق أم لا؟ وهناك كتيبة رسم عليها هذا التأريخ وقصته، وكان لهذا الانهيار تأثير بالغ على القبة المطهرة.

والتصدع الآخر كان هو الأهم فحينما كانت الحملة البلشفية أو السوفيتية على خراسان أطلقوا حوالي (٢١) قذيفة مدفع إستهدفت جدار القبة المباركة مما أحدث فيها تصدعاً أساسياً وفي ضوء ذلك قدم المهندسون الإسكندنافيةون تقريرهم بأن هذا البناء لا يمكن استمراره ودوامه أكثر من (١٠-١٢) سنة.

هذه كانت السابقة التاريخية لهذه البقعة الضيقة داخل الحرم المطهر وحينما أقدمتُ (والقول لا زال للأستاذ الشهرستاني) وأملي وثقتي بالله تعالى وحررتُ طلباً من أجل تبني مشروع التوسعة ووضحت وجهة نظري المبنية على أسس علمية هندسية محسوبة اقترحت رفع كل هذا الجدار الذي كان سمكه (٣) أمتار بين البقعة التي بناها المأمون لأبيه هارون الرشيد وبين المسجد فوق الرأس في الضلع الغربي لهذه البقعة، ومعنى ذلك أن أجعل ربع القبة في الهواء فكان مخالفاً للتقرير الهندسي الذي قدم من الشركة الإسكندنافية، ولكنني أصررت على هذا الأمر وإن كنت شاباً لم أبلغ من العمر الثلاثين ولكنني كنت أشعر إن العناية الإلهية سوف تسندني وتقف إلى جانبي وهي التي تعينني على إنجاز هذا المشروع الجبار فأقدمت على العمل، وفي عام (١٩٦٣م) كان والي خراسان رجل قوي مقتدر وهو عسكري اسمه (الجنرال عزيزي) وهو الذي قام بإصلاحات كبيرة في الجيش الإيراني وفي النظام الإداري الإيراني، إنَّ والي خراسان له صفتان أساسيتان: الأولى إنه يمثل المتولي وهو الشاه الذي يتولى العتبة الرضوية وهو يعين نائباً عنه

(*) دار السيادة من أقدم الأروقة بعد رواق دار الحفاظ، وقد تم إنشاؤه في القرن التاسع الهجري وموقعه غربي الحرم موازياً لمسجد جهة الرأس ورواق دار الحفاظ شمالاً، ومن هذا الرواق يتراءى الضريح المقدس، وتبلغ مساحته (٣٧٣م).

يسمى نائب التولية، أما الصفة أو المسؤولية الثانية التي يتولاها المحافظ أو والي خراسان هي إدارة الولاية أو المحافظة من الناحية الإدارية.

ويستمر السيد الشهرستاني متحدثاً: ولكن في بعض الأحيان كان الشاه يختلف مع نائب التولية (الجنرال عزيزي) في بعض القضايا والأمور، ولكن في هذا الوقت الذي كنت أريد المباشرة بالعمل لم يوافق (الجنرال عزيزي) على بعض الأفكار التي أردت تنفيذها في هذا الصدد وبصفته (في تلك الفترة) يجمع بين مسؤوليتين إداريتين مهمتين هما المحافظ الإداري ونائب التولية في العتبة الرضوية، كان يتحفظ من المباشرة على مثل هذا العمل الجبار.

وعندما بدأ المهندسون والعمال يوسعون في قسم من الجدران المحيطة بالصحن العباسي العتيق (نسبة إلى الشاه عباس الصفوي) وإذا بهم يتفاجؤون بوجود منطقة بين جدار الحرم الشريف وجدار الصحن وقد مُلئ هذا الفراغ بالأتربة والأنقاض ففزع المسؤولون لهذا الأمر وانتابهم خوف شديد من جراء ما أحدثه الترميم والهدم وما ستؤول إليه قضية التوسعة، وعندما طلب المحافظ الأخذ برأيي (أي برأي السيد الشهرستاني) ويومها لم أبلغ الثلاثين من العمر، وأحضروني (وما زال الكلام للسيد الشهرستاني) وأطلعوني على الوضع وما آل إليه الموقف، ولكنني فكرت ملياً في الأمر وأسكنت الخوف عنهم وأقنعتهم بأن الأمر لم يكن بالخطورة التي كانوا يتوقعونها إنما يمكن الاستمرار فواصلوا العمل في هذا القسم وهو رفع الجدار لأن ما كان لم يكن ذا أهمية من الناحية الإنشائية، وكانوا يلاحظون نواقص وتصدعات في القسم الذي يليه إلى أن وصلوا إلى الجدار الأصلي الذي بناه المأمون العباسي كما ذكرت، وهو المكان نفسه الذي كانت قد اقترحت رفعه، فتوقفوا عند هذه المرحلة وذهب المحافظ إلى الشاه ليخبره بذلك ويطلب منه الاستمرار في المشروع الذي قدمه السيد الشهرستاني له، وإذا بالشاه يتوعد الشهرستاني والمحافظ ويحملهما مسؤولية أي تقصير في العمل (كما ورد

في رواية المحافظ عزيزي) للشهرستاني حيث قال له: إذا حدث أي شيء فيه نقص أو إشكال يجب أن نهرب أنا وأنت لأن القضية دقيقة وحساسة فهي قضية تتعلق بالعالم الإسلامي كله.

وفي نهاية الأمر تقرر تأليف لجنة فنية عليا تضم كبار المهندسين الموجودين في خراسان ومسؤول يمثل الروضة وآخر يمثل الدائرة الفنية للمحافظة وآخرين.

وبدأ السيد الشهرستاني بيان وجهة نظره ومعالجاته من خلال محاضرة أوضح فيها ما سيفعله من معالجات آخذاً بنظر الاعتبار كل الظروف والنتائج، وقد لخص هذه المعالجات بثلاث مراحل فإذا (لاسمح الله) أحدث العمل خللاً أو عطباً أو إشكالاً في المعالجة الأولى فيتداركها في الثانية أو الثالثة وحتماً سيكون مصيباً، وباتفاق الآراء أقرّوا ذلك وسينجح المشروع المقدم من أجل التوسعة.

وفي الحقيقة لم يعط تكليف للسيد الشهرستاني بهذا الأمر ولن يصدر الأمر بالبدء بالعمل ولكن كان السكوت هو الدليل على الرضا وكما يقول الفقهاء (السكوت في معرض الحجة بيان)، وباشر الشهرستاني العمل وبعناية الهية بدأ العمل واستمر حتى النهاية وبكل نجاح، ولكن سنتحدث عن مجازاته ومكافأته وما آلت إليه الأمور من متاعب واتهامات باطلة وبهتان وتزوير للحقائق من قبل العصابة التي تقف في طريق الأخيار المخلصين وسنعود في آخر الموضوع لبيان ذلك.

نعود إلى فكرة المشروع ليتوضح للقارئ بصورة جلية.

يقول السيد الشهرستاني: اخترقت الجدار الذي كان سمكه ٣ متر من موقع الشباك (وهنا تنهمر دموع السيد) إنني أعتقد إن عملي هذا وإقبالي بهذا الشكل والصورة كان بتكليف من الإمام الرضا (عليه السلام) ولم يكن بالتأكيد من مقدرتي الخاصة بل كان إلهاماً غيبياً لأنني قبل المباشرة بالعمل كنت قد حضرت اجتماعاً داخل الحضرة المطهرة بعد أن أغلقت الأبواب أمام الزائرين وأفرغ الحرم إلا

من بعض المسؤولين في العتبة والمحافظة وكبار العلماء وثلة من الخاصة وعقد اجتماع موسع وكان المحافظ يطرح أسئلة يوجهها للمعنيين مستفسراً عما سنفعله من أجل التوسعة، وقد أخذتني الرهبة وانتابني حالة من الفزع والخوف، ولكنني سمعت صوتاً هادراً سماوياً يقول لي: (لا تخف ولا تخش، لو إنَّ القبة أرادت أن تنهار إلى الأرض وقلت لها ارتفعي وقرري مكانك لرجعت إلى مكانها، سر قدما حتى تنجز هذا العمل وسيحالفك التوفيق والنجاح)، وفعلاً أقدمت وبدأت العمل وتم إتمام صب الجسور الثلاثة في وسط هذا الجدار بعرض ٣ متر في طول الجدار لنقل الأحمال الواقعة عليها من القبة وعلى الجزء العلوي لهذه الجسور الثلاثة. باشرنا برفع الجدار من تحت هذا الجسر بأيام قلائل، وتمكنا والحمد لله من ذلك بكل نجاح.

وتحضرني نكتة لطيفة لا بأس من ذكرها (والكلام للسيد الشهرستاني) بينما كنت أرفع الجدار وأنا واقف تحت الجسر جاء المحافظ وقال لي: أتريد أن تقوم بمثل ما قام به (فرست) حينما صنع الجسر ولما أراد القطار أن يمر من عليه وقف تحته حتى إذا تهدم أنهدم عليه، ولكنني قلت له: إني واثق من عملي هذا فإنَّ هذا البناء قائم ودائم بحول الله وقوته.

تم رفع الجدار الذي كان قد بُني زمن المأمون وقد لاحظ مهندس المشروع التنفيذي (السيد الشهرستاني) بعض الأشياء التاريخية من الآثار والأحجار والمنمنمات القديمة التي يرقى بعضها إلى قرون ماضية ولعلها ترجع إلى القرن الثالث الهجري أو أواخر القرن الثاني، وقسم من تلك الآثار يعود إلى أيام الصفويين أو قبلهم بقليل عندما ضرب زلزال قوي هذه المنطقة وقد تهدم جزء من الحرم الطاهر وبقي القسم الآخر بعد انطمار الجزء المتضرر، وعند حفر محل الأعمدة إلى عمق يقارب أربعة أمتار من مستوى الحرم الشريف وتوسعة محل هذا العمود بتحمل الأثقال لاحظنا توابيت حجرية (نواويس) تشبه توابيت المجوس أو توابيت

العصر القديم وهذا يؤكد المقولة القائلة بأن هذه البقعة هي البقعة الإسكندرية والذي يظهر إنَّ معبداً بُني عليه قبل ظهور الإسلام.

كان في الجدار ميل يقدر بـ (٣٠) سم من سقف القبة الداخلية نحو الأرض وهذا في الواقع لم يكن واضحاً إلا في المراحل النهائية لأنَّ الذين أتوا بعد ذلك حاولوا أن يبنوا الجدار بشكل شاقولي غير إننا (والقول للسيد الشهرستاني) لاحظنا هذا الميل في الطبقات المختلفة من البناء لأنَّ الطابوق الذي استخدمه المأمون في البناء لم يكن قد أجرى عليه عملية اللبخ كما ينبغي، وفي عهد البويهيين تم لبخ (طلاء) هذه الجدران ورسوموا عليها بعض النقوش التي كانت باللون الأزرق والأحمر الذي هو من سمة النقوش في تلك الحقبة وبالطراز نفسه الذي وصلنا عن نقوش ذلك الزمن وعرفنا أنَّ هذه الطبقة الطلائية كانت بويهية، ثم شاهدنا طبقة على هذا اللبخ والجص وفيه نقوش بارزة باللون الذهبي والألوان المختلفة وكانت تشير إلى أنها طبقة وضعت زمن الصفويين وفوق ذلك طبقة أخرى وهي طبقة المرايا التي كانت تشير إلى أنها ترجع إلى أيام القاجاريين فهذا الانحراف أو الميل الذي تحدثنا عنه كان يعطينا فكرة عن الأدوار والطبقات التي كانت قد بنيت في الحقب المختلفة، والجدير بالذكر إنَّ هذه المسافة قبل رفع الجدار كانت مسافة ضيقة ومع هذا حاولنا عدم غلق الطريق أمام الزوار بل فتحناه عند إكمال التوسعة ورفع الجدار وكان ذلك في بضع ساعات، وقد وضعنا حاجزاً من الخشب ملاصقاً للجدار ولم نُشعر الزائر بالعمل ولم نولد له حرجاً أو إزعاجاً وكانت عملية الهدم تجري بصورة طبيعية والزوار يمرون من أمامه بين الضريح وهذا الجزء الذي أردنا أن نرفعه، وخلال ساعتين حضر المحافظ ومجموعة من الخاصة المسؤولين في الروضة المقدسة وتم رفع الجدار وألحق المسجد الذي كان فوق رأس الإمام بالحرم، أي إننا رفعنا ثلاثة أمتار للجدار الشرقي من الحرم المطهر واتصل المسجد بالحرم وأصبحت المسافة مرتفعة من خمسين ستمتراً إلى حوالي ٨ أمتار والناس يدورون ويزورون

بكل هدوء وبتمام الراحة والسكينة من دون أن يعيقهم شيء سوى عمودين وكان بالإمكان رفعهما لأنهما وضعا زيادة في الحيطه أثناء التهديم وأصبح بعد الإنجاز من الممكن رفعهما.

وهنا تحضرني قضية وهي إنَّ أحد الإرهابيين قد وضع قبلة إلى جانب أحد العمودين وتم تفجيرها ولكن مع الأسف ذهب عدد من الضحايا في وقتها وطلبت الحكومة من السيد الشهرستاني إعادة النظر أو الكشف عن هذا التهديم ولاحظت (والقول للسيد الشهرستاني) إنه لم يؤثر على البناء وإنَّ هذين العمودين حتى وإنَّ رُفعا لا يؤثران على القبة ولا على سقوفها لأنَّ الجسر الفوقاني الذي عليه يمتد من الشمال إلى الجنوب والأحمال التي عليها وفوقها كلها تنتقل إلى الجانبين.

ويشير السيد الشهرستاني إلى نقطة لها جذور تاريخية، من الجانبين أو في الركنين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي قبل أن يباشر ببناء الجسور الكونكوريتية كان يقتضي أن تُدرس انتقال الأحمال إلى أسس أوسع لأننا سوف نرفع الجدار الذي هو على أساس معين من حيث المساحة وهذا ربما يؤثر على بعض السقوف أو خسف في الأجزاء الأخرى من البناء (ويستمر المهندس الشهرستاني) ولهذا قبل بناء الجسر الرئيس الذي كان بعرض 3×1 م ارتفاع من الركن الشمالي الغربي والجنوب الغربي حفرنا بئراً داخل الجدار بعرض 1×3 م أي بعرض الجدار ومن ثم حفرنا من فوق الطابق الفوقاني وكنا نرفع الأنقاض من المنطقة العلوية ومن دون تأثير على حركة الزوار داخل الحرم وفي هذه المنطقة بالذات، فكانوا يدورون ويطفون ويبتهلون من دون أن يشعروا بأنَّ في المكان تعميراً أو توسعة أو أي شيء من هذا القبيل وهذا بسبب دقة العمل وحُسن النظام وإدارة الأشغال.

بدأ المهندس الشهرستاني بالنزول أربعة أمتار من سطح أرض الحرم حفرأ لأنه كان ينوي توسعة هذا المكان خشية من أنَّ هذا يكون قريباً من المقام والقبر فنزلنا أربعة أمتار لتكون بعيدين من هذا المستوى أي من مستوى الأرض الفعلي ووسعنا

الأساس لهذا العمود المذكور سالفاً بحوالي عشرة أمتار مربعة، وعند الحفريات التي أجريناها (والقول للسيد الشهرستاني) كنا نحفر في هذا البئر لصبّ العمود وجدنا توابيت صخرية أكثر من تابوت واحد أو اثنين فيها عظام بشرية، وهذا يعني التأكيد على أنّ هذه البقعة هي البقعة الإسكندرية، أي إنّ هذا المكان هو مكان عبادة ومكان دفن وهذه القبور والتوابيت موجودة إلى اليوم وهذا ما لا يُذكر في أي مصدر أو مرجع تاريخي، إنما كان يقال عن هذا المكان البقعة الإسكندرية وهذا ما لاحظناه نحن أول مرة وأعتقد إنه من الأمور التي يجب أن تُدوّن في تاريخ مشهد الإمام الرضا (عليه السلام).

نعود ثانية بعد هذا الشيء من الاستطراد المفيد لتحدث ونواصل الحديث عن مشروع التوسعة الرضوية.

بعد الانتهاء من العمل حدثت ضجة كبيرة وفرحة غامرة لإنهاء مشكلة لا بل معضلة تزعج وتؤرق الزوار وهذا المكان الضيق الذي يتدافع فيه الزوار وكانوا يلاقون فيها الصعوبات والمساوئ الكثيرة، وكانت السنة الجميع تلهج بالدعاء والثناء على مَنْ قام بهذا الإنجاز الرائع والأيدي تتضرع إلى الباري ﷻ لكل من ساهم في إنجاح هذا المشروع الجبار وكانوا يرددون الدعاء إلى المحافظ (عزيزي) الذي كان السبب في السماح للمهندسين وعلى رأسهم السيد الشهرستاني (أطال الله بقاءه) بالبدء في العمل وبالتالي النجاح التام في مهمتهم التي سمح لهم بها المحافظ.

إنّ هذا العمل الجبار وقف أمامه كبار المهندسين الإيرانيين والأوربيين في حيرة منذ زمان بعيد ولم يجرأ أحد منهم التقدم للعمل خوفاً من الفشل ولكن بعون الله تعالى ودعاء المؤمنين ووجاهة الإمام الرضا (عليه السلام) عند الله وهمة مهندس مؤمن مخلص في عمله لوجه الله وموالة لأهل البيت الأطهار (عليهم السلام) تم إنجاز العمل مائة في المائة واستسهل كل الصعاب وتجاوزها.

وكانت الفرحة بادية على محيا المحافظ ونشوة النصر غامرة لما تم إنجازها من

عمل إنشائي معماري متميز ودقيق نال به المحافظ قبل غيره سمعة طيبة، ولكن الشاه محمد رضا لم يرق له ذلك فثارت حفيظته ووسوس الشيطان في نفسه المريضة وكثيراً ما كان يشكك ويتخوف من أي إنجاز يتم على أيدي وزرائه أو قادته أو المقربين منه تحسباً من مزاحمته على الملك، أو مشاركته الشهرة ووسوست نفسية الشاه المعقدة بأن هذه الشخصية (عزيزي) سيطمح في يوم من الأيام إلى سحب البساط من تحت أرجل الشاه ولعله عمل إنقلاباً ضده لما اكتسبته هذه الحادثة من شهرة وقربته إلى نفوس الإيرانيين الذين يقصدون الإمام الرضا (عليه السلام) ومشهده ويعدون لها من المشاهد العظيمة لا في إيران فحسب بل في العالم الإسلامي أجمع. ولهذا قرر الشاه عزل هذا المحافظ عن منصبه مستبدلاً به رجلاً آخر من جنرالات جيشه وهو (بظمن قليج) الرجل الذي قاد بعض قطعات الجيش الإيراني للقضاء على حكومة الدكتور محمد مصدق وإرجاع الشاه إلى كرسي العرش سنة (١٣٣٠ هـ.ش / ١٩٥٣ م) بعد هروبه من إيران إلى الخارج وكان يعاون (قليج) عدد من الضباط الكبار المقربين من البلاط الشاهنشاهي أمثال الجنرال (جوادبي) الذي حاكم مصدق في محكمة مشهورة، ولما جاء الجنرال (قليج) مع عدد من معاونة من كبار الضباط إلى خراسان وقد أصدر الشاه أمراً بتعيينه محافظاً لخراسان وكان الغرض من تعيينه وإرساله إلى المدينة هو التقليل من شأن المحافظ السابق (عزيزي) وعملية التوسعة التي ذاع صيتها بين الناس في أرجاء إيران وأول ما صرح به المحافظ الجديد بالنسبة للجهد المبذول هو الانتقاص منه ومن الإنجاز الكبير الذي تم على عهد المحافظ السابق وقال هذا المحافظ بالحرف الواحد: إن هذا العمل هو مغلوط وغير فني وغير أصولي وبالفعل استدعى عدداً من الأساتذة المهندسين الجامعيين وأطلعهم على العمل، وقبل أن يدعو الاختصاصيين والحصول على تقرير سلبي ضد هذا المشروع، استدعى السيد الشهرستاني وألف (شكلياً) جلسة محاكمة عسكرية كان على رأسها الرجل الذي حكم مصدق وهو الجنرال (جوادبي) وكان

قليج حاضراً ومعه عدد من زملائه الضباط الكبار (الجنرالات) وهم حاضرون، بدأ الجنرال (جوادي) بتوجيه سؤال للسيد الشهرستاني عن خوله القيام بهذا العمل وأين كتاب التخويل الذي يتيح له الحق في القيام بهذه العمليات وهي خطيرة أو خطيرة وأنها سوف تؤثر على القبة وتحدث تصدعات وشقوق فيها لا بل لربما تنهدم في المستقبل وغير ذلك من الأسئلة وكان الجواب من السيد الشهرستاني: إنني لست موظفاً في هذه الدائرة ولا في الروضة المقدسة إنما يجب توجيه سؤالك إلى المحافظ السابق (عزيزي) الذي خَوَّلني العمل وسمح لي الشروع فيه والمباشرة بعملية التوسعة وكنت أتلقى الأوامر منه، ولم أحرك حجراً أو أحفر شبراً من دون علمه وعلم المسؤولين الآخرين، وأود (والقول للشهرستاني) أن أُبين أمراً مهماً هو إنني قبل أن يسمح لي (عزيزي) بالمباشرة والاستمرار في العمل ذهب هذا الجنرال إلى الشاه وأخبره بما سوف يكون فأجازه الشاه بذلك وعندها سمح لي الاستمرار بالعمل وعندها سكت الجنرال قليج وجوادي وجميع من حضر، لأن الأمر انتهى بالشاه، وقلتُ يجب أن تسألوا لماذا سكت الشاه وسمح بهذا الأمر؟ وانتهت القضية وتمكنت وتمكن المسؤولون في الروضة الرضوية الخلاص من هذه المحكمة ولكن لم يكتف (بظمن قليج) بهذا إنما حاول أن يدعو مهندسين وهيئات أخرى الحضور إلى المحل والكشف على البناء لعلهم يقدمون تقريراً خلاف ذلك يتضمن سلبيات أكثر من الإيجابيات ليكون مبرراً لتقديمي للمساءلة والمحاکمة وفي الأخير الأدانة بوصف عملي مخالفة معمارية وقانونية وتخريب موروث معماري قديم وبذلك ينتصر الجنرال (قليج)، كما يدين المحافظ السابق (عزيزي) ويشركه في القرار الجائر، واستمر (قليج) يبحث عن مبررات واهية وأدلة باطلة لإلصاقها بي وبالمحافظ السابق فدعا هيئة من أساتذة جامعة طهران لبيان الرأي وكان أحدهم من أقاربه ولكن حينما جاء المهندسون بكامل هيئتهم وعملوا كشفاً على البناء مع عدم حضوري حيث أكدت على الفتحة الورقية التي ألصقت على السقف الذي ذكرته سابقاً في القبة وقلت إذا حدثت حركة للورقة أو

أي شيء من هذا القبيل فلا بد أن تكون الورقة أو مجموعة الأوراق قد تمزقت ولما كانت هذه الورقة موجودة وعليها توقيع المحافظ السابق سكتوا جميعاً وقدموا تقريراً إيجابياً واكتفوا بما شاهدوه ولم يطلبوا لجنة تساعدهم أو تشترك معهم في كتابة تقرير يدين (عزيزي) وينتقد العمل.

وظل (قليج) يلح في الموضوع ولم يكتب بكل ما أقره المهندسون والخبراء بل راح يستدعي خبراء ومهندسين آخرين فاستدعى الدكتور (كوروس) وهو من أساتذة جامعة طهران والمهندس المسؤول عن المباني الأثرية ورئيس هيئة الآثار والتراث، ومعه المهندس (فروغي) من قدامى المهندسين المعماريين الذي كان يعول عليه في قضايا المباني التراثية والأثرية، وقدم الاثنان تقريراً مفصلاً أدانا فيه العمل وقالوا إن فيه أغلاطاً، وصاحب عملية التنفيذ مخالفت للأصول المعمارية والأصول الهندسية. ولكن الذي حدث فجأة أن تعيّر المحافظ في تلك الأثناء وجاء محله محافظ آخر حيث استدعاني وطلب مني شرحاً مفصلاً للموضوع وتلوت له ما كان قد جرى وبعد ساعات استدعاني مرة ثانية قال: إن الهيئة الأولى التي رفعت تقريرها هي حاضرة الآن وعليك مناقشتها حتى نقف على حقيقة الأمر.

اجتمع السيد الشهرستاني مع الهيئة السابقة وقدم لها الأدلة التي تؤكد صحة العمل ونجاحه وعدم المساس بالقبة، قال المدير العام للآثار والتراث: أنا مهندس معماري ولكن المهندس المدني ادّعى إن هذا عمل خطر ويمكن أن يؤدي إلى الانهدام، فعليه طلبت اللجنة من السيد الشهرستاني الحضور إلى طهران وهناك يكمل الحديث ويتم النقاش في صحة العمل أو عدم صحته وبالإمكان إثبات صحة النظرية التي بني عليها العمل.

قال السيد الشهرستاني للمهندس المدني: إن هذا لا يكفي ولا يفيدنا لأنني أصر على رأيي وأنا واثق من صحته، ودكتور (كوروس) مصر على رأيه، إنما أود الطلب منكم بتشكيل لجنة عليا من كبار الأساتذة الموجودين في إيران لدراسة الموضوع،

وبالفعل في اليوم الثالث من رجوعي بعد أخذ موافقة وزير المعارف تألفت لجنة موسعة أختير أعضاؤها من الجامعات الإيرانية ومن المهندسين المختصين البارزين بينهم المعماري والإنشائي، وحضر الدكتور (كوروس) وحضرت أنا (السيد الشهرستاني) وبدأ كوروس يدافع عن رأيه وما يعتقد ويعبّر عن وجهة نظره في هذه القضية فأجابته الحضور وقالوا: لا داعي لعقد هذا الاجتماع فهذا الكلام صحيح، وقلت لهم: اسمحوا لي أن أدلي برأيي في هذه القضية أيضاً، فبيّنت الأسباب والدواعي التي دعت إلى العمل إضافة إلى القضايا العلمية والأكاديمية التي كنت قد درستها نظرياً وناقشت إدعاءات كوروس، فاقنتع الجميع بالعرض الذي قدمته والآراء التي أوردتها ودخل الجميع في مناقشة ادعاءات كوروس وبيان بطلان ادعاءاته وآرائه وردّوها وأثبتوا عدم صحتها وكوروس هذا كان يعدُّ من أبرز أساتذة الحسابات الإنشائية في حينه.

لم يكتف كوروس بهذا وعدّ تقرير المهندسين والخبراء طعنًا بعلميته وانتقاصاً من شخصيته فغادر إلى ألمانيا وتكلم مع أستاذه الذي تخرج عليه البروفسور (روش) وهو من أكبر علماء الحسابات الإنشائية في العالم والذي كانت له محاضرات وندوات مهمة في الكثير من دول العالم واستضافته الكثير من كليات الهندسة لإلقاء محاضرات على طلابها، وصل طهران البروفسور (روش) وتوجهوا إلى خراسان وأفرغ الحرم المطهر مدة يومين لكي يكملوا إجراءات الكشف وكتابة التقرير وتقويم العمل المنفذ وبعد إجراءات الفحص والكشف كانت النتيجة أن قال (روش): ((لم أرَ عملاً صحيحاً مقبولاً مثل هذا العمل الذي شاهدته هنا فأنا أريد كل ما حدث وكان ولا بأس فيما قاموا به، وهو أعظم عمل فني شاهدته في حياتي نُفِّذ بالطرق العلمية الهندسية الدقيقة)).

في الواقع أثار هذا التقرير والموقف حفيظة الدكتور (كوروس) وقد كان سبباً في تنحيته عن وظيفته في هيئة الآثار والتراث ومسؤولية المباني التاريخية، وإنَّ

تلك السنة كانت سنة تتويج الشاه وكانوا يخشون أن ملاحظاته ومعلوماته هذه ستترك آثاراً سلبية على هذه المباني وبخاصة إن الملوك ورؤوساء الدول وعلماء العالم قد دعوا إلى طهران للاشتراك في حفل التتويج فإذا ما سمعوا بذلك فسيكون صداه سيئاً بالنسبة إلى كوروس وهو المقرب إلى البلاط.

هذه خلاصة لمعاونة السيد الشهرستاني مع تلك الثلة التي لا تريد الخير وتقف بوجه فاعليه سردناها بصورة مختصرة وكما هي على حقيقتها من دون زيادة أو نقص أو تبديل، ونحن اليوم في عام (٢٠١١م) وقد مضى على التوسعة خمسون عاماً بالتمام والكمال والحمد لله لم يحدث أي شرخ في القبة أو تصدع في الجدران وهذه كلها بسبب العناية الإلهية واللفظ الإلهي ويختم الشهرستاني قائلاً: لست أنا الذي قمت بتنفيذ العمل وإنما الإرادة الإلهية هي التي ألهمتني لأن أقوم بهذا العمل الجبار والذي شمله اللطف الإلهي وهو باقٍ إلى الآن وأرجو أن يبقى إلى ما شاء الله وأرجو أن يكون بعونه تعالى في ميزان عملي يوم الحساب.

والذي أستنتجه من كل هذه الأحداث التي رواها لي السيد الشهرستاني أموراً قد يكون أقربها إلى الواقع:

إن المهندسين الاستشاريين الإيرانيين الذين أحجموا عن الإقدام في بداية الأمر ثم عابوا عليه بعد إنجازه، إنهم كانوا يعولون عليه بوصفه (ضربة العمر) بالنسبة إليهم، وذلك بسبب أهمية المشروع عالمياً وتاريخياً وفنياً، فهم يعتقدون إن مثله لا يمكن أن ينجز إلا على أيدي خبراء متمرسين لهم باعٌ طويل، وإنهم هم الذين يجب أن يكونوا سراة مثل هذا المشروع، ولكنهم فوجئوا بشباب متحمس أخذ على عاتقه إنجازه وبنجاح وبدون مقابل متوخياً مرضاة الله تعالى والوفاء للإمام الرضا (عليه السلام) ولزواره.

أو إن الشركة الإسكندنافية التي كان لها تأريخ عتيدي في مجال العمران الهندسي في إيران، رأت أن ما يجب أن تطلبه من أجر في مقابل هذا المشروع الخطير

لا يتناسب وخطورة العمل وأهميته، إذ إنَّ سلطات الشاه لم تكن مستعدة لفتح الخزائن أمام مشروع كهذا، مما لا أهمية له في نظر الشاه وجلالozته بوصفه مشروع لا يعمل على تقوية النظام ودعمه، (وإنَّ كان الشهرستاني لا يوافقني تماماً في هذا الرأي).

إنَّ سلطات الشاه هي التي حركت الموقف المضاد للسيد الشهرستاني لغرض التوهين من أهمية العمل وابتزاز جهده لتحمله على عدم المطالبة بما يستحقه فعلاً من مكافأة لعمل يخلده له التاريخ (وقد كان فعلاً) ودليلنا على ذلك هو إجماع السلطات عن التعريف بمنفذ هذا المشروع الضخم خلافاً لما نراه في المشاريع المماثلة.

وخلاصة القول: إنَّ السيد الشهرستاني قد أثبت قولاً وعملاً أمرين مهمين:
أولاهما: نية القربى إلى الله في تنفيذ المشروع.
وثانيهما: معاضدة القوى الغيبية الإلهية له على النصر.

اختراع المحرك الدوراني وتسجيله عالمياً في إنكلترا

يقول السيد الشهرستاني: لقد كنت ألمس ظاهرة مهمة في مجتمعنا الإسلامي الشرقي لم أستسغنها إطلاقاً وهي ظاهرة (الفاعل) و(القابل)، فقد كان من الشائع ومن المسلمات لدينا في مجتمعنا أن الغرب هو الفاعل أي الذي يقرر ويصمم وينفذ ونحن نعمل دور القابل الذي يتقبل هذه المعلومات وهذه المنجزات الغربية والأقوال الغربية ونفید منها، بينما كنا نعلم جميعاً إنَّ الأصالة في الشرق بما كان لها من أدوار مشرقة وتقدم علمي أصيل ولنا التراث القديم قبل الغرب ولكن لظروف لا أريد التطرق إليها جعلتنا نخسر هذه الأصالة وتقدم الغرب بأسلوبه التكنولوجي والتقني واختراعاته واكتشافاته المقدمة لنا لذا أصبحنا نحن المتقبلون وهم المقدمون.

لذا كنت أفكر منذ شبابي - والقول للسيد الشهرستاني - كيف يمكن تجاوز هذه المحنة حتى تتمكن أن نكون نحن في المقدمة وهم التابعون ولكن مع مزيد الأسف كانت الوسائس الشيطانية من أبناء مجتمعنا تحارب هذا التفكير لأنهم كانوا يعتقدون وكانوا يقولون لي مهما تقدمت فالْبُون بينك وبيواسع وهم يتقدمون أيضاً.

في يوم من الأيام وفي أوائل سنة (١٩٦١م) وأنا استقل سيارة باص من مكان إلى مكان طرق في ذهني تصميم المحرك الذي يحرك هذه السيارة وانتبهت إلى أنَّ المحرك بواسطة المكابس ينقل القوى إلى محور أفقي ليدير المحرك وهذه ظاهرة غير صحيحة أي انتقال القوى في الحركة الأفقية إلى حركة دورانية، فإصبحت أفكر في إعداد تصميم لمحرك يمكن أن ينقل القوى الحاصلة من انفجار الوقود مباشرة إلى حركة دورانية حتى لا تكون خسارة وتقليل (تصل إلى النصف) في المحرك الجديد.

PATENT SPECIFICATION
DRAWINGS ATTACHED

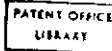
0070006



Date of filing Complete Specification Sept. 9, 1963.
Application Date July 19, 1962.
Complete Specification Published Sept. 16, 1964.
© Crown Copyright 1964.

970.004

No 27706/62.



Index at acceptance:—FI F(1B), 2D, 2H, 2L1, 2N1B, 2Q, 2V)
International Classification: F 02 b

COMPLETE SPECIFICATION

Improvements in Rotary Piston Internal Combustion Engines

I **MOHAMMAD ALI SHAHRESTANI**, an Iraqi Citizen, of Kasbi 4410, Teheran, Iran, formerly of Stepping Hill, Stockport County of Chester, England, do hereby declare the invention, for which I pray that a patent may be granted to me, and the method by which it is to be performed, to be particularly described in and by the following statement:—

This invention relates to improvements in rotary piston internal combustion engines.

According to the invention the engine comprises a cylindrical chamber swept by a two-armed rotor (or piston) radially mounted on a shaft extending longitudinally of the chamber, a second two-armed rotor (or piston) radially mounted on a unidirectional rotatable sleeve loosely surrounding the shaft and intermittently driven by the first rotor, a combustion chamber being formed in the cylindrical chamber between the trailing face of the first rotor and the leading face of the second rotor at a position substantially 180° from the air and fuel inlet ports formed in the wall of the cylindrical chamber and an outlet port formed at substantially 270° to the inlet ports in the direction of travel of the rotors.

The invention will be described with reference to the accompanying drawings which show one embodiment of the invention by way of example.

Fig. 1 is a cross-section of a rotary piston internal combustion engine on line A—A in Fig. 2, showing the rotor and cylinder.

Fig. 2 is a cross-section on line B—B in Fig. 1.

Fig. 3 is a cross-section on line C—C in Fig. 2 showing a ratchet and lay shaft.

Fig. 4 is a cross-section on line D—D in Fig. 2 showing the drive from the main shaft to the lay shaft.

Fig. 5 is a cross-section on line E—E in Fig. 2 showing the drive from the lay shaft to the sleeve.

[Price 4s. 6d.]

Fig. 6 is a perspective view of the drive from the main shaft to the sleeve.

Figs. 7, 8, 9 and 10 are cross-sections along the lines A—A in Fig. 2 to illustrate the sequence of events while the engine is in operation.

The rotary piston internal combustion engine is constructed with a cylinder 1 closed at each end by end plates 2 and 3 through which a shaft 4 passes concentric with the axis of the cylinder 1. The cylinder is subdivided into two chambers by a partition disc 5 intermediate the end plates 2 and 3. In the first chamber a rotor (or piston) 6 having two radial members 7 and 8 extending along the chamber is keyed on the shaft 4, the two radial members each having a substantially triangular cross-section with the forward face of each member lying on a diametrical plane through the cylinder 1 and shaft 4.

A second similar rotor (or piston) 9 having two radial members 10 is mounted on a rotatable sleeve 11 loosely surrounding the shaft 4, the sleeve 11 extending through the partition disc 5 into the second chamber formed between partition disc 5 and end plate 3.

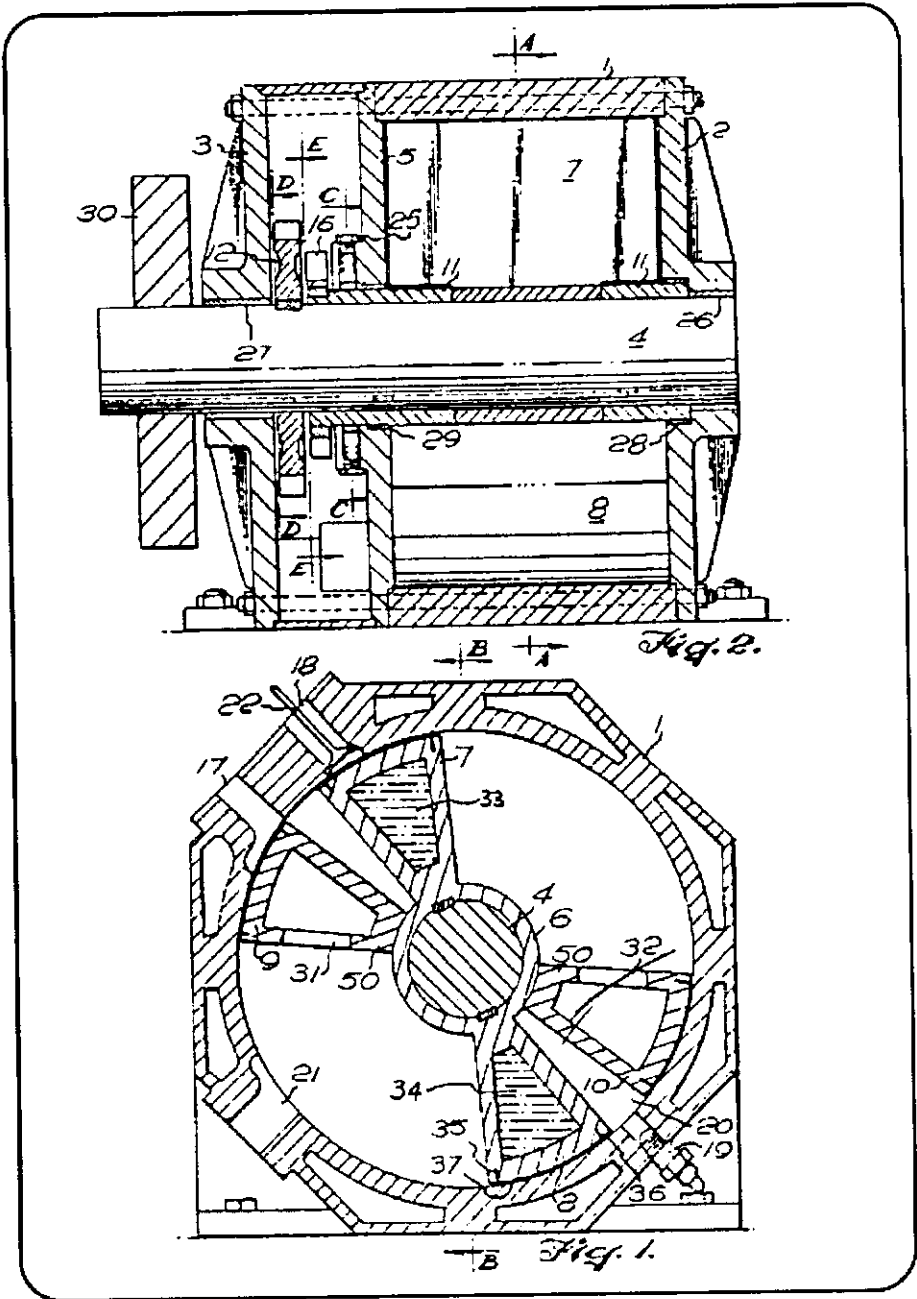
The second chamber houses a pinion 12 keyed onto the shaft 4 driving a pinion 13 on a lay shaft 14, parallel with the main shaft 4.

Pinion 13 is provided with half the number of teeth of pinion 12 thereby reducing the lay shaft 14 at twice the speed of the shaft 4. A revolved pinion 15 on the lay shaft 14 having teeth on only half its circumference engages a pinion 16 keyed on to sleeve 11.

When the teeth on the multistart pinion 15 are in engagement with pinion 16 the rotor 9 is thereby rotated at twice the speed of rotor 6.

The cylinder 1 is formed with an air inlet 17 and a fuel inlet 18 in the wall thereof diametrically opposite a sparking plug 19.

شهادة براءة الاختراع للمحرك الدوراني الذي تم اختراعه من قبل الشهرستاني



تصميم المحرك الدوراني (ديزل وبنزين) الذي تم تسجيله في انكلترا عالمياً سنة ١٩٦٣م

ولكن كانت دراستي الجامعية في الهندسة المدنية وطبيعي إنَّ هذا التصميم ضمن الهندسة الميكانيكية لذا طلبت من أحد أصدقائي وكان يمثل شركة بريطانية كبيرة تنتج مكائن الديزل الكبيرة لتوليد الطاقة الكهربائية لأنَّ يهيء لي وسيلة للذهاب إلى هذا المصنع لأطلع عن قرب على صناعة المعدات وأتابع الدراسات الأكاديمية في هذا المجال، فذهبت إلى إنكلترا وعملت في مصنع (ميرليس) لصنع مكائن الديزل وهو أول من صنع الديزل في إنكلترا واشتغلت كعامل بسيط لكي أطلع على أسرار العمل من بساطتها إلى كاملها، وبعد عدة أشهر تكلمت مع رئيس المهندسين عن التصميم الجديد الذي أعدته للمحرك الدوراني بدل المحرك المكبسي وبدءاً قال لي هل تكلمت مع أحد حول هذا التصميم، قلت: كلا، فأشار عليَّ بتسجيله في دائرة اختراعات إنكلترا قبل التكلم فيه مع أحد وأرشدني إلى كيفية هذا التسجيل، وبعد التسجيل قدمت التصميم إلى قسم التصاميم في المصنع، فجاءني رئيس قسم البحوث في المصنع وطلب توضيحاً أكثر لهذا التصميم الذي كنت قد سجلته في لندن تحت رقم (٩٧٠،٠٠٤) بتاريخ (١٦ / ٩ / ١٩٦٤ م) (والموجود نسخة منه في مكتبة لندن)، وبعد ذلك استفسر مني عن بعض الإشكالات فأجبت على جميعها واستحسنوا الفكرة والتصميم وقال هذا تصميم رائع جديد، ولكن بما إننا نصنع المحركات الكبيرة من خمسة الآف حصان فما فوق للبواخر ولمولدات الكهرباء من الأحسن أنَّ تطرح هذا التصميم مع معمل (بيتر) التابع لهذه المجموعة لأنهم يصنعون المحركات الصغيرة والمتوسطة، وذهبت بعد ذلك إلى هذا المعمل وطرحت التصميم على رئيس قسم التصاميم فجمع عدداً من المصممين في المصنع وقدمت لهم مداخله أثبت فيها إنَّ تصميمي يتفوق بكثير على التصاميم الموجودة والمعمول بها، (بهذه المناسبة يجب الإشارة على إنَّ أحد المخترعين الألمان كان قد صمم محركاً دورانياً باسم (فانكل) ولكن التصميم اعترته بعض نواقص وعيوب لا يمكن الاستفادة منها في المحركات الكبيرة بل يمكن الاستفادة منها فقط في سيارات السباق والدراجات الهوائية السريعة) ولكن التصميم الذي

قدمته كان يمكن الاستفادة منه في المحركات الصغيرة والكبيرة وذات كفاءة أكثر بكثير من محرك (فانكل).

وعند اجتماع المهندسين لمصنع (بيتر) الكبير والعملاق وتقديم الشرح والدراسات الميكانيكية والاستفادة من المعادلات الفيزيائية الثابتة في نقل القوى من الحالة الأفقية إلى الحالة الدورانية، أصبح أحدهم ينظر إلى الآخر ويستغرب كيف لم ينتبهوا إلى هذه القضية الجوهرية، وأقروا بصحة التصميم وإمكانية الاستفادة منه.

كانت هذه الظاهرة هي الغاية التي أصبوا إليها والتي من الممكن أن نتقدم على الغرب في تكنولوجيته وفنه واختراعاته وأكتفي بهذا لأنه لم أكن من الساعين وراء الدخل المادي وأقتنع بتمكن الشرقيين والمسلمين في الاختراع والتقدم على الغرب خلاف ما يلقنون به أبناءنا وما ينشرونه بين أساتذتنا وعلمائنا في بلداننا.

تأسيس شركة (Researching Engineer International Company) (R.E) الأبحاث الهندسية الدولية:

بعد إنجاز بعض الأعمال الهندسية في مدينة خراسان عاد الشهرستاني إلى طهران (١٩٦٤م) وبدأ بتأسيس شركة الأبحاث الهندسية الدولية في العاصمة (Researching Engineer International Company) فكانت هذه بمثابة النواة الأساسية للأنشطة المستقبلية الفنية وحتى الإسلامية وهو يحدثنا عن أهداف وغايات هذه الشركة وقبل أن يدخل في التفاصيل يؤكد السيد الشهرستاني على نقطة جوهرية: وهي مفاتحه واستشارته المرجع الديني الأعلى - في حينه - السيد محمد هادي الميلاني الذي كان له اللطف الخاص بالنسبة له (يقول السيد الشهرستاني) وهو يعدّه واحداً من أولاده كولد السيد محمد علي الميلاني الذي كان زميل الشهرستاني منذ الصغر وكان يقضي معظم وقته في دارهم بكربلاء، فتسلم الشهرستاني توجيهاته خلال مداولاته مع هذا المرجع الكبير ووضع دستور عمل مستقبلي له على وفق منهج ناجح ومثمر ديناً ودنياً، أشار المرجع الكبير الميلاني إلى أن العمل يقتضي ثلاث دعائم:

- الدعامة الأولى: تهيئة المال اللازم ووجود مصادر مالية ثابتة لتمويل العمل.
- والدعامة الثانية: الكفاءة العلمية والمقدرة الفنية وطبيعي قبل كل ذلك التسلح بالمعارف الإسلامية والمعلومات الدينية الكافية والمعارف العامة والتكنولوجيا الحديثة.
- أما الدعامة الثالثة: التأييد الشعبي أو الجماعي وتأييد الناس للنشاط الذي ينهض به الفرد ويدعو إليه.

استطاع السيد الشهرستاني وبعد تأسيس شركة الأبحاث الهندسية في طهران وما تجمعت لديه من خبرة هندسية ومعرفية عامة عزم على تأسيس شركة استشارات وشركة مقاولات تقوم بتنفيذ أعمال جبارة وكبيرة يعجز الآخرون عن تنفيذها، ومن أرباح هذه الشركات والمردودات المالية التي تُجنى يقَدِّم جزء منها لدعم الحركة الإسلامية وبعض الجهات الدينية وتُغذَى بها الجهات العقائدية ومن أجل دعم الإعلام الإسلامي والمعارف المحمدية ومبادئ أهل البيت الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في العالم أجمع.

تمكن المهندس الشهرستاني في هذه الحقبة وفي طهران بالذات من إنجاز مشاريع ضخمة وكبيرة منها: معامل سكر كبيرة يبلغ إنتاجها (٢٥٠٠) طن يومياً، ومعامل إسمنت يبلغ إنتاجها (٤٠٠٠) طن يومياً ومنها أكبر معمل اسمنت في إيران وكل هذه المشاريع أنجزتها شركة الأبحاث الهندسية التي أسسها السيد الشهرستاني.

ومن المشاريع العملاقة التي أنجزتها شركته المذكورة محطات لتوليد الطاقة الكهربائية، ومعامل للطحين، وإقامة مجمعات سكنية ومبان عامة كالمستشفيات والفنادق الكبيرة، والمباني التجارية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن المباني الأثرية والتاريخية وغيرها في حقل الأعمال الإنشائية والموانئ والأعمال البحرية (*).

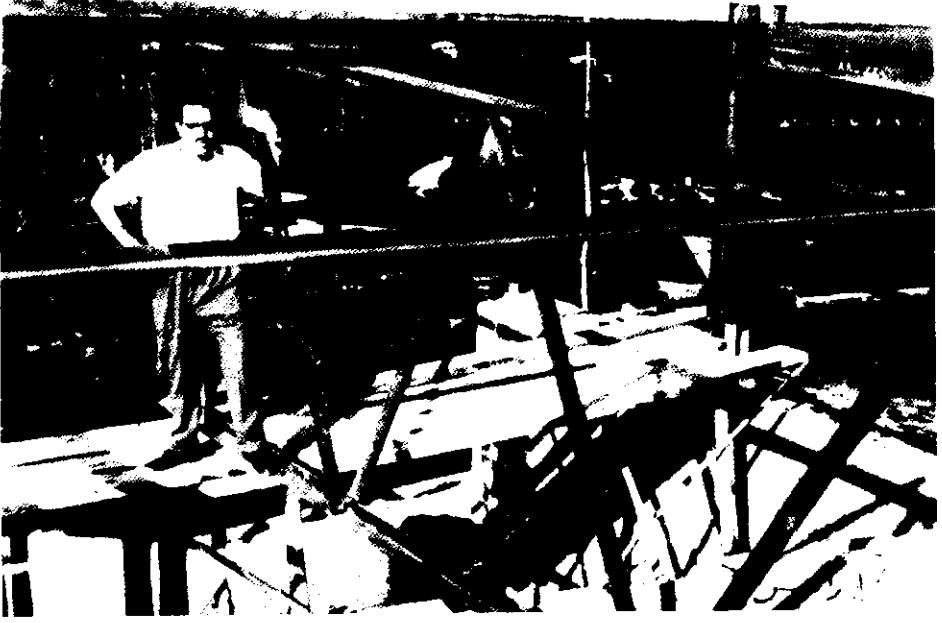
(*) إذ إنَّ الحكومة الإيرانية أعلنت عام (١٩٧٢م) عن مناقصة دولية لبناء ثلاثين جسراً متحركاً وبطول (٥١) متراً وهذه أكبر فتحة حتى ذلك الوقت وقامت الشركة بتصنيعها وعملها بتصميم خاص ومن الفولاذ وحديد خاص مقاوم من إنتاج معمل الصلب العائد للشركة وقدمناه بسعر يقل كثيراً عن عروض الشركات العالمية المنافسة بما يساوي ٢٠٪. ومن تلك الشركات شركة (أكرو A crow) البريطانية وشركة (KRUPP) الألمانية، وشركة (HITACHI) اليابانية، وشركة (Masaman) الألمانية، وبالنتيجة فازت شركة (RE) التي أسسها الدكتور الشهرستاني وأخوه السيد مهدي وابن عمه السيد حسن الشهرستاني وكان الاثنان الأخيران لها الدور المهم في مجمل أنشطة الشركة المذكورة ورئيسها المهندس الشهرستاني، وقد بوشر بالعمل وتم إنجازها على وفق المواصفات التي حددتها واصلتها وزارة الطرق الإيرانية.

والخزانات العملاقة (*) وخطوط الأنابيب إلى مصانع الصلب والحديد والمصافي والبتر وكيمياويات والصوامع الخرسانية والحديدية والجسور الثابتة والمتحركة والتي كان قسم منها يعد من أكبر الوحدات المشابهة في العالم (**). كل تلك المشاريع تمت بين سنة (١٩٦٤ - ١٩٨٢ م).

ويستطرد السيد الشهرستاني فيبين الهدف من تلك الأعمال في كسب الخبرة واختبار القدرات الذاتية والإمكانات الفنية والتقنية التي كان يستمد دعمها من الإرادة الإلهية في ضوء المعادلة التي آمن بها والتي أشرنا إليها (إعقل ثم توكل) وكان لكل مشروع تم تنفيذه قصة لها مغزى وعبرة للآخرين، ولإنني (والقول للسيد الشهرستاني) عندما أعمل لا أفكر في المشروع من الناحية الهندسية والإنشائية والتقنية والاقتصادية فقط، بل الفائدة الإنسانية المستقاة منه، وأضع جزءاً من إحساسي وفني وعلمي المتواضع وروحي فيه، فارتباطي بالمشروع يكون ارتباطاً نفسياً أيضاً.

(*) هذه خزانات الحديد للمياه تم إنشاؤها في المشاعر المقدسة في مكة المكرمة من أجل سقاية الحجيج وبسعة (٢٥) مليون غالون في منطقة (منى) وبسعة (١٢) مليون غالون في (عرفات) ومثلها من حيث السعة في (مزدلفة) وكانت اللجنة السعودية العليا التي أعلنت انشاء المشروع قد كلفت شركة أرامكو بتنفيذها إلا أنها اعتذرت عن التنفيذ، وتم إحالة المشروع إلى شركة الأبحاث الهندسية التي يشرف عليها ويديرها السيد الشهرستاني وأبرم عقد التنفيذ مع الحكومة السعودية وحددت مدة سبعة شهور لإنجاز العمل، كان عمل الشركة صهر الحديد الخردة وإنتاج الفولاذ وتصنيع الصاج في إيران ونقله إلى محل العمل لصنع هذه الخزانات العظيمة وتأمين الماء الصحي لسقاية الحجاج مما دعا الأمير (متعب بن عبد العزيز) لأن يقول للسفير الإيراني (هؤلاء ييضوا وجوهكم ووجوهنا).

(**) لقد قامت الشركة المذكورة في عام (١٩٧٦ م) بإنشاء ميناء شاهبور على الخليج لتفريغ القمح وتخزينه وإنشاء كافة الملحقات اللازمة للمشروع من رافعات عملاقة بطاقة رفع (١٤٠٠) طن في الساعة لكل جهاز وهذا ما لا يوجد له مشابه في هذه الرافعات اللهم إلا في ميناء (دوفر) البريطاني، وقد صممت هذه الرافعات في إيطاليا وصنعت بواسطة شركة الأبحاث الهندسية مع صنع جميع المعدات الأخرى المتعلقة بالتفريغ والصوامع.



أحد المشاريع التي قام الشهرستاني بتنفيذها (فندق رامس) شمال طهران

السفر إلى أندونيسيا لتقديم المشاريع الاستثمارية

من الأهداف التي عمل من أجلها وسعى إلى تحقيقها السيد الشهرستاني وشركته الأبحاث الهندسية العالمية هو العمل على عقد المؤتمرات الدولية لحل المشاكل العالقة ومنها مشاريع التنمية الزراعية التي كانت تشغل جزءاً من تفكيره واهتمامه لما يراه ويلمسه من تخلف كبير في هذا المجال في الدول الإسلامية التي تملك الإمكانيات الأساسية للتطور والنمو إلا أن حكوماتها - مع الأسف - لم تستثمر تلك الثروات والإمكانيات لأسباب عديدة فالبيت الشعري ينطبق على أبناء تلك الأمم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

فتحت كل شبر من تلك الأراضي ثروة معدنية وفوق كل شبر منها طاقة بشرية، ومن الملاحظ إن أفقر شعوب العالم يعيشون في أغنى البقاع ولهذا سعى السيد الشهرستاني إلى مساعدة هذه الشعوب الفقيرة في معيشتها والغنية في ثرواتها فبدأ بدراسة الوضع في العديد من تلك البلدان وفي مقدمتها أندونيسيا وحاجتها إلى المشاريع الصناعية والزراعية لوجود عوامل النجاح فيها من قوى بشرية ومواد أولية. يقول السيد الشهرستاني: في سنة (١٩٧٤ م) وبناءً على دعوة من وزارة الإعمار الأندونيسية، ذهبت إلى أندونيسيا لدراسة الاستثمار في مصانع الأسمت والسكر، فوجدت هذا البلد غني للغاية بأراضيه وأمطاره ومحاصيله وبعدهد سكانه ولكن مع مزيد الأسف السكان يبيتون في العراء على جوانب الطرقات كما هي الحالة في الهند، وعند اجتماعي بالمسؤول في وزارة الإعمار وتقديم تقرير حول المشاريع التي تفتقر إليها البلاد ومنها مصانع السكر والإسمت، قال لي لماذا لم تدرس استثمار الغابات والصناعات المتعلقة بها كالأخشاب واستثمار الأراضي الزراعية

وغيرها، فأجبتني بأنني غير متخصص في هذا المجال ولكن لي بعض المعلومات الأولية لا بأس من التحدث فيها مع الاختصاصيين.

وكنت أحتفظ بمعلومات وافية عن استثمار الغابات في إيران، إذ كانت الغابات تُسلم إلى بعض المقاولين لقاء مبالغ تُسلم إلى المقاول والمقاول يقوم بقطع الأشجار المسموح له بقطعها وتبديلها بأخشاب تُسلم إلى مصانع يؤسسها في المكان نفسه، وكانت هنالك شروط كثيرة لهذا الاستثمار، فجاءني المسؤول عن الغابات ولربما كان المدير العام لهذه الدائرة، فطرحت عليه بعض الأسئلة وقلت له: كم هو المبلغ الذي تقبضه الحكومة لقاء استثمار كل هكتار من الغابات.

قال: شيء بسيط جداً.

قلت: مثلاً.

قال: دولار واحد لكل هكتار، وكنت أعلم إنَّ الحكومة الإيرانية تأخذ (١٥٠٠) دولار لقاء استثمار كل هكتار.

وسألته هل يفرض على المستثمر الاستفادة من أشجار معينة؟

قال: كلا، ففي سوماترا المستثمرون يقطعون فقط أشجار الأبنوس الغالية جداً ويتركون الباقي، بينما في إيران كانوا يلزمون المستثمر بقطع أشجار معينة فقط وهي غير مفيدة في الغابة.

وسألته: هل تلزمون المستثمر غرس شجرة مكان كل شجرة يقطعها المستثمر، كما هي الحالة في إيران؟

قال: كلا، فإننا عاجزون عن نمو الأشجار وتكاثرها.

وسألته عن المساحة التي يمكن تخصيصها للمستثمر.

قال: كلما شئت.

فقلت له: هذا غير صحيح، ما هي بالضبط أكبر مساحة يمكن تخصيصها للمستثمر.

قال: مليون هكتار.

فاستغربت من هذا الكلام كثيراً وقلت له: هل تعلم إنَّ مليون هكتار يشكل دولة، قال: نعم لأننا ما نزال في جاوة التي مساحتها لا تتجاوز عن ١٠٪ من مساحة أندونيسيا فيها غابات غير مستثمرة وفي سوماطرا التي مساحتها أربعة أضعاف جاوة أكثر من نصفها غير مستثمر، وسالوايسي التي هي بقدر بسوماطرا قد دخل الاستثمار فيها تواءً، وفي إيريانا الغربية لم ندخل نحن إلى الآن فيها.

وكانت هذه صاعقة نزلت عليّ وتجاوزت الأدب الدبلوماسي ووجهت كلامي إلى المسؤول الأول وقلت له بشدة: شعبكم ينام في الطرقات وعندكم هذه الثروة الطائلة لماذا لم تأخذوا هؤلاء الذين ينامون في الطرقات إلى هذه المزارع وتستثمرونها وبهذا يمكنكم حل مشكلة الأزمة العالمية للأخشاب وتحولون غاباتكم إلى أراض زراعية مثمرة وتبعدون الفقر والمجاعة عن هذا الشعب المحروم وترفعون مستوى الدخل القومي إلى أعلى ما يكون.

قال: سوف ندرس هذا الأمر في الخطة الخمسية القادمة.

وبعد ذلك بلغني إنَّ الحكومة الأندونيسية أحدثت وزارة باسم وزارة الهجرة المعاكسة (Transmigration) بناءً على التوصيات التي قدمتها لهم.

يقول السيد الشهرستاني: « ثم بدأت بدراسة الهجرة من الريف إلى المدن وهذا عامل مهم في تدني الانتاج الزراعي يوماً بعد آخر لأنَّ هجرة الفلاح من أرضه والتوجه إلى المدن الكبيرة أحدثت مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية مستفحلة تزداد يوماً بعد يوم.

فتوصلت إلى بعض الحلول لها والعمل على الصاق الفلاح بأرضه وإيجاد السبل الكفيلة للهجرة المعاكسة لهذه الجموع من الفلاحين بعد تقديم المساعدات لهم وإيجاد مساكن لاثقة بهم.»

ولمعالجة هاتين المشكلتين قدمت شركة الأبحاث الهندسية الدولية وعلى

رأسها السيد الشهرستاني المشروع التالي:

مشروع استبدال الغابات بمجمعات زراعية في أندونيسيا:

يقول السيد الشهرستاني: دُعيت في عام (١٩٧٤م) من قبل وزارة الإعمار الأندونيسية للاستثمار في مشاريع السكر والإسمنت، فطرح المسؤولون عليّ موضوع استثمار الأخشاب من الغابات، وعند دراسة الإمكانيات المتوفرة تم إعداد مشروع متكامل من الألف إلى الياء مشفوعاً بجميع الجداول الاقتصادية والزراعية يثبت فيه بالدليل القاطع وبالأرقام والإحصائيات كيف يمكن رفع مستوى الاقتصاد الوطني لأندونيسيا، وكيف يمكن تأمين الدخل الشهري واليومي للمزارع والحصول على الأجرة نفسها في عمله في العاصمة جاكرتا، وبعد ثمان سنين إضافة على أجوره يتمكن أن يحصل على هكتارين من أرض زراعية مستصلحة تتوفر فيها شبكات الطرق والمساكن الحديثة (كما هي الحال في الولايات المتحدة الأمريكية) والمستثمر يتمكن من الحصول على فائدة مالية نسبتها ٢٣٪ سنوياً، بالإضافة إلى تأمين الغذاء المطلوب والاستغناء عن استيراد أي محصول زراعي من خارج البلد، كذلك القضاء على البطالة في البلد، وعلى أثره أُسست وزارة لتنفيذ هذا المشروع ولكن لم يحسنوا استخدام المشروع لابل أساؤوا استعماله لأسباب معروفة.

أول من أسس وأدخل صناعة الصلب والحديد في إيران

استطاع السيد المهندس الشهرستاني وبالتحديد عام (١٩٦٩م) من إدخال هذه الصناعة إلى إيران بعد أن كان البلد مستورداً لهذه المواد من الخارج وكان السوفيت (الروس) قد أسسوا معمل الحديد في أصفهان ولم ينتج وظل متوقفاً عن العمل مدة ليست طويلة بسبب المواد الأولية لأنها كانت تجلب من مدينة (يزد) إلى أصفهان والسكة الحديد التي يجب أن توصل هذه المواد كانت مقطوعة لأنها بحاجة إلى بعض القطع الخاصة وهذه القطع لم تكن تنتج في أوروبا لأن التصاميم السابقة قد تغيرت ولم تتمكن الحكومة من الحصول على هذه القطع وطلبت من شركتنا (والكلام للسيد الشهرستاني) تزويدها بقطع الصلب لربط السكة الأصلية التي توصل إلى أصفهان وقد تم ذلك وبعد أن وصل القطار إلى أصفهان تمت المباشرة بتشغيل المصنع في أصفهان وبدأ الإنتاج. ويقول السيد الشهرستاني: إن وزير الطرق الإيراني وهو المسؤول عن هذه المشكلة قد استدعى ممثلنا ووقف الوزير أمامه وانحنى قائلاً: أنا أنحني أمامكم أنتم (كروب) إيران لأنكم أدخلتم صناعة الصلب إلى إيران وكروب أعظم الشركات الألمانية في صناعة الصلب.

يقول السيد الشهرستاني: عندما كان المصنع في حالة توقف حاولت أنا وأخي القيام بزيارات لعدد من المعارض الدولية للاطلاع على التطور التقني العالمي لعلنا نقرب من الوصول إلى ما وصل إليه العالم المتقدم في مجال الصناعات الثقيلة وبخاصة الحديد والصلب، وفي أحد الزيارات إلى معرض (هنوفر) اختمرت في أذهاننا فكرة الشروع والبدء في إقامة صناعة أساسية تتمكن من إقامتها في إيران لتكون نواة لصناعات ثقيلة، وقرّر الرأي على اختيار صناعة الصلب والحديد،

فلقد كانت دراسات أخي المهندس (مهدي) في ألمانيا هي (السبائك المعدنية) وهو ما تخصص به وقررنا السعي والعمل على إيجاد صناعة السبائك الحديد التي تصنع منها الأنواع المختلفة من الحديد كما أشار إليه تعالى بالنسبة إلى داود (عليه السلام) (وألنا له الحديد) أي أننا نتمكن أن نصنع أنواعاً مختلفة من الصلب المقاوم والمتحمل للاحتكاك الكبير والمطاوع والسبائك الغالية والرخيصة الستيل وكافة الأنواع ولكي نكون قد تمكنا من وضع الحجر الأساس للصناعات الثقيلة وتم الاختيار والعمل وفي الواقع أسسنا معملاً لصناعة أنواع السبائك الحديد ومن البداية الحديد (S.G.I) أو (دوك تايل) والنوع الذي بين حديد الزهر وبين الصلب وأنتجنا منها قطع الغيار ولكن سرعان ما قررنا الانتقال إلى الصلب وبمعدات بسيطة وتقنية خاصة، تمكنا أن نولج حرارة عالية لإنتاج الصلب وأنتجنا بودقة صغيرة بـ (٣٠) كغم كمية من الصلب أي من الحديد الفولاذ أو السبائك (الحديدية) وقد أخذ أخي إنموذجاً من الإنتاج إلى جمعية الصلب الألمانية (لأنه كان يدرس في ألمانيا للتخصص) وعرض على الجمعية ما أنتجناه، وبعد نقاش طويل تقرر قبولنا كعضو في صناعات الصلب العالمية في ألمانيا، ورجع أخي وهو يحمل مجموعة من الكتب التي تحتوي على أسرار صناعة الصلب ونحن بدورنا نزود الجمعية بالنتائج التي نصل إليها وهم بدورهم يزودونا بالمعلومات التي يحصلون عليها من الأعضاء الآخرين وعلى هذا الأساس أسسنا مصنعاً لإنتاج الصلب وهكذا سار العمل وحصلنا على شهادات من وزارة الصناعة الإيرانية ومركز الصناعات الثقيلة وهم يعدوننا ممن أحدث نقلة نوعية في الصناعات الإيرانية وبالأخص صناعة الصلب والحديد، ولا بد أن أذكر إن أول معرض آسيوي أسس في طهران كانت لنا غرفة لصناعة الصلب وكنا كتبنا عليه (الصلب الإيراني) وجاء الشاه محمدرضا ليفتح المعرض وسألنا ماذا تنتجون؟

قلت له: الصلب.

فتعجب وكرر السؤال وقال: بأي خبرة فنية؟

أجبتة: بخبرتنا الخاصة فزاد من تعجبه وسأل عن مكان المصنع ونادى زوجته فرح وقال لها: تعالي ولاحظي أولاد المشايخ (أهل العمائم) يتتجون الصلب وأخذ يفتش ويفحص الإنتاج وأبدى ارتياحه وسألني عما نحتاج إليه فأجبتة بالنفي (لا شيء) والحمد لله.

إقامة أكبر الصوامع (السائلوات) الخرسانية في العالم:

ومن المشاريع التي تخصصت بها الشركة هي صناعة الإسمنت وصناعة السكر، ولا زال الحديث للسيد الشهرستاني: أحيلت إلينا مسؤولية تنفيذ معمل إسمنت (آب يك) وكان في وقته أكبر مصنع للإسمنت في العالم بسعة (٤٠٠٠) طن في اليوم بفرن قطره (١, ٤ م) كان هذا أكبر فرن للإسمنت يصنع في العالم بواسطة شركة (بوليزيوس) الألمانية وهذا المصنع كان بحاجة إلى صوامع (سائلوات) بارتفاع (٨١ م) بقطر (١٤ م) وهذه الصوامع كان المفروض أن تُبنى لأول مرة في العالم، لذا اضطرت إلى عمل سفرة إلى الدول المنتجة للقوالب المتزحلقة لصنع الصوامع واخترت المعدات والأجهزة اليابانية لأنها كانت ألكترونية ولأول مرة تستعمل بواسطة شركة (ميتسوئي كنستركشن) وتعاقدت معهم لشراء هذه المعدات لبناء هذه الصوامع على أن يكون الخبراء منهم في القسم الأول والباقي ينفذه خبراءونا.

ولكن مع مزيد الأسف في الصوامع الأولى مع وجود خبرائهم توقف القالب عن الحركة واحتج الخبراء في ضرورة الرجوع إلى اليابان والتداول مع شركتهم لحل المشكلة، ولكننا بعد التوسل بالله وطلب العون منه تمكنا من حل المشكلة وأكملنا العمل بالسرعة الممكنة وعلى أحسن وجه وعند إكمال البناء تسلمت شركتنا رسالة من الشركة اليابانية المذكورة تقول فيها: إذا أردتم إكمال هذا العمل فيجب تقبل أجور ستة مهندسين ومضاعفة معدانكم حتى تتمكن من الحضور

لإكمال هذا العمل . فأرسلت لهم صورة تبين إكمال العمل وذكرت إذا كانت لكم أعمال مشابهة من هذا النوع فاطلبوا منا أن نرسل لكم حرفيين لإكمال ذلك . وكانت لنا بعد ذلك مجموعة كبيرة من معامل الإسمنت التي كانت تحتاج إلى صوامع ، (أصغر من الصوامع التي ذكرناها) نفذناها لهم بنجاح .

المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية (W.O.F.I.S)

يواصل السيد محمد علي الشهرستاني حديثه غير نادم على أي يوم قضاه في حياته العملية التي ازدحمت فيها أنواع الابتكارات وسائر عمليات الإبداع بل إنه يتحدث بثقة ويختار ألفاظه بعناية ويستذكر بذاكرة متوقدة المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية فيقول: ومن مجمل هذه المشاريع والأعمال والمدخولات التي تتمخض عنها هذه المشاريع التي كنا نستثمرها في دعم المؤسسات الدينية لنمكنها من أداء عملها على الوجه الأكمل في جميع أنحاء العالم وقد طلبت من عديلي السيد (مرتضى النوري) وهو من الطلبة الفضلاء في الحوزة العلمية النجفية، لتولي هذا الأمر فجعلت ملاك عملنا في الشركة بحيث يكون في الإمكان تغطية الرواتب والمصروفات كلها من خلال الموارد والوفرة التي تحققها الشركة وتوظف كل تلك الأموال الفائضة لخدمة الإعلام الإسلامي.

ولم تحظ في البدء شهرة لهذه المؤسسة لأن غاية المؤسسين لم تكن دعائية بل كانوا يعملون بصمت والأيام هي التي ستفصح عن جدتها في العمل.

بدأ العمل بتأسيس صندوق بريدي برقم (٢٢٤٥) وعن طريقه تمت المراسلات والمناشدات للشخصيات العلمية وللعاملين في الحقل الإسلامي العقائدي، وبعد الحصول على عناوين العديد من الجمعيات الإسلامية والمؤسسات الدينية من مختلف المذاهب الإسلامية، وكان المفروض قبل الاتصال بهذه الجمعيات من الحصول على عناوينها لمراسلتها وفي بدايات السبعينات من القرن الماضي لم تكن جمعيات ناشطة إسلامياً سوى جمعية الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبعد جهد جهيد حصلنا على عنوانات

من هذه المؤسسات الإسلامية المحلية وأصبحنا المفتاح للمباشرة بالعمل، وعن طريق هاتين الجمعيتين استطاع العاملون في هذا الحقل الإسلامي من مراسلة عشرات المؤسسات وسعيها (والقول للسيد الشهرستاني) لإيجاد رابطة مشتركة تساعد الجميع على معرفة الإمكانيات والحاجات اللازمة لإنجاح وتيسير ما يمكن تيسيره للوصول إلى الهدف المطلوب، ولكن كان الجواب العام والأساسي لهذه الرسائل كلها طلبات منحصرة في ثلاثة بنود أساسية:

١. المعارف والثقافة الإسلامية: كانوا يقولون إنَّ جميع الكتب والرسائل والمعارف شحيحة وكلها كانت باللغات العربية والفارسية والأوردو، بينما الإنكليزية هي اللغة السائدة والمستخدمة في كل أنحاء العالم وعدد كبير من المسلمين يفهمونها ويتقنونها ولم تتوفر مصادر كافية بهذه اللغة.
٢. الدعاة والمبلغين: كانوا يقولون ليس لدينا من داعية يرشدنا ويساعدنا في هذا الأمر وهم يوجهون العتاب للحوزات والجامعات الإسلامية لعدم إرسال الدعاة والمبلغين فكانوا يقولون إنَّ لم يكن عندكم دعاة فالرجاء أخبرونا لعلنا يمكن أن نرسل لكم أولادنا وبناتنا ليدرسوا عندكم ويصبحوا دعاة في بلدانهم لتعليم المجتمع المسلم المبادئ الأساسية والفرعية للإسلام.
٣. المساعدات المالية: وكان هذا البند يأتي في المرحلة الثالثة أي إننا بحاجة إلى مساعدات مادية وبحاجة إلى الاستقرار ومكان للتجمع وذلك بتملك مراكز إسلامية وتوسعة المدارس والمساجد.

هذه هي الحاجات الثلاث وقد استطعنا أن نبدأ بالمرحلة الأولى في ترجمة الكتب الإسلامية ومحاولتنا بدأت بترجمة بعض الكتب التي تحتوي على المعلومات الأولية للمسلم التي يحتاجها وترجمتها إلى اللغة الإنكليزية، وثم طبعها وإرسالها إلى تلك المراكز التي حصلنا على عناوينها، وتوسعت هذه المراكز في السنوات الثلاث إلى (٢٢) ألف مركز وكانت المراسلات مع هذه المراكز تؤكد

تأمين احتياجاتهم من المعارف الإسلامية وما يتعلق بالشبهات التي يثيرها البعض حول المعتقدات، والأحكام الشرعية والأحاديث الشريفة، والتفسير، والاقتصاد الإسلامي وغيرها.

من خلال الكتب الوفيرة التي كانت ترسل والتي بلغت حوالي خمسة ملايين كتاب تأليفاً وترجمة من العربية والفارسية إلى اثنتي عشرة لغة حية استطاعت مؤسستنا أن تخاطب المستويات الثقافية المختلفة إضافة إلى التأمين المالي والذي كانت مؤسستنا تمدهم به أطلقنا على هذه المؤسسة اسم (المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية) ويرمز إليها (WOFIS) وكانت سنة التأسيس (١٩٦٤م).

هذه المؤسسة هي مؤسسة خيرية ذات منفعة عامة، مستقلة لا تنتمي إلى أية جهة حزبية ولا سياسية ولا فتوائية ولا طائفية، هدفها إيصال معارف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة المنتجبين إلى البشرية جمعاء، والمسلمين بخاصة.

وجميع النفقات لعمل المؤسسة وأنشطتها كانت تغطي بواسطة شركة الأبحاث الهندسية الدولية.

البداية للعمل كانت النشرات والترجمات للكتب الأساس وطبعتها ونشرها بصورة واسعة وتوزيعها بالمجان، ثم عالجتنا قضية الدعاة والمبلغين، وتمخضت فكرة استحداث جامعة إسلامية لهذا الغرض الذي تهدف إليه المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية ولكن بعد مضي سبع سنوات لم تتحقق فكرة الجامعة.

بعد عودة الدكتور الشهرستاني إلى المملكة المتحدة عام (١٩٨٢م) وبعد تأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية، وثم الجامعة التكنولوجية العالمية بالاشتراك مع اليونسكو أصبحت الظروف مواتية لتأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وستحدث عنها في مكانها.

نعود ثانية إلى الحديث عن منجزات وأعمال (المؤسسة العالمية للخدمات

الإسلامية) لقد كان لتأسيس هذه المؤسسة الأولى الرائدة التي تنشر الفكر الصحيح وتحارب الفكر المنحرف أو المتطرف واعتماد المنطق العقلاني والفكر السليم النزيه، وكانت أصداء المؤسسة مؤثرة في النفوس والمجتمعات حتى الكثير من المسلمين في دول بعيدة راحوا يراجعون السفارات السعودية المعروفة بتمويلها للإعلام الإسلامي من أجل الحصول على نشرات المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية ويطلبون المعلومات من تلك السفارات كالعناوين، وقد امتد هذا النشاط من اليابان إلى أمريكا ومن أواسط أفريقيا إلى المسلمين في الشرق الأدنى. كان هذا النشاط في الأيام الأولى لعمل المؤسسة مما لفت نظر منظمة (السافاك) الاستخبارية الأمنية الإيرانية واستدعت الشهرستاني للتحقيق معه ولبحث النشاط الفكري الهائل الذي قامت به المؤسسة وتم استجوابه وطلبوا إيضاحات منه حول عمل المؤسسة التي يرأسها فكان جواب السيد الشهرستاني إن الحاجة والمسؤولية الشرعية هي الدافع الأساس للعمل من أجل نشر المبادئ المحمدية والمعارف الإسلامية في أنحاء العالم بعدما وجدنا الأفكار الإلحادية والمبادئ المنحرفة تأخذ طريقها بين الشباب.

ويقول السيد الشهرستاني: لهذا رأينا إن الواجب العيني يحتم علينا أن نقوم بعملنا هذا، والأمر لا يخلو من أمرين:

إما أن تسمحوا لنا بالعمل فنستمر به من دون تدخل بعملكم في الشؤون السياسية والشؤون الأخرى غير الدينية، وإما أن تمنعونا من ذلك فيسحب عنا التكليف (وهذا الكلام موجه إلى جلاوزة السافاك) وكان جواب المحقق للسيد الشهرستاني: إن لم يكن عملكم فيه أي نشاط سياسي فإننا نؤيدكم في عملكم هذا ونساندكم فيما تقومون به، فشكره السيد الشهرستاني ورجع إلى عمله محاولاً الاستمرار والتوسع في العمل وكان النشاط سنة (١٩٦٣م) مستمراً في بث الأفكار وإيصالها إلى أماكن بعيدة شرقاً وغرباً وقد وصل عدد الملفات التي انتهت منها

المؤسسة في أواسط السبعينات حوالي عشرين ألف ملف في جميع أنحاء العالم، وكانت للمؤسسة جولات كبيرة وكثيرة، ولهذه الجمعيات المنتشرة في أنحاء الدنيا ومنهم من كان يأتي إلى طهران ويزور المؤسسة ويلتقي أعضائها ورئيسها ويتبادل وجهات النظر معهم.

وقد تم ترجمة هذه النشرات والكتب إلى أكثر من (١٦) لغة (كاللغة الإنكليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، الفرنسية، السواحيلية، الهاوسا، الأندونيسية، الصينية، التايلندية، الأردو، الهندية وغيرها) كما ذكرنا سابقاً، أما الكتب الأساس والكبيرة كتفسير الميزان وغيره فقد لاقت الجمعية أو المؤسسة صعوبة في ترجمتها، ويتذكر السيد الشهرستاني إن كتاب (اقتصادنا) عندما تقرر ترجمته جرت سبع محاولات لترجمته حتى استقرت نهائياً وتمت الترجمة بصورة مرضية كافية شافية، أدت الغرض المطلوب وهكذا الكتب الأخرى واستمرت المؤسسة في إجراء بعض الترجمات حتى انبثقت الجمهورية الإسلامية فأرأت اللجنة أن مهمتها قد انتهت لأن الحكومة الإسلامية الإيرانية بما تملكه من إمكانيات وقدرات يمكنها تحمل المسؤولية ومواصلة العمل الذي بدأه وفعلاً تم ذلك وسلمنا لهم الكتب التي لم تتمكن من ترجمتها وإخراجها مطبوعة أو مترجمة.

واستمرت اللجنة المؤلفة في المؤسسة (WOFIS) أعمالها ولكن في جهات خاصة وعدد محدود ولا زال السيد مرتضى النوري ينوء بهذا العمل الإسلامي الكبير.

إعداد الدعاة والمبعوثين للانتشار في العالم:

أما بالنسبة للدعاة فيحدثنا السيد الشهرستاني: في الواقع حاولنا أن نرضي ونقنع بعض الفضلاء في الحوزة من دون ذكر الأسماء والطلب إليهم الانتقال إلى بعض البلدان كالمملكة المتحدة وأندونيسيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من أجل الدعوة إلى الإسلام الحق وذهبوا إلى تلك الممالك والبلدان ولكن رجعوا بعد مدة قصيرة إلى مقرات سكناهم الأصلية متذرعين بحجج غير مقنعة منها (كما

قال أحدهم) إنَّ العمل في مركز الإشعاع هو الطريق السليم في تربية المبعوثين إلى الخارج ولكن قسماً منهم تذرع بذرائع واهية منها الخشبية على أولادهم وبناتهم وأنفسهم من التأثر بالمحيط الجديد الذي قد يسلب أخلاقياتهم ويضعف دينهم ويلبسهم جلباب أهل تلك الأمصار.

في هذه الحقبة وخلال عمل المؤسسة برزت ظاهرة جديدة في إعداد الدعاة وهو إنَّ المؤسسات الإسلامية وبعض المقيمين في تلك الديار النائية بدؤوا يرسلون أولادهم إلى بعض المراكز الإسلامية والحوزات الدينية في إيران والعراق لتلقي دروساً في المدارس الإيرانية والعراقية أو دروساً دينية وحوزوية وبعدما ينجزون هذه المهمة يعودون إلى بلدانهم ليبدؤوا مشواراً جديداً في الدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه بين أبناء تلك الأقطار ويصبحون دعاة وإرشاد وإصلاح، ولكن المؤسسة (WOIFS) والدكتور السيد محمد علي الشهرستاني كانوا ينظرون إلى هذه المسألة بحذر شديد ذلك لأنَّ المدارس الإيرانية كانت تحت الإشراف الحكومي مما يضعف الثقة بها، أما في العراق فقد تسلم السلطة حزب البعث وقد تغيرت الحوزات وفقدت حرية العمل والتفكير وأصبحت مسلوحة الإرادة وألغمت بالجواسيس والعيون ترصد كل حركة فيها كما هو الحال في المدارس الرسمية التي تعمل على وفق ما ترسمه سياسة الحكومة الجائرة.

ولهذه الأسباب ودواعي الظروف فكَّر السيد الشهرستاني بالتوجه إلى لبنان والاتصال بالسيد موسى الصدر ورسم سياسة جديدة تخدم الإسلام وتعدُّ الدعاة المجاهدين لهذا الأمر الشرعي والواجب الديني، وتم التنسيق مع السيد موسى الصدر لإرسال البعثات الطلابية للدراسة في لبنان خاصة وإنَّ مدرسة دينية كبرى أسست في مدينة صور في الجنوب اللبناني لتثقيف الشباب الأفريقي وتخريجهم، ولكن مع الأسف لقيت هذه الدعوة معارضة لا بل محاربة شديدة أدت إلى إغلاق هذه المدرسة التي تم تأسيسها بجهود ومساعي السيد موسى الصدر.

وتوجه السيد الشهرستاني لاتخاذ سبيل آخر وبعد تفكير طويل ارتأى أن يتوجه إلى السيد محمد حسين فضل الله في منطقة النبعة ببيروت وكان السيد يجمع حوله الشباب ويوجههم الوجهة الإرشادية السليمة، وكان هذا توجه والاتصال بتوصية من السيد مرتضى العسكري، ولكن الشهرستاني لم يحظ بنتيجة ناجحة وخرج خالي الوفاض ويقول: بقيت صفر اليدين من دون أن أتمكن عمل أي شيء ولكنه كان ينتهز الفرص ليجذب الطلبة من الجاليات الإسلامية للانخراط في الدراسات الدينية والتفقه في الدين ولكن ذلك لم يتيسر له إلا في الثمانينات من القرن الماضي حينما رحل إلى المملكة المتحدة وتم تأسيس الجامعة التكنولوجية أولاً وعلى ضوء هذه الجامعة أسست الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.

الانتقال إلى المملكة العربية السعودية

في ذهن السيد الشهرستاني المتوقد بحب الدين والعمل الحثيث كثير من الذكريات والحكايا يحكيها لنا بأسلوب شيق رقيق بسيط، فهو يجمع في روحه التوافق إلى كل ما هو جديد ونافع ومثمر، وخطواته الثابتة المترجمة لعقله وإدراكه العالي بالمسؤولية الشرعية والاجتماعية والإنسانية تجاه أبناء بلده وإخوانه من المسلمين وأتباع أهل البيت - عليهم السلام - لذلك توزعت مشاريعه خارج بيئته الإقليمية الضيقة إلى أماكن وأصقاع مختلفة في العالم، فمع كل حدث تنساب أفكاره وهماجة لإنقاذ البشرية من البؤس والفقر والتخلف، ومع كل حدث تنطلق أفكاره لتجوب عوالم خفية في داخله مطرزة بالإبداع والشعور بأنه لا بد وأن يمدد العون، لذا فهو يحدثنا عن حريق منى فيقول: في إحدى السنوات التي كنت قد تشرفت فيها بحج بيت الله الحرام حدث حريق هائل في (منى) ذهب ضحيته عدد كبير من الحجاج الإيرانيين، فالتف وتجمع كثير من الإخوان حولي وطلبوا مني تقديم دراسات وتصاميم لحل مشكلة الإسكان والجمرات والطرق والمجزرة في (منى)، وعند رجوعي إلى طهران طلبت من أحد المهندسين المعماريين أن يكتب رسالة تخرجه عن مشكلة المشاعر في (منى) وقدمت له الأفكار الأساس لحل هذه المشكلات الأربع ليضعها في أطروحته ويقدمها إلى جامعته (جامعة طهران)، هذه التصاميم كانت تحل جميع المشكلات التي كان الحجاج يواجهونها في (منى) ويذهب ضحيتها عشرات الحجاج وهي كانت عبارة عن مشكلة الطرقات والتزاحم الذي يحدث يوم العيد بين السيارات الكبيرة وبين المشاة على أرض (منى)، والمشكلة الثانية الإسكان إذ إن الحكم الشرعي يعين الحدود الشرعية لمنى بين الجبلين من

وادي محسر إلى الجمرات، وهذا مكان ضيق لا يمكن الوقوف فيه للعدد المتزايد من الحجاج وفي طابق واحد أي تحت الخيم وكان علماء السعودية يحرمون البناء على هذه الأرض بحجة حديث ينقلونه عن الرسول (ﷺ): (أرض منى لا يُبنى عليها)، وقدمت تصميماً لإمكانية البناء بصورة معلقة أي إنَّ البناء ممكن أن يكون بطوابق متعددة وليس من الضروري أن يكون على الأرض إلا بأعمدة، وفي مستوى هذه الأعمدة يمكن للحجاج الحركة من دون وجود السيارات، والسيارات تتحرك على جسور في الطابق الأول، وكذلك قدمت تصميماً للمجزرة يحل جميع المشكلات والتداخلات والتعارضات فيها، إذ يمكن في هذا التصميم أن تدخل الماشية من جانب والحجاج يدخلون من جانب آخر وبصورة فنية ينتخبون ما يريدون ويذبحونها والأشلاء ترمى إلى داخل الطابق السفلي، وفي الطابق السفلي معمل كامل متكامل يمكن سلخ الأشلاء وتقطيع اللحوم وتعليبها ووضعها في برادات يمكن توزيعها على فقراء العالم الإسلامي في بقية أيام السنة.

بعد إكمال هذه التصاميم قدمتها شخصياً إلى الملك فيصل بن عبد العزيز (ملك المملكة السعودية) وقدمت شرحاً مختصراً عن المشروع وطلب مني إبقاء التصاميم لدراستها عن كثب في بيته، ولكن بعد ذلك أطلعنا على اغتياله من قبل أحد أبناء أخوته، ولكن على ما يظهر أنه أيد التصميم وشكل لجنة عليا لتطوير (منى) برئاسة الأمير متعب بن عبد العزيز الذي طلب مني بعد عدة شهور لتقديم عرض كامل لتنفيذ المشاريع الصحية ودورات المياه في (منى).

مشاريعه الإنسانية المتوقدة وشعوره بثقل الحدث الجلل الذي أودى بالعديد من الحجاج جعله يقدم هذا المشروع الجبار الذي لو تم تنفيذه وإنجازه بصورة صحيحة لاستفادة جميع الحجاج منه كل عام.

إقامة أكبر خزانات الحديد للماء في العالم لحجاج بيت الله الحرام:

في عام (١٩٧٢م) أعلنت الحكومة السعودية عن مناقصة لإقامة مشروع متكامل لتطوير وحل مشكلات الحجاج في (منى) من حيث تطوير الطرق والإقامة وموضوع الجمرات والمجزرة وما إلى ذلك من أجل استيعاب وراحة الحجاج مما يكفي لاستيعاب أربعة ملايين حاج في المنطقة الجغرافية لـ(منى) وبحسب الموازين الشرعية التي أقرها العلماء وأقرته رابطة العالم الإسلامي، وفي ضوء ذلك تألفت لجنة عليا للتطوير برئاسة الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الإسكان والأشغال سبقه اجتماع الشهرستاني مع الملك فيصل بن عبد العزيز وطلبوا من شركته إعداد التصاميم لخزانات المياه الكبيرة العملاقة التي تتسع (٢٠) مليون غالون وبقطر (١٣٠) م وارتفاع (١٤) م من حديد الصاج مع السقف وبوجود عازل حراري لمنع تسخين الماء من أشعة الشمس وخزان بسعة (١٢) مليون غالون في (عرفات) ومثله من حيث السعة في (مزدلفة) وقد طلبت اللجنة أيضاً تنفيذ مشاريع أخرى.

وبعد توقيع عقود إنشاء الخزانات الأربعة أعددنا تصاميمها وخرائطها وبأشرنا العمل بداية شهر جمادى الأولى وكان صنع ورق الحديد يتم في معمل الصلب بإيران وتم أيضاً تصنيع ماكينة ضخمة للطعج (الروي) أو بالأحرى للوي هذا الورق للجدران والذي كان القسم التحتاني بسمك (٣٥ ملم) وفي نهايته حوالي (١٢ ملم) وبعد إنجاز التصنيع في إيران كانت ترسل إلى السعودية وما لا يمكننا صنعه في شركتنا كنا نجلبه من اليابان.

كان ملاك الشركة ورئيسها الشهرستاني يعملون بجدية ومثابرة ليل نهار وقد وظفوا عدداً كبيراً من عمال اللحام تجاوز عددهم (٧٤) لحاماً لخزان فيه (١٠) كيلو متر من اللحام أي مليون ستمتر طول تم إنجازه بصورة دقيقة فلو كان فيه نقص بقدر ستمتر واحد لتدقق الماء من تحته أو من بعض جدارنه أو من جوانبه ويوعز الشهرستاني ذلك الإنجاز إلى العناية الربانية لأنه لم يكن بمستطاع الإنسان

إنجاز مثل هذا العمل الجبار لولا العناية الالهية التي شملت العاملين.

كان الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الإسكان والتعمير يتفقد العمل باستمرار ويشرف على سير العملية الإنشائية مباشرة، ويتذكر السيد الشهرستاني إنَّ المدة التي يجب أن ينجز فيها العمل قد اقترب وموسم الحج قد أشرف على الاقتراب أيضاً ولم يبق سوى شهر واحد، في هذه المدة القصيرة يجب أن ينجز المشروع بصورة تامة فنقل عمل الوزارة إلى (منى) متخذاً أحد القصور الملكية مقراً للأشراف ومتابعة العمل. كان الوزير يجمع الاستشاريين والمنفذين والمهندسين بعد صلاة العشاء مساء كل يوم لمعرفة تأخر وتقديم العمل، وبهذه المناسبة لا بد من الإشارة إلى أنه كانت هناك شركات أخرى تقوم ببعض الأعمال كبناء الجسور والمستوصفات ومنشآت خدمية أخرى.

إنَّ الأمير متعب بن عبد العزيز كان يطلع بنفسه على سير العمل ويذلل المصاعب والمعوقات ويتصل بالمسؤولين والوزارات لحل المعضلات أو المشكلات، وفي الوقت نفسه كان شديداً في محاسبة المقصر والمتباطيء في العمل لا يرحم أحداً من هؤلاء، أما علاقته بشركة السيد الشهرستاني فكانت جيدة بسبب ما كان يراه من إخلاص وتفان في العمل وكان هذا الوزير يردد مقولته المشهورة: أنا لا اثق إلا بهذه الشركة أو هؤلاء، ولكن هذا الموقف كان سبب نقمة وحسد وحقد بقية الشركات العاملة في المشاعر المقدسة ضد شركة الشهرستاني، وعلى كل حال تم الإنجاز بصورة صحيحة وضمن المدة المقررة ومُلئت الخزانات بالمياه ولما كان مصدر المياه بعيداً وفي منطقة مرتفعة قامت شركة أخرى بإيصال المياه إلى الخزانات بصورة طبيعية ومن دون مشكلات وعلى طريقة الأواني المستطرقة، ومن الجدير بالذكر إنَّ خزان منى كان على ارتفاع (١٨٠م) فوق مستوى الأرض وكان علينا نفتيت الصخور الكرانيتية لنضع قاعدة كبيرة واسعة بقطر (١٥٠م) لتركيب هذه الخزانات (هذا ما يقوله السيد الشهرستاني) وقد توفرت المياه في (منى) بعد أن

كان الحجاج يعانون من الشحة وأصبحت كمية المياه تغطي حاجة أربعة ملايين حاج، وقد استفاد أهل مكة من وفرة هذه المياه ناهيك عن الحجاج الوافدين، وهذه الخزانات قائمة منذ حوالي ثلاثين سنة ويستفيد منها الحجاج أيام الحج.

ويواصل السيد الشهرستاني حديثه: وبعد إنجاز مشروع خزانات المياه في المشاعر المقدسة كانت للشركة مشروعات أخرى مشابهة استمرت خمس سنوات بالرغم من موقف النفعيين والحاقدين حين وقفوا موقفاً بالضد منا وأخذوا يضحكون الدسائس ضد شركتنا ويفترون افتراءات باطلة ضدنا ولذلك آثرت الشركة ورئيسها الانتقال إلى خارج السعودية والعودة إلى إيران والحفاظ على كرامتنا وسمعة شركتنا (هذا ما عبر عنه الشهرستاني).

ويروي السيد الشهرستاني حادثة طريفة جرت بين الإمام السيد موسى الصدر والأمير عبد الله بن عبد العزيز في حينها يقول: عند عودتي إلى إيران عرجت على بيروت حيث التقيت بالسيد موسى الصدر وفي اجتماع مغلق خاص معه جرى حديث يتعلق بعملنا في المشاعر المقدسة وما أنجزته شركتنا من أعمال، قال السيد الصدر (أعاده الله إلينا بالسلامة) إنني (والقول للسيد الصدر) في كل موسم حج وبحسب العادة كان الأمير عبد الله بن عبد العزيز (الملك الحالي للسعودية) كان يدعوني إلى وليمة غداء خاصة ويدعوا معي عدداً من الأمراء والشخصيات البارزة وفي هذه السفارة حينما ذهبت إلى الحج جمعني والأمير متعب بن عبد العزيز اجتماع تحدث الأخير خلاله عن المشاريع العمرانية وما تعمله الحكومة من تطوير في كل مرافق الحياة في المملكة وبخاصة المشاعر المقدسة، وقد قال بالحرف الواحد: إنه جاءت شركة إيرانية تعمل بجهد وإخلاص ونحن شاكرين لها عملها، وظل الوزير يشني ويكيل المدح للشركة التي أعجب بها من دون سائر الشركات العاملة الأخرى، وهو لا يدري إن الشركة ورئيسها على علاقة وطيدة بالسيد موسى الصدر، وكان الوزير السعودي يروم من ثنائه على الشركة أن يوصل معلومة للسيد

الصدر بأن الحكومة السعودية جاءت بشركة شيعية وعهدت إليها أعمالاً كبيرة وقد أنجزتها بكل دقة وإخلاص، ويستمر السيد الشهرستاني ليقول: قال السيد الصدر إنني أرى أننا تمكنا من دخول السعودية وفتح الأجواء الملائمة للعمل الشيعي فيها ولذا أرى من الضروري أن نجلس جلسة خاصة لتخطيط هذا الموضوع، وكانت هذه المقابلة مع السيد الصدر هي الأخيرة وبعدها حدث ما حدث للسيد الصدر من تغييب وإخفاء أو اغتيال سري.

كما كانت لهذه الشركة أعمال أخرى (كما يقول السيد الشهرستاني) في منى وعرفات منها شبكة المياه المالحة والحلوة في منى لاستفادة الحجيج للشرب والتطهير وكذلك إقامة مبانٍ متعددة بلغت حوالي (٢٢٠) وحدة كل واحدة منها بمساحة (٤٠٠) متر مربع لدورات المياه والأعمال الصحية التي عجز عنها المقاولون المحليون وتمكنا من تنفيذها خلال سنتين ولو بشق الأنفس والعناية الكبيرة وأصبحت (منى) قادرة على تأمين محلات الوضوء والمرافق الصحية للحجيج ولكن علماء السعودية أصدروا فتوى ذكرناها من قبل وهي عدم جواز البناء على أرض منى، وأصدر الملك خالد بإزالة جميع هذه المباني وأتت الجرافات وأزالت هذه المباني من جذورها (أسسها) وكان المشروع الذي عملناها نحن فقط يبلغ حوالي (٧٠٠) مليون ريال سعودي أي ما يقارب (١٧٥) مليون دولار وبقيت (منى) جرداء لا مكان فيها للتطهير والتخلي.

والحمد لله رب العالمين وبالرغم من وجود العداء الوهابي ومحاربة الشيعة في السعودية ولكن تمكنا من تثبيت أقدامنا والحصول على استحسان الجميع غير إن هذا الاستحسان ومدح وثناء الأمير متعب لهذه الشركة (والحديث لا يزال للسيد الشهرستاني) ترك أثراً في نفوس المسؤولين هناك لماذا هذا الثناء والشكر فقط لهذه الشركة الشيعية وخشيت من أن يكيدوا لي بعض المكائد ويحاولوا تشويه سمعة الشركة فقررت ترك السعودية والخروج منها قبل أن يساء إلى سمعتنا.

استصلاح الأراضي في العراق

بعد إنجاز أعمال الشركة في السعودية وفي المشاعر المقدسة بالذات، والتي استمرت حتى عام (١٩٧٨م) وبعد المضايقات والمعاناة هناك، وصلت إلى الشركة دعوة عن طريق مكتب طهران للشركة من الحكومة العراقية (وزارة الري) تطلب المشاركة في مناقصات استصلاح الأراضي في العراق. يقول الشهرستاني: « في البداية رفضنا الطلب لأننا سبق وأن شاركنا في مشروع كبير من هذا القبيل في منطقة الخالص بمحافظة ديالى ولكن ومن دون سبب قانوني تم إلغاء المناقصة التي كانت تتجاوز قيمتها (١٢٠) مليون دولار أمريكي، وعندما تكررت الدعوة إلينا للمشاركة في مناقصة مشابهة للأولى في استصلاح الأراضي أصرت السفارة العراقية في طهران الاشتراك في المناقصة مع بقية الشركات الأخرى لما تتمتع به الشركة من سمعة حسنة وخبرة طويلة في هذا المجال » وبعد إصرار الموظف الكبير (الملحق) في السفارة العراقية مدعياً بأن الحكومة العراقية تفكر بالانتقال من القطاع الأمريكي والأوروبي إلى القطاع الإسلامي الشرقي مثل باكستان وتركيا وغيرها، وقال مخاطباً السيد الشهرستاني: أنتم لكم سابقة في استصلاح الأراضي لذا نرجو منكم المشاركة في المناقصة، وتم ذلك واشتركنا وفزنا بالمشروع، كان المشروع في مكائين متباعدين، الأول استصلاح أراضي المقدادية في ديالى وكان حوالي (١٧) ألف دونم، والثاني استصلاح أراضي (أبو بشوت) في العمارة بمساحة حوالي (٢٢) ألف دونم، ومجموع مبالغ المناقصتين حوالي (٢١) مليون دينار عراقي أي ما يعادل (٦٧) مليون دولار أمريكي، وبعد الاشتراك في المناقصتين وتوقيع العقد مع المديرية العامة لاستصلاح الأراضي باشرت الشركة

العمل، وفي الواقع إنَّ هذا المشروع يعد من المشاريع المتطورة (كما يعبر عن ذلك السيد الشهرستاني) في استصلاح الأراضي وتسويتها إلى فرق (٤) سم ومد شبكة كبيرة من المبازل الحديثة التي تجمع مياه الأراضي على عمق حوالي مترين وبأجهزة أتوماتيكية متطورة تحفر الأرض وتضع الأنابيب بصورة فنية ثم تطمر القنوات بالكامل وكانت هذه الآلات لها القدرة على إكمال كيلومتر واحد في اليوم وبهمة العاملين أيضاً، هذه كانت المبازل التي تجمع المياه من الأراضي الزراعية إلى المبازل الكبيرة التي يتم حفرها بواسطة الحفارات وتنتهي بالمبازل الأكبر ومن ثم نقلاً إلى الأهوار أو إلى الخط الرئيس الذي كان قد صمم من جمع المبازل من الأراضي وسط العراق إلى الخليج وعن طريق المبزل الكبير الذي كانوا يعملون على حفره.

والخلاصة كما يعبر عنها السيد الشهرستاني: كان عملنا يسير بجد وإخلاص متناهٍ ولكن اصطدنا بمشكلة مهمة وأساسية هو تعثر العلاقات بين إيران والعراق وقيام الثورة الإسلامية في إيران مما سبَّب لنا ولشركتنا صعوبات جمّة أدت في الأخير إلى إيقاف العمل وطرده العاملين في الشركة من العراق ومصادرة أموالنا وممتلكاتنا ومعداتنا الثقيلة والخفيفة واستطعنا أن ننجو بأنفسنا وكل ذلك بقرار صادر من طه الجزراوي بإشارة من وزارة الري العراقية على اعتبار إنَّ هذه الشركة تحمل الجنسية الإيرانية.

وكانت خسارة الشركة كبيرة تجاوزت (٢٠) مليون دولار وقد خسرنا كل شيء وما أنجزناه أيضاً لم نستوف حقوقنا وأجرنا من الحكومة التي تعاقبنا معها والحمد لله الذي أنجانا. وبعد هذه الأحداث وما آلت الأمور قرر السيد الشهرستاني التوجه إلى أماكن أخرى في الخارج للعمل والتماس الرزق الحلال فلملم بساطه وأجمع أمره وتوكل على الله ليجد سبباً ومكاناً آخر وكانت هذه المرة بلاد الضباب (المملكة المتحدة) وفي لندن بالذات وقد كان ينتظره هناك أخوه السيد مهدي

وابن عمه السيد حسن الشهرستاني اللذان انتقلا إلى هناك قبله.

ومرة أخرى يعمل بحديث رسول الله (ﷺ) « إعقل ثم توكل » حيث توجه إلى بيروت قبل سفره إلى لندن حيث التقى بأحد أصدقائه القدامى ودار حديث طويل بينهما حول المؤسسات التي أقامها الإمام السيد موسى الصدر وعمّا آلت إليه الحالة بعد اختطافه وغيابه، وفي يوم من أيام عاشوراء وفي دمشق وبعد أن أدى زيارة السيدة زينب (عليها السلام) التقى السيد الشهرستاني بصديقه السيد رضا الكشميري وهو أيضاً صديق الإمام الصدر ودار حديث طويل بينهما عن مصير السيد الصدر ومشاريعه وما آلت إليه فقال الكشميري: إنَّ السيدة رباب الصدر العلوية الكريمة وشقيقة الإمام الصدر هي التي تقوم الآن بتحمل الأعباء لتلك المشاريع، فاقترح الكشميري على السيد الشهرستاني زيارة هذه العلوية والتباحث معها حول الموضوع وتقديم العون لها ومشاركتها والتعاون معها وهكذا تم ذلك، يقول السيد الشهرستاني: بعد أن التقيت السيدة رباب الصدر وسألتها عن مشاريع الإمام فتنفست الصعداء وقالت: كل هذه الأحمال والأثقال على عاتقي في الحال الحاضر، لذا رأيت (والقول للسيد الشهرستاني) من الواجب علي أن أرجيء سفري إلى لندن وأبقى إلى جانبها لربما أتمكن من القيام بشيء في الاستمرار برسالة ومشاريع الإمام الصدر.

فقررت البقاء في لبنان لهذا الغرض الديني والاجتماعي ولإكمال ما بدأه الإمام الصدر من مشاريع تصب في خدمة اللبنانيين أبناء الجنوب بخاصة وخدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فبدأ السيد الشهرستاني مشواراً جديداً في حياته المهنية والجهادية، فكان خير سند للسيدة رباب وكان معها في حلها وترحالها وزياراتها خارج لبنان ومفاوضاتها مع المؤسسات الإنسانية في البلدان الأوربية والأفريقية في محاولة منه لسد الفراغ الذي أحدثه غياب السيد الصدر عن لبنان ومواصلة ما بدأه من مشاريع خدمية وسياسية وإقتصادية ودينية.

في لبنان بعد خروجه من العراق

من الطبيعي إن غياب السيد موسى الصدر عن لبنان قد ترك أثراً بالغاً في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في لبنان، حيث كان قد بدأ بمشروعات مهمة كلها تصب في خدمة المحرومين وعموم الشعب اللبناني وبالأخص أهالي الجنوب حيث شرع بتأسيس مراكز ثقافية ومؤسسات خيرية وجمعيات اجتماعية وتنظيمات سياسية وعسكرية غايتها النهوض بالمنطقة ومواجهة إسرائيل والأخذ بأيدي الأهالي من أبناء الجنوب والبقاع.

وبعد مدة الغياب لهذا الإمام المجاهد تبنت مشاريعه السيدة العلوية الجليلة رباب الصدر وتحملت هذه الأعباء الصعبة، وقد قرر السيد الشهرستاني الالتقاء بها والتباحث معها حول مصير هذه المشاريع، وبدورها شرحت له العبء الثقيل والحمل الكبير الملقى على عاتقها وحدها فرأى السيد الشهرستاني معاونتها والبقاء في لبنان لمساعدتها في مهامها الصعبة لأداء رسالتها الإنسانية والإسلامية التي رسمها وبدأها أخوها السيد موسى الصدر (كما ذكرنا سابقاً) الذي يعتز السيد الشهرستاني بصداقته له. وقد قرر السيد الشهرستاني مساعدتها في تنفيذ العديد من المشاريع التي بدأها وخطط لها السيد موسى الصدر وعدّها الشهرستاني رسالة الخدمات الشيعية وخدمة مذهب التشيع، وفي لبنان بدأ الشهرستاني مشواراً جديداً في العمل الثقافي والدعوي والاجتماعي والجهادي الديني.

ميناء الأوزاعي في بيروت:

بعد أن عاد السيد الشهرستاني من ساحل العاج من أجل تقديم مشاريع تنمية فيها حظ رحاله في لبنان، وكانت المنطقة الشيعية تفتقر إلى ميناء تستخدمه القوى

المسلمة الشيعية وذلك خلال الحرب الأهلية التي طالت لبنان بأجمعها والصراع الطائفي بين المسلمين والمسيحيين فكان لكل فئة وفرقة ميناء خاص بهم، فأختار الشيعة منطقة الأوزاعي لبناء ميناء لهم، كان الشيعة في الضاحية الجنوبية يلاقون صعوبة في إيصال المؤن عن طريق البحر اليهم فلا بد من إيجاد منفذ بحري لهم، يقول السيد الشهرستاني: في تلك المدة كنت أتردد بين لبنان وإنكلترا وفي ذلك الحين جاءني الأستاذ جواد نجل الحاج عبد الهادي الجلبي إلى لندن وقال: أنا مرسل من قبل الأستاذ نبيه بري طالباً التوجه إلى لبنان من أجل إنشاء ميناء في الأوزاعي (*) وكان على السيد الشهرستاني التوجه منه إلى لبنان على وجه السرعة لتنفيذ الطلب لأهميته ووصل بيروت من لندن في اليوم الثاني وتبين إن شركة ألمانية تولت إنشاء هذا الميناء وفعلاً استطاعت أن تنجز قسماً منه ثم توقفت عن العمل وذلك بسبب الأمواج البحرية التي جرفت كل ما بناه الألمان من مبانٍ ومنشآت وسحبتهما إلى وسط البحر ولهذا لم يستطيعوا الاستمرار في العمل وبناء الميناء وإكماله.

هنا طلب الشهرستاني جميع المعلومات الأولية والدراسات التي قدمتها الشركة سابقاً كدراسة التربة والأمواج كي يمكن الاستعانة بها والعمل على وفق تلك الدراسات والتصاميم ولكن لم يجد ما يعينه وما يسترشد به من ذلك، رجع قافلاً إلى لندن وحال وصوله عقد اجتماعاً مع أساتذة من ذوي الاختصاص من أعضاء مؤسسة (المركز العالمي للأبحاث الفنية) وكان منهم البرفسور (هوفر) أشهر اختصاصي الأمواج من جامعة (امبريال) وأحد المصممين الكبار للموانئ وتم طرح المشكلة الموجودة فطلب هذا الخبير العالمي (والقول للسيد الشهرستاني) بأن نعطيه مهلة حتى يتمكن من الحصول على المعلومات الكافية من أرشيف

(*) وتبين أن شركة مؤلفة من منظمة أمل اللبنانية وأحد البنوك (ميبكو) تبنت مشروعاً لبناء ميناء في الأوزاعي وقد طلبوا من شركة ألمانية الحضور إلى بيروت وإقامة هذا الميناء، ولكن بعد إنشاء الدعامات والجدران والأسس جاءت السيول وجرفت كل ما تم بناؤه إلى وسط البحر، فاستقر القرار على مفاخرة السيد الشهرستاني.

الجامعة، فاتصل بي هاتفياً في اليوم التالي وأخبرني بأنه حصل على المعلومات الكافية وجاءني في اليوم الذي بعده ومعه المعلومات قائلاً: تمكنت من الحصول على هذه المعلومات من أرشيف الجامعة وهي دراسات أعدتها الحكومة الإسرائيلية للساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وأبدى استعدادة لتقديم هذه الدراسات والتصاميم والحسابات التي أجراها في مقاومة الميناء للأمواج العاتية التي تضرب هذه المنطقة وفعلاً تم نقل تلك الدراسات إلى بيروت بواسطة السيد الشهرستاني وبشرت الشركة برئاسة الشهرستاني أعمالها في ميناء الأوزاعي وتم إنجاز الميناء في خمسة شهور، وقد استطاع الشهرستاني أن يتوصل إلى طريقة مبتكرة في عملية البناء هذه حيث بدأ بدق الخوازيق وملء الأحجار التي يمكن الاستفادة منها في التربة مهما كانت رملية أو صخرية، وقد رست أول باخرة في الميناء بعد هذه الشهور الخمسة من العمل والإنجاز وقد بدأت المؤامرات تحاك مع الأسف حين أخبر السيد الشهرستاني إن أحد مسؤولي الأمن في (منظمة أمل) أخبره بأن باخرة قديمة جيء بها إلى الميناء وتم حرقها هناك لتسد فوهته ولكن والحمد لله تم سحبها ووضعها على جانب واستمر العمل على أحسن ما يرام أو كما ينبغي وأصبح ميناء الأوزاعي هو الشريان الحيوي لنقل البضائع ورسو السفن وسط بيروت من الموانئ الأخرى في البحر الأبيض المتوسط وبخاصة قبرص.

وبعد بناء مطار بيروت الكبير تمت الاستفادة من هذا الميناء كجزء من المدرج الأساس للطائرات مستخدمة ما بني في عرض البحر من منشآت الميناء وقد باعت في النهاية منظمة أمل هذا الميناء إلى شركة الطيران بأضعاف مضاعفة مما أنفقته على المشروع في البداية.

إن أول باخرة رست في الميناء كانت من قبرص وهي تحمل مواداً غذائية تسد حاجة أهل الضاحية الجنوبية وهم غالبية شيعية، ثم استمرت البواخر بنقل المواد المختلفة إلى بيروت وأصبح هذا الميناء المتنفس الرئيس الذي يطل على البحر للشيعية.

وهذا كان بمثابة النموذج الحي والطيب لأعمال شركة السيد محمد علي الشهرستاني في مجال الإعمار والانشاءات التي كانت تقدمها بهذه الصورة.

مشاريع أخرى في لبنان:

بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان ودخول قواتهم إلى بيروت كانت للمحتلين خطة جهنمية تستهدف تهديم كل ما بناه السيد موسى الصدر من مشاريع تربوية واجتماعية وثقافية وإنسانية ومحو كل أثر لها ضمن حملة المشاريع التي استهدفها الإسرائيليون ومنها ضرب مدينة الزهراء للأيتام والتمريض والتي كانت تديرها العلوية الكريمة السيدة رباب الصدر (أم رائد) بعد غياب السيد الصدر وقتل وتشريد طلابها الذين كانوا يدرسون فيها فتم احتلالها وتشريد طلابها الذين تكفلهم أهل بيروت الأخيار وفي هذه المدة العسيرة استطاع الشهرستاني من استغلال (٣٠) الف متر مربع من الأرض في منطقة خلدة شمالاً لإقامة مستوطنة شيعة مشرفة على مطار بيروت وعلى طريق الجنوب وبعد المباشرة في بناء هذه المدينة النموذجية وبعد الانتهاء من الهيكل الخرساني لعمارتين من سبعة طوابق كان الاجتياح الإسرائيلي للبنان فقصفت الطائرات الإسرائيلية هاتين البنايتين وهدمت طابقتين منها ثم سيطر عليها الإسرائيليون ونهبوها واتخذوها مركز اتصالات سلكية ولاسلكية لهم بعد تفجير جميع الأعمال الإنشائية والعمرانية في مدينة الزهراء ومدينة خلدة التي أسست وأنشأت بمساعي وجهود الإمام الصدر.

واستمر الحال حتى الانسحاب الإسرائيلي من بيروت فانتقلت مدينة الزهراء (*) التي كانت في خلدة إلى الجنوب وإلى مكان جديد خلال أربعة أشهر واستطاع الشهرستاني ومن يعاونه من إقامة حوالي (٢٥٠٠م^٢) من البناء الجاهز حتى يمكن استيعاب الطلبة الذين هجروا من بيروت والأماكن الأخرى للانتقال إلى هذا

(*) أستطاع المجلس الاسلامي الشيعي وعدد من الأخيار المؤمنين أن ينشؤوا في المكان نفسه الجامعة الاسلامية ويشيدوا صرحها العلمي والانشائي لتكون معلماً بارزاً من معالم العلم والوطنية في لبنان.

المكان الجديد والاستمرار في الحياة الدراسية ويشير الشهرستاني هنا إلى نقطة جوهرية يؤكد فيها إن الهجوم الإسرائيلي على جنوب لبنان كان من أوليات أهدافه القضاء على جميع الخطط التي رسمها الإمام السيد موسى الصدر لأبناء الجنوب الشيعة بخاصة واللبنانيين بعامة ولكنهم باؤوا بالخسران المبين إذ كانوا يريدون تهديم المؤسسات الثقافية التي بناها السيد الصدر حتى يشردوا الطلاب الذين رباهم في هذه المؤسسات تربية إسلامية حديثة خاصة مدرسة التمريض التي كان يربي فيها الممرضات، وبهذه الصورة طبعي من أن الطلاب يتشردون وينتقلون إلى مدارس أخرى غير ملتزمة وتضع بهذه الصورة كل هذه السنوات التي صرفها الإمام الصدر في تربيتهم الدينية والحديثة المتقدمة ولكن ذهبت أمنيات الإسرائيليين هباءً مع الريح لأن السيدة رباب الصدر وبالتعاون مع الشهرستاني تمكنا من إقامة مدرسة جديدة للتمريض والأيتام في البرج الشمالي من صور في مدة لم تتجاوز ثلاثة أشهر واستطاعا إرجاع واستيعاب جميع الطلبة الذين كانوا في مدينة الزهراء إلى هذا المكان واستمرت الرسالة كما خطط لها الإمام.

أثناء إقامة السيد الشهرستاني في لبنان بعد عودته من السعودية بدأ يعاون السيدة الجليلة العلوية رباب الصدر والتي تحملت كل المسؤوليات في إدارة جميع المؤسسات الخيرية والاجتماعية والثقافية التي شرع بها الإمام الصدر ويقول الشهرستاني: إنني فخور في مساعدة هذه السيدة المجاهدة في إدارتها لمدرسة الزهراء للأيتام بالإضافة إلى مدرسة التمريض التي أنشأها جميعاً الإمام موسى الصدر على أرض اشتراها لهذا الغرض.

وبعد الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان تم تهديم وتخريب كل هذه المؤسسات التي كان يعلم الإسرائيليون مسبقاً إنها مشاريع لبناء الإنسان المسلم بناءً صحيحاً سليماً وهذا ما لا يروق الاحتلال فاستهدفوا تلك المشاريع وعملوا على إزالتها وتخريبها وتشريد من فيها، فالغرض من الاجتياح الإسرائيلي كان واضح الغرض

حين قصفوا المدرسة الدينية التي لم تكن حصناً عسكرياً ولا ثكنة للجيش إنما هي مؤسسة تربوية مدنية، وتم قصف مدينة الزهراء الثقافية وقصفوا جبل عامل ولم يكن فيه شيء إلا الأعمال المهنية والهدف من الاجتياح واضح وهو القضاء على كل المشاريع الدينية والاجتماعية والتربوية التي سعى وعمل من أجلها السيد موسى الصدر، وبعد كل ما حصل من هدم وتخريب وتشريد للطلبة فكر المخلصون بإيجاد مكان آخر بديلاً عن المكان السابق يأوي إليه الطلبة بعد التبعر والتشريد الذي حصل، راح السيد الشهرستاني والسيدة رباب الصدر يبحثان في إيجاد مكان بديل على أن يتم إنجازه خلال العطلة الصيفية ويكون جاهزاً لاستقبال الطلبة بداية العام الدراسي الجديد ليواصل الطلبة دراستهم وتعود الحياة الطبيعية على ما كانت عليه سابقاً، فتم الحصول على قطعة أرض في جنوب جبل عامل وأقيم عليه مبنى للتمريض وآخر للأيتام بمساحة لا تقل عن (٢٥٠٠م^٢)، بحمد الله وقوته تمكن الاثنان من جمع الطلبة ولم شملهم بداية السنة الدراسية، وكان الإسرائيليون يشغلون البناية المشرفة على جبل عامل يراقبون العمل ولكنهم لم يتمكنوا من التعرض لها لأنهم أعلنوا في بداية الأمر بأنهم دخلوا واجتاحوا جنوب لبنان من أجل تخليص اللبنانيين من الفلسطينيين وكانت أكذوبة ما بعدها أكذوبة فمكائدهم كانت تحاك لإيقاف كل بناء شرع به وكانوا يعلمون أنه من بنات أفكار الامام الصدر بعد إكمال المدرسة والتهيؤ للانتقال إليها شب حريق في المبنى وكان بفعل تخريب إسرائيلي ولكننا أصلحنا ما خرب وقمنا بالترميمات اللازمة وتم افتتاح البناية وشرع الطلبة في الدوام بعد افتتاحها في مدينة صور من قبل وزير الصحة اللبناني الأستاذ عدنان مروة وافتتح المبنى بصورة رسمية إشعاراً ببدء الدراسة فيه.

غير إن الحقد الصهيوني لم يتوقف عند هذا الحد فبدأت المؤامرات تحاك ضد كل مشروع يعود للسيد الصدر أو لأتباعه ومؤيديه وأنصاره، فكانت عملية محمد

قصیر الضربة الأولى التي استغلتها القوات الصهيونية حيث دخلت الدبابات الإسرائيلية باحة المدرسة وكان أول شهيد يسقط هو محمد قصیر الذي وقف بوجههم وتحدهم وكان المخطط الإسرائيلي يتضمن هدم المدرسة جميعها واستغلوا العملية الانتحارية في ضرب رتل الدبابات التي كانت تمر في المنطقة واتهم الإسرائيليون المدرسة جميعها بتدبير الحادث وفعلاً وفي يوم من الأيام هجم الجنود اليهود وطرّدوا الأيتام من المدرسة وسيطروا على جميع المكان وانتقل الطلبة إلى مكان آخر تم استجاره لهم ويقول السيد الشهرستاني: وفي الوقت نفسه كنا نقيم مجمعاً (مدينة لمؤسسات الإمام الصدر) التي كانت تشغل أرضاً مساحتها (٣٠) ألف متر مربع تقع على البحر في صور وبصورة تدريجية أعيد بناء المنشآت واستقر الطلاب في القسم الدراسي والقسم الداخلي، كما طلب الشهرستاني من الإخوة اللبنانيين تأسيس شركة لبناء مستوطنة على طريق المطار ولكن لم يستجب له أحد فقرر الشهرستاني القيام بنفسه لأنجاز هذا المشروع وإخراجه إلى عالم التنفيذ فاشترى هذه الأرض الكبيرة وفكر في إقامة مدينة تشمل على (٢٠٠) وحدة سكنية ومسجد ومدرسة ومحطة بنزين وأيضاً مساكن خاصة للعوائل على شكل فلل وبعد الشراء والمباشرة في العمل تم بناء ست وحدات بسبعة طوابق، لتكوّن (٢٠٠) وحدة سكنية، ولكن هذا العمل لم يتم بسبب الاجتياح الإسرائيلي الذي أشرنا إليه فيما سبق حيث تم سرقة المعدات واحتلال المكان واتخاذة دائرة عسكرية ومركزاً للاتصالات السلوكية واللاسلكية أيام الحرب لأنها كانت مشرفة على المطار وعلى طريق الجنوب، كما كان هذا المكان قريباً من مدينة الزهراء التي استفادوا منها باتخاذها موقعاً للمدافع الثقيلة لرمي بيروت، وعاثوا في البناء فساداً فهدموا أجزاء كبيرة منه وكتبوا شعارات معادية للإمام الصدر ولحركة أمل وللمسلمين.

بعد انسحاب الإسرائيليين من بيروت سعى السيد الشهرستاني وآخرون معه إلى إعادة البناء من جديد وإكمال ما دمره الأعداء ولكن بعد إنجازه لا سرعان ما كانت

حرب الجبل والدروز حيث هجموا على المنطقة فسرقوا ما سرقوا من المعدات وبقيت هذه الوحدة جامدة من حيث العمل إلى أن انسحب الدروز واستطعنا من إكمال بنائتين منه إلا أن المشروع بقي على حاله جامداً من ١٩٨١ - ٢٠٠٩.

على كل حال تم أخيراً بيع هذا المشروع بالسعر نفسه الذي تم شراؤه لظروف لم تكن مساعدة للاستمرار في العمل.

هذا جزء من الفعاليات التي قام بها السيد الشهرستاني من أجل خدمة الإسلام والمسلمين الشيعة بالخصوص، والسعي الحثيث على تنفيذ البرنامج السياسي والاجتماعي الذي رسمه الإمام موسى الصدر والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى والمنظمات الشيعية الأخرى.

الانتقال إلى بلد الضباب (تأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية)

في سنة (١٩٨٠م) وبعد أن شعر السيد الشهرستاني إنَّ الغرب الكافر يحاول أن يساوم الدول الإسلامية والشعوب المستضعفة ودولها بتقديم شيء من التكنولوجيا المتطورة نسبياً لقاء الهيمنة على سيادتها وسلبها حريتها واستقلالها والانتقاض على معتقداتها وتراثها والدخول من خلال ذلك إلى داخل حصونها الفكرية وتهديد كل ما يمت إلى أفكارها^(*)، وكان الشهرستاني يتألم لحال الدول النامية ومعاناتها فيما يحاول إيجاد صيغ جديدة لوقف هذا المد التخريبي والمتعمد والمرسوم من قبل المؤسسات المعادية والدول المستغلة الجائرة وبعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران شعر الشهرستاني إنَّ الوقت قد حان للتحرك والعمل من أجل الاستغناء

(*) من هذا المنطلق بادر السيد الشهرستاني إلى تأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية مستهدفاً من وراء ذلك القيام بالأعمال الاستشارية وتقديم الحلول الفنية والتقنية للمشكلات والمشروعات المهمة في البلدان الإسلامية وسائر بلدان العالم الثالث وذلك بالبحث عن الاختصاصيين في المجالات الفنية ودعوة المركز لهم للاستفادة من خبراتهم. ولقد تولى هذا المركز الأعمال الاستشارية الفنية بطريقة مبتكرة أستطاع التوصل من خلالها إلى أفضل الحلول التكنولوجية للمشاريع الكبرى وبأقل كلفة ممكنة. فحينما توصلت الأبواب أمام الحلول الغامضة لمشروع إنشائي أو صناعي فني يرجع المركز إلى صاحب العمل من أجل حل مشكلته وإعطاء التصاميم لمشروعه الذي يعجز عن إقامته وتنفيذه والمركز بدوره أيضاً يستعين بالاختصاصيين العالميين المسجلين في المركز ويطلب منهم الفكرة فقط من أجل الحلول وبعدها بمدة يحضر هؤلاء إلى المركز وكل منهم يناقش الآخر وجهاً لوجه في الدفاع عن رأيه وبالنتيجة يتفقون على أفضل فكرة وأنجح تصميم والمركز بدوره يرسل هذه الفكرة إلى مكاتبه الأخرى ليعيدوا الخرائط التنفيذية الروتينية وبهذا يحصل المركز على أفضل الحلول من كبار الاختصاصيين وبأقل كلفة ممكنة فضلاً عن إيجاد عمل مشترك فني بين أهم الخبراء والعلماء وبين كوادرات المراكز الفنية في البلدان الإسلامية.

عن المساعدات المسمومة المبطنة إلى الدول الضعيفة والاعتماد على الذات ولا يتم ذلك إلا بالتطلعات إلى الخارج وفك أسر التقوقع والانكماش والانفتاح على العالم الخارجي والخروج من العمل المحلي والإقليمي وبدأ مرة أخرى يفكر على وفق نظريته (إعقل ثم توكل).

إنّ دول العالم الثالث (الدول النامية) كما يطلق الغرب عليها تحتاج إلى تكنولوجيا متطورة تساعدها على النهوض من سباتها واللحاق بالركب المتحضر والمتقدم وحينما تشعر الدول الطامعة إلى حاجة الدول النامية لبعض المعلومات تستغل هذه الحاجة وتحاول مساومتها على حساب استقلالها وذلك بعقد أو اتفاق لابل تكييلها باتفاقيات غير متكافئة.

لهذا فكر السيد الشهرستاني أن يستقر في لندن ويجعل منها نقطة الانطلاق ومركزاً للعمل في دول أخرى من بلاد الله الواسعة وبالأخص الدول الإسلامية فبعد دراسة أولية وجد أنّ العلماء والخبراء والباحثين يختلفون في نمط تفكيرهم وتطلعاتهم المستقبلية ونظرتهم إلى العالم تختلف تماماً عن سياسات الدول والحكومات الغربية التي تحاول بأي طريق كان الاحتفاظ بالسيطرة والهيمنة والاهتمام بمصالحها الخاصة، فكانت فكرة تأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية (International centre for technical research) الذي لم يكن بالأمر السهل واليسير ولكن الله كان في عون السيد الشهرستاني وهو كما يعبر عنه إنّ العناية الإلهية والتوكل على الله تعالى كانا سبباً في إنجاز هذا العمل.

سعى الشهرستاني منذ الوهلة الأولى لتأسيس هذا المركز أو المؤسسة العالمية (كما يسميها) أن تضم تحت أجنحتها وتحت مظلتها العلماء والخبراء والمفكرين العالميين الذين يتواجدون في الدول المتقدمة وتعج بهم المؤسسات العلمية المختلفة والإفادة من خبراتهم وتجاربهم والتعاون معهم بنقل هذه التكنولوجيا

المتطورة إلى الدول النامية من دون مساومة سياسية وما شابه ذلك (*).

وبشأن عمل المؤسسة هذه فقد تم طرح الفكرة على زملاء وأصدقاء وشركاء السيد الشهرستاني ومنهم شقيقه المهندس السيد مهدي والسيد حسن الشهرستاني (ابن عمه) وكان الأخير أحدهم لم يستسغ الفكرة وقال إنَّ هذا غير ممكن وطرق بيده على الطاولة التي أمامه وقال: هذا غير ممكن.

وتأمل السيد المهندس الشهرستاني قليلاً وطرح الفكرة على بعض المعنيين من أصدقائه الذين لهم خبرة وقربيين منه في بريطانيا قالوا: إنَّ هذا لن يكون إلا بواسطة برنس (أمير) أو لورد أو ممول كبير لأنَّ القضية عالمية وكبيرة وتحتاج إلى إمكانات كبيرة جداً.

ولكن عزيمة وإيمان السيد محمد علي الشهرستاني وتوكله على الله في كافة أعماله كانت خير دافع للبدء في التأسيس، فباشر بتنفيذ الفكرة الأساسية وتحقيقها وإخراجها إلى عالم الوجود والواقع بعد أن تجاوب معه وعاونه وأرشده إلى التأسيس والتسجيل رئيس نقابة المحامين البريطانيين الأسبق الحقوقي الكبير

(*) وبعد اجتياز مرحلة التأسيس، لا بد من إعطاء فكرة أو أفكار لمن يحتاج إليها في دول العالم الثالث تتعلق بالمشاريع التكنولوجية المتطورة وطرق حلها ومن ثم كان الهدف من تأسيس المؤسسة الأعمال الاستشارية التقنية والفنية التي كانت الدول الغربية تساوّم عليها الدول النامية ولا تقدم لها الحلول إلا بشروط ظالمة ومجحفة، فنحن عن طريق مؤسسة الأبحاث العالمية نحاول إعطاء التصاميم والدراسات الكافية لعدد من تلك المشاكل المطروحة من قبل دول العالم الثالث وبالذات الدول الإسلامية، كانت الفكرة بهذه الصورة إنَّ المشكلة تطرح على المؤسسة والمؤسسة تدعو الاختصاصيين من أجل إيجاد الحلول أو إعطاء التصاميم لطالبيها، ونحن نحاول (أي السيد الشهرستاني ومؤسسته) أن نستخرج من القائمة الموجودة عندنا للأعضاء الذين سجلوا في هذا المركز نستخرج عدداً معيناً لا يتجاوز الخمسة أو السبعة من المختصين ممن لهم تخصص في مجال معين وندعوهم للاجتماع حول طاولة في مركزنا بلندن ونطرح عليهم الفكرة أو المشكلة ونطلب منهم إعطاء الحلول أو الفكرة (كونست) عن الحلول المقترضة مع خلاصة عن الحلول الجوهرية والنقاط الأساسية لكيفية تنفيذ هذا المشروع، وبالفعل كانت بعض المشاريع من أفكار وإنجازات المؤسسة ورئيسها نغذت في كثير من البلدان عن طريق مكاتبنا المنتشرة في بيروت وإيران والهند ونيويورك، ومنها لبنان عند إنشاء ميناء الأوزاعي على البحر ولهذا حديث خاص مفصل في هذا الكتاب.

السير جون بالمر (Sir John Palmar) وتم تسجيل هذا المركز لدى الدوائر الحكومية البريطانية كمؤسسة خيرية هدفها نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة إلى الدول النامية.

بدأ السيد الشهرستاني بدعوة الأساتذة والخبراء ورؤساء مراكز الأبحاث في الجامعات الأوروبية والأمريكية والدول الأخرى المتقدمة للعضوية في هذا المركز حتى وصل عددهم إلى ما يربو على الألف ومائة عضو وفيهم من يحمل جائزة نوبل العالمية ومنهم من يحتل مركزاً مرموقاً في الجامعات ومراكز البحوث والصناعات.

وكانت جامعة لندن من أبرز الجامعات التي اتصلنا بها، وحصلنا على زميل تعاون معنا ورحب بالفكرة وهو البروفسور (باركستن ناث) وهو من الشخصيات العلمية البارزة ويحمل الجائزة العلمية والأكاديمية المعادلة لـ (الدكتوراه المتفوقة)، هذا الرجل تعاون كل التعاون ولقيت منه المؤسسة كل التجاوب وأصبح عضواً من أعضائها وحينما فكر المؤسسون (وعلى رأسهم السيد الشهرستاني) المباشرة بالعمل اختير لأن تكون له محاور أو قنوات مختلفة منها: إصدار مجلة تكنولوجية تتمكن أن تنقل التكنولوجيا المتطورة من الدول الراقية إلى الدول النامية وتستطيع المؤسسة التحرك من خلالها لتحقيق أهدافها.

أما المرحلة الثانية أو القناة الثانية فهي الأعمال الاستشارية الكبرى التي تضطر الدول النامية إحالتها إلى المؤسسات الدولية الكبيرة.

أما المرحلة الثالثة فهي عقد مؤتمرات دولية لحل المشكلات العالمية العالقة كالأمن الغذائي والمجاعة والفقر وأزمة السكن وغير ذلك.

ولهذا باشرنا (والقول للسيد الشهرستاني) بالعمل في إصدار مجلة كأول خطوة ننقل عن طريقها الدراسات التكنولوجية المتطورة للتنمية التي تبحث في رسائل الدكتوراه من الأستاذ الاختصاصي وطلاب الدكتوراه في الجامعات الكبيرة ونقدم

خلاصة (Abstract) لتلك الرسائل والأطروحات عن طريق هذه المجلة التي تتسم بالطابع العلمي الأصيل وتكون مجلة محكمة تصل إلى أيدي جميع المعنيين والحكومات، وبخاصة الدول النامية لعلها تواكب الدراسات العالمية المتطورة وتكون هذه المجلة واسطة لنقل خبرات الدول المتقدمة الراقية في أعمالها ومشاريعها بالمجان إلى الدول التي تفتقر إلى تلك الخبرات وبخاصة مشاريع التنمية التطويرية في العالم التكنولوجي والحلول لتلك المشكلات بعنوان:

((International Journal For Development Technology

ويرمز لها (I.J.D.T) وأصبحت هذه المجلة مصدراً مهماً للأبحاث المتطورة سواء في مقالاتها وأبحاثها أم في تنوع وأهمية موضوعاتها، وفي آخر صفحات المجلة وضعت استمارات لطلب الانتماء لهذا المركز العالمي وفعلاً تم وبسرعة إنتماء قرابة (١١٠٠) عضو من مختلف الاختصاصات، وضمت الهيئة الاستشارية (٣٧) أستاذاً من ذوي الاختصاص ومن رؤساء المراكز التقنية للدراسات في الدول المتقدمة وكانت استجابتهم عالية، وصدرت المجلة بهيئة تحرير يبلغ عددها (١٦) عضواً وكل واحد منهم يحمل اختصاصاً مهماً في مجالات تقنية مهمة ومن دول مختلفة.

وهكذا استطاعت المجلة أن تزود من يحتاجها في العالم الثالث بالأفكار وكل ما يتعلق بالأعمال التكنولوجية المتطورة والمشاكل وطرق حلولها.

أما القناة الأخرى التي عمل ضمن محورها فهي إقامة المؤتمرات الدولية لحل المشكلات العالمية مثل معالجة قضية الفقر والمجاعة والإسكان والتعليم، فحاولت المؤسسة عقد مؤتمرات دولية دُعي إليها كبار الاختصاصيين في العالم لتقديم الحلول المناسبة والناجحة لمعالجة معظم تلك المشكلات التي تعاني منها الدول النامية وشعوبها وتقديم المقترحات والحلول للمسؤولين في تلك الدول وبخاصة الإسلامية منها ومن تلك المؤتمرات التي يتذكرها السيد الشهرستاني: مؤتمر القضاء على الفقر والمجاعة في أندونيسيا، ومؤتمر الإسكان العالمي في لندن.

مؤتمر القضاء على الفقر والمجاعة في العالم (في أندونيسيا)

عقد هذا المؤتمر الذي حضره عدد من كبار الأساتذة المعنيين والمختصين بالشؤون الزراعية والاقتصادية، وقد تقدم السيد محمد علي الشهرستاني بمشروع متكامل لتبديل الغابات إلى مزارع نموذجية وكيفية القضاء على الفقر والمجاعة في العالم وأثبت فيه كيف يمكن تأمين الغذاء لجميع سكان العالم باستثمار الغابات في أندونيسيا وحدها، وتأمين غذاء أربعة أضعاف سكان العالم الفعليين باستغلال الموارد الطبيعية في المنطقة الاستوائية (أي المناطق التي يعيش فيها أكثر من ٧٥٪ من فقراء العالم)، فضلاً عن نقض نظرية تحديد النسل، كما أثبت في بحثه: إنَّ زيادة السكان لم تكن مشكلة بل المشكلة في الإدارة والتنظيم واستثمار المواهب والنعم الإلهية.



29-30 NOVEMBER 1983
THE INTERCONTINENTAL BOROBUDOR HOTEL
JAKARTA

Organized by the
International Centre for Technical Research London
in collaboration with the
Ministry of Transmigration
Government of Indonesia, Jakarta

كتلوك مؤتمر الهجرة المعاكسة في أندونيسيا سنة ١٩٨٣م

وتوصل المؤتمر إلى أن أندونيسيا وحدها قادرة على تأمين غذاء العالم الفعلي بما يكفي خمس مليارات من البشر، وأما المنطقة الاستوائية (كالفلين وتايلند) وجزء من الهند وأفريقيا وحتى أمريكا الجنوبية هذه المناطق تتمكن من تأمين الغذاء لخمسة أضعاف سكان العالم أي (٢٥) مليار نسمة وذلك باستبدال الغابات والأحراش وتحويلها إلى مزارع، وهذه المزارع تنتج المحاصيل الزراعية المختلفة، والمحاصيل الغذائية المتنوعة للبشرية لأنها غير مشتهرة بالشكل المطلوب ولم يستفد منها العالم بسبب عدم تنظيمها وزراعتها بشكل علمي.

كانت هذه هي القضية الأولى التي تمكن منها السيد الشهرستاني ومجموعته وهذه من جملة النتائج التي تمخضت عنها أفكاره الحية في مثل هذه المؤتمرات أما القضية الثانية لحل هذه المعضلة هو أن يكون المشروع أداة لإيجاد فرص العمل للعاطلين والاستفادة من طاقاتهم البشرية في تنفيذ مثل هذه المشاريع الزراعية والصناعية والإنشائية، وفيما إذا نفذت سينخرط العاطلون في مثل هذه المشروعات وتتخلص ظاهرة البطالة وينمو الدخل ويتعش الاقتصاد.

وكانت الحكومة الأندونيسية قد حاولت سابقاً أكثر من مرة إيجاد الحلول اللازمة لمشكلة الهجرة من الريف إلى المدن وإلى العاصمة بالذات ومنذ عام (١٩٧٤م) أسست وزارة لهذا الغرض للحد من ظاهرة الهجرة وقد خصصت خمسة آلاف دولار لكل عائلة ترغب في العودة إلى مزارعها وأراضيها (الهجرة المعاكسة) وتقديم الخدمات للعائدين، ولكن المستفيدين كانوا يأخذون المبالغ من الدولة ويصرفونها في مجالات لا علاقة لها بأصل الموضوع وينفقها المواطن على شؤونه الخاصة وشؤون عائلته ومن ثم يعود ثانية إلى العاصمة متسكعاً ويبحث عن عمل يعتاش به ومن ثم فشل المشروع فشلاً ذريعاً.

وقد قدم السيد الشهرستاني علاجاً لهذه الحالة حيث رسم مشروعاً حيوياً وأساسياً يمكن تطبيقه في كل المناطق الاستوائية والغنية بالثروة الحيوانية وهو عبارة

عن مشاركة القطاع الخاص مع العام وحدد نماذج لخمسة آلاف عائلة والحكومة تدفع عن كل عائلة خمسة آلاف دولار التي كانت تصرف لها سابقاً من دون حسيب ورقيب فيكون مجموع ما يدفع من قبل الحكومة للعوائل هو (٢٥) مليون دولار ومثله يدفع القطاع الخاص والإدارة للقطاع الخاص ويخصص حوالي عشرة آلاف هكتار لهذه المؤسسة المشتركة مساحة من الغابات التي لم تستثمر إلى الآن وقسم منها لم يدخل إليها أحد حتى الآن، وعلى كل حال يتم:

١. قطع وجذ الأشجار والاستفادة من أخشابها.
 ٢. استصلاح الأرض واستبدالها بأرض صالحة للزراعة حيث توفر إنتاجاً زراعياً نافعاً كالحنطة والشعير والرز وجميع الحبوب المختلفة.
 ٣. إقامة وحدات ومجمعات صناعية لمنتجات زراعية كمصانع السكر والتعليب... إلخ، كلها بواسطة هذه المبالغ الـ (٥٠) مليون دولار.
- وقد حرر السيد الشهرستاني كتاباً حول الموضوع مع دراسة وافية عن هذا الأمر عالج فيه دقائق الأمور المتعلقة بالمشروع وحسابات الكلفة الضرورية لإقامة هذه المشاريع وبالنتيجة استثمار عشرة آلاف هكتار يخصص لكل عائلة منها هكتاران. وخلاصة الموضوع إنَّ المشاركة بين القطاع الخاص والعام في استثمار هذه الأراضي والغابات البائرة واستبدالها وتحويلها إلى مزارع ومستوطنات زراعية يمكننا الحصول على نتائج مثمرة يمكن تلخيصها بالآتي:

١. تحفيز العامل بدلاً من الأشتغال في مركز العاصمة ومراكز المدن الكبرى إلى العودة إلى قريته والعمل في حقله الزراعي والخلاص من متاعب المدينة وضجيجها وتلوث بيئتها إلى مجال أفضل يكسب فيه المكسب نفسه الذي يحصل عليه في المدينة من دخل وميزات أخرى وبذلك يكون قد ضمن وسائل عيشه ووفر رزقاً كافياً له ولأسرته.
٢. تأمين سكن لائق مجاني له في القرية أيضاً وهذا عامل محفز مهم للهجرة المعاكسة.

٣. شق الطرق وحفر القنوات وبناء السدود كلها عوامل للنهوض بالزراعة وتكون من العوامل المشجعة للفلاح في ممارسة أعماله وكذلك توفير البذور وآلات الزراعة وغيرها من المستلزمات التي يحتاجها، إنها حتماً ستكون عوامل مشجعة له وستدر عليه أرباحاً سنوية أكثر مما يحصل عليه في المدينة، وخرجت الدراسة إلى أن المستثمر الذي ساهم بـ (٢٥) مليون دولار سيربح ٢٣٪ من رأس المال الذي وظفه في هذه العملية وسيحصل الفلاح بعد سنوات قليلة على مأوى ومسكن ويعيش في مستوطنة حديثة وجميلة كما سيحصل على خبرة طويلة لتحسين الزراعة والمحصول وبعدها أرض لكل عائلة بمساحة دونمين تُملك له للاستفادة منها فيصبح صاحب ملك وصاحب بيت وصاحب مدخول اقتصادي جيد دائم، وبهذه الطريقة تحيا المنطقة كلها وتصبح منطقة مؤهلة لتأمين الحياة السعيدة ويُقضى على الفقر والمجاعة.

هذه هي إحدى المشاريع التي أقدم عليها السيد الشهرستاني وفي هذا المؤتمر (مؤتمر التهجير المعاكس) في أندونيسيا تمكن السيد الشهرستاني من البرهنة والإثبات بأن المقترحات التي تقدم بها هي الكفيلة بالنهوض التنموي والاقتصادي ووقف الهجرة من الريف إلى المدن.

ولا ننسى مسألة الانفجار السكاني لأن العالم في تزايد سكاني مستمر وفي كل سنة تتجدد معضلات ناجمة عن هذا الانفجار والنمو السكاني وقد قدم السيد الشهرستاني دراسة حول الموضوع مفادها إن زيادة النسل لم تكن المشكلة إنما تنظيم وتنسيق ووضع البرنامج الصحيح الاقتصادي والسياسي هو الكفيل لعلاج هذه المعضلة وبواسطته يتمكن من أن يُشبع الفقير ويشغل العاطل ويرتفع مستوى المعيشة نحو الأفضل والأحسن، وهذا الموضوع يعدُّ من الموضوعات العالمية المهمة والملحّة ولم تنفع الشعارات الإعلامية والخطب المنبرية أو الخطابات العاطفية في حلها أو التخفيف من أخطارها ولكن الخطط هي الكفيلة بالحل الناجح الصائب وهذا ما سعى إليه دائماً السيد الشهرستاني.

مؤتمر الإسكان العالمي بمشاركة اليونسكو وهبئات (في لندن)

في سنة (١٩٨٧م) أعلنت هيئة الأمم المتحدة إن هذه السنة سنة تأمين المأوى لمن لا مأوى له وهي من المشكلات التي تشغل بال المخططين الاقتصاديين في العالم، وطلب السيد الشهرستاني من جميع الدول الأعضاء عقد ندوات وإقامة مؤتمرات من أجل تقديم أفضل الحلول لمعالجة قضية السكن المناسب للإنسان بوصف هذه المشكلة من المشكلات التي تعاني منها جميع شعوب العالم الثالث بخاصة، فكان المؤتمر الدولي الوحيد لهذه المشكلة هو المؤتمر الذي عقده المركز العالمي للأبحاث الفنية بالمشاركة مع اليونسكو والوكالة العامة لشؤون السكن التابعة لهيئة الأمم المتحدة (هبئات) في لندن وهذه المنظمة شبيهة باليونسكو للثقافة واليونسيف للصحة ومركزها في نيروبي وهي تعالج قضايا الإسكان في العالم، وقد عقد المؤتمر في جامعة (آمبريال كولج) في لندن حضره ممثلون عن (٥١) دولة وقدموا من خلاله أكثر من (١٣٩) بحثاً في جميع المجالات الفنية والتقنية والاقتصادية والمالية في قاعات مختلفة.

كما قدمت مؤسستنا (المركز العالمي للأبحاث الفنية) والحديث (للسيد الشهرستاني) التي عقد المؤتمر بواسطتها حلولاً فنية ومعمارية شاملة عن كيفية اختيار العنصر المناسب والتصميم الصحيح والاستفادة من المواد الإنشائية والقوى العاملة في كل قطر من أقطار العالم مع الأخذ بنظر الاعتبار المناخ والثقافة والموارد الطبيعية المتوفرة والكفاءة والمهارة الحرفية الموجودة وقد أثبتت الشركة ورئيسها السيد الشهرستاني من خلال العرض الذي تقدم به والكتاب الذي قدمه

حول هذا الموضوع (Appropriate Urban Planning In Developing Countries) ومجموعة من الخرائط بلغ عددها (١٢) مجموعة من الخرائط لنماذج مختلفة من المساكن كل منها لمنطقة من المناطق في العالم متشابهة من حيث المناخ والثقافة والمقدرة الفنية والمواد الإنشائية المتوفرة، وأثبت بالدليل القاطع من أن مشكلة السكن يمكن حلها بتأمين سكن ملائم يتسم بالمواسفات الدولية المقبولة ويتلائم ويتناسب مع كل المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى لذوي الدخل الشهرية أو السنوية الضعيفة أو المتدنية فيمكنهم الاستفادة منها، كما أثبت العرض مقارنة بين التخطيط القديم للمدينة والتخطيط الجديد لها. وبعد انتهاء هذا المؤتمر تم عقد جلسة لتقويم النتائج فظهر أن جميع الحلول الفنية والاقتصادية والمالية متوفرة ويمكن تطبيقها والقضاء على هذه المشكلة العالمية من خلال الدراسات والتصاميم التي قدمها السيد الشهرستاني، ولكن رئيس منظمة الوكالة العالمية لشؤون الإسكان التابعة للأمم المتحدة (هيئات) قال: إن المشكلة لم تكن مشكلة فنية أو اقتصادية بقدر ما هي مشكلة سياسية فلطالما قدمنا حلولاً وافية وكافية لكثير من دول العالم الثالث ولكن سياسياً أو شخصياً باءت بالفشل.

ونتيجة لذلك يقول السيد الشهرستاني إنني توصلت إلى أن المشكلة مشكلة الإنسان نفسه وبخاصة مستواه الثقافي والعلمي والأكاديمي والتربوي وهذا يجب حله عن طريق الدراسات الجامعية والدراسات العليا لرفع المستوى الثقافي والعلمي للمواطن المسلم وفي مقدمتهم شريحة الشباب حتى إذا دخل الشاب معترك الحياة دخلها وهو على أتم الاستعداد لمجابهة خصومه المتسلحين بالعلم والتكنولوجيا الحديثة بالسلاح نفسه الذي يتسلحون به.

تأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية والمشاركة مع اليونسكو:

في ضوء ما تقدم (والكلام للسيد الشهرستاني) فكرت في الدراسات الجامعية والدراسات العليا، ودرست الموضوع ملياً فوجدت إنَّ الدراسات العليا تواجه أربع مشكلات أساسية.

المشكلة الأولى: المستوى العلمي والأكاديمي ويتلخص في عدم وجود أساتذة أكفاء بالمستوى المرموق وبالعدد الكافي للتعليم في الجامعات، لأنَّ الجامعات تزداد يوماً بعد يوم وعدد الطلاب الذين ينتسبون إليها كثيرون، لذا تضطر الجامعة إلى الاستفادة من أساتذة يعدّون في الدرجة الثانية والثالثة وبطبيعة الحال فإنَّ المستوى العلمي والأكاديمي لهؤلاء أقل من أساتذة الدرجة الأولى وبهذه الصورة مستوى الطلاب يضعف شيئاً فشيئاً.

المشكلة الثانية: الكلفة المالية، كلنا نعلم إنَّ كلفة الجامعات كلفة باهضة وتشغل حيزاً مهماً في ميزانية الدول، ولذا تحدد في ميزانية الدولة وهذا ما ينعكس على العجز المالي في الجامعات وهذا بطبيعة الحال ينعكس أيضاً على المستوى الأكاديمي للجامعة.

المشكلة الثالثة: العدد المتزايد من خريجي الثانويات الذين يرغبون في الاستمرار في الدراسات الجامعية أو الدراسات العليا، وهذه الظاهرة في معظم الدول النامية ملحوظة وأكثرها في إيران لأنَّ الطلاب الذين يسجلون في امتحان دخول الجامعة يبلغ عددهم سنوياً ما يزيد عن (٥, ١) مليون طالب مع العلم أن سعة الجامعات جميعاً لقبول الطلاب لا تزيد عن (٢٥٠ - ٣٠٠) ألف طالب أي إنَّ الباقيين يقفون وراء أبواب الجامعات.

المشكلة الرابعة: الانتقال للدراسة في الدول الأوروبية وغيرها، إذ إنَّ الطلاب الذين يساعد وضعهم الاقتصادي الانتقال إلى الخارج فإنهم يذهبون للدراسة خارج بلدتهم لمواصلة في الدراسة وهذه ظاهرة جيدة من ناحية إذ أنهم يكتسبون

الخبرة من الدول المتقدمة ولكن في الوقت نفسه تعدّ ظاهرة خطيرة لأنهم يتأثرون بالثقافة والبهرجة الغربية ويرجعون إلى بلادهم دعاة لتلك الحضارة الغربية.

لذا أصبحت (والقول للسيد الشهرستاني) أفكر في حلّ أتمكن بواسطته القضاء على هذه المشكلات وأستعين بالله لإمكانية وضع أسلوب جديد للدراسة الجامعية أتمكن به تلافي المشكلات المذكورة حتى أتمكن من وضع أساس لجامعة عالمية بالأسلوب الجديد. والحمد لله رب العالمين الذي أعانني على ذلك وقدمت عن طريق المركز العالمي للأبحاث الفنية أسلوباً جديداً للتعليم في ضوء التقدم التكنولوجي الحاصل في الحال الحاضر، كما يجب الإشارة إلى مراحل التعليم الجامعي الذي كان سائداً إلى هذا التاريخ.

ابتدأ العالم بالتعليم الجامعي عن طريق المراكز الجامعية والتعليم المباشر بواسطة الأساتذة وكما هو سائد إلى الآن ولكن لما كانت الطلبات المتزايدة التي تأتي من البلدان المختلفة إلى الجامعات والجامعات تواجه الصعوبات المذكورة أعلاه اختارت التعليم بالمراسلة عن بعد وهذا الأسلوب لم يكن ناجحاً على الإطلاق لأنه لا يمكن بواسطته إيصال المعلومات إلى ذهن الطالب ولا يمكن الاعتماد على الامتحان الذي يجري له في بلده، لذا جاءت الطريقة الثالثة وهو أسلوب الجامعة المفتوحة وابتدأت به بريطانيا بتأسيس الجامعة المفتوحة في لندن (Open University) هذا الأسلوب يركز على كتابة الدروس في كتب توضيحية مفصلة تمكن الطالب من فهم الموضوعات العلمية فأستمرت مراكز امتحانية في نقاط مختلفة لامتحان الطلاب تحت إشراف الجامعة، وبهذه الصورة يمكن أن يستوعب الكم ولكن لا يمكن حل مشكلة الكيف لأن الطالب كان يرغب في أن يرى الأستاذ وهو يقدم المحاضرة ليتفاعل معه في حركاته وسكناته وملاحظاته التي يسجلها على اللوحة السوداء.

لذا كان علينا أن نأخذ جميع المشكلات التي ذكرناها وجميع هذه المراحل

الدراسية التي مر بها العالم لأن نقدم أسلوباً جديداً يتلافى المشاكل ويكمل النواقص، وقدمت الأسلوب الجديد (والقول للشهرستاني) على الصورة التالية: لتلافي المشكلة العلمية والأكاديمية يمكننا أن نطلب من الأساتذة الأكفاء أو لربما أفضل أستاذ أينما كان وأن ندعوه إلى مركز الجامعة لمدة لا تتجاوز شهرين كأستاذ زائر، وهذا الأستاذ يقدم محاضراته إلى الطلاب ونحن نسجل هذه المحاضرات على أشرطة الفيديو، وهذه الأشرطة التي كانت أنموذجاً حياً للأستاذ وهو يلقي محاضراته ويمكن مشاهدته والتفاعل معه وأخذ ملاحظاته التي يدونها على اللوحة أو المعادلات والخطوط البيانية التي يرسمها فيتمكن الطالب من استيعاب الدرس جيداً كما هو حاضر في الصف بل أكثر من ذلك لأنه يتمكن من إعادة الشريط وملاحظته ثانية وثالثة.

وبهذه الصورة وإلى هذه المراحل كنا قد تمكنا من رفع المستوى العلمي والأكاديمي للطلاب بتعليم الدرس من قبل أفضل أستاذ في مجال اختصاصه، وكنا قد قدمنا حلاً للمشكلة المالية لأن الشريط يمكن تكثيره وتوزيعه بعدد كبير وبكلفة بسيطة جداً بدلاً من أن يكون في كل صف أستاذ يدفع له حقه عن إعطاء الدروس، وكذلك كنا قد قدمنا حلاً للمشكلة الثالثة وهي مشكلة زيادة عدد الخريجين من المستوى الجامعي أو الاعدادي لأنه لا حاجة للحضور إلى الجامعة بل توزيع أشرطة على الطلاب وإدخال الصف إلى بيوتهم بدل حضورهم الفعلي في الصف. كان هذا حلاً لتأمين المستوى العلمي المرموق وإيصال المعلومات بصورة أفضل من ذي قبل إلى ذهن الطالب ولكن كانت المشكلة الثانية وهي الاطمئنان إلى أن الطالب قد استوعب هذه المعلومة، أي مشكلة الامتحانات.

ولحل مشكلة الامتحانات قدم السيد الشهرستاني اقتراحاً مع هذا الأسلوب بأن تقيم هذه الجامعة العالمية التي تدرّس بهذا الأسلوب مراكز امتحانية في نقاط مختلفة من الدول أو المدن بحسب عدد الطلاب المتممين لهذه الجامعة لإجراء

الامتحانات لهم بإشراف الجامعة التي ترسل الأسئلة من مركزها والتي توضع من قبل الأساتذة المحاضرين وفي المركز الامتحاني لم يكن شيء مهم إلا الإشراف على امتحان الطلاب، و ثم ترسل الأجوبة الامتحانية إلى الجامعة التي تصحح هذه الأوراق بواسطة المحاضرين أو مَنْ ينسبونه، وبهذا يمكن الاطمئنان الكافي على صحة الامتحانات ومستوى استيعاب الطلاب وتقديم الشهادة الرسمية.

ويقول السيد الشهرستاني: كان علينا أن نقدم هذا الأسلوب إلى منظمة اليونسكو لنشره في العالم وتعميمه على البلدان المختلفة وبخاصة الدول النامية.

وللاتمء إلى اليونسكو كان علينا أن نؤسس جامعة تكنولوجية (وهو اختصاص الغرب) لنقدمه إلى اليونسكو طالبين منهم المشاركة مع المركز العالمي للأبحاث الفنية لتبني هذا المشروع وتسويقه إلى العالم، فأسسنا في البداية الجامعة التكنولوجية العالمية (International Technological University) وكان مجلس أمنائها يتألف من (Lord Perry of Walton) وهو مؤسس الجامعة المفتوحة البريطانية، و (Sir John Palmer) وهو نقيب المحامين البريطانيين، و (Sir Fredrick Warner) وهو حامل جائزة نوبل، و (Sir Monty Finiston) وهو رئيس جامعتين بريطانيتين، وكان رئيس مجلس الأمناء (الدكتور محمد علي الشهرستاني) المؤسس لهذه الجامعة.

وعند تقديمنا طلب المشاركة مع اليونسكو قدم رئيسهم الدكتور (Amadou - Mahtar M`Bow) دعوة إلى الدكتور الشهرستاني للمقابلة، وفي ضوئه قرر تأليف لجنة عليا لدراسة هذه المشاركة، فتألفت اللجنة من خبراء التعليم الجامعي في اليونسكو لمناقشة الموضوع، وفي بداية الاجتماع طرح رئيس الجلسة موضوعاً وسؤالاً موجهاً إلى الدكتور الشهرستاني وقال: إنَّ الحكومة اليابانية منذ خمسة عشر عاماً تفكر في تأسيس جامعة عالمية يكون مركزها في اليابان ولكن لم توفق لذلك إلا بتأسيس جامعة للدراسات العليا وذلك بعد صرف مبالغ طائلة قاربت

سبعين مليون دولار، ودول أمريكا الجنوبية التي تتكلم اللغة اللاتينية أرادت أن تؤسس جامعة باللغة اللاتينية مشتركة بين هذه الدول ولم توفق، والفلسطينيون أرادوا أن يؤسسوا جامعة عربية موحدة بداية الأمر في لبنان ولم يتمكنوا ومن ثم أرادوا تأسيسها في قبرص ولم يتمكنوا، والآن أتيت أنت تريد أن تؤسس جامعة عالمية فكيف يمكن ذلك؟ !!! فأجبتة بجملة واحدة، إنَّ الفكرة الجديدة مثل التكنولوجيا الجديدة، وما أتيت به هي فكرة جديدة تختلف عن الأساليب المتبعة إلى الآن في العالم، وأتم هنا خبراء العالم يمكنكم دراسة الأسلوب فإذا قبلتموه ووجدتم أنه الأفضل ويمكن تلافي المشاكل وهو يأتي بشيء جديد تقبلوه وتقرؤه، وإن لم يكن كذلك تنسوه وأنساه أنا وزملائي، فما كان من نتيجة الاجتماع إلا إقرار مشاركة اليونسكو مع الجامعة العالمية للعلوم التكنولوجية (I.T.U).

وبعد تأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية (I.T.U) صدر إعلان من اتحاد الدول الأوروبية يطلبون فيه تقديم برامج لرفع مستوى دول أوروبا الشرقية (بولندا وبلغاريا ورومانيا وحتى تركيا....) من الناحية التكنولوجية لإيصالهم إلى مستوى أوروبا الغربية، فقدمت حوالي (٢٥٤) جامعة ومؤسسة تعليمية في أوروبا عرضها إلى الاتحاد وكانت الجامعة التكنولوجية العالمية (I.T.U) إحدى هذه الجامعات التي قدمت عرضها على أساس الأسلوب الجديد من التعليم، وكانت النتيجة أن قرر الاتحاد انتخاب عرض (I.T.U) وعقد اتفاقيات معها لإعطاء كورسات في مستوى الماجستير الأوروبي لهذه الدول، وهذه الاتفاقية أعيد توقيعها لمدة عشر سنوات للدول المختلفة من أوروبا الشرقية.

وكانت الجامعة التكنولوجية العالمية تمنح شهادات التخرج في مستوى (الماجستير الأوروبي) إلى الطلاب المتخرجين وكانت هذه الشهادات تحمل تواريخ من أربع إلى سبع جامعات أخرى، إلى جانب الجامعة التكنولوجية لأنَّ الأساتذة الذين كانوا يدرسون في هذه الكورسات هم من عدة جامعات.

وهذه الجامعة مستمرة في أعمالها وأنشطتها حتى اليوم وأصبح لها مكان مرموق بين الجامعات الأخرى حتى كتب رئيس اليونسكو السابق (Federico

(Mayor) رسالة إلى أحد الشخصيات المهمة يطلب منه التعاون مع هذه الجامعة يقول فيها: (إنني بصدق أعتقد إنَّ موفقية (I.T.U) سوف يعطي اليونسكو اعتباراً كبيراً لأنه يتمكن أن يقدم خدمة كبيرة في مجال التعليم للأعضاء الآخرين، كما وقع وزير الاتحاد في الأتحاد السوفيتي السابق بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٨٨ م مذكرة تفاهم مع رئيس الجامعة الدكتور محمد علي الشهرستاني لرفع المستوى التكنولوجي للأساتذة الذين يرسلهم الاتحاد السوفيتي إلى لندن لهذا الغرض.

تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية:

بعد أن ترسخت أقدام الجامعة التكنولوجية في أوروبا فكّر السيد الشهرستاني في تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في ضوء التجربة التي حصل عليها في تأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية، لأنَّ الهدف الأساس من كل هذه الحركة أي تأسيس الجامعات ووضع الأسلوب الجديد للتعليم الجامعي كان الغرض منه وضع أسس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ولما لم يكن باستطاعته دخول العالم الغربي حتى يدخل أوروبا أو اليونسكو إلا بالعلوم التكنولوجية، لذا باشر وجماعته العمل بالجامعة التكنولوجية العالمية كي يمكن الوقوف على دقائق الأمور وخفاياها حتى إذا عزم على تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية يكون قد تجاوز المعضلات والصعاب.

يقول الشهرستاني: في سنة (١٩٨٩م) قَدَّمنا رسالة إلى بعض العلماء والفضلاء نطلب منهم التعاون معنا في تأليف الهيئة العلمية للجامعة وكان نص الرسالة الآتي:

إلى / أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء الهيئة العلمية المزمع
تشكيلها للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية
من / د. سيد محمد علي الشهرستاني
الموضوع: الخطوط العريضة للبرامج الدراسية في الجامعة

تمهيد

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على رسول هدايته الذي أرسله رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد..

إن ظاهرة افتقار شعوب العالم بجميع نحلهم وطبقاتهم وقومياتهم ولغاتهم إلى الثقافة الدينية والأصالة العلمية ظاهرة لم تخف على أي إنسان فكيف بالعالم والمحقق والكاتب والمرشد، فالناس بالفطرة تواقون لمعرفة دينهم وأحكام مذهبهم ولكن بالفعل هم جهلاء مستضعفون بعضهم قاصر لا يجد من يعينه في معرفة دينه وإشفاء غليله وآخرون مقصرون غلبت عليهم شقوتهم فهم في شقائهم متخبطون ولا شأن لنا بهؤلاء، ولكن همنا القاصرون الذين يضعون كل من عرف هذا الافتقار في قفص الاتهام، قائلين نحن القاصرون وأنتم المقصرون.

هذا الافتقار لم ينحصر في المتعلم فحسب بل هناك افتقار إلى العالم المستوعب لأصول دينه والمتفقه في أحكام الله حلاله وحرامه فإن عدد هؤلاء من القلة بحيث لا يصل نسبتهم إلى الواحد بالعشرة آلاف لكل مكلف طالب للهداية، ناهيك عن حقيقة مرة يجب الاعتراف بها أن العلماء والفضلاء ورجال الدين الذين تقع على عاتقهم مهمة الدعوة والإرشاد في طبقتين طبقة عالمة حقاً، وصل أفرادها إلى درجة رفيعة من العلم والفضل، فهم بالمستوى الذي وصلوا إليه غير قادرين على إقناع أناس متعلمين بعيدين عن المقدمات الأولية والمصطلحات الفقهية والتعابير الكلامية، لا يتمكنون من الصعود إلى المستوى الذي فيه العالم، كما لا يتمكن للعالم أن ينزل إلى المستوى الذي يمكنه إقناع هذا المتعلم، والطبقة الأخرى من

رجال الدين هم الذين لم يصلوا إلى المراحل العالية من المستوى العلمي بل اكتفوا بالسطوح فهم غير قادرين على دفع الشبهات أو حل المعضلات العلمية أو الإجابة على المسائل المعقدة، والعامّة من الناس في كلتي الحالتين لا يتمكنون من الاستفادة لا من فطاحل العلماء ولا من المبلغين المحليين وطلاب العلوم الدينية المتعلمين وبين الطبقتين طبقة من العلماء الذين نالوا نصيباً وافراً من العلم ولهم الحظ الأوفر في قوة الإقناع والبيان وهؤلاء مع مزيد الأسف لا يشكلون عدداً يذكر، وهذا لا يعني أن المستوى العلمي في الحوزات العلمية والحلقات الدينية أقل من مستوى العلوم التقنية والتطبيقية بل هو أعمق وأوسع وأكثر دقة ومتانة، غير إن هذه ظاهرة طبيعية فالأستاذ الجامعي لا يتمكن أن يقنع طالب الدراسة الابتدائية باستدلاله العلمي لقوانين حساب العمليات الأربع كما لا يتمكن خريج الدراسة الثانوية من شرح فلسفة قوانين حساب العمليات الأربع هذه.

من أجل هذا وذاك رأى جمع من كبار المفكرين والعلماء ضرورة تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ليتمكنوا من تلافي هذا العجز والنقص ويملاًوا الفراغ الموجود بين الطبقتين بوضع البرنامج المناسب لهذا العصر وللمستوى الثقافي والحضاري الراهن، فكان لزاماً علينا التحري والتفحص ودراسة الأسباب التي تسوقنا إلى هذا الهدف وهذه الغاية.

وكان الغرب بالرغم من ضعفه في أصالة التفكير وضحالة التحقيق، قد تفوق على الشرق في النظم والتنسيق وجدولة الأمور وتبويبها مما كان سبباً لأخذ بعض النتائج الباهرة خاصة في كيفية التعليم وإدخال المواد الدراسية في أدمغة المتعلمين.

لذا أسسنا المركز العالمي للأبحاث الفنية لاستقطاب الخبرات العالمية والابتكارات التقنية وجهود المحققين التطبيقيين وكانت

النتيجة الخروج بنظام جديد للتعليم شرحناه في كراسنا وقبل أن نطبقه على العلوم الإسلامية أسسنا الجامعة العالمية للعلوم التقنية (I. T. U) مع أبرز خبراء العالم في مجال التعليم العالي وبالمشاركة مع منظمة اليونسكو المرجع الدولي لهذه الدراسات وبعد أن حصلنا على النتيجة المطلوبة تم تأسيس هذه الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وخرجنا بمشروعنا هذا نعرضه على أصحاب الرأي والفكر مستلهمين منهم النصح وطالبيين منهم التوجيه والإرشاد والتوصية والنقد فبدأنا الحركة من المرجعية العلمية الدينية العليا والعلماء الأعلام ومدرسي الحوزات وانتهينا بأساتذة الجامعات الإسلامية والعلوم الإنسانية، فمنهم مَنْ لم يجب على طلبنا قط، ومنهم مَنْ أعاننا بأراء قيمة، ومنهم مَنْ قَدَّر الجهود واستحسن الرأي، ومنهم مَنْ خصص قسطاً ثميناً من وقته لمناقشة خلفيات وتطلعات الفكرة ليقنتع أو ليسدي بنصيحة، ومنهم مَنْ لا يُنسى فضله، تحمل عناء السفر لنتلقاه عدة أيام ليحلل ويدقق ويوضح تجربة خمسين عاماً صرفها لدراسة مناهج التعليم الإسلامي من مراحل مقدماته إلى نتائج بحوث المرجعية في دروس الخارج.

وكانت نتيجة كل هذه الاستطلاعات والاتصالات والتوصيات ما

يلي:

بالنسبة لأهل الفكرة، لاحظنا إلى جانب رأي سماحة المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي الذي يقول: (فَسَرَّنِي غَايَةَ السُّرُورِ لِأَنَّهُ كَانَ مَبْشِراً لِإِنْجَازِ بَعْضِ مَا أَتَمَّانَا مِنْذُ سَنِينَ مَتَمَادِيَةٍ) نسمع آراء تقول إنَّ تأسيس مثل هذه الجامعة خيانة عظيمة للإسلام لأنه طريق شائك ووعر لا يأمن سالكه من الزلزل والخطأ، فلربما تسليح الطالب فيها بمعلومات عالية استفاد منها لتحطيم الإسلام ونقض بعض مفاهيمه الأصيلة.

وهي نقطة يجب التوقف عندها ملياً وبكل حذر ودقة، فالناس جميعاً فرداً فرداً أو جماعة جماعة معرضون للخطأ والانحراف فقبل كل شيء يجب الابتغال إلى الله والاستعانة به والتسلح بما قاله مولانا وإمامنا علي بن الحسين (عليه السلام): (اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه والباطل باطلاً فأجتنبه ولا تجعله عليّ متشابهاً فأتابع هواي بغير علم ولا هدى منك...) فكم وكم من أصحاب البدع والانحراف والضالين والمضلين وخالقي المذاهب وواضعي الطرق ومحدثي الانشقاق كانوا من الذين قضوا شطراً طويلاً في الحوزات العلمية والحلقات الدينية ولم يكونوا جهلاء بالمعنى اللغوي، ولكن منهم من استحوز عليه الشيطان فشد عن الطريق عارفاً عالماً عامداً، ومنهم من التبس عليه الأمر وساقته قضية سفسطية تصورها منطقية أو عجز عن فهم الحقيقة وتصور خلافها فبنى على سفسطته وغلطه، المباني الباطلة فكان ما كان من الخلل في فهم المذاهب والأديان غير إننا نستعين بالله ونرتكز على وعدين قطعهما تبارك وتعالى (من باب اللطف) على نفسه أو لاهما (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا) وثانيها (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) فإن بذلنا ما في وسعنا من الجهد والجهد واجتهدنا في البحث والتحقيق وأخلصنا النية في أعمالنا وأفعالنا كما أخلص المتقون واعترفنا بالعجز مستلهمين المدد منه كان النجاح والفلاح حليفنا قطعاً وبقيناً.

من أجل ذلك نقدم الخطوط العريضة للبرنامج التعليمي في الجامعة لعرضها على العلماء والفضلاء من الذين نرجو أن يكونوا في الهيئة العلمية وكل صاحب رأي ويمتلك خبرة في حقل التعليم الإسلامي العالي، وإن امتنع عن الإجابة على رسالتنا هذه أو رفض العضوية في الهيئة العلمية لهذه الجامعة، واضعين الجميع تحت طائلة المسؤولية الشرعية والعلمية والإنسانية أمام الله، لإبداء الرأي

والنصح وبيان التعديل والتصحيح نفيًا أو إيجابًا فنحن للنقد أشوق
منه إلى المدح لإصلاح أنفسنا وخلصنا من مسؤولية جسيمة تقبلناها
وتحملناها والله على ما نقول شهيد.

الهدف والغاية:

يحدد السيد الشهرستاني الهدف الاسمي من تأسيس الجامعة بقوله:

الإسلام شريعة سماوية لها قوانينها وأحكامها، حلالها وحرامها، مندوبها
ومكروهها سنها الله تبارك وتعالى لهداية البشرية وسعادتها بعد أن خلقهم وسواهم
وقال عز من قائل: (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) وقال: (قالا ربنا الله
الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)، وهذه الشريعة أودعها إلى رسوله الكريم
محمد (ﷺ) لإيصالها إلى البشرية جمعاء والعمل بها من ساعة نزول الوحي إلى
قيام يوم القيامة (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم
القيامة) فعلى المستفيد المكلف العمل بهذه الأحكام كما سنها الله من دون تغيير
أو تبديل أو مسخ لسورها أو نسخ لبعضها، أو تحريف في نقلها أو وضع جديد
فيها، لينال السعادة في دنياه ويبرئ ذمته في آخرته.

هذا هو جوهر الكلام فبالرغم من بساطته وسهولة تصويره إلا أنه صعب
مستصعب انقسمت عليه الأمة وتفرقت فيه الناس واقتتل من أجله المسلمون وقدر
كل أمرء وقيمته عند الله وعند العباد بنسبة تضحيته من أجل إيصال الحكم الواقعي
إلى الناس والعكس بالعكس، فأشدُّ الخلق ظلمًا للناس وأكثرهم زورًا إلى الله مَنْ
منع وصول حقيقة هذه الأحكام إلى البشرية أو بدل أو مسخ أو نسخ أو حرّف أو
وضع أو ابتدع فيها، لأنه بنفس النسبة منع الهداية والسعادة عن البشرية من تأريخ
تغييره إلى قيام يوم القيامة.

وتقع على العلماء والفقهاء والحوزات العلمية والمعاهد الدينية المسؤولية الكبرى
في التدقيق والتحقيق وبذل قصارى الجهود، في سبيل معرفة الحقيقة والواقع.

من هذا المنطلق ننتقل لنؤكد إن هدفنا وغايتنا من تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية هو التحرك من مبدأ التشريع الذي يتفق عليه كل المعتقدين بالأديان السماوية وتقدم خطوة خطوة في سلسلة مرتبطة عقودها متينة أو اصرها عقدة بعد عقدة نطمئن إلى موارد الوفاق فيها ومواطن الخلاف منها، نستعرض فيها جميع الأقوال بتجرد تام بعيداً عن التعصب والأهواء وعين الرضا وعين السخط، بجد وثبات حتى نصل إلى القناعة التامة لتكون عند قوله عز من قائل: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب).

كما يجب علينا جميعاً وعلى الأساتذة الكرام أن نصطحب معنا الطلاب المتعلمين في حركتنا الجوهرية هذه، لنغرس اليقين في قلوبهم والمعرفة في عقولهم وأسلوب التحري في دراساتهم، فإذا كانوا دعاة للدين، منتشرين في أنحاء المعمورة يواجهون العقائد المتنوعة والمذاهب المختلفة والحملات الشرسة، يكونون صلدين صامدين يتكلمون بالمنطق السليم ويدافعون عن الحق وأهله بإيمان وقناعة ويقين، ويتحدون العالم بما جاءهم من العلم كما يتحدى الله العباد بالآية الأنفة الذكر، عالماً علم اليقين إن من سمع القول فاتبع أحسنه لا يمكن أن يعتقد بغير الإسلام ديناً والقرآن كتاباً ومحمد (ﷺ) نبياً وأهل بيته الهداة الميامين (ﷺ) أئمة وقادة.

إذا فهذا هدفنا وهذه غايتنا وهذا هو الخط الذي رسمناه للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وفقنا الله جميعاً لما يحب ويرضى.

المنهج العام:

بما أن هذه الجامعة هي جامعة مستقلة حرة، تتجرد عن أي انتماء سياسي أو حزبي أو حكومي أو مرجعي هدفها وغايتها معرفة الحكم الواقعي الذي شرعه الله لعباده، والتأكد من واقع التكليف الذي أراده الله من المكلف للعمل بموجبه ومقتضاه من أجل سعادته وإبراء ذمته لذا يجب على المحقق قبل كل شيء،

مراعاة شروط التحقيق الصحيح، وعلى الأستاذ إقناع الطالب بضرورة مراعاة هذه الشروط لتكون باكورة عمله العلمي والخطوة الأولى لتحركه كي يبقى على الصراط المستقيم دوماً ودائماً بعد الاتكال على الله في كل لحظة من لحظات حياته (فالعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء).

أما شروط التحقيق والبحث العلمي لمعرفة الحقيقة والواقع فيمكن تلخيصه بما يلي:

١. تَرَكَ التعصب: من أراد الوقوف على الواقع عليه أن يتجرد من كل تعصب أعمى لما اعتقده أو تربي عليه أو لفته به الآخرون فأصبح لا يرى ولا يفهم إلا ما رسخ في ذهنه، ويعتبر كل ما هو دون ذلك من الباطل وغير صحيح.
٢. ترك هوى النفس: إن النفس لأمارة بالسوء والإنسان تواق لما يطابق هواه، ومن دفع لما تتطلبه نفسه، فإن لم يتجرد عن هوى نفسه ولم يتغلب على عاطفته وأهوائه فلم يبق في قلبه وعقله مكان لغير العاطفة والأهواء وإن كان الحق والواقع خلافه.
٣. عين الرضا وعين السخط: الناس بطبيعتهم وجبلهم يحبون ويكرهون فمن أحبه سمع منه وقبل قوله وإن كان ذلك هو الباطل بعينه وإن كره إنساناً تبدلت جميع محاسنه مساوئاً وكل كلام صحيح واقعي منه عدّه باطلاً وزائفاً وفي هذا قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساوئاً

٤. المثابرة والجهد: وهذه ظاهرة أخرى من الظواهر الطبيعية للإنسان، إن تعلم وعرف بعض الشيء تصوره هو الواقع بعينه وكل ما سواه باطل وغير صحيح، فإذا تحرك في البحث والتحقيق وتوقف في بداية الطريق أو في منتصفه، من المحتمل الكبير أن يقف على الباطل والعلماء يعدّون هذا الإنسان جاهلاً متظاهراً بالعلم، وخطره أكثر من خطر الجاهل وقد خاطبهم

أحد العلماء قائلاً:

إذا كنت لا تدري وما كنت آخذاً بقول الذي يدري هلكت وما تدري
وأعظم من هذا بأنك ما تدري وإنك لا تدري بأنك ما تدري
هذه شروط أساسية يجب أن يقتنع بها الطالب الأكاديمي قبل كل شيء حتى تصبح
له ملكة يراعيها في كل مراحل دراسته وتحقيقه شاء أم أبى بعد الاتكال على الله.
بداية الحركة:

أسلوب التحقيق ويبدأ من الثابت المتفق عليها كالبديهيات أو القضايا المبرهن
عليها عند أصحاب الآراء المختلفة، وتستمر من العامة إلى الخاصة فالأخص وهلم
جرا، قضية بقضية وموضوعاً بعد موضوع وحلقة بعد حلقة فإن اتفق الطرفان عليه
انتقلوا إلى ما يليه وإن اختلفوا فيه عرضوه على ما هو متفق عليه والذي نسميه (إن
صح التعبير عنه) بالقاسم المشترك، فما تطابق منه مع القاسم المشترك صح وما
تعارض رُفض، وبهذه الصورة يتمكن المحقق من أن يعرف الخطأ من الصواب
والطرفان المختلفان في الرأي يمكنهما من الوصول إلى الوفاق.

والحركة عندنا تبدأ من الأصل المتفق عليه لدى جميع المعتقدين بالأديان
السماوية بإله المسلمين وهو كون الله جل جلاله مبدأ التشريع، أي القبول
والاعتراف بأن صلاحية التشريع منحصرة بالله، باعتبار الإحاطة الكاملة النابعة
عن خلق الموجودات والاستغناء التام النابع عن القدرة المطلقة، والناس كلهم
مفتقرون إلى الشريعة بدليل الجهل والحاجة.

إذاً هذا هو ممكنا في البحث العلمي والقاسم المشترك الذي يجب أن نعرض
عليه أوجه الخلاف لمعرفة الحقيقة والواقع وهذا لا يعني أن الجامعة غير معنية
بالأمور السالفة لهذه المعرفة، فمن الواضح أن درس العقائد يبدأ من مرحلة بعيدة
جداً قبل هذه المرحلة، إنما نتكلم الآن عن الخطوط العريضة لمناهج الجامعة
الإسلامية ومنه نتحرك في مجال المنهج العام في مبدأ التشريع.

فإن كانت هنالك أوجه خلاف في الرأي يطلب من الأساتذة وواضعي مفردات المنهج التريث والتركيز والبحث المسهب عند هذا الخلاف حتى تتضح الحقيقة، ولا يمر الطالب من هذه المرحلة إلا باليقين والقطع بصحة ما يتعلم.

وفي مجال التطبيق الفعلي لما يصل إليه من حقيقة نستعرض على الساحة الإسلامية الخلافات الفكرية والصراعات العلمية لنضع الطالب في أجوائها لتسليحه بالحقيقة والواقع.

نرى في هذه المرحلة الأولى اختلافاً فكرياً قائماً فهناك طبقة كبيرة من أتباع التحرر الفكري الإسلامي (كما يسمون أنفسهم) وفيهم أساتذة وأصحاب رأي يقولون إن الإسلام شريعة شرعها الله لهداية البشرية وإنقاذهم ووضعها للبشرية لأن تطابق في كل عصر من العصور متطلبات العصر ومستلزماته فإذا كان العلماء معنيين باستنباط الأحكام واستخراج الفتوى الشرعية بعيدين عن أجواء التقدم العلمي الحديث والحضارة الفكرية المعاصرة لا يصح أن تكون لهم الولاية الشرعية على الناس في بيان الأحكام الدينية واستنباط المسائل الفقهية.

وهنا يأتي دور الأستاذ ليحلل ويناقش هذا الرأي، هل إنه صحيح أم هو نقض لأصل انحصار التشريع بالله، فإن صح هذا النقض ضرب به عرض الحائط وأخذ بالرأي الثابت، ثم ينتقل إلى الحلقة التي تليها، بعدما يؤكد الأساتذة في المواد الدراسية إلى طرح هذا البحث أن الطالب لا يمر منه مرور الكرام بل يجب على الأساتذة التركيز والتأكيد عليه. ومثل هذا البحث لم يرد فقط في درس العقائد وأصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي فحسب بل هو وارد حتى في دروس المنطق واللغة العربية والتاريخ الإسلامي وغيرها.

طريق استنباط الأحكام:

حينما نتقل إلى الحلقة التي تليها نرى أناساً يؤمنون بأن صياغة الأحكام ووضعها أمر منحصر انحصاراً مطلقاً بالله، ولكنهم يعتقدون أن الحكمة الإلهية

تقتضي أن يكون لكل حلال وحرام ومندوب أو مكروه علة وسبب فإن لم نعرف العلة والسبب كان الاستنباط باطلاً، أو الحديث مفتعلاً، وهو في غفلة عن محدودية فكرهم وقصور ذهنهم وشحة علمهم (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) على أن يعرفوا أن أصل التعبد أصل علمي أقره العقل وأفصح عنه القرآن (ألم). ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) ومعنى هذا الأخذ ببعض الشيء وترك البعض الآخر وهذا يتعارض مع الاعتراف بأن التشريع التام منحصر بالله دون تجزئته أو تبعيضه.

وهكذا نتقل من الأصل الثابت الذي يحصر صلاحية التشريع التام للأحكام بالله، وبعد أن نبرهن للطالب بطلان رأيين مستحدثين أحدثتهما الحركة العلمية المادية التي هي في أصولها براء تفر اليوم شيئاً وتبطله غداً وتضع قانوناً وتنقضه بعد برهة، نصل إلى الحلقة الثانية التي يتفق عليها المسلم في نقل التشريع من الله إلى البشرية وهو دور الرسالة العامة وثم الرسالة الخاصة، المنحصرة برسول الله (ﷺ) ولا خلاف فيه.

ولكن الخلاف ظهر بعد وفاته (ﷺ) فمعرفة الأحكام الواقعية وكيفية العمل بها وتطبيقها لمن كان في زمن رسول الله (ﷺ) أمر سهل، ولم يكن فيه أي خلاف بين المسلمين غير ان الضجة الكبرى والنزاع والخلاف حدث بعد وفاته (ﷺ) فابتدأ بعضهم القول بـ (حسبنا كتاب الله)!! فهل هذا صحيح؟ أم المشرع بلسان القرآن يسلب هذه الصلاحية من الناس بقوله (ﷺ) (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) - آل عمران - الآية - ٧ إذاً من الراسخون؟ وهل أكمل رسول الله (ﷺ) الدين عند وفاته بتعريف الراسخين أم لا؟ وهل يجب أن يعين الراسخ

من قبل المشرع بنفسه ويجب أن تكون للراسخ صلة بالمشرع ويعرف مقصوده لما ذكره من المتشابه في كتابه أم لا ضرورة لذلك؟ وهل للناس رأي في هذا الانتخاب أم لا؟ وهل للمنتخب أو المفوض إليه هذه الصلاحية له حق التغيير والتبديل في الحكم؟ أم لا؟ وإن سيرة الخلفاء والصحابة بحكم صحبتهم ومبايعة الناس لهم يمكن أن يكون حجة يؤخذ بها في التشريع ومعرفة الأحكام؟ وهل أن أئمة الفقه وإن انقطعت حججهم وصلتهم بمبدأ التشريع لهم الحق في بيان الأحكام الواقعية؟ وهل إن عدل القرآن المتصل بمبدأ التشريع لبيان مراد المشرع يجب أن يكون باقياً إلى أمد غير محدود؟ وهل هنالك طريقة لمعرفة الحكم والتكليف في غياب الإمام المعصوم؟ هكذا حتى نصل إلى واجب أي إنسان مكلف إلى قيام يوم القيامة وفي كل دور وزمان من التاريخ.

هذه هي العقد والأواصر (التي نعبر عنها بالعقدة المشتركة)، في هذه العقد والأواصر اختلفت المذاهب والنحل والطرق والمسالك، فهي من حيث الأهمية تشغل المرتبة المهمة في التحقيق والدراسة وكما يعلمه الجميع إن العلماء والمحققين والمحدثين والمصنفين بجميع طبقاتهم كل في مجال اختصاصه غاص أعماق البحار يتحرى عن دليل أو سند، وطار إلى السموات العلى في فكره وتصوره وتحليله حتى لا تفوته فائتة والحق أنهم لم يغادروا شاردة ولا واردة ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وحاولوا معرفتها في عصور متمادية وأجيال متلاحقة يترك الأستاذ لتلميذه ما توصل اليه والشيخ لطلبته ما أجاب عن مسائل مستعصية فترى الفقيه وصل القمة في فقهه والمحدث الذروة في دراية الحديث ومعرفة الرجال، والأصولي الغاية في الأدلة العقلية، والنحوي، والكلامي، والفيلسوف كل منهم وصل إلى أقرب مراحل الكلام في علمه حتى أصبح الاختصاص في علم من العلوم أو فرع من الفروع غاية، والدراسات المعمقة فيها هي الهدف، وغفل معظم الباحثين من أن معرفة هذه العلوم ودراستها والتحقيق فيها وسيلة

لاستنباط الأحكام ومعرفة الحلال والحرام فلم يهتموا بالأواصر المشتركة التي تبين وتوضح مثلاً مدى ضرورة دراسة النحو في معرفة مقصود المشرع من كلامه أو مدى تأثير تحليل واقع الأحداث التاريخية على استنباط الأحكام الفقهية، وأمثلة ذلك كثيرة وانصبت الجهود في العمل على تحصيل العلم للعلم بدلاً عن كونها وسيلة لاستخراج واقع الأحكام من المصادر المتوفرة والوقوف على حقيقة ما سنه الله لعباده.

وعلى هذا يجب التركيز في دراستنا الجامعية ومناهجنا، أي التأكيد والإصرار على كيفية الاستفادة من كل علم من العلوم قديمة أو حديثة لمعرفة سبل الهداية التي تنحصر في معرفة ما شرعه الله لعباده وسنة رسوله الكريم ﷺ وحافظ على نشره أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المتجيبين والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

من أجل هذا وضع السلف الصالح منهجاً علمياً لطريق استنباط الأحكام ولخصوها في مصادر أربعة - الكتاب والسنة والاجماع والأدلة العقلية - وبما أن الأمر ليس بالامر السهل أو البسيط بل في كل مصدر أقوال وآراء وجوانب وأبعاد فالكتاب، فيه نص ظاهر، وفيه محكم ومتشابه، وحقيقة ومجاز، وأمر ونهي، وخاص وعام، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، وظاهر ومؤول، وناسخ ومنسوخ، وحتى لألفاظها حاجة إلى معرفة الدلالات، ولشأن نزولها حاجة إلى معرفة الحال. ومعرفة السيرة والسنة يحتاج إلى دراية علم الحديث، ومعرفة إسناد الحديث والمحدثين، والرواة منهم ثقة وعدل، ومنهم موثوق ومرضي في دينه، ومنهم كاذب وفاسق، ومنهم مُخْتَلَق لا أصل لوجوده، وفي الحديث متواتر، وآحاد، ومشهور، ومستفيض، وصحيح، وحسن، وموثق، وضعيف.

وفي الإجماع شروط وأحكام لمعرفة وقوعه على الحكم أو عدم وقوعه على الحكم ويتطلب استيعاب مسائل الخلاف والوفاق بين أصحاب الرأي من

المجتهدين، والوقوف على تظافر الآراء وتطابقها، وما إلى ذلك.

والدلالة العقلية في معرفة ما ذكرناه من العوارض المطروحة في الكتاب والسنة وأصول ومبان، كدلالة المنطوق تتبعها دلالة مفهوم الموافقة وبعدها مفهوم المخالفة والبراءة الأصلية والاستصحاب، والقياس، والاستحسان وغيرها من الأدلة الأصولية، جميعها تحتاج إلى دراسات مسهبة مفصلة تبدأ من المقدمات وتنتهي بالاجتهاد وصلاحيّة الإفتاء، ومما لا شك فيه من أنّ المراحل هذه جميعها ليست من صلاحية جامعتنا الفتية هذه في الحال الحاضر إنما أملنا أن نبدأ بالخطوات الأولى من المقدمات ونراعي المستويات المماثلة في الجامعات القائمة لشهادة (الليسانس) وشهادة (الماجستير) وشهادة (الدكتوراه) ونضع مناهج الدروس ومفردات المواضيع في ضوء الخطوط العريضة المرسومة والتحليل العلمية المطروحة بعد تعديلها أو تنقيحها على أساس الآراء التي سوف ترد إلينا إنشاء الله.

الدروس الأساسية المتعلقة بالمنهج العلمي

في مجال العلوم والدراسات الضرورية لاستنباط الأحكام من مصادرها التشريعية كما أشرنا إليها في البند السابق، ومن أجل الإجابة عن جميع التساؤلات المطروحة ومعرفة جميع الأبعاد والجوانب والعوارض المرتبطة بالتحقيق والتتبع حتى الوصول إلى كلمة الفصل أي الحكم الشرعي، هنالك دروس وعلوم وموضوعات ضرورية يجب على الطالب معرفتها وعلى الأستاذ تدريسها حتى يتمكن كل منهم نيل المراد والوصول إلى الغاية.

أما المجموعات الدراسية الأصلية لأول كلية من هذه الجامعة وهي كلية الشريعة الإسلامية فقد دَوَّناها في الكراس المطبوع والتي تشمل على المجاميع التالية:

أ. مجموعة الفقه والأصول.

ب. مجموعة اللغة العربية.

ج. مجموعة القرآن والحديث.

د. مجموعة العلوم العقلية.

ولكل مجموعة دروس خاصة متعلقة بموضوعاتها، كما يوجد عندنا مفردات منهج كل درس يعده الأستاذ المختص ونقدمه إلى اللجان المختصة، للدراسة والتنقيح والتعديل.

غير إن الذين ندعوهم من الأساتذة الكرام هو تفهيم الطالب ضرورة تعلم جميع هذه الدروس، إذ لا يمكن الاستغناء عن أي واحدة منها لمن يريد الوصول إلى

مرحلة فهم الأدلة العقلية والنقلية، أو لمن أراد الوصول إلى صلاحية استنباط الأحكام من مصادرها الصحيحة. هذا بالإضافة إلى التركيز على ارتباط كل درس من الدروس بالهدف والغاية التي من أجلها يتعلم الطالب هذا الدرس، ألا وهو معرفة الحكم الواقعي الذي سنه الله لعباده.

فعلى سبيل المثال يجب على أساتذة مجموعة اللغة العربية إن كان في درس النحو والصرف أو في درس البلاغة والبيان أو في درس الآداب الإسلامية والعربية، يجب على الأستاذ إقناع الطالب وتفهمه في بداية الدراسة ومقدمة الدرس كيف إن الألفاظ تغير المعاني، وكيف إن الإعراب يقلب المراد على عقب، وكيف تتمكن أن نستخلص من التورية والمجاز مراد المشرع أو المصنف، فلا يتصور الطالب أنه يصرف شطراً من حياته من دون جدوى، أو يريد من ذلك الفصاحة والبلاغة فحسب بل العكس يصل إلى مرحلة اليقين من أنه لا يتمكن من التفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام إلا بدراسة اللغة العربية دراسة وافية شافية.

وهكذا نعطي مثلاً آخر في درس التأريخ الإسلامي يجب أن يعرف الطالب أن معرفة السيرة النبوية لم يكن الهدف منها معرفة قصة حياة النبي (ﷺ) أيضاً كذلك عند قراءة سيرة الأئمة (عليهم السلام)، للإشادة بالمجاد بل يجب أن تكون مفردات الدرس وأسلوبه التحقيقي حري بالاستفادة الأكاديمية منه، لمعرفة أحكام الشريعة وإن للسيرة دوراً مهماً في استنباط هذه الأحكام الشرعية (وهي سنة) أي فعل الرسول أو المعصوم لأنها حجة.

ولقد لاحظت نقطة تحفظ يثيرها بعض الأساتذة في هذا المجال فيقول أستاذ تأريخ التشريع الإسلامي مثلاً: (هذا الموضوع جزء من درس العقائد فلا أرى من المناسب تكرارها هنا، والشيء نفسه بالنسبة للتفسير والمنطق وأصول الفقه وغيرها، غير أنني أرى أن النقاط المشتركة بين هذه الدروس هي عقدة الارتباط وقد أكدت أهميتها.

وإن لم تتكرر هذه العقد في كل درس ولم يؤكد الأستاذ هذا الارتباط فهو يخشى الانفصام بين الحلقات والخوض في المتاهات كما هي الحالة الفعلية عند الكثيرين، كما إن تكرار هذه العقد غير مملعة قطعاً (فهو المسك ما كررته يتضوع) وهو بحكم العمليات الحسابية الأربعة في الرياضيات يكررها المبتدئ والمتقدم والعبقري والعالم في كل مجال وفي كل عملية رياضية).

أسلوب التحقيق العلمي في الدراسات الحديثة:

في نهاية المطاف يوضح السيد الشهرستاني أساليب التحقيق العلمي حديثاً بقوله: أرى من المناسب إلقاء نظرة على أسلوب التحقيق العلمي الحديث في العلوم التطبيقية والنظرية، ومقارنتها بأسلوب التحقيق العلمي في الدراسات الدينية والتي ذكرناها بالإجمال ولا مجال في هذه الرسالة للتفصيل، خاصة للأساتذة ذوي الاختصاص هدفنا من هذه المقارنة الاطمئنان على سلامة الخط العلمي المرسوم للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية والعمل به.

في الأعراف العلمية الحديثة نوعان من المباني التحقيقية، النوع الأول نظريات يضعها ويتوصل إليها المحققون والعلماء في ضوء اجتهادات ودراسات تصورية تفتقر في إثباتها إلى أدلة عقلية أو حسية مقبولة، هذه النظريات لا تعدّ في الأعراف العلمية ثوابت يحسب لها حساب، والثانية قوانين أثبتتها الدراسات العلمية والأدلة المنطقية والبراهين الحسية وتعدّ هذه القوانين العلمية ثوابت يحسب لها حساب ويستفاد منها في العلوم التطبيقية وفي الحياة العملية.

إنّ الغرب منذ بداية النهضة العلمية والصناعية الحديثة، وبسبب توجهه الكامل نحو القضايا المادية، ركز جهوده العلمية على الاستدلال الحسي والتطبيقي وفي هذا المجال تمحورت أبحاثه ودراسته حول الاستقراء لمعرفة العلل والأسباب في العلوم التقنية والتطبيقية وفي العلوم الإنسانية والنظرية، فمعظم القوانين الهندسية والطبيعية نتيجة لاستقراء الباحثين في المختبرات والحقول التجريبية للجامعات

ومراكز الأبحاث أو في الورش الاختبارية وصلات الإنتاج في المصانع والمعامل، ومعظم القوانين الوضعية للأمور الحقوقية والسياسية والاقتصادية وليدة الاستقصاء والإحصاء الناتج من جدولة وتنسيق المعلومات المكتسبة بواسطة معاهد الدراسات الاستراتيجية أو الجامعية في بعض الأحيان.

والاستقراء وسيلة لمعرفة العلة ومعرفة العلة هي الغاية في التحقيق إذ بها يمكن التحكم في المعلول وتنظيمه وبمعرفته يمكن وضع القوانين والأنظمة المتعلقة بالحوادث الواقعة والأحداث الطبيعية والصلات المادية في الكون، فإذا كانت معرفة العلة مترتبة على الاستقراء التام والاستقراء التام يستلزم استيعاب جميع الأبعاد والأحوال والظروف والخواص المحيطة بما يدور حوله الاستقراء، وهذا الاستيعاب يستلزم بالضرورة العلم التام بكل ما في الخليقة، وهذا العلم ينحصر انحصاراً مطلقاً بذات الخالق الباري ﷻ إذاً لا يمكن أن يكون هذا الاستقراء مهما بلغ من الكمال استقراءً تاماً يبلغ مستوى الحجية، إلا إذا كان مطابقاً لما قاله الله ﷻ.

ولكن من الممكن أن تطابق نتيجة الاستقراء بالصدفة النتيجة الصحيحة ويتوصل الباحث إلى معرفة العلة التامة، ومن الممكن أن يكون خلاف ذلك فمعنى هذا إن هذا التحقيق يفقد الحجية والاعتبار، ويحتمل فيه الخطأ والصواب وبهذا السبب نرى أن القوانين الوضعية، وحتى القوانين الهندسية والميكانيكية والكهربائية والطبيعية كلها تتغير وتفقد قيمتها من مدة إلى مدة وذلك بسبب هذا الاستقراء الناقص الغير مستوعب لجميع جوانب وأبعاد الاستقراء التام في حينه.

من أجل هذا نقول بحزم وقطع ويقين إن كل علم إذا لم يكن مصدره الله الخالق الفالق المصور، يكون علماً تصورياً قابلاً للخطأ والتغيير والتبديل وهذا ما نعمل عليه الآن في المركز العالمي للأبحاث الفنية لنثبت إلى العالم المتمدن وعبر طرقه العلمية والاستدلالية المتداولة كيف أن الخط الذي يسير عليه خط منحرف معرض للخطأ ومتلغ للمال والوقت، والله نسأل أن يوفقنا في عملنا هذا فقد

خطونا والحمد لله خطوات واسعة ولكن الطريق صعب شائك وطويل، والمصيبة الكبرى أن العاملين والمعتقدين بأسلوب التحقيق الحديث يتصورون إن ما ندعوا إليه - لغاية في نفوسنا - ولا يمكنهم أن يقبلوا بإننا لا نريد من ذلك إلا خدمة البشرية جمعاء.

كما أعود لأوضح بأن السبب في التركيز والإصرار في كل مقطع من مقاطع هذه الرسالة، وكل بند من بنودها، على إبقاء السلسلة مرتبطة حلقاتها متينة وأواصرها وعقودها ملتزمة ومتصلة بمبدأ التشريع، وهذا الإصرار والإبرام بأن كل ما يرد من غير الله مهما صغر حجمه وأهميته باطل باطل، والحلقات من مبدأ التشريع إلى تكليف المكلف إن فقدت إحداها أو انقطعت عن بعضها كان ما كان من المذاهب الضالة والمضلة أعاذنا الله شرها ووقفنا لأن نرى الحق حقاً فتبعه والباطل باطلاً فنجتبه.

وختاماً أقدم اعتذاري للعلماء الأعلام والأساتذة الكرام إن أطنبت في الكلام، ولكن بذلت غاية جهدي في الإيجاز، ونحن في غاية الشوق للملاحظات القيمة التي سوف ترد إلينا منكم حول هذه الخطوط العريضة للمنهج الذي رسمناه للجامعة وأكرر ما قلت أننا للنقد أحوج منه إلى المدح والله على ما نقول شهيد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فكان جواب معظم الإخوة الذين أرسلت لهم الرسالة جواباً مشجعاً ومؤيداً وفي مقدمتهم رسالة سماحة المرجع الديني الأعلى السيد (أبو القاسم الخوئي) الذي تفضل وبارك لي هذه المبادرة مع رسالة إلى السيد فاضل الميلاني ممثل سماحته في لندن ننقل إليكم نصها:

قرة عيني العزيز الأستاذ السيد محمد علي الشهرستاني المحترم دام موفقاً

بعد التحية الطيبة والدعاء لكم بدوام الصحة ومزيد التوفيق
لقد وافانا كتابكم فسرني غاية السرور لأنه كان مبشراً للإنجاز بعض
ما أتمناه منذ سنين متمادية والحمد لله على ما أنجزه على يدكم كثر
الله أمثالكم وحفظكم ورعاكم برعايته أشكر وأقدر جهودكم واسأل
الله تعالى أن يكمل جهودكم بالنجاح الباهر كما أشكر وأقدر جهود
جناب العلامة الحجة قرة عيني السيد فاضل الميلاني دام موفقاً
وأتمنى له النجاح في تلك المناطق التي هي بحاجة إلى أمثاله أيده
الله وإياكم بنصره ودمتم عوناً للشريعة الإسلامية وفي الختام أنا
مستعد ببذل المساعدة حول المشروع حسب الإمكان وما يرتأيه في
وقته والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قرة عيني العلامة الحجة السيد فاضل الميلاني المحترم دام موفقاً

بعد التحية الطيبة والدعاء لكم بدوام الصحة ومزيد التوفيق لقد
وافانا كتابكم المتضمن لمنهج مشروع الجامعة العالمية للعلوم
الإسلامية وقد سرني ذلك غاية السرور وفي الحقيقة والواقع إنا
نحتاج في حوزتنا إلى مشروع يناسب الظروف التي يعيش فيها
المؤمنون مع جودة الأسلوب والتحفظ على نوع الدراسة الإسلامية
الصحيحة الخالية من كل شائبة أسأل الله تعالى أن يأخذ بيدكم
ويكمل جهودكم بالنجاح الباهر وأؤكد لكم بأن الحجة أرواحنا
فداه ﷺ في عونكم وأنا في دوري أقدر وأشكر جهودكم ومستعد
بمساعدة المشروع حسب ما يسعنا ونرتأي في وقته وارتقب وصول
أخبار نجاح المشروع وفقكم الله تعالى وجميع من يعمل معكم في
إنجاز هذه المهمة الدينية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بِسْمِ تَعَالَى
قرّة عيني العزيز الأستاذ السيد محمد علي الشهرستاني المحترم دام

بعد المحبة الطيبة والدمعار لكم بيد وأم الصحة وزيد التوفيق
لعدو وأنا كما كتبكم فقرة غاية السرور لأنه كان بشرًا لأبحار
بعض ما أتمناه منذ سنين متواترة والمجمل قد على ما الجزية على
يدكم كثر الله ما أشاء لكم وحفظكم ورعاكم برعاية أشكر وأند
جهدكم وأسأل الله تعالى أن يكمل جهودكم بالإنجاح الباهر
كما أشكر وأند رجوه خباب الصلاة المحترمة قرّة عيني السيد
فاضل الميلاني دام مؤلفًا وأتمنى له النجاح في تلك المناطق
التي هي بحاجة إلى أمثال أيدى الله وأياكم بفرح ودمع عظيم
لشريعة الإسلام وفي الختام أنا مستعد ببدل المساعدة
حول المشروع حسب الامكان رأياً في وقته والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

في ٦ رجب سنة ١٤٠٨ هـ

بِسْمِ تَعَالَى

قرّة عيني الصلاة المحترمة السيد فاضل الميلاني المحترم دام مؤلفًا

بعد المحبة الطيبة والدمعار لكم بيد وأم الصحة وزيد التوفيق لعدو
وأنا كما كتبكم المضمون المنهج مشروع الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية
وقد سررت ذلك غاية السرور وفي المحضرة والواقع أنا بحاجة في حوزة
إلى مشروع يناسب الظروف التي يعيش فيها المؤمنون مع جودة
الأسلوب والتحفظ على نوع الدراسة الإسلامية الصحيحة العالمية
من كل شأنة أسأل الله تعالى أن يأخذ بيدكم ويكمل جهودكم بالإنجاح
الباهر وأؤكد لكم بأن المحبة أرواحًا فداءه وعجل الله تعالى فرجه
الشريف في هونكم وأما في دوري أندر وأشكر جهودكم ومستعد
بمساعدة المشروع حسب ما يعيننا ورتاثير في وقته وأتوقى وصول
أخبار نجاح المشروع ونتمنى الله تعالى وجميع من يعمل معكم في إنجاز هذه
المهمة الدينية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في ٧ رجب سنة ١٤٠٨ هـ

صورة من المباركة الكريمة بتأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية التي تفضل بها سماحة
المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) بإسـم كل من رئيس مجلس أمناء
الجامعة السيد محمد علي الشهرستاني وعميد كلية الشريعة وعضو مجلس الأمناء السيد فاضل
الميلاني في جواب رسالتيهما عند تأسيس الجامعة في لندن سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

بِسْمِكَ

صاحب الفضيلة الاستاذ المجلد السيد محمد علي الشهرستاني دكتور فخرية
 قيمة مباركة طيبة ورحمة لكم بدوام الصحة وسوء من السعادة وبعد :
 قبلنا رسالتكم المؤرخة في ٤ / رمضان / ١٤١٤ هـ المصاحف ما
 تضمنته من تقرير موجز عن برامج (الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية)
 وبرنامج نشاطاتها ونتائج اعمالها منذ تأسيسها في عام ١٤٠٨ هـ الى الوقت
 الحاضر .

وقد اثارت ضيا مشاعر التقدير والاحباب تلك النتائج الطيبة التي حققتها
 الجامعة خلال سنوات قصيرة في سبيل نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة
 وترقية الشباب المسلم على ضوء معارف اهل البيت عليهم السلام والسلام
 ونحن اذ نبارككم فكم خطواكم الموقفة ومساهمكم المحمليه في هذا المضمار
 فنقل المولى العلي القدير ان يحكم الزيد من التأييد والتوفيق للسير
 على طريق الاصفاء النبوية التي توحيتموها من انشاء هذه المؤسسة
 الاسلامية .

مع ابناء استقراءنا لتقديم المساعدة والعون لكم في هذا السبيل حبا
 تقتضيه المحاجة وتيسر الامكانات .

وختاما بلغوا صياغتنا الوازية التي مأسا الاخوة العاملين في الجامعة
 مع دعواتنا لهم بدوام التوفيق والتشديد .

حفظكم الله ورعاكم وسدد خطاكم لما يجب ويرضى
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
 علي شمس الدين
 ذوالقعدة ١٤١٤ هـ



مباركة سماحة السيد السيستاني (دام ظله) للجامعة العالمية للعلوم الاسلامية
 بأسم السيد محمد علي الشهرستاني رئيس مجلس أمناء الجامعة

فقد منا طلباً إلى دائرة التسجيل للحكومة البريطانية لتأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، في البداية رفضت الحكومة تسجيل ذلك بحجة أن البرلمان البريطاني في سنة (١٩٨٨م) قرر عدم إعطاء اسم جامعة إلى أية مؤسسة إلا إذا وافق البرلمان على ذلك أو كان بمرسوم ملكي، لذا غيرنا الاسم إلى (The International Colleges of Islamic Science) فكان التسجيل الرسمي بهذا الاسم تلافياً للمشاكل القانونية.

بوشر العمل بالدراسة المباشرة للطلاب الذين سجلوا بالجامعة من خارج إنكلترا وداخلها من العرب الساكنين في إنكلترا، وكانت لغة التدريس في الجامعة هي اللغة العربية ولأول مرة جامعة بريطانية تُدرس العلوم الإسلامية باللغة العربية، واستمرت الدراسة في هذه الجامعة سنة بعد سنة ودورة البكالوريوس أربع سنوات وكانت المباشرة سنة (١٩٩٠م) يقول الشهرستاني: طبعي إن أسلوب الدراسة على وفق الأسلوب المبتكر الذي قدمناه وشرحناه سالفاً، بالإضافة إلى أن الأشرطة الدراسية كانت توضع في الصفوف وكان يدير الصف أستاذ مساعد فإذا كان للطالب سؤال أو شبهة يحاول الأستاذ الأجابة عليها بعد إكمال المحاضرة، كما وضعنا لتقوية الطلاب دروس مناقشة لكل درسين من المحاضرة مناقشة يناقش الطلاب فيها دروسهم السابقة بحضور الأستاذ المساعد لتصحيح ما يمكن الالتباس فيه.

يقول السيد الشهرستاني: بتاريخ (١٩٩٨/٢/٩م) تسلمنا دعوة من اتحاد جامعات العالم الإسلامي يطلبون فيه انتماءنا لعضوية هذا الاتحاد، وكان جوابنا بالإيجاب ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الجامعة عضواً في هذا الاتحاد.

وبناءً على طلبنا من المجلس البريطاني الاعتراف بالدراسات العليا (B.A.C) وبعد تخرج ثلاث دفعات من الطلاب في الجامعة وبعد تفتيش مكثف والاطلاع على الأسلوب الجديد وحضور أساتذة يجيدون اللغة العربية من أكسفورد شاركوا

في المحاضرات أطلعوا على الأسلوب الذي يتبعه الأساتذة والموضوعات الأكاديمية التي تدرس، خرج أحدهم وقال لي: (والقول للسيد الشهرستاني) أهنيكم فطلابكم أساتذة وأساتذتكم علماء، وهذه شهادة نعزبها من بريطاني يجيد اللغة العربية ومن أكسفورد.

وبالنتيجة فقد أصدر المجلس البريطاني للاعتراف بالدراسات العليا شهادة الاعتراف بهذه الجامعة بتاريخ (٢٨/١٠/١٩٩٨م)، وذكر المدير التنفيذي للمجلس البريطاني للاعتراف بالدراسات الجامعية (روبن ليدلو) في تقريره هذه العبارة التي ترجمتها ((لدى هذه الجامعة رسالة واضحة وجليّة بتزويد الطلبة الذين لم تتح لهم الفرصة في بلدانهم، إعداد الدراسة الجامعية بالمستوى العلمي الرائع ويعتبر المفتشون إن الجامعة تقوم بهذه المهمة على أحسن وجه ممكن)).

وبتاريخ (١٧/٦/١٩٩٦م) حصلت الجامعة على موافقة وزارة التعليم العالي الجزائرية لتوقيع اتفاقية التعاون بين هذه الجامعة والمعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية في الجزائر، ومبادلة الشهادات بيننا وبين هذا المعهد العالي. وبتاريخ (١٢/٤/١٩٩٥م) وافقت جامعة الكويت على التعاون العلمي مع هذه الجامعة في المجالات الأكاديمية وتبادل الأساتذة والمنح الدراسية.

وبتاريخ (١/٥/١٩٩٩م) أعطت جامعة البحرين زمالة دراسية لأحد أعضائها من الهيئة التدريسية لنيل شهادة الدكتوراه في هذه الجامعة.

وبتاريخ (١٨/٧/٢٠٠١م) وقعت منظمة الايسيسكو (إتحاد جامعات العالم الإسلامي) اتفاقية تعاون مع هذه الجامعة لتطوير ورفع مستوى الجامعات الأعضاء في هذا الاتحاد في العالم الإسلامي إلى المستوى الغربي الأوربي، وعلى الأسلوب الذي ابتكرته الجامعة وتدرس به في العلوم الإسلامية والتكنولوجية، وتجاوبت مع هذا الطلب خمس وأربعون جامعة عربية وإسلامية وأبدت رغبتها في التعاون مع الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وتوقيع الاتفاقية المشتركة لإعطاء

الشهادات الموقعة من قبل الجامعتين. ومن الجامعات التي بالفعل وقعت مثل هذه الاتفاقية هي جامعة المنصورة (جمهورية مصر العربية) التي وقعت الاتفاقية في (١٨/٣/٢٠٠٣م)، وجامعة القاهرة (جمهورية مصر العربية) التي وقعت الاتفاقية بتاريخ (٢٠/٣/٢٠٠٣م)، وجامعة دمشق (الجمهورية العربية السورية) التي وقعت الاتفاقية بتاريخ (٢٦/٣/٢٠٠٣م).

كما كانت من بين الجامعات العراقية التي وقعت الاتفاقية مع الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية هي جامعة الكوفة بتاريخ (١٥/١/٢٠٠٤م)، وجامعة القادسية بتاريخ (٣/٦/٢٠٠٥م)، وجامعة ذي قار بتاريخ (٤/٦/٢٠٠٨م).

وقد قررت الجامعة فتح قسم داخلي للطلبة القادمين من الدول الأفريقية أو الآسيوية وتهيئة مستلزمات الراحة والسكن لهم في لندن وبسبب صعوبة الحصول على السكن، ولكن بالرغم من تحملنا المسؤولية وتسديد النفقات اللازمة إلا أننا لم نوفق أو لم ننجح في هذا الشأن بالرغم من نجاحنا في تأسيس الجامعة ولذلك قررنا إلغاء القسم الداخلي.

كما واجه الشهرستاني مشكلة أخرى فعند إكمال الدراسة للوجبة الأولى والثانية والثالثة لاحظ إن الطلبة الوافدين من دول أخرى وبخاصة الأفريقية وحتى الآسيوية ليست لديهم الرغبة في الرجوع ثانية إلى بلدانهم مع العلم إنَّ الهدف الأساس لتأسيس هذه الجامعة هو رفع مستويات هؤلاء الطلاب ومنحهم شهادات علمية يستطيعون بواسطتها نشر معارف أهل البيت (عليه السلام) والتسلح بالعلم وخدمة مجتمعاتهم وشعوبهم وبلدانهم ونشر المعرفة الدينية والتقنية الحديثة عن طريق تأسيس المدارس والمعاهد في بلدانهم إتماماً لرسالة الجامعة التي عمل المخلصون عند تأسيسها وفي مقدمتهم الدكتور السيد الشهرستاني على تحقيق الأهداف في نشر مذهب أهل البيت (عليه السلام) وتعريف الشعوب بفكرهم النير، ولكن بعدما تخرج الكثير في الجامعة لاحظت إدارة الجامعة إنَّ الطلبة يهربون من

هذه المسؤولية ويحاولون المكوث والإقامة في لندن ولم يفكروا في العودة إلى بلدانهم، لهذا قررت الجامعة فتح فرع لها في سوريا.

إنَّ مراحل التدريس في هذه الجامعة من مستوى البكلوريوس إلى مستوى الدكتوراه هو الأسلوب المباشر وشبه المباشر وذلك عن طريق الأقراص المدمجة وبأحدث الطرق والأساليب التعليمية وطلاب هذه الجامعة منتسبون من نيوزلندا إلى كندا مروراً بمعظم الدول خاصة العربية والإسلامية، أما الأساتذة فهم من كبار الأساتذة والدكاترة والعلماء الذين سبق لهم التدريس أو من الذين ما يزالون يدرسون في الجامعات العربية والإسلامية كجامعة الملك سعود بن عبد العزيز في الرياض والبحرين ولبنان والأردن والقاهرة وغيرها، أو الجامعات الغربية الأوربية والأمريكية كجامعة هارفرد وجامعة ماكجيل وطهران ولندن ونورن بلك والسوربون وغيرها، ولها أكثر من (٣٣) مركزاً امتحانياً في نقاط مختلفة من العالم لمشاركة الطالب في الامتحانات التحريرية والامتحانات النهائية تحت إشراف الجامعة.

إقامة أول قناة فضائية شيعية في العالم (قناة قائم)

بعد الانتهاء من تأسيس الجامعة التي أطلق عليها (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية)، انتقل السيد الشهرستاني إلى مرحلة جديدة وهي تأسيس قناة فضائية ليوسع البرنامج الذي أعدّه من المجال الجامعي المحدود إلى مجال الاستفادة العامة لكل إنسان يحب أن يزيد معلوماته ويوسع آفاق تفكيره ويرفع من مستواه العلمي والأكاديمي في المجالات كافة وبخاصة في مجال الشريعة الإسلامية التي كان لها الدور المفضل في برامج تلك القناة المقترحة أو من الذي حصل فيه من البرنامج المباشر وبرنامج الانتساب على نتائج جيدة وكان تقدمه نسبياً لم يكن بمستوى الطموح الذي كان يرغب به ولكن كان له الانتشار في بلدان مختلفة وكان للبرنامج (٣٢) أو (٣٣) مركزاً امتحانياً في مناطق مختلفة وفي كل البلدان البعيدة والمجاورة وكان له في كل البلدان طلاب.

حاول الشهرستاني أن ينتقل إلى أسلوب جديد في نشر هذه المعارف والعلوم بصورة أوسع وكانت الطريقة المفضلة التي فكر فيها عن طريق إنشاء القنوات الفضائية وحتى ذلك اليوم لم تظهر قناة فضائية تعليمية أو أكاديمية في العالم وكانت الدروس على هذا الأساس والمحاضرات تسجل على الأشرطة ثم ترسل إلى إحدى القنوات الفضائية التي لها انتشار أو التي يمكن أن تستأجر لإيجاد مكان فيها لبث الدروس عبر تلك القنوات عن طريق الأقمار الصناعية التي تنقل المواد إلى هذه الفضائيات، فالمتلقي يستطيع أن يدخل في مجال الدراسات الجامعية بعد أن يستمع إلى المحاضرات عبر الفضائيات المعينة من قبلنا فيزيد في معلوماته

وإذا اراد أن يحصل على شهادة جامعية فعليه (أي الطالب) أن يسجل في الجامعة، وبعد ذلك يكون له الحق المشاركة في الامتحانات السنوية شأنه شأن الطلاب الذين يدرسون عن طريق الانتساب والذي يتمكن من حضور جميع المحاضرات والالتزام بالبرنامج الجامعي المقرر، فله الحق في أن يستمع إلى بعض المحاضرات ويرفع مستواه العلمي والأكاديمي.

لهذا حاول السيد الشهرستاني الاتصال بالقنوات الفضائية الموجودة والتي تبدي موافقتها على بث هذه المحاضرات وفعلاً تم الاتصال بأقوى وأوسع قناة انتشاراً هي قناة القمر الصناعي العربي (عرب سات) وكان ذلك سنة (١٩٩٧م)، ولكن مع الأسف الشديد رفض مسؤولوها التعاون معه بحجة إن هذه الجامعة تدرس معارف وعلوم وفقه أهل البيت (عليه السلام) وبحسب النظام الأساسي لهم إنها مؤسسة لها شركاء من عدة دول عربية قسم منهم قد اعترض على البرنامج المقدم وطلبوا عدم الموافقة على أي اتفاق مع هذه الجامعة فاعتذروا عن البث عبر القمر العربي (عرب سات) وكانوا مصرين على ذلك حتى إنهم قالوا: لو فرضنا جدلاً إننا اتفقنا معكم وكتبنا العقد فيما بيننا فمجلس الإدارة سيلغي العقد أو يفسخه للأسباب التي ذكرناها.

اتجه السيد الشهرستاني في الوقت نفسه إلى القناة الأوربية (يوتيل سات) التي كانت في ذلك الوقت تغطي أوروبا وشمال أفريقيا وحتى الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وهذه القناة (القمر الصناعي) بثها على القمر الصناعي التابع (لبرتش تيليكوم) شركة التلفون البريطانية وتحادثت الجامعة معهم وتم الاتفاق مع هذه الشركة أو المؤسسة بأن تسجل الجامعة المحاضرات وتسلمها إلى المركز الذي تم تعيينه، ومن لندن يتم البث عبر القمر الصناعي المذكور ويتشر إلى المنطقة التي أشرنا إليها.

في ذلك الوقت كانت الأسعار مرتفعة جداً لقلة القنوات الفضائية بسبب

محدوديتها وقتها وعدم تنوعها فكانت شبه محتكرة ولهذا السبب بدأ الشهرستاني معهم بعمل عقد محدود بأن تعطي إلى الجامعة بعض الساعات المتأخرة من الليل لبث برامجها، لأنَّ الساعات الأخرى من اليوم كانت أسعار البث خلالها مرتفعة جداً وكانت هذه البداية وهذه أول محاولة عبر هذا القمر الصناعي تمكنت الجامعة الإسلامية من بث الدروس والمحاضرات التي تدعو إلى نشر مذهب أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) والفكر الإمامي الشيعي، وكان ذلك يتم من خلال المحاضرات المعدة لبثها عبر هذه القناة الفضائية التي تغطي مساحة واسعة من العالم كما ذكرنا، ولكن مما يؤسف له أنَّ المنطقة الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط كان البث يصلها في وقت متأخر (الأردن، لبنان، وشمال سوريا) ولكن كانت هذه بداية للعمل، وقد تقرر تسمية هذه القناة (قناة الأبحاث الإسلامية الموثقة ومختصرها (قائم) وبدأنا التسجيل أول مرة في شهر محرم (١٤١٧ هـ الموافق ١٩٩٧).

في بداية البث كان جزء من الوقت يخصص للمحاضرات التي سجلت على أشرطة الفيديو وهي دروس كلية الشريعة وجزء من الوقت خصص لبث معارف أهل البيت (عليهم السلام) والتعريف بالمذهب الجعفري الإمامي كما قررت الجامعة وأكدت عليه، وفي البداية كانت خطة العمل أن يكون في شهر محرم (كما ذكرنا) بث برامج مخصصة لعاشوراء ومعركة الطف وكان العمل في وضع برنامج يتعلق بالإمام الحسين (عليه السلام) وما يتعلق برسالة هذا الإمام المجاهد وما حلَّ به وبأصحابه وأهل بيته في كربلاء، وفي اليوم العاشر تم بث قصة المقتل لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) الذي سجله السيد محمد بحر العلوم في المركز الإسلامي بلندن وبث عبر الفضائية المذكورة.

كانت هذه المبادرة من لدن السيد الشهرستاني وعبر هذه البرامج التي تبث على الهواء عبر الفضائية (قائم) الأثر الكبير في تعريف المسلمين معارف أهل البيت (عليهم السلام) والمبادئ التي يقوم عليها مذهب الشيعة الإمامية مما فتح عقول المسلمين

من شيعة وسنة للوقوف على الأسس والمبادئ العامة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وإبطال الدعاوى الزائفة التي حاولت في الماضي وتحاول اليوم تشويه الفكر الشيعي وإصاق التهم بأتباعه، وكان التأثير بالغاً في النفوس لكل المشاهدين في البلدان التي يغطيها بث القناة وبخاصة أن هناك أعداداً كبيرة من المهاجرين مسلمين وغير مسلمين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ومذهب الشيعة وكانت القناة سبباً في تعريفهم بأصول دينهم وتعليمهم المبادئ الأساسية التي يجب أن يستند إليها المسلم وبخاصة أولئك الذين يعيشون منذ زمن بعيد، في أماكن نائية عن المشرق الإسلامي ولربما لم يسمع قسم منهم بمذهب الشيعة الإمامية ولم يعرف إلا النزر اليسير من مبادئ الإسلام ولذلك كانت ردود الفعل طيبة والنتائج مثمرة والحمد لله لأنها كانت أول قناة شيعية تبث هذه المعارف والعلوم.

وبعد العشرة الأولى من المحرم استطاع الدكتور الشهرستاني أن يبث عبر القناة برامج متنوعة عبارة عن مزيج من المعلومات عن معارف أهل البيت والتعريف بمذهب الشيعة الإمامية وأعلام المذهب وأئمته، ثم استمر العمل عبر هذه القناة ببث محاضرات السنة الأولى لكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية العالمية ولكن سرعان ما انتهالت على الجامعة والمعدّين لبرامج القناة (قائم) برقيات ورسائل عديدة ومتنوعة تطالب بأن لا تقتصر البرامج على الدروس الأكاديمية المنهجية ويطلبون التوسع في عرض موضوعات جديدة حول سيرة أهل البيت (عليهم السلام) والتعرف على مذهبهم الحق وكانت الرسائل ترد على القناة من الشيعة وأهل السنة حيث يبدون عشقهم لسماع مثل هذه الأحاديث والافادة منها والتزود بالمعلومات التي يجهلونها عن دينهم وقادتهم وعلمائهم الذين نهجوا النهج القويم من دون نصب أو غلو، إنهم يطالبون وبشدة سماع المحاضرات والأحاديث التي تظهر الحقيقة كما هي بعيداً عن التعصب وبيان حقيقة التشيع وذهب بعض المشاهدين إلى أبعد من ذلك حين طالبوا بإيجاد قناة فضائية شيعية تنقل المعلومات المتعلقة

بكل ما هو شيعي أصيل تعرض الحقيقة من دون تعصب وتدافع من دون هجوم وتفند آراء الخصوم بأسلوب علمي هادئ وفعلاً كان ذلك حيث كانت الدروس التي تقدم في هذا المجال تأخذ من كتب الفريقين مما لا يتعارض والثابت ومن دون أن تتخطى الخطوط الحمراء فكان الغرض شريفاً في العرض والنقاش وإزالة الشبهات التي علقت بالدين ومذهب الشيعة الإمامية منذ زمن بعيد.

كانت هذه القناة قد احتلت مكاناً لاثقاً بها بين القنوات الفضائية فمشاهدوها العرب المقيمون في أوروبا والمهاجرون الجدد من مختلف البلدان كانوا يتابعون البرامج التي تبثها وذلك لأن معظمهم كان يجهل مبادئ دينه وبخاصة أولئك الذين هجروا بلدانهم منذ زمن بعيد أو ولدوا بعيداً عن بلدانهم الأصلية فالجميع كان يتابع البرامج بشوق، ثم إن القناة كانت تعرض مسائل شرعية مهمة مستجدة قد يجهلها حتى من جاء إلى ديار الغربة لتوه لأنه اصطدم بواقع جديد يختلف عما كان عليه في بلده فاستحدثت مسائل لم يكن يمارسها أو يعرفها في بلده فتطلب منه معرفة الأحكام لهذه المسائل المستحدثة ومن هذا المنطلق بدأ المهاجرون الجدد والمقيمون القدامى يستفيدون من البرامج الهادفة عبر هذه القناة ويتشوقون إلى سماعها ومشاهدتها.

كانت قناة (قائم) تبث برامجها في المناسبات الدينية المهمة فمثلاً في شهر رمضان كان المعدون للبرامج وبإشراف مباشر من الدكتور الشهرستاني يختارون البرامج المتعلقة بأحكام الصوم والمفطرات وتحديد غرة شهر رمضان والعيد والأوقات الشرعية للأمسك والإفطار وما إلى ذلك من الأمور والمسائل التي يحتاجها الصائم في تلك الديار البعيدة واختيار الأدعية المناسبة، فكانت أول قناة إسلامية فضائية تنقل أفكاراً إسلامية على وفق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) إلى العالم واستمرت في برامجها سنتين حتى أسست الحكومة الإيرانية قناة (سحر) وبدأت البث وعندها رأى السيد الشهرستاني وزملاؤه أن لا حاجة للاستمرار في بث البرامج عبر قناة (قائم) بسبب

انتفاء الحاجة لاستحداث فضائية أخرى تعوض عما تقدمه نحن للمسلمين، إضافة للأعباء المالية التي لم يعد بالمستطاع سد النفقات التي أصبحت تشكل عبئاً مالياً ثقيلاً على القائمين وممولي القناة (قائم) مما جعل المسؤولين في المدة الأخيرة أن يتقدموا بطلب إلى أحد مراجع الدين العظام بتقديم قرض مالي لإدامة العمل والاستمرار في البث الفضائي إلا أن المشكلة قد انتهت بافتتاح قناة جديدة (سحر) الإسلامية تقوم بالدور نفسه الذي قام به الشهرستاني وجماعته.

لقد استطاعت قناة (قائم) أن تقدم البرامج الإسلامية للعالم وبمساحة كبيرة وأن تحتل المكان اللائق بها بين القنوات الفضائية الأوربية وأن يندرج إسمها ضمن القنوات الموجودة في العالم والمعروفة والمهمة بحيث يظهر شعار الخاص بها في إعلانات وبرامج المحطات الفضائية العالمية الأخرى (*).

في قناة (قائم) كانت تعقد ندوات ومحاضرات يسهم فيها أساتذة كبار وعلماء فضلاء ممن يعيشون في لندن وعموم أوروبا تدعوهم القناة للنقاش والمناظرة والإجابة على أسئلة المشاهدين في الأمور الشرعية والفكرية والاجتماعية عدا السياسة.

استمرت القناة في بثها مدة سنتين حتى ظهرت قناة (سحر) - كما ذكرنا - والتي علق الجميع عليها الآمال إلا إن إحباطاً أصاب الجميع وفي مقدمتهم الدكتور الشهرستاني عندما أعلنت القناة خطتها وأهدافها التي حددها المسؤول عن إدارتها:

(*) وبناءً على ما كانت (قائم) تبثه من المحاضرات استطاعت الجامعة أن تفتح فرعاً لها في دمشق وفعلاً انخرط في الفرع عدد غير قليل من الطلبة الموجودين في دمشق وكان أكثرهم من العراقيين القارين من جور النظام ومن طلبة الحوزة العلمية في السيدة زينب (عليها السلام) حيث سجلوا أسماءهم كطلاب في الجامعة وحصلوا على شهادتها وكانت النية افتتاح فرع في لبنان إلا إن وجود الجامعة الإسلامية التي يشرف عليها الشيخ محمد مهدي شمس الدين أصبح الأمر لا مبرر له، وفرع دمشق لا زال ناشطاً وفيه طلاب كثيرون، وبعد عام (٢٠٠٣م) فتحت فرعاً مهماً في العراق لقي إقبالاً من لدن الدارسين للمراحل الثلاث: البكلوريوس والماجستير والدكتوراه واتخذ كربلاء مقراً له وقد تخرج في الفرع أكثر من دورة في مرحلة البكلوريوس وفي الماجستير تخرج عدد من الباحثين والدكتوراه كذلك ولا زال المجال مفتوحاً أمام الدارسين لكل المراحل الثلاث.

بأنها محاولة لجذب الإيرانيين الموجودين خارج إيران، والثاني أن نثبت للعالم أننا منفتحون ولسنا منغلقيين كما يتصورنا البعض، ويعني هذا إن القناة سياسية أكثر منها دينية كما نريدها وهي عبارة عن قوة جذب للعاملين في السياسة من الإيرانيين في الخارج.

مؤتمرات الدفاع عن المرجعية والعتبات المقدسة في أنحاء العالم

في سنة (١٩٩١م) حينما انتفض الشعب العراقي ضد نظام صدام وسيطر المنتفضون على نقاط كبيرة من جنوب ووسط العراق، وبعد أن جند صدام قواه وحاول إيقاف هذه النهضة الجماعية من قبل الشعب العراقي المضطهد وبالذات المنطقة الجنوبية من بغداد ومنها كربلاء والنجف وقضى على الانتفاضة التي كانت بتعليمات وتوجيهات من سماحة الإمام السيد (أبو القاسم الخوئي)، وتمكنت الحكومة من السيطرة على هذه الحركة الدينية والشعبية العامة، واقتياد المرجع الديني السيد الخوئي إلى بغداد بالقوة، حاولت السلطة أن تواجه الشعب الأعزل بمدافعها ودباباتها وحتى الروضتين العلوية والحسينية لم تسلما من ذلك بل رُميت بالصواريخ والمدافع والمعدات الأخرى وحدث تهديم كبير في جدران الصحن الشريف، ودخل الجيش الصحن الحسيني والعباسي والحيدري المبارك وهدم أيضاً جزء من الحرم المبارك وقتل الأبرياء العزل الذين كانوا يلوذون من ألام النظام بالإمام الحسين (عليه السلام) (وجميع آثار وصور هذه الحملة موجودة) وتمت السيطرة التامة كما كان سابقاً على جميع أجزاء العراق وأجبر الإمام الخوئي على الإقامة في المنفى.

كانت الضجة عارمة في جميع البلدان الإسلامية والعربية وحتى العالمية على تصرفات صدام في هذا العام، لذا طلب بعض الإخوة المؤمنين المسلمين من (المركز العالمي للأبحاث الفنية) العمل على عقد مؤتمر للدفاع عن هذه الظاهرة المهمة والدفاع عن المرجعية الشيعية المقدسة.

فبإشراف (المركز العالمي للأبحاث الفنية) بجمع المعلومات والوثائق وأعد مؤتمراً في لندن في (مركز الكوفة الثقافي) حول هذا الموضوع وتحت عنوان (دفاعاً عن المرجعية والعتبات المقدسة)، وبالفعل انعقد هذا المؤتمر بتاريخ (٢٠/٤/١٩٩١م)، وقدم عدد من المشاركين أبحاثهم حول الموضوع وكان من بينهم البروفيسور يحيى كوبر الأستاذ في جامعة كامبردج، وكان للمؤتمر أثر إيجابي على الشعب البريطاني والجرائم التي قام بها النظام البائد.

وبعد ذلك طلب بعض الأساتذة من الجامعات اللبنانية إعادة المؤتمر في لبنان، وبالفعل كان ما أرادوا وعقدت ندوة لبنان حول الموضوع مع عرض صور الإجرام الصدامي في فندق انترناشيونل وحضره سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي في لبنان وعدد كبير من أساتذة الجامعات واهتمت الصحافة بصورة واسعة بهذه الندوة التي كانت تطالب بالقضاء على رأس النظام وإطلاق سراح الإمام الخوئي.

وبعد لبنان جاء دور بومبي طالب زعماء وعلماء الشيعة في عقد هذا المؤتمر في الهند لمعرفة الشعب الهندي بالإجرام الصدامي ضد المرجعية الشيعية والعتبات المقدسة، وقد عُقد هذا المؤتمر في فندق شيراتون في بومبي وحضره جمع غفير من المهتمين بهذه القضية.

والحالة نفسها أُعيدت في ديترويت أمريكا حينما طلب المجلس الإسلامي الشيعي في هذا البلد إعادة عقد هذا المؤتمر في ديترويت من أمريكا، لأنَّ المدينة هذه يسكن فيها جمهور كبير من الشيعة الذين هاجروا إلى هذا البلد للعيش والسكن، فعقد هذا المؤتمر في إحدى الفنادق الكبيرة من مدينة ديربون وقد خُصص جزء منه للصور والوثائق التي تدين صدام حسين في عمله الأخير، والحمد لله كانت النتيجة لعقد هذا المؤتمر نتيجة إيجابية اطلع من خلاله الشعب الأمريكي على الجرائم والأعمال الوحشية التي قام بها رئيس النظام السابق في العراق.

والمؤتمر الأخير الذي أُقيم لهذا الغرض كان في باريس فرنسا وفي بناية (سان جورج) وعلى ضوئه كان اتصال لمحمد علي الشهرستاني بالمسؤول في اليونسكو عن قسم التراث وطالبه باتخاذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن المباني الأثرية في الروضة الحسينية والروضة الحيدرية وما عمل صدام فيها من تخريب وتهديم ونهب للنفائس الأثرية.

كانت هذه هي الحركة الوحيدة التي كان المركز العالمي للأبحاث الفنية يتمكن القيام بها، ورغم أنها لم تكن في مستوى الحدث ولكن ما كان يمكن عليه خارج العراق وفي الاغتراب لم يمكن أن يكون أكثر من هذا.

مشروع المزارع النموذجية والمستوطنات في ساحل العاج (أفريقيا)

هذا المشروع يدخل ضمن المحاور الأساسية التي اهتم بها السيد الشهرستاني ومؤسسة الأبحاث العالمية والتي كانت من المسائل التي تشغل البال وتأخذ حيزاً كبيراً من التفكير وفي واحدة من السفرات التي رافق فيها العلوية السيدة رباب الصدر للاطلاع على أنشطتها^(*)، يحدثنا السيد الشهرستاني عن الموضوع فيقول: التقيت يوماً في سويسرا برجل أعمال لبناني يلقب بـ (الشرياني) له صداقة وعلاقة وطيدة برئيس جمهورية ساحل العاج، وفي سياق مدحه لهذا الرئيس قال الشرياني: ((إنَّ هذا الرجل يقول إنني قطعت علاقاتي بإسرائيل واتجهت نحو العرب والمسلمين لعلهم يساعدونني في تنمية بلدي وصبرت سبع سنوات ولما لم أر أي دعم منهم اضطررت إلى طلب العون الفني والتقني من الإسرائيليين وإعادة العلاقات معهم ثانية...)).

قال السيد الشهرستاني للشرياني اللبناني: إذا كان هذا الرئيس صادقاً في قوله، ويبدو أنه كان صادقاً من خلال شهادة الشرياني وهو يسميه حكيم أفريقيا (بحسب تعبير الشرياني)، قال الشهرستاني: إنني مستعد لخدمته في مجال التنمية بما لم تتمكن إسرائيل من تقديمه وهذه هي الوثائق الداعمة، ولكن بعد أن تقدم لي كفالة

(*) وهي الأنشطة التي كان يقوم بها السيد موسى الصدر خارج لبنان كبعض الدول الأفريقية الغربية وقد كان الشهرستاني بدأ سفرة استطلاعية إلى تلك الدول ومنها ساحل العاج حيث رافق السيدة رباب الصدر ووفد من لبنان يعمل معها لمتابعة أحوال المسلمين الشيعة من اللبنانيين والوقوف على احتياجاتهم وكذلك جمع التبرعات لإكمال المشاريع التي بدأها الإمام الصدر، فكانت سويسرا المحطة الأولى للرحلة وقد تم مقابلة رجل الأعمال (الشرياني) الذي ارتبط برابطة وثيقة مع رئيس ساحل العاج.

مصرفية من البنك المركزي بمبلغ ٢٥ مليون دولار*)، وبعد أسبوعين كان لهما اجتماع مع الرئيس في قصره وقدم السيد الشهرستاني الوثائق التي تتعلق بعملية تطوير ساحل العاج في مجالات متعددة صناعية وزراعية وإسكان وتعليم عالٍ وما سوى ذلك مما يسهم في نهضة شاملة في عموم هذا البلد النامي، فاختار رئيس الدولة مشروع إقامة المزارع النموذجية واستيطان المزارعين في المستوطنات الحديثة على غرار ونمط النموذج الذي تقدم به الشهرستاني لأندونيسيا وقال بالحرف الواحد (أريد أن يلتصق المزارع بأرضه وريفه)، وعندما قال الشهرستاني للرئيس: إنني لا أتمتع بأي دعم سياسي، أجابه الرئيس: أنا شخصياً أتولى الموضوع، وطلب من وزير الزراعة مرافقتنا وتسهيل مهمتنا، وهكذا كان، ويواصل الشهرستاني حديثه: ولكن بعد عمل دؤوب وزيارة الأحرار ودخول الغابات الموحشة وإعداد الخرائط واختيار المعدات والمكائن وتهيئة كل مستلزمات العمل، وفي الليلة التي كنا نريد أن نوقع صيغة الاتفاق ونوقع اتفاقية التنفيذ اجتمعنا في غرفة وزير الزراعة، وفوجئت بأمر غريب هو عدم حضور الوفد العاجي بكامل أعضائه بل حضر الوزير ومعه اثنان أحدهم ممثل الشركة الإسرائيلية في ساحل العاج والآخر رجل فرنسي يمثل الشركة الفرنسية التي تقوم بالأعمال الزراعية، سألهم الوزير عن

(*) وهذا التعهد وكفالة البنك المركزي التي يستطيع بواسطتها الشهرستاني أن يحصل على المال لأنَّ الكفالة هذه صادرة من مصرف مركزي تابع لدولة غنية في العالم وهذه الكفالة مضمونة ومقبولة عند جميع مصارف العالم، قال الشرياني: معقول هذا الطلب وسوف أنقل ذلك إلى الرئيس حال مقابلي له بعد وصولي إلى العاصمة، وقد سبقنا في الوصول إليها - هذا ما يقوله الشهرستاني - وفعلًا تحدث مع رئيس الدولة وهو في الجو على متن الطائرة وكذلك جرى الحديث مع مستشار الرئيس وهو جزائري وموضع ثقته، وحينما وصل الشهرستاني والسيدة رباب الصدر والوفد المرافق لهم تبلغوا بكلام الشرياني هذا الخصوص وقبول الرئيس بالفكرة، وعمل للوفد مقابلة مع الرئيس وقبل المقابلة طلب السيد الشهرستاني من السيدة رباب بأن تشكر كل من ساعد اللبنانيين في هذا البلد وقدم لهم التسهيلات ابتداءً من السيد الشرياني وغيره ويزيد الوفد اللبناني أن يقدم خدمة لهذا البلد جزءاً ما قدم، وفي أثناء مقابلة الرئيس قال الشهرستاني: إذا أردت أن نخدمك في مجال التعليم العالي والثقافة المتقدمة فاسمح لنا في فتح فرع لجامعة تتمكن عن طريقها نقل التكنولوجيا المتقدمة والمعلومات الحديثة لبلدكم ولشبابكم والإفادة من خبراتنا الطويلة.

اعتراضاتهم على المشروع فكانت اعتراضات طفيفة وواهية، أجاب عنها السيد الشهرستاني ومن معه فوراً، ولكن قال الوزير: عندي اعتراضات!! أتم تتكلمون عن مزارع نموذجية، ووزارة الزراعة تقوم بهذا، وتتكلمون عن الطرقات وشبكات الري ووزارة الطرق معنية بهذه الأمور، تتحدثون عن المجمعات السكنية ووزارة الإسكان تتمكن من القيام بذلك، وجئتم بمشاريع لمد شبكات الري والقنوات ولنا وزارة تقوم بمثل هذه الأعمال وهي وزارة الزراعة فإن كانت لديكم أموال سلّموها لنا ونحن نقوم بهذه الأعمال، وأراد المترجم أن يجيبه ويرد عليه فأشار الشهرستاني عليه بعدم الرد على الوزير وكان المترجم الدكتور محمود شرف الدين وهو لبناني فكان رد الشهرستاني على الوزير العاجي موضحاً له سبب المجيء إلى هذا البلد هو خدمة أبنائه وإدخال التقنيات الحديثة في العمل وهذا ما جرى الحديث به مع رئيس الدولة الذي طلب تقديم الدراسات ووضع فخامته تحت تصرف الوفد الشيء الكثير من الإمكانيات لإنجاز هذه الدراسات...، وأفصح الشهرستاني للوزير العاجي بأن الوفد لم يأت إلى البلد كمستثمر ينبغي ابتزاز أموالكم ويطمع في خيراتكم ويتنفع منكم، إننا لم نأت لنضع أموالنا تحت تصرفكم أو أموال غيرنا تحت تصرفكم وإنما جئنا للخدمة وإذا رفضتم ذلك أو لا ترغبون به فمع السلامة... قمت (أي السيد الشهرستاني) من مكاني وخرجت.

فالحقيقة التي يود السيد الشهرستاني الإشارة إليها هي ما صرح بها العاجيون في الفندق عندما قال أحدهم: إنهم لم يسمحوا لكم بالاستمرار في العمل وإقامة هذه المشاريع بالرغم من إنكم الوحيدون الذين جئتم لخدمة هذا البلد*).

(* يقول الشهرستاني: عندما كنا نمسح الغابات والأحراش من أجل الوقوف على كل الأمور والحالات، كنا نخرج صباحاً في طائرة مروحية عمودية، تبدأ الرحلة من الصباح وتستمر إلى ما بعد الظهر لنعود ثانية إلى الفندق ونستمر بعض الأحيان إلى المساء.

ومن القضايا المهمة التي يجب ذكرها (والقول للسيد الشهرستاني) بإننا في الليلة الثانية كان معنا في هذه الجولة رجل عاجي وهو ممثل رئيس الجمهورية في مزارعه وأملاكه الخاصة، في تلك الليلة من جولتنا في المناطق المختلفة وعند عودتنا إلى الفندق طلب منا أن نتناول العشاء معه فاعتذرنا وأصرّ

على كل حال ذهب السيد الشهرستاني والوفد المرافق له إلى الفندق وجمعوا أمتعتهم استعداداً للمغادرة في اليوم الثاني وكان المستشار الخاص لرئيس الجمهورية خارج البلد، وجاء في اليوم الثاني صباحاً واتصل هاتفياً بالسيد الشهرستاني متسائلاً: ماذا فعلتم فقصصنا عليه القصة، قال: هذا كلام غير صحيح وغير مقبول وكذا وكذا، وأنا الآن سوف أتكلم مع رئيس الجمهورية وأقنعه بالأمر.

على كل حال قال: أنا متوجه اليكم وأنا الآن في صالة الفندق، وهو رجل محترم ويعدّ الشخصية الثانية في البلد، نزلنا إليه ورحبنا به وشكرناه على كل حال واجتمعنا مع رئيس مجلس الإعمار مساءً الذي ذهب وتكلم مع رئيس الجمهورية ولكن من دون جدوى لأنّ الجميع لا يقبلون بهذا العرض، ولا بد من الإشارة إلى إننا اشتغلنا على المشروع ستة أشهر وقدمنا ملفات كبيرة لأجل أن تُدرس ويُصادق عليها كي تتمكن من استبدال هذه الأحراش والغابات ونحولها إلى مزارع مثمرة ومنتجة من دون أن نأخذ منهم مبالغ إنما كفالة مصرفية من البنك المركزي يزودونها بها لتتمكن الاستفادة منها في البنوك الدولية لاستبدالها بتقد الذي نجلبه لإقامة هذه المشاريع وبصورة تدريجية وخلال خمس سنوات ومن الدخل الذي نحصل عليه نسدّد القروض.

على ذلك وأخيراً طلب تناول المرطبات إن لم يكن العشاء فامتثلنا لأمره وتناولنا شيئاً من المرطبات في ضيافة بسيطة وذهبنا إلى (الكوفي شوب) وجلسنا وتحدث معنا قائلاً: مع مزيد الأسف إنهم لم يسمحوا لكم بتنفيذ هذا المشروع والمشاريع الأخرى التي تنوون القيام بها لخدمة هذا البلد، وانحنى أمامنا وقال، أنحنى أمامكم تقديراً لإخلاصكم وصدقكم ومعلوماتكم في هذا المجال بالنيابة عن هؤلاء المستضعفين الذين شاهدتموهم في القرى والأرياف ولكن مع مزيد الأسف سوف لن يسمحوا لكم بالاستمرار في العمل، فسألناه وقلنا له: أنت لم تعرفنا ولم تعرف صدقنا ولم تعرف شيئاً عنا، فكيف تقول مثل هذا الكلام وكيف تجزم في عدم إعطائنا هذه المشاريع والسياح بتنفيذها، قال: أنا بلغت الثمانين وكنت من المجاهدين في الجزائر وأنا الآن من المستشارين لرئيس الجمهورية ولي خبرة في الحياة وأعلم بتفكير هؤلاء الناس ولأول مرة أرى شركة أو مؤسسة جاءت إلى هنا لتقدم مشروعاً لخدمة الفقراء في ساحل العاج. فشكرناه على ما أدلى به من معلومات، وفي اليوم التالي رجعنا إلى العاصمة وطلب وزير الزراعة بعقد اجتماع في مكتبه وكانت النتيجة كما حصلت وكما توقعها مستشار رئيس الجمهورية.

كان عرضاً مغرباً ممتازاً رائعاً ولكن مع مزيد الأسف فوجئنا بمسألة غريبة وهي إنَّ رئيس الجمهورية يعرف بأنَّ البنك المركزي لا يجوز له إعطاء كفالة مصرفية، لقد كانت صفقة قوية لنا، ولكن عرفنا إننا نتمكن أن نبذل القارة في المنطقة الإستوائية إلى دول غنية يمكنها تغذية العالم بالمنتجات الزراعية وترفع مستوى شعوبها الاقتصادي إلى المستوى الأوربي ولكن السياسة الإسرائيلية والغربية لم تشأ ذلك وهي تحول دون دخول المؤسسات والشركات التي تتقاطع مع سياستها وتمنع تلك الدول من الولوج إلى هذه الأماكن والبلدان.

مهرجان الإمام علي (عليه السلام) بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير الأغر في لندن:

في عام (١٩٩٠م) كان الشهرستاني مشاركاً في اجتماع اعتيادي مصغر مع المرحوم السيد محمد تقي الخوئي وبحضور السادة: الدكتور محمد بحر العلوم، والسيد الدكتور فاضل الميلاني وعدد آخر من الفضلاء، حيث تم طرح موضوع الأحتفال بمناسبة مرور (١٤) قرناً على يوم الغدير الذي يوافق عام (١٤١١هـ)، وهي السنة نفسها التي انعقد فيها الاجتماع.

تحدث في هذا الاجتماع السيد محمد تقي الخوئي قائلاً: إنَّ والدي سماحة المرجع السيد أبي القاسم الخوئي كان يود أن يقيم احتفالاً أو مهرجاناً كبيراً في لندن بهذه المناسبة التاريخية بعد مرور (١٤) قرناً على يوم بيعة الغدير والتي توافق هذا العام (١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، وتحدث أيضاً الدكتور السيد محمد بحر العلوم قائلاً: أنا مستعد للقيام بهذا العمل لو اشترك معنا الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني ونقل هذا المقترح السيد محمد تقي الخوئي إلى النجف، فتكفل الإمام الخوئي بكافة المصروفات المطلوبة لإقامة المؤتمر أو المهرجان العالمي، وبالفعل فقد استعدت اللجنة التحضيرية للمهرجان وباشرت في وضع الأسس الأولية والمبدئية وعلى أساس دعوة مجموعة كبيرة من رجال العلم والفكر والأدب والعاملين في

حقل الدعوة الإسلامية من جميع أنحاء العالم، ووجهت الدعوة إلى كل أولئك في مختلف بقاع الدنيا من أستراليا وسنغافورة إلى أمريكا ومروراً بمعظم الدول الإسلامية التي كانت فيها أنشطة لأولئك الدعاة والمفكرين والناشطين الإسلاميين وكان السيد الشهرستاني العنصر الفعال في الإعداد لهذا المؤتمر وكان اقتراحه بأن يعقد المؤتمر في فندق (ماريوت) بلندن ويتم دعوة المشاركين في المؤتمر لإلقاء بحوثهم التي حددت محاورها الأساسية من قبل اللجنة العليا للمؤتمر، كما تقرر إقامة معرض للكتاب ومعرض فني، وعقد أمسيات شعرية ينشد فيها الشعراء قصائدهم التي تتمحور حول هذه المناسبة وشخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) صاحب الذكرى.

اشترك في المهرجان خطباء من كل البقاع النائية والقريبة من الشرق والغرب وطبيعي لم تقتصر الدعوات والمشاركة على الشيعة فحسب بل وجهت الدعوات إلى شخصيات من سائر الطوائف الإسلامية النشطة بالإضافة إلى مشاركة بعض علماء الدين البارزين من آيات الله كالمرحوم السيد رضا الصدر والمرحوم السيد مرتضى العسكري والمرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وقد بدأ الاحتفال بكلمات ثلاث، بدأت بكلمة الإمام الخوئي (تذّكر) ألقاها نيابة عنه نجله السيد محمد تقي وكلمة المرجع الكلبايكاني ألقاها نيابة عنه ولده السيد جواد الكلبايكاني والكلمة الثالثة كانت للمرجع الديني السيد محمد الروحاني.

أما القصائد فقد شارك الشاعر السيد مصطفى جمال الدين وعضو اللجنة التحضيرية بقصيدة عصماء نالت إعجاب الحاضرين واستحسانهم وكذلك شارك السيد جابر الجابري (أبو مدين) بقصيدة شعرية، وكلمة المجلس الإسلامي الشيعي في لبنان ألقاها الشيخ محمد مهدي شمس الدين التي أشار فيها إلى موضوع الوفاق بين الشيعة والسنة مستشهداً بكلمة للإمام علي (عليه السلام): ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولو لم يكن فيه جورٌ إلا عليّ)).

وألقى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق والداعية الإسلامي بحثاً أحدث جدلاً ونقاشاً بين عدد من أعضاء المؤتمر بسبب طروحاته.

وعلى العموم كان المؤتمر ناجحاً وموفقاً استمر ثلاثة أيام متتالية عاشها المشاركون والمدعوون في جو أخوي عقائدي تاريخي هادف وكانت مساحة الشعر قد غطت جلسات المؤتمر المسائية حيث صدحت حناجر كبار الشعراء الذين جاءوا من اقصى الأماكن وأدناها ليعبروا عما يجيش في صدورهم من محبة وولاء لأمر البيان وملك البلاغة والفصاحة وقسم من الشعراء لم يكن باستطاعتهم الحضور بأنفسهم لسبب أو لآخر فقد أرسلوا نتاجاتهم الأدبية لتتلى نيابة عنهم في المؤتمر.

وفي أمسية اليوم الأول للمؤتمر كان هناك برنامج الصوت والصورة ليوم الغدير وقد ترك هذا البرنامج أثراً جيداً واستحساناً من لدن الحاضرين والمشاركين، واستمر الحال على هذه الشاكلة طيلة الأيام التالية.

وبخصوص معرض الكتاب الذي تُعرض فيه جميع الكتب التي كتبت عن بيعة الغدير وبعضها كانت تعرض أغلفتها فقط وهي بالآلاف وكان ذلك قد جذب انتباه وإعجاب الحاضرين والمشاركين من العرب والأجانب من المسلمين وقد تم خلال المؤتمر أو المهرجان إقامة مسابقة لأفضل كتاب يؤلف عن الإمام علي (عليه السلام) ويوم الغدير ورصدت اللجنة عدداً من الجوائز للفائزين بالمسابقة.

أما المهرجان الفني الذي أعدته اللجنة في (رويال كولج أوف آرت) Royal College of Art (الكلية الملكية للفنون) عرضت فيه الصور والقطع الفنية التي تعبّر عن تقدير الفنان وتصويره لهذا اليوم وتحت شعار (علي والفن) الذي حظي بتقدير الكثير من المشاركين والمدعوين بالرغم من اعتراض البعض ومحاربتة ومعارضته الشديدة لأصل الفكرة، ولكن كانت في النهاية صورة رائعة لعرض الفن الإسلامي التشكيلي وإبراز دور الفنانين والحرفيين البارزين والمهمين في العالم

الذي كانوا يحاولون إخراج صورة من فنهم وإمكاناتهم الحرفية في الاستفادة من اسم علي (عليه السلام) وعرض ولائهم وحبهم للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويحدثنا السيد الشهرستاني بقوله: «استطعت أن أفهم الآخرين كيف أن مختلف العقائد في العالم من القدماء والمعاصرين أنهم يختلفون في الآراء ولكن في النتيجة عندما يعيا الكاتب أو الشاعر أو الفيلسوف عن بيان رأيه كان الفنان يدخل الساحة بأزميله وعمله وريشته الفنية وحرفته ليثبت صحة عقيدته ودعواه بالصورة التعبيرية».

وفي نهاية المطاف وعلى العموم كان المهرجان ناجحاً وحقق هدفه من جميع النواحي المختلفة وقد وثق السيد الشهرستاني أحداث هذا المهرجان وعده حدثاً مهماً في تاريخ المؤتمرات والمهرجانات التي عقدت في السنوات الأخيرة. جتماع مصغر.

مركز الإمام الخوئي في بومبي (أكبر مركز إسلامي شيعي في العالم)

ومن المشاريع المهمة التي نهضت بها الشركة برئاسة السيد الشهرستاني هو تصميم وإنشاء مركز الإمام الخوئي (تذ) في مدينة بومبي الهندية والذي يعدّ من أكبر المراكز الثقافية الشيعية في العالم من حيث التصميم الراقي والتنفيذ الرفيع حيث بني على أساس من التحدي لأحد العجائب السبعة في العالم وهو تاج محل في (أكرا) توخى فيه المصمم طراز الفن المعماري الإسلامي والزخرفة الدقيقة والنحت الأصيل وبذلك يكون قد تحدى التكنولوجيا الحديثة المتقدمة من حيث استخدام المواد الإنشائية الحديثة وطرق التنفيذ ولا غرابة إذا ما أطلق على هذا المركز اسم (تاج محل بومبي).

يقول السيد الشهرستاني: جاءني السيد محمد تقي الخوئي يوماً وأنا في لندن وقال: إن سماحة السيد يرغب في إقامة مركز إسلامي مهم جداً وهذا المركز يكون في الهند بحيث يتمكن المركز أن يكون منافساً وعظيماً ومهماً ومن المشاريع الإسلامية المشابهة في الهند وكما تعلم في الهند تاج محل وهو يعد من إحدى العجائب السبعة في العالم، وإذا طلبت تصميم هذا المشروع من أي مهندس آخر فمن الضروري أن أعرضه عليك للمصادقة والتأييد، فلماذا لم تقم أنت مباشرة بهذا العمل من البداية؟

وما كانت إجابة الشهرستاني إلا بالسمع والقبول وبالفعل باشر منذ ذلك اليوم في نيسان (١٩٩٠م) بالعمل على تصميم المركز الثقافي للإمام الخوئي، ومع أنه استغرق وقتاً ليس بالقصير ولكن كان التصميم مشابهاً لتصميم تاج محل وهو

مشروع كبير يتكون من (١٢٠) ألف متر مربع تحت البناء ويتكون من القسم المركزي الشامل على المسجد الرئيسي والمكتبة العامة وقسم الخدمات الثقافية وإلى جانبه مدرسة علمية لتربية الفضلاء من الحوزة العلمية ومدرسة مهنية لتعليم الطلاب أنواع الحرف والمهن وقسم داخلي كبير يستوعب ثلاثة آلاف طالب وقسم لسكن الأساتذة والمعلمين والقسم الأمامي لهذه البناية يضم المستشفى لمئة سرير ومدرسة الأيتام وقاعات كبيرة للاجتماعات.

لقد باشر الشهرستاني بهذا البناء سنة (١٩٩٠م) وبسرعة كبيرة وعمل متواصل ليل نهار للإسراع في إكماله وإنجازه ولكن بعد إكمال حوالي ٨٠٪ منه اعترضت الحكومة الهندية على البناء وأوقفنا عن العمل بحجة أن المراكز الدينية يُمنع بناؤها في بومبي.

لقد وصفت جامعة العلوم التكنولوجية بعد زيارتها مع طلابها هذه البناية بانها يمكن أن تُسمى تاج محل بومبي، وكذلك أساتذة جامعيين وعمداء إيرانيين من جامعة الإمام الخميني وجامعة بهشتي زاروا الموقع واستغربوا من الأسلوب المعماري المتبع في هذه البناية وقالوا: كلما نبغيه لطلابنا في المدارس حول العمارة الإسلامية وجدناه متوفراً في هذه البناية التي تُعد صرحاً إسلامياً من حيث فن العمارة.

وبقيت الحالة بعد اعتراض الحكومة المحلية الهندية على العمل كما هي ولم تتمكن من إكمال البناء خاصة قسم المسجد والأعمال التكميلية الأخرى لباقي المباني داخل هذا المجمع، ومع مزيد الأسف تزامن ذلك مع وفاة المرجع الديني السيد الخوئي (تذُر) فتوقف التمويل أيضاً وبقي هذا الصرح غير كامل ولم يمكن الاستفادة منه.

وبعد وفاة السيد الخوئي (تذُر) وبموجب النظام الأساسي الذي كان السيد (تذُر) وضعه لمؤسسات الإمام الخوئي، والذي كان ينص بانتقال التولية أو

الإشراف على العمل إلى المرجع الديني الذي من بعده والذي يرجع إليه المسلمون الشيعة، حسب رأي ثلثي أعضاء الهيئة المركزية للمؤسسة، اتفق أعضاء الهيئة المركزية على أن المرجع الذي يجب الرجوع إليه والذي من حقه الإشراف على هذه المؤسسة الخيرية هو سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني.

وبعد الرجوع إليه تفضل سماحته بتكليف الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان القيام بهذا الدور، ولكن مع مزيد الأسف كانت اختلافات في الرأي بين الشيخ محمد مهدي شمس الدين وبين السيد مجيد الخوئي نجل الإمام الخوئي والذي كان في ذلك الوقت بموجب النظام الاساسي للمؤسسة هو الأمين العام للمؤسسة، فلذا كتب الشيخ محمد مهدي شمس الدين إلى سماحة السيد السيستاني ما مضمونه إنَّ هذا الإشراف لا يمكن أن يتحقق، ولذا بقي هذا المركز (مركز الإمام الخوئي الخيري في بومبي) على وضعه كما شرحناه ولم يتقدم أحد لا المرجعية ولا المؤسسة لإكمال ذلك.

مركز الإمام الخوئي في نيويورك

بعد مركز الإمام الخوئي في بومبي والذي كان العمل فيه يسير بسرعة كبيرة، يقول السيد الشهرستاني: طلبت مني مؤسسة الإمام الخوئي عمل دراسة لإقامة مؤسسة ثقافية دينية في نيويورك تكون لاثقة بالمسلمين الشيعة خاصة في هذه المدينة الكبيرة وقد كانت المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية قد حددت مكاناً في نيويورك لهذا الغرض، فارتأى الإمام الخوئي شراء ذلك وبناء مركز أكبر منه على طريق المطار في نيويورك، وبعد البحث الطويل أمكن الحصول على قطعة من الأرض أو بالأحرى معمل متروك على الشارع الرئيس المؤدي إلى مطار نيويورك الدولي وفي منطقة (بارك وي)، وعملت الدراسات على تغيير هذا المصنع واستبداله بمركز إسلامي ثقافي كبير بنيت عليها القبة والمنارة وكانت ولا تزال ظاهرة للعيان لكل من يمر من هذا الطريق إلى نيويورك أو يدخل إليه، لقد تم بناء هذا المكان في سنة (١٩٩٠م) وافتتح بمهرجان كبير حضره أعضاء من الكونكرس الأمريكي وممثلين عن الحكومة المحلية في نيويورك وكان في اليوم الخامس عشر من شعبان لذا قررت الحكومة المحلية أن يكون هذا اليوم عيداً للمسلمين في ولاية نيويورك والمركز قائم ومستمر بنشاطاته الواسعة في ولاية نيويورك والمناطق الأمريكية الأخرى ويقدم برامج أسبوعية مستمرة ويضم مدرسة للأطفال ومكتبة عامة يمكن الاستفادة منها للجميع.

مركز دراسات عراق المستقبل

بدأ تجمع المعارضة العراقية ينشط أواخر التسعينات من القرن الماضي من أجل رسم سياسة جديدة تقوم على تغيير نظام الحكم في العراق واستبدال الحالة المتردية بأحسن منها فكان لابد من استراتيجية جديدة لعمل المعارضة وبعد أن اشتدت المطالبة بالتغيير بعد عام (٢٠٠٠م) فكانت الاجتماعات تتوالى بين قوى المعارضة العراقية بكل فصائلها وتوجهاتها.

كان السيد الشهرستاني منذ البداية يعمل مع أقطاب المعارضة وإن كان لا يميل أساساً إلى السياسة وإنما كان عمله منصباً على تقديم الخدمات العامة للشعب العراقي وانتشاله من الحالة المتردية إلى الأحسن من حيث وسيلة العيش ونمط الحياة الحضارية الأفضل وبمعنى آخر يسعى إلى إحداث نقلة نوعية متميزة في كل المجالات التي تخدم العنصر البشري في العراق بعد كل ما عاناه من النظام السابق الذي تسلط على رقاب الشعب العراقي وجلب عليه الويلات والكوارث.

وكانت معظم تلك الاجتماعات تعقد في مركز (كربلاء) بلندن، هذا المركز الذي اتخذ مقراً له في المبنى نفسه الذي تشغله الجامعة العالمية الإسلامية مقراً لها، وكان السيد الشهرستاني ومن يعمل معه من المتعاونين والمساعدین في دعم أنشطة هذا المركز، وبالتدریج بدأت قوى المعارضة تقوى وتنشط وتنضج اجتماعاتها وتنوع طروحاتها التي كان بعضها يحظى بموافقة السيد الشهرستاني وجماعته وبعضها يخالفهم فيها لأنه كان يكرر دائماً بأنه يميل إلى الخدمة ولا يسعى إلى جاه أو منصب رسمي إذا ما تغير الحال، وفعلاً كان ذلك فبعد التغيير وتبديل النظام لم يسع إلى ذلك بل توجه إلى الإعمار والبناء والخدمة العامة

وتأسيس المشاريع الخيرية والخدمية والعمرانية ولم يلتفت إلى غيرها أبداً.

يتذكر السيد الشهرستاني إن اجتماعاً مكثفاً لبعض الشخصيات المعارضة عُقد قبل انهيار النظام السابق ضمَّ عدداً من الأكاديميين وذوي الكفاءات العلمية والإدارية والسياسية دعا إلى هذا المؤتمر الدكتور أحمد الجلبي وكان الدكتور الشهرستاني حاضراً الاجتماع الذي لم يكن راضياً عن طروحاته ومنهجه لأنه كان يتوقع أن يكون هذا الاجتماع سيناقتش موضوع المستقبل الزاهر للعراق الذي يتمناه المخلصون ولكن حصلت عند السيد الشهرستاني حالة من الإحباط عندما سمع من الحاضرين طرح أفكار خارجة عن هذا الهدف المنشود، وخاطب الدكتور الجلبي وقال له: كنت أتصور أن الهدف من الدعوة والاجتماع طرح موضوعات أخرى لها مساس مباشر بمصلحة الشعب العراقي وتخطيط إستراتيجيات لعراق المستقبل وأنا أرى أمامي وجوه لامعة وعقول مفكرة وكفاءات ممتازة لها أن تخطط في الحال الحاضر لعراق المستقبل وإجراء تغيير نظام الحكم فيه كي يستطيع الجميع العمل من أجل البناء والتطور والتحديث ونقل الحالة المتردية للشعب العراقي إلى حالة أفضل يتمتع فيها العراقيون بالحرية والتقدم والازدهار بكل ما تعنيه هذه الكلمات من معانٍ سامية، وقد طرح السيد الشهرستاني في هذا التجمع أفكاراً مدروسة منها وضع إستراتيجيات مهيأة، فنهض أحد الحضور وهو الدكتور سعد جواد وقال: نحن نرجو من الحاضرين أن يكلفوا المركز العالمي للأبحاث الفنية بتحمل هذه المسؤولية في إعداد الدراسة، ولهذا السبب أسس مركز دراسات عراق المستقبل حيث بدأ بتهيئة إستراتيجيات ودراسات قائمة على أسس علمية مدروسة عن طريق المصادر الأجنبية العالمية وما هو مدوّن في دوائر المعارف وفي الكتب المخزونة في المكتبات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ومراكز الدراسات والمعلومات التي تنشرها الـ CIA والمعلومات التي تبثها المراكز المهمة للدراسات الإستراتيجية في العالم، كل ذلك نضعه تحت اليد فضلاً عمّا

يملكه المركز من مجموعات تؤلف ملفات كبيرة يحتفظ بها المركز، وفعلاً نظمت برامج لمثل هذه الإستراتيجية وتم دعوة جميع الكفاءات إلى ذلك وأوضح المركز برئاسة السيد الشهرستاني للجميع كل النقاط التي يجب دراستها والتأكيد عليها وهي أداة مطالعات كافية ودراسات محكمة رصينة حول تلك القضايا حتى إذا ما أزف الوقت وحن موعد التغيير عندها نكون قد أنهينا كل شيء ووضعنا كل الطرق والسبل التي حصلنا عليها ووضعها موضع التنفيذ ونكون على جاهزية تامة ومن دون أن نتظر ماذا نعمل وماذا نطبق وعلى أي منهج نسير.

وبالفعل كانت الاجتماعات تتواصل والموعد يقترب كما يبدو في الأفق والواجبات تم توزيعها على الأقسام والأشخاص كل حسب اختصاصه وإمكاناته وقدراته، ولكن (مع الأسف الشديد) كان يرى السيد الشهرستاني إنَّ المشاركين في الاجتماعات بدأوا ينسحبون تدريجياً ويقلّ تواجدهم في الاجتماعات يوماً بعد يوم ولا أدري (والقول للسيد الشهرستاني) ما هو السبب في هذا التباطؤ؟ هل هو انهزام أم عدم الشعور بالمسؤولية أم قضايا أخرى وراء هذا التهاون في الاجتماعات؟ وعندما كان المركز يوجه لهم الأسئلة كانت إجاباتهم غير مقنعة ويظهر منها تهربهم من المسؤولية والمشاركة في العمل.

ويستمر السيد الشهرستاني وهو يبدي ألمه وأساه لما يحدث ولما يرى من أصحاب الكفاءات ورجال المعارضة بالرغم من الحث الشديد والتنبيه لتحمل المسؤولية الوطنية والدينية ولكنه ظل صامداً ومصراً على إتمام المسيرة التي بدأها مع رفاقه الذين لم يتخلوا عنه في أحلك الظروف.

استمر المركز والجامعة العالمية وبجهود من رئيسهما بتتبع المعلومات الأساس وملاحقة ما تكتب دوائر المعارف ومراكز البحوث العالمية ومكتبة الكونغرس والمؤسسات الأخرى التي تعمل على القضايا الاجتماعية والتنموية وكان المركز والجامعة كل منهما يجمع المعلومات التي تخص العراق ومستقبله ولكن ذلك

لم يكن كافياً ولأنَّ المعلومات التي يحصلون عليها من الداخل كانت ضئيلة جداً أو مشوشة أو تكاد تكون منعدمة وكان السيد الشهرستاني ومراكزه البحثية تنتظر الفرصة التي يتغير فيها النظام كي تتاح الفرصة له ولجماعته من جمع تلك المعلومات التي تجمعت لديهم طيلة هذه المدة ووضعها في بودقة واحدة عندها يمكنهم وضع إستراتيجية أساسية لعراق المستقبل.

يوصل السيد الشهرستاني الحديث فيقول: كنا نستمر لوحدنا في هذا المجال لعدة اشهر حتى سقوط النظام الصدامي، حيث اخضرت الجنان (كما يعبر عنها) وانتقل قسم من المشاركين معه إلى العراق وهذا تم بعد إعلان الحكومة الأمريكية عزمها إسقاط النظام، وكم حاول السيد الشهرستاني بواسطة بعض الأشخاص استقطاب بعض الكفاءات التي كانت تعمل معه ولكن من دون جدوى وكانت صرخة في وادٍ ونفخة في رمادٍ، وإنَّ الذين تعاونوا معه في البداية اتضح إنَّ أهدافهم الوصول إلى السلطة والبعض منهم كراهيته لصدام وبعضهم محبتهم للأمريكان وتأييدهم لخططهم ومنهجهم في العمل السياسي وآخرون يرون وجوب سقوط نظام البعث واستبدال النظام، بنظام ديموقراطي ليبرالي علماني ووضعوا أيديهم بأيدي الأمريكان على أمل المشاركة في تأليف الحكومة والحصول على مغنم شخصية من جراء التغيير الذي يحصل عند بناء الدولة الجديدة وقد كان بعضهم مندفعاً للخدمة والإفادة من التغيير لصالح الشعب والبعض الآخر - مع الأسف الشديد- كان همَّه الأول والأخير الاستئثار بالسلطة وجزَّ المنافع له ولأهله والمقربين اليه.

وقد امتنع السيد الشهرستاني في الخوض بالتفاصيل فهي معروفة (على حد قوله) ومذكورة في أدبيات المرحلة والتاريخ سيكشف الكثير منها.

العودة إلى الوطن (رجوع الطير إلى أكنانه)

بعد سقوط النظام عام (٢٠٠٣م) قرر السيد الشهرستاني العودة إلى مسقط رأسه كربلاء ليحقق ما كان يدور في خلدته ويعتمل في ذهنه من تحقيق ما كانت تصبو نفسه إليه من خدمة لهذه المدينة التي شرب من مائها وتغذى من فاكهة بساتينها وانتهل علمه الأولي من معاهدها فلطالما فكر وهو بعيد عن مرايع الصبا معللاً النفس بأن يأتي ذلك اليوم الموعود الذي سيحط رحاله في مدينته التي أنجبته فأحبها وأحبته ليوفيهما بعض الحق.

قطع المراحل الطويلة حتى وصل العراق عن طريق سوريا بعد سفر متعب مضمن شاق بسبب الوضع العسكري للقوات الأجنبية التي ما زالت تمسك بالأرض والناس في فرح ينتابه الدهول.

جاء إلى كربلاء فتألم لما شاهده من تخلف ورجوع إلى الوراء بعد أن تركها في حالة أفضل قبل خمسين عاماً، وهنا فكر ملياً والألم يعتصر قلبه والدموع تنهمر على خديه، فسأل نفسه: أن أبدأ من اليوم ومن الساعة لإنقاذ مدينتي... مدينة البطولة والفداء... مدينة سيد الشهداء وأن أترك أي مشروع مهما يكن إلا المشروع الإنمائي لهذه المدينة المقدسة، لأنني كنت قد قررت ذلك وأنا في الغربة وتمنيت أن أرى هذا اليوم الذي سأخدم فيه هذه المدينة المظلومة وأقدم ما استطعت تقديمه للإعمار والتطور والنهوض كي أعوض عما فاتها في السنوات الغابرة السابقة، وسأكون جندياً مخلصاً في سبيل ذلك لا أطلب من أحد جزاء ولا كلمة سوى أطلب من الله العون والسداد والتوفيق لخدمة أهل البيت (عليهم السلام) وخدمة مدينة

أبي الشهداء (عليه السلام) وهذا كل ما أنشده في دنياي التي لم يبق لي من أيامها إلا النزر اليسير... فالمال زائل والجاه زائل والمنصب زائل ولم يبق سوى العمل الطيب والذكر الحميد.

إنما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لمن روى

وكل من لم يرتق هذا السلم الصعب الطويل ولم يؤمن بما هو حق فمصيره الندم ولات ساعة مندم وسيلعنه التاريخ، على العكس ممن يعمل متوخياً وجه الله تعالى مؤثراً مصلحته الذاتية لصالح الأمة، فمكانه بين سطور التاريخ سيبقى متألّقاً شامخاً مخلداً دنياً وآخرة.

وأخيراً كان قرار السيد الأخذ بنظر الاعتبار العودة إلى كربلاء للإسهام في خدمة مدينته وتطويرها وأخبر زملاءه بهذا القرار النهائي الذي لا رجعة فيه وأوكل أعماله كلها في لندن بما فيها الجامعة الإسلامية العالمية إلى زملائه العاملين معه وأوصاهم بإتمام المسيرة وإكمال ما تبقى وقال لهم: اعتبروني ميتاً منذ هذه الساعة وأنا عازم على الذهاب للقيام بما يملية عليّ واجبي، فتمت تصفية الأمور المتعلقة بشخصه وتوجه نحو العراق ووصل كربلاء كما قلنا وبدأ يخطط للعمل منذ اللحظة الأولى وكانت البداية أن بدأ بالمشروع الحيوي الأساس الذي يتعلق بإعمار العتبات المقدسة في العراق.

إعمار وتوسعة العتبة الكاظمية المقدسة:

العتبات المقدسة في العراق كلها كانت مهملة ولم يكثر أحد من المسؤولين في إعمارها وظلت سنوات طوال تعاني هذا الإهمال سواء أكان في الخراب الذي أصاب أجزاءً منها أم التوسعة في المكان أم الإنارة والتبريد والمفروشات والستائر وما إلى ذلك من الوسائل التي تظهر العتبة بالمظهر اللائق وكذلك في نقص الخدمات، هذا هو واقع العتبات المقدسة في العراق.

والعتبة الكاظمية واحدة من تلك العتبات التي طالها الإهمال فكان لا بد

للمخلصين أن يشمروا عن سواعدهم وينتشلوا هذه الأماكن المقدسة مما تعانیه وكان لها السيد المهندس الدكتور محمد علي الشهرستاني، فمنذ اليوم الأول رسم خططاً وحدد تواريخ معلومة للبدء بالعمل شيئاً بعد شيء.

توسعة الحضرة الكاظمية ورفع عمودي القبتين من جانبي الضريح:

كان زائرو العتبة الكاظمية المطهرة يعانون كثيراً من الزحام الحاصل في الجهة الشرقية والغربية من ضريح الإمامين الكاظم والجواد (ع) فالمسافة بين الجدار والشباك لا تتعدى متراً واحداً مما يسبب حرجاً وضيقاً للزائر، وقد قدمت دراسات كثيرة منذ عقود من الزمن ولكن المشكلة لم تحل ولم يجرأ أي من المهندسين (الأجانب والمحليين) على إجراء التغيير والتوسع بالرغم من دراسة وافية كان قد قدمها السيد الشهرستاني في السبعينات تتضمن رفع الدعائم من جانبي الضريح المقدس من جهة الرأس ومن جهة الرجلين التي تركز عليها القبتان، وكانت الدراسة دقيقة وهندسية بحيث نالت اهتمام المكاتب الهندسية وقبولها وقد دفع إلى العمل هذا المرحوم الشيخ محمد حسين المؤيد، هذا الرجل كانت تشغل اهتمامه مثل هذه الأمور وبخاصة في إعمار العتبات المقدسة والأماكن الدينية الأخرى وهو الذي سعى بنصب الأبواب الذهب للعتبة الكاظمية والحسينية وسعى إلى تذهيب المنائر للعتبة العسكرية في سامراء وتبديل ضريح الإمامين العسكريين بضريح فني جديد صنع خارج العراق وعلى كل حال كان هذا المحسن (المؤيد) من الذين شجعوا وحفزوا السيد الشهرستاني للقيام بعملية التوسعة التي ينتظرها جميع الزوار، فاقترح على السيد الشهرستاني البدء بالعمل وذلك أسوة بما فعله في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) عندما حقق إنجازاً هندسياً مهماً قائماً إلى اليوم وذلك برفع الجدار الأساس والجدران المحيطة بالضريح المبارك فتحصل مسافة بين العمود والضريح مضافة إلى المسافة السابقة التي هي (١٢٠) سم.

وبعد دراسة متأنية دقيقة تقدم بها السيد الشهرستاني إلى سدانة الروضة تم رفعها

إلى وزارة الأوقاف، وتدارسها المختصون واقتنعوا بأن تنفيذ التوسعة لا يؤثر على القبتين وأكد لهم السيد الشهرستاني نجاح المشروع وقال لهم: أنا مستعد لأعطي تعهداً خطياً بذلك وعلى مسؤوليتي الخاصة ولكن فوجئ السيد

توسعة حرم الامامين الجوادين وتركيب الضريح الجديد

الشهرستاني في الساعات الأخيرة بأن أحد علماء الكاظمية وبتوجيه من ولده الذي كان يعمل مهندساً مستجداً أشار على وزير الأوقاف بإيقاف التنفيذ لهذا المشروع لأنه غير صحيح في الوقت الحاضر وبعد تخريباً لتراث معماري قديم وقد يحدث خروفاً في القبتين ستؤثر عليها مستقبلاً، ويقول الشهرستاني: مُنعنا من المباشرة بالعمل وتركت الأمر على ما هو عليه حتى رجوعي إلى العراق عام (٢٠٠٣م) وأول ما فكرت به هو العودة إلى تنفيذ المشروع خدمة لزاكري الإمامين وهو أول مشروع أبدأ به في العتبات المقدسة وتلته مشاريع كبرى سأحدث عنها لاحقاً.

يقول الشهرستاني: بدأنا العمل في التوسعة داخل الحضرة الكاظمية عام (٢٠٠٤م) وبتشجيع ودعم من سماحة الفقيه السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (حفظه الله) وكان المسؤول الأول عن العتبة المقدسة فأبدى موافقته على البدء بالعمل بعد أن تم اجتماع ضم السيد حسين بركة الشامي رئيس ديوان الوقف الشيعي والسيد الصدر وأنا (الشهرستاني) داخل الحرم ووقف الجميع على الأمر واستطلعوا المكان وقرروا المباشرة في العمل، وفي اليوم الثاني بوشر بالعمل، ويقول الشهرستاني: ومن هنا بدأت المعاناة من المسؤولين في دائرة الأوقاف وبعض الأشخاص ممن كان يخالف الفكرة ولن يرضى بالعمل هذا، وكان الصراع مع الدائرة الفنية في الوقف الشيعي ولكن بعون الله واصلنا العمل (والكلام للسيد الشهرستاني) وفي خلال أسابيع قليلة تمكنا من إنجاز الأعمال الإنشائية التي كانت تقتضي صب دعائم أو جسور أساس وكبيرة من السطح إلى تحت القسم العلوي لهايتين الدعامتين اللائتي ترفعان وتحملان القبتين، بعد إكمال ذلك تم رفع القسم

الطابوقي الذي تحت الجسرين الخرسانيين اللذين وضعناهما في الطرفين، ولا ضرورة لشرح ما عملنا والتفاصيل ليس لها مجالها هنا، وقد دوننا ذلك بالتفصيل وقدمنا تقريراً مفصلاً للمرجع الاعلى السيد السيستاني (حفظه الله).

هكذا كان المشروع وتم في حدود شهر قليلة بفضل سعة الأفق المعماري والهندسي الذي يتمتع به الرجل الحاذق لعمله والذي أثار إعجاب الآخرين للسرعة والإتقان الذي تم فيه، وقد ترك هذا الإنجاز أثراً اجتماعياً وفتياً كبيرين في العراق لأنه سبق وأن طلب من العديد من المهندسين العراقيين والأجانب لإجراء التوسعة هذه فلم يتقدم أحد منهم للمشروع بالعمل معتذرين ومتذرعين بحجج أثبت عملنا بطلانها.

لهذا طلب السيد الشهرستاني من الجامعة التكنولوجية في بغداد عقد مؤتمر أو ندوة هندسية لشرح المعالجات والحلول التي قدمت واستخدمت، وعلى ضوئها نفذ هذا المشروع المهم.

وبناءً على دعوة الأستاذ الدكتور نمير خورشيد (عميد كلية الهندسة الإنشائية) في الجامعة المذكورة انعقدت هذه الندوة وحضرها العديد من أساتذة الجامعة التكنولوجية والأساتذة الآخرين والمعنيين بالأمر من المهندسين المدنيين والمعماريين وأساتذة الدراسات العليا.

بدأ السيد الشهرستاني بتقديم شرح ودراسة مفصلة عن جميع الحلول التي أخذها بنظر الاعتبار لرفع هاتين الدعامتين وكانت هناك مناقشات وأسئلة عديدة تمكن من الأجابة عليها وإقناع الحاضرين بسلامة العمل الذي تم إنجازه، وفي النهاية قدّم رئيس الجامعة وعميد الكلية هدية تذكارية عبارة عن لوحة فنية تقديراً لهذا العمل الجبار.

أما بشأن الحفل الذي أقيم في الصحن الكاظمي الشريف بمناسبة الانتهاء من مشروع التوسعة الداخلية فقد أقام رئيس ديوان الوقف الشيعي احتفالاً تكريمياً

للسيد الشهرستاني حضره المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ وعدد من الوزراء والشخصيات البارزة وقد ألقى السيد رئيس ديوان الوقف الشيعي السيد حسين بركة الشامي كلمة أشاد فيها بالجهود الخيرة التي قام بها السيد محمد علي الشهرستاني في إنهاء هذه المعضلة التي عانى منها الزوار طويلاً عند زيارتهم الروضة المقدسة، وفي الأخير قدم لوحة تذكارية هدية للسيد الشهرستاني تقديراً لعمله هذا وكذلك قدّم الدكتور حسين محفوظ هدية مماثلة، وبعد انتهاء الحفل تشرف الجميع بزيارة الإمامين (□) والوقوف على العمل المنجز عن قرب مباركين ومهنيين لكل يد أسهمت في إنجازه.

أحد مراسلي الصحف سأل الدكتور الشهرستاني عن السبب الذي عجز عنه المهندسون والمقاولون في الماضي من القيام بهذه التوسعة، بينما أنتم وبكل جرأة صمتم وأقدمتم واستطعتم من تنفيذه وإنجازه بالشكل الصحيح الذي نراه الآن، أجابه الشهرستاني قائلاً: هذه النقطة الجوهرية التي أثيرها دائماً وأعتقد بها وقد ذكرت في بعض الكتب التي نشرتها وهو الحديث المنسوب إلى النبي (ﷺ) حينما جاءه إعرابي قال له: تركت ناقتي خارج المسجد وتوكلت على الله وأتيت لأصلي، ولما رجعت من الصلاة لم أجد الناقة، كيف يكون ذلك وقد توكلت على الله وجئت للصلاة؟ كيف حدث ذلك؟ قال له النبي الأكرم (ﷺ): ((إعقل ثم توكل)) أي اربط رجل الناقة ومن ثم توكل.

فالتوكل لوحده لم يكن كافياً للأمر العامة الأخرى، على كل حال: فالحديث إعقل ثم توكل، وهذا هو شعاري وأؤكد عليه وهذا ما كان في أمر هذا المشروع.

والشهرستاني يؤمن ويعتقد إن العلوم التقنية يجب أن تُدرس بصورة تامة وكاملة كما أن الرجل الغربي يدرس ذلك ويعتمد عليه ولكننا نعتقد بأن هذه الدراسات التكنولوجية إذا وصلت إلى طريق مسدود لم يكن هذا الخط هو النهاية إنما يجب الطلب من الله تعالى أن يرشدنا إلى الحلول التي تعين في حل المشكلة أو المعضلة

لأنه هو الوحيد الذي إذا أراد أن يقول للشيء كن فيكون، فنحن نرتكز على قوة لا متناهية تقول للشيء كن فيكون، والشهرستاني في جميع أعماله هذه هي الطريقة التي يسوقها، إنه الأمر نفسه في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) حين عجز المهندسون عن توسعة الحرم المطهر هناك وتقدم هو لوحده معتمداً على الله وعلى الإرادة الحديدية القوية والإيمان اللامتناهي واستطاع أن يتحدى كل الصعاب ويتجاوز كل المعوقات ونفذ المشروع بصورة صحيحة وهو إلى اليوم يحكي قصة الولاء والحب لأهل البيت (عليهم السلام) والإخلاص في العمل وصدق النية، فهو يشكر الله ويحمده لما أنجز وما قدم ونفذ، فبعد الدراسات التكنولوجية والحسابات الدقيقة الهندسية استطاع التوصل إلى الحل الأمثل والحصول على النتائج الطيبة كما يشاهدها الزائر أمام ناظريه وهذا لم يكن لولا توكلنا على الله وإيماننا واعتقادنا بالحديث الشريف (إعقل ثم توكل).

والشهرستاني يدعو الجميع ممن يعتقد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويؤمن بكلامه الشريف أن يسلك هذا الطريق والمعادلة التي يعلنها الشهرستاني لأخوانه وهي المعادلة الصحيحة للمسلم حين يريد أن يجد حلاً لمعضلاته ومصاعبه أن يتمسك بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إعقل ثم توكل) فتسهل كل الأمور للإنسان وهذا هو السر في جرأتي ويقيني أن هذا العمل الذي نفذته هو عمل صحيح ومدروس، وهذه جملة معترضة يركز عليها السيد الشهرستاني ولكنه يعدّها نقطة جوهرية يذكّر بها الشباب الناهض الذي يروم شق طريقه في العمل الجاد المثمر وأن لا يتوان عن القيام بأي عمل إلا بعد التوكل على الله حيث سيجد قوة خفية ربانية تسنده وتدعمه وتشد من أزره.

وخلاصة القول إن ما تم إنجازه في مشروع التوسعة داخل الحضرة الكاظمية قد حل معضلة ومشكلة استمرت لسنوات طوال لا بل لقرون حيث توسع المجال من عرض (١٢٠) سم إلى (٣٠٠) سم وأصبح بإمكان الزائر الطواف بحرية من دون

تزاحم وتدافع ويتحرك بحرية وبمساحة عريضة.
وقد أشادت الصحف والأدبيات بهذا الإنجاز الرائع.
مشاريع عمرانية في كربلاء:

بعد أن عاد السيد الشهرستاني من بلاد المهجر إلى كربلاء ورأى ما أصاب العراق من خراب عموماً وكربلاء جزء من العراق فلا بد أن تكون هذه المدينة كمثيلاتها من مدن وقصبات العراق ومن الطبيعي أن يكون هذا الإهمال والخراب هو جزء من المخطط الذي أراد له الحكام المتسلطون على مقدرات البلد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية أن يكون بهذه الصورة... خراب متعمد، وتخلّف قد خطط له الأعداء منذ زمن.

حل الشهرستاني في كربلاء بعد تغيير النظام ٢٠٠٣م مباشرة وعمل مسحاً سريعاً فقرر أن يبدأ منذ اللحظة التي وصل فيها، وراح يفكر ملياً من أين يبدأ وبأي وسيلة ينهض بالمدينة وبعد تأمل طويل أقرّ أن تكون البداية من العتبة الحسينية المقدسة وما حولها ومن ثم التحول إلى العتبات المقدسة الأخرى في النجف الأشرف والكاظمية وسامراء.

مشروع دورات المياه والحمامات للزائرين في باب قبلة الامام الحسين عليه السلام:

بعد أن طاف في المدينة وعمل مسحاً ميدانياً للحالة العمرانية وجد أن المدينة تحتاج إلى جهد كبير متواصل وأيادٍ مخصصة للنهوض بهذه البلدة المقدسة، بدأ بما هو واجب وعاجل يجب أن ينفذ أولاً وهي دورات المياه والحمامات التي تشكل معضلة للزائر أيام الزيارات، فما هو كائن منها قليل ومتخلف وبائس ولذلك بدأ في اختيار المواقع لتنفيذ المشروع فاختار أولاً الشارع الذي يربط بين الحرمين على أن تكون المرافق والحمامات تحت الأرض ولكن بعد دراسة مستفيضة للمكان وجد السيد الشهرستاني إن هذه الأرض فيها إشكالات شرعية منها ما هو مغتصب ومنها ما هو موقوف إلى غير ذلك من المحاذير الشرعية فترك الموضوع على أن يبحث

عن مكان آخر بدلاً من هذا الشارع فوق الاختيار على الساحة الكبيرة المقابلة لباب القبلة من صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وكانت مرآباً للسيارات وساحة للباعة المتجولين تبلغ مساحتها حوالي (٢٠٠٠م^٢)، فقرر السيد الشهرستاني أن يكون هذا المكان هو الأفضل للمشروع لقربه من الصحن الشريف، وسعة المساحة، وعدم وجود الإشكالات الشرعية، وعدم عرقلة الحركة للزائرين.

بدأ يتحرك على هذا الأساس وهو متحير لمن يبدي رأيه أو يخاطبه في هذه القضية وهو بعد لما يزل غريباً لبعدها الحقبة الزمنية الطويلة التي غادر فيها مدينته، وبعد حراك استطاع أن يعثر على من يوصله إلى المسؤول عن مثل هذه الأمور وهو الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، فتمت مقابلة الأمين العام مع الصديق الذي تربطه علاقة مع الأمين العام وجرى التعارف فيما بين السيد الشهرستاني والأمين العام وبعد تبادل عبارات الترحيب تم مفاتحة الأمين العام بالموضوع: أجاب الأمين العام بأن بلدية طهران طلبت من العتبة السماح لها بإقامة مشروع مثل مشروعكم هذا، وقدمت التصاميم اللازمة وأن يكون المشروع في الساحة نفسها التي اخترتموها (ساحة باب القبلة) ولكن العتبة الحسينية اعترضت على التصاميم وطلبت بعض التعديل والتغيير فيها فأرجعت إلى طهران ولم تعد إلينا لحد الآن، ولم يحصل أي إجراء ولذلك فنحن (والكلام للسيد الأمين العام) على استعداد لكل من يقدم مشروعاً يفي بالحاجة وعلى أسس حديثة ويخدم الزائرين، فلا مانع لدينا بعد الاطلاع عليه وحصول الموافقة من قبلنا، أجابه الدكتور الشهرستاني: إذا أعطيتمونا الخارطة المطلوبة فإنني خلال (٤٨) ساعة أقدم لكم التصاميم والخرائط، وهذا ما كان فعالاً والحمد لله فبعد هذه الساعات المحدودة سلم السيد الشهرستاني لهم ثلاثة بدائل وثلاث خرائط تاركاً الأمر لهم لاختيار الأفضل والأنسب فاختراروا واحداً من النماذج وكان ذلك قبل أسبوع من حلول زيارة الأربعين في السنة الثانية من سقوط النظام البائد (٢٠٠٤)

م) لذا طلب تأجيل المباشرة إلى ما بعد الزيارة مباشرة ليتفرغوا كلياً للمشروع وفعلاً تمت الموافقة وبوشر بالعمل ليل نهار على أساس أن نبدأ بالقسم السفلي تحت الشارع لإنشاء مجموعة صحية تتكون من (٤٠٠) كابينة (وحدة تواليت) وحمامات (دوش) ومحلات للوضوء تتسع لـ (٤٠٠) شخص من مغاسل إلى جانبها صنادير شامبو ومكان غسل الأرجل وكل شيء متكامل وقد استعملنا رخام اللابرادور جلب من البرازيل إلى لبنان وفي لبنان يقطع ويستعمل للمغاسل في الفنادق الكبيرة، وعلى هذا المنوال وفي جميع الأقسام الأخرى حاولنا أن نضع ونستفيد من وحدات متطورة وكاملة وفي سنة أو أقل منها استطعنا إنجاز المشروع بزمن قياسي وبمبلغ لم يتجاوز (٨٥٠) ألف دولار.

بنيت المرافق تحت الأرض جدرانها مغطاة بالكرانيت وأرضيتها كذلك وقد قسمت إلى قسمين نصف المرافق والحمامات للنساء ونصفها الثاني للرجال وقد عانت الشركة المنفذة مصاعب في البداية لشفت المياه الجوفية بطرق حديثة علمية، وقد راعى السيد الشهرستاني في إنشاء هذه الدورات الصحية آخر ما بني في العالم مثل هذه المشروعات من حيث النظافة والديكور والإنارة والصرف الصحي والراحة وكما هو موحود في السعودية وبلدان متطورة أخرى، واستفاد من خبراته ومشاهداته الكثيرة فنقل ذلك كله إلى حيز التطبيق في هذا المشروع الذي أخذه على عاتقه.

لم يكتف بهذا وحده بل استغل السطح العلوي فوق المرافق الصحية حيث أحال المكان إلى متنزه يسرح ويمرح فيه أطفال الزائرين، والزوار أنفسهم اتخذوا الحدائق مكاناً للتنزه والراحة وقد صفت المصاطب والمظلات وأحواض الماء ذي النافورات وانتشرت أنواع الزهور يفوح عطرها، وسيجت الحدائق بسياج جميل، وعُيّن لها عدد من الفلاحين لرعاية المزروعات والأشجار الدائمة الخضرة، وعلى أية حال فقد أصبح المكان حدائق غناء يأنس بها الزائر ويلهو بها أطفالهم

وقد أضفت بهجة ونضارة على المكان المقابل لباب القبلة من الصحن الشريف وقد حُلَّت مشكلة مستديمة كان يعاني منها الزائر وبخاصة في المناسبات، وبهذه المناسبة إنَّ هذا المشروع قد تبرع به أحد المحسنين من التجار (الحاج أبو الفضل كورد أحمددي) (ﷺ) وهو المتبرع أيضاً لمشروع الكاظمية المماثل ومشروع تسقيف الصحن الحسيني الشريف.

مشروع الدورات الصحية في الكاظمية والنجف:

بعد إنجاز مشروع الدورات الصحية في كربلاء بدأت تخامر السيد الشهرستاني فكرة إنشاء مشروع مماثل في النجف والكاظمية فهما يعانيان المعاناة نفسها التي كان يعانيها الزوار في كربلاء من حيث الشحة وانعدام النظافة والافتقار لأبسط الشروط الصحية المطلوبة.

بعد أن شاهد السيد الشهرستاني الوضع كما هو، عاد إلى لندن وفي طريقه عرج على طهران وهناك عقد اجتماعاً مع كبار التجار والمحسنين ليخبرهم بواقع الحال في العتبات المقدسة وما آلت إليه هذه المدن من خراب وتخلف وعرض عليهم احتياجات المدن المقدسة وأثار كلامه كوامن أنفسهم المحبة للخير والصلاح فأوكلوا أمر الإعمار إليه وتعهدوا بدفع النفقات وعقد السيد الشهرستاني اجتماعاً آخر مع المرجع الديني آية الله الشيخ محمد حسين الوحيد الخراساني في قم المقدسة وهو بدوره أبدى ارتياحه وعرض مساعدته لمثل هذه المشاريع الإعمارية وبعد أن استفسر عما أقوم به (أي السيد الشهرستاني) من أعمال ومشاريع في العراق طلب من السيد الشهرستاني القيام بمشروعين:

الأول: طبع الكتب الشيعية وإقامة معرض للكتاب الإسلامي الشيعي ومعرض للفيديو والسيدوي والاستفادة من الحاسوب وما شابه ذلك، وأمره المباشرة بالعمل وتولى الوحيد الخراساني بدفع المصروفات كافة اللازمة لمثل هذا العمل وتم إقامة المعرض في كربلاء والكاظمية ومن ثم بالمناطق المحيطة ببغداد وكذلك في

الجامعة المستنصرية وجامعة بغداد وكان الإقبال شديداً من لدن الطلبة والمثقفين والأساتذة وذلك لحاجتهم لمثل تلك المصادر والمراجع التي حرموا منها سنين طوال حيث كان الناس بعيدين عما يدور في مجال الفكر والثقافة وما يصدر من نتاجات دينية وأدبية وتاريخية ومعرفية عامة، وكانت هذه المعارض فاتحة عهد خير لإقامة معارض أخرى مماثلة ودخول الكتاب الإسلامي الشيعي الذي كان الشعب محروماً منه لا يدري ماذا يصدر وماذا يظهر من أفكار وآراء في الساحة الثقافية.

أما المشروع الثاني الذي أمر به الوحيد الخراساني هو الاهتمام بإنشاء دورات المياه الصحية والحمامات الحديثة للزائرين في النجف الأشرف وأخبرته بما تحقق في كربلاء وشدد على هذا الموضوع وأكد على السرعة في إنجازه وبحسب المواصفات العالمية.

بدأنا في الكاظمية بمشروع مماثل لما عملناه في كربلاء حيث تبرع المحسنون بدفع الكلفة وهيأنا الخرائط بالمواصفات نفسها وفي الجانب الغربي خلف الصحن الكاظمي الشريف وتم إنجازها بـ (٢٠٠) وحدة تواليت وحمامات وقسم خاص للوضوء ولغسل الأرجل للنساء والرجال.

أما النجف الأشرف فقد تكفل سماحة المرجع الشيخ الوحيد الخراساني بالمصروفات التي يتطلبها إنشاء دورات المياه الصحية المماثلة لما هو موجود في كربلاء وبالمواصفات العالية نفسها وعلى الطراز الحديث لتكون وحدات مثالية على أعلى المستويات فإن من يريد أن يبني فندقاً فأول ما تكون الوحدات الصحية بأعلى المواصفات، فإذا أراد أن يبني فندقاً فلا بد من أخذ المواد الصحية بنظر الاعتبار وكذلك الجمال والنظافة والأناقة تؤخذ بنظر الاعتبار أيضاً، فحينما يرى أن المرافق الصحية وهذه الوحدات التي يحتقرها تكون بالنظافة الكافية والأناقة الكافية فلا بد وأن يأخذ الأعلى منه في فندقه وفيما بينه.

يقول الشهرستاني: وبهذه الصورة كانت رسالتنا في إقامة هذه الوحدات

الصحية رسالتين: الأولى تأمين الحاجة لزوار الأئمة الأطهار في كربلاء والنجف والكاظمية والقضاء على المشكلة التي يواجهونها قبل التشرف في زيارة الأئمة من التطهير والوضوء، والثانية، تغيير المستوى الفكري السائد إلى ذلك اليوم في هذه المدن المقدسة والانتقال إلى مستوى تفكير وتصور الدول المتقدمة الأوربية وحتى الخليجية أو السعودية في الحال الحاضر.

المشروع العظيم لتسقيف صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وبناء الطابق الثاني:

في السنوات الأخيرة وبعد الزيادة الحاصلة في عدد زوار الإمام الحسين (عليه السلام) وسهولة المواصلات أدت إلى حدوث اختناقات داخل الحرم في سائر الأيام ناهيك عن أيام المناسبات وليالي الجمعة حيث يؤم المدينة آلاف الزوار من المدن العراقية القريبة والبعيدة ومن دول الخليج وإيران وغيرها من الأماكن، ونتيجة هذا الزحام يضطر الكثير من الزوار إلى إداء مراسم الزيارة وإقامة الصلاة خارج الحرم في الصحن الشريف، وهو مكشوف ففي الصيف تحرق حرارة الشمس أجساد الزوار وفي الشتاء برودة الجو والمطر والرياح العاتية يُرغم الزائر على تحملها، ولذلك وبعد دراسة مستفيضة تمخضت عن فكرة تسقيف الصحن وإحاقه بالروضة وإزالة مخالع الحذية (الكيشوانيات) ونقلها إلى خارج الصحن، وقدم الدكتور المهندس السيد محمد علي الشهرستاني مشروعاً الذي يعد من المشاريع العملاقة لحل معضلة تفاقمت يوماً بعد يوم تنتظر الحل، فكان مفتاح الحل عنده.

بدأت الدراسة بعملية مسح للحرم الداخلي للإمام الحسين (عليه السلام) فظهر إنَّ المساحة (٢٥٠٠م^٢) والقسم المستفاد منه للصلاة والزيارة يبلغ (١٥٠٠م^٢) والألف متر هي عبارة عن جدران ودعائم للأروقة ورفع القبة المطهرة.

فالمساحة المتبقية الـ (١٥٠٠م^٢) تسع لثلاثة آلاف مصلاً داخل الحضرة وماذا يعمل الآلاف المؤلفة؟ فيضطرون إلى الخروج للصلاة خارج الحرم، وماذا يعملون وقت الظهيرة في الصيف القائلق أو في الشتاء القارس؟ هنا تكمن المشكلة

التي تتطلب إلى حل سريع، كما إنَّ هؤلاء الزوار كلهم سيكونون وقت الصلاة في باحة الصحن الشريف ويجب عليهم أن يتحملوا تقلبات الطقس من شمس محرقة وبرودة قارسة ومطر شديد ورياح عاتية، فلذا كان الحل هو التسقيف وهو الحل الوحيد الذي لا بديل له، وإنَّ ما كان يستخدم من تعليق قطع القماش لتقي المصلين حرارة الشمس فهو عمل لا جدوى من ورائه لأنَّ الرياح والأمطار تمزق قطع القماش فلا ديمومة فيها فضلاً عن منظرها غير اللائق.

وكانت إدارة العتبة تفكر في إنشاء طابق ثانٍ على الغرف الأرضية المحيطة بالصحن لاستيعاب الوحدات الإدارية والهندسية والخدمية التي ضاقت بهم غرف الصحن، فكانوا بأمس الحاجة إلى إيجاد غرف إضافية للإداريين والموظفين، وإيجاد متحف للفنائس الأثرية وتوسعة المكتبة المركزية للعتبة وقسم الثقافة والإعلام وقاعة للمؤتمرات الدولية والمحلية ومضيف إطعام زوار العتبة.

فمشروع تسقيف الصحن المقدس هو الحل الوحيد لمشكلة فض الزحام الحاصل للزوار وقد اعترض البعض على المشروع بحجة أنَّ النسيج المعماري للوحدات الشيعية للعتبات المقدسة مصممة على أساس حرم في الوسط وحوله صحن مكشوف ولكن رد السيد الشهرستاني على هذا الرأي قائلاً: إنَّ هناك تخطيط لمدينة كربلاء والتخطيط بطبيعة الحال يجب أن يوسَّع هذا المكان والصحن سوف ينتقل إلى خارج السور الحالي (الفعلي) وداخل السور الفعلي كله يكون ضمن الحرم المطهر، لذا قُدِّم هذا المشروع وهو من المشاريع العملاقة المهمة وهو عمل (بحسب رأي السيد الشهرستاني) يضاها الأعمال الكبيرة العالمية أي إنَّ السقوف تكون أولاً على نفس النسيج المعماري الموجود في الصحن من القاشاني والمقرنصات والمعرَّق من الأعمال المتقاربة والموجودة في الصحن ويبقى النسيج المعماري محافظاً على النسيج المعماري الموجود في الصحن الشريف تماماً مع ما هو موجود في الحرم المطهر وفي الوقت نفسه يظل ويكون

مسقفاً بالإضافة إلى إقامة المباني في الطابق الثاني للاستفادة منها في الأغراض التي تحتاجها إدارة العتبة.

هذه هي أصل الفكرة التي عمل عليها الدكتور الشهرستاني وشركته الهندسية حيث قدّم التصميم إلى سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة للموافقة عليها والسماح للشركة بالمباشرة في التنفيذ وبأموال من الممكن الحصول عليها من المتبرعين الموالين لصاحب الروضة الطاهرة، فاستدعى السيد الأمين العام رئيس الشركة السيد الشهرستاني إلى الاجتماع في داره في إحدى ليالي شهر رجب (١٤٢٦ هـ)، حيث حضر عدد من أعضاء مجلس إدارة العتبة وبدأ الشيخ عبد المهدي الكربلائي يوضح أبعاد المشروع وأهميته وتفصيله كلها فقال: أود القيام بثلاثة مشاريع في العتبة الحسينية:

الأول: فتح الشباك الموجود فوق رأس الأمام الحسين (عليه السلام) وفتح مجال واسع أمام حركة الزائرين لأنّ خروج الزائر الآن من باب حبيب بن مظاهر لا يخلو من مشقة، النساء والرجال يتدافعون عند الخروج، فإذا ما فتحنا المجال وأزلنا الشباك هذا سيكون المجال واسعاً وانسيابية الزائرين تكون أفضل.

الثاني: إقامة الطابق الثاني للصحن وبناء الغرف والقاعات فوق الطابق الأرضي لسد النقص الحاصل في عدد الغرف التي تحتاجها الإدارة وشؤون العتبة.

الثالث: تسقيف الصحن الشريف.

واستمر سماحة الأمين العام في الحديث قائلاً: بأنّ ثلاث شركات أو مؤسسات قدمت تصاميم مقترحة للتطوير والتوسعة ولكنني استخرت الله تعالى وكانت نتيجة الاستشارة غير مساعدة لمؤسستين، أما الاستشارة بتكليفكم (أي شركة السيد الشهرستاني) فكانت مقبولة ولكم التفضيل على غيركم.

وبعد أن قدم السيد الشهرستاني بعض الخرائط والتصاميم والأفكار حول الطابق الثاني وأوضح الناحية الفنية التي تضمنها التصميم وضممتها الخرائط، قال سماحة

الأمين العام: نأمل أن تباشروا بالعمل وسوف نسعى معكم في تمويل المشروع، ولكن الحقيقة شركتنا (والكلام للسيد الشهرستاني) مع مَنْ تعتمد عليهم وثق بهم من التجار ورجال الأعمال الذين يرغبون المساهمة في مثل هذه المشاريع الخدمية الإيمانية، سعوا في تمويل المشروع، وقد تكلمت مع الحاج الشيخ أبو الفضل كورد أحمددي ووافق على تقبل ميزانية العمل وتحمل جميع النفقات وإن كان (ﷺ) ونحن في منتصف الطريق وافاه الأجل المحتوم وكان قد قِيضَ الله بعده رجل أعمال آخر (لا يريد ذكر اسمه الآن) قد تعهد بالمصروفات والنفقات اللازمة لاستمرار العمل إلى النهاية وهياً جميع المبالغ الضرورية لإتمام المشروع وساعده في ذلك بعض الأخيار والمحسنين.

يقول الشهرستاني: هذه هي البداية فأعدنا العُدّة وباشرنا بالعمل نهاية سنة (٢٠٠٣م) من الضلع الشرقي من الطابق الثاني لإقامة قاعة المؤتمرات الكبيرة وانقسم الإداري وبما إن هذا المشروع من المشاريع المهمة كان السيد الشهرستاني يريد أن يبين فيه مهارة المهندس المسلم الشيعي في أعماله وكيف يتمكن من منافسة الأوربي والمؤسسات الكبيرة الأخرى وفي الوقت نفسه يحافظ على النسيج المعماري الإسلامي في تسقيف الأضلاع الأربعة للصحن الشريف، فالتسقيف يكون بأشكال مختلفة بين ضلع وآخر فلكل ضلع سقف مستقل من دون أعمدة ولكن بأحمالها الكبيرة التي يقتضي النسيج المعماري الموجود في المنطقة المحافظة على الطراز المعماري في هذا الجزء من الصحن وفي الوقت نفسه محاولة لتحسين وتطوير ذلك بأن يجمع بين المهارة العلمية للأعمال الإنشائية (Structure) والنسيج المعماري الجديد الذي يتناسب مع تقدم التكنولوجيا في الحال الحاضر وفي هذا القرن الذي نعيشه وفي المحافظة على التراث القديم بما فيه من نقوش وفلسفة عميقة في انتخاب هذه النقوش الإسلامية الصناعية والهندسية.

هكذا كانت الفكرة لذا كان الأمر يقتضي أن نعرض هذا الموضوع على الآخرين

لأنني (والكلام للسيد الشهرستاني) لم أكن مؤمناً بأن مثل هذا العمل يكون فردياً إنما يجب أن نأخذ رأي الآخرين من ذوي الاختصاص والرأي والخبرة لأنه عمل يتعلق بجميع المسلمين وجميع أصحاب الخبرة من الشيعة ومن غيرهم للاستماع إلى آرائهم ووجهات نظرهم والاستفادة من ملاحظاتهم والاستئناس بطروحاتهم وأخذ الصالح منها والذي لا يتعارض مع قداسة وأهمية المكان وطبيعة العمل.

لذا طلب السيد الشهرستاني من إدارة الروضة الحسينية توجيه دعوة عامة للمعنيين وأهل الاختصاص للتداول وسماع آرائهم وفعلاً عُقد اجتماع موسع حضره مهندسون ومتخصصون آثاريون من جامعة كربلاء وبغداد والمستنصرية والتكنولوجية والكوفة وبابل وهيئة الآثار وعدد من المؤرخين والمثقفين والوجهاء وقد تم طرح الموضوعات والأفكار، وكان السيد الشهرستاني قد أعدّ مداخلة طويلة ومفصلة شرح فيها الأسس التي اعتمدها شركته في المشروع الذي يجب أن يكون استمراراً للنمط المعماري التراثي الإسلامي القديم كما إن المواد التي تستعمل في البناء هي مواد جديدة تتناسب والتطور الحديث في البناء وعلى وفق التقنيات الحديثة التي تحافظ على متانة الأسس لسنوات طويلة من دون أن يتصدع البناء أو يتأثر بالعوامل وقد استغرق هذا الشرح والمداخلة قرابة أربع ساعات، ساعتان منها لبيان الفكرة وليبيان المعالجات الفنية أو المعمارية للمشروع الذي نشغل عليه ونفكر فيه وأعدنا التصاميم من أجله (على حد قول السيد الشهرستاني) أما الساعتان المخصصتان للمداخلات والمناقشات فكانت للحاضرين.

المباشرة بالعمل:

باشرنا العمل من الناحية الإنشائية وكان لابد من الاستفادة من المواد الحديثة والمواد التي تستعمل في الأعمال الإنشائية الكبيرة كالحديد والكونكريت وهذا للهيكل الإنشائي، وأما ما يظهر للعيان ويكون في داخله من نقوش وهندسة معمارية الزخارف التي استعملت سابقاً وإلى الآن في العمارة الإسلامية وبخاصة

العتبات المقدسة، هكذا قُسم الصحن على أن لا يؤثر على حركة الزائرين ولا يؤثر على انسيابيتهم وأدائهم المراسم والطقوس الدينية كما لا يكون عائقاً في طريق المواكب الحسينية ومسيرة المعزّين، بدأ العمل بالركن الشمالي ثم الشرقي ثم الغربي ثم الجنوبي، والمهم الذي قام به السيد الشهرستاني في هذا الصدد أن فتح فتحات سماوية تكون في السقف ومن دون أعمدة والأحمال تنتقل إلى الجدران الموجودة وهذا ليس بالعمل السهل وكان ذلك موضع نقاش وجدل طويل خلال الندوة التي عقدت وطرحت فيها الأسئلة والاستفسارات من لدن الحاضرين.

والسؤال الذي يطرح: هل هذه الجدران يمكنها تحمّل هذه الأثقال الجديدة؟

عمل السيد الشهرستاني دراسة موقعية وتحريات كاملة عن هذه الجدران فما كان منها ضعيفاً يحتاج إلى إقامة جسور أرضية أو إقامة أسس متينة وبخاصة ما هو كائن حول الحرم المقدس والذي كان بناؤه أقدم من الأقسام الأخرى فقد تم وضع حزام خرساني له حول الحرم كي يحافظ على سلامة الجدران ويكون رابطاً قوياً لأجزاء البناء القديم ليتمكن وضع أعمدة حديد عليها وبالتالي يمكن وضع الهيكل الحديدي وما شابه ذلك من دون الدخول في التفاصيل.

وبعد انتهاء الأعمال الإنشائية التي كانت قد أنجزت وأنا أدوّن هذا الحديث مع الدكتور المهندس السيد الشهرستاني قال: إن التسقيف تم وعلى هذا السقف وضعنا أربعة عشر قبة كبيرة تمثل عدد المعصومين من النبي الأكرم (ﷺ) والزهاء البتول (ﷺ) والأئمة الاثني عشر (ﷺ) أولهم الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ)، وآخرهم الحجة القائم المهدي المنتظر (ﷺ).

وهذه السقوف سقوف متحركة تفتح وتغلق عند الحاجة وهي وحدات أساسية ومهمة للتكييف والتبريد وطرده الهواء الفاسد الحار المنبعث نتيجة عملية تنفس الزوار.

والآن أشرف العمل من الانتهاء (بداية عام ٢٠١١) وكل شيء على مايرام

(الهندسة، المعمار، التراث، الزخرفة، التبريد، الإنارة، المتانة، الرياضة الإسلامية، النقوش... إلخ) كلها أنجزت على وفق أحدث المواصفات المعمارية الإسلامية من دون خلل أو ضعف، وفعلاً هو مشروع عظيم يمكن عدّه من المشاريع المهمة والتميزة في العتبات المقدسة ومنفّذه كان موفقاً كل التوفيق فيه وشعاره دائماً في العمل (إعقل ثم توكل) وقد استطاع بذهنيته المتفتحة وبُعد نظره الثاقب وخزينه التاريخي التراثي والمعماري والمعرفي كل ذلك كان السبب المباشر في إنجاح المشروع ناهيك عن إيمانه وولائه الراسخ لأهل البيت (عليه السلام) والإمام الحسين سيد الشهداء بوجه خاص.

وقد حملني كلمة طلب مني أن لا أنسى تدوينها في الكتاب هذا، هو إبداء أسفه وامتناعه ممن كان يتصور أنهم سيكونون عوناً له وظهيراً يساعده ويؤازرونه في عمله هذا ولكن خابت آماله بهم نتيجة موقفهم في الضد منه ومن أعماله العمرانية في العتبة ولكن يدعو الله تعالى أن يغفر للجميع فالزيد سيذهب جفاء وإن ما ينفع الناس فسيمكث في الأرض، ويدعو الله تعالى أن يجعل عمله هذا في ميزان أعماله الحسنة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا ليس بمستبعد فإن كل عمل جبار ينجز بنجاح يتصدى الخصوم والحساد له ليقبلوا من شأنه إن لم يغمطوا حق صاحبه.

وقد بلغت كلفة تنفيذ السقف بما فيه الأعمال الإنشائية والهياكل الحديدية والبناء الخرساني والطابوقي وأعمال التزيين من الكاشي المعرق والكربلاني وأعمال المرايا والخشب وغيرها من الأعمال المعمارية مبلغاً لم يتجاوز خمسة ملايين وستمائة ألف دولار أمريكي، وقد دفع جميع هذه المبالغ عدد من المؤمنين والتجار ورجال الخير لم يتجاوز عددهم خمسة أشخاص ولم تتكبد العتبة الحسينية ولا الوقف الشيعي كلفة هذا المشروع الجبار.

وأقول للحقيقة والتاريخ (والقول للسيد الشهرستاني) إن كثير من الناس

استخدموا كل السبل المتاحة للتشهير والافتراء والبهتان والبخس لجهدنا حتى قال كبيرهم في صحيفة الشرق الأوسط: (تسقيف صحن الإمام الحسين كارثة)، وقد صرح سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الأمين العام للروضة الحسينية المقدسة في أماكن متعددة إنَّ الذين كانوا ينتقدون هذا التسقيف أثناء العمل عليه أصبحوا بعد إكماله يشيدون ويمجدون هذا العمل الفني والهندسي الجبار. وكان السيد الشهرستاني يقول بألم: ولكن أفوض أمري إلى الله وهو خير الحاكمين إنه سميع مجيب.

المشروع العظيم لبناء الصحن الكاظمي الجديد

من المشاريع الإعمارية الكبيرة والعملاقة مشروع توسعة العتبة الكاظمية المقدسة من الجهة الشمالية وبناء وتشيد صحن كبير على النسق نفسه للصحن الجنوبي للعتبة وبالمواصفات الإنشائية والمعمارية نفسها ليستوعب جموع الزائرين الذين تتزايد أعدادهم يوماً بعد يوم حتى يصل الملايين في المناسبات الدينية لابل في بعض أيام الأسبوع كذلك كيومي السبت والخميس.

وقد فكرت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة في إيجاد الحلول الجذرية لهذه المشكلة وبعد التداول مع المختصين وأهل الحل والعقد تقرر إنشاء صحن آخر في الجهة الشمالية واستغلال المساحة التي كانت سابقاً مرآباً للسيارات خلف سور الصحن القديم من جهته الشمالية والغربية.

وقد بدء العمل والمباشرة بالمشروع (مشروع التوسعة) في شهر نيسان (أبريل) عام (٢٠٠٨م) وبإشراف الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وقد عهد التصميم والتنفيذ إلى (المركز العالمي للأبحاث الفنية) ورئيسها المهندس الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني.

في البدء تعهد أحد المحسنين متبرعاً بكلفة ونفقات المشروع لكنه تراجع عما تعهد به بعد أن تسلم الخرائط والتصاميم التي بقيت عنده مدة ليست بالقصيرة، ثم عاود المخلصون العمل معتمدين على متبرعين آخرين، وهنا أبلغ المركز العالمي للأبحاث الفنية بالمشروع في العمل وقد أبدى ديوان الوقف الشيعي استعداداه لتمويل المشروع، وكانت البداية في نيسان (٢٠٠٨م) كما ذكرنا، وعهد الإشراف على العمل إلى الأمانة العامة للعتبة المقدسة.

بدأ العمل بوتائر عالية وبإخلاص متناهٍ وإن شاء الله سينجز عام (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

المشروع يتكون من سرداب (قبو) واسع بمساحة إجمالية (٢٧٣٠٠م^٢)، منها مساحة (١٨٠٠م^٢) غرف لسكن الحراس والمنتسبين يبلغ عددها (٢٨) غرفة متفاوتة المساحة تخصص بحسب الحاجة لها وتضم خدمات البنى التحتية.

وهذا المسقّف العبادي (كما يطلق عليه السيد الشهرستاني) وجد لراحة الزائرين ومكاناً للتعبّد والتبتُّل لله تعالى، يضم هذا المكان الواسع في وسطه منورين اثنين مفتوحين للفضاء الخارجي بمساحة (١٢٠م^٢) للفتحة الواحدة، زودت كل منها بسلاالم كبيرة يبلغ عرض الواحد منها ثلاثة أمتار، كما تم تخصيص مناور حول الصحن جنب مداخل الأواوين وشبابيك بأبعاد مناسبة لأغراض التهوية والإضاءة، وقد كانت النية في البداية أن يكون هذا السرداب مرآباً للسيارات ومخازن ثم عدل عن الفكرة إلى اتخاذه للأغراض التي ذكرناها.

أما باحة الصحن فهو الطابق الأرضي والذي تبلغ مساحته قرابة (٦٠٠٠م^٢) وله ثلاثة مداخل رئيسة أكبرها مساحة من الجهة الشمالية، وبابان آخرين من الجهة الغربية والشرقية تتوسطان الواجهة، علاوة على وجود بابين فرعيين من الجهة الشمالية طرفي الباب، وبابين فرعيين آخرين في الجهة الجنوبية من هذا الصحن الجديد لربط الصحنين القديم والجديد.

والطابق الأرضي تحيط به غرف من جهاته الثلاث (الشرق والغرب والشمال) أما الجهة الجنوبية فهي عبارة عن طارمة (إيوان) شبيهة بالطارمة الجنوبية في الصحن القديم وبالمواصفات المعمارية نفسها وتكون هذه الطارمة الجديدة ملاصقة لمسجد الجوادين من جهة الشمال، وفي الجهة الشمالية المقابلة لهذه الطارمة الشمالية من هذا الصحن تعلوه ساعة كبيرة في برج مرتفع تقابل برج الساعة في الصحن القديم عند باب القبلة.

وقد تم إكساء أرضية الصحن الجديد هذا بالمرمر اليوناني ذي المواصفات العالية، كما هو موجود في الحرم المكي والحرم المدني وصحن الإمام علي (عليه السلام) حيث يكون بارداً في الصيف ودافئاً في الشتاء.

يرتبط السرداب بالطابقين الأرضي (الأول والثاني) بمصاعد كهربائية عدد أربعة في جهتين من الصحن الشريف إضافة للسالم المعمارية الواسعة التي تناسب حركة الزائرين.

لقد تم إكساء الأواوين والأقواس بالقاشاني وبالنظر لصعوبة وصول القاشاني من الخارج بسبب إجراءات الاستيراد فقد ارتأى المركز إنشاء معمل موقت لهذا النوع من الكاشي الفني داخل الصحن الجديد يعمل فيه متخصصون فنيون بتصنيعه وتركيبه.

كما إن الأعمال التكميلية الأخرى كالمرايا والأبواب والنقوش في طريقها للإنجاز وأكثرها قد أنجز عام (٢٠١٠م).

إن الصحن الجديد قد فتح على مسجد الجوادين الذي كان في الماضي يدعى بالمسجد الصفوي، والذي يرقى إنشاؤه إلى القرن العاشر الهجري، وبعد فتح الصحن الجديد على المسجد المذكور شكّل امتداداً إلى الحرم الشريف وبشكل يمكن الزائر من التمتع برؤية الضريح المقدس وهو في مكانه عند الصحن الجديد.

أما الطابق الثاني فهو مشابه للأول وهو عبارة عن حجرات مختلفة المساحة وقاعة كبيرة للمناسبات في الجهة الجنوبية من الصحن الجديد ومطلّة على الصحن القديم، وسوف تُجهز بكل المستلزمات الحديثة المطلوبة عند عقد المؤتمرات والاحتفالات والندوات، ولم تكن فكرة استحداث هذا الطابق مسبقاً بل استحدثت فيما بعد.

يحتوي الطابق الثاني على (٤٤) غرفة إضافة للممرات المحيطة بالصحن وهي إسوة ببقية الغرف وهذه الغرف سيتم تقسيمها بحسب متطلبات العمل والحاجة

اليها، فمثلاً ستتخذ بعض الغرف مكتبة عامة مركزية للعتبة، والغرف في الطابق الأرضي (الأول) مكاناً للأواوين وبعض الأقسام الأخرى، وداراً للقرآن الكريم وصفوفاً لمدرسة دينية بصورة مؤقتة حتى اكتمال المرحلة الثانية التي خصص فيها مساحة للمدرسة الدينية ودار القرآن الكريم، وما إلى ذلك من المشاريع الثقافية والدينية والخدمية.

وبهذه المناسبة أود أن أقول: إن هذا المشروع بعد انتهائه سيبدأ العمل بمشروع آخر إلى جانبه وهو يضم مجتمعاً ثقافياً يحتوي متحفاً وقاعة للمؤتمرات المحلية والعالمية ودار ضيافة ومضيفاً واسعاً مع تخصيص مساحات كحدائق جميلة تبعث الراحة في نفوس الزائرين.

إن مشروع التوسعة يعد من المشاريع الجبارة الناهضة التي ستضفي روعة فنية مضافة على ما كانت عليه العتبة في السابق من سمو فني معماري متميز في العالم، ويقول الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني بأن بعض الصعوبات والمعوقات قد واجهت الجهة المنفذة وهي شركة الأبحاث العالمية التي يشرف عليها ويديرها بنفسه.

فمن هذه الصعوبات والمعوقات شحة العمال الفنيين والمهنيين والخبراء المهندسين، وصعوبة الاستيراد للمواد الداخلة في الإنشاء، وهذه عوامل قد تؤخر الإنجاز بعض الشيء في هذا المشروع العملاق والتاريخي، وعلى كل حال فالعمل يسير بوتائر أعلى مما هو عليه في العتبات المقدسة الأخرى، ويعزو السيد الشهرستاني ذلك إلى التسديد الإلهي والعون الرباني، فالتعاون الذي أبدته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ومجلس إدارتها تعاون مثالي مشكور وفي مقدمة المهتمين والمتعاونين مع الشركة المنفذة هو الأمين العام للعتبة الحاج فاضل الأنباري وكذلك لا ننسى الجهود المبذولة من لدن القسم الهندسي التابع لها لما أبداه من تعاون مشكور يَسِّر الكثير من المعضلات والمشاكل التي اعترضت الشركة المنفذة للمشروع.

وأخيراً يوجه السيد الشهرستاني كلمة إلى كل الحريصين لخدمة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وإظهار معالم قبورهم ومشاهدهم المشرفة بما يليق والمنزلة التي أنزلهم الله بها والمكانة التي أحلها الباري ﷻ لهم في الدنيا والآخرة تتطلب من المسلمين الموالين لآل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أن يخلصوا النية في العمل لخدمة تلك الصفة الطاهرة، وإعمار مشاهدهم وتقديم الخدمات لزوارهم ومواليهم ومحبيهم، وأن يقدموا ما يمكن تقديمه حباً وولاء وخدمة لكل العتبات المقدسة التي ضمت أجسادهم الطاهرة والتضحية بالغالي والنفيس من أجلهم وسيحسب كل ذلك في ميزان الأعمال يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وهذا هو كل ما يتوخاه الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني في كل أعماله التي بدأها في السابق واستمر عليها في الزمن الحاضر هو الأجر من الله والشفاعة له عند الله تعالى بواسطة المصطفى (ﷺ) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) يوم الحساب. أما الكلفة المالية التي قدرت لهذه التوسعة الكبيرة والأساسية فكانت تبلغ حوالي (١٢،٥) مليار دينار عراقي كانت الروضة تدفعها بصورة تدريجية كلما تقدم العمل وما يتم إنجازه.

المشروع العملاق لإعادة إعمار مرقد الإمامين العسكريين (ع) في سامراء

بعد الفعل الإجرامي الذي قام به الإرهابيون وأعداء أهل البيت (عليهم السلام) في الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام عام (١٤٢٧هـ) الموافق للثاني والعشرين من شهر شباط عام (٢٠٠٦م)^(*)، وما أعقبه من تفجير ثانٍ استهدف المئذنتين في العتبة الشريفة بتاريخ الثالث والعشرين من جمادى الأول عام (١٤٢٨هـ) الموافق للثالث عشر من شهر حزيران (يونيو) عام (٢٠٠٧م) حيث لم يكتف الإرهاب بتفجير القبة الشريفة أول الأمر والتي تعدّ من أكبر وأهم القباب الذهبية في الشرق الأوسط لا بل في العالم وأكبرها حجماً وسعة، بل عادوا إلى فعلهم الإجرامي الشنيع بأن فَجَّرُوا المنارتين في المرة الثانية.

كان الغرض من التفجيرين الإجراميين إحداث الفتنة الطائفية وإشعال حرب أهلية بين العراقيين وتأجيج صراع دام بين أبناء البلد الواحد والدين الواحد إلا أنّ حنكة المرجعيات الدينية العليا وأهل الحل والعقد والمخلصين من أبناء البلد حالوا دون تحقيق الأهداف الخبيثة التي أرادها الإرهابيون النواصب وأعداء الوطن والشعب فلم يتحقق ما كان يخطط له أولئك المجرمون فردّ الله تعالى كيدهم إلى نحورهم وكان الله لهم بالمرصاد، وقد استنكر هذا العمل الإجرامي جميع العراقيين والمسلمين في العالم وحتى رؤوساء وأمراء وساسة بعض البلدان

(*) وقد ألفت السلطات المختصة على المجرم القائم بعملية التفجير، واسمه (يسري فاضل الطريقي) وهوتونسي، حيث أصدرت المحكمة عليه حكم الإعدام، وتُنذ الحكم في ١٥/١١/٢٠١١، كما وأعدم معه مجرم مصري آخر متهم أيضاً بالتفجير الإجرامي الآثم.

الإسلامية والأجنبية حين شجبوا هذا العمل المنكر والمشين ونددوا بفاعليه من عصابات التخلف والتعصب الأعمى الذين يكفرون المسلمين من دون حق.

دور منظمة اليونسكو في عملية الإعمار:

نعود إلى قصة الإعمار للعتبة العسكرية المطهرة والمراحل التي مرت بها عملية إعادة البناء كما يحدثنا به المهندس الاستشاري والتنفيذي الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رئيس المركز العالمي للأبحاث الفنية.

إنَّ لليونسكو الحق في الإشراف على أي أثر تراثي مسجل لديها والروضة العسكرية لم تكن مسجلة في السابق لدى المنظمة الدولية التي تعنى بشؤون التراث والآثار في العالم، ولكن بعد التفجير الإجرامي والطلبات المتزايدة التي وردت إلى الحكومة العراقية، قررت الحكومة العراقية الاستفادة من منظمة اليونسكو بصفتها مظمة دولية ومحايدة ولا تنظر إلى الأعمال التراثية والإنشائية إلا بقدر ما يقتضيه الأمر من الحفاظ عليها وترميمها، لذا طلبت الحكومة العراقية من هذه المؤسسة كي تقوم بهذا العمل أي إعادة بناء مقام الإمامين العسكريين (□) ويقول السيد محمد جليل مدير اليونسكو في العراق: كنت أفكر في الاستفادة من خبير عراقي في هذا المجال وعند مراجعتي لليونسكو في باريس والسؤال عن مثل هذا الشخص كان الجواب: إنَّ الوحيد الذي نعتمد عليه كخبير في شؤون العمارة الإسلامية هو الدكتور محمد علي الشهرستاني، ولكن هذا مكتبه في لندن وقد سمعنا أنه أحال نفسه إلى التقاعد.

لذا اضطر اليونسكو لمراجعة الحكومة التركية ومحاولة الاتفاق مع شركة لتقوم بالأعمال التي كان على عاتقها تنفيذه وهو عبارة عن:

الأول: رفع الركام من المرقد المقدس الذي أحدثته التفجيرات وفرضه وذلك لوجود أحجار أثرية من بين الركام فضلاً عن استخدام واستثمار بعض المواد المخلوطة بالركام عند إعادة ما تهدم من بناء المرقد، ومن المعلوم إنَّ الركام غطى

ودمر قبري الإمامين (□) مضافاً إليهما قبر السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام) أخت الإمام علي الهادي (عليه السلام)، وقبر السيدة نرجس زوج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أم الإمام الحجة المنتظر (عليه السلام).

كان للتفجيرين الأول والثاني تأثير بالغ لا بل تدمير إبتداء من القبة الشريفة والمنارتين والشباك المنصوب على القبر وفي الداخل الصندوق الخاتم النفيس المنصوب على قبري الامامين مضافاً إلى ذلك ركام السقوف والجدران التي غطت المساحة الداخلية كلها فتراكمت الحجارة والأنقاض على القبر مدمرة كل شيء ولم يقتصر التدمير على ما ذكرناه بل أتى على الأبواب الخمسة للعتبة بالإضافة إلى الباب الذهب التي لم يعثر على قطعة منها ويبدو إنها سرقت مع ما سرق من النفائس والذهب والدروع والسيوف والطنافس وغيرها إلا إن الدرع والعمامة وبعض السيوف التي تعود للإمامين □ تم سحبها من السادن القديم للعتبة العسكرية بواسطة لجنة ألفت لهذا الغرض وتم إيداعها في البنك المركزي العراقي في بغداد.

الثاني: الفصل بين القطع الثمينة من الذهب واللوحات وغيرها عن الركام العادي للمحافظة عليه وخبزنها في محلات خاصة تعرض ثانية في معرض يعد لاستذكار ما تهدم وحدث وبطبيعة الحال يتم فصلها بصورة دقيقة وفنية عن غيرها لبيان قيمتها الأثرية.

الثالث: إجراء بعض الفحوصات على التربة ومعرفة طبقات الأرض من جديد لأنها ضرورية لإعداد التصاميم ثانية وإعادة إعمار هذه البقعة المقدسة، بالإضافة إلى معرفة طبقات الأرض تحت الأسس لمعرفة تحمل الأثقال والأحمال التي سوف تقع عليها والمواد المتشكلة من هذه الطبقة، وإلى جانب ذلك كله دراسة الوضع الفعلي بعد الانفجار ومعرفة إمكانية إبقاء جزء منه وتهديم القسم الآخر في التصميم الجديد.

الرابع: إعداد التصاميم والدراسات اللازمة لإعادة بناء هذا الصرح التاريخي بصورة تكون متناسقة مع النسيج المعماري الفعلي الذي بني عليه والاستفادة من المواد الإنشائية والعناصر الإنشائية الحديثة التي لا تتعارض مع النسيج المعماري القديم وتمكن أن تؤدي الدور الأساس للحفاظ ولبناء هذا الصرح العظيم.

لذا راجعنا (والقول للشهرستاني نقلاً عن محمد جليد) كما ذكرت الحكومة التركية وطلبنا منهم تشخيص شركة تكون قادرة على القيام بما تعهدنا به فعرفوا لنا شركة Uoklom واتفقنا معهم للقيام بما تعهدنا به وهؤلاء أحضروا عدداً من العمال البنغاليين لرفع الأنقاض والأتربة الموجودة، ولكن سرعان ما اعترضوا على عدم وجود غطاء أمني لهم في المنطقة وهذا الغطاء الأمني لم يكن في ذلك الوقت ممكناً أو مقدوراً عليه من الحكومة العراقية، ولذا اعتذرت الحكومة عن تأمين ذلك وهم بدورهم قرروا إلغاء الاتفاقية، وكما سمعنا إن اليونسكو تعاقد مع الحكومة العراقية لتقديم الخدمات المذكورة بمبلغ خمسة ملايين دولار واليونسكو اعترض على ذلك والدول المانحة دفعت ثلاثة ملايين دولار أخرى لتأمين نفقات اليونسكو، واليونسكو فوضت الشركة التركية في القيام بالمهام التي أُحيلت إليها بمبلغ ٣,٥ مليون دولار.

كما قال الأستاذ محمد جليد أيضاً بعدما فشلنا مع الأتراك فكّرنا أن نذهب إلى خبراءنا المصريين والشركات المصرية التي تعمل في حقل الآثار والمتخصصة في شؤونه، فلم تتمكن من الاتفاق مع هؤلاء لتأمين ما تعهدنا به.

المباشرة بإعادة بناء روضة الإمامين العسكريين (□):

أما الحكومة العراقية فكانت قد ألفت لجنة برئاسة الأستاذ حق الحكيم مستشار رئيس الوزراء لشؤون الإعمار وعضوية كل من ممثلي الوقف الشيعي وممثلي الوقف السني ووزارة الإسكان والهيئة العامة للآثار والتراث، وكانت هذه اللجنة المعنية بإعمار الروضة العسكرية المقدسة.

ومر على هذا الحال زمن طويل يقارب أربعة عشر شهراً، إذ طلب مني (والقول للشهرستاني) سماحة المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني التعاون مع هذه اللجنة وتمثيله في إعادة إعمار الروضة العسكرية المقدسة، فانتقلت إلى سامراء للمباشرة في العمل وبالفعل استخدمنا بعض العمال بالتعاون مع اللجنة العليا لرفع الركام الحاصل من جراء تهديم القبة المطهرة ومحاولة تفرغ الروضة المقدسة من الأتربة والأنقاض التي امتلأت بها بعد الانفجار والتهديم.

كان للمراجع العليا رأي في الموضوع وكيفية التعامل مع هذا الركام الهائل، فأفتوا بحفظه في مكان نظيف بعد أن ينقل إلى الصحراء مثلاً أو على ضفاف الأنهار، وفي البداية تم الاحتفاظ بالركام بعد نقله خارج الحرم ولم يتم التصرف به، وكان هذا الركام يؤلف عائقاً كبيراً أمام وضع أية دراسة ميدانية لتوسعة إعمار المرقد المقدس.

وهنا بدأ عمل اللجنة الفنية العليا المكلفة من مجلس الوزراء فقدمت هذه اللجنة طلباً إلى الشهرستاني على أن يقوم بالأعمال التصميمية والإنشائية وقد حظي هذا التكليف بترحيب وموافقة اليونسكو بوصفه أحد المسجلين في هذه المنظمة الدولية ومن المعتمدين لديها بسبب إشرافه وتنفيذه لعدة مشروعات معمارية تراثية وآثرية مهمة في أنحاء من بلدان العالم.

فالتصاميم والإشراف العام عُهد به إلى السيد الشهرستاني، أما المباشرة عُهد بها إلى اللجنة العليا العراقية الرسمية وبمراقبة الممثل الرسمي لليونسكو حيث يقوم بتصوير وتوثيق كافة التفاصيل يومياً وبدوره يرسلها إلى المنظمة في باريس وهناك يتم تدقيق تفاصيل العمل وما يجري في كل مرحلة ويتابعون كل خطوة، فإذا وجدوا أية مخالفة أو تجاوز يجري التنبيه عليه، وطبعي إنَّ منظمة اليونسكو لا تملك خبراء في التصميم أو التنفيذ بل تستعين وتستفيد من مهارة الخبراء الذين يعملون مع جهات أو شركات معينة.

عمل الشهرستاني أول الأمر كشافاً كاملاً للموقع ليقدّم تقريره المفصل وكان معه عدد من المهندسين والمختصين للتداول والدراسة وبعد الانتهاء من إعداد التقرير توجه إلى النجف الأشرف لمقابلة سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله) وليقدّم تقريره المفصل لسماحته وما تتطلبه عملية الإعمار وأبدى سماحته ترحيبه وتوجيهاته وأخيراً موافقته المقرّونة بالدعاء والتوفيق.

عاد السيد الشهرستاني إلى سامراء واجتمع باللجنة الرسمية المكلفة من رئيس الوزراء للإعمار برئاسة المستشار حقّ الحكيم وعضوية ممثل وزارة الإسكان والإعمار وآخر من هيئة الوقف الشيعي والسني وممثل عن الآثار وبحضور ممثلي اليونسكو.

وبدأ العمل برفع الركام والأتربة والأنقاض وبمساعدة من الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة والعتبة العباسية المطهرة، وخلال أسبوعين تم كل شيء ورفعت الأتربة والأنقاض وتم وضع المهم منه في مكان آمن، وقد قام السيد الشهرستاني بالمباشرة بإعداد التصاميم والخرائط بعد أن رُفِعَ الركام وأصبحت الجدران واضحة وكان من الممكن معرفة ما يجب تهديمه لتصدّعه من جراء الانفجار أو التي كانت منفصلة عن بقية أجزاء البناء إن كان في الحرم المطهر أو في الأروقة المباركة.

وهنا تبدأ المرحلة الثانية وهي المباشرة بالإعمار وقد بدأت في شهر آب (٢٠٠٨م) وبإشراف اللجنة الفنية للإعمار، وقد حددت الجدران الصالحة المتبقية بعد التفجيرات يمكن الاستفادة منها واستعمالها وإبقاؤها، وتم إزالة المتضرر منها وبطريقة تحافظ على القيم الأثرية والتراثية للمكان وإن هذه الإجراءات تمت على وفق شروط منظمة اليونسكو التي تحرص على إبقاء ما بقي من البناء القديم.

وبعد انتهاء هذه المرحلة انتقلت اللجنة في عملها إلى مرحلة جديدة تعد الثالثة، وهنا يبرز الدور التنفيذي للسيد الشهرستاني وشركته (المركز العالمي للأبحاث الفنية).

في البدء اتصل بالسيد الشهرستاني أحد الوزراء وبتكليف من رئيس الوزراء نوري المالكي يطلب منه التعاون مع اليونسكو لتنفيذ العمل، فكان جواب السيد الشهرستاني: أخشى حصول خلاف في الرأي فيما بيننا حول كثير من القضايا.

أجابه الوزير قائلاً: نحن قررنا أن يكون العمل عراقياً صرفاً، وبأيدٍ عراقية ولهذا السبب تقرر إحالة العمل لكم شخصياً، ولما تمت دعوته للمرة الثانية من قبل اليونسكو وقالوا له نحن أمام ثلاثة خيارات: إما أن تتولى شركتكم العمل جميعه وبعقد مع اليونسكو، أو إنك (أي السيد الشهرستاني) تكون شخصياً ممثلاً لليونسكو وهم يقدمون لكم الدراسات، أو أن تكون من قبل اللجنة العليا كخبير حتى تتمكن من نقل الاتفاقية ثانية لهم.

والسيد الشهرستاني فضل أن يكون مع الجهة العراقية لأنه عراقي ووافق أن يكون مع اللجنة العليا وقد سبق لرئيس الوزراء أن أبدى رغبته في التعاون مع اليونسكو، وكان هذا هو الخيار الأخير.

وأصبح العمل عراقياً صرفاً، وقد تم تهيئة التصاميم والدراسات الأولية من قبل السيد الشهرستاني، وبأشر العمل فبدأ من الأروقة وتم رفع القسم المتصدع لإعادة البناء كما كان في السابق، وشم بوشر في البناء من جديد في الأقواس الموجودة على الأروقة، واستمر العمل في الأروقة، وبعد إتمام العمل بالقباب والأقواس وكل ما تحمله الجدران التي ستزين بالمرايا المقطعة فنياً للسقوف وللجزء العلوي من الجدران التي ستغلف بالمرمر للجزء الأسفل وكتائب القاشاني الكربلائي التي يخط عليها آيات من كتاب الله المجيد أعلى هذا المرمر وعلى شكل حزام دائري، وتم الإبقاء على ما تبقى من جدران الأروقة التي لم تتضرر حفاظاً على السمة التراثية التي تراقبها وتسأل عنها اليونسكو، والبناء بمجموعه تم بالطريقة نفسها لما كان عليه في السابق (العقادة بالطابوق لقباب الأروقة) وإعمار الجدران بتكملة ما تهدم منها بالطريقة نفسها.

بناء القبة المباركة:

قبل التفجير الإجماعي كان أحد المقاولين العراقيين قد تعهد بتنظيف القبة وجلي ما علق فيها من أكسدة وكاربون وغبار وقد نصب لهذا الغرض (سكلة) أي شبكة من الحديد مبنية فوق القبة للغرض المذكور، وعندما حدث التفجير الآثم تحولت هذه القطع الحديدية إلى شبكة تحيط بالركام ومن الصعوبة إزالتها من أجل إعادة بناء القبة حتى إن منظمة اليونسكو كانت قلقة من رفعها الذي ربما سبب خطورة على العمال الذين يعملون تحتها.

ثم بدأ العمل بهدم جزء مما تبقى من القبة إلى حد الشبايك التي حول القبة المهدامة التي تدور مع دوران القبة من الأسفل كما هو في سائر قباب العتبات المقدسة في العراق، وكانت قد حدثت شقوق أساسية في بعض هذه الشبايك بفعل قوة التفجير التي امتدت من الأعلى إلى الأسفل مما استوجب رفع هذا القسم من البناء ثانية، أما الشقوق والتصدعات الأخرى فلم تكن مهمة من الناحية الأثرية ولا من الناحية الإنشائية، ولهذا قرر السيد الشهرستاني هدم ما يجب أن يهدم من القبة إلى داخل الشبايك وقسم منها إلى وسط الشبايك وقسم منها إلى أسفلها، وهذا الحائط كان بسمك ثلاثة أمتار إلى حد الكتيبة التي كانت أسفل القبة الذهبية من الداخل وفوق الطوق الذي يحيط بالشبايك الموجودة، فأعيد البناء إلى ما فوق الشبايك وتم وضع جسر دائري بسمك (٧٠) سم وبعرض (٣) م، هكذا تم وضع هذا الطوق الخرساني فوق الأعمدة التي تحمل الشبايك لتوزيع الأحمال عليها بصورة كاملة ومنظمة حتى يمكن من وضع القبة من جديد عليه.

ومن القضايا المهمة جداً والتي أكد عليها سماحة المرجع الديني السيد السيستاني وبقية المراجع أن يكون الشكل الخارجي للقبة وقطرها وارتفاعها بالأبعاد نفسها التي كانت عليها القبة السابقة، وكانت القبة قد تهدمت ولم يكن من الممكن أخذ أبعادها ومعرفة إنحنائها وبروزها عن السابق، لذا كان علينا من

الضروري الرجوع إلى الصور الفوتوغرافية السابقة كي نعرف البروز والانحناء والارتفاع، فبعد مقارنة صور عديدة صورت للقبة في أدوار مختلفة وبواسطة الحاسوب الدقيق تمكنا من الوقوف على الارتفاع والانحناء حتى يكون القوس الجديد أو القبة الجديدة بنفس حجم القبة السابقة بجميع أشكالها ومواصفاتها، وإن كان بعض الناس ومنهم خطباء المنابر هرجوا علينا واتهمونا بإننا قللنا من ارتفاع القبة ومن قطرها، وحتى اليونسكو في بادئ الأمر كرر هذه المقولة ولكن في الواقع أثبتنا لهم خلاف ما يتصورون وأن القبة لم يتغير شكلها ولا أبعادها ولا مواصفاتها.

ويواصل السيد الشهرستاني حديثه: في هذه الحالة بالنسبة للقبة يقول لم يكن من المعقول والمنطقي أن نستعمل الطريقة نفسها التي بنيت بها القبة سابقاً قبل قرون عدة، فتقرر أن يكون فوق هذا الطوق الخرساني أقواس حديد (بليت كيردر) هذه الأقواس الحديد التي صنعت من الورق الحديد بسمك (١٠) ملم وبأبعاد مختلفة من (٩٠) سم في الأسفل و(٣٠) سم في الأعلى، تشكل وتنطبق الواحدة على الأخرى بحيث تؤلف وحدة واحدة.

إن القبة الرئيسية كمثيلاتها في العتبات المقدسة والمساجد الكبيرة عبارة عن قبتين، واحدة داخلية وأخرى خارجية، فالقبة الداخلية تشكل القوس الذي يُرى من داخل المقام أو الحرم، وأخرى خارجية يراها المشاهد من الخارج وعلى مسافة بعيدة أو من الصحن الخارجي وتتكون من الطابوق بسمك يتراوح بين (٢٠، ٣) م إلى (٣٠) سم، فالتناس يتصورون إنها قبة واحدة ويتراءى لهم من الخارج كذلك، فبالنسبة للقوس الأول تم بناؤه على الشكل نفسه من حيث الانحناء والأبعاد من الداخل للقبة الداخلية، ومن الخارج تم بناؤه من الطابوق وكل ثلاثة أمتار كانت جسور حوالي (٨٠) سم لكل قبة وبناءه من الداخل بالطابوق بحيث أن يعطي الشكل النهائي الأساسي للقبة الداخلية التي عليها القاشاني المعرق أو غيره.

أما القوس الخارجي أو القبة الخارجية وهذه كانت بارتفاع يصل إلى (٣٢) متراً على القاعدة الخرسانية وتحرك هذه الجسور الحديدية التي تم لحامها بالبيت الحديد الذي كان مزروعاً داخل الكونكريت على القوس الكونكريتي الكبير (٨٠ سم X ٣ م) وبعد وضع هذه الأعمدة المقوسة التي تؤلف بمجموعها الحالة الدائرية لهذه القبة من الخارج كانت حوالي (٢٤) وحدة ومن الداخل كانت (١٢) وحدة.

بعد إتمام الأعمال الحديدية وربط هذه الجسور وتقويتها تم بناء الطابوق الخارجي الذي كان بسمك (٣٦) سم، وبعد الانتهاء منه بحسب التصميم تم وضع جدار على هذا الجسر الحديد بسمك (٢٤) سم وبين (٣٦) سم وال (٢٨) سم في مناطق تبدأ من (٥٠) سم في الأسفل تم وضع طبقة للحفاظ على الضربات التدميرية أو القذائف أو الزلازل، أي وضعنا الجدار (٣٦) سم ومن خلفه وضعنا أليافاً زجاجية خاصة ووراء هذه الألياف الزجاجية الخاصة طبقة رملية وكذلك طبقة من الألياف الزجاجية بعد ذلك (٢٤) سم الطابوق حتى إذا حصلت قذائف أو ماشابه ذلك فتضعف قوتها وإذا أصابت هدفها لم تكن مؤثرة بشكل كبير، وهذا أمر وقائي وليس بأمر إنشائي، وحتى التقطيعات فإن هذه الأعمدة وكذلك الجسور الأفقية كل (٤) أمتار وضعنا جسراً، فالقطعة إذا افترضنا إن أصابها انفجار أو قذيفة فإن ما سينهدم منها هو جزء محصور ما بين القوسين حوالي (٣) أمتار وارتفاع (٤) أمتار ليس أكثر فلا يؤثر على بقية الأجزاء.

هكذا كانت طريقة بناء القبة (الداخلي والخارجي) تمسكها هياكل حديدية وبينهما حشوة قادرة على امتصاص الانفجارات (كما ذكرنا).

المناثر:

كانت قبل التفجير مئذنتان مغلفتان بالواح مطلية بالذهب الخالص تشمخ في السماء يصدح فيها صوت الحق لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولكن لم يرق للمجرمين أن يبقى صوت الحق الإلهي يصدح خمس مرات من هذا المكان،

فقاموا بتفجيرهم الثاني الذي أتى على المنارتين وأسكت صوت الأذان المنبعث منهما وأحالهما إلى ركام وأصبحتا أثراً بعد عين.

بدأ العمل في إعادة بناء المنارتين كما كانتا قبل التفجير، فتم حفر أسسهما القديمة، وتم رفع هذه الأسس وعمل صبّة خرسانية كبيرة كقاعدة للمنارة بأبعاد ٤م X ٤م، وعليها تم بناء المئذنتين بالأبعاد والارتفاع نفسه الذي كانا عليه سابقاً وذلك باستخدام القالب القافز، فالطول الذي يكون أسفل مظلة المؤذن (١٦) متراً من الصب وتم ذلك باستخدام رافعات خاصة والرافعة البرجية للمشروع.

إنّ طول المنارة الكلي من أرض الصحن الشريف إلى القمة هو (٣٦) م. الأسطوانة التي كانت تقابل مكان المؤذن كانت خرسانية وبعد مكان المؤذن كانت إنشائية طابوقية.

المآذن انتهت وبانتهائها انتهت القبة وتم عمل دراسة لتذهيب القبة والمنائر والعمل جارٍ لتذهيب القبة (ذي الحجة ١٤٣١هـ) وتهيئة الألواح الذهب لإكساء المنائر، وإكساء الجدران بالكاشي المعرّق وتم إنجاز الأعمال الكهربائية، كما إنّ عملية التزجيج لجدران الحرم الداخلية فقد بوشر به وسينجز في القريب العاجل، والعمل مستمر وبوتائر عالية في جميع المراحل وإن شاء الله بعد أشهر تكون قد أنجزت كل الأعمال بهمة المخلصين المؤمنين الموالين لأهل البيت الأطهار (عليهم السلام).

الطارمة:

تم استحداث طارمة جديدة في الجهة الشرقية على وفق النسيج المعماري للعتبة المقدسة، أما الطارمة التي كانت قد شيدت زمن النظام السابق أواخر التسعينات من القرن الماضي فقد آلت بعض جهاتها إلى السقوط بسبب خطأ هندسي في البناء وتم هدمها وبناءها من جديد وبذلك أصبح للعتبة العسكرية المقدسة ثلاث طارمات واحدة قبلية وهي القديمة واثنان شرقية وغربية وكلها مبنية بنسق واحد على وفق الطراز الإسلامي.

شباك الضريح:

بعد التفجير الأرهابي وسقوط القبة على الشباك المطهر حدثت أضرار كبيرة في الشباك وصندوق الخاتم الأثري داخله، وقد بدأ العمل لبناء شباك من الفضة والذهب فوق قبري الإمامين يعمل على إنشائه صنّاع مهرة في قم وهذا الشباك يكون موشحاً بالآيات القرآنية الكريمة وأسماء الأئمة الأطهار وتاريخ الصنع ومتوجاً بغطاء من الذهب الخالص وفي داخله صندوق من الخاتم النفيس المطعم بالعاج والموشى بالحريز وبما يليق ومكانة الإمامين (□)، وقد تفضل سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني بالتبرع لصنع هذا الضريح المطهر والصندوق الذي في داخله وتكفل بالإنفاق على هذا المشروع حتى إكماله إن شاء الله.

سرداب الغيبة:

وقد وضع الإرهابيون القتلة في السرداب متفجرات تركت آثاراً جسيمة منها الشباك الذي كان في صفة الغيبة وهو المحل الذي كان الإمام يلتجئ إليه للتهجد والعبادة وكان هذا الباب قد صنع سنة (٦٠٦هـ) بأمر من الخليفة العباسي المتشيع الناصر لدين الله، لذا كان أثراً تاريخياً ولكن مع مزيد الأسف تقطع الباب وتبعثر مع التراب والأنقاض (طبيعي إن جهوداً مضيئة بذلت لجمع الكمية الأساسية منها ولكن لم يكن جميعها).

وهناك فكرة لتوسعة السرداب وبناء آخر كبير يستوعب الأعداد التي تتكاثر من الزوار كل عام وهذا السرداب من المقرر أن يمتد إلى حيث البناء القديم ويكون له شباك أمامي مواجهاً لمقام الإمامين العسكريين (□) ونرجس خاتون وحكيمة (رضوان الله عليهما) ويقول السيد الشهرستاني ونحن بصدد المباشرة بالعمل وقد توصلنا إلى الآن (١٤٣١هـ) إلى فتح نفق يوصل إلى سرداب الغيبة من المسجد الكبير الذي يُبنى خلف الروضة المطهرة.

المسجد الكبير خلف الروضة العسكرية من الجهة الشمالية:

سيتم إنشاء مسجد كبير خلف المقام المقدس ٥٢ X ٥٢ م لأداء الصلوات لأن مجال الصلاة داخل الروضة ضيق.

ففكر المهندس الشهرستاني إنشاء هذا المسجد ليتمكن الزائر من أداء صلاته مواجهاً الأمام ويتسع لـ (٥٠٠٠) مصلى، وسوف يباشر بإنشائه وراء البقعة القديمة التي بنيت أيام السلطان (الدنبلي) الذي بنى هذا المقام بطراز جميل، في قبة وسطية وبقطر (٣١) متر و(١٣) قبة أخرى، قطر كل قبة (١٠) أمتار ومجموعها (١٤) قبة بعدد المعصومين الهداة الأربعة عشر (النبي الأكرم والزهراء البتول والأئمة الاثني عشر)، وهناك توسعة خارجية للعتبة، فاللجنة بصدد شراء الأرض والدور وعلى مسافة (٢٠٠م) شعاعي بمحيط الحرم الشريف وهذه العملية في طريقها للتنفيذ.

وأخيراً فإن كل ما تم إنجازه من إعمار وتطوير وتجديد كان بتصميم من الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني وبأيادٍ وعقول عراقية من التصاميم إلى التنفيذ النهائي حتى جاء بهذه الصورة البهية التي تناسب وعظمة وقدسية المكان.

ولابد في آخر الحديث أنوه أن نفقات الاعمار بتمويل من الحكومة العراقية وبعض المؤسسات الخيرية.

التخطيط الأساس لمدينة كربلاء والحرم:

بعد أن عاد السيد الشهرستاني إلى مدينته كربلاء وبعد غياب دام قرابة نصف قرن من الزمان وجد إن المدينة قد نالها الخراب وأصابها التأخر في كل مرفق من مرافقها فتالم كثيراً لما آلت إليه المدينة التي احتضنته قرابة ثلاثين عاماً ومنذ فتح عينيه على الحياة وبدأ يتنسم هواءها ويلعب في مراعها ويأخذ مقدمات علومه في مدارسها ومعاهدها... هذه المدينة المقدسة التي هي موطن آباءه وأجداده وموئل عزّه ومربع صباه، فكانت له فيها ذكريات حلوة ومرّة واقعية وخيالية، فلا بد أن يكون مشدوداً إليها بقوة يفكر منذ صغره في خدمتها وتطويرها وظلت هذه الأفكار

تراوده ليل نهار وحتى أنه دخل كلية الهندسة علّه يقدم لهذه المدينة شيئاً إذا ما أكمل الكلية وتخرج فيها مهندساً ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (أنت تريد والله يريد) وما تشاءون إلا أن يشاء الله تعالى.

ترك العراق بسبب ظروف سياسية قاهرة ولم يتحقق شيء من تلك الأمنيات ولكنه ظل ينتهز الفرصة التي تواتيه للعودة إلى العراق وإلى كربلاء بالذات ليقدم ما كان يدور في خاطره من أعمال عمرانية ومشاريع ثقافية وحضارية وخدمية واجتماعية لهذه المدينة التي عشقها وتولع بها وهام في حبها.

بعد سقوط النظام عام (٢٠٠٣م) بأيام قليلة دخل العراق وقرر مغادرة لندن مقر عمله، وكان قراراً نهائياً لا رجعة فيه.. وصل العراق متخطياً كل الصعاب والمعوقات متخذاً أكثر من سبيل من أجل الوصول إلى كربلاء، وفور وصوله المدينة بدأ يتجول في شوارعها البائسة وأزقتها الضيقة وساحاتها المهملة والتأمل في بناياتها ومعالمها القديمة وما حلّ من تخريب ودمار لمعالمها الأثرية، وبحث عن مدارسها الدينية القديمة ذات الطراز المعماري المتميز وبعض البنايات القديمة التي كانت شاخصة أيام وجوده في كربلاء قبل نصف قرن إلا أنه لم يشاهد شيئاً من ذلك، تمخضت هذه الجولة السريعة والتأمل القصير والتفرج على ما تبقى من المعالم القديمة وما حصل في المدينة من تخريب وفوضى في التصميم وتجاوز على التخطيط القديم غيرت معالم المدينة.

بدأ منذ اليوم الأول لوصوله المباشرة برسم أفكار ناهضة وتخطيط رؤى جديدة طالما حلم بها وتمنى تطبيقها على أرض الواقع بحيث يتم نقل المدينة من الحالة المزرية التي هي عليها إلى حالة أفضل تتماشى والتطور الحضاري المدني والعمراني الذي آلت إليه المدن المقدسة منها وغير المقدسة في العالم.

لقد باشر السيد الشهرستاني ببعض الأعمال المهمة التي كان يتمناها تتعلق بتغيير المعالم الفكرية والتربوية إضافة إلى تأمين حاجات الزائرين والقادمين إلى

كربلاء فبدأ الخطوة الأولى وهي الأساس في رسم مخطط شامل لمدينة كربلاء وعلى ضوء هذا المخطط اشترك في مناقشة آخرين من ذوي الاختصاص كانوا قد أعدوا مخططات أخرى للنهوض بهذه المدينة، وقد كان من حسن حظ السيد الشهرستاني أن حصل على درجة جيدة ولقيت تصاميمه وطروحاته العمرانية والخطية قبولاً حسناً من لدن وزارة البلديات والأشغال العامة والمديرية العامة للتخطيط العمراني، وكانت تصاميمه ومخططاته من المخططات الفائزة والمقدمة في هذه المناقصة، وعلى هذا الأساس وقعت الشركة التي يرأسها السيد الشهرستاني عقداً مع وزارة البلديات لتنفيذ العمل.

ولا بد أن نحيط القارئ الكريم علماً بطبيعة هذا العمل: التخطيط الأساس لم يكن التخطيط العمراني، إنما التخطيط الأساس هو وضع برنامج واستراتيجيات ودراسات بما يجب العمل عليه في مدة تتراوح ما بين (٢٥ - ٣٠) سنة قادمة، وكانت هذه المناقصة تتضمن وضع المخطط الأساس لجميع الشؤون العمرانية والثقافية والصحية والاقتصادية والزراعية وما شابه ذلك في مدينة كربلاء حتى سنة (٢٠٣٠م)، لذا كانت القضية مهمة وكبيرة، وعادة إن من يقوم بمثل هذه الأعمال هي شركات كبيرة متخصصة ومحدودة جداً، وبما إن الشركة التي يشرف عليها ويديرها السيد الشهرستاني هي من تلك الشركات الكبيرة ذات الخبرة الطويلة والمسجلة في بريطانيا وتملك إمكانات كبيرة وخبرات قديمة حيث قامت بأعمال مماثلة وناجحة في مختلف دول العالم واكتسبت خبرة طويلة من خلال إنجازاتها السابقة فمثلاً قامت بتخطيط مدينة مشهد في خراسان وفي مكة المكرمة ومنى وعرفات ومزدلفة، قامت بتنفيذ مشاريع خدمية تتعلق براحة الحجاج وما يتعلق بإنشاء الطرق والمنشآت الصحية والخدمية والشؤون الحياتية المائية والصحية وغيرها، وكذلك تخطيط كامل للمجزرة العصرية وبنائها على وفق أفضل المواصفات الصحية الحديثة.

ومن خلال هذه الخبرات الطويلة والأعمال التي نفذتها الشركة التي يديرها السيد محمد علي الشهرستاني اقتنعت الجهات المسؤولة بقدرة هذه الشركة على تحمل المسؤولية وتنفيذ مشروع تخطيط كربلاء، فوق الاختيار عليها لأعداد التصاميم والتخطيط الأساس ومنذ البداية حاولت الشركة وضع خبراتها التي حصلت عليها طيلة هذه السنوات الخمسين، وهذه الأعمال المنفذة التي نالت رضا المسؤولين والمعنيين في كل مكان عملت فيه الشركة التي آلت على نفسها وضع كل تجاربها وخدماتها وخبراتها في بودقة التخطيط الأساس لمدينة كربلاء، ولكن (والأسى يحزُّ في قلب السيد الشهرستاني) مع مزيد الأسف منذ البداية اصطدمت شركتنا بمعوقات ووضع البعض عصاه في دولاب العربة ليعيق المشروع ويعرقل الأمور، فبعض المسؤولين عن التخطيط العمراني كانوا ينهجون منهجاً يختلف عن الأفق الذي ترغب شركتنا السير فيه وذلك بسبب الترسبات التي ورثوها من النظام السابق طيلة ثلاثة عقود من الزمن أو يزيد ولا زالت رؤوسهم تعشعش فيها أفكار سوداوية ضيقة حاقدة مما كانت تشكل عائقاً رئيساً في طريق تنفيذ خططنا الحديثة المنفتحة الواضحة التي لا يستوعبها أولئك الذين عملوا طويلاً مع النظام البائد فظلوا متمسكين بما كان يمليه عليهم ذلك النظام وهم لا يحددون عنه قيد أنملة، وكانوا يفرضون رأيهم على الرأي الآخر من دون احترام لمن يخالفهم الرأي أو التوجه وهذا جاء بتأثير الاستبداد والدكتاتورية التي نشؤوا عليها وعاشوها وانعكس ذلك على مسيرة الإعمار والإنشاء، وكان يحصل ذلك من المهندسين تارة ومن المسؤولين تارة أخرى ومن بعض العاملين أو المتنفذين في الدولة وحتى من بعض العامة من سائر أبناء الشعب، ولهذا نشب الخلاف بين شركتنا وبين أولئك المسؤولين وبين الشركات الأخرى المشاركة في إعداد التخطيط.

يقول السيد الشهرستاني: حاولت أكثر من مرة التحدث بما يجب على وفق ما أعتقده وأرتضيه وبما حصلت عليه من خبرة خلال خمسين سنة في هذه المجالات الهندسية والتخطيطية.

أولاً جمع كل المعلومات التي اختزنتها الذاكرة وحصلت عليها بالتجربة الطويلة وأضع كل ذلك في خدمة هذه المدينة المظلومة التي هي مسقط رأسي ومنشأ عزي إضافة إلى ما تتمتع به من القدسية التي يتفاخر ويتباهى ويؤمن بها كل المسلمين وبخاصة الموالين منهم لآل بيت الرسول (ﷺ) هذه المدينة التي ضمت جدث سبط الرحمة وابني أمير المؤمنين الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (ع) والصفوة الطاهرة من شهداء الطف (رضوان الله عليهم أجمعين) حتى أصبحت هذه البقعة المقدسة من البقاع التي يقصدها الملايين من مسلمي العالم في مناسبة أو من دون مناسبة ليتشرفوا بزيارة ريحانة رسول الله (ﷺ) الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (ع) وتجديد العهد لهما والتبرك بزيارتها.

فمدينة هذه مكانتها الرفيعة وتلك منزلتها العالية لا بد وأن تحظى بالاهتمام الشامل وأن يخطط لها تخطيطاً أساسياً متميزاً عما هو متعارف عليه في تخطيط سائر المدن الحديثة الموجودة في العالم كبيرة كانت أم صغيرة لأنَّ فيها نوعان من التخطيط أي إنها مدينة في الحالات الاعتيادية بمن يسكنون ويقطنون فيها، وفي بعض المناسبات يفد إليها الملايين من أنحاء متفرقة لإداء مراسم الزيارة، والحالة تختلف فيها، فلهذا مثل هذه المدينة التي تشترك معها في هذه الحالة أربع مدن مقدسة أخرى وهي: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومشهد الإمام الرضا في خراسان، والنجف الأشرف، ويمكن أن نلحق الكاظمية مستقبلاً أيضاً، وفعلاً الازدحام الشديد كل يوم وحتى من دون مناسبة سنوية، هذه المدن المقدسة يفد إليها ملايين من الزوار لهذا فالحالة تتغير فيها.

إذا لهذه المدن تخطيطان: تخطيط عقائدي وآخر حضري

فالتخطيط الحضري: هو ما يتعلق بشؤون المدينة كما هو الحال في المدن الكبرى، والمدن الأخرى المنظمة.

والتخطيط الآخر هو التخطيط العقائدي الذي يتعلق بالزائرين والوافدين، وهذا

عادة ما يتصل بمركز المدينة وحول المشهد أو المقام أو المزار، لذا فإنَّ هذه البلدان التي تعد من المدن المقدسة منذ أن تطأ أرجل الزائر أرض المدينة ووصوله إليها لأداء مراسم الزيارة العقائدية وما يتطلبه من عبادات وتبتل ودعاء وحتى الانتهاء منها وخروجه من المدينة والرحيل إلى مقر عمله الذي جاء منه أنه يريد إيجاد جو ملائم لتأدية طقوسه العبادية ولا يريد غير ذلك.

أما القضايا الأخرى التي يحتاج إليها الزائر يجب أن تتوفر له كالسكن المريح والقريب من المرقد أو المزار والدورات الصحية العامة النظيفة ومحلات التبضع الحديثة والساحات والحدائق والنافورات وأماكن الاستراحة كل ذلك يجب أن تكون قريبة منه ولا تحتاج إلى سؤال للوصول إليها. إذا التخطيط هنا الذي أطلق عليه السيد الشهرستاني التخطيط العقائدي يختلف عن التخطيط العام الخارجي للمدينة والخاص بسكانها المحليين، أيضاً له تخطيط آخر يأخذ بنظر الاعتبار الشوارع والجسور وطرز البناء والأسواق والمدارس والمنتزهات والمستشفيات والمراكز التسويقية والمجمعات الثقافية والدوائر الحكومية وكراجات (مرائب) النقل وكل مستلزمات المدينة الحديثة وما يتعلق منها بكافة الشؤون العمرانية والاجتماعية والاقتصادية.

إنَّ لمدينة كربلاء خصوصية معينة يجب أن يؤخذ ذلك بالحسبان لكل من يريد أن يخطط لهذه المدينة، وقد أبدى السيد الشهرستاني ملاحظاته في هذا الموضوع وبيَّنها للمسؤولين أو الجهة المسؤولة عن عقد الاتفاق لتخطيط مدينة كربلاء، فكانوا يسرون في أفق واتجاه ربما يختلف عن الطريق الذي يعتقده الشهرستاني والتي حصَّل عليها من خلال عمله مدة نصف قرن في بلدان مختلفة أمريكية وأوروبية وأفريقية وآسيوية إسلامية وغير إسلامية.

يبد أن السيد الشهرستاني كان ملزماً بقبول ما يطلب منه وما نصت عليه الاتفاقية المبرمة مع الجهة الرسمية، ولكنه في أكثر الأحيان عندما كان يُطلب منه تنفيذ شيء

يعتقد أنه غير نافع أو غير مجدٍ ولا ضروري كان السيد الشهرستاني يرفض الفكرة ويتركها من دون تنفيذ.

ومن أجل رسم المخطط الجديد لمدينة كربلاء انعقدت أكثر من عشرين ولربما (٢٦) جلسة حضرها عدد من أهالي كربلاء أولاً ثم مع المسؤولين الحكوميين، وبعد ذلك مع النقابات والتجمعات ثم مع أعضاء غرفة التجارة والصناعيين والمصدرين والمستوردين وأصحاب المحلات والفنادق السياحية والكسبة البسطاء والتجار الكبار والمعلمين والمتعلمين والمثقفين وسائر الطبقات الاجتماعية من أهل البلد ومن خارجه لسماع آرائهم والاستئناس بطروحاتهم وكذلك سماع رأي السيد الشهرستاني في تخطيط المدينة وما يدور في رأسه من أفكار يصب في خدمة المدينة ورفع مستواها المتدني الذي تعيشه اليوم مدينة سيد الشهداء (عليه السلام) من تخلف وتأخر في كل المجالات (العمرانية، الاقتصادية، والخدمية)، وذلك بسبب الإصرار الذي كان يريده النظام السابق لجعل هذه المدينة وسائر مدن العراق وبخاصة مدن العتبات المقدسة في الدرجات الدنيا من حيث التقدم والرقي والازدهار والتطور والنمو.

ولذا كان هدف المخلصين ومنهم السيد الشهرستاني رفع المستوى العام لهذه المدينة وانتشالها من الوضع الذي هي فيه، حيث تعيش بعيداً عن التحولات الاجتماعية والحضارية والاقتصادية التي عليها مدن العالم الثالث ولا أقول مدن العالم المتحضر، كما إنَّ معظم سكانها يعيشون تحت خط الفقر، ولذلك جعل هذا الرجل كل همّه النهوض بالواقع المعاشي لهذه المدينة ولأبنائها البررة فبذل مساعيه الخيرة ولم يبخل بما يملك من جاه وعلم ودراية وخبرة كلها وظَّفها في سبيل مدينة سيد الشهداء لإعادة مجدها التليد ومكانتها المقدسة عند جميع المسلمين وإحياء تراثها الحضاري والعلمي وجعلها مدينة متميزة مرموقة بين مدن العالم من حيث التقدم العمراني والثقافي والاقتصادي والاجتماعي.

ولكن السيد الشهرستاني يصاب بالإحباط عندما يصطدم مع أفكار غريبة وطروحات واهية سمعها من آخرين ليسوا من أهل الصنعة ولا من رجال المعرفة الفنية والاختصاص وهم يقفون حجر عثرة في طريق الإصلاح والتطوير الذي تضمنته تصاميمه التي هي حصيلة تجربة طويلة وممارسات صعبة في هذا المجال بالذات، وشهدت له مؤسسات دولية ومنظمات متخصصة في مجال الإعمار وتطوير المدن وبنائها، فالْيونسكو مثلاً عدته من الخبراء المعدودين في العالم والمعتمدين لديها، وقد منحته مؤسسة تقويم الشخصيات العالمية للمعهد الأمريكي الوسام الذهبي لمنجزاته العالمية والتي تعنى بالثقافة والتراث الإنساني تقديراً لجهوده الجبارة والتميزة في ميدان إعادة بناء الأماكن التراثية والتاريخية وإظهارها بالمظهر نفسه الذي كانت عليه سابقاً، ومن تلك المشاريع إعادة إعمار العتبة العسكرية المقدسة في سامراء حيث وافقت اليونسكو على أن يكون هو الخبير المشرف على إعادة البناء.

إن تلك المجموعات المعارضة لطروحات السيد الشهرستاني وتصاميمه في تخطيط مدينة كربلاء كانت بسبب اختلاف آرائهم التي لا تتناسب مع ما كان يفكر به ويريده السيد الشهرستاني وهو يعزو ذلك إلى الرواسب القديمة المتوارثة من زمن النظام السابق وما كانوا يفكرون به ويخططون له واليوم آثروا البقاء على تلك الأفكار الاستبدادية الظالمة وحاولوا تطبيق الخطط التي رسمها النظام البائد لهذه المدينة من دون تغيير أو تبديل وحتى في صيغة تعاملهم معنا كانت أحياناً تتسم بالخشونة والدكتاتورية وفرض الآراء ووجوب القبول.

ويستمر السيد الشهرستاني في حديثه قائلاً: ولهذا كنت ألقى صعوبات جمة بسبب هذه السياسة في التعامل والآراء المختلفة أو المداخلات المغرضة التافهة (في بعض الأحيان) من الذين يشعرون بأن مصالحهم ستكون في خطر إذا ما نفذ المخطط الجديد للمدينة الذي أعدته أنا وشركتنا والذي يضمن تطوير المدينة

وتقدمها ورقياً ويبرز معالمها الحضارية ووجهها الناصع، وهو ينطلق من مبدأ مبني على أصل عقائدي متين بعيداً عن الأبعاد المادية الزائلة والجاه الفارغ وإخلاصه في عمله يتوخى منه رضا الله أولاً وطلب الشفاعة يوم الحساب من الإمام الحسين (عليه السلام).

خطط السيد الشهرستاني تخطيطين لإعمار المدينة، الأول تخطيط عقائدي، والآخر تخطيط حضري، ولكل واحد منهما مميزات وأبعاد واتجاهات وضوابط. فالتخطيط الحضري يتعلق بشؤون المدينة ككل، وكان يسير بموجبه وحسب مقتضيات الحاجة للتطوير والاستفادة من التجارب السابقة والدراسات المعمقة المقدمة عند تخطيط مدن أخرى استطاعت بفضل هذا التخطيط أن تصل إلى أعلى مدارج الرقي والتقدم الحضري والحضاري وهذا العمل لم يستبد به السيد الشهرستاني بل استفاد من آراء الخبراء الأجانب أيضاً في هذا المجال، فقد تم الاتفاق مع اساتذة من جامعة لندن وبالذات مع عميد كلية التخطيط الحضري في جامعة لندن ومع الشركات العاملة في إنكلترا على تخطيط المدن والاستفادة من تجاربهم السابقة وسماع آرائهم عند تخطيط مدينة كربلاء والوقوف على المستجدات التي ظهرت في هذا المجال ومن أجل مساندة ركب الحضارة المتقدمة في العالم.

التخطيط العقائدي: يحدثنا السيد الشهرستاني مبتدأ بحمد الله تعالى والعناية الإلهية والتوفيق الرباني الذي حظي به وأسبغه الباري عليه ويشكر الله أن ولدته أمه في بقعة مقدسة من بقاع الدنيا وعاش طفولته فيها ألا وهي مدينة جده الإمام الحسين (عليه السلام) وفتح عيونه على صورة المنائر الذهبية وهي تعانق السماء وتفيأ بظلال الصحن الحسيني الشريف داخل أوأوينه وفي بعض غرفه وهو يستمع إلى تمتات الزائرين وتراتيلهم وأدعيتهم وشرب من ماء الفرات وتنسم هواء هذه المدينة وملاً أفكاره بالإيمان الراسخ والعلم الدافق والولاء النقي الصادق.

وفي ظروف قاسية أجبرته على الابتعاد عن هذه المدينة واضطرته السلطات الحاكمة إلى الهجرة إلى أرض الله الواسعة مجبراً لا مخيراً وهو في سن الثلاثين حيث رحل إلى خارج كربلاء والعراق فيما بعد وكان له دور مهم في عدد من الأعمال العمرانية والإنشائية في الخارج من أبرزها في إيران حيث ساهم وخطط ونفذ العديد من مشاريع التوسعة والبناء في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان له دور في تخطيط مدينة خراسان بعد توسعة مشهد الإمام هناك وهذا التوسع الذي نشهده اليوم كان صاحب الفكرة الأساس فيه هو السيد الشهرستاني (على حد قوله) وهو المخطط الأول لما نراه اليوم ويعده الخبراء أنه الاستشاري الأول لتوسعة مركز مدينة خراسان، هذا بالإضافة لأعماله في سبعينات القرن الماضي عندما كان في مكة المكرمة وهو يعمل في تطوير المشاعر المقدسة في منى وعرفات ومزدلفة وقد مرَّ الحديث عن ذلك، هذه خبرة ليست قليلة تنطوي على أفكار جديدة وآفاق واسعة ومضامين هندسية مهمة، فالشهرستاني أراد أن يوظف كل هذه الخبرات المعمقة والناجحة التي حصل عليها وحققها خلال مسيرته الجهادية في الإعمار والتنفيذ أن يطبقها في مدينته التي أحبها وعشقها منذ نعومة أظفاره وتولع وتوله بها وكانت لا تفارق ذهنه ولا تفكيره لحظة واحدة... يتأمل عدد الزائرين الذين سيصل في القريب العاجل عددهم إلى عشرة ملايين أو أكثر والمدينة هي هي كما كانت في السابق، فماذا يفعله لاستيعاب هذا الزخم الهائل من الزوار؟ كيف تقدم الخدمات لهم؟ أماكن راحتهم كيف تهيأ؟ ولهذا جد واجتهد وكدَّ ذهنه في إيجاد السبل الكفيلة لحل هذه المشكلات، فوضع تخطيطاً خاصاً شاملاً دقيقاً يخص مركز المدينة التي تضم المرقدين الشريفين (الحسين والعباس) دراسة سعة المكان لإيواء الزائرين وحركتهم أثناء الزيارة وإقامة الصلاة وأداء المراسم الأخرى فضلاً عن وضع تخطيط خاص يوفر الخدمات التي يحتاجها الزائر كالمرافق الصحية والخدمية والسكنية والسياحية الأخرى، هذا بالنسبة لمركز المدينة، وقد قدّم تصميمًا شاملاً جميلاً يفي بالحاجة ويظهر المدينة بالمظهر اللائق الجديد.

وقد اعترض بعض المعترضين على التصميم، فاضطر السيد الشهرستاني أن يرسم تصميماً آخر غيره، ولكن كان يعتقد أن التصميم الجديد سيحظى بالقبول ذلك لأنه ابتعد عن رأيه الشخصي وحسب حساباته المستقبلية في تزايد أعداد الزوار وتعدد مطالبهم واحتياجاتهم ومصصلحة أصحاب المحال التجارية والفنادق وكل هذه الاعتبارات حسب حساباتها ووضع لها حلولاً ناجحة وسريعة ولكن الناس لم يدركوا ذلك بل نعتقوا مع كل ناعق من دون ترو ولا صبر، مع العلم إن السيد الشهرستاني لم يبدأ مخططة من دون استشارة زملاء له من أهل الاختصاص خوفاً من أن يكون المشروع معبراً عن وجهة نظر شخصية وهو دائماً لا يحب الانفراد في معظم مشاريعه وهو كذلك كان يتوخى من هذا الإجراء أن لا تكون الفكرة جاءت بحسب رأي شخصي فهو عندما يقدم المخطط إلى المديرية العامة للتخطيط العمراني تكون مدروسة وناضجة، وهذه المرة حصلت بعض الاعتراضات أيضاً ففكر السيد الشهرستاني مرة أخرى أن يضع هذا التصميم في مسابقة دولية يشارك فيه أكبر عدد ممكن من المصممين العالميين ليقدّم تصميماً آخر مغايراً لما قدمه سابقاً يشمل مركز المدينة لكي لا تقع المسؤولية على عاتق واحد (وهو السيد الشهرستاني) ولم يجبر أحداً الموافقة على تصميمه الذي أعدّه (أي السيد الشهرستاني).

وفعلاً تم الإعلان عن مسابقة دولية أعلن عنها عبر شبكات الأنترنت والصحف وعن طريق نشر البوسترات والدعوات الخاصة للدخول في هذه المسابقة الدولية لرسم مخطط عمراني وحضري لمركز مدينة كربلاء.

التصاميم وصلت إلى اللجنة وهي لم ترق إلى تحسين التصميم الذي وضعه وأعدّه السيد الشهرستاني وشركته في البداية وهذا بحسب رؤية هيئة التحكيم المؤلفة من آخرين ولم يكن السيد الشهرستاني من بينهم، إذ كانت الهيئة تتكون من مهندسي المديرية العامة للتخطيط العمراني ومسؤولين من العتبة الحسينية

والعباسية ومن الإدارة المحلية، فلم تكن التصاميم المقدمة بالمستوى المطلوب ولم ترق إلى المستوى المناسب (حسبما أدلى به السيد الشهرستاني)، وكان التصميم الأفضل لا يزال هو تصميم شركة السيد الشهرستاني الذي تقدم به. تم الإعلان عن ذلك في دعوة خاصة للنخب الموجودة في كربلاء ومن جامعة كربلاء الرسمية.

يقول السيد الشهرستاني: دعونا هم إلى الاجتماع وعرضنا عليهم الأعمال التي قمنا بها والخاصة بمركز المدينة ولكن مع مزيد الأسف لاحظنا تغييراً قد حصل في المدعوين، فالوجوه متغيرة وحضر من لا يحق له الحضور وممن لم توجه له الدعوة وبعضهم من العامة الذين لا رأي لهم، وعلى العموم كان تجمعاً مقصوداً لإشاعة الفوضى والتفريغ والتجريح وإفشال المشروع الذي تقدمنا به وبعد طرح الموضوع على بساط البحث بدأت المناقشات التي كان أغلبها يقوم على العاطفة ولا يستند إلى العلم، وحدثت مساجلات ومماحكات وجدل عقيم وطروحات تفتقر إلى المعلومات الصحيحة وانتقاد لاذع لم يبين على أسس علمية وبعض الحاضرين أخذ يتناول في الكلام وكان يدافع عن مصالحه التي ستضرر إذا ما طبق هذا التخطيط وآخر ندد به لأنّ فندقه سوف يكون ضمن المشروع وهكذا كل واحد نظر إلى مصلحته الخاصة ولم ينظر إلى المصلحة العامة، فالجميع عدّ هذا المخطط بمثابة النار التي تحرق مصالحهم الفردية، وأخيراً اتفق الحاضرون على تقديم طلب إلى رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء ومجلس المحافظة يطعنون فيه بالتصميم الجديد للمدينة ويرغبون بتقديم التصميم الذي عملوه هم لحفظ مصالحهم الشخصية والانتفاع المادي عند تنفيذه، وقد استجابت لهم المديرية العامة للتخطيط العمراني وطلبت منهم المشاركة ولكن مع مزيد الأسف (والقول لا زال للشهرستاني) تراجعوا عن ذلك ولم يشاركوا لتأييد المشروع الآخر هذا عندما أصبحوا أمام الأمر الواقع وأصبحوا يؤلبون الناس ضد التصميم

الذي قدمناه وخرجت بعض التظاهرات منددة بالتصميم الذي أعدناه ومطالبة المسؤولين بعدم التنفيذ ورفضه كلياً وكلمتهم (لا نريد التطوير، ولا نريد التغيير، ويجب أن تبقى على ما هو عليه الآن من أوضاع) وأخذوا يناشدون المرجعية العليا والجهات الرسمية والمسؤولين في المحافظة على إيقاف العمل بهذا المخطط الذي أعدّه السيد الشهرستاني وشركته والحيلولة دون تطبيقه أو تنفيذه.

ويدي السيد الشهرستاني امتعاضه وألمه وأسفه لعدم تفهم الناس طبيعة مشروعه في تطوير مركز المدينة وسماعهم الأصوات المناهضة والمتضررة والمتأثرة بالنظام السابق والعناصر الموتورة والجاهلة كل هؤلاء كانوا العقبة في سبيل التطوير وظل الحال على ما هو الآن وكما كان لم يحصل أي شيء وسيبقى إلى أمد لا ندرى مبدأه ولا منتهاه.

وبذلك عرقلت هذه الجماعات ما كنا نخطط له وما نريده أن يحصل لهذه المدينة المظلومة التي تتطلع إلى من يأخذ بأيدي أبنائها البررة المخلصين لانتشالها مما تكابده وتعانيه والارتقاء بها نحو مدارج الرقي والكمال وتكون المدينة التي يشار إليها بالبنان ويدعو الله (أي السيد الشهرستاني) بالانتقام من كل من وقف حائلاً دون تحقيق المشروع وسيلقى الله بوجه أسود كالح كل من حال دون تطوير مدينة أبي الشهداء.

وفي خضم هذا الجو الملبد بالغيوم طلب السيد وزير البلديات والأشغال العامة الأستاذ رياض غريب وهو من أبناء هذه المدينة الغيارى الذين يهتمهم تطوير المدينة وفي الوقت نفسه ضمان حقوق الآخرين وعدم تجاهل مصلحة الناس والكسبة بخاصة، كما وطلب هذا الوزير من السيد الشهرستاني إعادة المسابقة مرة ثانية لمشاركة أكبر عدد ممكن من الآخرين في هذا الأمر وإن لم يكن الحق للوزارة في ذلك إلا إن السيد الشهرستاني نزل عند رغبة السيد الوزير الذي يكتن له كل المحبة والتقدير والود لما لمس فيه إخلاصاً ووفاء وبُعد نظر وغيره على المدينة

وساكنيها وحرصاً على مصلحة البلد عامة ومدينته بخاصة ولما يتمتع به من نزاهة وحرص وتقوى وحب وولاء لآل البيت (عليهم السلام)، ولكن يأسف السيد الشهرستاني لحصول ملابسات وقضايا جديدة لم يتمكن من القبول بها وتجاوزها ولم يستطع أن يقدم ما يجب تقديمه لهذه المدينة التي لم تستفد من خبرته الطويلة في مجال التطوير والإعمار وبقيت القضية معلقة من دون حل إلى يومنا هذا (٢٠١٠م) ومن دون أن تحسم، ويعتقد السيد الشهرستاني أنه لو قُدِّمَ تخطيط جديد آخر فإنه لم يف بالحاجة ولم يكن تصميمًا لائقًا ومناسبًا وبعيداً عن رأي الآخرين، ويعتقد السيد الشهرستاني إنَّ الامام الحسين (عليه السلام) هو صاحب هذه القضية فهو كفيل بحلها وإنجازها بالشكل المطلوب الذي يرضي الله وزوار أبي عبد الله (عليه السلام) وهو الضامن لحل كل خلاف وإنهاء كل معضلة وسوف يختم (عليه السلام) هذه الغائلة وينهي هذه الصراعات بما يرتضيه لقبره ومشهده وقبر أخيه قاضي الحاجات أبي الفضل العباس (عليه السلام).

ولا بد للزبد أن يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض والله نسأل أن لا تنقطع الخدمات عن هذه المدينة المقدسة وأن يُعلي الله شأنها بجهود الخيرين الأمناء الذين هم جنود مجهولون وعلى الدوام هم مستعدون لخدمة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) وزوارهم وأعوانهم إنه نعم المولى ونعم النصير.

مؤسسة خدام أيتام آل محمد (عليه السلام)

يقول الدكتور الشهرستاني: في سنة (٢٠٠٤م) زرت سماحة المرجع الديني الشيخ حسين وحيد الخراساني كبير مراجع الدين وأكبر أساتذة الأصول والبحث في الحوزة الدينية في مدينة قم المقدسة، فسألني عن وضع المسلمين الشيعة في العراق خاصة بعدما حاول الإرهاب الناصبي أن يقتل أبناء الشيعة في الطرقات وفي محلات تواجدهم وسكناتهم ويستم أولادهم ويرمل نساءهم من دون سبب ودليل سوى كونهم من شيعة آل محمد الأطهار (عليه السلام)، فقدمت بعض ما كنت أعلم وما نقله بعض إخواني الذين كانوا يعملون معي في كربلاء والذين شاهدوا بأنفسهم بعض هذه المآسي وقطع رؤوس الأبرياء، فعظم عليه ذلك وتألم وتأثر كثيراً، وبعد رجوعي إلى العراق سمعت أن سماحته قد دعا بعض من التجار والأخيار والصالحين ليخطب فيهم ويضعهم في أجواء شيعة آل محمد في العراق وحالة الأيتام والأرامل المأساوية هذه، وطلب منهم تأليف لجنة تتولى جمع المساعدات والخيرات في إدارة شؤون ومساعدة هذه الشريحة من الناس الذين فقدوا آباءهم وأبنائهم وأصبحوا بلا ولي ولا مأوى يأوون إليه.

طبيعي أن شخصاً في مستوى المرجعية العليا وخطيباً كسماحة المرجع الديني الشيخ الخراساني حينما يتكلم له دور مهم وتكليف شرعي على كل مسلم ومسلمة ولذا فقد أخذ بعض التجار على أنفسهم تأسيس مؤسسة لهذا الغرض وقد سماها سماحته بـ (خدام أيتام آل محمد) وتفضل بتكليف السيد الشهرستاني إدارة هذه المؤسسة بالعراق وتوزيع المساعدات على المستحقين والمحتاجين من الأيتام والأرامل والمتعفين والمهجرين من جراء الإرهاب في هذا البلد المنكوب، فقبل هذه

المهمة بالسمع والطاعة، فكانت مجموعة من الأختيار تجمع التبرعات والمساعدات من خارج العراق وترسلها إلى السيد الشهرستاني لإيصالها إلى مستحقيها.

وكما هو معلوم إنَّ هذه المهمة لم تكن مهمة سهلة ففيها المسؤولية الشرعية وتقتضي الحركة الدؤوبة والاطلاع على شؤون الناس وحالاتهم المعيشية ولما كنت مشغولاً في هذه المدة بإعادة بناء وتعمير العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، لذا كان لزاماً علي أن أنتخب من يكون أهلاً لذلك للقيام بهذه المهمة، فانتخبتُ السيدة (وداد داخل) وهي من العاملين في هذا الحقل وتتصف بالثقافة الإسلامية الضرورية التي تؤهلها للقيام بهذه المهمة، وأصبحت فيما بعد هي المسؤولة عن مؤسسة خدام أيتام آل محمد وحاولت أن تضم إلى المتعاونين معها جمع ليس بالقليل من الساعين لعمل الخير والمجاهدين في سبيل الله، فأسست لجان في كل من الكاظمية وكربلاء والنجف ومدينة الصدر والحرية والشعلة ومحافظة ديالى ومحافظة ذي قار وفي كثير من المناطق المنكوبة يعاونها عدد من السيدات والسادة الذين يرون أهمية هذه الخدمة ومن المؤمنين والصلحاء الذين يستعدون لبذل قسط من أوقاتهم لهذه الخدمة، التي تبدأ بزيارة أماكن سكناهم وأحوالهم المعيشية وإمكاناتهم وارتباطهم بالمؤسسات الخيرية الأخرى في تسلم المساعدات وما إلى ذلك من الأمور، وبالفعل تم نقل هذه المعلومات وهوياتهم والاستبيانات التي حاولنا تدوين جميع المعلومات الضرورية عن هذه العوائل المسجلة في هذه المؤسسة ونقل هذه المعلومات إلى الحاسوب لتتمكن من الحصول على المعلومات المختلفة في حينها، ودوّنت في هذه الاستبيانات انتماءاتهم العلوية (سادة) وغير علويين (عوام) ومستوى الأعمار والهويات والمستوى الدراسي لكل منهم، فضلاً عن تقديم تقرير عن وضعهم المعيشي والصحي وشمولهم بمساعدات من الجهات الحكومية وغير الحكومية (الخيرية) لتكون الصورة واضحة تماماً لدى المؤسسة.

وتقدم الخدمات لهذه العوائل من الأرامل والأيتام على الصورة التالية وفي المجالات المختلفة التالية:

- وحدة رعاية وكفالة عوائل الأيتام: وتتكفل برعاية عدد من العوائل في الحال الحاضر لا تقل عن (١٨٠٠) عائلة بتوفير راتب شهري يتراوح بين (٥٠-١٥٠) ألف دينار عراقي لكل عائلة وعلى وفق الاعتبارات الشرعية والإنسانية ويوزع بانتظام في بداية كل شهر وتعمل هذه الوحدة على استثمار المناسبات الدينية لتكريم الأيتام وأمهاتهم.
- وحدة الأغاثة: تعمل هذه الوحدة على محاور عدة:
 - أ. مراعاة العوائل المهجرة: بتوفير السكن الملائم لها والمستلزمات الضرورية من أثاث وقروض وغير ذلك مما يساعدهم في توفير العيش الكريم.
 - ب. البناء والترميم: تهدف هذه الوحدة إلى إعادة بناء وترميم الدور السكنية وتهيئتها وترميمها لتكون مناسبة لسكن العائلة.
 - ج. فرص العمل: ساهمت المؤسسة في توفير عدة فرص للعمل لذوي القدرة عليها من خلال تهيئة المتطلبات الخاصة ليتمكن من العيش فيها في حياة كريمة له ولعائلته وغير ذلك مما يعيننا الله عليه.
- وحدة الشعائر الحسينية: تتبنى دعم الهيئات والمواكب الحسينية بتوفير احتياجاتها وتهيئة مستلزمات العزاء وتقديم الخدمة لزوار الإمام الحسين (عليه السلام)، وخاصة في الزيارات الدينية المهمة كعاشوراء ورمضان وبيعة الغدير وولادة المعصومين ووفياتهم وتوفير المبيت اللائق ووجبات الطعام وكل ما من شأنه أن يساهم في دعم المسيرة المحمدية الأصيلة.
- وحدة التزويج: تتكفل المؤسسة بالمساهمة في إحياء سنة التزويج من خلال دعم الشباب المقبل على الزواج بتهيئة بعض المستلزمات الضرورية

لهذا الغرض من غرف نوم والفرش المناسب.

- وحدة الرعاية الصحية والعمليات الجراحية: تعمل المؤسسة على سد متطلبات العمليات الكبرى والصغرى من خلال التكفل بها أو المساهمة في جزء منها وبالتعاون مع المؤسسات الأخرى الخيرية وكذلك العمل الجاد على توفير بعض العلاجات غير المتوفرة في الأسواق المحلية وتوزيع كراسي المعاقين بصورة دورية لذوي الاحتياج الخاص.

- وحدة المفارز الطبية: تعمل على تقديم الخدمات الطبية لزوار الأئمة الطاهرين (عليه السلام) من خلال نصب المفارز على الطرق المؤدية إلى المراكز المقدسة.

- وحدة الثقافة الإسلامية: وتعني هذه الوحدة برفع المستوى الثقافي والديني لأبناء البلد وخاصة العوائل المشمولة برعاية المؤسسة من الأرامل والأيتام من خلال فعاليات متنوعة كإقامة المخيمات الكشفية والدورات القرآنية والفقهية والعقائدية وإقامة الدورات الصيفية والعمل على تهيئة الكراسات التعليمية وتكريم الأيتام المتفوقين في مدارسهم.

- مشاريع متفرقة:

أ. دعم الطلبة المهجرين.

ب. دعم عوائل ضحايا التفجيرات الإرهابية.

ج. دعم الطلاب المتفوقين (الأوائل) في دراستهم.

د. توفير الكسوة الشتوية والصيفية (كسوة المدرسة) لبعض الأيتام بالتعاون مع إدارات المدارس.

إضافة إلى توزيع المساعدات العينية وبشكل متواصل وتوفير المستلزمات الضرورية لكل عائلة من الأجهزة الكهربائية والبيتية والفرش وغيرها من المساعدات وحسب الامكانيات المتاحة.

هذه نبذة مختصرة عن الأنشطة الخيرية والاجتماعية والثقافية التي تقوم بها مؤسسة خدام أيتام آل محمد وهي مستمرة برسالتها في المجالات التي ذكرت سائلين المولى أن يوفقَّ العاملين والمتعاونين والمساعدين والمتبرعين لهذه المؤسسة بمَنِّه وعنايته وأن يأخذ بأيديهم إلى ما يحب ويرضى.



الراحل السيد الشهرستاني يتوسط مجموعة من أيتام آل محمد عليه السلام

مدينة الامام علي (عليه السلام) للزائرين

يقول السيد الشهرستاني عندما انتقلت إلى العراق سنة (٢٠٠٤م)، وكنت أفكر في تقديم الخدمات لتطوير بلدي العزيز، كان من بين التصاميم والمشاريع التي أوصاني بها المرجع الديني الكبير سماحة الشيخ حسين وحيد الخرساني (دام ظله)، إقامة وحدات في مدخل كربلاء والعتبات المقدسة لخدمة الزائرين الوافدين إلى هذه الاماكن المقدسة قبل تشرفهم للزيارة، وهو الاستراحة والتطهير والاستعداد للزيارة، فأعددت تصميماً أولاً لهذا الغرض يضم قسم الخدمات الذي يحتوي على المرافق الصحية العامة ومحلات الوضوء والحمامات وغيرها، وقاعة كبيرة للصلاة وغرف نوم تحتوي كل غرفة على عشرة أسرة، وفتشت عن أرض مناسبة لإقامة مثل هذه الوحدات عليها مبتدئاً بطريق النجف - كربلاء، فوجدت قطعة أرض مساحتها (١٠٠٠٠م^٢) مناسبة تماماً لإقامة هذا المجمع وكانت هذه الأرض تابعة لوزارة البلديات والأشغال العامة، فتكلمت مع معالي وزير البلديات الأستاذ رياض غريب، فرحب بالفكرة ترحيباً إيمانياً وسألني متى تباشر بالعمل لو تمت الموافقة على انتقال الارض لإقامة هذا المشروع، فأجبت معاليه بالمباشرة من ثاني يوم الموافقة، فقال: إنَّ النصف من شعبان بعد يومين فما رأيكم بوضع الحجر الأساس بهذه المناسبة العظيمة، فوافقت مرحباً بذلك، وتم وضع الحجر الأساس بتاريخ النصف من شعبان سنة (١٤٢٨هـ) بواسطة محافظ كربلاء المقدسة الدكتور عقيل الخزعلي، ولكن انتقال الأرض واجه صعوبات جملة بالرغم منه تأكيدات معالي وزير البلديات حتى سنة (١٤٢٩هـ) حينما حضر دولة رئيس الوزراء نوري المالكي إلى كربلاء لتوزيع بعض الأراضي على عوائل

الشهداء فكلمه السيد السيد وزير البلديات بتخصيص قطع من الأراضي لإقامة ثلاث مدن للزائرين على طريق كربلاء- نجف، كربلاء-حلة، وكربلاء-بغداد، فوافق دولته على ذلك، ولذا خصصت ثلاث قطع كل منها بمساحة تقريبية حوالي (٤٠٠٠٠ م^٢) لإقامة هذه المدن الثلاثة وأعدت تصاميم موحدة من قبلي، ووافقت على تنفيذ المشروع الواقع على طريق النجف كربلاء، وقد أكمل بناءه وتنفيذه بتاريخ ١٣ من رجب المرجب لسنة (١٤٣١ هـ)، ولذا سميت هذه المدينة بمدينة الإمام (عليه السلام) للزائرين.

ومن المرافق الأساسية التي بنيت على هذه القطعة الكبيرة من الأرض وعلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى النجف الأشرف عبارة عن:

١. الخيمة الكبيرة: بسعة (٦٠٠٠ م^٢) متكونة من ست خيام كل خيمة سعتها (١٠٠٠ م^٢) وعلى حد معلوماتي تعد من أكبر الخيم الحديثة التي تنصب في العراق على غرار خيم مدينة الزائرين في جدة، وتتمكن هذه الخيمة من استيعاب (١٠٠٠٠) زائر فيها محلات جلوس ثابتة وستة مواقع لتقديم الطعام الجاهز (وجبات سريعة) أو بيع الهدايا التذكارية من معالم مدينة الإمام الحسين (عليه السلام)، كما يمكن إقامة الحفلات الكبيرة والاجتماعات المتنوعة والمعارض المحلية والدولية على كافة أشكالها تحت هذه الخيم، بالإضافة إلى استراحة الزائرين.

٢. القسم الفندقية: ويتكون من نوعين من الغرف الفندقية (الدرجة الأولى) وتحتوي على (١٤٠) غرفة ذات سريرين مع حمام كامل وجميعها مزودة بأجهزة التكييف والماء الحار والبارد والأثاث المتعارف في الفنادق الراقية، والقسم الثاني من الغرف الفندقية (الدرجة الثانية) أي إنَّ الغرف كالدرجة الأولى ماعدا الحمامات والمرافق العامة مشتركة.

٣. المصلى: لقد شيد مصلى كبير بمساحة تقارب (٥٠٠ م^٢) يمكنه من استيعاب

٤٠٠٠) مصلٌ وعلى وسط القاعة قبة مكسوة بالكاشي الكربلائي ومثذنة رمزية إلى جانبه.

٤. المطعم: يشتمل المشروع على مطعم كبير يتسع لـ (٤٠٠ - ٥٠٠) شخص مجهزة بأحدث المعدات المتطورة وبأساليب حديثة، ويمكن أن يكون من أرقى المطاعم الموجودة في كربلاء المقدسة ويقدم خدماته للزائرين والمناسبات الدينية والثقافية والاجتماعية المختلفة.

٥. المرافق الصحية: الجزء المهم في هذا المشروع لخدمة الزائرين والوافدين إليها وضيوف المناسبات هي المرافق الصحية والمتكوّنة من قسمين للرجال والنساء ويحتوي كل قسم منه على المرافق الصحية ومحلات الوضوء ومغاسل وحمامات مزودة بالماء الحار والبارد ومحلات لغسل الأرجل والوضوء.

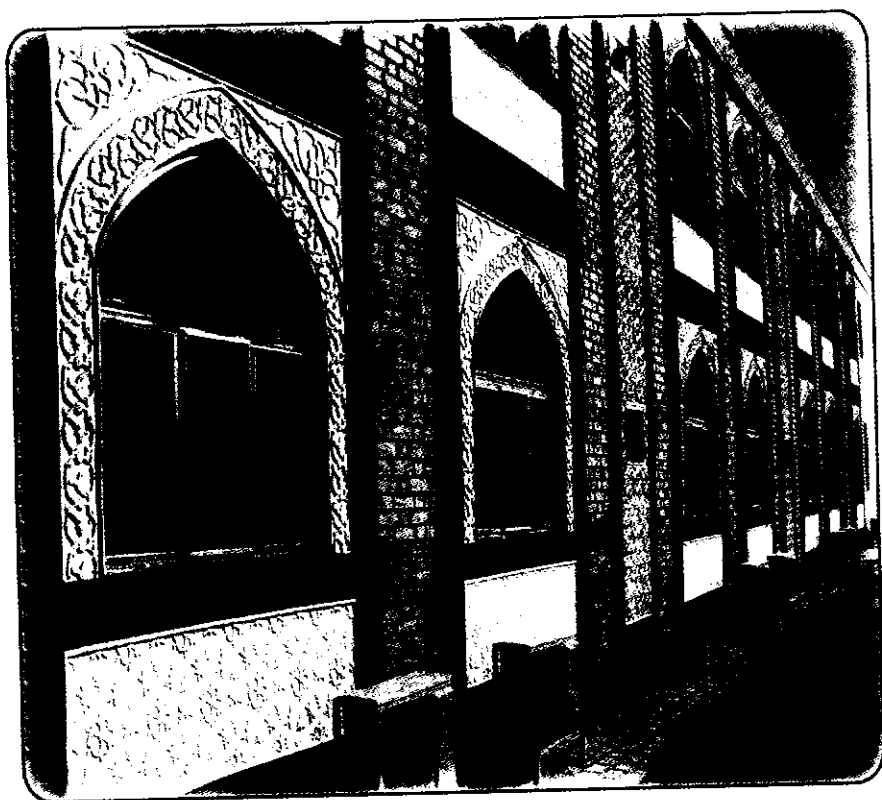
تتمكن هذه المرافق الصحية أن تقدم الخدمات لـ (٦٠٠٠) زائر يومياً على أحسن وجه ممكن مما يليق بمكانة زائري أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام).

٦. كما توجد خمس مجموعات من الخيم الصغيرة التي تستوعب كل واحدة منها حوالي (٢٠٠) شخص للمجموعات المستقلة والمنفصلة.

٧. أما المستوصف الخيري الموجود في المجمع فانه يخدم الزائرين بتقديم الدواء وعمل الإسعافات الأولية والعمليات البسيطة وتقديم الخدمات المختلفة للقادمين مشياً على الأقدام في المناسبات المليونية لزيارة كربلاء المقدسة.

٨. موقف السيارات: في المشروع موقف للسيارات الصغيرة والكبيرة وهي واسعة الأرجاء وتقع أمام المشروع وضمنه والدخول إليه من مدخل واحد وله أن يستوعب (١٨٠) سيارة صالون إضافة إلى (٢٥) سيارة باص صغير وكبير.

جميع هذه الخدمات تقدم إلى الزائرين والوافدين إلى المدينة بصورة مجانية ماعدا القسم الفندقية والمطعم، وهذين القسمين سوف يقدمان الخدمة بصورة مدعومة وبسعر الكلفة، لتكون الخدمة عامة للجميع.



المنظر العام لمدينة الامام علي عليه السلام للزائرين في كربلاء

تخطيط مركز مدينة الكاظمية المقدسة

بتأريخ (٨-٤-٢٠٠٩م) وجهت أمانة بغداد رسالة إلى المركز العالمي للأبحاث الفنية معممة إلى شركات عالمية ومحلية كبيرة تدعوها للمشاركة في مسابقة تطوير المنطقة المحيطة بالصحن الكاظمي الشريف، وكان المركز المذكور منشغلاً بتطوير قسم منه وبناء الصحن الكاظمي الجديد، قام المركز بدراسة المشروع من الناحية الجذرية والأساسية آخذاً بنظر الاعتبار المرافق والوحدات الضرورية لهذا التطوير ودراسة حركة الزائرين الذين يصل عددهم إلى الملايين في بعض المناسبات الخاصة ك(٢٥ من رجب) ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وبعد الدراسات الموسعة وجمع البيانات الضرورية أعد التصميم اللازم لهذه التوسعة وللمساحة التي طلبتها أمانة العاصمة وقدمت التصميم إلى الأمانة ضمن المدة التي حددتها والتي كانت ستة أشهر، وبعد تشكيل لجنة موسعة من قبل الأمانة ضمت الأساتذة وأعضاء من مجلس محافظة بغداد والمعنيين في الأمانة، كانت النتيجة انتخاب ثلاث شركات رابحة في المسابقة وهي عبارة عن شركة الديوان للعمارة (الإماراتية) وشركة راه شهر الدولية (الإيرانية) والمركز العالمي للأبحاث الفنية (العراقية).

وقدمت الأمانة لهذه الشركات الثلاث الجوائز المقررة وشهادات تقديرية، وعند مقابلة السيد الشهرستاني في إحدى اللقاءات مع معالي أمين بغداد ذكر الأخير له أنه يرغب بتشكيل لجنة مشتركة من هذه الشركات الثلاث لانتخاب تصميم موحد تتمكن الأمانة من تنفيذه لتوسعة مركز مدينة الكاظمية المقدسة الذي يعتبر من المشاريع الملحة والعاجلة.

صفوة تجارب ووصايا الشهرستاني

من عهد هابيل وقابيل وإلى يومنا هذا الصراع قائم بين الأقوام والشعوب والبشرية جمعاء... صراع بين الخير والشر، فمنهم مَنْ يعمل لدنياه، ومنهم مَنْ يعمل لآخريته، ومنهم مَنْ يعمل لكسب المال والجاه، ومنهم مَنْ يعمل لخلاصه وخلاص الآخرين من الشر والوبال ويعمل على سعادته وسعادة الآخرين، فإذا فعل الخير ارتاح ضميره واستقرَّ باله والتدبَّ بحياته، وإذا فعل الشر أنبَّه ضميره وعذَّبه باله وندم على فعلته وعلى عمله وصار يلوذ بالخلاص من وزره ووباله، وكان هذا الصراع في البشرية على أساس معتقداته ومسيرته والنهج الذي يرسمه لنفسه في الحياة.

فمنهم مَنْ يقتل أخاه ظلماً وجوراً، ومنهم مَنْ يأخذ رأس نبي الله يحيى إلى سالومي حيثما رقصت، ومنهم مَنْ يقتل حسيناً ليرضي يزيداً، وهكذا البشرية من يوم نزل آدم إلى المعمورة وإلى الآن، كلها كانت من أثر ما يحمله في فكره من إحساس وعقيدة وفي نفسه من خير وشر.

لقد كان الناس «على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القدّ أذلة خاسئين... الخ» (*)، فأنقذهم من حيرة الضلالة والتخبط في الجهل والحرمان إلى نور الإسلام فأصبحوا سادة الشعوب حاملين منهج الهداية إلى البشرية، فأصبح المسلمون سادة الشعوب فتقدموا في العلوم وعرفوا النهج الصحيح في الحياة، وحينما

(*) من كلام سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام حينما واجهت الخليفة أبا بكر، مطالبة فيه إرثها في فدك، (أنظر أعلام الهداية ج ٣ ص ١٥٢)

اختلطت هذه الحضارة المثلى بثقافة فلاسفة الغرب أصبحت أنموذجاً لا يُعلى عليه وأصبح منهم عمالقة في العلوم والمعارف والثقافات ووضعوا أسس العلوم الكونية والطبيعية والرياضية والفيزيائية والكيميائية والجبر والحساب فكان العصر الذهبي للإسلام.

وحينما ساروا بهذا التراث يرفعون المستويات العلمية والفكرية والمنهجية وقدموا للعالم وللبشرية المباني الأصولية والقواعد العلمية والمعادلات الرياضية، تمكن البشر الاستفادة منها، وصعدت الأمة الإسلامية إلى القمة والجلال واصبح العالم تواقاً لمثل هذه العلوم من أجل رفع مستواه الثقافي والحضاري، فكانت الحضارة الإسلامية مركز الإشعاع بكل أبعاده لتصل أشعتها إلى أقصى نقاط العالم المتحضر في حينه، وترجمت الكتب والمقالات والأقوال والخطب والمحاضرات إلى لغات مختلفة وأفاد منها كل من ينشد حضارة متقدمة ليصل إلى سعادة عليا.

فالرخاء الذي ناله المسلم والسعادة التي حصلت عليها الشعوب المسلمة بعد وصولها إلى القمة والراحة والهناء والطمأنينة أفسدها جهلها، وتغلب عليها شيطانها، فتغيرت واندحرت (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه أستغنى) (*) وهذا الطغيان كان سبباً للانحدار، وزوال النعمة والراحة، فجاء دور الانهيار من العزة إلى الشقاء، ومن الأوج إلى الحضيض، وبخاصة بعدما تمكن العثمانيون من السيطرة على العالم الإسلامي.

غير أن الغرب حينما كان في الحضيض يتخبط بجهله منصاعاً إلى غطرسة الأبحار والرهبان ومنصاعاً إلى أوامر الكنيسة والسلطان كان يعيش الذل والهوان والتخلف والحرمان، حتى كانت الثورة الفرنسية التي غيرت الأنظمة الغربية والمناهج الأوربية وقلبتها على عقب، وأصبحت الثورات تتلو بعضها البعض وانتقل النظام من الكنيسة والسلطان إلى العلماء والمفكرين والمكتشفين والمخترعين وأساتذة

(*) سورة العلق آية (٦،٧)

المختبرات وقادة الأفكار العلمية والتجريبية، فظهرت الاكتشافات ونجحت الاختراعات فانبهَرَ الناس بهذا الجديد، وأصبحت بهرجة الاختراعات تبهر العيون وصنع المعدات تطغو على الناس وتمنحهم الراحة والاستقرار واللذة والاطمئنان. في هذه المرحلة رأى الغرب نفسه متفوقاً على الشرق، وبعدها كان يأخذ منه أصبح يَمُنُّ عليه بالعطاء، فخلق فلاسفته معادلة طرحوها على البشرية تحت عنوان القابل والفاعل (Active & Passive) أي إنَّ الغرب المتقدم والذي تمكن من معرفة أسرار الطبيعة وخفاياها وخيرها وشرها يتمكن أن يكون هو الفاعل والباقون هم الذين يجب أن يتقبَّلوا قول الفاعل وعلومه واختراعاته ومعادلاته واكتشافاته، ويعمل بها كما يعمل العبد بقول مولاه، فتمكنوا بخطتهم هذه أن يسيطروا على شعوب العالم ويهيمنوا على ثقافة الشعوب وعلى الموازين العلمية والأكاديمية، والشرق ينقاد إليهم ويأخذ منهم ويعد نفسه القابل والآخذ بقول الغربي أو بمنجزاته وكانت هذه هي الطامة الكبرى، فكان الغرب يتحرك على سلم الصعود والشرق وبالذات المسلمون ينحدرون في منزلق الهبوط.

ولدت سنة ١٩٣٢م الموافق ١٣٥١هـ، في هذا الجو المدلهم، وهذه الحالة التي تقدم شرحها والناس منبهرون بالغرب مقلدون له يحترمون مَنْ ينتسب إلى أممه ويحتقرون مَنْ يقف أمامهم ويتقدمهم، ولذا والحالة هذه فالغرب كان هو السيد ونحن المسيرون وما يقوله يجب علينا تصديقه، وما لم نعتقد به كان يعزى إلى ضعف فكرنا، وقلة ثقافتنا، وتأخر قومنا، فلما فتحت عيني على هذه الحياة أفكرُ مَنْ أنا؟ وأين أنا؟ أحضر مجالس العلماء وأستمع إلى أقوالهم وإلى نصائحهم وتوصياتهم، كنت أرى نفسي في دوامة كبيرة، ضميري يسوقني لشيء، وعياني ومسامعي تنظر وتسمع شيئاً آخر، الناس من حولي يستهزؤون بي إنَّ خَطَأَتهم، ويطردونني إنَّ نصحتهم، فأنا كالحيران لا يعلم ماذا يقول وماذا يعمل، أقراني يهزؤون بي ويقولون: هل أنت أدري من الغرب ومن علمائه؟ وأساتذتي

يحترقونني إذا أنا انتقدت نظرية وقدمتُ فكرة فيقولون لي: مهما تقدمت فالغرب أمامك يتقدم بأشواط واسعة، وهكذا يفتنّون رأبي ويشبطون عزيمتي، فكان لي الحظ العظيم أن التقيتُ بعلامة العصر العبقري آية الله العظمى السيد هبة الدين الشهرستاني.

كنت أصفُ نعليه حينما يخرج، وأسكبُ الماء على راحتيه حينما يأكل، وأحاولُ أن أسير من خلفه كالفصيل يتبع أمه، أستمعُ إلى أحاديثه مع الآخرين، وأطلع على مؤلفاته ونظرياته، فكانت هي النقلة النوعية في حياتي، كان السيد «هبة الدين» في كتابه الهيئة والإسلام يضاھي «غاليلو» حينما أثبت أن القرآن يؤيد نظرية دوران الأرض، وخالف «بطليموس» في نظرياته الفلكية، وكتب عن الذرة وشرحها بدقة متناهية قبل أن تكتشف الذرة وأصلح منظومة السبزواري بتوصية من أستاذه المرجع الديني الكبير «الأخوند الخراساني» وما إلى ذلك، فعرفت أن التجديد والتطوير والوقوف أمام الغرب أمرٌ ممكنٌ وليس محالاً.

وإذا كان لنا ذلك فلا بد أن نكون في مقدمة الغربيين.

فأصبحت أفكر بعد تخرجي في الجامعة كيف يمكن اختراع ما لم يتمكن الغرب من اختراعه، والعمل على شيء يتقدم على ما عمله أساطين العلم الأوربيين، فكان لي أن اخترعَ المحرك الدوراني وهو الجهاز الأول في حركة جميع المعدات الحديثة، وانتقلتُ إلى لندن لكي أعمل كعاملٍ في مصنع ميرليس (أول مصنع للديزل) لأرى أن ما اخترعته صحيحٌ ومقبولٌ في العالم الغربي أم لا!!!؟ وعند نجاحي في ذلك وتسجيل هذا الاختراع عالمياً رأيت نفسي لا أزال لم أصل إلى المنال، إذ أثبتُ بنجاحي هذا كيف يمكن للشرقي أن يتفوق على الغربي في اختراعاته الأساسية، فأصبحتُ أفكر في توسعة هذا المجال ودخول ساحة العمل لتجارب أخرى، فحينما استعصى على الياباني الأرقى في عمله وفنه بناء الصوامع العظيمة تكفلتُ بإنجاز عمله فأنجزته، وحينما عجز الأمريكي (أرامكو) من صنع

الخزانات الحديد في منى وعرفات ومزدلفة نفذتها من دون عناء، وحينما نافست الشركات الأوربية والأمريكية في صنع الجسور المتحركة كان لي النصيب الأوفر في التفوق عليهم، وحينما عجز المهندسون الاستشاريون العالميون عن توسعة حرم الإمام الرضا (عليه السلام) نفذته وأنا لم أبلغ الثلاثين من عمري، وحينما تعذر على المهندسين الغربيين رفع الأعمدة من تحت قبتي الإماميين الجوادين أقدمت على ذلك ونفذته بنجاح تام، وهكذا وغيرها مما ذكرته في مذكراتي آنفة الذكر.

وكانت النتيجة إنني توصلت إلى اليقين من أن الإنسان المسلم بمقدوره أن يصل إلى كل ما لم يتمكن الغربي من الوصول إليه بعد الاتكال على الله وبعد أن يسلك جميع المسالك التي سلكها الغربي، وركزت على قول مولاي رسول الله (ﷺ): (اعقل ثم توكل)، فللشرقي المسلم الذي يملك التراث العريق والمثابرة في طلب العلم والاتكال على الله، واليقين بالله يقيه، يتمكن أن يكون أفضل واقدر وأمكن من الغربي الذي اعترَّ بمقولته (الفاعل والفاعل)، وقد آن الآوان أن يكون الإنسان المسلم هو الفاعل والغربي ابتداءً أن يكون هو القابل، وقد قدمت مداخلات ومقالات متعددة أثبت فيها كيف أن قوس الصعود في الغرب ابتداءً بالنزول وكيف أن الإنسان المسلم على خط الصعود وفي أقرب وقت يمكن أن يتلاقى هذا القوس الصعودي مع القوس النزولي فتكون الاستراتيجية الإسلامية متقدمة على الاستراتيجية الغربية.

لقد دام الصراع ومنذ زمن بعيد بين الاستراتيجية والتطبيق (النظريات والفعل)، وكان القول متردداً في ماهية السقوط الشرقي والتفوق الغربي هل أن القوانين والأحكام والمُثل والنظريات الإسلامية من عوامل التأخر وهي غير كاملة وغير مقبولة فعلاً، والمعادلات والنظريات والمختبرات والنتائج الحسية هي من عوامل التقدم والنمو والتطوير والحصول على النتائج الصحيحة، أم العكس في ذلك بل المنهج والاستراتيجية شيء والتطبيق شيء آخر، وهل أن التطور الغربي بنظرياته

وقوانينه ومختبراته تمكن من التفوق وبهذا خط على النظريات والأحكام والقوانين القديمة (أي الإلهية) بالبطلان وعدم قابليتها للتطبيق، أم أن التطبيق وعدم التطبيق هما اللذان يتحكمان بالتفوق والتأخر والتطور والتراجع.

إن الذي نؤمن به ونعتقده أن التراث والمثل العليا والأحكام الإلهية والمصادر التشريعية هي الأرقى، ولا غبار عليها، ولا خلل فيها، لأنها إلهية، ولكن عدم الامتثال إليها والعمل عليها هما اللذان يفقدان قيمة المثل والتراث والمثل العليا والأحكام، والتأخر المحسوس والظاهر والجلبي الذي نراه في المجتمع الإسلامي هو عدم العمل بموجب هذه الأحكام وعدم الأخذ بما تمليه الشريعة فهو كالمريض الذي لا يأخذ بالدواء كما يصفه الطبيب، فبطبيعة الحال لا موجب في شفائه إنما مرضه يفتك به حتى الممات.

الحركة الجوهرية في الاستراتيجية التي أعدتها لنفسي بعد يقيني ودراساتي من أن القوانين والشرائع والمصادر الحكمية في الإسلام قطعية في أفضليتها، إذا لماذا تأخر المسلمون!! وتأخرت شعوبهم في مضمار الحياة!! وأصبحوا قابلين بدل أن يكونوا فاعلين، وبقوا ضعفاء يتحكم فيهم الغربي، فرسمتُ لنفسي خطة أسير عليها لأطمئن من أن المثل العليا السماوية قابلة للتطبيق إضافة إلى صحتها، أم هي طوبائية يمكن إثباتها بالبحث العلمي الأكاديمي النظري ولكن لا يمكن تطبيقها على الساحة في الحياة، فهي قابلة للاستفادة والتطبيق ومنها تؤخذ النتائج الصحيحة ويصل الإنسان بها إلى استغلال ما في الطبيعة من نعم مسخرة له.

لذا رسمتُ لنفسي المنهج الذي أسير على وفقه وهو الاستفادة من التعاليم والشرائع السماوية ومزجها بالتقدم العلمي والفني لاستغلال نعم الطبيعة، وإن كانت صحتها واضحة وقطعية لي ولكن كنتُ أريد أن أبرهن به بالدلائل الإلزامية التي ألزمها الخصم على نفسه حتى تكون قطعية له كذلك، لذا حاولتُ أن أجمع بين هذا وذاك وأستحصل من العلوم الإلهية ما يتحصل للغير ومن العلوم الطبيعية

والتقنية ما قرره في مدارجه العلمية، وأحاول تطبيق ذلك في حياتي العملية، فإن كانت النتيجة إيجابية قدمتها للغير هدية حياتي، وإن خذلتُ فيه كنت كبش الفداء وخاسراً للمعركة وأنا الضحية لو حدي.

فكانت التجربة الأولى أن أعرف هل أن الشرقي والمسلم له أن يتقدم على الغربي في علومه وفنه أو لا؟

فحينما وفقت في إنكلترا لإثبات اختراع المحرك الدوراني وسجلته عالمياً وهو الآن في المكتبة البريطانية في لندن انتهت النتيجة لصالحني وتيقنتُ من إمكان ذلك. بعد ذلك لم أكن أبغي من وراء ذلك منافع المادية ولا المعنوية، فتحقق ذلك كان كافٍ لي ولكن كنتُ أريد أن أعرف هل إننا بالنظرية فقط نتفوق أم بالتطبيق أيضاً يمكننا التوفيق؟

فأقدمتُ على إدخال صناعة الصلب في إيران وصنعنا أنواع الصلب والفولاذ لجميع المعدات والمكائن والمصانع.

ولم يكن هذا فقط كافٍ لي فلربما وُفِّقْتُ في شيء وعجزتُ عن أشياء، فحينما عجز العالم عن تنفيذ صوامع أكبر معمل إسمنت في العالم قبلته ونفذته، وحينما كانت منافسة عالمية في إقامة أطول الجسور الحديد المتحركة وتقليل وزنها إلى أقل ما يمكن قبلته وفزت به أمام خبرة الغربيين وتجارهم.

وحينما عجزت شركة (أرامكو) عن تنفيذ أكبر خزان حديد في العالم (عشرين مليون غالون) في السعودية قبلت تصميمه وتصنيعه من حديد الخرودة حتى وضع الماء فيه خلال عشرة أشهر.

كانت هذه خطتي في الحياة نفذتها خلال خمسين سنة من عمري، فهل كان هذا خاص بي وأنا لو حدي أتمكن أن أقوم بهذه الأعمال، أم أنه عام يتمكن أي مسلم أن يصل إليها في حياته؟!

أنا لم أكن بالإنسان الشاذ عن الغير، ولا بالعقري الملهم الذي تم إلهامه، إنما

هذه الإمكانيات متاحة لأي إنسان، وقابلة للتطبيق من أي إنسان، ولكن يجب أن أقول بصدق وإخلاص، إذا مزج البحث العلمي والتحري الأكاديمي والنشاط التقني ممتازاً بالإخلاص في العمل وطلب العون من العليّ القدير، حينما تعيي الأمور وتستعصي الظروف عليه أن يحلها ويسهل أمورها ويمتزج (التعقل) بـ (التوكل) فالمسلم أن يصل إلى ما لا يمكن وصول الغربي إليه وتقديمه، لذا أطلبُ وأتمسُّ من أبناء قومي ونحلتني، ومن الشباب المسلم والجيل الجديد ما يلي:

١- الثقة بالنفس: من أراد أن يتفوق في حياته ويصل إلى المدارك العليا وينال الدرجات العلى عليه قبل كل شيء أن يثق بنفسه ويعتقد اعتقاداً تاماً بأنه قادر على إنجاز ما عليه وسوف يتقدم فيما يُقدم عليه، فالثقة بالنفس واليقين بالتغلب على الصعاب باكورة كل عمل، فإن ضعف وشك في قدرته وإمكاناته لم يتمكن من الحركة قيد أنملة، وإن كان على ثقة بنفسه وعلى يقين بالتغلب على جميع الصعاب كانت هذه الثقة بالنفس العامل الأساس في الوصول إلى الغاية والمراد، وإن كان العكس في ذلك وشعر بالضعف والهوان، وعظمة وقوة ما يريد أن يتفوق عليه عندما يخطو خطوة إلى الأمام يهابه ويخشاه فيتراجع خطوتين، لذا عليه أن يُقرِّم العملاق الذي أمامه والعظيم الذي يراه أقوى منه، فبتقزيم العملاق وتضعيف العظيم له أن يرى نفسه أقوى من خصمه وأقدر من نده، في هذه الحالة يتمكن من التغلب عليه ومنازلته، أما ترى المتصارعين اللذين يصعدان على حلبة المصارعة أو الملاكمة يحقر أحدهما الآخر وكلُّ منهما يعد نفسه هو الفائز والمتغلب على خصمه، فيصرعه ويلكمه بثقته في نفسه أو في الأقل الثقة التي يخلقها لنفسه، والتقزيم الذي يجسمه أمامه فيتغلب في الصراع والمسابقة.

٢- التسليح بالعلم: من عوامل الموفقية والنجاح في الحياة أن يتسلح الفرد بسلاح العلم، ويضع علامة الاستفهام لكل ما يرى من حوله، فإن وجد

الجواب تركه، وإن لم يجد الجواب فليتابع مسيرته في معرفة أسرارهِ وعِلمهِ حتى يقف على اليقين، ويلتزم في نيل المدارج العلمية أو مراحل الحياة العملية أو خبرة الممارسين التطبيقية إلى أقصى ما توصل إليه غيره، ولا يشعر بالضعف والعجز لأنَّ الطريق لا يزال أمامه طويلاً، فإنَّ تسليح بالعلم تمكَّن من التغلب على غيره والوصول إلى الدرجات العلى في حياته وقد نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

ففر بعلم تعشَّ حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

٣- الثقة بالله: مَنْ تسليح بالعلم واغترَّ بنفسه ورأى نفسه قادرةً في التغلب على الصعاب ونيل المراد من دون الثقة بالله والاعتماد على الله واللوذ بالأحد الفرد الصمد لا يمكن أن ينال المراد في حياته أبداً إلا لأيام معدودة ومدة قصيرة ومرحلة موجزة، لأنه يصل إلى الحد المحدود والطريق المسدود، وهذا ما نراه في الغرب فإنَّ وصلوا إلى ما وصلوا إليه، كانت خطاهم أقصر من شوط من تسليح بالعلم، واتَّكل على الله، ف (يقيني بالله يقيني) وقد أخذتُ العبر من ما مررت به في حياتي فحينما استعصى على الغرب توسعة مقام الإمام الرضا ورفع الجدران من تحت القبة لذتُ بالله وكان يقيني من أن الأمر سوف يتحقق، فلم يتمكن عليه الغربي وبالعباية الإلهية تمكنت أنا عليه، وكذلك في بناء صوامع أكبر معمل إسمنت في العالم حينما عجز الغرب المتقدم عن تنفيذه وبالتالي تركه، تمكنت من الاستعانة بالله أن أكمل بناءه، وحينما عجز الغربي العملاق (أرامكو) من تصميم وتنفيذ أكبر خزان حديد في العالم في منى، تمكنت من تصنيعه وتركيبه بطلب العون من الله، وحينما أعتذر الغرب بمهندسيه الكبار من رفع أعمدة مقام الإمامين الجوادين تجرأتُ على تنفيذه مستعيناً بالله، وكنت على يقين من أن الله يقيني شر كل هول وعارضة، وهكذا يجب على الإنسان المؤمن

المعتقد أن يتسلح بسلاح العلم ليكون (التعقل) كما في قول رسول الله (ﷺ): (اعقل ثم توكل)، ثم بعد التسلح بالعلم اتكلت على الله في كلِّ أموري وحالاتي لأصل إلى الحل ولأن يكون عملي قربة إلى الله.

٤- المثابرة على العمل: حينما يُقدم الإنسان على عمل صعب مستصعب يواجه عوائق وموانع كثيرة فيتجاوز إحداها ويتغلب على بعضها ولكن لا يزال يرى أمامه عوائق وصعوبات فإنَّ عجز عن التغلب عليها وترك التقدم من بدايته أو من وسطه، طبيعي من أنَّ الفشل يكون نصيب العمل والمشروع، ولكن إذا ثابر وحاول أن يعيد الكرة ولم يكثر بما كان ولم تضجره الصعاب، تمكن من اجتياز العوائق والوصول إلى الهدف والمراد، وقد قال الشاعر:

أطلب ولا تضجر من مطلب فأفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الجبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

وكما بينت في قصة حياتي وقد واجهني الخصوم بألوان العذاب في كل مهمة أقدمتُ عليها وفي مقدمتها إعادة إعمار سامراء وبناء روضة العسكريين ()، فالْيونسكو وبعض أعضاء الهيئة العليا كانوا صخرة صماء يمنعونني من كل تقدم وإسراع، وفي المشاريع العظيمة الأخرى فلو اكرثت بهذه المعوقات لما كانت هذه المنجزات.

٥- الصبر والثبات: إنَّ المشاريع والأعمال الكبرى لطالما تواجه معوقات ومشاكل ومنغصات وتحرك أحاسيس الآخرين الذين تتعارض مصالحهم وهذه الأعمال والمشاريع، فيقفون سداً منيعاً أمام حركة الإنسان وسعيه وجهده في تنفيذ الأمر أو أن يعملوا له المكائد والمصاعب بعد إكماله العمل، وربما أسأؤوا بسمعه أو موقعه الاجتماعي، كما كانت الحالة معي كما ذكرته في توسعة مقام الإمام الرضا في خراسان حينما ساقوني إلى محكمة عسكرية لا لشيء إلا لتنفيذ مشروع عظيم عجز عنه الآخرون،

أو في تسقيف صحن الإمام الحسين (عليه السلام) حينما كتب كبير المهندسين مُدَّعياً أنَّ تسقيف صحن الإمام الحسين يؤلف كارثة، وقالت مثل هذا الكلام منظمة اليونسكو بالنسبة للعمل الذي نفذناه في سامراء (مقام الإمامين العسكريين)، وأمثلة ذلك كثيرة، فلو كنا نريد أن نغير اهتماماً لهذه الصفعات وهذه التهم وهذه الأقاويل الباطلة ما كان في إمكاننا إكمال هذه المشاريع العظيمة والتي يلمس جدواها ونجاحها جميع الناس بعد أن اكتملت وأنجزت وأصبحت ماثلة للعيان.

لذا أوصي أخواني وأخواتي وأهل قومي ونحلتني خاصة المتفوقين منهم إلا يعيروا لهذه الاتِّهَامات ولمثل هذه الانتهاكات أهمية في حياتهم إنما يسرون قدماً لوجه الله ولخدمة الأمة بكل ما أتاهم الله من قوة.

٦- الإخلاص في العمل: كانت جميع الواجبات والمستحبات في الشريعة مقترنة بالتقرب إلى الله، فإنَّ كان الإنسان يصلي لغير رضى الله ويصوم لرغبة من نفسه في ذلك ويجاهد لفرض السطوة والسيطرة على الغير وما إلى ذلك، لما كان له عند الله من أجر وثواب وعزة ومقام، ولكن مَنْ يعمل كل ذلك قربة إلى الله ولأجل الله كان على الله حقاً أن يجازيه ويسبغ عليه النعم، وكان على الناس تقديره وتقديره أمامهم فيكون ذا حظ عظيم وجاء كبير.

وأما إذا كان للناس فالناس يهينونه، وينكرون جميله، ويطردونه من بينهم، فلا يكون نصيبه إلا الخسران والذل والهوان. لذا أوصي وأؤكد على مَنْ يبلغه كلامي هذا أن يكون الإخلاص ديدنه والسعي والمثابرة منهجه داعياً إلى الله مستعيناً من الله عاملاً على سبيل الله.

وإني في الختام أعتقد وأؤمن قطعاً وبقيناً بأنَّ العاقبة للمسلمين وللمعتقدين بأحكام الله وشريعته السمحاء، فقد قال عز من قائل: (ونريد أن نتمنَّ على

الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) (*)، ومَنْ أصدق من الله قبلاً.

فالعاقبة التي ترسم خيوطها أمامي، العز والتقدم والتفوق والنجاح للأمة الإسلامية، فلو أخذ المسلمون بالنصح وصدقوا وعد الله وساروا على المسيرة التي قدمت أنموذجاً لهم في حياتي أي تطبيق الحكم بالعمل والقول بالفعل، وعلى ما أراه مَنْ تخطب الغرب في ضلاله وانتقاله من مخطط الصعود إلى مخطط الانحدار (لا بكلام منبري ولا بحديث خطابي)، بل بالدليل والبرهان والتطبيق والتنفيذ، فلا محال من أن العاقبة للذين استضعفوا في الأرض، وسوف يصل الغرب إلى مرحلة الأخذ من الشرقي كما قال «البرنس تشارلز» في خطابه تحت عنوان (دعوة إلى الانفتاح والتفاهم بين الجانبين الإسلامي والغربي) الذي ألقاه في جامعة كسفورد والتي نشرتها مجلة العالم أكسفورد والذي نشرته مجلة العالم في عددها (٥٠٨) بتاريخ ٦/١١/١٩٩٣ م (وحتى هذه اللحظة الأخيرة فإن الوقت ليس متأخراً لأن يقوم الإسلام والغرب بتوحيد قواهما من أجل المصلحة الإنسانية المشتركة) و(وأكثر من ذلك فإن بإمكان الإسلام اليوم أن يعلمنا الطريقة التي نفهم ونعيش بها في عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما فقدته).

كانت هذه خلاصة توصياتي لأولادي وأبناء عشيرتي وقومي وأهلي وأمتي جزى الله جميعاً خير الجزاء ونصرهم بعونه وعزته إنه سميع مجيب.

الفصل الأول

ثمرات قلمية وأفكار نورانية

المقالات والبحوث والرسائل المقدمة من قبل
الدكتور محمد علي الشهرستاني

بسمه تعالى

أزمة الحضارة المعاصرة واطروحة الخلاص

بحث قدمه الدكتور محمد علي الشهرستاني إلى جامعة لندن سنة ١٩٩٤

تمهيد

في سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م أقامت الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية ندوة بالمشاركة مع جامعة لندن مركز دراسات الشرق الادنى والاوسط (SOAS) (والذي يعد من أهم المراكز البريطانية للدراسات الانسانية) تحت عنوان (الحضارة الانسانية بين التصور الديني والنظريات الوضعية) وذلك على أثر مقالة نشرتها مجلة السياسة الخارجية الصادرة في خريف ١٩٩١ تحت عنوان (دفاعاً عن الحضارة الغربية) كتبها وليم. س. لاند (مدير مركز الحركة الحضارية المحافظة) في مؤسسة التربية والابحاث الحرة في الكونكرس الامريكى في واشنطن والذي أشرت في كتابه (أمريكا تستطيع الانتصار) ذكر فيها:

(تغيير السياسة الداخلية للحركة الامريكية المحافظة من أساسها، تكمن في الحضارة وليس في السياسات الاقتصادية) ويستطرد في مقالته الى ان يقول:
(وتتردد صدى الادعاءات الشبيهة بها اليوم، كالهتاف لانتصار امريكا على العراق في الخليج على نحو ما جرى به في أسبانيا وقد تبرهن النجاحات هذه على كونها انتقالية، في وقت تستنزف فيه المشاكل المتعاطمة داخل البلاد كالموارد التي يحتاج اليها الجيش، وحالما ينتهي استعراض النصر سيواجه الجنود العائدون من الخليج التخفيضات الكبيرة في أعداد القوات العسكرية التي يفرضها العجز في الموازنة الفيدرالية الاتحادية.

ولو ان صدام حسين انتظر خمسة سنوات أخرى لغزو الكويت لاصبح من الصعب على الولايات المتحدة حشد العدد الكافي من القوات لإلحاق الهزيمة به أو في الاقل القيام بذلك بأقصر وقت ممكن وباقل ما يكون من الخسائر).

الى ان يقول (ويبدو أن الولايات المتحدة في طريقها الى الانحدار من دون احياء هذه القيم - العمل والتعليم والتفوق وعصر النفقات - وهو انحدار لا يمكن الا لسياسة خارجية ماهرة ان تحوله الى نهاية طيبة وغير مؤلمة) وثم يستطرد الى ان يقول:

الغرب في إنحداره:

في سياق هذا القرن تضاءلت السيطرة الغربية، الى درجة اصبح معها الغرب ثقافة وحيدة، تناضل بين ثقافات عديدة، فخرس الغرب في مدة تقل عن القرن السيطرة على العالم التي امتلكها في سياق منتصف الالف الثاني بعد الميلاد.

وخلال الحرب الباردة تحول خط المواجهة مع روسيا التي قادت الهجوم الضاري على الغرب - وبالرغم من المظهر الشيوعي الخادع - كانت روسيا ولا تزال جزء من العالم المسيحي، وبقيت اوربا المقسمة المسرح الاهم للأزمة.

لقد كان ثمن هذه الحروب مرعباً حيث مات عشرات الملايين واحترقت ثروات لا تحصى بالنار وذهبت هباء ودُمرت امم ومدن، وبعد اولى هذه الحروب لم يبقَ شبان يسيرون في شوارع باريس خسرت بريطانيا العظمى دورها العالمي لبعض الوقت وزالت المانيا عن الخارطة، أما روسيا التي نهضت اقتصاديا بأتزان سنة ١٩١٠ فقد عانت من الظروف الاصعب بعد ان ارسلت المانيا الامبراطورية اليها سلاحها الاكثر قدرة على التدمير (لينين) في قطار محكم السرية.

لكن المنتصرين يخرجون من بين الحطام اذ اصبحت قبضة الغرب الشديدة الممسكة بالعالم في خبر كان ذات يوم، وهذه نتيجة طبيعية لعواقب الحرب الالهية فالامة حضارتها تخرج حضارتها من هذه الحرب وهي منهكة على نحو

فضيع كما تكون عليه حال جيرانها. وتقوم افريقيا والهند وآسيا والعالم الاسلامي بجولات، فيما كان يسمى سابقا ميدان خيل الغرب، وهؤلاء اللاعبون الجدد ليسو مجرد مناطق او تجمعات امم انهم يمثلون حضارات، ويجب على امريكا الا تسمح لانتصارها السهل على العراق بأن يقنعها بأن التكنولوجيا الحديثة تُحيي من جديد الجبروت السابق للغرب، فالتكنولوجيا ستنتشر وتبقى الديموغرافيا (توزيع السكان على مساحة من الارض) القضاء والقدر في وقت تتقلص فيه حصة الغرب في عديد من سكان العالم.

وعلى العكس من ذلك يبدو ان الغرب سيواجه، ونحن ندخل القرن المقبل تهديدات من سائر الحضارات للمرة الاولى منذ الحصار التركي الذي فرض على فينا سنة ١٨٨٣م وقد تكون الدلالة على ذلك ظهرت. فالغزو العراقي للكويت الذي أدى الى القيام بأضخم عملية عسكرية امريكية منذ حرب فيتنام لم يكن مجرد تهديد لأسعار النفط.

بل كان هجوما على النظام الدولي الذي أقامه الغرب. فقد أعلن صدام حسين بوضوح ان دولة الكويت غير شرعية من وجهة نظره.... وكانت الكويت التي ابتدعها الغرب خطأً اعتبارياً رُسم في غير شرعية في الرمل. ويدل فشل العراق واعادة سيادة الكويت، على ان الغرب لا يزال قادراً على حماية النظام (الدولي) الذي ارساه. لكن هزيمة صدام حسين لا تعني في جميع الاحوال اندحاراً للقوى المعادية للغرب داخل الاسلام.

وثمة خطر كامن على الغرب في الاسلام قد يتطور اذا ما تحللت الامبراطورية السوفيتية وفي هذا الحال سوف يتعرض الغرب لخطر الاجتياح الاعظم الممتد من البحر الاسود حتى فلاد يسبورك بشكل خطير، وحالما تسعى الجمهوريات الاسلامية السوفيتية الى الانضمام الى اخواتها في العالم الاسلامي.

وإذا تورطت الجمهوريات الباقية في قتال داخلي على بلقنة الاتحاد السوفيتي

فأن الغرب سيجد المسلمين يدقون ابواب فينا مرة جديدة على شكل موجات من المهاجرين والارهابيين ان لم يكن بصورة الجيوش، وفي الواقع الهجرة الاسلامية الضخمة الى فرنسا قلبت الانتصار الذي حققه تشارلز لزماتل سنة ٧٣٢ في معركة تور. أن من شأن الانقسامات التي تُشتت أجزاء العالم الإسلامي متمثلة في، وقوف السنة في مواجهة الشيعة وأنصار التحديث في مواجهة الاصوليين، والاغنياء مقابل الفقراء واهل مصر مقابل سكان منطقة ما بين النهرين، وتخفف من قدرة التهديد الاسلامي الممكن ظهوره.

وبناءً على هذا ينشأ بشكل جديد خوض الحرب التي لا يعول فيها على أكثرية الاسلحة التقليدية والقوات العسكرية لعدم كفاية خصائصها في هذه الحالة، وعلى سبيل المثال ينفق الامريكيون مبلغ مليار دولار مقابل قاذفة واحدة من نوع ستيلث (الطائرة الخفية) بينما لا يمكن الافادة من هذه الطائرة بشيء في حالة شبيهة لتلك التي تم فيها تفجير سيارة شحن محملة بالمتفجرات في لبنان في قصر المارينز، وقُتل فيه ٢١٤ جندياً امريكياً. او في سيناريو مميت ومنتخلاً بصورة شاحنة محملة بدلاً من المتفجرات بسلاح جرثومي يستطيع نفث جراثيم الكوليرا مع البكتريا الدقيقة الموجودة طبيعياً في الجسم، وقد يكون مثل هذا الانتصار الامريكي في العراق قد حفر في تطويره اكثر من احتمال تأخير، وقد يطرح الاسلام او بعض عناصره الاصولية التحدي الاول.

وفي نهاية المطاف يتكلم عن برنامج المحافظين فيقول: -

وبهذا تصبح الخطوط العريضة لأزمة المستقبل بينة حتى ولو لم ترسم حدودها الدقيقة، فللمرة الاولى منذ قرون قد يواجه الغرب تهديدات خطيرة من الاخرين خاصة من الحضارات غير الغربية مع اقتراب القرن المقبل. فقد ولت سيطرة الغرب وهيمنته وذهبت هباءً منثوراً في حروبه الاهلية وقد يصبح الوجود الحقيقي للحضارة الغربية مهدداً بالزوال في

القرن الحادي والعشرين اذا ما استمر الانحطاط داخلياً مترافقاً مع تصاعد أعداء الحضارات الاخرى في الخارج.

وهكذا ينبغي على المحافظين ان يكون لهم هدف واضح وهو الدفاع عن الحضارة الغربية في الخارج كما في الداخل وكخطوة اولى تتطلب حماية حضارتهم من الهجمات التي تشن عليها بنهضة أهلية داخلية، وهذه النهضة تصبح امراً عاجلاً خاصة اذا نظرنا الى الهجرة الشرعية وغير الشرعية المستمرتين الى امريكا، وخلافاً لما هو معتاد لا تتطلب الحضارة الغربية ممن يُريد الانضمام تحت لوائها شروطاً عرقية ولم تُلزمه تقبل القيم اليهودية - المسيحية التقليدية ان يصبح (غريباً).

ويجب ان يكون الهدف الاستراتيجي لأمريكا في اقامة صلات مع اكبر عدد ممكن من مراكز القوة الراغبة في التعاون على اساس الدعم المتبادل اذ ان العزلة هي عدوها، ان الميل باتجاه حصول الازمة بين الحضارات لا يعني انه يتوجب على الغرب معارضة الاخرين طوال الوقت، مما يؤدي الى عزلته بنفسه، بل ان نجاحه وبقاءه يعتمد في الارجح على امكاناته في القيام بالعكس من ذلك تماماً.

وفي آخر المقال يأتي فيقول: - اقامة علاقات صداقة ومنفعة متبادلة مع اكبر عدد ممكن من الحضارات يُمكّنه من تلافي مواجهة المجموعات العدوانية وحيداً، وينبغي ان تسهل وظيفة الغرب الدفاعية، واقامة تحالفات مع الحضارات الاخرى. ومن المهم التأكيد على السياسة الخارجية الموجهة ثقافياً لا الدعوة الى احياء الامبريالية (النزعة الامبراطورية الغربية) بل دعوة لأن يحضر الغرب نفسه للدفاع عن نفسه بما هو عدم تهديده اياً كان.

كان هذا بعض المقتطفات من كلمة السيد وليم. س. ليند التي كتبها تحت عنوان (دفاعاً عن الحضارة الغربية) لمجلة السياسة الخارجية يخاطب بها اصحاب القرار في الولايات المتحدة ويضعهم امام حقائق دامغة ويقدم لهم النصائح قبل الانهيار والسقوط.

فوكو ياما ونهاية التاريخ

وفي سنة ١٩٨٨ - ١٩٨٩ جاء المفكر الامريكى (اليابانى الاصل) فرانسيس فوكو ياما بنظرية جديدة الى العالم وكتب كتابه المعروف (نهاية التاريخ والانسان الاخير).

يقول توما شمانى عضو اتحاد المؤرخين العرب - تورنتو كندا، في موقع من الانترنت ان (نهاية التاريخ والانسان الاخير) كتاب لفرانسيس فوكو ياما المفكر الامريكى نال محتواه اهتماما عالميا لم ينله كتاب آخر من قبل، في زمن تصادمت فيه الافكار والنظريات والحضارات، وفكرة نهاية التاريخ تذهب الى حتمية فناء الانسان بعد ان اخذ الانسان ينحو محاولة فناء الانسان نفسه بنفسه، من خلال تطوير اسلحة الدمار الشامل وجعل الميكروبات والفيروسات ادوات في الحروب البيولوجية لنشر الامراض الخبيثة، حتى تدخل الانسان بخبراته الواسعة وتقنياته الدقيقة في علم الوراثة وراح يبعث بالجينات (المورثات) مازجاً جينات فيران بجينات انسان في ابحاث لا يعرف تأثيرها على الخليقة. مدعيا انه صانع (سوبر انسان) (كما حلم ذات يوما (نيتشه) وقبلها بسبب تلاعبات المختبرات غير المنظمة) فأخرجت للعالم فايروس (HIV)) فخلق مرض الايدز الذي أجتاح افريقيا.

في عام ١٩٨٩م قرأ العالم في مجلة ((National Interest)) مقالة بدلت تاريخ النظريات السياسية الحديثة، عندما نشر فرانسيس فوكو ياما كتابه (نهاية التاريخ) قائلاً ان نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى الى الابد فما دون رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية. ومالبت ان شرح فوكو ياما نظريته المثيرة للجدل بعدئذ متمماً ذلك في كتاب صدر عنه سنة ١٩٩٢ وهو (نهاية التاريخ والانسان الاخير). وقد عارض فوكو ياما فكرة نهاية التاريخ في نظرية كارل ماركس الشهيرة (المادية التاريخية) والتي عدّ فيها ان نهاية تاريخ الاضطهاد سينتهي عندما تزول الفروق بين الطبقات والواقع ان فوكو ياما تأثر في بناء نظريته بأراء الفيلسوف الشهير (هيغل) واستاذ

الفيلسوف (الن بلوم) حيث ربط كلاهما بين نهاية تاريخ الاضطهاد الانساني واستقرار نظام السوق الحرة في الديموقراطية الغربية.

وكان الاتجاه السياسي لفرانسيس فوكو ياما الميل الى تيار المحافظين الجدد، و اشار في مشروع القرن الامريكى الجديد وهو مشروع ادارة الولايات المتحدة عام ١٩٩٧ وكان من الموقعين على عريضة مرفوعة تدعو الرئيس السابق (بيل كلنتون) الى الاطاحة (بصدام حسين) الذي كان مثيراً للأعصاب في سياسته الدولية الا ان (بيل كلنتون) لم يستجب لهذا النداء لأنه كان انذاك منغمساً في فضيحته مع (مونيكالونسكي)....

وقد وقع على خطاب مماثل وجهه الى الرئيس بوش في اعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر. فنفضها (جورج بوش) في عام ٢٠٠٣ لفضح صدام أمام التلفزيونات في تحدي اكبر قوة في العالم.

بيد ان طريقة التنفيذ لم تعجب فوكو ياما لهذا اصبح داعياً الى استقالة وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد). حيث طرأت تحولات على مواقف وقناعات فوكو ياما في نهاية ٢٠٠٣، حيث تراجع عن دعمه لغزو العراق، واعلن عن احتمال تصويته ضد الرئيس بوش في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٤، معتبراً ان الرئيس الامريكى قد ارتكب اخطاء رئيسة ثلاث هي:

اولاً: المبالغة في تصوير خطر التشدد الاسلامي على الولايات المتحدة.
ثانياً: اساءة تقدير ادارة بوش لردود الفعل السلبية وازدياد مشاعر العداة للولايات المتحدة.

ثالثاً: التفاؤل الزائد في امكانية احضار السلم الى العراق من خلال الترويج لقيم الثقافة الغربية في العراق والى الشرق الاوسط بصورة عامة.

وفي مقابلة جرت مع فوكو ياما اجراها موقع (واشنطن اوبزيرفر) تحدث فوكو ياما في ما يسمى بالخطر الاسلامي، فقال اننا الان نحيا مرحلة حرجة من تاريخ الانسان تنتشر فيها الافكار الليبرالية الديموقراطية بصورة كبيرة، وبالتالي تتعرض

للهجوم في اماكن كثيرة ومن تيارات مختلفة بضمنها الاسلام الراديكالي الذي يتمثل تهديده الحقيقي في جانبين:

الاول: امكانية وقوع اسلحة الدمار الشامل في يد جماعات صغيرة تستطيع من خلالها تحقيق دمار كبير للقوى الكبرى.

الثاني: وجود جاليات اسلامية ضخمة في اوربا وروسيا وامريكا مما يعطي هذه الجاليات القدرة على عدم التأقلم مع انماط الحياة الغربية الليبرالية.

وعند المقارنة بين الدول الاسلامية والمجتمع الغربي الليبرالي يجد المرء ان نسبة المواليد ضئيلة جداً في المجتمع الغربي بالاضافة الى كثرة المشاكل المصاب بها وهو مجتمع غير انساني في طريقه للفناء ويرى فوكو ياما ان العالم الاسلامي ينتج اعداداً كبيرة من الاطفال ما دون اية زيادة في الناتج القومي العام فمجموع الناتج القومي للدول العربية مجتمعة لا يصل الى ما تنتجه دولة واحدة مثل اسبانيا، فضلاً الى عدم تمتعهم بحياة سياسية حرة بل على العكس ترضخ كلها تحت نظم حكم استبدادي قمعي، وان معيار بقاء المجتمعات وتطورها ليس في عدد المواليد وانما ديناميكية الحياة نفسها، ومستوى التطور التكنولوجي وارتفاع مستوى الانتاجية.

و النظريتان (نظرية وليم. س. ليند) و(نظرية فرانسيس فوكو ياما) ترتكزان على ان الهيمنة الغربية على العالم قد انتهت والآن يشكل الاسلام ومبادئه وقيمه الخطر الاول للثقافة الغربية. ولذا يجب محاربته ومنعه من التقدم والرقي والتطور اذا اراد الغرب ان يحافظ على وجوده.

رأي الامير تشارلز حول الاسلام

ولكن من جانب آخر يأتي الامير تشارلز ولي العهد البريطاني فيلقي محاضرة حول الاسلام بدعوة من مركز اوكسفورد للدراسات الاسلامية (نشرتها مجلة العالم في عددها رقم ٥٠٨ بتاريخ ٦/١١/١٩٩٣) تحت عنوان (دعوة الى

الانفتاح والتفاهم بين الجانبين الاسلامي والغربي) قال فيها (وحتى هذه اللحظة الاخيرة فإن الوقت ليس متأخراً لأن يقوم الاسلام والغرب بتوحيد قواهما من أجل الصالح الانساني المشترك) ويضيف فيقول:

(وأكثر من ذلك فإن بإمكان الاسلام اليوم ان يعلمنا الطريقة التي نفهم ونعيش بها في عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما فقدته).

وهذا التناقض في الرأي والتصوير بين السيد وليم. س. ليند، وفرانسيس فوكو ياما، والأمير تشارلز جعل اصحاب الرأي والفكر واصحاب القرار والحل والعقد يقفون موقفاً محيراً بين التعاون الغربي مع الاسلام او مواجهته والتصدي له.

وهنا يجب الاشارة الى نقطة جوهرية واسباسية، هل ان التعاون مع الفكر والمبادئ والقيم الاسلامية ام مع الممارسات الاسلامية والحكومات الاسلامية، فلا شك من اننا في البحث العلمي والاكاديمي نتطرق الى المبادئ العلمية والاكاديمية وليس لنا مع الممارسات والنظم الحكومية اي شأن او أي حديث.

لذا كان المنطلق الذي انطلقت منه الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في لندن هو محاولة اقامة ندوة مشتركة بين هذه الجامعة وجامعة لندن (مركز دراسات الشرق الادنى والاطلس SOAS)، نقلت وقائعها وابحاثها في كتاب تحت عنوان (الحضارة الانسانية بين التطور الديني والنظريات الوضعية) والذي اصدره قسم الدراسات والبحوث العلمية وكانت مقدمة الكتاب ما يلي:

مقدمة كتاب الحضارة الانسانية بين التصور الديني والنظريات الوضعية

منذ أن انتقل الانسان من الطور البدائي الى طور التحضر، وهو يساهم بشكل فردي أو جماعي في بناء الحضارة وإقامة أسسها. ولم يكن يعتره القلق قديماً على مصير الحضارة أو مستقبلها إلا أثناء التحولات التاريخية الكبرى، كانهيار الأمبراطوريات، أو قيام الحروب الدامية، أو انتشار الكوارث الطبيعية القاسية، وما شابه.

ولكن إنسان العصر الحديث صار يعي هذه المشكلة بشكل أكثر حدة وخطورة. فإذا كانت المخاطر التي تهدد الحضارة قديماً تلمس جانباً معيناً منها، أو تقع على شعب معين وتبقي الشعوب الأخرى في سلام، فإن المخاطر التي تهدد الحضارة الحديثة والمعاصرة باتت تتسم بالشمول والعموم وتلمس النوع الانساني بأكمله، بل تدمر البيئة الطبيعية لا في كوكبنا هذا وحسب، وإنما تجعل الفضاء الفسيح مسرحاً للدمار الشامل، كما هو الحال في مشروع حرب النجوم مثلاً.

ولم تكن تلك المخاطر مجرد مشاريع كامنة في رؤوس أصحابها، أو حتى أسلحة مكدسة في مخازنها، بل انتقل كل ذلك الى حيز التحقيق الفعلي في الواقع، فدمر ما شاء أن يدمر وقتل ما شاء أن يقتل!

وقد ترك هذا آثاراً عميقة في المجتمعات المعاصرة - وبخاصة الغربية منها - بدت في مظاهر الرفض والتمرد والقلق والنزعة العدمية التي وجدت في (الوجودية) التعبير الأمثل لها، وقل مثل ذلك بالنسبة لنزعات العبث واللامعقول التي طبعت أغلب تيارات الأدب في القرن العشرين.

غير أن تلك الأصداء بقيت تعبيراً سلبياً عن أزمة الحضارة المعاصرة، وهناك مظاهر أيجابية تجلت في الدراسات والنظريات التي جعلت المشكلة الحضارية محوراً لأهتمامها، كما هو الحال عند (شبنغلر) و(توينبي) و(مالك بن نبي) على سبيل المثال. فقد استشعر هؤلاء أزمة الحضارة المعاصرة، وتوصلوا إلى نتائج تتراوح بين تقديم الحلول لإنقاذها أو اليأس من الحل، لأن لكل حضارة دورة لا بد أن تكملها، فعند اكتمالها حق عليها الموت، وهو ما تسير إليه الحضارة الغربية، حسب ما ذهب إليه (شبنغلر)!

وتطرح التطورات السياسية الخطيرة التي حصلت في العالم عقب انهيار الكتلة الشيوعية تساؤلات عديدة حول مستقبل الحضارة ومصيرها. فمن المعلوم أن النظم الدولي الذي ساد في أعقاب الحرب الكونية الثانية، والذي قام على أساس التوازن بين كتلتين سياسيتين كبيرتين قد انتهى ليفسح المجال لنظام عالمي تهيمن فيه دولة واحدة هي أمريكا.

وليس هذا الاختلال في موازين القوى سياسياً محضاً ولكنه يحمل مغزى حضارياً أيضاً. فإن الدولة التي انفردت بصناعة القرار السياسي في عالم اليوم تحاول أن تفرض قيمها الحضارية وسلوكياتها الاجتماعية ونظمها السياسية والاقتصادية على بقية الشعوب والأمم التي تمتلك طاقات حضارية ذاتية وموضوعية تؤهلها لأن تكون في موضع الريادة أو المساهمة في حل المشكلات التي تعصف بالمجتمعات المعاصرة في الأقل.

ولاشك أن محاولات الهيمنة تفتح الباب واسعاً أمام الصراع المدمر، بدلاً من الحوار الباني والمعمار. خاصة وأن من بيدهم مقاليد الأمور في عالم اليوم لا يبدو أنهم قد استفادوا من دروس الأمس القريب أو البعيد. فهاهم يشعلون الحروب الصغيرة هنا وهناك، ويشعلون نار الصراعات السياسية والعرقية والدينية بين الشعوب، كبديل عن الحروب الكبيرة التي يمكن أن تقضي على كل شيء ولا يستفيد منها أحد.

ولذا صار لزاماً على كل عالم أو مفكر أو صاحب رأي مهما كان اختصاصه أو مجال عمله أن يساهم في رسم خط سير جديد للحضارة البشرية يصونها من التدهور والسقوط أو الانحراف، ويحقق رسالتها في أن تكون نعمة للإنسان لا نقمة عليه.

ولأن الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية قد نذرت نفسها منذ تأسيسها لإيصال رسالة الإسلام الحقيقية الى العالم بشكل علمي وأكاديمي يظهر ما يزرخ به الأسلام وتراثه من طاقات، وما يقدمه من حلول لمشكلات الإنسان المعاصر مما يعزز فرص الحوار الحضاري الهادف والبناء، فإنها أولت موضوع الحضارة ومشكلاتها اهتماماً كبيراً. وقد ترجم ذلك الاهتمام إلى واقع عملي من خلال البرنامج الذي تبناه قسم الدراسات والبحوث العلمية في الجامعة، والذي جعل من أهدافه ربط الإنسان المسلم بواقع العصر وتطوراته فكانت معالجتنا لهذا الموضوع من خلال طريقتين: الأولى: هو الندوة التي أقامها قسم الدراسات والبحوث العلمية في الجامعة بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط في لندن (SOAS)، والتي ساهم فيها عدد من الباحثين المتخصصين الذين قدموا أبحاثاً يعالج كل منها جانباً معيناً من جوانب الأزمة الحضارية الراهنة. أما الثاني: فهو الدراسة البحثية الموسعة التي قام بها القسم بالمشاركة مع مجموعة من الباحثين المتعاونين معه والتي شملت جوانب ومحاور لم يسمح وقت الندوة المحدد بمعالجتها.

وقد ضممنا أعمال الندوة وابحاثها إلى الدراسات المكتوبة لتصدر في كتاب واحد نقدمه للباحثين والمفكرين وكافة القراء، باكورة لأعمالنا المنشورة، أملين أن يكون إسهاماً في حل مشكلة تهمة العرب والمسلمين والإنسانية جمعاء.

وكان بحث الدكتور المهندس السيد محمد علي الشهرستاني تحت عنوان (أزمة الحضارة المعاصرة واطروحة الخلاص) والذي قدم فيه اطروحة لخلاص البشرية من أزمتها المعاصرة التي قدمها بأسلوب علمي أكاديمي تقني مشفوعاً

بالخطوط البيانية مستعرضاً فيها المراحل المختلفة من الفكر البشري من بدايته الى يومنا الحاضر بصورة متسلسلة من مقومات الحضارة الحديثة واسباب ازدهارها ثم دراسة تحليلية لأسباب فشل الحضارة الغربية متوجاً البحث بأطروحة الخلاص وكيفية تطبيق هذه الاطروحة لخلاص البشرية من أزماتها الراهنة، نقدمه فيما يلي:

الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية
قسم الدراسات والبحوث



أزمة الحضارة المعاصرة واطروحة الخلاص

مبدأ الحركة

هذا البحث يشتمل على الاصول الاساسية التي يجب اتباعها في البحث العلمي الاكاديمي من نقطة البداية والضالة المنشودة للإنسان وعرض مجمل للأسباب التي دعت الى ظهور الفلسفات الكبرى والفواصل النوعية. وكذلك يشتمل على مقومات الحضارة الحديثة وأسباب أزدهارها. ودراسة تحليلية لأسباب فشل الحضارة الغربية المعاصرة وعوامل سقوطها. أما القسم الاخير فيشتمل على تقديم أطروحة لإنقاذ الحضارة البشرية من السقوط وثم اعطاء نماذج تطبيقية لكيفية تنفيذ هذه الأطروحة على الساحة العملية في الحياة.

من مقتضيات البحث العلمي لمعرفة الواقع والحقيقة، المباشرة في تحليل القضايا ونقدها من نقطة الوفاق التي يتقبلها أطراف النزاع، وثم الانتقال منها الى أوجه الخلاف، ليكون للطرفين وحدة قياسية ثابتة بها يقاس الدليل، ومنها يعرف السليم من السقيم.

إن الضالة المنشودة التي يقربها الجميع في الوجود الإنساني، كما يعرفها علماء النفس هي (مبدأ البحث عن اللذة والاجتناب عن الألم، فالكائنات الأدمية جميعاً تصدر عن المبدأ المذكور في نشاطها بأكمله)(١)، من هنا ينطلق الإنسان في البحث عن الأسباب الموجبة والعلل المؤثرة في تأمين هذه الضالة والوصول الى الهدف الغائي فيجد نفسه أمام قوانين وضعية وآراء فلسفية ونظريات علمية وضعها بعض الافراد من البشر. وإلى جانب آخر يجد نفسه أمام شريعة السماء المنزلة على الأنبياء والرسل فيتتابه صراع نفسي وعقلي وهو لا يدري لأي الفريقين ينتمي

ولمن يتبع، لرسول يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة أم لحكيم يدعو إلى الرأي والمعرفة.

وكان هذا الصراع منشأ للحروب والغزوات وسفك الدماء وهتك الأعراض من يوم أن عرف الإنسان نفسه وإلى حاضرنا المعاصر وهكذا أزهرت حضارات ونمت وتقدمت، وأفل نجم حضارة أخرى كانت سائدة متقدمة مزدهرة. وقد نشاهد أن التاريخ البشري بين هذا الصعود والنزول متمثلاً في خط بياني ذي قيم متفاوتة في الأزدهار والإنحطاط وفي الأدوار المتتالية لحياة الإنسان وفي مناطق مختلفة على سطح الكرة الأرضية التي نعيش عليها.

وكان السبب في ظهور المدارس الفلسفية الكبرى وظهور الأنبياء والرسول هو التدهور الاجتماعي أو الاقتصادي أو الخلفي في المجتمعات البشرية، فلو ابتدأنا من اليونان قبل سقراط نراها دويلات ممزقة وكل مدينة تمثل دولة وأشهرها دولتنا أثينا وأسبارطة وقد قام بينهما عدااء مستحكم وحروب دامية تركت أثراً عميقاً على مفكري الإغريق. والديمقراطية التي سادت أثينا لم تدم طويلاً إذ سرعان ما بدأت بالانهيار لأن هذه الديمقراطية عانت من نقصين أساسيين:

أولاً: إنها كانت ديمقراطية للأقلية، أو للسادة اليونان فقط، بينما ثلاثة أرباع الشعب هم من أبناء الشعوب الأخرى الذين يدعونهم عبيداً، وهؤلاء ليس لهم حق المواطنة وبالتالي المشاركة في العمل السياسي، ولذا كانت الديمقراطية عند اليونان والرومان هي للأقلية، وبعض الأفراد هم الأحرار (٢).

ثانياً: إن هذه الديمقراطية تحولت مع الأيام إلى لون من الفوضى السياسية التي تنذر ببروز الطغيان فضلاً عن إلى الشك الفكري الذي قاده السفسطائيون ضد قدرة العقل والأديان والأخلاق والقوانين والأعراف.

وحيثما جاء سقراط فوجئ بمجتمع يوشك على الانهيار فهناك ديمقراطية

أستغلها محترفو السياسة وهناك حياة فكرية أستغلها السفستائيون ليتلاعبوا بالألفاظ ويموهوا الحقائق ويجمعوا المتناقضات، متبعين في ذلك أسلوب المغالطة الذي قد ينطلي على الكثيرين بسبب القدرة البلاغية وأطلقوا شعارهم (الإنسان مقياس كل شيء) بمعنى أنه لا توجد حقائق بذاتها، بل الحقيقة هي ما تبدو لكل أنسان على حدة!! في هذه الأجواء نشأ سقراط ويبدو أنه حدد أهدافه بدقة ويمكن إجمالها فيما يلي:

١. إعادة العقل الى صوابه بإثبات قدرته الوصول الى الحقيقة.
 ٢. إرساء دعائم ثابتة للأخلاق ولذا كانت رسالته أخلاقية في المقام الأول أما أفلاطون وهو تلميذ سقراط الذي واصل رسالة أستاذه في نقد الشك السفستائي ولكنه توسع في ذلك بحل مشكلة السلطة والحكم في الجمهورية (جمهورية).
- وأما أرسطو وهو تلميذ أفلاطون فقد تأثر بأستاذه ولكنه كان أكثر واقعية منه وتمكن من وضع ميزان للتعرف على واقع الامور سماه المنطق. وكان أرسطو قمة الخط البياني الذي وصلت اليه الحضارة اليونانية ويكاد يشكل محصلة نهائية لعلومها وفلسفاتها.
- وحينما وصل الخط البياني للحضارة الى الحضيض في الجزيرة العربية، وكانت البداوة تسيطر على حياة الناس من غارات وغزوات وتخبط في دياجير الجهل والظلم. (وكانوا على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان يشربون الطرق ويقتاتون القد والمورق) كما تصفهم فاطمة الزهراء عليها السلام (٣) بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليكون رحمة للعالمين فجاء بشريعة السماء داعياً للناس من منطلق الحياة الذي يعيشونه والذي كان يتمثل في التفاخر بالألفاظ والشعر والبيان. فكانت معجزة صاحب الرسالة القرآن الكريم الذي تحداهم ولو بالإتيان بسورة واحدة (٤). وقد ركز القرآن في إنقاذ الناس، على الإيمان والتسليم

والتصديق في نطاق الفطرة الإنسانية عن طريق الترغيب والترهيب وهذا ما كانت تقتضيه ثقافة المجتمع في غياب دور الاستدلال العقلي عن الساحة، وهكذا ابتدأ الخط البياني للحضارة العربية المتشكلة بظهور الإسلام يسلك الاتجاه الصعودي وقد وصل الذروة عندما سيطر على جزء كبير من العالم.

ولكن ممارسات الحكام والأمراء لسلوك يتعارض ويتنافى مع جوهر العقيدة الإسلامية في الظاهر والباطن ونمو دور الاستدلال العقلي في تسرب الفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة وظهور بعض الزنادقة والدهريين بصورة علنية على المجامع العلمية وإثارة التشكيك وطرح الشبهات كلها كانت عوامل لظهور المدرسة العقلية الى جانب المدرسة التعبدية، وكان رائد المدرسة التعبدية العقلية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن طريق تلامذته أمثال هشام بن الحكم وجابر بن حيان. وهنا تجلت الأصالة والتعمق في العقيدة الحضارية الإسلامية، فهي إن ابتدأت بطرح الأسس الحضارية لإنقاذ الإنسان عن طريق التعبد والتصديق والتسليم فإنما كان لأقتضاء ثقافة المجتمع في ذلك الدور. وحينما ظهرت المدرسة الفلسفية أثبت الإسلام أنه يدعو الى التعقل في الامور كما يدعو الى التعبد والتصديق بالأحكام. ولذا نرى أن الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد إلى ملا صدرا وغيرهم يتفوقون على الفلاسفة اليونان بخطى واسعة. والأكثر غرابة في ذلك ظهور دور العرفاء الذين عبر عن رأيهم الإمام الغزالي بقوله (إن أهل التصوف مالوا الى العلوم الإلهامية) (٥). وذلك بعد أعتراف عمالقة الفلسفة بعدم تمكنهم من الوصول الى حقائق الأشياء كما يقول به ابن سينا في تعليقاته (إن الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص والإعراف واللوازم ولا نعرف الفصول المقومة لكل واحد منها، بل نعرف أنها أشياء لها خواص وأعراض) (٦) وهذا يعني الرجوع ثانية الى الإيمان والتسليم والتصديق برسالة السماء. وهكذا يكون هذا التحول والدوران

في الوقت الذي تصل فيه الحضارة الإسلامية الى القمة.

ولنعود ثانية الى المجتمع الأوربي في عصره الوسيط الذي ينعتة المؤرخون الأوربيون بأنه عصر الظلمات، بعكس عصرنا الوسيط الإسلامي. فعلى الصعيد السياسي كان البابا يملك السلطتين الروحية والزمنية، وقد وقعت هذه السلطة في أخطاء كثيرة من قبيل مطاردة العلماء وحرقتهم بحجة (الهرطقة) حتى كاد (غاليلو) (٧) العالم الفيزيائي الشهير أن يلقى المصير نفسه لولا تراجع مكرهاً عن القول بدوران الأرض!! فقاد مارتن لوثر (٨) حركة الإصلاح وتمكن من زعزعة سلطة الكنيسة وإعطاء الفلاسفة والمفكرين نوعاً من الحرية والجرأة في انتقاد الأخطاء التي وقعت فيها الكنيسة. بعد أن استعاد الملوك في أوروبا سلطانهم بشكل كامل من الكنيسة، أصبحوا يحكمون حكماً استبدادياً مطلقاً وكان لهذا مساوئ كثيرة وانعكاسات خطيرة على المجتمع وكان خير معبر عن هذه الحالة هو توماس هوبز (٩) حينما كتب (اللويثان) أو (التنين) مشبهاً الحكم والدولة بذلك الوحش الذي يتلعب في داخله الأفراد من الناس. وفي هذه الأجواء ظهر جون لوك (١٠) ليبين الأساس الاجتماعي للسلطة، رافضاً بذلك نظريات الحق الألهي والحكم المطلق. أما الثورة العلمية التي قادها كوبر نيكوس (١١) بنظريته (دوران الأرض والكواكب حول الشمس والتي هي أساس علم الفلك الحديث تعدّ في تاريخ العلم ثورة بمقاييس عديدة منها استقلال البحث العلمي وأستقلال نطاق الطبيعة عن نطاق العقيدة الدينية) (١٢) وتبع كوبر نيكوس بيكون وغاليلو ورهط كبير من العلماء التجريبيين والفلاسفة المحدثين في العلوم الفيزيائية والفلكية والطبيعية إلى يومنا الحاضر.

على وجه الإجمال لاحظنا مما تقدم كيف تحرك الخط البياني للحضارة البشرية بين ظهور وأفول وكيف ظهرت الفلسفات الكبرى والعقائد المتباينة وانتقل الناس من حضارة موجودة وثقافة سائدة الى حضارة جديدة وثقافة رائدة في إمكانها جذب الناس إليها والتغلب على ما كان سائداً في المجتمع.

مقومات الحضارة الحديثة واسباب ازدهارها

يقول أحد الفلاسفة المعاصرين (١٣) «ليست الحضارة في حقيقتها الظاهرة والباطنة سوى بناء عالم إنساني فوق العالم الطبيعي» ومعنى هذا إن مقومات الحضارة هي علوم إنسانية مع إرادة بشرية وعلوم طبيعية مع معرفة العلل والأسباب. وهذا ما كان بالفعل للحضارة الحديثة. فإن الفلاسفة والعلماء الذين ظهوروا وقدموا العطاء للبشرية فيما بعد عصر النهضة ينقسمون من حيث طبيعة التفكير إلى فلاسفة عقلانيين ينظرون إلى الحياة الإنسانية بمنظار العلاقات الاجتماعية والسياسية، وذلك أمثال توماس مور (١٤) الذي يعد واحداً من مؤسسي الاشتراكية الخيالية ومن الفلاسفة العقلانيين الإنسانيين ومارتن لوثر الزعيم البارز لحركة الإصلاح ومؤسس المذهب البروتستنتي (١٥). وبركلي الفيلسوف الإنجليزي المثالي الذاتي الذي يقر بوجود تكثر للجواهر الروحية وكذلك وجود عقل كوني هو الله (١٦). وجان جاك روسو صاحب نظرية العقد الاجتماعي (١٧). وهيغل الفيلسوف الكلاسيكي المثالي الموضوعي ومؤسس الفلسفة الرسمية لبروسيا الملكية (١٨). وكارل ماركس مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي (١٩). وراسل الفيلسوف الذي ساهم مساهمة كبيرة في تطوير المنطق الرياضي الحديث وساهم في حركة نزع السلاح العام (٢٠). وأخيراً سارتر الفيلسوف الفرنسي صاحب نظرية الوجودية الملحدة (٢١).

وإلى جانب هؤلاء الفلاسفة النظريين علماء تجريبيون طبيعويون وفيزيائيون ورياضيون مالوا إلى المختبر والتجارب الحسية العملية وهم ينقسمون أيضاً إلى

قسمين منهم من توصل إلى نتائج عملية من التجارب المختبرية و ثم على ضوء تراكم النتائج وضعوا قوانين يمكن العمل بها في الحياة العملية التطبيقية مثل جيمس واط الذي اكتشف ضغط البخار فأدى إلى اختراع المحركات البخارية. وجوزيف بريستلي الذي اكتشف غاز الأوكسجين عام ١٧٧٤ م (٢٢). وروتنجن ١٨٤٣ - ١٩٢٣ الذي اكتشف الأشعة السينية ونال جائزة نوبل للفيزياء (١٩٠١) (٢٣) وغيرهم من العلماء اللامعين ممن يعدون ضمن العلماء الواضعين للعلم القياسي والقسم الآخر علماء تجريبيون ولهم نزعة فلسفية والذين يتمثلون بـ (بيكون) الذي يعد المؤسس لمنهج البحث العلمي الاستقرائي والذي يقول أن مهمة العلم دعم سيادة الإنسان على الطبيعة والذي يعد أحد المعالم الأساسية في بناء العلم الحديث (٢٤). وغاليلو العالم الفلكي والرياضي الموهوب وأحد أعلام الحركة الإنسانية التي حولت الفلسفة الطبيعية إلى العلم الحديث. وديكارت الفيلسوف والعالم الرياضي والفيزيائي مؤسس الهندسة التحليلية وصاحب الحركة الدورانية للجزيئات والذي قطع بأن العلة المشتركة للحركة هي الله ولقد خلق الله المادة مع الحركة والسكون (٢٥). ونيوتن العالم الفيزيائي الذي يعد من أعظم علماء القرن الثامن عشر في الفيزياء والرياضيات واضع قانون الجاذبية العام وقوانين الحركة ومؤسس الحركة الميكانيكا الكلاسيكية (٢٦). وداروين العالم الطبيعي صاحب نظرية التطور التاريخي للعالم العضوي (٢٧). وباستور مؤسس علم الميكروبات العلمي (٢٨). وماكسويل العالم الفيزيائي الذي أشتهر ببحوثه في المغناطيسية والكهرباء ووضع نظرية المجال الكهرومغناطيسي رياضياً (٢٩). وماكس بلانك العالم الطبيعي الذي صاغ النظرية الحرارية الدينامية للإشعاع الحراري (٣٠). واينشتين العالم الفيزيائي صاحب النظرية النسبية والذي حصل على جائزة نوبل لبحثه عن نظرية الحكم «الكونتا» عام ١٩٢٢ (٣١). وهاينزبرغ عالم فيزيائي مؤسس ميكانيكا الكم والذي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٣٢ (٣٢). وتوماس كون المعاصر عالم فيزياء وصاحب النظرية العلمية عن حركة العلم في التاريخ.

هؤلاء العلماء التجريبيون المحدثون يعدون من واضعي النماذج الإرشادية كما يعبر عنها توماس كون في كتابه «بنية الثورات العلمية». ويريد بذلك أن هؤلاء العلماء وضعوا قوانين أساسية كنماذج لإرشاد الباحثين في متابعتهم العلمية وللمنفذين لتجاربههم العملية والتطبيقية (٣٣).

كانت هذه نبذة عن الخطوط الفكرية للفلاسفة والعلماء المحدثين وخلاصة القول أنهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علماء يمثلون الخط الفكري المبني على أساس النظرية الفلسفية مادية كانت أم معنوية وآراؤهم من وحي العقل والبحث الفكري.

القسم الثاني: علماء يركز تفكيرهم على النتائج المخبرية التي توصلوا إليها عن طريق الأكتشاف فسخروا نتائج هذه الاكتشافات لمعالم الحضارة المادية الحديثة.

القسم الثالث: علماء كانت لهم نزعة فلسفية تمكنوا من خلط التجارب العلمية المخبرية بالدراسة العقلية الفلسفية لاستنتاج قوانين طبيعية أساسية يستفاد منها في معالم الحضارة المادية الحديثة.

أما مقومات وأسس هذه الخطوط الفكرية التي أدت إلى بناء الحضارة الحديثة فهي ما نريد بحثها. فلو ابتدأنا من الخط الأول وهو الخط الفكري المبني على الأسس النظرية نلاحظ أنه عبارة عن آراء ونظريات حاول أصحابها استخلاصها من واقع البيئة والمحيط الذي عاشوا فيه فهي إما استقرائية حصلوا عليها من الدراسات الموقعية ووضع الجداول وإجراء الإحصاءات والمعلومات في جداولها المعينة، وبعد ذلك أخذوا النتيجة منها (كما يعمل اليوم بأجهزة الكمبيوتر).

وأما أنها تحاليل فكرية نظرية قوموها بأدمغتهم ومخيلاتهم واستخلصوا النتائج منها. وفي كلتا الحالتين فإن النتائج لا تتمكن أن توصلنا إلى مرحلة القطع بالعلل والأسباب. وبالنتيجة القطع بالحلول والأنظمة والقوانين الموضوعة التي قدموها

لل بشرية. ففي الحالة الأولى وهي حالة الاستقراء والجدولة، تكون النتائج خاطئة لأنهم لم يتمكنوا بالجهود الإنسانية من الوصول الى معرفة العلة التامة عن طريق الاستقراء الناقص، اللهم إلا النتائج النسبية التي يحتمل فيها الخطأ والصواب وهذا ما يتعارض مع القطع واليقين.

أما الحالة الثانية وهي حالة التحليل الفكري والنظري للحالات النفسية والسلوكية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع ما، وإعطاء حلول للمشاكل الراهنة وصياغة أنظمة لإسعاد الناس فهي أيضاً لا توصلنا إلى مرحلة القطع بسلامة هذه الآراء والنظريات. بل هي أضعف بكثير من الحالة الأولى لأنها تحتوي على خللين. الخلل الاول هو تأثير الباحث والفيلسوف وصاحب النظرية بوضعه الخاص وبيئته المعينة ومعلوماته المحدودة وبالفعل هذا هو الذي نراه في صميم الواقع. فمن كان في أضطهاد اجتماعي وسياسي ثار على النظام ومن كان في كبت جنسي وتحت ضغط أخلاقي دعا إلى الوجودية. ومن عانى من الكنيسة والدين أعلن المذهب البروتستانتي أو تخلى عن الدين نهائياً وأعلن العلمانية. هذا بالإضافة الى تأثير هؤلاء المشاهير بنطاقهم المحدود في بلدانهم وبيئاتهم إلى حد كبير. فإذا كان هذا الإنسان متأثراً بالعوامل الخارجية المحيطة به ولا يمكنه التجرد منها فكيف يتمكن أن يكون صاحب رأي نافذ ومقبول.

وأما الخلل الثاني فهو ما قاله ابن سينا «أن الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر». وهذا قول يشارك فيه جميع عقلاء البشرية، فالإنسان الذي لا يتمكن من الوقوف على حقائق الأشياء ولا يقدر على معرفة السقيم من السليم كيف يتمكن من إعطاء النصح والإرشاد للاخرين فهو فاقد للشيء فكيف يعطيه؟! أما الخط الفكري الثاني اي خط مشاهير العلماء والمكتشفين الذين توصلوا عن طريق المختبر والتجربة الى نتائج فيزيائية أو كيميائية أو طبيعية وقدموا اختراعات واكتشافات، لها دور مهم في الحضارة البشرية، فهؤلاء يسمون بعلماء تجريبيين

ويقدرهم المجتمع لأعمالهم المضنية والمتواصلة في مختبراتهم وتجاربهم لا لوزنهم وشأنهم الفكري والفلسفي. فهم كما يعبر عنهم توماس كون «أن العمليات والقياسات التي يلتزم بها الباحث العلمي داخل معمله ليست معطيات الخبرة بل الأصح أنها حصاد المعاناة وأنها ليست هي ما يراه رجل العلم في الأقل» (٣٤).

فهذا النوع من العمل لا يؤدي الى معرفة العلل والأسباب إنما يؤدي إلى علوم تراكمية يتوصل إليها من توصل ويحاول الإضافة إليها من يضيف من تجاربه العملية، وهذه هي الطريقة المتبعة في معظم الدراسات الفنية الحديثة وبالذات في مرحلة الدكتوراه. فهي لم تكن دراسة فلسفية بالرغم أنهم يسمونها (PHD).

والخط الفكري الثالث وهو أكثر أهمية من غيره في مفهوم الحضارة لأنه يشتمل على معرفة العلوم الطبيعية مع المحاولة لمعرفة العلل والأسباب. ويدور الحديث حول إمكانية معرفة العلل التامة لما في الطبيعة والكون عن طريق المنهج الذي رسمه رائد هذه النهضة الحديثة العالم والفيلسوف الانجليزي فرنسيس بايكون والذي سماه منهج البحث العلمي الاستقرائي.

إن الاستقراء التام يؤدي الى النتيجة إذا عرفنا عن طريقه العلل التامة للأشياء وبمعرفة العلة نتمكن من التصرف في المعلولات بوضع النماذج الإرشادية أو القوانين الفنية والطبيعية للاستفادة من الأشياء أو لتنظيم السلوك الآدمي في الاخلاق.

ولكن معرفة العلة التامة تحتاج الى معرفة ماهية الأشياء وخواصها وتحتاج الى معرفة حدود الأشياء وابعادها وتحتاج الى معرفة العوامل المحيطة والمؤثرة والمرتبطة بكل الأشياء.

والحصول على هذه المعارف محال عقلاً بقدرة الانسان. وهذا أمر متفق عليه ومن الممكن إثبات ذلك ببحث واسع كبير كما بينه الشهيد الصدر في كتابه الأسس المنطقية للاستقراء.

والخلاصة إن النتائج المأخوذة عن طريق منهج البحث العلمي الاستقرائي الباكوني يحتمل الصحة والبطلان إلا إذا كان مطابقاً لشرعية السماء لأن الموجود الوحيد الذي يتمكن أن يعرف ماهية الأشياء وخواصها وحدودها وأبعادها والعوامل المحيطة بها والمؤثرة عليها هو الله المقتن لشرعية السماء.

وهذه هي المشكلة الأساسية التي أدت إلى فشل الفلسفات والعلوم الحديثة والنظم الوضعية من الناحية العلمية والعقلية ولكن رب قائل يقول إن الأزدهار في الحضارة الغربية حصل بالفعل فكيف يمكن توجيه هذا النجاح مع النقض العلمي الذي تم بيانه؟!

نقول لا شك في هذا الأزدهار ولكن هل كان الأزدهار هذا جذرياً أصيلاً أم وقتياً عقيماً. فالمريض تارة يتمثل للشفاء بعلاج قطعي وتارة يظهر له الشفاء ولكن بحكم مخدر يقضي على الألم ويسكن الروع ويمنح الراحة للمريض. فالناس يشنون على هذا الطبيب الحاذق. فإذا فقد المخدر أثره وترك مفعولاً جانبياً أكثر خطورة يثبت بأن العلاج كان مضرراً وغير نافع. وهذا هو التفسير العلمي لكيفية الجمع بين الأزدهار وفشل القوانين والأنظمة الوضعية. فإن كانت في التقنيات صادقة فهي في المثل والأخلاق أصدق.

عوامل ازدهار الحضارة المعاصرة

أما العوامل التي أدت الى ازدهار الحضارة المعاصرة فهي عبارة عن عوامل ثلاثة:

العامل الاول: الظروف المحيطة بعصر النهضة فقد أتت الحركة الحضارية الفكرية والتقنية على أطلال حضارة وصل خطها البياني إلى الحضيض وعلى أشلاء نظام ظلم وقهر وفتك واستبداد فكل قول جديد يطرح واي تحول يحدث ينظر إليه بمنظار الإيجاب وعين الرضا.

العامل الثاني: هو ما أسبغته الحضارة والمدينة الحديثة من إختراعات وإكتشافات كانت معظمها إن لم تكن جميعها ذات صبغة عاطفية حسية على الناس فأصبح الفرد يقطع طريق الشهور بأيام أو بساعات وبريده الذي كان يستلمه بشهور يحصل عليه بلحظات. وهكذا شأن مسكنه ومشربه وعلاجه وزينته و..... و..... و. والانسان عاطفي قبل أن يكون عقلاً نياً ويميل لهواه قبل أن يميل لخيره، لذا فقد إتزانه بما شاهده من بهرجة وراحة ورخاء. فأخذ يلعن من منعه عن النعم أو سعى إلى إبعاده عنها.

العامل الثالث: حرية التنافس الذي أتاح لذوي الكفاءات وأصحاب المال التحرك السريع وبذل غاية الجهد للافادة من الفرص الذهبية التي أحدثها الطلب المتزايد من الناس على هذه الاجهزة والمعدات التي منحتهم الراحة والرخاء.

وهذه الحضارة لم تنحصر في عنقوانها بالغرب فقط بل أخذت تتحدى الحضارات العالمية الأخرى محاولة السيطرة على الحضارات العريقة الأخرى

متجهة إلى من نافسها من قبل وكانت الحضارة الإسلامية هي الهدف خاصة وقد عفا الدهر عليها فهي في سبات.

ففي قرابة قرنين من الزمن والغرب يحاول إدخال أو فرض الحضارة الغربية على العالم الإسلامي والغربي بل العالم الثالث لأمر أساسي جوهري هو فرض الهيمنة والسيادة. فلو تمكن من تطبيع أي شعب من الشعوب بحضارته كسب ذلك الشعب بلا عناء لأن الحضارة من طبيعتها الإنصياع لحضارة مشابهة لها والعكس بالعكس أي المواجهة والمنازلة مع حضارة مضادة لها أو في منافسة معها.

ولذا كان الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية هو مواجهة التراث والمعاصرة فقد كان الغرب الذي يعتقد بتأثير الفاعل (The Active) على القابل (The Passive) والإنسان في رأي الغرب هو (الفاعل) والطبيعة هي (القابل) وهو يستند في فاعليته إلى تفوقه الثقافي والعلمي والتقني (٣٥). إذاً له أن يؤثر أو بالاحرى يتغلب على الشرق أو الإسلام الذي هو الآن (قابل) لضعفه التقني وتخلفه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وهنا كانت المواجهة.

فالإسلام والشرق الذي يعدّ نفسه صاحب التراث العريق والأصالة الثقافية العريقة لم يكن في مستوى (القابل) بل هو (فاعل) ولكن ربما بمستوى أقل من مستوى فاعلية الغرب. لذا كانت مشكلة الهوية والأصالة تواجهها مشكلة المعاصرة والحدائث وإذا تمكن الغرب من غزو الإسلام والمسلمين بتقنيته وسياسته وسيطرته العسكرية لم يتمكن من السيطرة الثقافية والحضارية بصورة كاملة كما فعله مع كثير من الدول النامية ذات الطابع الحضاري الضعيف.

وبالنسبة للنتائج الحاصلة من الحضارة المادية لا أريد تقديم شعارات عن مفاسد مردها إلى الممارسات المشينة من قبل بعض القادة كالأستفادة من القبلة الذرية في هيروشيما أو التسابق في التسليح الذري والكيميائي لسيط السيطرة أو ضرب الشعوب بعضها ببعض للأصطياد في الماء العكر. فهذه الممارسات لا

تختلف كثيراً عن ممارسات بعض القادة المسلمين لمفاسد تتعارض مع صلب العقيدة الإسلامية فالممارسة شيء والعقيدة شيء آخر. ونحن نريد أن نصل في هذا البحث إلى أسباب فشل الحضارة الغربية المعاصرة وإلى عوامل سقوطها محاولين في ذلك المقارنة بين النظم الوضعية والتصورات الدينية للتوصل إلى تقديم أطروحة لإنقاذ البشرية من الواقع المظلم الغامض المترصد لها.

دراسة تحليلية لأسباب فشل الحضارة الغربية

في هذا المجال يجب الانتقال أولاً إلى بعض الامثلة التقنية والخطوط البيانية والعلوم التجريبية وبعد تقريب الصورة إلى الأذهان نتقل إلى الأمثلة التجريدية التي ترتبط بالعلوم الإنسانية محاولين في ذلك الاستفادة من قانون الالزام (أي الزام الخصم بما الزم به نفسه) مستدلين في ذلك ببعض الامثلة الفنية والتكنولوجية التي يلتزم ويتبناها بها الغرب.

يوجد أصل أساسي متفق عليه من قبل جميع البشر وهو الاعتدال في الأمور فلا الإفراط مقبول ولا التفريط مستحسن. ومن هنا ينطلق العالم التجريبي ليحاول الاستفادة من الطاقات والمواد الموجودة في الطبيعة ليسخرها لمصلحة الإنسان وهذا هو بناء الحضارة الانسانية. فعلى سبيل المثال يحاول الاستفادة من الحديد في أغراضه الصناعية لتحمل الشد. فكما هو موضح في (الرسم البياني رقم ١) يمكن الاستفادة من الحديد المطاوع إلى ٢٧ كيلو غراماً للستيمتر المربع فإذا ازداد عن ذلك ضعفت خاصية تحمله وإن أرتفع الشد إلى ٣٧ كيلوغراماً تلاشى وفقد خاصيته تماماً. والمصباح الكهربائي يستفيد منه الناس للإتارة والإضاءة فمهما أشتد نوره ازدادت الاستفادة منه ولكن إذا حمله الشخص ضغطاً عالياً (فولتيه عاليه) أحترق المصباح وفقد نوره تماماً (رسم بياني ٢).

والمرجل الحراري أو السخان الذي يضعه الإنسان في داره للاستفادة من الماء الساخن فما دام وأن المحرقة ترفع درجة الحرارة فهي مفيدة ولكن إذا ارتفعت

الحرارة وفجر البخار المرجل أو السخان فإنه نقض الغرض وأحدث الويل أو الويلات (رسم بياني ٣).

فالحديد والكهرباء والمحركة كلها مفيدة ويمكن زيادة الافادة منها ولكن إلى حد معين معلوم، إن تجاوزت هذه الحدود انتقلت الاستفادة إلى العدم أو إلى الضرر أو الويلات.

والحالة هذه تنطبق نفسها على الأمثلة التجريدية والعلوم الاجتماعية والإنسانية فمثلاً أن الحرية السياسية مطلوبة ومستحسنة وللإنسان أن يفيد منها إلى مرحلة معينة ولكن إن تعارضت هذه الحرية في قمة الخط البياني مع العدالة أي حرية الآخرين انتقلت إلى عكسها (رسم بياني ٤).

والأنظمة الاقتصادية الحرة التي تبنى على إعطاء الفرد حرية العمل والكسب والاستثمار فإنها تمنح الإنسان شوقاً إلى العمل الجاد والابتكار وتحسين الانتاج لأن مردود عمله يعود لنفسه لذا يزداد الانتاج ويتحرك الخط البياني بالصعود والازدهار لصالح الفرد والمجتمع حتى يصل مرحلة تتساوى فيه قيمة الانتاج مع قيمة الاستهلاك وبصورة أوضح يبتدى الفرد في مرحلة الازدهار بالاسترخاء والتواني وثم الانصراف إلى اللذات والملاهي فيقل انتاجه وثم يبتدى مصروفه أخذاً بالازدياد، وانتاجه أخذاً بالنقصان. وفي هذه المرحلة يغير الخط البياني اتجاهه نحو الهبوط فتظهر معالم الانهيار كما في (الشكل البياني رقم ٥).

والنظام الاشتراكي الذي بني على أصل توزيع الثروة بالتساوي بين الناس (فمن كل حسب قدرته ولكل حسب عمله) (٣٦) يورث الأمل في النفوس لتحقيق العدالة الاقتصادية في المجتمع فيعمل المعتقد بهذا النظام بكل حماس وجد وتضحية معتقداً، إذا تحقق العدل في المجتمع فهو بدوره يكون صاحب النصيب العادل من هذا التوزيع لذا يأخذ الخط البياني للازدهار بالصعود ولكن حينما يصل إلى هذا الواقع من أن هذا النظام غير قادر على تحقيق هذه العدالة لأمر ذاتية

نراه ينتقل من دور الانتاج إلى دور المطالبة وفي هذه المرحلة يغير الخط البياني للحضارة اتجاهه إلى الهبوط بل السقوط (كما في الشكل البياني رقم ٦) وما حدث في الاتحاد السوفيتي وأنهيار النظام الشيوعي في العالم.

هنا نتوقف لنختزل من الامثلة السابقة كيف ومتى انتقل الخط البياني من الصعود والازدهار إلى التراجع والانحيار. وعلى ما أراه أن العامل المشترك هذا واضح جداً فهو الحد الغائي لخواص الأشياء وأثارها. وبما أن الخواص المادية للطبيعة من الممكن العثور عليها ومعرفة عن طريق التجارب والمختبرات لذا يمكن السيطرة عليها والتصرف فيها. فمثلاً حينما يعرف المهندس المصمم لهيكل المباني والجسور الحد المسموح للاستفادة من شد الحديد يصمم الهيكل والجسر على مقاومة أقل ويستعمل في حساباته (F.O.S) (معامل الاطمئنان) فيكون في أمان. والكهربائي يضع فيوزاً في مدار الكهرباء كي لا يسمح بالضغط العالي للوصول إلى المصباح ليحرقه. والسمكري يضع صمام الامان أو الترومونات في مدار الماء الساخن لإيقاف المحرقة عن الاشتعال إذا ما قرب الماء من درجة الغليان.

ولكن المقنن للقوانين والأنظمة الوضعية الإنسانية لا يعرف حدود تأثير هذه الأنظمة على العوامل الأخرى المتعددة الجوانب في الحياة الإنسانية، لذا لم يكن قادراً على وضع صمامات الامان عند الانتقال من الايجابي الى السلب وهذا ما يقوله السهروردي في حكمة الاشراف (٣٧) (أن الوفاء بإعطاء الحدود الحقيقية حقوقها صعب جداً لجواز الاخلال بذاتي لم نطلع عليه ولكثرة ما يقع فيها من الأغاليط الحدية) فهذا السبب يقع صاحب النظرية والمقنن للأنظمة الوضعية في غلط واشتباه وأبرز مثال على ذلك اختلاف هؤلاء الفلاسفة وحتى العلماء التطبيقيين في نظرياتهم وآرائهم. فالواقع الخطير الذي يمر به العالم في الحال الحاضر من التفكك العائلي والفساد الاخلاقي والإدمان على الخمور وأشباهاها والخلاعة ومرض الإيدز وغيرها ما هي إلا افرازات الأنظمة والقوانين الوضعية المعمول بها فعلاً في هذا العالم والتي لم يتمكن المقنن البشري من معرفة نقاط

انتقال القوس البياني من الصعود الى النزول اي تغير الاتجاه في المرحلة الانتقالية. إن ما كنا نهتمس به في آذان بعض الخواص ولم نكن نجرأ على التصريح به لعامة الناس حتى المثقفين منهم، لنا أن نعلنه اليوم على الاشهاد بعد أن أثبت الواقع الحسي والتنفيذي والتطبيقي ذلك. فالأمبراطورية الروسية الشيوعية التي يقول عنها صاحب الموسوعة الفلسفية (٣٨) (لقد انتصرت الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي انتصاراً تاماً وإلى الأبد) لم تتداع أركانها في صراع وحروب عسكرية كما انهض الكيان النازي في الحرب العالمية الثانية. ولم يفقد الإتحاد السوفيتي هيمنته ونفوذه في العالم لضعف سياسي إنما تداعى البنيان بسبب نظامه الاشتراكي الشيوعي الماركسي اللينيني. وفي أيام معدودة أصبح عاليها سافلها كزجاجة هشّة سقطت فانكسرت وأصبحت كالرذاذ.

والغرب بعامة وأمريكا بخاصة التي يتصورها الناس صاحبة القرار والمتفردة بالسلطة في العالم وهي الرابحة في عصرنا هذا. لم يكن حظها أفضل بكثير من حظ الإتحاد السوفيتي السابق في الحياة. فنظامها الرأسمالي الحر ينخر جذورها وفي أية لحظة من اللحظات من الممكن أن ينهار الصرح الغربي كما أنهار الصرح الشرقي بعد جلاله وجبروته. وهذا ما يقوله وليم ليند (٣٩) تحت عنوان الغرب في انحداره (في سياق هذا القرن تضاءلت السيطرة الغربية إلى درجة خسر الغرب في مدة تقل عن القرن السيطرة على العالم التي امتلكها في سياق منتصف الألف الثاني بعد الميلاد). ويستمر إلى أن يقول (وقد يصبح الوجود الحقيقي للحضارة الغربية مهدداً بالزوال في القرن الحادي والعشرين إذا ما استمر الانحطاط داخلياً مترافقاً مع تصاعد عداء الحضارات الأخرى في الخارج) (٤٠) وقد نشرت جريدة الحياة بعددها ١١١٦٧ نقلاً عن وزير التعليم الأمريكي ريتشارد رايلي بأن ٩٠ مليون أمريكي لا يعرفون القراءة والكتابة إلا بالكاد. وخلاصة القول أن الحضارة الغربية الآن في انحطاط، كما يعلنه أصحاب الرأي والاختصاص وكما هو واضح وجلي لجميع الطبقات من الناس، ولكن السؤال هل يمكننا الوقوف على سبب هذا الانحطاط بصورة علمية دقيقة أم لا؟

الجواب نعم، لقد تمحورت النهضة الحضارية الغربية على المال والاقتصاد. ففي جميع الميادين الحضارية والصناعية، والزراعية والاجتماعية، والثقافية كان المال هو المحرك وهو الغاية. فما دام العمل والمشروع والبرامج له دخل فأنض عن النفقات كانت النتيجة ايجابية وكانت هذه النتائج الايجابية تتراكم فتشكل الخط البياني الصاعد في ازدهار الحضارة، وكان الإنسان هو العنصر الرئيسي في الحصول على هذه النتائج الايجابية. وما دام انتاجه اكثر من استهلاكه كان متحركاً من الحسن إلى الأحسن. ولكن هذا الازدهار وصل إلى مرحلة الترف فأخذ الفرد يتهاون في انتاجه فقل الانتاج. وبعكس ذلك ازداد التراخي وساعدت المغريات المعيشية التي أفرزتها الحضارة المادية على زيادة هذا الترف بل الوصول إلى مرحلة الإسراف في طعامه ومسكنه ووسائل نقله وما إلى ذلك فأصبح مستهلكاً بعدما كان منتجاً فاتجه الخط البياني من الصعود إلى الانحدار. وبدل ما كان التراكم في المال يخلق معالم الحضارة أصبح عكسياً يبتدئ باستهلاك الأموال المدخرة للفرد ومن ثم الأموال المدخرة للدولة إلى أن تنتهي هذه الذخيرة فيكون السقوط (الرسم البياني رقم ٤).

وعندما استوعب أصحاب القرار خطورة الموقف وجدوا أنفسهم أمام خيارين: خيار تحديد الحريات بقرار سياسي وهذا غير ممكن، لأن الشعب يرفض هذا التحديد، وإن أصروا على ذلك ينحيم الشعب عن الحكم بحرية الانتخاب والديمقراطية الممنوحة له حسب القانون. والخيار الآخر هو الاستمرار على هذا الوضع، الذي ينتج عنه السقوط الحتمي والانهيال القطعي. فهم كلاعب الشطرنج الذي يحصره خصمه في نقطة معينة إن تقدم خسر وإن تأخر خسر وهذا هو الواقع الفعلي للغرب.

أما الآن فيأتي دور السؤال الثاني: هل هناك طريقة للخلاص من المحنة وإيقاف هذا الانهيال أم لا؟ نقول نعم ولكن هناك أطروحات متباينة.

أطروحة الخلاص

الأطروحة الاولى هي الاطروحة التي يعطيها ولیم ليند في مقاله المذكور (دفاعاً عن الحضارة الغربية) إذ يقول (ويقتضي استراتيجية الدفاع الحضاري تشييت صفوف الخصوم حيثما كان ذلك ممكناً، وقد استطاع الرئيس جورج بوش إتمام هذه المهمة على نحو ناجح في خلال (أزمة الخليج) وفي النهاية يقول (وقد يطرح الاسلام أو بعض عناصره الأصولية التحدي الأول) (٤١). ومفهوم هذه الاطروحة أن الغرب يجب عليه إيقاف الخط البياني الصاعد للحضارة الإسلامية عن طريق خلق الخلافات بين المسلمين وتشييت الصفوف وإحداث الحروب بينهم كما هو مبين في (الرسم البياني ٧).

ولكن إذا حللنا هذه الأطروحة نجدها لا تجدي نفعاً. فكل ما يمكن عمله في هذا المجال هو تأخير زمن التقاء خط تدهور الحضارة الغربية وخط ازدهار الحضارة الإسلامية وهذا لا يعطي الحل الجذري للخلاص، بل يمكن تأخير زمن هذا الألتقاء بإيقاف الخط البياني الصاعد للحضارة الإسلامية بإحداث الحروب والصراعات وماشابه ذلك ولكن لا يمكن إيقاف خط الحضارة الغربية من النزول والسقوط.

ولكن الأطروحة الإسلامية لإنقاذ الحضارة الإنسانية تتمثل في ثلاث نقاط وقبل بيان هذه النقاط يجب الإجابة على سؤال مطروح وهو كيف يمكن تفسير ظاهرة إعطاء أطروحة إسلامية لإنقاذ الحضارة الغربية والاسلام في صراع دائم مع الحضارة الغربية من بداية ظهورها وحتى يومنا هذا؟!

الجواب: إن الإسلام يقدم هذه الأطروحة للأسباب التالية:

السبب الأول: في صلب العقيدة الإسلامية إنقاذ الإنسان وخدمة البشرية، هما الهدف الغائي للمسلم بموجب صراحة الآية القرآنية التي يخاطب فيها رب العالمين نبيه محمد (ﷺ): (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فهو لا يخصص بهذه الرحمة المسلمين فقط بل يقول العالمين.

السبب الثاني: إن الإسلام اليوم باعتراف مستر ليند متحرك في سلم الإرتقاء أما الغرب ففي طريق الانزلاق والانحدار، والخوف على المتحدر وليس الخوف على المتسلق.

السبب الثالث: إذا تعاون الإسلام مع الغرب في خلاصه وتمكن من خدمته وإقناعه عن طريق الحوار كسب أمرين عظيمين الأمر الأول هو النجاة من عداء الغرب ومخططاته الشريرة وضغوطاته المضنية (وهو الأقوى في الحال الحاضر من المسلمين). والأمر الثاني هو الخلاص من حملات المسلمين السائرين على خطى الغرب والمعتقدين بعظمته وجلاله.

وهنا أريد أن أقف وقفة صادقة ومخلصة لوجه خطابي إلى العلماء والأكاديميين الغربيين المعنيين بالدراسات الإنسانية وسبل إنقاذ الحضارة الغربية. وأخص بالذات الجهاز الأكاديمي لهذا الصرح العلمي (SOAS) لأقول، نعم الإسلام يطرح التحدي الأول ولكن تحدي الحوار والمساعدة والتعاون في سبيل إنقاذ البشرية لا تحدي المواجهة والخصومة والعداء. ولذا يقدم أطروحته كما يلي:

أولاً: الحوار بدل الصراع: بما أن الحضارة عبارة عن بناء الحياة الإنسانية على العالم الطبيعي لذا يجب على الثقافات البشرية أن تقيم الحوار بينها للتعاون والتفاهم من أجل الاندماج في حضارة إنسانية شاملة.

ثانياً: العمل بالشريعة السماوية: بما أننا أثبتنا أن العامل المؤثر في انتقال الخطوط البيانية للحضارات من الصعود والهبوط هو عدم تمكن الإنسان

بقدراته العقلية والتطبيقية من معرفة الحدود الغائية لخواص الأشياء وأثارها، والله هو الموجود الوحيد الذي له الإحاطة بكل ما في الكون لذا يجب الرجوع إلى الشريعة السماوية الصحيحة والاعتماد عليها لمعرفة مراحل الانتقال من الصعود الى النزول في الاقواس البيانية.

ثالثاً: تشكيل مجلس عالمي للحوار الأكاديمي: ومن أجل الوصول إلى المباني العقلية والوجدانية لمعرفة القوانين الصالحة للبشرية نقترح تشكيل مجلس عالمي أكاديمي لدراسة القوانين والأنظمة الصالحة من المصادر الصحيحة والمقبولة من قبل جميع الاطراف (بصرف النظر عن معتقداتهم واديانهم). وعلى أساس هذه الأصول الثلاثة يمكن وضع نظام عالمي لإنقاذ البشرية من السقوط والمحاولة في إقامة حضارة إنسانية شاملة موحدة يعيش فيها الجميع برخاء. وبهذه المناسبة أود أن أثنى على المحاضرة التاريخية الرائعة التي ألقاها الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني في جامعة أكسفورد حول الإسلام (٤٢) حيث يقول: (وحتى هذه اللحظة الأخيرة فإن الوقت ليس متأخراً لأن يقوم الإسلام والغرب بتوحيد قواهما من أجل الصالح الإنساني المشترك) ويضيف فيقول: (وأكثر من ذلك فإن بإمكان الإسلام اليوم أن يعلمنا الطريقة التي نفهم بها ونعيش في عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما فقدته).

وكي لا يكون هذا الإدعاء طوباوياً خيالياً مثالياً محضاً، نقدم بعض النماذج في كيفية تطبيق هذه الاطروحة في الحياة العملية ضمن مقومات الحضارة الراهنة.

تطبيق أطروحة الخلاص

إذا أردنا أن نكون واقعيين عمليين لا ننظر إلى الأمور بمنظار التصور بل بمنظار الفعل والحقيقة، يجب أن لا ننكر الواقع الذي نعيش فيه، والحضارات القائمة في العالم أجمع، ولا نحكم على جميع معالمها ومقوماتها بالطلان. فمما لا شك فيه هنالك إيجابيات ومعطيات مفيدة للإنسان. وهناك مساوئ ونواقص وعيوب.

هذا بالإضافة إلى التطبع الذي يتطبع به الإنسان في المحيط الذي يعيش فيه والبيئة التي يسكن فيها والنظام الذي تقبله وهذا أمر جوهري مهم فلا يمكن فصل الإنسان المتطبع على الصحيح أو الخطأ عن ما تطبع عليه. فحتى الطفل الرضيع حينما تريد الام فصله عن ثديها تلاقى العناء والمشقة.

وعلى أساس ذلك يجب دراسة المناهج القائمة والأنظمة السائدة والحضارات الموجودة بموضوعية تامة مع الأخذ بنظر الاعتبار فعلية التطبيق. وبعد التحليل والنقد نستخلص العيوب والنواقص لنضع محلها السليم والكامل مع أخذ عالم النسبيات بنظر الاعتبار. وأول ما نعتقد به هو التوازن بين العقل والمادة ومراحل الاستفادة منهما. فإن هذا التوازن ضروري قبل كل شيء لأنه المحك للقضاء والحكم بالنسبة لجميع شؤون الحياة.

التوازن بين العقل والمادة:

إن كثيراً من الأنظمة القائمة على القوانين الوضعية أو البدع الداخلة على الشرائع السماوية لا تلتزم بحدود الاعتدال. ففي مبانيها الأساسية إما أن تكون إفراطية تجتاح الحد المسموح أو تفريطية لا تعطي الحد الصحيح حقه. ففي التوازن بين العقل والمادة نشاهد قوماً ذهبوا إلى حد الإفراط في إعطاء العقل حده فجعلوه سلطاناً له الحكم الفصل. وآخرون أعطوا المادة والتجارب المختبرية والطبيعية صلاحية الحكم على مصالح الإنسان وظهرت المفاسد من الإفراط والتفريط.

لذا نعتقد أن التوازن المنطقي بين العقل والمادة يكون بإعطاء العقل صلاحية القضاء لا صلاحية السلطان بحيث يخل بالغرض المطلوب الذي هو معرفة الواقع المطلق وليس الواقع النسبي، كما للعقل أن يعترف بالطبيعة والمادة التي يعيش فيها وبينها فهي بالضرورة مؤثرة على وجود الإنسان. والحالة نفسها بالنسبة للمادة فهي التي تشكل قسماً كبيراً من مقومات الحياة ولكن بدون دور العقل لا يمكن أن تؤدي أثرها ومفعولها.

وبالنتيجة فالاعتدال هو الاستفادة من العقل عن طريق الاطلاع على المعالم المادية والطبيعية لاستخلاص موارد الاستفادة منها. وحينما يشك العقل أو يتردد في قضائه ومعلوماته يرجع إلى شريعة السماء للحكم الفصل والقرار القطعي.

كما نعتقد أن الإنسان له أن يستفيد من الحياة وزينتها ويستغل الطبيعة المسخرة له بلا حدود، إلى حد الاضرار بنفسه أو بغيره (فلا ضرر ولا ضرار).

وأما توازن الروح والجسد والاعتدال فيه هو إباحة الاستفادة من الطبيعة المسخرة له بجميع المقومات التقنية الحديثة والقديمة والسعي في تطويرها وتوسيعها لراحة الإنسان ورخائه الجسدي ولكن إلى الحد الذي لا يؤدي إلى نقض الغرض - أي الراحة والرخاء - بإحداث الآلام النفسية والتعاسة الروحية التي يجب معرفتها عن طريق الشريعة السماوية.

مثل هذا النوع من الاعتدال مقبول عند العقلاني والمادي والديني وإن شذ عنها أحد فإنما هو متطرف شاذ والشاذ لا يؤخذ به.

التوازن بين الفرد والمجتمع في الأنظمة السياسية:

الحرية غاية وأمنية إنسانية كبرى وقد منحها الله للإنسان من دون غيره من الكائنات يوم قبل الإنسان الأمانة بعد أن عرضها على السموات والأرض. فهي منحة إلهية عظمى وبقدر ما تسبغ على الإنسان من نعم ورخاء تحمله مسؤولية واعباء. ولما كان الناس جميعهم سواسية فلكل واحد استقلاله وكرامته وله الحق في تقرير مصيره.

فالتوازن في النظام السياسي هو إعطاء الفرد حق تعيين المصير في انتخاب من ينوب عنه ومن يتولى أمره ومن يتحكم بمقدراته. فإن أخذنا بالأنظمة الديمقراطية السائدة في العالم نراها تعطي عامة أفراد الشعب حق انتخاب الراعي أو الرئيس مباشرة أو عن طريق الممثلين الذين يمثلونه في البرلمان أو مجلس الشورى. وهذا يعني سيطرة الأكثرية الساحقة على الأقلية الممتازة وتمكن الإنسان اللبق القادر

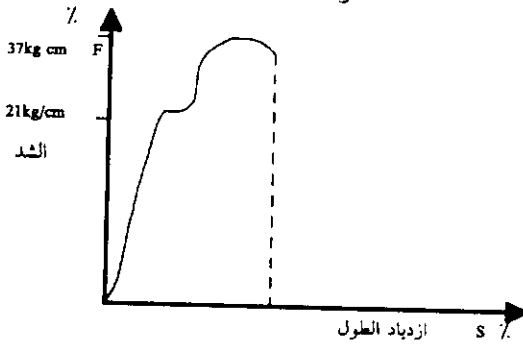
من تسخير الآخرين عن طريق المال والإعلام أو التكتلات من الوصول إلى منصة الولاية أو كرسي البرلمان. ونحن نرى اليوم في أكثر الدول المتحضرة الديمقراطية في العالم التي هي أمريكا وبريطانيا ٦٠٪ في الأولى و٥٥٪ في الثانية لا يعرفون حتى اسم الشخص المتصرف في شؤونهم فكيف يعرفون شخصيته وخلفياته ونزعاته وصدقه وأخلاقه. ومعنى هذا عدم تمكن الديمقراطية السائدة من تحقيق الهدف المطلوب. وللوصول إلى التوازن المؤدي إلى تحقيق الحرية والعدالة في آن واحد يمكن المجلس العالمي للحوار الأكاديمي دراسة جميع الصيغ الموجودة والمطروحة وانتخاب الأفضل.

أما حرية الفرد في العمل والعقيدة فهي أمر مقبول من قبل الجميع، ولكن بحدها وحدودها. وهذه الحدود يمكن تثبيتها من قبل المجلس المذكور. وعلى ضوء البند الأول والثاني من الأطروحة وعلى سبيل المثال فالعمل والكسب يحدد بالضرر والضرار والتلذذ بزينة الحياة. والطعام يحدد بالإسراف، وحرية العقيدة ممنوحة بـ (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وإلى آخره. ونحن نؤمن تماماً بوجود حل لحماية شؤون الحياة في شريعة السماء بدليل الآية القرآنية: (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين).

و في النهاية أعود لأقول إن شريعة السماء لها أن تعطي جميع الحلول لمبدأ البحث عن اللذة واجتناب الألم بأصول وقوانين عملية قابلة للتطبيق لا طوباوية ولا خيالية ولا مثالية، بل إنها فعلية واقعية مادية ومعنوية حسب حاجة الإنسان. وعلى الله نتوكل وبه نستعين.

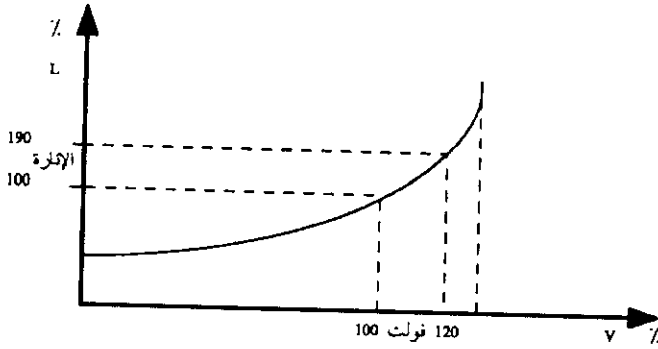
مقاومة شد الحديد

الرسم البياني رقم (١)



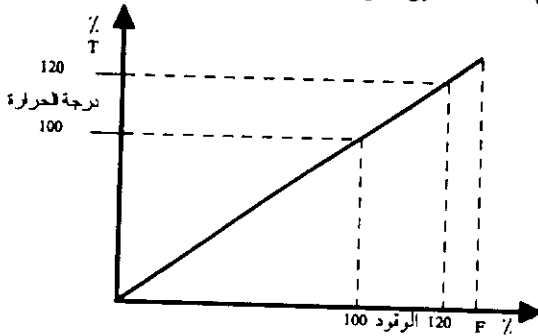
تأثير التيار الكهربائي على للنور

الرسم البياني رقم (٢)

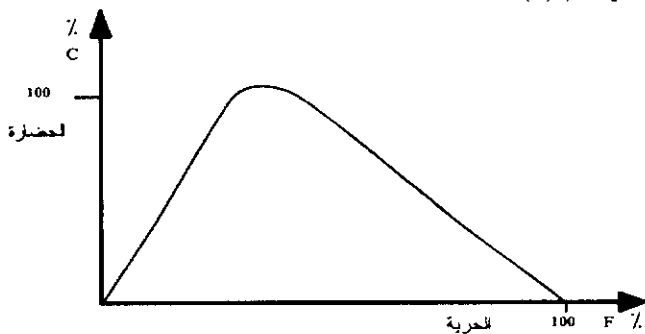


تأثير الحرارة على المرجل

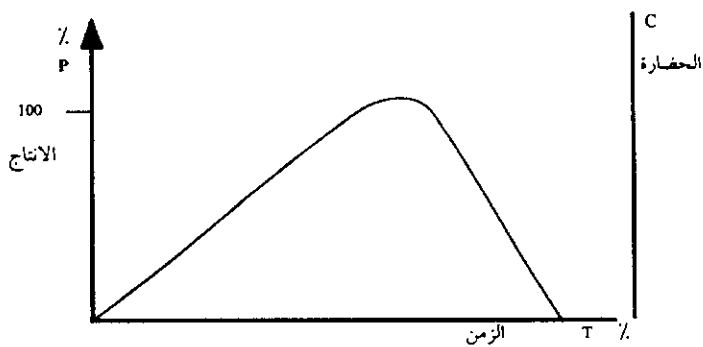
الرسم البياني رقم (٣)



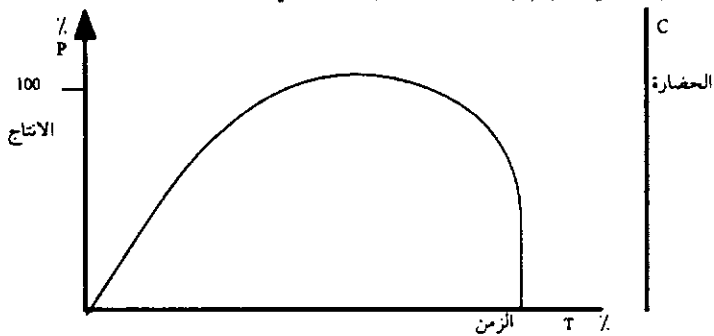
الرسم البياني رقم (٤) الحرية السياسية



الرسم البياني رقم (٥) النظام الرأسمالي



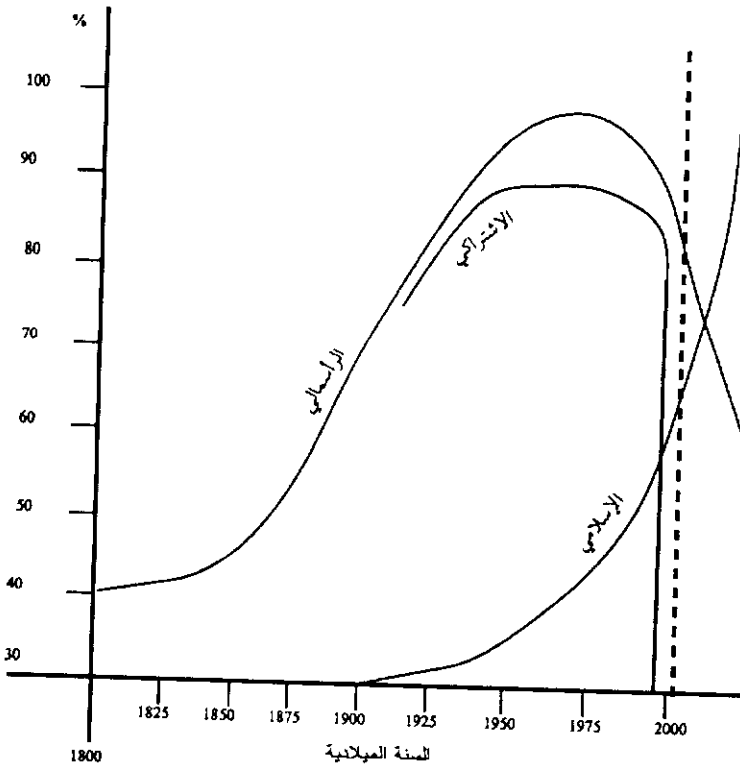
الرسم البياني رقم (٦) النظام الاشتراكي



الحضارات العالمية

النسبة المئوية للحضارة

الرسم البياني رقم (٧)



الهوامش

١. د. محمود البستاني: دراسات في علم النفس الإسلامي، ص ٩، ج ١، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩١.
٢. د. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج ٢، ص ٥٩٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، لبنان، ١٩٨٤.
٣. أين أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢٥٠، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٤. الآية الكريمة: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) (البقرة: ٢٣).
٥. صدر الدين الشيرازي: شرح أصول الكافي، ص ٤٤٨، نقلاً عن الغزالي في كتاب (إحياء علوم الدين).
٦. صدر الدين الشيرازي: الأسفار الأربعة، ج ١، ص ٣٩١، قم إيران.
٧. غاليله (جاليلو) (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م).
٨. مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م).
٩. توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) فيلسوف مادي إنجليزي.
١٠. جون لوك (١٧٣٢ - ١٨٠٤).
١١. نيقولا كوبرنيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣ م).
١٢. توماس كون: بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، ص ٢٩٢، الكويت، ١٩٩٢.
١٣. تيسير شيخ الأرض: الحضارة وبناء العالم الإنساني، (بحث معد للنشر)..
١٤. توماس مور (١٤٧٨ - ١٥٣٥ م). انظر رزنتال ويودين الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٨، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ط ٦، ١٩٨٧.
١٥. الموسوعة الفلسفية، ص ٤١٣.
١٦. جورج بركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣ م) فيلسوف إنجليزي. انظر: الموسوعة الفلسفية، ص ٧٩.
١٧. جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨ م)، الموسوعة الفلسفية، ص ٢٣٢.
١٨. جورج فيلهلم فريدريش هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١ م)، فيلسوف الماني، انظر الموسوعة الفلسفية، ص ٥٦٦.
١٩. كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣ م) ألماني، انظر الموسوعة الفلسفية ص ٤٣٨.
٢٠. برتراند رسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) إنجليزي، الموسوعة الفلسفية، ص ٢٢٢.
٢١. جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠ م) فرنسي، المصدر السابق، ص ٢٣٨.
٢٢. جوزيف بريستي (١٧٣٣ - ١٨٠٣ م) إنجليزي.

٢٣. روتنجن (١٨٤٣ - ١٩٣٢ م).
٢٤. فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦ م)، توماس كوين: بنية الثورات العالمية، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.
٢٥. رينيه ديكارت (١٥٩٤ - ١٦٥٠ م)، بنية الثورات العالمية، ص ٣٢٠.
٢٦. إسحق نيوتن (١٦٤٣ - ١٧٢٧ م)، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٥٤.
٢٧. تشارلس داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م)، المصدر السابق، ص ١٩٢.
٢٨. لويس باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥ م)، المصدر السابق، ص ٧٣.
٢٩. جيمس كلارك ماكسويل (١٨٣١ - ١٨٧٩)، بنية الثورات العالمية، ص ٢٩٧.
٣٠. ماكس بلانك (١٨٥٨ - ١٩٤٧ م)، المصدر السابق، ص ٣٠٠.
٣١. ألبرت أنشتاين (١٨٧٩ - ١٩٥٥)، المصدر السابق، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.
٣٢. فيرنر كال هيزنبرغ (١٩٠١ - ١٩٧٦)، المصدر السابق، ص ٣٢٨.
٣٣. توماس كون: بنية الثورات العالمية، ص ١٨٣.
٣٤. المصدر نفسه، ص ١٨٢.
٣٥. د. سلمان البدور: التراث والمعاصرة، ص ٦، المجلة الفلسفية العربية، مجلد ٢، عمان، الأردن، ١٩٩٢.
٣٦. الموسوعة الفلسفية، ص ٣١.
٣٧. شهاب الدين السهروردي: حكمة الإشراق، الفصل السابع من المقالة الأولى.
٣٨. الموسوعة الفلسفية، ص ٣١.
٣٩. وليم «أس. ليند» مدير الحركة الحضارية المحافظة في مؤسسة التربية والأبحاث الحرة في الكونغرس الأمريكي.
٤٠. وليم ليند: دفاعاً عن الحضارة الغربية، مقالة منشورة في مجلة Foriency Policy، خريف، ١٩٩١.
٤١. المصدر السابق.
٤٢. نص المحاضرة منشورة في مجلة العلم عدد رقم ٥٠٨، تاريخ ٦/١١/٩٣ تحت عنوان (دعوة إلى الانفتاح والتفاهم بين الجنابيين الإسلامي والغربي)، وقد ألقى الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني هذه المحاضرة حول الإسلام بدعوة من مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية.

بعض الاقتراحات التي كتبها السيد محمد علي الشهرستاني

في (مجلة الجامعة الاسلامية)
بوصفه المشرف العام على المجلة.

في العدد الأول

الصادر بتاريخ كانون الثاني - آذار ١٩٩٤
الموافق رجب - رمضان ١٤١٤ هـ:

افتتاحية العدد الأول

السنة الأولى (كانون الثاني - آذار ١٩٩٤ م / رجب - رمضان ١٤١٤ هـ)

يجتاز العالم اليوم، إحدى أخطر المراحل، التي عرفتها الإنسانية على الرغم مما نشهده، من التطور الحضاري النوعي، والتقدم المادي في الوقت الذي تتراجع فيه القيم الروحية، أو لا تتخذ المنحى نفسه.

إن سمة العصر الحاضر، تتمثل في التحولات الكبرى التي تسارعت في السنوات الأخيرة، خلافاً لكل التوقعات، وكان للكثير منها وقع المفاجأة.

فسقوط الشيوعية، وأنظمتها، لم يقلب الأوضاع والأنظمة في بلدان العالم الثاني، وحسب، وإنما أصاب تأثيره الأوضاع العالمية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وأخل بالتوازن العسكري، وموازن القوى التي استقر عليها النظام العالمي لأكثر من نصف قرن.

إن انهيار العالم الاشتراكي، بخلفياته الفكرية، وأبعاده السياسية والعسكرية والاقتصادية، مستمر في التفاعل لفترة طويلة، والدول، والأنظمة فيه مقبلة على خيارات مفتوحة، بعد خروجها من القوالب الجاهزة.

ومع أن الأنظمة الجديدة، ما تزال تعيش تجربة حديثة، وملغومة إلا أنها لن تعود

ثانية إلى الوراثة، أو تعيد إلى الحياة تجارب أصبحت بين عشية وضحاها في خبر كان. بعدما أريد لها أن تكون أفق العصر الذي لا يمكن تخطيه.

والإنسان في هذا الثلث من العالم، يمر في مرحلة غياب الاستقطاب المفروض، لأن الأنظمة السابقة، أعطته الرغبة ومنعت عنه الحرية، فيما الأنظمة الجديدة تدعي التزام الحرية، والأخذ بالديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان إلا أنها ما تزال عاجزة عن تأمين الرغبة والدواء والطبابة.

وإذا كان هذا شأنه الحالة السائدة في بلدان شرقي أوروبا فإن النظام الرأسمالي في غربي القارة، وامتداداته العالمية أميركياً وآسيوياً.. ليس في وضع أفضل، بالمقياس التاريخي.

فالتدهور الاقتصادي بكل تجلياته يوجد بين الأنظمة الرأسمالية التي تحاول دون نجاح، الانتقال من دور الازدهار، إلى مرحلة الإسراف والاسترخاء في الإنتاج.. وكل ذلك يجعل هذا العالم الذي يجهد للاستفادة من انهيار نقيضه الاشتراكي، وتصوير نفسه أكثر ثباتاً. لكنه يراوح في أزمتة، ويكابر لمغادرة موقعه المشرف على الانهيار، والسقوط نتيجة الإفرازات السامة لهذا النظام الذي ورث الأنظمة الاستعمارية، وكان ولا يزال مسؤولاً عن نهب ثروات العالم كله منذ مئات السنين بهدف تجميل صورته وتحسين الأوضاع الداخلية للشعوب التي يمثل، لكن التفسخ في الأخلاق، والاستهتار بالمثُل والمسؤوليات، وسوى ذلك من مظاهر الانحلال.. كل ذلك يجعل العالم الرأسمالي خاوياً من القيم، التي يشكل غيابها فراغاً لا تسده العلاقات القائمة على المادة.

إن العالم الغربي الرأسمالي، متجه إلى الانزلاق السريع وانحدار حضارته، إذا لم نقل سقوطها.. وهذا ما تشهد عليه حربان عالميتان يتحمل مسؤوليتهما، وحروب صغيرة هنا وهناك ينظمها كبديل أو على سبيل التعويض. فهو عالم حروب عدوانية ومجازر، ومحارق، عرفها التاريخ القديم، ويعيشها عالم اليوم.

فالفكر الغربي، حضارة ووجوداً وهوية، بعد ذلك، وقبله، ليس صالحاً للتطبيق في العالم كله، انطلاقاً من تاريخية محددة في الزمان، والمكان.. إنه عالم مريض ولا بد من تصحيحه.

وهذا العالم مسؤول أولاً، وأخيراً، عن إنتاج النازية، وعن ولادة الفاشية.. وظهور الشيوعية، وعن الحروب الصليبية، وحروب التطهير العرقي.. وكل أسباب انهياره قائمة فيه.. وإنما المسألة مسألة وقت ليس أكثر.

أما بلدان العالم الثالث، وحسب التسمية الشائعة، وهي في الأساس تسمية غربية، وغربية، أصبحت بعد انهيار العالم الثاني اسماً على غير مسمى، هذا العالم يزحف ويتعثر، دون أن يتمكن من امتلاك أسباب النمو والنهوض، فيبقى مقلداً، غير مبتكر، لأسباب ذاتية، كامنّة في البنية، وموضوعية متمثلة في الاستعمار الذي فرض على بلدانه قروناً من التبعية الاقتصادية والثقافية، وظل على امتداد مئات الأعوام ينهب ثرواته ويحاصره بالفقر والجهل والمرض، ويحيطه بجغرافية التخلف.. وفي العقود الأخيرة وقع، أو، أوقع ضحية لتوازن الرعب بين القطبين العالميين، لتضييع خياراته، واتجاهاته، وإكراهه على سلوك الممر الضيق، بينهما، أو الوقوع في جاذبية أحدهما. والأسوأ من كل ذلك أنه في عصر المتغيرات التي تضرب العالم، يعيش مرحلة انعدام الوزن. طالما أن النظام العالمي الراهن مجرد صناعة غربية مسجلة.

إن هذا الوضع السائد عالمياً - طال أو قصر - يحتاج إلى دراسة جذرية، علمية وأكاديمية، تستوعب تماماً خطورة الموقف وضخامة المسؤولية، أمام مستقبل البشرية جمعاء، ومصير الإنسانية على هذا الكوكب الأرضي. لأن استمرار الحال على ما هو عليه من المحال.

ولربما كانت الأكثرية من الناس، بمن فيهم المفكرون وأصحاب القرار، في موقع الاعتقاد، والتصور، إن عوامل هذه الخطورة، متأتية عن الصراعات السياسية،

وتحكم بعض الطواغيت في رقاب العباد.. إلا أن الحقيقة هي غير ذلك وتتجاوز الأفراد، والصراعات العارضة، إلى الأنظمة والقوانين والأيدولوجيات.

فما من حاكم، ولا كيان، أو نظام، إلا ويتظلل، ويعبر عن مبدأ فكري، وخلفية أيديولوجية، ونجاحه أو فشله من نجاح الأيدولوجية التي يتبناها.. وكذلك فشله.. ومآزقه من مآزقها أيضاً.

فالعقيدة الفكرية، أو الأيدولوجيا هي الأساس، وما عدا ذلك إفرزات، وتجليات، ومظاهر.

إن تصحيح الفكر، وتبديل الأنظمة، وتغيير القوانين شؤون تحتاج إلى تدخل رجال الدين، والمفكرين، والسياسيين، والفلاسفة، ورجال القانون، وعلماء الاقتصاد، وخبراء التكنولوجيا. وطرح ثقافة جديدة بديلة ثقافة جديرة بالرد على قضايا العصر الكبرى وقادرة على الخروج من الأزمة.

ولأن الجامعات الأكاديمية، هي الملتقى الفكري للتفاعل، وتبادل الآراء، والخبرات، وهي المنبر، والمختبر ليس لطلابها وحسب، وإنما للمجتمع.. ولأن المجالات العلمية، هي للحوار، والبحث، والنقاش، وعرض الخبرات لهذا، ولأكثر من هذا قررت الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن - إصدار مجلتها الأكاديمية باسم - الجامعة الإسلامية - وهي مجلة مفتوحة لرجال الفكر، والبحث، دون تمييز بين كاتب إسلامي، وآخر غير إسلامي.

وإذا كانت الهوية الإسلامية - جامعة ومجلة - فإن الحوار مع الآخرين خيار ثابت، وغير مشروط، وإنما هو متاح لكل ذي دين، وذي عقيدة، وذي رأي. ومن منطلق الإيمان بأن الذين هداهم الله هم الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه. ولأن أسلوبنا هو المجادلة بالتي هي أحسن. ونحن لا نتعصب لما نعتقد به، بل نتمنى صادقين ونلتمس من كل ذي رأي صائب، ومنطق سليم، وصاحب فكر، أن يطرح وجهة نظره، ويقدم دليله، ويبين حجته، ليناقشه الآخرون مؤيدين أو معارضين، من

أجل الوصول إلى الحق، واليقين والخلاص وإنقاذ البشرية من الأخطار المحدقة. هذه مسيرة أولي الألباب، وفي مثل هذا الجهاد قطع الله تعالى على نفسه هداية السبيل، والنصر لمن يستمع القول، فيتبع أحسنه والعلماء، والمفكرون، والجامعيون، معنيون بهذا الأمر قبل غيرهم.

ونحن إذ نفتح صفحات الجامعة الإسلامية، لنشر ما تجود به العقول وما ترشح به الأفكار، ندعو دائماً إلى القراءة النقدية لما ينشر ونرحب بالتطلعات الجديدة، والآراء السديدة، والأبحاث المفيدة.. والنقد البناء البعيد عن التعصب، وردود الفعل. التزاماً بالصراحة والروح العلمية، والأدبية. لعلنا نصل إلى الصراط المستقيم، فيسكله أولو الألباب، من عالم متبوع، ومتعلم تابع، فتعم الهداية الجميع. والله من وراء القصد، عليه الاتكال، وبه المستعان.

المشرف العام

في العدد الثالث

في السنة الأولى تموز - أيلول ١٩٩٤

الموافق محرم - ربيع الأول ١٤١٥ هـ:

أفتاحية العدد الثالث

السنة الأولى (تموز - أيلول ١٩٩٤ م / محرم - ربيع الأول ١٤١٥ هـ)

كان لي حظ المشاركة في مؤتمر (الإسلام والمسلمون، في عالم متغير - من أجل نظام دولي عادل) الذي انعقد في بيروت ما بين ٢٤ و ٢٨ نيسان/ أبريل المنصرم، بدعوة من مركز الدراسات والتوثيق والنشر، التابع للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

والواقع أن هذا المؤتمر كان - في اعتقادي - مميزاً عن سواه، بمستوى الحضور العلمي، وبمشاركة عدد كبير من رؤساء الجامعات، وبأسلوب التقديم والتعقيب، والمدخلات.. واستطراداً للحوار المتبادل، حيث سادت الصراحة، والوضوح، والنقد، بشكل مركز وعميق، وهي مظاهر، يفتقدها المتشدون، والمؤتمرون في غير مكان.

وإذا كانت المؤتمرات الدولية والندوات المحلية، واللقاءات العلمية هي أفضل الطرق لتبادل الآراء والتفاعل، وإعادة الاعتبار لمنطق الحوار، بين أصحاب الرأي والاختصاص في موضوع، أو قضايا متعددة الأطراف.. إلا أن بعضها يكون مسقوفاً، أو منخفض السقف، خلافاً لما كان عليه مؤتمر «الإسلام والمسلمون في عالم متغير» وهو أمر أعطاه بعداً إيجابياً.. وتميزاً ساهما في إنجاحه.

فكما كانت المعارض الدولية والمحلية، ولا تزال أقصر طريق للمنتج، والمستهلك للحصول على أكبر عدد من الزبائن، والتعرف على أفضل أسواق الاستهلاك من جهة، فإنها أيضاً تقدم فرصة للمستهلك، والوسيط التجاري للتعرف على مصادر الإنتاج وتنوعها، وبالتالي تلبية الحاجة، من المصدر الأفضل وبالكلفة الأقل، والنوعية الأكثر جودة من جهة ثانية والحالة نفسها تنسحب على المحافل العلمية، والأكاديمية في المؤتمرات، والندوات، واللقاءات ففيها تفرج هم، واكتساب ثقافة وعلم وأدب وصحبة ماجد، والأهم من كل ذلك الحوار، والنقاش، وتبادل الآراء والخبرات وهي أمور شهدها المؤتمر الذي دعا إليه المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وألقى فيه سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد مهدي شمس الدين محاضرة، أهم ما جاء فيها الطرح الذي افتتح سماحته به المؤتمر ثم أعاد التأكيد عليه في الجلسة الختامية قائلاً: « لن أترأ منه إطلاقاً ».

كان الطرح جريئاً، ومستنداً إلى أسس علمية، وممارسات عملية، أثبتت صحتها ما مر على العالم الإسلامي، بل العالم أجمع وبالذات على لبنان في السنوات المنصرمة، من أحداث مأساوية وصراعات دموية، انتقلت رغم دروسها المرة إلى ساحات البلدان الضعيفة، فحصدت الضحايا والنفوس البريئة.. ويتحمل مسؤوليتها أولاً المخططون المعروفون - المجهولون، من أصحاب القرار وصانعيه.

إن شيخنا الجليل، ومن موقعه الديني والسياسي، كان مطلقاً ومطلعاً ومعنياً بكل ما حدث، وأكثر من ذلك كان ولا يزال مرجعية للشكاوى ترجع إليه الأمة في مآسيها، ولكنه لا يملك من الحول والقوة إلا النصيح والإرشاد.. والقول الحسن، والنصيحة السديدة.. وكل ذلك لا يلقى نفاذاً في الأذان الصماء، ولا في القلوب الصلدة.. فإن حدد الموقف الصحيح، ودعا إلى سلوك الطريق المستقيم وإلى نظام عادل متغير، فإن دعوته نابعة من خبرة علمية فقهية، تقف في مواجهة واقع مرير، في عالم لا يرحم، وبين أصحاب قرار، بينهم وبين الإنصاف والعدالة عداوة

مستحكمة - ولا يثبتك مثل خبير - .

والمثال على ذلك كان جاهزاً في المقارنة، بين الهيمنة العسكرية، والتسلط السياسي، والتبعية الاقتصادية، والغزو الثقافي وسوى ذلك من أنماط السلوك التي فرضها العملاق الأميركي على الضعفاء وكرسها لنفسه.

إن الجرأة والصراحة في طرح الرأي والموقف، أهم بكثير من أصالة الفكر، إذ ليس أكثر من المفكرين البارزين، والزعماء الروحيين، والمحققين والباحثين، الذين خانتهم الجرأة على بيان عقائدهم، وتسجيل مواقفهم، والإفصاح عن نتائج أبحاثهم، بحجة أن الأجواء السائدة لا تسمح لهم بذلك، والمناخ المحيط ليس مؤاتياً لجديدهم، وهذه حقيقة معروفة من أيام سقراط، إلى عصر برونو..

أما الأنبياء، والمصلحون، فما أكثر الذين قضوا شهداء التصريح بأرائهم والإصرار على رسالاتهم ومعتقداتهم.

واستمالة الرأي العام، والسير مع السيل الجارف والتحرك كما تشتهي الرياح العاصفة.. كل ذلك ما كان ولن يكون صعباً، وإنما العكس هو الخيار المكلف.

والذين لا ينددون التغيير، ويكتفون باتباع السائد، فلا ينقلبون عليه، لا يهمهم سوى رضا السلطان والانخراط في المألوف والمعتاد لدى الناس، طمعاً بالجاه والقيادة، والمديح.. لأن العامة تميل إلى العواطف قبل الاحتكام إلى العقل، وتنساق وراء الميول قبل التفكير في عواقب الأمور.. وهذه هي المعاناة التي لم ينج منها المخلص والمؤمن والمفكر في الحياة.. وفي المنهج العلمي.

لقد استعرض سماحة الحجة الشيخ شمس الدين الأوضاع العالمية الراهنة، وأحداث العالم في السنوات العشر الأخيرة، من انهيار الشيوعية إلى تفرد العملاق الأميركي بالقرار، وأحوال الدول النامية، والشعوب المستضعفة المحرومة، وانتهى إلى نتيجة، أو معادلة مرة وصعبة وقاسية، عندما دعا إلى المهادنة، والتفاهم والحوار، مع العملاق الرابض الآن على صدر العالم.. ولكن في سياق المصالح المشتركة..

والاقتناع بالحد الممكن الذي يمكن الحصول عليه، من العدالة والتفاهم. وإنني إذ أشارك سماحته هذا الرأي - على قاعدة الفرضية التي افترضها - في مفهوم صراع القوي مع الضعيف بغياب العدالة.. بل وحتى تغييب مرجعية التظلم والتحكم، أقول - اضطراراً - لا حول ولا قوة للضعيف فرداً كان أم دولة، إلا التسليم، والأخذ بمنطق الحكمة التي لا تقتضي إلا المهادنة، وقبول الحد الأدنى من الحق. فالمكابرة، والتعنت، والمواجهة غير المتكافئة، والصراع المعروفة نتيجته مسبقاً، كل ذلك يؤدي إلى القضاء على الضعيف، وربما إزالته من الوجود، والوجود مع الحد الأدنى من الحق خير من الفناء.. وضياح كل الحقوق، على لغة العقلاء وسيرتهم والاهتداء بالشرائع السماوية، إذ لا يجوز الأمر بالمعروف، والمواجهة والمضي في الصراع، لمن آمن، وتيقن أنه مغلوب ومقهور ومقتول وإن استشهد البعض بالثورة الحسينية، وواقعة الطف، فالتقول مردود لوجود الأمر الصريح الذي نفهمه من كلام الإمام الحسين عليه السلام لأخيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول له: «شاء الله أن يراك قتيلاً... و شاء الله أن يراهن سباياً».. والاجتهاد لا يجوز أمام النص حتى من المعصوم نفسه.

هذا أمر مسلم به، ولكن الإشكالية تكمن في فرض المسألة، فإن تراءى لمعظم الناس، وللأغلبية الساحقة، من المتابعين للأحداث العالمية، والتطورات السياسية والعسكرية، بأن الولايات المتحدة الأمريكية تملك القرار والقوة في عالمنا الحاضر، كما ثبت في حرب الخليج، وأفغانستان، والصومال، ويوغسلافيا السابقة، وفي التدخل بالشؤون الخارجية والداخلية لكثير من دول العالم، إن لم يكن في جميع الدول، وخصوصاً العاشمة وإننا إذ لا ننكر ذلك، ولا ندحضه بتاتاً. نتساءل هل هذا التفرد في القرار.. وهل هذه الولاية السياسية والعسكرية، دليل على السلامة والعافية؟ وإذ نتجاوز الدخول في التفاصيل، تفادياً لتكرار ما سبق بحثه أكاديمياً وعلمياً، نظراً لتقدمه في ندوة الحضارة الإنسانية بين التصور الديني والقوانين الوضعية

(تنشر أبحاثاً قريباً في كتاب أخذ طريقه إلى المطبعة)، انعقدت في لندن - نشير إلى حدث واقعي يعرفه كل إنسان في العالم، ويتمثل في ما شهده العالم في السنوات القلائل التي مضت على انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان الجبار المعادل للعملاق الأميركي. وأسأل: هل كان يتصور أحد أن هذا الجبار كان يعاني سكراته الأخيرة وهو في أوج قوته، وهيمنته أوروباً وعالمياً مع امتلاكه لأسلحة الدمار، وثقله السياسي عالمياً - فإذا به ينفجر من الداخل انفجاراً مدوياً ومروعاً.. وشظاياها تصيب الحلفاء السائرين في ركابه، والدائرين في فلكه؟

إن العملاق المتفرد الآن بالقرار، يشكو ولا شك من الداخل، داء لا دواء له، وهرماً لا عودة معه إلى الشباب، فهو ليس بالموجود السالم القوي الذي لا منافس له، ولا مزاحم.. وإن كان يستقوي بضعف الآخرين، أو بإبقاء مسافة التحدي ما بين تقدمه وتطورهم، فكلما سجلوا تقدماً للحاق به تقدم أكثر فأكثر لإبقائهم خلفه.. وفي موقع الحاجة إليه لمواكبة العصر والكفاءة الفنية المستجدة.. وبلوغ مستوى التقدم الحضاري.

ولكنني أقول أنني حاولت شخصياً اختبار هذا الفرض منذ ثلاثين سنة، وخرجت بنتائج تخالف هذه الفرضية، وتستحق التوقف عندها لأخذ العبرة، والتبصر، وخصوصاً إذا كان الاعتراف صادراً عن دوائر الغرب.. والفضل ما شهدت به الأعداء. فاسألوا دائرة الاختراعات البريطانية، التي سجلت اختراع المحرك الدوراني دولياً في بداية الستينات من هذا القرن (وهو آخر، وأحدث المحركات الاحتراقية حتى اليوم) ثم، واسألوا شركة متسوني اليابانية، ألم ننفذ أكبر الصوامع الخرسانية في العالم، بعد أن عجزت هذه الشركة عن تنفيذها..

ونعود إلى بلادنا لنحيلكم إلى حكومة المملكة العربية السعودية (الهيئة العليا لتطوير منى). ألم نصمم وننفذ أكبر الخزانات الحديدية في العالم، بعد أن عجزت أرامكو عن تنفيذها.. واسألوا الحكومة الإيرانية، ألم ندخل صناعة الصلب والفولاذ

في إيران، وهي قمة الصناعة المحترقة، دون أي عون خارجي، أو خبرة أجنبية.. هذا على النطاق الضيق، فإن أفراد يقدرّون على تنفيذ أعمال فريدة من نوعها في العالم. أليس بمقدور الجماعة أن تقدم أعمالاً تذهل العقول؟

وعلى صعيد المؤسسات فقد قمنا بتأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية في لندن، وتمكنا من استقطاب أكثر من ألف عالم فني، وخبير تقني، من مستوى حملة جوائز نوبل للسلام، إلى رؤساء مراكز أبحاث في جميع أنحاء العالم.. ثم تقديم مشروع حل مشكلة الغذاء، والسكن والتعليم العالي في العالم، وبتأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية بالمشاركة مع الأونسكو، فتمكنا بعون الله من تقديم أحدث أسلوب للتعليم العالي، ينفذ حالياً في أوروبا، وقد منحت هذه الجامعة شهادة الماجستير الأوروبية لعدة دورات في دول أوروبية مختلفة، وجامعات متعددة.

أليس في هذا كله دليل على العافية، وتوفر الإمكانيات؟ ولكن المشكلة كل المشكلة، تكمن في رأيي، بغياب الإرادة الجماعية، وسيادة العقلية الفردية، وفكر المؤسسات، وفقدان العزيمة، والحوافز على اتخاذ القرار، للانتقال من الجهود الفردية الناجحة إلى الجهود الجماعية المتمثلة بالعمل والتطبيق والممارسة الفعلية لقيمتنا في الحياة العملية.

إن الذي يحز في النفس والقلب دائماً، هو الإسراف في جلد الذات، وتضعيف أنفسنا، وتقوية أعدائنا فما حضرت مؤتمراً، ولا شاركت في ندوة، إلا وسمعت الخطباء، والباحثين، والمتداعلين، والمحاورين، جميعاً، يؤكدون على ضعفنا، وجهلنا، وقلة حيلتنا، ورقة عظامنا، دون أن يروا من الصورة إلا هذا الوجه.. ثم ينطلقون إلى المبالغة في قوة الخصم، وتعظيم إمكانية العدو، والذهاب بعيداً في الثناء عليه، وتضخيم قدراته وطاقاته.. ونسيان عداوته وهو المتربص بنا شراً. فهل هذا - بالله عليكم - هو طريق الصواب، والمنطق الصحيح؟

ولو كان الأمر صحيحاً وحقاً.. فلا يجوز الصراع والمواجهة، تضعيف النفس، وتقوية العدو أو الأعداء وهذا من أبسط قواعد الصراع.

لقد نجح الغرب، وامتداده في بلادنا - العدو الإسرائيلي - حتى الآن في هذا المخطط، فأوهمنا، بأنه الأقوى، والقوة التي لا تقهر، والخصم الذي لا يغلب.. والفاعل الذي لا راد لإرادته وأننا في المقابل، ضعفاء لا حول لنا ولا قوة، ولا قدرة ولا طاقة وفي موقع المستعد لتنفيذ القرار، وجبت علينا الغلبة في صراعنا والطاعة أو القبول في حوارنا معه.. وليس علينا إلا الاستسلام.

وبالعودة إلى صلب موضوع البحث، أقول أنني لست ممن يطلقون الشعارات، لاستمالة العواطف، وتحريك المشاعر، بل أحاول أن أكون واقعياً استلهم التجارب، والتطبيق في الحياة.. فلو صدقت الفرضية بأن الصراع، دائر أو قادم بين القوي والضعيف، فالمهادنة والتفاهم، والاقتناع بالحد الأدنى.. كل ذلك، أو بعضه يكون خياراً معقولاً.

لقد مرت أعوام، وعقود، كان التوازن فيها مفقوداً وكانت اللغة الراجحة في صالح الغرب.. ولكن الظروف تغيرت ويكاد الصراع أن يكون متوازناً، سواء اتخذ شكلاً حضارياً بين الشرق والغرب، أو شكلاً اجتماعياً بين العالم الإسلامي والعلمانية، أو أي شكل آخر.

والتوازن الذي نعنيه، لا يعني وصولنا إلى المستوى نفسه من القوة.. بل الحقيقة والواقع أن الغرب القوي هو الآن في منحدر الانزلاق إلى الأسفل، كما يردد علماءه ومفكروه.. والعالم الإسلامي، ومع العالم الثالث كله، رغم كل ما يعانیه، هو الآن في مرحلة الصحو والصعود والارتقاء، لذا يجب علينا الاستفادة من حالة الاندفاع هذه، واستغلال هذه الفرصة الذهبية الفعلية، بفتح ملف الحوار والتفاهم والتعاون في سبيل وضع نظام عادل، ومقبول من جميع أطراف الحوار، في سياق المصالح المشتركة، وتبادل الطاقات والكفاءات، واستثمار الموارد والثروات، لأن الشمال بحاجة إلى كثير مما عند الجنوب، والجنوب مفتقر إلى كثير مما عند الشمال وقد قيل:

الناس للناس من بدو ومن حضر كل لكل وإن لم يشعروا خدتم
ولقد دعوت إلى هذا الحل، وإلى مثل هذا الحوار في مهرجان الغدير في لندن (تموز
سنة ١٩٩٠)، ومؤتمر الفلاسفة الأفروآسيويين في القاهرة (تشرين الأول سنة ١٩٩٠)
ومؤتمر ديترويت (كانون الأول سنة ١٩٩١) وأخيراً في ندوة الحضارة الإنسانية بين
التصور الديني والقوانين الوضعية (تشرين الأول سنة ١٩٩٣) جامعة لندن.

والآن أناشد المخلصين من رجال الفكر والقرار، أكاديميين كانوا أم سياسيين
للتعاون وفتح ملف الحوار، ملتصقاً منهم الصراحة في إبداء الرأي، وبيان الحقيقة،
في عرض نتائج أبحاثهم العلمية وتجاربهم العلمية. ومجلة «الجامعة الإسلامية»
مفتوحة لهم وهي لم تتأسس إلا لتكون منبراً حراً لهذه الغاية وخيارنا الذي ندعو
إليه هو المحبة والتفاهم والسلام والرخاء لجميع الناس بصرف النظر عن مللهم
ونحلهم - طبعي إن ارتضوا ذلك - مع التأكيد بأننا نمقت المواجهة والصراع،
والقتال، ولكن من منطلق القوة والمقدرة.. فهذا هو خيار القرآن الكريم والذي
دعا إليه في محكم آياته.

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»

«إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»

«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ»

صدق الله العلي العظيم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المشرف العام

في العدد الرابع

السنة الأولى تشرين الأول - كانون الأول ١٩٩٤

الموافق جمادى الأولى - رجب ١٤١٥ هـ:

إفتتاحية العدد الرابع

السنة الأولى (تشرين الأول - كانون الأول ١٩٩٤ م / جمادى الأولى - رجب ١٤١٥ هـ)

بصدور العدد الرابع من مجلة الجامعة الإسلامية، تكون المجلة قد أنهت عامها الأول، وهي أكثر ثباتاً على اتجاهاتها الفكرية، وسياستها الموضوعية ودعوتها إلى الحوار بين الثقافات، والحضارات.

إن الجامعة الإسلامية، وهي تواصل الصدور، تتوجه إلى أصحاب الرأي، ومحبي العلم والقلم بالشكر على ملاحظاتهم التي أبدوها سواء كانت من نوع التقدير والتشجيع، أو من نوع النقد البناء. الصادر عن الذين وضعوا أصابعهم على نقاط الضعف عندنا، ونبهونا إلى مواطن الزلل.

لهم جميعاً شكرنا. ورجاؤنا المستمر، ولهم أن يقسوا علينا، عندما نقع في الأخطاء التي نقر ونعترف بوجودها، رغم الجهود المضنية التي بذلت وتبذل من قبل المسؤولين عن الأقسام المختلفة.

فطموحننا كان ولا يزال أن تكون الجامعة الإسلامية نوعية في أبحاثها، نوعية في طباعتها، نوعية في إخراجها، وإنجازات العام المنصرم تبقى خطوات على هذا الطريق، دون أن يعني ذلك التقليل من أهمية الموضوعات التي تناولها الكتاب والباحثون. وما يتمتعون به من غزارة علم ودقة نظر.

لقد انتدبت المجلة نفسها لسلوك خط تحريري رسمناه لأنفسنا، وأشرنا مراراً وتكراراً، أننا لا نريد بعملنا هذا - كما هي العادة - نشر معتقداتنا دون غيرها، والترويج والثناء، على من يرى وجهة نظرنا، أو يدور في أفقها، بل آينا على أنفسنا أن يكون الخيار في نشر أبحاث من يخالف رأينا، وينتقد قيمنا، ويتحامل على مسيرتنا، لنحاول إصلاح حالنا، وتهذيب أفكارنا، وتعديل مسارنا.. أو نحاول رفع الغموض والالتباس، وتصحيح الرواية وتوضيح الرأي، وتقديم الدليل، وتوثيق القول فتظهر الصورة بوضوح، وينجلي الإبهام.

وفي هذه الحالة من شاء فليؤمن.. ومن شاء فليبق على تعصبه، وعناده، فلا أمر لنا من أمره.

وهذه السياسية الفكرية، ربما لا تروق للبعض من الناس، ولكنه منهج اخترناه، وقررنا السير عليه آملين من الحكيم العليم أن يرينا الحق حقاً فتبعه، والباطل باطلاً فتجنبه، ولا يجعله علينا متشابهاً، فتتبع أهواءنا بغير رضاه.

هذا جانب من جوانب نقدنا الذاتي، لكن الجانب الآخر، الأكثر أهمية، والأدق شأنًا، هو معالجة الداء الذي يضرب الشعوب المنتشرة في أنحاء المعمورة، باختلاف طبقاتها، وتباين انتماءها وتفاوت مستوياتها.. فكل شعب منها، يمر بشكل من أشكال التخلف والقهر، ويعاني من البلاء، وكنا نتمنى، ونرجو أن يقدم الطبيب الحاذق، والمفكر المبدع، والفيلسوف العبقرى، ورجل الدين الأمين وصفة الدواء لعلاج هذه الشعوب، وخلاصها، ونجاتها. والجامعة الإسلامية، تحت تصرف هؤلاء جميعاً. وإلا فمن أين للإنسان العادي، تشخيص الداء والحصول على الدواء.. ومن يكون القادر على التشخيص يا ترى؟ إن لم تبادر النخبة من أهل العلم والمعرفة والاختصاص إلى أخذ هذا الاختيار على عاتقها.

لقد سبق لي أن قدمت في أحد المؤتمرات الفلسفية الكبرى، بحثاً استعرضت فيها الأزمات التي تعاني منها شعوب العالم. وفي الختام وجهت الكلام إلى

المؤتمرين قائلاً: «إن العالم يتطلع إليكم وأنتم كبار الفلاسفة، ونخبة مفكريه أن تضعوا الحلول للمشاكل، وتقدموا العلاج للأزمات المستعصية في هذا العالم» وكان رئيس الجلسة الفيلسوف الكبير الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده، فعلق على هذا النداء قائلاً: «إن الباحث وضعنا جميعاً أمام مسؤولية جسيمة يجب قبولها». لذا فإنني الآن أكرر القول، لأضع الباحثين والأكاديميين أمام هذا التحدي الكبير.

فالتخلف والمآسي مسؤولية القيم الفكرية، أو الممارسات التطبيقية، والممارسات تكون من صنع الفئات الحاكمة، وسياستها التنفيذية، أو من المحكومين أنفسهم، ومن إرادة الامتثال للقيم والعمل بها والالتزام بتنفيذها.. أو رفضها ونبذها، والسير وراء الأهواء والأغراض.

هذه الحالة الأخيرة واضحة النتيجة، فلا حول ولا قوة للحكيم في إلزام التنفيذ، وحتى خالق الكون جلت قدرته، يتركها لإرادة الإنسان «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»

والشئ الآخر من الممارسات، هو الذي تمارسه الحكومات، وأجهزتها التابعة، مع ما لها من السطوة والقدرة الإلزامية على الفرد.. ولكنها للأسف لا تتخذ إلا القرارات التي تكون في مصلحة الحكام، والأجهزة ولا تنفذ إلا رغبات هذه الأجهزة، ولا تهمها مصالح الشعوب، وحقوق الناس.. إلا ما شذ وندر، مما لا يقوم عليه الحساب.

أما القيم التي تدخل في إطار الشرائع والأنظمة والقوانين، فهي إما إلهية سننها، وشرعها الله، وتولى الأنبياء والرسل إيصالها إلى الناس. وإما بشرية وضعها فلاسفة البشر، والمفكرون، والحكماء - وفي هذا كلامنا - فهم مسؤولون عن صحتها وسقمها، وخيرها، وشرها، فإن خدمت البشرية كان لهم الفخر والفضل على الناس والعكس بالعكس.

ولكن ما نراه، ونقرؤه، ونسمعه من أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن الكتب، بمعظمه بعيد عن الهدف المرجو، والمآخذ عليه كثيرة منها:

١- التعارض، والتضاد، وعدم الوضوح والدقة:

فعلى سبيل المثال، المعرفة التي هي باكورة كل بحث وتحقيق نجد في فهمها، وطبيعتها ومصادرها من الآراء ما يتسبب في التيه والضياغ للباحث فكيف بالإنسان العادي.

ففي طبيعتها يقول رواد المذاهب الواقعي - بانعكاس صور الأشياء وانطباعها داخل ذاكرة الإنسان.. ومن ثم مختلفون، فالسذج يقولون شيئاً، وأصحاب المذهب النقدي يقولون شيئاً آخر. أما البراجماتي فيقول كلاماً يخالف الواقعي وصاحب المذهب المثالي يخالف المذهبيين معاً.

وفي مصادر المعرفة، يقول بعضهم بالحس والعقل والآخر يضيف الوحي والإلهام إلى الحس والعقل ويتناسون دور الوجدان الفطري والعلوم التراكمية المكتسبة.. وهكذا..

وفي التعلم والتعليم، حيث قوام التكامل البشري لم تتضح الصورة، لا في الأسلوب القديم، ولا حسب المنهج الحديث فأى مراحل التعليم والتعلم ضرورية وإلزامية؟ وأي المستويات كمالية اختيارية، وما إلى ذلك من المحاور والاتجاهات.

٢- المفاهيم الخاطئة:

ثمة مفاهيم في المجتمعات البشرية، بعضها مفاهيم خاطئة ومستهجنة، ولكن هناك من يعتبرها جيدة، ومنهم مثقفون، ورجال فكر، وبعضها مفاهيم صحيحة ومفيدة ولكن قسماً من الناس يستقبحونها ويعتبرونها من القضايا المذمومة.

فعلى سبيل المثال نذكر الحرية بأبعادها الواسعة وأرجائها المترامية. فهي وإن

كانت إحدى النعم التي منّ بها الله على البشرية ويجب الحفاظ عليها ولكن هل بصورها غير المحدودة أو اعتباراتها غير المقيدة؟ ألم تكن المآسي البشرية من هذه الحريات؟ ألم يكن الفساد الخلقي في الإدمان والجنس من إفرازات الحرية؟ ألم تكن الممارسات السياسية الظالمة المجحفة من نتائج الحرية؟ ألم يكن الفلتان والاسترخاء والبطالة والتدهور الاقتصادي العالمي من انفلات الحرية؟!!

إذا أين الحدود وما هي القيود ومن الذي يجب أن يحللها وينقدها ويخرج بالنتيجة الصحيحة؟!!

والديمقراطية كالحرية مع ما لها من ظواهر جذابة كمنح الإنسان السيادة والاستقلال في تعيين المصير وحفظ الكرامة والحقوق الفردية، ولكن هل العقل البشري يسمح بتحكم الأكثرية الجاهلة في شؤون الأقلية المثقفة الفاضلة؟! وهل التجربة التطبيقية في السياسة العملية أدت إلى النتائج المرجوة؟!!

إن لم تكن كذلك فما هي الحدود وأين يقع الخطأ وفي أية حالة تكون الديمقراطية ضرورية ونافعة وفي أي مرحلة تؤدي إلى نتائج سلبية؟! كل هذه المسائل يجب أن تغطي بدراسات أكاديمية معمقة مستدلة.

ومن القضايا المستهجنة عند الناس والمحاربة من قبل كثير من المؤسسات والمحافل الرسمية والأكاديمية. زيادة النسل التي هي مسألة أخرى تبدو ملحة حيث تعقد المؤتمرات والندوات لتقيح هذه الزيادة وتقديم الحلول لمحاولة تحديدها. وإني لا أستشهد بالآية والحديث في نقض هذا الرأي بل ألزمهم بما ألزموا به أنفسهم، ألم تكن زيادة إنتاج الفرد على مصرفه عاملاً من عوامل الازدهار الاقتصادي للفرد والمجتمع؟ إذا لماذا نحارب زيادة وجود الأفراد، نعم ولكن إذا كان صرفه واستهلاكه أكثر من دخله وإنتاجه، ففي وجوده نقص، وفي هذه الحالة زيادة النسل مذمومة مردودة. إذا المشكلة تكمن في الإدارة والإرادة وليست في الزيادة، وإن قيل إن الموارد الغذائية لا تكفي لزيادة سكان العالم أو البيئة تتغير أو

ما شاكل ذلك، فهي مشاكل فنية عالجنها في مؤتمر عالمي في جاكرتا سنة ١٩٨٣ وأثبتنا كيف أن اندونيسيا وحدها قادرة على تأمين غذاء العالم، والمنطقة الاستوائية تتمكن أن تؤمن غذاء خمسة أضعاف سكان العالم.

هذه المسألة ونظائرها الكثيرة من القضايا التي لها مفاهيم خاطئة عند الناس - وحتى عند الخواص منهم - يجب تصحيحها وتعديلها في الأذهان لتعديل الآثار الوضعية المترتبة عليها.

٣- تجاهل الغاية، والتركيز على الوسيلة:

من القضايا الرائجة في المحافل العلمية والأكاديمية وعند المحققين والباحثين. والتركيز على العلوم الجانبية والمواضيع الفرعية والاستطراد فيها وتعمق البحث في كل شاردة وواردة منها وبالنتيجة الابتعاد عن الهدف والغاية، فلا يرى الباحث نفسه إلا وأن الوسيلة قد انقلبت إلى غاية وهو لا يعلم كيف كان ذلك بل يغفل عما حدث له فلم يحقق ما كان يصبوا إليه وما كان يرجوه من بحثه ودراسته.

فالفيلسوف التجريدي الذي يريد إثبات وجود الله يخوض في معترك الألفاظ والمصطلحات ولتصحيح دلالة خاطئة يقع في خطأ آخر فينتبه في استدلالاته حتى ينسى أنه يريد إثبات وجود صانعه، ويُثقل على سبيل المزاح أن أحد كبار الفلاسفة حينما نقل إلى مضجعه الأخير جاءه الملكان المقربان وسألاه من ربك فأجاب (اسطقس فوق الاسطقسات) ولما لم يفهما قوله أمرا بأخذه إلى النار.

أو كالعالم المادي والفيزيائي التجريبي الذي يعتكف في مختبره محاولاً تسخير طاقة طبيعية لاختراع جهاز يخدم البشرية في مجال مادي ويربح الإنسان في بعض شؤونه الحياتية ويتناسى أو يغفل بأن الراحة الروحية غاية واللذة البدنية وسيلة فيؤمن الوسيلة ويقضي على الغاية.

أو كاللغوي الذي يفتش عن مراد لفظ كي يعلم معنى الحديث أو يستنبط التكليف من قول المعصوم فيضيع في الألفاظ ومعانيها والمراد منها والمشهور

فيها وموارد الاستعمال لها وإذا به يبتعد عن معرفة التكليف والغاية التي بحث عنها، وهكذا عند الأصولي الفقيه والمؤرخ والأديب والمفسر وحتى الطبيب النفساني والرياضي النظري.

فالناس يموتون من الفقر والجوع والكلام يدور حول محاور البحث في المؤتمرات ومكان انعقادها وعدد الباحثين المشاركين فيها.

وهذه الأمراض النفسية والجسدية والخلقية إلى جانب المخدرات والتلوث والتفسخ الاجتماعي تفتك بالبشرية وعقلاء القوم، ومفكروهم منشغلون في بحوثهم الجانبية والثانوية بدلاً من تقديم الحلول العملية والعقلية في إطار إمكانية التطبيق والتنفيذ.

وبعد هذا كله هل من المروءة والإنصاف أن تقف الجامعات الأكاديمية والمراكز العلمية بما ومن فيها من أعلام وأساتذة ومفكرين وباحثين ومختبرات، صامتة متفرجة؟! كلا ثم كلا فزكاة العلم نشره، وإن قيل ما الفائدة من البحث والكلام والتذكير (ولا رأي لمن لا يطاع) يقول عز من قائل: {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى، سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى، الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} [سورة الأعلى، الآيات ٨-١٣] صدق الله العلي العظيم.. إنها مهمة الجامعة الإسلامية.. وغيرها من مؤسسات الفكر، والجامعات ومن المصلحين ومعلمي الأخلاق.

والله ولي التوفيق

المشرف العام

في العدد الثاني

السنة الثانية نيسان - حزيران ١٩٩٥

الموافق ذي القعدة - محرم ١٤١٦ هـ:

إفتتاحية العدد الثاني

السنة الثانية (نيسان - حزيران ١٩٩٥ م / ذو القعدة - محرم ١٤١٦ هـ)

لعله من باب تأكيد المؤكد، أن نقول أن بعض القضايا والأحداث الإنسانية، تحتل موقعاً من الأهمية بحيث يقتضي تكرار البحث فيها، ومعاودة التطرق إليها بالإجمال تارة، وبالتفصيل تارة أخرى.

فإذا كانت إفتتاحيات أعداد الجامعة الإسلامية تلح على الحوار مثلاً، فلأن مبرر صدورها إعادة الاعتبار لحوار الثقافات والحضارات.. وإذا كان الباحث أي باحث يتصدى أكثر من مرة لمناقشة موضوع، أو يعيد طرح مسألة، فإن مثل هذا الإصرار، أو التأكيد على الموضوع، لا يعني قلة في الزاد أو شحة في العتاد... فالخطاب القرآني، وهو القدوة والمثل الأعلى للأساليب الأدبية والعلمية، قد أعتمد التكرار اللفظي والترادف في المعنى والمفسرون، وعلماء البلاغة، اعتبروا ذلك نوعاً من التأكيد على الأهمية والتوجيه.

فإذا تكررت الإشارة إلى المشكلات الإنسانية المتمثلة في السكن، والفقر، والجوع، والمرض، فليس هذا التكرار إلا نوعاً من الأهتمام بهذه المشاكل التي تعاني منها البشرية، وبالذات الشعوب المحرومة والدول النامية التي تحتاج إلى

التوجيه والتوعية على طريق البحث عن الحلول لمشكلاتها. خاصة وإننا نعيش هذه المآسي، ونعاني من آثارها، ولنا تجارب ميدانية، وممارسات كلفت كثيراً بعيداً عن الطوباوية، والأبراج العاجية، كما هو واقع بعض الباحثين.. وصاحب التجربة والمعاناة أصدق قولاً من الحكيم.

في شهر آذار / مارس المنصرم، أختتم المؤتمر العالمي للتنمية الاجتماعية في كوبنهاغن، جلساته بحضور عدد كبير من رؤساء الدول، وممثليها، وبمشاركة هيئة الأمم المتحدة ممثلة بأمينها العام.. وقبل ذلك بأشهر أنعقد المؤتمر العالمي للتنمية والإسكان في القاهرة بحضور عدد كبير من رؤساء العالم وزعمائه، وبمشاركة رجال الاقتصاد والتنمية وفي المؤتمرين العالميين عولجت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية لسكان الكرة الأرضية - حسب زعم المؤتمرين - وقدمت أبحاث واقتراحات لمعالجة مشاكل السكن والفقير.. والقروض المترتبة على الدول النامية.. والتخلف الفني، وتدني الرعاية الصحية وغير ذلك من المسائل الأساسية.

والسؤال: هل توصل المؤتمرين إلى حلول مقبولة وقابلة للتنفيذ.. أم انتهى المؤتمران كغيرهما من المؤتمرات السابقة إلى صراعات ونزاعات كلامية لتصفية الحسابات طغت على كل شيء.

إن مثل هذه المؤتمرات بل المؤامرات التي تعقد برعاية الولايات المتحدة الأمريكية التي تفردت وانفردت بالقرار منذ انهيار الاتحاد السوفياتي والتي تعمل من خلالها لتكريس صورة النظام العالمي الجديد.. إنها تتجاهل الخبراء، وأهل الاختصاص وتغيبيهم.. فتغيب الحلول العملية والفنية والاقتصادية ولأنها تعقد لغايات سياسية، وأهداف استراتيجية تحرص الرعاية الأولى، وهي المتفردة بالقرار، والمهيمنة على الانظمة وحكامها إلى حشد (الشهود) والأصوات لتأييد سياستها وموافقها. ما شاءت كان وما لم تشأ لم يكن.. والناس يعرفون هذا الواقع المرير..

والدول لا تغيب عنها هذه الحقيقة وبالتالي فإن مثل هذه المؤتمرات - المؤامرات لا تزيد الشعوب إلا كراهية لها، واستخفافاً بقراراتها والواقع أن الاستفزاز الأساسي يبقى موجهاً بالأساس إلى عقول المفكرين، وكرامة المثقفين.. وعليه فإن الصمت على ما جرى ويجري في هذه المؤتمرات حرام.. والسكوت عنها ذنب لن يغتفر. قبل سنوات أتاحت لي فرصة حضور أحد مؤتمرات الإسكان في لبنان، حيث تحدث أحد المؤتمرين رجال العلم والتكنولوجيا، والخبراء والعالم المتمدّن الذي تمكن من تفجير الذرة، ومن الوصول إلى القمر، وربط أطراف الكون بعضها ببعض الآخر، ولكنه يعجز عن حل مشكلة السكن لذوي الدخل المحدود.

وفي مؤتمر لاحق للإسكان عقد بمبادرة منا في لندن سنة ١٩٨٧ وبمشاركة الأونسكو، وهيبات، وحضره أكثر من ثلاثمائة خبير يمثلون أكثر من خمسين دولة قدمت كتابي (دليل المساكن الشعبية) وأرقت بعدد كبير من التصاميم المعمارية والإنشائية التي تعطي فكرة كاملة، ومدروسة عن إمكانية تأمين مسكن لكل ذي دخل محدود مهما يكن دخله ضئيلاً، بحيث يصبح صاحب مسكن يراعى فيه التنظيم المدني، والحياة الاجتماعية والصحية المريحة. مع مراعاة الاعتبارات المناخية الطبيعية المتفاوتة، وكذلك الثقافات المتباينة والمعتقدات والطقوس الدينية المختلفة، وحتى العادات والظروف المعيشية المغايرة، بين حياة القروي من جهة وحياة المدني من جهة أخرى.

ولم نغفل السياسات الاقتصادية المتصارعة إذ حاولنا إعطاء تصاميم لمن يريد أن يعتمد على نفسه وأرضه وترابه وإمكانياته ولا يكون متكللاً على الغرب في استيراد بعض المواد الإنشائية، فقدمنا تصميماً لمسكن تتوفر فيها جميع الأصول المعمارية والمعيشية ولا يحتاج إنشاؤها حتى كيلوغرام واحد من الحديد أو الأسمنت أو أية مادة مستوردة.

لقد كانت هذه الدراسات الفنية والتنفيذية حصيداً لجهود أربعين سنة من

الأعمال الفنية والهندسية في انحاء مختلفة من العالم. ولكن هل كانت المشكلة الأساسية للإسكان مشكلة فنية أو علمية أو تقنية، كلا ثم كلا، فما طرقتنا باباً من أبواب وزارات الإسكان في الدول النامية، نقدم لها هذه الحلول وهذه الدراسات والتصاميم، ولو بصورة مجانية، إلا واجهنا الرفض والرد بدل الترحاب والقبول.

وتجربتنا في حل مشكلة الفقر والجوع لا تختلف كثيراً عن مشكلة السكن، وربما يكون من الصعب قبوله لكثير من الناس إن قلنا لهم أن أفقر شعوب العالم هي التي تعيش في أغنى نقاط العالم فالشعوب الآسيوية كالشعب الأندونيسي والفيليبيني والتايلندي والسريلانكي والشعوب الأفريقية السوداء وأمريكا الوسطى التي تعد مع الأسف الشديد في مقدمة الشعوب الفقيرة والتي تعاني الجوع والفقر وتعيش في أغنى نقاط العالم من الناحية الطبيعية والثروة الزراعية غير المستغلة، ولا أقول هذا جزافاً بل قول خبير متخصص قام بدراسة الوضع سنوات عديدة، ولدينا دراسات مدونة ومنشورة حول هذا الموضوع.

تبتدئ تجربتنا بأندونيسيا وتنتهي بدولة افريقية أعلن رئيسها عند إعادة علاقته الديبلوماسية مع (إسرائيل) في خطاب ألقاه يقول فيه (إنني قررت إعادة هذه العلاقة بعد أن صبرت سنوات عديدة أطلب من الدول العربية مساعدتي ولم أحصل على أية نتيجة) فأبلغته عن طريق أحد مستشاريه أننا مستعدون لدفع عجلة التنمية في بلاده أكثر من (إسرائيل) إذا أمن لنا الدعم السياسي، وعند مقابلتني له قدمت برامج عديدة للتنمية الصناعية والزراعية والإسكان فاختر التنمية الزراعية فكان المشروع الأول إستصلاح ثلاثة آلاف هكتار وتحويلها إلى مجمعات زراعية حديثة تشمل على شبكات الري وإقامة السدود وبناء المستوطنات السكنية الحديثة وفتح الطرقات وأستصلاح الأراضي وتأسيس المصانع للمتوجات الزراعية، بصورة تؤمن للمزارع عملاً مستمراً يتقاضى فيه أجراً عادلاً طوال مدة عمله وبعد سبع سنوات يكون مالكاً لأرض مستصلحة، والحكومة تحصل على البنية التحتية لثلاثة

الآف هكتار من سدود وطرق وشبكات ري ومستوطنات دون أن تدفع درهماً واحداً والمستثمر الذي يضع المال يستحصل على ربح لا يقل عن عشرين بالمائة سنوياً، كل ذلك يتم بقرض يقدمه المستثمر ويسترجعه لمدة سبع سنوات من وارد الانتاج الزراعي من هذه الأراضي المستصلحة، والمطلوب الوحيد من الحكومة تعهد البنك المركزي بالموافقة على إعادة هذا القرض خلال هذه المدة. وتعهد الرئيس شخصياً بتأمين مثل هذا التعهد المصرفي.

وبعد دراسات مضمينة في الأحرار والأدغال وتقديم الدراسات والخرائط والجداول والمستندات المطلوبة لتنفيذ المشروع في عشرات من الخرائط ومئات من الصفحات، قرر الرئيس عرض المشروع على خبرائه الفرنسيين والإسرائيليين، وعند عدم تمكن هؤلاء الخبراء من رد المشروع من الناحية الفنية والاقتصادية سحب هذا الرئيس (المخلص لوطنه) تعهده وقال إن البنك المركزي لا يوافق على إعطاء الضمان والتعهد المطلوب، وبعد هذه الخسائر الفادحة والجهود والأنعاب عدنا بخفي حنين دون أن نتمكن من إكمال المسيرة لإعطاء نموذج للقضاء على الفقر والجوع.

كل هذه التجارب العملية والعلمية أثبتت لنا أن القوة السياسية القاهرة فوق جميع هذه الحلول العلمية والتقنية وكل ما يقال عن العجز الفني كذب ونفاق وافتراء.

أما في أندونيسيا فإن الأبحاث التي قمنا بها تؤكد أن الثروة الزراعية في هذه البلاد كافية لو أحسن استغلالها لسد حاجة العالم كله من المواد الضرورية ولأمر ما، تبقى هذه الثروة معطلة، ومغيبة والطريق إليها محفوفة بالألغام.

عندها عرفت أن العمل يجب أن يبتدى من القاعدة (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ١١]، فإذا أردنا أن نستمر في العمل الاصلاحى علينا أن نبتدى من توعية القاعدة المثقفة وإعداد الجيل الواعي، أي توسعة نطاق

التعليم الجامعي لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب الناهض وثقيفهم ثقافة فنية عقائدية وإذا كان الجيل الحاضر لا يتمكن من قطف ثمار هذه النهضة فلا شك من أن الأجيال القادمة سوف تجني ثمارها إن شاء الله.

وكان تأسيسنا للجامعة العالمية للعلوم التقنية (I.T.U) مع اليونسكو ومن بعدها تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية محاولة رائدة للجمع بين المثل الأخلاقية والأصالة الفكرية العقائدية وبين المعلومات الفنية والتطبيق التقني، لصنع الإنسان الواقعي الذي أستخلفه الله في أرضه للحياة الحرة السعيدة، مؤمناً بالمثل العليا ومستغلاً للنعم التي سخرها الله لعباده، وهذه هي الحضارة الإنسانية. ولا شك أننا لا نزال بحاجة ماسة إلى الدعم المستمر الدائم من العلماء الربانيين والأساتذة الجامعيين لتقديم بحوثهم ودراساتهم المستدلة والموثقة لتوعية المثقفين توعية موضوعية عميقة بعيداً عن التلاعب بالعواطف والأحاسيس التي تتقلب بتقلب الأحوال كما أتمنى أن تكون هذه البحوث صريحة واضحة بعيدة عن المجاملات والملابسات فالباحث ناشد حقيقة والحقيقة لا تقبل الضبابية ولا يحجبها الظلام.

المشرف العام

في العدد الثالث

السنة الثانية تموز - أيلول ١٩٩٥
صفر - ربيع الآخر ١٤١٦ هـ:

العدد الثالث

السنة الثانية (تموز - أيلول ١٩٩٥ م / صفر - ربيع الآخر ١٤١٦ هـ)

بمناسبة تخليد ذكرى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، ألقى كبير أساتذة علم أصول الفقه، المرجع الديني الكبير العلامة الشيخ محمد حسين وحيد الخراساني محاضرة قال فيها:

((إن المراد من التفقه الذي جاء في قوله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة / ١٢٢، لم يكن يقتصر على علم الفقه الذي يعرفه الفقهاء (هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية) من باب الطهارات والماء المطلق إلى باب الديات وأحكام العاقلة.

بل إن علم الفقه هذا، شيء من التفقه في الدين، وبعض الشيء لا يمكن أن يكون كل الشيء، فالتفقه في الدين له شمولية أكبر، وله بعد أوسع وموضوع هذا التفقه هو (الدين) بأصوله الاعتقادية ومسائله الفقهية، وتعاليمه الأخلاقية وقيمه العلمية)).

وبعد ذلك وجه العالم الجليل اللوم إلى علماء الأمة وفقهاء الشريعة لعدم توجه

الكامل والاهتمام الوافر، بباقي المعارف الأساسية والعلوم الدينية كتوجههم وأهتمامهم بالمسائل الفقهية، ووجه الأنظار إلى القصور الحاصل في تعريف الزهراء، وبيان فضائلها وأداء حقها، ومعرفة مكانتها، ناهيك عن السر المستودع فيها.

ونحن نتوقف ملياً عند هذا المقطع من كلام المرجع الديني الكبير في أفتاحية هذا العدد، لنشير الى بعض النقاط الجوهرية لهذه الملاحظة العابرة التي أشار إليها سماحته ونحاول تسليط الأضواء على القصور الذي تطرق إليه الفقيه الأصولي الكبير.

إننا لا ننكر أن علم الفقه ومعرفة الحلال والحرام، مصب لجميع روافد العلوم الأخرى من النحو والصرف والبلاغة والتفسير وعلم الدراية والرجال. وعلم أصول الفقه هو علم استنباط الأحكام الفقهية من مصادرها الأصلية، التي ترجع جميعها إلى الكتاب والسنة، ولكن هل عرفنا الكتاب حق معرفته؟! وقبل أن نعرف الكتاب هل عرفنا الشارع المقدس الذي أنزل الكتاب؟! وقبل أن نعرف السنة هل عرفنا صاحب السنة وأهل بيته الأطهار الذين نكتسب حجية الحكم الشرعي بقطعية الصدور عنهم.

الفقيه منصرف لمعرفة ما ورد عن المعصوم من متواتر وأحاد، مستفيض ومشهور وصحيح وموثوق، ضعيف ومردود، أساندها ومدلوها. والأصولي ينصرف إلى التقييم العقلي، ووضع القواعد الأصولية والفقهية، لمعرفة كيفية استنباط الأحكام من مصادرها الأصلية، ولكن معرفة الله وأصول العقيدة ومناقشة الأديان والمذاهب متروكة لعلماء الكلام، وفلاسفة الإسلام، الذين حاولوا تعريف الله، باستعمال ألفاظهم الاستدلالية، من الدليل الأنبي، والدليل اللمي، فقالوا في تعريفه ﷺ، واجب الوجود بذاته، واجب الوجود من جميع جهاته، المعلوم الأول واحد وأنه عقل، واجب الوجود انيته ما هيته، الواجب بالذات واجب من

جميع الجهات. وما شابه ذلك من الألفاظ والأدلة الفلسفية والمنطقية النظرية التي صاغوها، ووضعوها بمدركاتهم العقلية، من الموجودات المادية والمجردة، التي لا يعرفون أبعادها وخواصها حسب إقرارهم وأعترافهم، فكانت نتيجة ذلك تعريف رب وإله يختلف عن تعريف الرب الذي يجب أن نعبده وهم يعرفون جيداً قول الإمام علي (عليه السلام): (لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته).

والغريب إننا نرى (انشتاين) المادي حينما وضع نظريته النسبية وقال بالبعد الرابع، ولم يتمكن معظم العلماء من فهم نظريته، رد قائلًا: إن السبب في عدم الفهم هذا هو تركيب وجود الإنسان، لأن الإنسان موجود جسماني ذو أبعاد ثلاثة فلا يمكنه أدراك البعد الرابع، وأعطى مثلاً لذلك فقال: كما أن الموجود المتكون من بعدين (طول وعرض) على السطح المستوي لا يتمكن أن يعرف الحجم المتكون من ثلاثة أبعاد (طول وعرض وعمق)، ولا يعي منه إلا ظله المنعكس على السطح، وهذا الظل لا يمثل الواقع، كذلك الإنسان ذو البعد الثلاثي لا يمكنه معرفة الموجود الذي له أربعة أبعاد، وما يتصوره منه لا يمثل الواقع.

إن مفكري البشر مهما بذلوا من جهد لن يتمكنوا من معرفة حقائق الأشياء بالموازن التي وضعوها هم أنفسهم، فكيف يمكننا معرفة الله بهذه الموازن، والإمام علي (عليه السلام) يقول في معرفة الله: (لا تشبهه صورة، ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج... الخ) وبهذا يريد الإمام (عليه السلام) أن ينسف قاعدة العلة والمعلول وأصل عدم اجتماع النقيضين في الاستدلال على معرفة الله.

وكذلك الحالة في معرفة المعصومين (عليهم السلام)، فحينما يقول الإمام علي

(عليه السلام) لأبي الطفيل: (إن أمرنا صعب مستصعب، لا يعرفه ولا يقربه إلا ثلاثة: ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن نجيب أمتحن الله قلبه للإيمان). ونحن جميعاً ندعي إننا عرفنا ولاة أمرنا وعرفنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام علي وفاطمة وابناءهما المعصومين الأحد عشر، فأما أن نكون نحن في عداد الملك المقرب والنبي المرسل، وهذا كذب محض أو أننا لم نعرف بعد، رسول الله واهل بيته المعصومين، وهذا هو واقع الامر.

الم يفرط بعضنا في الغلو فيهم فيضعهم في موقع الربوبية، وهو يعترف بصحة هذا الحديث الشريف (نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم). وآخرون ينزلون من شأنهم فيضعونهم في مقام الفقهاء أو الأخيار والصلحاء من الناس، هل هذا التفريط في حقهم صحيح؟ ! أم ذاك الإفراط في شأنهم مقبول؟ ! وأين الحد الواقعي في فروعنا الفقهية؟. ويزداد الأمر خطورة عندما نصل إلى معرفة إمام زماننا المهدي المنتظر (عليه السلام) وصلته بنا وموقعه فينا وعلاقتنا به، وهي أمور يجعلها حتى كثير من أهل الفضل والعلم.

لقد لاحظت أحد فضلائنا يعترض في ندوة علمية على كيفية إمكان تصحيح المسار، وتعديل الحكم وتأويل المتشابهات من قبل الإمام الغائب، وهو يعلم جيداً جميع الأحاديث الصحيحة التي وردت عن الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام الصادق (عليه السلام) وعن الحجة بن الحسن (عليه السلام) القائلة: كالانتفاع من الشمس إذا غيبتها (السحاب).

ألم يكن من واجب المتفقه في الدين أن يعلم ويعلم، ويقتنع ويقتنع، ويثبت ويبرهن هذه الحقيقة وهذه الكيفية لباقي العلماء والفضلاء، فضلاً عن العوام حتى يمكنه الاستدلال بالتوقيع المبارك (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا) ليكتسب منه لنفسه ولاية الفتوى وولاية القضاء، قبل أن يبت في معرفة الأحكام واستنباط الفروع الفهية من الكتاب والسنة الشريفة؟

وحتى معرفة القرآن الذي هو الركن الأول من مصادر التشريع. هل أدينا حقه في التفسير والتأويل كما ينبغي ذلك؟ وهل عرفنا السبب في اشتغال الكتاب على الآيات المتشابهة وملاساتها؟.

وعندما قدمت بحثاً عن هذا الموضوع في العدد الرابع من هذه المجلة وأعطيت - بكل تواضع - تصوراً يختلف عما تفضل به شيخ الطائفة العلامة الطباطبائي، لم يُقدّم أحد من الفضلاء والعلماء رداً مختلفاً ولا تأييداً على ذلك البحث، أليس معنى هذا عدم الاهتمام بمثل هذا الموضوع الجوهرى، الذي يغطي الجانب الأساسى من شؤون الحياة المرتبطة بالمتغيرات.

وكذلك الأمر في البحوث الفقهية نفسها، فلا تزال الدراسات والمناقشات والحوار العلمي والفقهى حول المسائل الساخنة ناقصة وأولية كمسائل الفقه السياسى أو الفقه الاقتصادى وغيرها من المسائل المستحدثة التى فرضتها التطورات العلمية والفنية والتقنية فى العصور المتأخرة.

إن عدم وضوح الرؤية وقلة المعرفة فى هذه الأمور الأساسية الجذرية، كل ذلك أدى إلى تشويش الأفكار وانبهار الطبقة المثقفة بالإعلام المزيف الذى حاول أن يصنع من بعض أعلام المغرب عمالقة يُقتدى بهم، مع ضحالة ما عندهم من أفكار، ولكنهم عرفوا حاجة الناس وأسلوب التعامل معهم فخاطبواهم على قدر عقولهم فملكوا قلوبهم.

والآن أعود لأوجه ندائي للمرجع الدينى الكبير الخراسانى ولباقي مراجعنا الكبار وأساتذة الفقه والأصول وأسألهم:

هل يجوز لنا الاعتذار بقلة الزاد أو بعد المنال أو وحشة الطريق؟ ! فإن كان الأمر كذلك، فلمن أنزل الله القرآن؟ ولمن خطب رسول الله ومولى المتقين؟ ولمن قال المعصومون كل هذه الأحاديث؟ هل هي فقط للأحكام الفقهية ومعرفة الحلال والحرام؟

إذا التفقه في الدين كله علم الفقه وليس بعضه كما جاء في المقدمة.
لقد تذكرت قولاً نقله من أثق به. أن أحد الفضلاء سأل أستاذه المرجع الأعلى،
لماذا لم تستمروا في كتابة التفسير الذي باشرتم به مع ما كان فيه من الإبداع؟!
أجابه الأستاذ: انشغالي بتدريس الفقه والأصول. فقال الطالب لأستاذه: ولكن
فلان استمر في التفسير وابدع، وترك أثراً خالداً. فأجاب الأستاذ ولكن الذي تقول
عنه ضحى!!!

أولسنا مطالبين بالتضحية؟! ومن أولى من أعلم العلماء بإعطاء المثل الأعلى
للتضحية؟ وهل مثل هذا الجواب يسقط عنا التكليف أمام الله وأمام العباد؟!

ختاماً ليس لي إلا أن اذكر هاتين الآيتين الكريمتين:

(فذكر إن نفعت الذكرى، سيدكر من يخشى) الأعلى / ٩.

(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات / ٥٥.

صدق الله العلي العظيم.

والحمد لله رب العالمين.

المشرف العام

العدد الرابع

السنة الثانية تشرين الأول - كانون الأول ١٩٩٥
الموافق جمادى الآخرة - شعبان ١٤١٦ هـ

إفتاحية العدد الرابع

السنة الثانية (تشرين الأول - كانون الأول ١٩٩٥ م / جمادى الآخرة - شعبان ١٤١٦ هـ)

تحول عالمنا إلى مسرح لأحداث الحياة الإنسانية، تمثل على ساحته الأدوار المأساوية، والمسرحيات الفكاهية، والأعمال الأكروماتية، والمسلسلات التربوية، والتمثيلات الأخلاقية، وغيرها من شؤون الحياة اليومية، والناس فيه يتوزعون بين متفرج وممثل، والمتفرج إما ساخر منتقد رافض، وإما متعظ مؤيد معتبر. وعلى الخشبة ترى كاتب السيناريو وعامل الماكياج والإنارة والصوت، إلى جانب الممثل والمخرج والمنتج. وفي كل دور من هذه الأدوار يرى الفرد ما لا يراه الآخر، وكل واحد يشعر بشعور لا يشعر به غيره.

فالمتفرج على سباق المصارعة يحض صاحبه في حلبة المصارعة، اصرعه.. خذ برقته.. خذ بكتفه.. وهو لا يعرف ولا يتمكن أن يدرك من أن صاحبه في حلبة المصارعة هو أكثر منه شوقاً إلى الغلبة على خصمه، ولكنه لا يقدر على ذلك، رغم الجهود التي يبذلها بكل طاقاته وإمكاناته.

كانت هذه مقدمة أحببت الإشارة إليها لمعرفة حقيقة ثابتة، وهي أن الناقد لا يجوز له النقد إلا عندما يكون في موقع من ينتقده، والناصح لا يجوز له النصح إلا

إذا مارس وأدرك ظروف وحالة الإنسان الذي ينصحه. فمن أراد أن يكون عادلاً في حكمه وقضائه يجب عليه أن يمر في الظروف نفسها ويعاني الحالات المتناقضة والمتباينة.

لقد منّ الله عليّ في عنفوان شبابي إدراك هذه الحقيقة، وكنت أرغب أن أقدم عطاءً لأمتي مهما كان يسيراً.

فقررت أن أجرب الحالات المختلفة، وأن أضع نفسي في المواضع المتغيرة. وابتدأت بالانتساب إلى الحوزات العلمية الدينية، وباشرت دراسة المقدمات في الوقت الذي لم أترك فيه الدراسة الكلاسيكية في المدارس الحديثة، ومررت بظروف صعبة من الفقر والفاقة، إلى أن منّ الله عليّ بالاستغناء عن الآخرين. وحينما نزلت إلى الحياة العملية اشتغلت كعامل بسيط إلى أن أصبحت رب العمل وصاحب القرار، وحتى الظروف الطبيعية حاولت المرور بها في مناطق تصل حرارتها إلى ٢٥ درجة تحت الصفر، وأماكن وصلت درجة حرارتها إلى ٥٣ درجة فوق الصفر ومارست أعمالاً في صحاري قاحلة ودخلت للعمل في أدغال وغابات أفريقيا واندونيسيا، وأنا أدرس الحالات المختلفة وأتحسس الظروف المتباعدة وأعيش المشاكل المتباينة، واضعاً نصب عيني علامة الاستفهام لكل شيء أفتش عنه، وأحاول الحصول على الجواب المعقول والحل العملي المرضي بعيداً عن التصورات والاحتمالات والفرضيات. وعندما نزلت إلى الساحة العملية لتنفيذ ما أصبوا إليه معتقداً بأن العمل الجماعي خير من العمل الفردي، واتفقت مع بعض الزملاء المتقاربين معي في الرأي وأسست جمعية للعمل الاجتماعي والإنساني ولكن سرعان ما وجدت أن هؤلاء الزملاء يسعى كل منهم للحصول على الوجهة والشهرة ويدأب لأن يكون الرئيس أو الأمين العام قبل أن يفكر في الهدف والنتيجة، فتركت هذا النوع من العمل واخترت العمل الفردي بصمت وهدوء.

ولما كان العمل الخيري يتطلب الدعم المادي، مددت يدي إلى الصلحاء

والأخبار، ولم ألق استجابة حتى من الذين أقسموا عليّ اليمين بمشاركتهم في مثل هذه النشاطات، ففي الشهر الأول أعانوني، وفي الشهر الثاني تملموا في الدفع، وفي الشهر الثالث قطعوا نهائياً، عندها قررت أن أتولى الأمر بنفسني، فأسست شركة اقتصادية أوقفت جميع دخلها على المصاريف الاجتماعية والإسلامية والاقتصادية. وقد أعانني في ذلك بعض إخواني، فكانت النواة الأولى لمسيرة طويلة.

في بداية الستينات حينما أسسنا المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية كانت أمنيتنا القيام بسلسلة من الاتصالات بين المؤسسات والجمعيات الإسلامية في العالم والاستفادة من الإمكانيات الموجودة لصالح الجهات المفتقرة لهذه الإمكانيات، وعندما باشرنا بحملة استطلاعية نستفسر فيها عن الإمكانيات والمعطيات من جهة، وعن الحاجة والافتقار من جهة أخرى، لم ترد علينا الإجابات إلا بالحاجة المتمثلة في ثلاث نقاط هي:

١. الافتقار والحاجة إلى المعارف الإسلامية خاصة باللغات غير العربية والفارسية.

٢. الحاجة إلى الدعاة والمبلغين والمرشدين.

٣. الحاجة إلى الدعم المالي لإقامة المراكز الإسلامية.

وقد باشرنا بتأمين الحاجة الأولى بترجمة بعض الكتيبات والكتب من اللغة العربية إلى الإنكليزية، وبصورة تدريجية إلى اللغات الأخرى، حيث وصلت هذه الترجمة إلى اثنتي عشرة لغة وكنا نطبع منها الآلاف ونوزعها مجاناً على دول العالم حتى وصلت إلى عدة ملايين من الكتب والكتيبات العادية والأكاديمية.

ولكننا لم نوفق في إعداد الدعاة والمبلغين رغم استعداد الجمعيات الإسلامية لإرسال طلاب من بلدانها للتعلم في الدين لعدم سماح الظروف السياسية والعلمية والمذهبية بإقامة صرح علمي أكاديمي مستقل لهذا الغرض في بلداننا الإسلامية.

ولم تكن هذه الخيبة لثني جهدنا عن متابعة المسيرة والسير قدما حتى الوصول إلى النتيجة المطلوبة، فحينما سنحت الفرصة في الدخول إلى العالم الغربي، قررنا خوض السباق التكنولوجي مع الغرب.

فأسسنا الجامعة التكنولوجية العالمية مع منظمة الأونسكو ووجدنا أنفسنا - بعناية الله - قادرين على المنافسة التقنية مع الغرب - وهو صاحب الاختصاص والخبرة الطويلة في هذا المجال، واكتسبنا الخبرة العلمية والعملية في تأسيس الجامعات على أحدث الأساليب المتطورة. وقررنا بعد ذلك تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية والتوفيق بين العمق العلمي الحوزوي الديني وبين سلاسة ودقة الأسلوب التعليمي الحديث لتعليم وتربية الطلاب وتخريج دعاة ومبلغين ومرشدين مؤهلين لسد الحاجة الماسة في الأقطار المختلفة خاصة الأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية، وأقطار الدول الغربية. وكانت النتيجة بشهادة ذوي الاختصاص جيدة جداً وقد ظهرت هذه النتائج على لسان الممتحن الخارجي الدكتور زكي بدوي في حفلة توزيع الشهادات للدفعة الأولى من متخرجي هذه الجامعة في نهاية السنة الدراسية للعام الماضي.

ولم تكن هذه النتيجة هي الغاية والنهية عندنا، لأننا كنا ولا نزال نطمح إلى تصحيح الرؤية العلمية ومعرفة الحقيقة والواقع، وقد لاحظت من خلال دراساتي العلمية وتجاربي العملية التي أشرت إلى شيء منها في مقدمة هذه الافتتاحية وفي سنوات طوال من حياتي المليئة بالمتباينات وجود مفاهيم خاطئة لدى الناس، ولا أقصد بالناس الطبقة الساذجة فقد بل أعني حتى المفكرين والفضلاء والباحثين والعلماء، ولم يكن في مقدوري الإياحة عنها والتصريح بها خوفاً من أن أكون أنا الخاطئ ويكون الآخرون على صواب. وهذا بالإضافة إلى أن خارق الإجماع مرفوض ومردود دائماً ولو كان في كلامه ورأيه على حق. ولكن التحولات الفكرية والعملية التي حدثت في العقود الأخيرة من تاريخنا المعاصر والحقائق التي أثبتت

نفسها بنفسها في معترك الحياة البشرية، أعطتني الشجاعة لأن أعلن على الأشهاد، وفي المؤتمرات الدولية ما لم أجرؤ على الهمس به في آذان الخواص.

ومن جانب آخر، فإن الجامعات تعتبر مراكز أكاديمية لا يجوز احتكارها على رأي واحد، أو تطلع خاص، أو انتساب عقائدي معين، بل الوجدان الإنساني يفرض على الجهاز العلمي فسح المجال للآراء المضادة والأفكار المخالفة دخول هذه الجامعات للنقاش والحوار والنقد والتقييم لمعرفة الرأي الصحيح والمنطق السليم.

لهذا وذاك قررنا إصدار هذه المجلة الأكاديمية الفصلية المحكمة كمبر للحوار وحلبة صراع للأفكار والمعتقدات والآراء. وهذا ما ركزت عليه من أول افتتاحية كتبتها إلى آخر واحدة منها في العدد السابق مروراً بجميع الأعداد حتى عرّفوني بداعية الحوار بين الحضارات، ولكن ومع مزيد الأسف كل الأسف لم يتحقق ما كنت أرجوه وأتمناه. فلم تكن البحوث الواردة للنشر قليلة الأهمية ضعيفة الموضوعية قليلة القيمة، ولكنها لم تكن معالجة لمشاكلنا الراهنة، وصراعاتنا القائمة ومصائبنا الجارية، فالجائع والعطشان يحتاجان إلى الغذاء والماء، وإن قدمت لكل منهما باقة من الأزهار الجمالية أو لوحة زيتية ثمينة، لا يتمكن أن يسد جوعه بهذا ولا يروي عطشه بذلك. وإن كانت باقة الأزهار رائعة في جمالها ورائحتها واللوحة تحفة فنية ذات قيمة عالية.

نحن اليوم أمام تحديات وتحولات جذرية تنهار فيها أنظمة فكرية ونظريات فلسفية غزت العالم بأسره في عصور متمادية، وسيطرت على مقدرات الشعوب عقوداً من الزمن، وحضارات عريقة امتدت جذورها إلى عشرات القرون وغزت العالم حتى تضاءلت أمامها جميع الثقافات، وهي اليوم في دور الأفول وقد تذوب كما يذوب الثلج في الماء الفاتر.

فما هو البديل؟! !!

إن العالم الغربي في الحال الحاضر أشد حاجة من العالم الإسلامي أو العالم الثالث إلى الإنقاذ. ألم يكن من حق الناس على علمائهم ومفكريهم وأكاديميهم، وضع الخطط البديلة وخلق الأنظمة الجديدة التي تجمع بين الأصالة الفكرية والسبل التنفيذية والتطبيقية لخلاص الإنسان.

نحن المسلمين نختلف في تفكيرنا عن العالم الغربي، فرسالتنا لإنقاذ البشرية جمعاء وإن كان الغربي يفكر في نفسه فقط. إن الوعد الإلهي الذي جاء في القرآن الكريم: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» على وشك التحقيق، ونحن نريد إنقاذ عدونا كما نريد إصلاح أنفسنا، ونخالف القتل والتعدي وهتك الحرمات وسفك الدماء. لم يكن لنا إلا هذا البديل نظرحه عبر الحوار والتفاهم وحفظ المصالح المشتركة والوصول إلى الحلول الإيجابية لضمان الحياة السعيدة المرفهة للجميع.

لقد كنت أتمنى وأمل أن تكون هذه المجلة منبراً لهذا الحوار، وأبحاثها تخدم هذه المسيرة، وقد أثبتنا فيما نشرنا فيها من أبحاث أننا ننشر ما كان لنا وما كان علينا، وقد منا الذي كان علينا على الذي كان لنا، وحاولنا في بعض هذه البحوث اعتماد الصراحة التامة وبيان كثير من معتقداتنا التي يتقدوننا عليها. لعل الناقد يتصدى لنا فنحاوره للوصول إلى الحقيقة ولكننا لم نستلم أي شيء من هذا النقد أو التأييد.

كما حاولنا إيصال أعداد هذه المجلة إلى عدد كبير من رجال العلم والفكر والأساتذة والأكاديميين في الجامعات المختلفة من العالم وإلى عناوينهم الخاصة وكذلك إلى المكتبات العامة المهمة لاستفادة القراء ونحن نتحمل الأعباء الباهظة من كلفة الطباعة والنشر والتوزيع دون أن يكون لنا مطعم بكسب مادي أو معنوي ولا طموح سياسي أو طائفي أو حزبي ولا هدف إعلامي أو دعائي، بل كنا نرغب في تقديم خدمة متواضعة للعلم وأهله، ولكننا لم نلمس التجاوب المطلوب من هذا العدد الكبير من الذين أرسلنا إليهم أعداد هذه المجلة وبخلوا علينا ولو بجواب

بسيط لإشعارنا بوصول الأعداد إليهم، وهذا يعني عدم الاهتمام أو عدم الارتياح لهذه المجلة وعندما أرسلنا في السنة الثانية بطاقات مع أعداد المجلة نطلب فيها تأكيد العنوان، دون أن تكلفهم إعادة هذه البطاقة إلينا إلا وضعها في البريد، ومع هذا لم نستلم إلا العدد اليسير من الإجابات.

ألم يكن هذا القصور أو التقصير دليلاً على عدم الاهتمام وعدم الرغبة بالمساهمة في هذا العمل الثقافي، حتى بخطوة واحدة إلى صندوق البريد الذي يكون عادة بمتناول كل إنسان. فكيف لنا أن نتوقع المساهمة من هؤلاء المفكرين والعلماء في النهضة الثقافية والحضارية، لإنقاذ الناس ورفع مستواهم في الحياة، وإرادة الإصلاح مفقودة عند علماء الأمة فكيف نتوقعها من عامة الناس؟

من هذه النتيجة التي توصلنا إليها عرفنا أن الاستمرار في إصدار هذه المجلة الأكاديمية الفصلية أمر لا يجدي نفعاً، إذا قارناه بالجهود المبذولة والكلفة الباهظة التي تنفق عليها، لذا اتخذت الجامعة قراراً بالتوقف عن الصدور آسفة في الحال الحاضر، وبدلاً من ذلك توجيه الجهود إلى مشاريع ثقافية أخرى، ربما تكون أجدي نفعاً وأفضل نتيجة، فعلى الله نتوكل وبه نستعين ومنه نطلب السداد وهو ولي التوفيق.

المشرف العام

التصور الإسلامي للتنوير بين النظرية والتطبيق

بحث قدمه الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني الى مؤتمر الفلاسفة الأفرو - آسيوي الذي انعقد في القاهرة للمدة ٤-٨/١٢/١٩٩٤ . كان من بين المشاركين في مهرجان الغدير في لندن (الدكتور مراد وهبة) وهو رئيس جمعية الفلاسفة الأفرو - آسيويين وبعد إستماعه لكلمة الشهرستاني ومداخلته في الندوة الفنية التي انعقدت في (كولج اوف ارت - لندن) وتأثره بذلك، اخذ الكلمة ودعاه الى حضور هذا المؤتمر المذكور أعلاه.

التصوُّرُ الإسلاميُّ للتنوير بين النظرية والتطبيق (**)

التنوير - كما تعرفه الموسوعة الفلسفية - (١): (اتجاه سياسي اجتماعي حاول ممثلوه أن يصححوا نقائص المجتمع القائم، وأن يغيروا أخلاقياته، وأسلوبه في الحياة، بنشر آراء في الخير والعدالة والمعرفة الاجتماعية).

وهو يرادف الحدائة التي هي على تماس مع العصر. والتي تعني مجمل التفاعلات التراكمية التي يدعم بعضها البعض الآخر لأحداث تحولات كبرى تتخطى الحدود التقليدية.

ولكن التنوير، يقف في الخط المضاد للتعصب الذي هو التزمت والإصرار والالتزام بالرواسب الفكرية التي لقنها السلف للخلف، وكذلك ينحو منحى الصراع مع الأصولية السلفية التي تصر على الالتزام بالأصول، والتعاليم التي أقرها ودونها السلف، في أسلوب الخطاب الأمري.

ومن الطبيعي أن يستمر الصراع والجدال بين هذين الاتجاهين المتضادين.

(**) قدم هذا البحث إلى مؤتمر الفلاسفة الأفرو - آسيوي الذي انعقد في القاهرة من ٤ - ٨/١٢/١٩٩٤

فأتباع مدرسة التنوير، يسفهنون، ويستهزئون بالأصوليين، ويعتبرونهم عاملاً من عوامل تخلف الشعوب ومعاناتها.. والأصوليون السلفيون يكفرون أتباع مدرسة التنوير، ويعتبرونهم زنادقة يستحقون الهلاك.

فأي الفريقين على صواب؟ وأي منهما على ضلال؟ إنه سؤال محرج.. والإجابة عنه تبدو أشد حرجاً.. وربما احتاج الأمر قبل الدخول في هذا السجال تسجيل ملاحظتين اثنتين:

الأولى: ينبغي إعطاء صورة واضحة عن الأصولية ومعناها، فالأصولية في اللغة، تعني الانتماء إلى الأصول، والقواعد الثابتة، ولا يجوز في رأي المتحمسين لها. ردها ونقضها... ولكن الكلام على الأصول التي يرجع إليها ويؤيد هذا الرأي ما قاله ابن رشد في فصل المقال: «إنه من المؤول قد يختلف في تأويله، وذلك بحسب مرتبة كل واحد من معرفة البرهان». واختلاف الرأي في التأويل يسقط حجية القولين وإذا سقطت الحجية، سقط التكليف.

الثانية: إن مفكري التنوير الغربيين مثل فولتير، وروسو، ومونتسكيو، وغوته، وكثيرون غير هؤلاء ركزوا على مصارعة الإيديولوجية الكنسية، والإقطاعية وقد ناضل مفكرو التنوير هؤلاء، بتصميم ليس ضد الكنيسة، فحسب، وإنما ضد المعتقدات الدينية الجامدة أيضاً، وضد مناهج التفكير المدرسية (٢) وأتباع هذه المدرسة الذين لم يوفروا الدين وقيمه، بدءاً بالكنيسة المسيحية التي اتهموها بمسح الأحكام الإلهية لبسط نفوذها على المجتمع إلا أنهم شنوا هجماتهم المتلاحقة، ووجهوا سهام نقدهم إلى الأديان الأخرى على حد سواء.. فجاء عملهم هذا تعبيراً عن ضلالهم، وانحرافهم، وإفراطهم.

وإذ نتجاوز الملاحظات السابقة، نشير إلى أن الأصول عندما تكون مبنية على الدلالة العقلية فلا خلاف على توجهها.. وإذا كانت الأصول مبنية على قواعد هشة لا تمت بصلة إلى العقل والوجدان، كانت أصولية مذمومة مرفوضة.

ومن بين المسلمين أصوليون اعتبروا الأصل الرابع من أصول استنباط الأحكام الشرعية الدلالة العقلية وهؤلاء الأصوليون هم من أتباع مدرسة أهل البيت. ومن بين المسلمين أصوليون سلفيون، لا يحدون عن قول السلف قيد أنملة، ولا يعطون للعقل أي اعتبار، ويسمون بالسلفية.

فهل النظرة الإسلامية الصحيحة، بأصولها الثابتة وقواعدها الأصلية، ومصادرها الموثوقة، وقيمها العقائدية والفكرية داعمة للتنوير أم مخالفة له؟ إن الإجابة عن هذا السؤال هي الجزء الأول من موضوع البحث.. أما الجزء الآخر منه، فهو التطبيق العملي، والممارسات الفعلية للمسلمين في تنفيذ الأحكام والتقاليد الإسلامية.

ولما كانت المصادر الإسلامية الأساسية للفكر الإسلامي، وعقيدته تنحصر في الكتاب والسنة انتخبنا من القرآن الكريم والآية الشريفة: {فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (٣).

في هذه الآية الكريمة تحدُّ كبير وثلاث نقاط أساسية، أما التحدي فهو السماح الذي يسمح به القرآن للمسلم في استماع الأقوال المتضادة والمتعارضة وانتخاب الأفضل والأحسن بنفسه. مع العلم أننا لو استعرضنا مناهج الدعوة لجميع الأديان السماوية الأخرى والمعتقدات والمدارس البشرية الموجودة لا نرى من يسمح بمثل هذا التحرك بين الأقوال بل إن كل حزب بما لديهم فرحون، وكل منهم يدعو الناس إليه ويعتبر نجاته في اتباع عقيدته ورأيه.

أما النقاط الأساسية الثلاث فهي:

الأولى: حصر الهداية في التحري العملي والبحث العقلي بقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ} فمن هذا الوصف نفهم أن من لم يستمع إلى الأقوال المتضادة لم يكن من المهتدين.

الثانية: حصر الإنسانية أيضاً في منهج التحقيق العلمي لأن الآية تقول: {وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} أي أولو العقل، والعقل هو الملكة الإنسانية التي تميز الإنسان عن غيره من الموجودات وقد جاء في الحديث الشريف: «والعقلاء هم أولو الأبواب الذين قال الله عنهم: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ} (٤)».

الثالثة: إن القرآن على يقين بحقانيته وأفضليته بين جميع الأديان والمعتقدات لذا يسمح بالتحري والتحقق العقلي لأنه على يقين من الرجوع إليه في النهاية فمن كان على شك في أفضليته أو غير مطمئن لحقانيته لا يسمح للفرد بالانفلات من يده بل بتثبيت بكل الأساليب لكي يجذب النار إلى قرصه.

وبهذا التحدي والنقاط الثلاث نلاحظ أن هذه الآية الكريمة تجسد أعلى وأرقى صيغة للتحرر الفكري وإعطاء حرية الوقوف على الآراء المتضادة قديمة كانت أم حديثة تقليدية كانت أم تحررية، وبعد النقد والتحليل انتخاب الرأي الأفضل والأمثل للعمل به، وهذا هو المفهوم الواقعي للتنوير، مصداقية وتطبيقاً.

أما القرآن الكريم الذي يُعد ويُعتبر النظام الأساسي للإسلام والمصدر الأول من مصادر التشريع فإنه يعطي أروع منهج للتنوير الذي يصحح نقائص المجتمع القائم وينشر الآراء، مع إعطاء تعاليم وإصدار أحكام وتصحيح سبل المعرفة على ضوء المتغيرات التي تطرأ على الحياة الإنسانية والمجهولات التي تنكشف للبشر وذلك باشتماله على المحكمات والمتشابهات في آياته الكريمة.

فكتاب يشتمل على جميع شؤون الحياة الإنسانية وصلتها بالطبيعة والمخلوقات والكون وجميع النعم المسخرة فيه للإنسان، ويحتوي على النظام الأساسي للإسلام ويكون نافذ المفعول من يوم نزوله إلى قيام يوم القيامة مع جميع متغيرات الحياة الإنسانية ومع جميع التقدم العملي والتقني والتطورات المعرفية والاجتماعية والسياسية كما يعبر عنها القرآن الكريم {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}

(٥) يجب أن يشتمل على ما يلي:

أولاً: يجب أن يكون من المرونة والدقة والشمولية بحيث يتمكن أن يغطي جميع ثوابت الحياة التي لن تتغير في أي زمان ومكان ولن تتأثر بأي عامل من العوامل التقدمية والمستجدة والمحدثة، ويجب أن تكون فيه آيات وتعاليم ومعارف تغطي جميع المتغيرات مع تباينها واختلافها كما يجب أن تكون دلالة هذه الآيات وألفاظها بصورة يفهمها الإنسان البدائي والبسيط مع معارفه الضحلة عند نزول القرآن ويقبلها العالم والعبقري والمثقف الذي مرت عليه قرون من تاريخ النزول وعاش التغيرات المختلفة والتطورات المتقدمة ونظريات الثورات العلمية وهو الآن في زمن يختلف اختلافاً جذرياً عن زمن البعثة في نمط الحياة وكيفية التفكير واستغلال الطبيعة من مواردها إلى طاقاتها.

فهل القرآن كذلك؟!؟

نعم. قال الله تبارك وتعالى في محكم آيات كتابه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} (٦).

أولاً: إن الآيات المحكمة التي في القرآن هي التي تغطي الثوابت في الحياة فهي واضحة جلية يفهمها كل من يحسن اللغة العربية ومفاهيم الألفاظ. والآيات المتشابهة هي التي تغطي المتغيرات في الحياة الإنسانية، وألفاظها تعطي أكثر من مفهوم واحد يجعل القارئ والمستمع يحتمل احتمالات مختلفة في مقصود الله من هذا اللفظ فلذا يُمنع العمل بها قبل الرجوع إلى الراسخون في العلم الذين هم مفوضون بالتأويل بموجب هذه الآية. والسبب في هذا المنع محاولة منع كل من في قلبه زيغ وغرض ومصصلحة

خاصة لتأويل هذا المتشابه حسب هواه ابتغاء للفتنة(*) .

ثانياً: يجب أن يكون الراسخ في العلم من العلماء الذين يعرفون دقائق الأحكام والألفاظ والمفوضين من قبل الله بصلاحيه التأويل لأن معرفة المقصود الواقعي للكلمة لا يعلمه إلا القائل به أو الذي يفوضه القائل بالنقل عنه. وفي غير هذه الصورة فكل من ادعى العلم يعطي لنفسه صلاحية تأويل المتشابه وبيان المقصود من اللفظ كما توصل إليه في تحقيقه وتحليله العقلي، ولما كان العقل ملكة إنسانية يُميز بها الصحيح عن الخطأ ومرجع هذا التمييز الوجدانيات والمعلومات الإلهية المكتسبة - عند الإلهي - والوجدانيات زائداً المعلومات البشرية المكتسبة - عند الفيلسوف - لذا لا يجوز أن يكون التأويل من صلاحية كل عالم عقلاني إلا من يرجع منهم إلى المعلومات الإلهية (المستقاة من الله) وهذا يعني أن الرجوع إلى العقل لوحده باطل أيضاً كما أن الجموح عنه مذموم مرفوض.

ثالثاً: إن الله تعالى عرّف (حسب قاعدة اللطف) هؤلاء الراسخون في العلم، عرّفهم عن طريق رسول الله في الحديث الشريف: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» (٧) فالعتره الذين عرفهم بأسمائهم هم الذين لهم صلاحية التأويل فقط دون غيرهم. وفي هذا نختلف بعض الشيء مع ابن رشد وجمهور من علماء المسلمين إذ يعتبر ابن رشد أن الراسخين في العلم هم أهل البرهان والعلم و(قد وصفهم الله بأنهم المؤمنون به) (٨) وهذا يتعارض مع ما قاله ابن رشد نفسه في (أن من المؤول قد يختلفون في تأويله..) وقلنا أن مثل هذا التأويل يسقط التكليف وهو نقض الغرض. أما الجمهور من الفقهاء فيعتمدون على ابن عباس في قوله: (وأنا من

(*) لمزيد من التفصيل تراجع مجلة الجامعة الإسلامية - العدد الرابع لقراءة بحث: السبب في اشتغال القرآن الكريم على التشابهات وكتاب المدخل إلى علم الفقه - باب مصادر الأحكام الشرعية وطريق استنباطها.

الراسخين)(٩) وهذا يتعارض مع متن الآية {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}.

رابعاً: إذا أراد القرآن أن يكون نافذ المفعول إلى قيام يوم القيامة فلا بد وأن يكون مع القرآن مؤول إلى تاريخ صلاحته وفي حال غياب هذا المؤول عن الأنظار يفتح الإسلام يفتح الإسلام باب الاجتهاد لاستنباط الأحكام حسب مقتضيات الأصول العقلية والمصالح المرسله وفي نطاق الثوابت القطعية وبتغيرات كل عصر وزمان وهو كذلك وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

فلا أروع من هذا النظام والأسلوب العقلاني التجديدي التنويري الذي يشتمل على جميع القيم والحقائق الثابتة ويغطي جميع متغيرات الحياة في عصور مختلفة وثقافات متباينة وحضارات متكاملة في الوقت الذي لا يترك مجالاً للأهواء والأغراض الخاصة أو العلم الناقص المحدود أو المراتب المتفاوتة في معرفة البرهان لإسقاط حجبة الحكم وتسرب الشك إلى النظام الأساسي الذي يجب العمل به. هذا هو القرآن المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي.

أما إصرار الإسلام على تفعيل دور العقل في التفكير والتحقيق والتفتح والتنوير فهو دور أساسي يؤكد عليه القرآن في مئات من الآيات الكريمة مما لا مجال للتخلي عنها أو عدم الاكتراث بها ناهيك عن تحريم محاربهه أو تكفير أسلوبه.

أما السنة النبوية الشريفة وأحاديث الرسول ﷺ والأئمة المعصومين في دعم العقل والأمر بالاستفادة منه لمعرفة الخير والصلاح وتجنب الشر والضلال. فهي تشغل الحيز الكبير من كتب الصحاح والسيرة والحديث وقد خصصت لها أبواب مستقلة لكثرتها وأهميتها بحيث لا يمكن الشك فيها ولا التردد في صحتها فإن جرحنا في رآو من رواة بعضها لا يمكن عدم توثيق جميعهم، وإن أعطينا أوجه احتمالات لبعضها لا يمكن غض النظر عن محكمات وصرحة معظمها.

ومن أجل المثال نستشهد بأحد من هذه الآيات والأحاديث.

قال الله تبارك وتعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (١٠) {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} (١١) {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} (١٢) {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمَمُ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} (١٣) {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...} (١٤).

كما جاء في الحديث الشريف: «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» (١٥) «إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهاوا به حتى تنظروا كيف عقله» (١٦) «إن أول الأمور ومبداها وقوتها وعمارتها التي لا يتنفع شيء إلا به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم فالعقل عرف العباد خالقهم... وعرفوا به الحسن من القبح وأن الظلمة في الجهل وأن النور في العلم، فهذا ما دلهم عليه العقل» (١٧) «ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة» (١٨).

فهل يمكن بعد هذا التركيز على دور العقل والإصرار على التفكير تجاهل الدور العقلاني في العقيدة الإسلامية وتناسي حث الإسلام على النظر في جميع الموجودات لمعرفة كيفية تسخير نعم الكون وإصلاح نقائص المعرفة والعلم في سبيل تغيير أسلوب حياة الناس ونقلهم من الحسن إلى الأحسن.

كما يعد القياس عند أهل السنة والجماعة وبالذات عند الحنفية، والدلالة العقلية أو الأصول العقلية عند الإمامية من الشيعة المصدر الرابع من مصادر استنباط الأحكام الشرعية عند غياب النص في القرآن والسنة وعدم وجود الإجماع ونحن وإن كان لنا قول حول القياس الشرعي الذي يجوز أن يكون فقط في منصوص العلة وفي غير ذلك لا يجوز لعدم تمكننا من الوقوف على العلة التامة حسب الموازين

العقلية والنقلية، ولكن في القياس العقلي لا نختلف مع الآخرين لأنه هو المبنى للقياس الشرعي كما بينه ابن رشد في فصل المقال.

فإذا كان الأصل الرابع من أصول استنباط الأحكام الشرعية عند من يعمل بالقياس وعند من يعمل بالدلالة العقلية مرجعه إلى العقل نتمكن أن نعرف كم تتجلى صورة التنوير في الأحكام الإسلامية.

أما الأسلوب الخطابي الذي يسلكه القرآن في دعوة الناس إلى التبعّد والإيمان والتصديق بما أنزل الله مع عدم المطالبة بالدليل العقلي أو البرهان الحسي، كما جاء في الآيات الكريمة {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} {١٩}، {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} {٢٠}، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} {٢١}، {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} {٢٢} فهو مرتكز على الأدلة العقلية أيضاً، ولإثبات وصحة ولزوم الاستفادة من المنهج الخطابي التعبدي في الحياة يُستدل بثلاثة أدلة:

الأول: عدم تمكن الإنسان من الوقوف على جميع العلل والأسباب خاصة العلة التامة.

الثاني: ضياع وقت كبير من وقت الإنسان حتى الوصول إلى معرفة الدليل والافتناع به وهو تلف للحياة.

الثالث: عدم معرفة التكليف في الحياة من سن البلوغ والرشد إلى يوم الوقوف على الدليل للعمل به.

وبما أن الإنسان من يوم بلوغه سن الرشد بحاجة إلى منهج استقلالي للحياة لذا وضع الله البرنامج الخطابي التعبدي ليسير المكلف عليه ويعمل به مع التوصية في

البحث والتحقيق للوصول إلى الدليل الذي يعطي المكلف ارتياحاً أكثر وقناعة أفضل بما يعمل عليه. وفي هذا يقول ابن رشد (وكان الناس كلهم ليس في طباعهم أن يقبلوا البراهين ولا الأقاويل الجدلية فضلاً عن البرهانية مع ما في تعلم الأقاويل البرهان مع العسر والحاجة في ذلك إلى أطول الزمان لمن هو أهل لتعلمها وكان الشرع إنما مقصوده تعليم الجميع وجب أن يكون الشرع يشتمل على جميع طرق التصديق وأنحاء طرق التصور)(٢٣).

هذا هو المنهج التنويري للإسلام الذي يصح نقائص المجتمع القائم في كل عصر ودور، الصورة مستمرة بنشر آراء في الخير والعدالة والمعرفة الاجتماعية في إطار الثوابت الموجودة حتى لا يكون فيه الزلل والانحراف كما يؤكد الإسلام في منهجه المعرفي الاطلاع على جميع الآراء الداعمة والمخالفة. وبالفعل فالفقيه المسلم يجب عليه أن يطلع على المذاهب الفلسفية جميعها ويحللها وينقدها ويدافع عن الصحيح منها ويرد الباطل منها بخلاف ما يتصوره الغربيون وما يُنسب إليهم من الرجعية والقشرية والتعصب والجمود، والمثال على ذلك منهج كلية الشريعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن) فبالإضافة إلى عرض وتحليل الآراء الفلسفية والعقلية في دروس العقائد والمنطق وأصول البحث وأصول الفقه وعلم الكلام هنالك درس خاص يشتمل على مائة وعشرين محاضرة عن المذاهب الفلسفية من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الحديثة الوضعية والنقدية الجديدة وفلسفة العلوم مروراً بجميع الأدوار الفلسفية للإصلاح الديني والمذهب الإنساني وفلاسفة عصر النهضة واللاهوتيين والإباحيين والموسوعيين ومذهب الشوء والارتقاء وغيرها من المذاهب الفلسفية.

ولكنني أتساءل هل كان فلاسفة التنوير كفرانسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) وجان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) وشارل دي مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) وغوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) هل كانوا يعرفون شيئاً عن المنهج التنويري الإسلامي

أو عن أصول استنباط الأحكام الشرعية أو حتى عن المبادئ الفلسفية الإسلامية بالنسبة للشؤون المختلفة للحياة؟ وهل درسوا شيئاً عن آراء الشيخ الطوسي (٢٤) أو العلامة الحلي (٢٥) أو أي واحد من كبار علماء أصول الفقه الذي كانوا قبلهم، نعم يقول الدكتور أبو ريان في كتابه (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام): «لا شك أم محاولة الفيلسوف اليهودي باروخ اسبينوزا في التوفيق بين الفلسفة والدين وتأويل النصوص الدينية لكي تلتهي مع دواعي النظر العقلي لا سيما في مقاله (في اللاهوت والسياسة) إنما ترجع في جملتها إلى مجهود ابن رشد وأثره في هذا المجال» (٢٦).

والحقيقة أن الذي نُقل وتُرجم عن ابن رشد شيء يسير مما عند الفقهاء الأصوليين العقليين المسلمين فإذا كان هذا اليسير قد أثر هذا التأثير على الفلسفة الغربية ألم يكن بالحريّ على الغرب وفلاسفة التنوير بالذات وأتباعهم أن يُعيروا أهمية لدراسة المباني العقلية في أصول الفقه الإسلامي.

وها هنا يطرح السؤال الحرج بعلامة استفهام كبيرة:

إذا كانت النظرة الواقعية للإسلام بالنسبة للتعقل والتنوير، بهذا الوضوح والجلاء فلماذا يقف الأصوليون المسلمون بكامل عددهم وعتادهم أمام حركة التنوير ويحاربون الحركات التقدمية والتحررية بهذه الصورة البشعة من الحرق والدمار والقتل والاعتقال؟!!

الجواب: من مهازل البشرية أن نرى كل قوم وكل طائفة من الطوائف البشرية تتظلل بقيم ومبادئ وتدعي تقديسها وأتباعها، ولكن بالفعل تمارس غيرها وتطبق عكسها. فلا اليهود جميعاً يعملون بتوراة موسى ولا المسيحيون جميعاً يلتزمون بإنجيل عيسى، ولا الاشتراكيون يطبقون تعاليم ومبادئ كارل ماركس ولا الشيوعيون في حياتهم التزموا الفلسفة الماركسية وحتى الأمم والحكومات فلا الدول العظمى تلتزم بقرارات هيئة الأمم المتحدة ولا الدول القوية تطبق قرارات

مجلس الأمن وحتى الدول الصغيرة الديكتاتورية لا تعترف عملياً بحقوق الإنسان التي وقعتها وتعهدت بتنفيذها. ألم تكن هذه كلها من مهازل البشرية؟! من هذا الواقع يجب أن نعرف الجواب على هذا السؤال الحرج المطروح.

والمشكلة من الناس والعذاب والشقاء على الناس. آه آه من الناس أنفسهم فمن خدعهم وأغواهم تبعوه ومن استغلهم وأثار عواطفهم لئيه فالأكثرية الساحقة همج رعاع يتبعون كل ناعق ويلبون دعوة كل من أثار أحاسيسهم وهيج مشاعرهم فمن كان أقدر على تسخير الحُمقاء كان بين الناس أكبر شأنًا وأصدق قبلاً ومن أخلص لهم ودعاهم للخير والصلاح بمنطق عقلي سليم نبذوه وطرده واتهموه وسخروا منه لأن الناس يميلون إلى عواطفهم قبل أن يميلوا إلى عقولهم ويستمعون إلى الكذاب اللبق أكثر مما يعيرون أذنًا صاغية الفطن الصامت.

هذه هي المشكلة الكبرى والناس فيما قلناه سيان لا فرق فيهم بين ملة كافرة وأخرى مسلمة أو ملتزمة وأخرى سائبة، منتسب لهذه الملة أو تابع لتلك الأمة، شمالي أو جنوبي، عربي أو عجمي.

هذا الواقع أو هذه الحقيقة هي التي دعت إلى أن يكون إطلاق الشعار جذاباً رائعاً والتطبيق قاتماً موحشاً، وهذا هو سبب اختلاف القيم عن الممارسات والنظرية عن التطبيق.

أما المسلمون فهم في تطبيق الشريعة على ثلاثة أصناف، كما قال عنهم ابن رشد في فصل المقال (إن طباع الناس متفاضلة في التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالأقوال الجدلية تصديق صاحب البرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ومنهم من يصدق بالأقوال الخطائية كتصديق صاحب البرهان بالأقوال البرهانية) فالصنف الأول هم أهل العلم والتقوى والدليل والبرهان والصدق والإخلاص ينظرون فيما أمر الله به من حلال وحرام، يستنبطون الأحكام من مصادرها الأساسية الصحيحة ويعملون بها، فمنهم مجتهد وصل في العلم إلى

صلاحية الاستنباط ومنهم مقلد يتبع أعلم المجتهدين ويعمل بفتواه وقد وصفهم الإمام العسكري (عليه السلام) (٢٧) في حديثه المشهور «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لمولاه فللعوام أن يقلدوه» (٢٨) وهؤلاء هم أهل البرهان الذين أشار إليهم ابن رشد، منهجهم التنوير وإتباع العقل إلى الحد الذي يسمح به العقل نفسه والتصديق بأوامر الله ونواهيه في نطاق الكتاب والسنة، وابن رشد أحد هذا الصنف من المسلمين وكثيرون من أهل العلم والفضل من الأصوليين العقليين مثله في عصرنا الحاضر.

والصنف الثاني: أناس نبذوا الأدلة العقلية والمنهج الفكري و(مالوا إلى العلوم الإلهامية) بدل العلوم المكتسبة وهم الذين يقول عنهم ابن رشد (ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك) (٢٩) فهؤلاء القوم حينما ضاعوا بين الأدلة العقلية والأقوال التأويلية والآراء المتباينة ولم يتمكنوا من الوصول إلى القناعة واليقين بالمعارف المكتسبة البشرية قرروا الوقوف عند حد التعبد والتسليم والإيمان بالقدر والقضاء واعتبروا هذا منهج الصالحاء والعرفاء واختار بعضهم التصوف كمنهج سلوكي للنجاة في الدارين.

ولكننا نخالف ابن رشد في قوله (إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك) نعم ربما كان البعض منهم لضعفه الفكري وعدم كفاءته البرهانية توقف عند هذا الحد ولكن بين أتباع هذا المذهب علماء يتمتعون بمقدرة علمية برهانية عالية كأبي حامد الغزالي فالغزالي إن قال في كتابه إحياء العلوم (أن أهل التصوف مالوا إلى العلوم الإلهامية) (٣٠) لأن الفلاسفة لم يتمكنوا من الوصول إلى حقائق الأشياء وهذا كلام ابن سينا في التعليقات (أن الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص والأعراض) (٣١) ولما لم يكن الوقوف على حقائق الأشياء من قدرة البشر إذ لا بد من الاتجاه إلى العلوم الإلهامية، وهذا ما وضحنه في بحث مصادر المعرفة في دروس نظرية المعرفة (وأثبتنا كيف أن العقل

الذي هو ملكة إنسانية يُميّز به الخطأ عن الصواب والحق عن الباطل يجب أن يرجع إلى الوجدانيات والمعارف الإلهية المكتسبة (٣٢).

وعلى الإجمال فهذا الصنف من المسلمين التابعين والمتبوعين يخالفون الفلسفة والحكمة والتنوير ويستظلون بالآية الكريمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (٣٣).

أما الصنف الثالث: فهم قوم ضلوا وأضلوا، فيهم جلاء بسطاء سدج ومنهم علماء وأفاضل يعرفون الحق والصواب ولكن زلوا عن الطريق وغلبت عليهم شهوة المال أو الجاه أو الشهرة فادعوا أن الإصلاح في التزمت والدعوة إلى الأصولية السلفية فكفروا الباقين وطعنوا في علم الآخرين واجتهاداتهم وفتاواهم بحجة المنع من إدخال البدعة في الدين واستغلوا جهل الناس وأحاسيسهم وإيمانهم الفطري الذاتي فأغووهم وأضلوهم عن الطريق والناس كما قلنا معظمهم همج رعاع يتبعون كل ناعق يميلون إلى العواطف قبل الاحتكام إلى العقل وينساقون وراء الميول قبل التفكير في عواقب الأمور خاصة إذا كان المتبوع قديراً في بيانه عارفاً في كيفية تحريك الأحاسيس وإثارة العواطف مدعوماً بسياسة ومال ترى الناس يتسابقون في التضحية له بأنفسهم وبأموالهم وخير ما يملكون.

هؤلاء هم التابعون، والمتبوعون يدعون إلى الأصولية السلفية ويستظلون باسم الإسلام ويتسترون بستار القرآن لتشويه سمعته ولمسح مبادئه وتعاليمه. هم أعداء التنوير بل أعداء المدرسة العقلانية الإسلامية والمآسي من هؤلاء والمعاناة من هذا النمط الفكري.

هذه نبذة عن التصور الإسلامي للتنوير - بين النظرية والتطبيق - ولدعم ما ذكرناه نعطي بعض الأمثلة عن علماء وفقهاء التنوير الإسلاميين في العصر الحديث الذين دعوا للإصلاح والتنوير ووقفوا أمام عواصف الجهل والضلال وضحوا بأنفسهم

وكيانهم من أجل إعلاء كلمة الحق، ونبندئ بجمال الدين الأفغاني (٣٤) والذي رأى الإصلاح السياسي مقدمة ضرورية للإصلاح في جوانب المجتمع الأخرى ثقافية كانت أم دينية أم اقتصادية وذلك لأنه لا يمكن - برأيه - نقل الأمة الإسلامية من شكل الحكم الفردي الاستبدادي الموروث إلى الحكم الدستوري المقيد بقوانين ومجالس إلا بتغيير النظام السياسي للحكم.

كما دعا إلى إطلاق العقل من أساره والانفتاح على علوم العصر وفتح باب الاجتهاد ورفض ما درج عليه أهل الجمود من مجرد حفظ المتون وترديدها. ويقول في هذا الصدد «الإنسان من أكبر أسرار الطبيعة وسوف يصل بالعلم وبإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصوراته فيرى ما كان من التصورات مستحيلاً قد صار ممكناً، وما صوره جمود وتوقف عقله عنده بأنه خيال قد أصبح حقيقة» هذا بالإضافة إلى انفتاحه على الحضارة الحديثة والاستفادة من جوانبها الإيجابية.

واستمر على نهج الأفغاني تلميذه الشيخ محمد عبده (٣٦) الذي عارض تيار الجمود وشارك في مجلة العروة الوثقى المجلة التحررية الفكرية والذي حاول أن يعطي عن طريقها مكانة بارزة للعقل خاصة في فهم حقائق الدين، يقول في هذا الصدد (يجب تحرير الفكر من قيد التقليد... والنظر إلى العقل باعتباره قوة من أفضل القوى الإنسانية بل هي أفضلها على الحقيقة) (٣٧).

وكانت للشيخ مشاريع هامة في إصلاح المؤسسات الدينية والاجتماعية المختلفة مثل القضاء والأوقاف ومناهج الدراسة في الأزهر، كما كتب مشروع إصلاح التربية في مصر ولائحة إصلاح التعليم العثماني وساهم في التدريس في دار العلوم التي أسست في القرن التاسع عشر لتكون مدرسة جامعة بين علوم الدين وعلوم الدنيا.

وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس (٣٨) من دعاة الإصلاح الإسلاميين البارزين في الجزائر إذ كان المشروع الفرنسي للاستعمار في الجزائر يتجاوز

مجرد السيطرة السياسية والعسكرية ونهب الخيرات والثروات، إلى محاولة تغيير هويتها الدينية والثقافية بفرض اللغة الفرنسية والقضاء على اللغة العربية كمقدمة للقضاء على الإسلام، لذا فقد اتخذ الشيخ منهجاً إصلاحياً يتمثل في إعداد الجيل المؤهل للمقاومة إعداداً وتربوياً صحيحاً، فأنشأ المدارس التي تعلم اللغة العربية والقرآن وعلوم الدين، كما أسس مع نفر من أصحابه (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وإصدار عدة صحف يوصل فيها رسالته إلى الناس.

وفي لبنان كان من بين الفقهاء المصلحين الذين قادوا النهضة الإسلامية الحديثة السيد عبد الحسين شرف الدين (٣٩) الذي تمكن بمناهجه التنويرية والثقافية في لبنان والعالم الإسلامي أن يغير كثيراً من المعالم والأساليب القديمة فأسس المدرسة الجعفرية الحديثة للجميع بين الثقافة القديمة والحديثة وفي مجال الإصلاح الاجتماعي أسس جمعية البر والإحسان ونادي الإمام الصادق ليكون معقلاً للشباب المسلم وبكتابه وكتبه وأسلوبه الشيق أثار حفيظة التحرر السلوكي في نفوس الشباب المسلم مع الالتزام بالقيم الثابتة. وبزيارته لمصر ومحاولته التقريب بين المذاهب الإسلامية وبمراجعتة مع المفتي سليم البشري أحدث تحولاً فكرياً في المجتمع الإسلامي.

وفي العراق كان للسيد هبة الدين الشهرستاني (٤٠) دور كبير في النهضة الفكرية والإصلاحية للشعب العربي والإسلامي ففضلاً عن كونه أحد أقطاب ثورة العشرين يعتبر المجدد الفكري للثقافة الإسلامية الحديثة لقد كان أول وزير للمعارف عند تأسيس الحكومة العراقية وقد وضع أول برنامج ثقافي للمدارس والمعاهد العراقية يجمع فيها بين الدراسات الحديثة والدراسات الإسلامية المعمقة وأسس أول جامعة في العراق سماها بجامعة أهل البيت للدراسات الجامعية والدراسات العليا وكتب لها منهجاً ثرياً سماه بـ (المعارف العالية) وفيها تكلم عن الذرة وتركيبها والعلامة الشهرستاني أول من أثبت موارد الوفاق بين العلوم لتجريبية من جهة

وبين الكتاب والسنة من جهة أخرى وبين كيف أن الإسلام تكلم عن جميع هذه الاكتشافات الحديثة، في كتبه (الهيئة والإسلام) و(المعجزة الخالدة) و(الدلائل والمسائل) وعشرات من الكتب التنويرية الأخرى، وفي العشرينات كان يصدر مجلة العلم التي تعتبر من المجلات العلمية الحديثة الرائدة في حينه، وفي مجال حركة الإصلاح السياسي والاجتماعي لعب دوراً هاماً في القضية الفلسطينية مع الشيخ أمجد الزهاوي وسمعته مراراً يقول (تحقق السعادة البشرية عندما تزول الألوان من على الخرائط السياسية للعالم) فقد كان من رواد الحوار بين الثقافات والعمل على توحيد الشعوب.

كما كان للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(٤١) دور كبير أيضاً في الحركة الفكرية الإسلامية إذ وقف وقفة مدوية في مؤتمر إنقاذ فلسطين سنة ١٩٣١ بخطبته الغراء التي كان لها صدى كبير في العالم الإسلامي وبالتعاون مع المفتي الحسيني لعب دوراً مهماً في القضية الفلسطينية كما كان لكتابه (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)(٤٢) الذي أعطى فيه منهجاً فكرياً للتسليح الأخلاقي والتنوير الاجتماعي، ردود فعل مدوية في الأوساط الإسلامية والغربية.

وفي العقود الأخيرة كان الشهيد الصدر(٤٣) بطل الساحة في التنوير الفكري الإسلامي والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فبكتبه القيمة وإثرائه المكتبة الإسلامية بمنهج تحرري جديد لعب دوراً هاماً في توعية الجيل الإسلامي الناهض وكتابه (فلسفتنا) أعطى الخط الفلسفي المعتدل المقبول أمام سائر المذاهب الفلسفية الإفراطية والتفريطية وكتبه (اقتصادنا) رسم منهجاً اقتصادياً إسلامياً يتطابق تماماً مع متغيرات الحياة في إطار مدروس قابل للتطبيق الفعلي في معظم المجالات الاقتصادية والممارسات التطبيقية وكتبه (البنك اللاربوي في الإسلام) قدم نموذجاً تطبيقياً للنظام المالي العالمي وكتبه (الأسس المنطقية للاستقرار) أثبت عدم حجية المنهج الاستقرائي المادي التجريبي إلا إذا كان مطابقاً للتشريع الإلهي.

وهكذا نرى كثيراً من الفقهاء والعلماء المسلمين كانوا من قادة التنوير الفكري السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم وقد لاقوا الأمرين من طواغيت عصورهم وحكام بلدانهم من جهة ومن جهة أخرى من متحجري الأدمغة وجهلاء قومهم وكانوا جميعاً ضحية الدعوة إلى المنهج القرآني الصحيح، فمنهم من قتل ومنهم من نفي ومنهم من سجن ومنهم من أسأوا إلى سمعته وطعنوا في علمه ودينه ولكن صاحب الرسالة يأبى إلا أن يتم رسالته فأما الحياة بتطبيق حقيقة الدين أو الموت بكرامة.

و خلاصة البحث أن الإسلام بكتابه وسنة نبيه، يدعو إلى التحرر الفكري ويعتبر العقل ملكة يميّز به بين الحق والباطل في نطاق الوجدانيات والمعارف الإلهية المكتسبة ويتوقف عند الحد الذي يحكم العقل بالوقوف عنده في الأمور التعبدية. كما وضع الإسلام بقرآنه وبتركيب آياته المحكمة والمتشابهة نظاماً يلائم كل عصر وكل ثقافة وكل تحرر وتغيير. ولذا كان معجزة خالدة يغطي الضروريات ويمنع دخول الأهواء والأغراض الفردية من النفاذ إلى الأحكام والتعاليم. وحتى لا يكون هذا الادعاء مجرد استدلال فلسفي أو عرض لقيم المعروف طوباوية أعطينا بعض الأسئلة اليسيرة للفقهاء الذين لمع نجمهم في برامج الإصلاح والتجديد فضلاً عن الذين نهجوا نفس النهج في الصمت والكتمان.

أما النعرات والدعوات إلى الأصولية السلفية ومحاربة التنوير فما هي إلا حركات فردية دواعيها معلومة ودوافعها واضحة وإن تظلمت بظلال الإسلام ولكنها في الحقيقة لا تمت لتعاليم الإسلام الأساسية بصلة أو علاقة، شأنها شأن باقي الحركات العالمية المسعورة التي غزت العالم وحصدت الأرواح البريئة باسم الإصلاح والإنقاذ عاقبتها الخسران.

وفي النهاية أحب أن أوجه نداء إلى رجال العلم وأصحاب القرار الأكاديمي والسياسي خاصة إلى المعنيين من رجال الفكر والسياسة، بأن الخلاص من هذه

الصراعات والنعرات لا يتم إلا بالحوار المخلص بعيداً عن الأهواء والأغراض والرواسب والانتسابات بصراحة تامة وصدق ومثانة - والدية على العاقلة - لأن الحوار بين الأقطاب المتباينة ووجهات النظر المختلفة، ظاهرة حضارية ولأن رجال الفكر أقدر من غيرهم على إدارة مثل هذا الحوار.

أملنا أن يرى اقتراحنا هذا النور عما قريب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١. م. روزنتال ب. بودين الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كريم ص ١٥٤.
٢. ن. م. ص ١٤٦.
٣. سورة الزمر، الآية ١٧-١٨.
٤. الكليني أصول الكافي ج ١ كتاب العقل ص ٣١ (مع الترجمة الإنجليزية) انتشارات WOFIS.
٥. سورة الأنعام، الآية ٥٩.
٦. سورة آل عمران، الآية ٦.
٧. الترمذي ١٣-١٩٩ باب مناقب أهل بيت النبي في كنز العمال ١-٤٨.
٨. ابن رشد فصل المقال ص ٤٠ تقديم وتعليق الدكتور أبو عمران والشيخ أحمد جلول بدوي.
٩. محمد حسين الطباطبائي تفسير الميزان ج ٣٠ ص ٤٤.
١٠. سورة الأعراف، الآية ١٨٥.
١١. سورة العنكبوت، الآية ٤٣.
١٢. سورة آل عمران، الآية ١٩١.
١٣. سورة الأنفال، الآية ٢٢.
١٤. سورة البقرة، الآية ١٦٤.
١٥. الكليني أصول الكافي ج ١ كتاب العقل ص ٢٦ (مع الترجمة الإنجليزية) انتشارات WOFIS.
١٦. ن. م. ص ٦٣.
١٧. ن. م. ص ٦٧.
١٨. ن. م. ص ٤١.
١٩. سورة البقرة، الآيتان ٢ و ٣.
٢٠. سورة البقرة، الآية ١٢١.
٢١. سورة آل عمران، الآية ١٧٩.
٢٢. سورة الملك، الآية ١٢.
٢٣. ابن رشد فصل المقال عليه السلام ٢٣.
٢٤. الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بـ (شيخ الطائفة) والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

٢٥. جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي الحلبي والملقب بـ (العلامة الحلبي) والمتوفى سنة ٧٢٦هـ.
٢٦. ابن رشد فصل المقال ص ٣٣.
٢٧. الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت المعصومين.
٢٨. الطبري الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٣.
٢٩. ابن رشد فصل المقال ص ٣٣.
٣٠. صدر المتألهين (ملا صدرا) شرح أصول الكافي ص ٤٤٧ نقلاً عن الغزالي في إحياء العلوم.
٣١. صدر المتألهين الأسفار السفر الأول ص ٣٩١ (نقلاً عن تعليقات الشيخ الرئيس).
٣٢. د. محمد علي الشهرستاني من دروس أصول البحث السنة الرابعة في كلية الشريعة.
٣٣. سورة المائدة، الآية ١٠٥.
٣٤. جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨ - ١٨٩٧ فيلسوف ومفكر إسلامي.
٣٥. د. محمد عمارة جمال الدين الأفغاني ص ٢٧٠.
٣٦. الشيخ محمد عبده ١٨٤٩ - ١٩٠٥ من علماء وفقهاء المسلمين ومفتي الديار المصرية ١٨٩٩.
٣٧. د. محمد عمارة الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ص ١٤٥.
٣٨. الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٧ - ١٩٤٠) من علماء ورجال الفكر والإصلاح المسلمين الجزائريين.
٣٩. السيد عبد الحسين شرف الدين (١٨٧٠ - ١٩٥٧) من كبار علماء وفقهاء المسلمين الإمامية.
٤٠. السيد هبة الدين الشهرستاني (١٨٧٨ - ١٩٦٣) من كبار فقهاء وفلاسفة المسلمين الإمامية.
٤١. كتاب الهيئة والإسلام كتاب يثبت تطابق النظريات الفلكية الحديثة مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ترجم إلى لغات متعددة.
٤٢. كتاب المعجزة الخالدة كتاب يثبت إعجاز القرآن وكيف أن آياته تتطابق مع جميع متغيرات العلوم والثقافات.
٤٣. الدلائل والمسائل مجموعة من الرسائل التي تحيب على الشبهات والمسائل الدينية.

مداخلة

وفي أحد الاجتماعات المسائية للمؤتمر وبحضور جميع الأعضاء وعدد كبير من الأساتذة والطلاب الجامعيين، قدم السيد سنك صاحب المذهب الفلسفي الغاندي بحثاً حول المعوقات في تأخر الشعوب وتعدّد أصحاب المعتقدات الدينية في آرائهم وعدّ المذهب الأصولي هو العائق الأول في تأخر الشعوب وعدم السماح لها في الاطلاع على الآراء والمعتقدات الأخرى، وعند تقديم البحث اتجهت الأنظار الي بصفتي ممثلاً للمذهب الأصولي، وبعد إكمالي البحث توجهت الي رئيس اللجنة وكان هذا رئيس اللجنة العالمية للفلاسفة العالميين وطلبت منه أن يأذن لي بالكلام فاستجاب الي ذلك فقلت:

إن القرآن وهو أعلى دستور وأهم نظام لمن يعتقد بالمذهب الأصولي يقول بصراحة (فبشر عباد اللذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الألباب) وفي هذا وضوح تام أن اللذين يشملهم الهداية هم من أهل التحقيق والبحث وهم اللذين يقبل معتقدهم وهم من أهل البصيرة والهداية، وهذا في الدستور الأساسي لمن يعتقد بالمذهب الأصولي والمؤتمرون الآن يمثلون جميع العقائد والأديان السماوية والبشرية وإني بهذا اتحدى الجميع إذا تمكن أحد منكم أن يدلي بدلوه وينقل لي عبارة من دستوره الأساسي يعطي الحرية التامة لصاحب المعتقد بالتحري عن الحقيقة وثم إعتقاد الأفضل والأحسن، وقد بيّنت الآية الصريحة في القرآن الكريم لكيفية إنتخاب الرأي الصحيح والمعتقد المقبول.

فقام أحد القسيسين وهو يمثل المذهب الدومينكاني وقال: (نحن كذلك نعتقد بهذا الاعتقاد) فتوجهت الي رئيس الجلسة وقلت: (إنني قدمت الدليل من قانوني الأساسي فإذا كان للأخ دليل من قانونه الأساسي وكتابه المقدس وهو الأنجيل الذي يعمل به فليقدم دليله، فتوجه رئيس الجلسة الي القسيس وقال له: (هذا

صحيح تماماً فاذا كان لديك دليل فأدلي بدلوك) ولكن القسيس ماطل وتهرب ولم أرد الأستمرار في هذا البحث ولكن بعد إنتهاء الجلسة ذهبت الى القسيس وقلت له بصورة خاصة ألم يقدم (البابا) سنوياً أسماء كتب يحرم على المسيحيين قراءتها وفي مقدمتها القرآن الكريم، فأصبح يتهرب ويقول هذا قديم وليس في الحال الحاضر.

ولأن هذه المداخلة وفي مؤتمر كهذا يحضره كبار الفلاسفة العالميين وهم يمثلون العقائد الفلسفية البشرية والسماوية الإلهية المختلفة، تحد في مثل هذا المكان وله اثر كبير وإثبات عظيم لحرية البحث والأديان والعقائد عند الإسلام وعدم قبوله من قبل اي صاحب مذهب أو معتقد كان بشري أم سماوي، لذا رأيت نقل المداخلة للبحث العلمي.

السبب في اشتمال القرآن على المتشابهات

بحث نشره الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني - الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في (مجلة الجامعة الإسلامية) العدد الرابع السنة الأولى، تشرين الأول - كانون الأول ١٩٩٤

السبب في اشتمال القرآن على المتشابهات

إن اشتمال القرآن الكريم على المتشابهات، لتمحيص القلوب في التصديق به، فإنه لو كان كل ما ورد في القرآن معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى ورسله. هذا الشرح الدقيق، والتفسير للمتشابهات في القرآن الكريم قدمه العلامة الطباطبائي.

ورغم وقوع المتغيرات بين عصر وعصر، فإن في القرآن الكريم ثوابت لا تتغير ولا تتبدل.. وقسم منه مطاوع يحتاج إلى بيان المقصود منه في كل زمان ليلائم المتغيرات والتحويلات.

قال الشيخ الطوسي في التبيان (إن الله تعالى إنما خلق عباده تعريضاً لثوابه وكلفهم لينالوا أعلى المراتب وأشرفها ولو كان القرآن كله محكماً لا يحتمل التأويل ولا يمكن فيه الاختلاف لسقطت المحنة وبطل التفاضل وتساوت المنازل ولم تُبن منزلة العلماء من غيرهم. وأنزل الله القرآن بعضه متشابهاً ليعمل أهل العقل أفكارهم ويتوصلوا بتكليف المشاق والنظر والاستدلال إلى فهم المراد فيستحقوا به عظيم المنزلة وعالي المرتبة)(١).

وقال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان في البحث عن المحكم والمتشابه وتحت عنوان (ما هو السبب في اشتمال الكتاب على المتشابه).

(ومن الاعتراضات التي أوردت في القرآن الكريم الاعتراض باشماله على المتشابهات وهو أنكم تدعون أن تكاليف الخلق إلى يوم القيامة فيه، وأنه قول فصل يميز بين الحق والباطل، ثم إنا نراه يتمسك به كل صاحب مذهب من المذاهب المختلفة بين المسلمين لإثبات مذهبه، وليس ذلك إلا لوقوع التشابه في آياته. أفليس لو أنه جعله جلياً نقياً عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى الغرض المطلوب، وأقطع لمادة الخلاف والزيغ؟)(٢).

ثم يستطرد ويتفضل قائلاً: (وأجيب عنه بوجوه ومن الجواب بعضها ظاهر السخافة كالجواب بأن وجود المتشابهات يوجب صعوبة تحصيل الحق ومشقة البحث وذلك موجب لمزيد الأجر والثواب وكالجواب بأنه لو لم يشتمل إلا على صريح القول في مذهب لنفّر ذلك سائر أرباب المذاهب فلم ينظروا فيه، لكنه لوجود التشابه فيه أطمعهم في النظر فيه وكان في ذلك رجاء أن يظفروا بالحق فيؤمنوا به! وكالجواب بأن اشماله على المتشابه أوجب الاستعانة بدلالة العقل، وفي ذلك خروج عن ظلمة التقليد ودخول في ضوء النظر والاجتهاد). إلى أن يقول: (فهذه أجوبة سخيفة ظاهرة السخافة بأدنى نظر، والذي يستحق الإيراد والبحث من الأجوبة وجوه ثلاثة:

الأول: أن اشمال القرآن الكريم على المتشابهات لتمحيص القلوب في التصديق به، فإنه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله.

وفيه - هكذا يستمر العلامة الطباطبائي في كلامه - أن الخضوع هو نوع انفعال وتأثر من الضعيف في مقابل القوي، والإنسان إنما يخضع لما يدرك عظمته أو لما لا يدركه لعظمته. وبهوره الإدراك كقدرة الله غير المتناهية وعظمته غير المتناهية وسائر صفاته التي إذا واجهها العقل رجع القهقري

لعجزه عن الإحاطة بها. وأما الأمور التي لا ينالها العقل لكنه يغتر ويغادر باعتقاده أنه يدركها فما معنى خضوعه له؟ كالأيات المتشابهات التي يتشابه أمرها على العقل فيحسب أنه يعقلها وهو لا يعقل.

الثاني: إن اشتماله على المتشابه إنما هو لحث العقل على البحث والتنقيب، لئلا يموت بإهماله بإلقاء الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر. فإن العقل أعز القوى الإنسانية التي يجب تربيتها بتربية الإنسان.

وفيه: إن الله تبارك وتعالى أمر الناس بإعمال العقل والفكر في الآيات الأفاقية والأنفسية إجمالاً في موارد من كلامه، وتفصيلاً في موارد أخرى كخلق السموات والأرض والجبال والشجر والدواب والإنسان واختلاف ألسته وألوانه، وندب إلى التعقل والتفكر والسير في الأرض والنظر في أحوال الماضين وحرص على العقل والفكر ومدح العلم بأبلغ المدح وفي ذلك غنى عن البحث في أمور ليست إلا مزلق للأقدام ومصارع للأفهام.

الثالث: إن الأنبياء بعثوا إلى الناس وفيهم العامة والخاصة، والذكي والبلبد والعالم والجاهل، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه الجميع على السواء، والحري في أمثال هذه المعاني أن تلقي بحيث يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية والتعريض ويؤمر العامة فيها بالتسليم وتفويض الأمر إلى الله تعالى. كان هذا من كلام العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان.

أما الآن فلنستعرض كلام شيخنا الطوسي وسيدنا الطباطبائي لنرى هل أن الأدلة التي تفضلا بها واردة مقبولة أم لا، ولا أعلم هل يجوز لمثلي أن يتكلم أمام هذين العالمين الشامخين أم لا يجوز، ولكن فليكن من قبيل كلام النمل أمام سليمان عليه السلام. قال شيخنا الطوسي (أعلى الله مقامه) - وأنزل الله القرآن بعضه متشابهاً ليعمل أهل العقل أفكارهم ويتوصلوا بتكليف المشاق والنظر والاستدلال إلى فهم المراد.

وقال سيدنا الطباطبائي - إن اشتماله على المتشابه إنما هو لبعث العقل على البحث والتنقيب لثلا يموت باهماله بإلقاء الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر - كلا، العالمان يعتبران سبب اشتمال الكتاب على المتشابه هو بعث العقل على البحث وإعمال الفكر للتوصل إلى المراد من المتشابه.

وهذا تماماً يخالف قوله تعالى في النهي عن إتباع المتشابهات بقوله {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} (٣) وكذلك مخالف لصراحة آخر الآية: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}، والتأويل هو فهم المراد. وهذه الصلاحية منحصرة برسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المعصومين بموجب اعتقاد عامة المسلمين وإتباع مدرسة أهل البيت خاصة وبموجب اعتقاد العالمين المذكورين نفسيهما. إذاً لا يجوز أن يكون سبب اشتمال الكتاب على المتشابه هو بعث عقول الناس وإعمال أفكارهم للتوصل إلى المراد من المتشابهات.

كما إن الإمام الصادق عليه السلام يقول: (فأما المحكم فتؤمن به وتعمل به وتدين، وأما المتشابه فتؤمن به ولا تعمل به) (٤) وهو قول الله عز وجل: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}. فالإمام عليه السلام يمنع في هذا الحديث العمل بالمتشابه أي التحري العقلي فيه، منعاً باتاً بل يقول، تؤمن به، أي تصدقه وتقبله تعبداً. أما معرفة المراد منه فهو منحصر بالله وبالراسخين في العلم.

أما إن كان المقصود في بعث العقل على البحث وإعمال الفكر للتوصل إلى المراد، هو التحري في الأحاديث والروايات، للإطلاع على معرفة مقصود الله عز وجل من الآيات المتشابهة. فإن هذا العمل لم يكن إعمال العقل والفكر بل هو مجرد تفتيش وتنقيب وتحري ولا علاقة له (بموت العقل وبإهمال).

أما الدليل الأول الذي تفضل به العلامة الطباطبائي وهو (إن اشتمال القرآن الكريم على المتشابهات لتمحيص القلوب في التصديق به، فإنه لو كان كل ما ورد

في الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى ورسوله).

وهذا الكلام هو شرح دقيق لمعنى الإيمان والتعبد أي إن المتشابهات جاءت في القرآن الكريم لمعرفة مدى انصياع الناس إلى قبول الآيات المتشابهة وإيمانهم وتصديقهم تعبداً لقول الله تبارك وتعالى.

ولكن المتشابهات هي الآيات التي يحتمل فيها وجهان من المراد أو أكثر من ذلك وأن وجهاً واحداً من هذين الوجهين أو الأوجه. هو المراد والباقي لم يكن المراد منه.

بينما التعبد هو قبول شيء لا يتمكن الإنسان من معرفة علته وسببه فيقبله إيماناً واعتقاداً منه بصاحب الأمر والنهي. فلو كان (معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند أحد لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى ورسوله) كما عبر عنه العلامة الطباطبائي. إذاً الآيات المتشابهة لا علاقة لها إطلاقاً بموضوع التعبد، والقبول بدون قيد وشرط. كما أن المتشابهات لا يعرف المراد منها، بينما التعبد يُعرف المراد منه الكلام والأمر والنهي ولكن لم يُعلم السبب والدليل لهذا الأمر والنهي.

مثال: من الآيات المتشابهة المتفق عليها الآية الكريمة: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٥).

إذا كان السبب الأول الذي بينه العلامة الطباطبائي وورد منه. فمعناه أن المكلف الجاهل أو البسيط حينما يسمع هذه الآية عليه أن يصدق بأن الرحمن جالس على العرش ولو لم يعرف كيفية ذلك. بينما التشابه في هذه الآية هو معرفة المقصود من هذا الاستواء هل هو الجلوس أم السيطرة والقدرة والهيمنة.

والمثال الثاني نعطيه لآية تعبدية وهو قوله تبارك وتعالى {حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} (٦)

وهو أمر وجوبي للزوجة المطلقة ثلاثاً إذا أراد زوجها الزواج منها مرة أخرى،

فمن الواجب أن تنكح زوجاً آخر كما هو معروف في المسائل الفقهية.

هذا أمر صعب القبول لدى عامة الناس، وما دام المشرع لم يبين العلة الحكيمة فالسبب غير واضح حتى للعالم والمفتي إنما هو أمر الله ويجب أن يطاع إيماناً وتعبداً. فهل تتمكن أن نقول أن هذه الآية من المتشابهات؟ كلا ثم كلا فهي من المحكمات وجلية في الوضوح.

أما السبب الثالث الذي بينه العلامة الطباطبائي فهو مزيج من السبب الأول والثاني. وبما أننا ناقشنا السببين فلا حاجة للاستطراد. ولو سلمنا جدلاً من أن سبب اشتغال الكتاب على المتشابهات هو إثارة العقل والفكر عند العلماء والمفكرين وأصحاب الكفاءة في التحقيق وامتحان لإيمان البسطاء والمستضعفين من أجل معرفة درجة الخضوع لأمر الله.

هناك آيات محكمة كثيرة تحرك وتشجع الناس على تمرين العقل والاستفادة منه للوصول إلى الكمال الإنساني نظائر الآيات التالية ولم تعد من المتشابهات.

١. {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحَ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٧).

٢. {وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٨).

٣. {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٩).

٤. {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (١٠).

كما توجد نماذج من الآيات المحكمة التي تؤكد التزام التعبد وتمتحن قلوب المستضعفين والمجتهدين لمعرفة مدى خضوعهم لأمر الله كآيات التالية:

١. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} (١١).

٢. {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١٢).

٣. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (١٣).

٤. {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} (١٤).

فلا حاجة إذاً لوجود المتشابهات لتحريك العقل وإثارة الفكر عند ذوي الاستعداد أو لامتحان إيمان البسطاء والمستضعفين، خاصة وإن المتشابهات تعطي الفرصة للذين في قلوبهم زيغ للاستفادة منها لبث الفتنة والفساد، وتأويله حسب آرائهم وأغراضهم وأهوائهم وهذا أمر خطير. ولو لم تقتض الضرورة لما كان من الحكمة وجودها في القرآن الكريم.

بل لا بد وأن السبب في اشتغال الكتاب على المتشابهات أهم بكثير مما ذكره بعض المفسرين ومما بينه بعض العلماء الأعلام طيَّب الله ثراهم.

الثابت والمتغير:

لقد اتفقت الخاصة والعامة على أن القرآن دستور ابدي ومعجزة خالدة إلى يوم

القيامة وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة. كما ثبت بالاستدلال العقلي في مقدمة أبحاث هذا المدخل، إن الله تبارك وتعالى أسبغ نعمه على البشر وبين لهم كيفية الاستفادة من هذه النعم بالشرائع السماوية التي تنتهي بالشريعة الإسلامية، والتي قوانينها وأنظمتها في القرآن الكريم. وعلمنا أن القوانين والأنظمة عبارة عن بيان الصلات والعلاقات بين ذات الأشياء وخواصها. فإذا كانت الصلات والعلاقات أو الذوات والخواص ثابتة تكون القوانين ثابتة وإذا كانت متغيرة يجب أن تكون القوانين متغيرة أيضاً. وبما أننا نرى كثيراً مما في الكون متغيراً ومنذ ألف وأربعمائة سنة إلى يومنا هذا حدث تحول كبير في معالم الحياة، فكيف يمكن أن يكون القانون الثابت أو الكتاب الثابت قابلاً لإعطاء قوانين الحياة في هذا العالم المتغير إلى يوم القيامة؟

الجواب:

لو استعرضنا علمنا ومعرفتنا لما في الكون من ذوات وصفات نجد بعضها ثابتاً وبعضها متغير. ومثال على ذلك لو جمعنا اثنين إلى اثنين تكون النتيجة أربعة ولا يمكن أن تكون أكثر ولا أقل.

- اجتماع الليل والنهار محال لا يمكن أن يتغير.
 - دفع الضرر عن النفس فطري لا يمكن أن يتغير.
 - إشغال المادة حيزاً من المكان شيء لا يمكن أن يتغير.
 - الحرارة ملازمة للنار ذاتية لا يمكن أن تتغير.
 - الظلم وقتل النفس وأخذ مال اليتيم كل ذلك قبيح لا يمكن أن يتغير.
- كل هذه الأمور من علاقات وصفات وذوات ثابتة لن تتغير مهما تمادت الأيام وتغيرت الأحوال والأزمنة والأمكنة وغيرها.
- وهناك أمور وخواص وعلاقات وحتى ذوات متغيرة علمنا بها وفهمنا لها

واستفادتنا منها تتغير بتقدم العلم وبتغير الأحوال وباكتشاف المكونات. ومثال لذلك: علمنا بحركة الأرض، قوانين الجاذبية، والحركة، تأثيرات الماء والهواء والحرارة وغيرها من الأجسام. هذه علوم ومعارف عن بعض الذوات والخواص الثابتة والتي كانت إما خاطئة كالاعتقاد بثبات الأرض وحركة الأفلاك، وبعضها لم تكن معروفة عرفها الإنسان فيما بعد كالجاذبية والذرة والكهرباء وغيرها. فذوات وخواص هذه الأشياء ثابتة ولكن العلم بها أو العلم بعلاقاتها متغير حيث تغيرت بمرور الأزمان من جراء تقدم العلم والاكتشافات.

ومن الذوات أمور متغيرة عرفها الإنسان كاستحالة الميتة إلى الملح أو تحول الخمر إلى الخل وما شابه ذلك. ومنها ما لم يعرفها الإنسان عند نزول القرآن وعرفها فيما بعد فسخرها لصلاحه وفائدته مثل انتقال الوقود إلى طاقة حرارية، أو تغير الأمواج المغناطيسية إلى طاقة كهربائية أو استبدال كثير من المواد الأولية إلى عناصر كيميائية وعقاقير طبية. ومنها ذوات ثابتة ولكن خواصها وتأثيراتها لم تكن معلومة فاكتشفها الإنسان وأصبحت تأثيرات هذه الخواص متغيرة، فاخترع الإنسان من هذه الخواص اختراعات جمّة كالاستفادة من تأثير الهواء على أجنحة الطائرة لرفعها في الجو أو تأثير البخار على حركة العجلة أو تأثير الأمواج الإلكترونية ومغناطيسية على نقل الأمواج الصوتية وغيرها فهي ذوات ثابتة ولكن الاستفادة من تأثيراتها وخواصها متغيرة، تغيرت هذه الاستفادة بتقدم العلم والتكنولوجيا.

هذه نماذج من المتغيرات التي يشعر بها الإنسان فقد كان قديماً يسافر على البغال والحمير من مكان لمكان فأصبح ينتقل بالعربة وثم بالقطار وثم بالسيارة واليوم بالطائرة والصواريخ.

وكانت اتصالاته بالرسالة وثم التلغراف وثم التليفون وثم الراديو وثم التلكس واليوم بالفاكس. وكان يضيء بيته بمصابيح الزيت وثم الفانوس وبعده بالمصباح

الكهربائي واليوم بالفروست. نعم هذه متغيرات كما فصلناها وتلك ثوابت على ما بينها.

إذا ما في هذا الكون شيء منه ثابت لن يتغير وجزء آخر منه متغير يتغير بمرور الأزمان وبتقدم العلم وباكتشاف الإنسان لما هو مكنون في الذات أو الخواص. ولذلك فمن الطبيعي أن يكون القانون الموضوع قبل الله للاستفادة مما سخره للإنسان في هذا الكون، جزءاً منه ثابتاً لن يتغير، وقسم منه مطاوع يحتاج إلى بيان المقصود منه في كل زمان ليلائم المتغيرات والمستحدثات.

وهذا هو إعجاز القرآن الكريم. فهو قانون أبدي إلى يوم القيامة يجب أن يغطي الثابت والمتغير لذا ((منه آيات محكمات هن أم الكتاب)) لتغطية الثوابت ((وآخر متشابهات)) لتغطية المتغيرات.

ولكن خوفاً من التلاعب في المتشابهات أي عدم بيان المقصود الواقعي في كل زمان ومكان مُنع العمل بالمتشابهات منعاً باتاً قبل الرجوع إلى الراسخين في العلم الذين ينحصرون انحصاراً تاماً بالنبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﺘﺎﻟﻴﻦ ﺍﻟﻤﻮﺟﺐ ﺍﻟﺘﻔﻮﻳﺾ ﺍﻟﺬﻯ فوضه الله إذ قال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (١٥). والرسول ﷺ أعلن صلاحية التأويل للأئمة المعصومين من آله في الحديث المتواتر المجمع عليه من قبل الصحابة وأئمة المذاهب الإسلامية وهو حديث الثقلين (إني مخلف فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

ومعنى هذا أن أهل بيت رسول الله ﷺ المعصومين هم عدل القرآن ولن يفترقا حتى يردا الحوض. وهذا أمر طبيعي جداً فلو لم يكن هناك مسؤول للمتشابهات لم تتم الهداية القرآنية بل إلقاء الناس في الضلال (والعياذ بالله).

لذا يجب أن يكون الإمام حياً موجوداً مسؤولاً عن تأويل المتشابه إلى الأجل المعلوم. وقد قال شيخنا الطوسي: (لأنه لا يجوز أن يأمر بالتمسك بما لا تقدر التمسك به) (١٦).

وبهذه الصورة يكون القرآن إلى جانب العترة نظاماً متكاملأ لجميع شؤون الحياة الإنسانية من يوم نزوله على صاحب الرسالة وإلى قيام يوم القيامة مع جميع المتغيرات التي تحدث في عالم التكوين في مستجدات مادية وتحولات سياسية واجتماعية وإنسانية، والله العالم.

الهوامش

- ١ - الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - التبيان في تفسير القرآن المقدمة - ص ١١، طبع بيروت.
- ٢ - السيد محمد حسين الطباطبائي - تفسير الميزان - ج ٣ ص ٥٦.
- ٣ - سورة آل عمران، الآية: ٧.
- ٤ - محمد بن مسعود السمرقندي المعروف بالعيشي - كتاب التفسير - ج ١ ص ١٦٣، طبع إيران.
- ٥ - سورة طه، الآية: ٥.
- ٦ - سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.
- ٧ - سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
- ٨ - سورة النحل، الآية: ١٢.
- ٩ - سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
- ١٠ - سورة الجاثية، الآية: ٣-٥.
- ١١ - سورة النساء، الآية: ٤٧.
- ١٢ - سورة التغابن، الآية: ٨.
- ١٣ - سورة النساء، الآية: ١٧٠.
- ١٤ - سورة الأحقاف، الآية: ٣١.
- ١٥ - سورة النجم، الآية: ٣-٤.
- ١٦ - الشيخ الطوسي - التبيان - (مقدمة المؤلف) ص ٤، طبع بيروت، دار إحياء التراث العربي.

التعليم الإجمالي والتعليم الاختياري

المداخلة التي قدمها الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني (رئيس مجلس أمناء الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) في ندوة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية حول التعلم والتعليم الذي انعقد في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية سنة ١٩٩٤ في لندن

التعليم الإجمالي والتعليم الاختياري

إن البحث، في القضايا العملية والفلسفية يستلزم التحرك من الكلي إلى الجزئي أو من الجزئي إلى الكلي مروراً بجميع مراحل الاستدلال العقلي والمنطقي لمن أراد أن يعرف الواقع ولمن أراد أن يصل مع الطرف المحاور إلى نتيجة مقبولة وفي غير هذه الصورة لو فرض الباحث فرضاً مسلماً قطعياً في نظره، وبنى عليه استدلاله وكان الطرف المحاور لا يعترف بصحة هذا الفرض تكون جميع المبراني الاستدلالية التي بنى عليها الباحث استدلاله، باطلة وغير مقبولة في نظر المحاور الآخر.

ونحن الآن نبحث في قضية كلية جوهرية، واسعة الأطراف متشعبة الجوانب. وهي قضية التعليم والتعلم. وأمامنا أصل متفق عليه، ومشكلة حسية وجدانية نقبلها ونقر بها جميعاً وهي ضحالة المعلومات العلمية أو الفنية، الأدبية والاجتماعية، الفلسفية أو الدينية عند متخرجي المدرستين القديمة والحديثة.

فهاهم المتخرجون من الحوزات العلمية العريقة والمدارس والجامعات الدينية الأصولية منهم من لم يتمكن من حل شبهة عقائدية تدور في مخيلة إنسان عامي ضعيف، ولم يقدر على حل معضلة اجتماعية مستفحلة، وجل دراساتهم مركزة

على العلوم الإنسانية والعقائدية والفقهية، وإن انتقدهم أحد كفروه، وإن واجههم إنسان صفعوه.

وهاهم خربجوا المعاهد العالية وحملة الشهادات الجامعية الراقية من ليسانس إلى ماجستير ودكتوراه في العلوم التقنية والفنية والطبية والاقتصادية وما شابهها، يتخرج بعضهم ولا ضير إن قلنا معظمهم، حاملاً شهادته وهو صفر اليدين علمياً بل فارغ الدماغ فكرياً كأن الذي طبع على دماغه في سنوات الدراسة تبخر بعد الامتحان وعند أخذ الشهادة، فهو يدخل معترك الحياة ولا يعرف شيئاً حتى تمر عليه سنوات التجربة في مجال عمله وأختصاصه، وإن اعترض صاحب العمل على كفاءته وضعفه، تفاخر الخريج بشهادته ودرجته العلمية.

فيا ترى ماهي العلة لهذا الضعف وهذه الضحالة، هل النقص في العلم والمعرفة أم النقص في التعليم والتعلم أم في المعلم والمتعلم؟ فلنرجع القهقري ولنرَ هل العلة تكمن في أسلوب التعليم أم في مضمون العلم ومواضيعه؟ وهل أن واضع المنهج العلمي عرف المصدر الذي يجب أن يأخذ منه مفردات منهجه؟

وهل أن المنتخب لأسلوب التعليم، عرف المباني التي يجب أن ينتخب على أساسها الأسلوب التعليمي؟

وكلاهما هل يعلمان قبل كل ذلك ما هي الدوافع والأهداف للتعلم من أجل التمكن من صياغة البرامج والمناهج للوصول إلى الهدف؟

هذه نقاط جوهرية في أصول البحث. لذا يجب علينا أن نبتدئ من نقطة الصفر ومن الأصل المشترك الذي يتفق عليه جميع أصحاب الرأي والحوار ومنه ننطلق.

لا شك في ان الأصل الأول الذي يجب الانطلاق منه هو (الدافع والهدف من التعلم) ولكن حتى في هذا الأصل الأول خلافات في الرأي وفي وجهات النظر.

• فمنهم من يعتقد بأن التعليم ليس إلا لإشباع الغريزة الإنسانية في حب الاستطلاع.

• والآخر يقول: العلم للعلم والهدف من التعلم هو كسب اللذات عند معرفة الأشياء وحل المعضلات ويستشهد برأي القائل (أين الملوك وأبناء الملوك من هذه اللذات؟).

• والثالث يقول تعلم العلم من أجل السير في مراحل الكمال الإنساني لرفع منزلة المتعلم بين الأقران وبين الناس.

• ومنهم من يعتقد أن الهدف من التعلم معرفة السبل العامة لتسخير النعم الموجودة في الكون لصالح الإنسان والتسلح بالمعرفة لدفع الضرر والآفات في هذه الحياة.

• ولا يفوتنا من يعتبر التعلم وسيلة للعيش والكسب والارتزاق وبالنتيجة الحصول على الشهادة.

وهذه الاعتقادات والاعتبارات جميعها تحتم علينا قبل الانتقال الى الأصل الثاني من الموضوع البحث والحوار في هذه الأهداف والاتفاق على هدف واحد، وبعد ذلك الانتقال إلى الأصل الذي يلي الدوافع والأهداف وإذا أجتزنا مرحلة الدوافع والأهداف، نرى أنفسنا أمام سؤال أساسي (ماذا يجب أن نتعلم؟) فإذا لم يتعين العلم الذي يجب أن نتعلمه كيف يمكن وضع المنهج له!!

• فهل العلم الذي يجب تعلمه هو (العلوم الإنسانية) أي ما يتعلق بالإنسان من تركيبه ووجوده وحاجاته ومشاكله إلى صلاته والعلاقات التي بينه وبين نفسه ومجتمعه.

• أم (العلوم الطبيعية والتجريبية) وما يتعلق بالكون والطبيعة وكيفية تسخير عناصرها والتغلب على آفاتها.

• أم (علوم الدين والميتافيزيقا - ما وراء الطبيعة) وما يشتمل على معرفة الله وصفاته وعلاقة الإنسان به والانصياع لأوامره ونواهي.

• أم جميع هذه العلوم.

- وبعد الإتفاق على العلم الذي يجب أن تتعلمه يأتي دور مصادر التعلم، فمن أي مصدر نأخذ هذه العلوم ونضع مناهج دراستها والبحث فيها.
- من المناهج التي وضعها الفلاسفة لنا والمبتنية على البحث العلمي والتجري العقلي النظري والحسي.
- أم من التجارب الحسية المختبرية.
- أم من الله والشرائع السماوية.

كل هذه الصور والتقسيمات لها روادها ومدارسها وعلمائها ورجالها. وبعد هذا كله يأتي دور طرق التعليم وأساليبه التي تتركز إرتكازاً جذرياً على القسم الأول الذي يتعلق بالمضمون والقيمة.

وهذه الندوة وإن كان من أهدافها التركيز على هذا القسم بالذات أي طرق التعليم القديمة والحديثة والمقارنة بينهما لأنتخاب الأفضل مضموناً ومادةً وفائدةً وطريقاً واسلوباً. ولكني أعتقد أن المدرستين القديمة والحديثة لم تتمكننا من حل مشكلة التعلم والتعليم. الدليل على ذلك والنتائج الحاصلة التي أشرنا إليها وهي ضعف المتخرجين من المدرستين القديمة والحديثة وهو ما يتفق عليه الجميع.

ولكن هل هذا يعني الوقوف مكتوفي الأيدي نستعرض المشكلة ولا نتمكن أن نعطي الحل؟! كلا إن الحل لهذه المشكلة حسب اعتقادي يكمن في تشكيل لجنة من اصحاب الرأي والأختصاص وممن يمثلون المدارس المختلفة والتيارات الفكرية المتباينة لدراسة مسائل الخلاف بنبدأ بنبدأ من فصل الآراء المطروحة وثم الاتفاق عليها وصياغة منهج كامل للدراسة في المرحلة الضرورية والإلزامية للتعليم. مع تقديم دراسة كاملة للبحوث التي أدت إلى صياغة هذا المنهج. والجامعة العالمية للعلوم الإسلامية مستعدة لتبني هذا المشروع إذا تجاوب الأخصائيون المعنيون معها في البحث والحوار.

وبما أن الخوض في تفاصيل هذا البحث يستلزم وقتاً طويلاً جداً وهو خارج عن

نطاق هذه الندوة لذا اود أن اركز في حديثي وبحثي المختصر هذا على ما اشرت إليه من التعليم الإلزامي الضروري لكل إنسان والتعليم الاختياري.

هنالك مدرستان اساسيتان في العالم ترجع إليهما المناهج والدراسات:

المدرسة الأولى: مدرسة الإنسان وهي المدرسة التي تتمثل بالعقل الإنساني والوجود الإنساني والترشحات والإفرازات الصادرة منها وتسمى بمدرسة القوانين الوضعية.

والمدرسة الثانية: هي مدرسة الآلهي وهي المدرسة التي تتمثل بالشرائع السماوية أو المنتسبة إلى الله. وتسمى بالمدرسة الدينية.

ولكل من هاتين المدرستين برامج لشؤون الحياة الإنسانية في جميع متطلباتها المادية والمعنوية.

والإنسان هو الكائن الحي الذي يعيش في هذا الكون من يوم ولادته إلى يوم وفاته، ولا يتمكن إطلاقاً أن يجرد نفسه عن هذا العالم من خيره أو شره. إذاً لا بد له أن يعرف ويتعلم ما يجلب الخير له وما يدفع الشر عنه.

وهذا الإنسان يمر بمرحلتين اساسيتين في حياته مرحلة من الولادة إلى سن الرشد ومرحلة من سن الرشد إلى الوفاة. المرحلة الأولى يكون الإنسان فيها مسيراً غير مخير يسيره أبواه وله ولي أمر يُرشدُه ويقرر بالنيابة عنه والمرحلة الثانية مخير له استقلاله الذاتي وعليه التبعات وله الخيرات مسؤول، ملتزم، مكلف، محاسب. وبناء على ذلك فهو بحاجة إلى التعليم والتعلم في مرحلتين: مرحلة قبل سن الرشد ومرحلة بعد سن الرشد.

ولكن المناهج القديمة والحديثة تقسم الدراسة إلى ثلاثة مراحل فالقديمة تقسمها إلى الدراسة في المكاتب (ويبتدئ من تعلم القراءة والكتابة إلى ختم القرآن) والمقدمات (وتبتدئ من ألف باء الصرف والنحو وتنتهي بالسطوح) والمرحلة الثالثة الدراسات العلمية (وتنقسم إلى السطوح والسطوح العالية و ثم درس الخارج).

أما المنهج الحديث فيقسم مراحل التعليم إلى ابتدائية وثم متوسطة أو إعدادية وثانوية والمرحلة الأخيرة الدراسات الجامعية التي تدرج في مستوى الليسانس والماجستير إلى الدكتوراه فالمنهج القديم والحديث من حيث مراحل الدراسة متشابهان إلى حد كبير جداً.

وحتى من حيث الخصائص هنالك اشتراك. ففي المرحلة الأولى الارتكاز على (الحفظ والتلقين) وفي المرحلة الثانية التأكيد على (الإجمال والتفصيل) والمرحلة الثالثة الاستفادة من منهج (الشك واليقين).

ولكني لا أرى الصحة والسلامة في هذا التقسيم فكما أشرت إليه إن الحاجة البشرية للتعلم تكمن في مرحلتين من التعليم المرحلة الأولى مرحلة ضرورية إلزامية واجبة والمرحلة الثانية كمالية اختيارية مستحسنة.

المرحلة الضرورية الواجبة، أو التعليم الإجباري

حينما يُذكر التعليم الإجباري، أو الضروري يخطر إلى ذهن الناس محو الأمية، وتعلم القراءة والكتابة، ولكن الذي نعينه هنا لا يقتصر على تعلم القراءة والكتابة فحسب. لأن المرحلة هذه تفتح عين المتعلم وتعطيه نور النظر إلى الحياة فقط، ولكن لا تعطيه بصيرة المعرفة، أي الاطلاع على الحسن والقبيح والتميز بين الصالح والطالح والمفيد والمضر، وبعبارة أخرى حسب قول الفقهاء تعلم الحلال والحرام المكروه والمستحب والمباح، وحسب قول رجال القانون معرفة المسؤولية والصلاحيية، الجريمة والجنحة الحق والتعدي، وما إلى ذلك من أمور أساسية تتعلق بالوجود الإنساني وبعلاقاته الفردية والاجتماعية في عالم يعيش فيه مع الآخرين شاء أم أبى.

لقد اتفقت القوانين الوضعية والشرائع السماوية من أن الفرد حينما يصل إلى سن الرشد، ذكراً كان أم أنثى. يعتبر رشيداً من الناحية الحقوقية، له حقوق وعليه مسؤوليات وأمامه تبعات. وهذه القوانين والشرائع إذا اختلفت في تعيين سن

الرشد، والفرق بين الذكر والأنثى، لا تختلف في وضع كل إنسان رشيد بالغ تحت طائلة المسؤولية. تعاقبه إذا ارتكب خطأ وتمنحه حقه إن كان صاحب حق.

فهل يجوز محاكمة إنسان لا يعرف قبح ما ارتكبه، ولم يُبلغ بالحسن والقبح من الأعمال، ولم يُعلم الحرام والحلال. وهل يجوز إعطاء إنسان بالغ حقه ونصيبه وهو لا يعرف كيف يتصرف فيه وما هي الموارد السليمة للاستفادة من هذا الحق مادياً كان أو حقوقياً؟ فحكم إعطاء الإنسان البالغ الجاهل حقه حكم إعطاء السفيه حقه وهذا ما لا يُجوزهُ الشرع ولا القانون.

من هنا نريد أن نستنتج أن تعليم الفرد منهج الحياة وخاصة المسؤوليات الملقاة عليه. والمفاسد التي يجب تركها والابتعاد عنها، قبل وصوله إلى سن الرشد والبلوغ من واجبات الأبوين والمربين. وتعلم هذه الأمور من الواجبات العينية على الفرد قبل الوصول إلى سن البلوغ، وإن تواني عن التعلم، وارتكب مفسدة أو ارتكب جريمة. فالقانون والشرع كلاهما يحاكمانه ويحاسبانه ويصدران القرار بإدائته وإن كان جاهلاً ف (جاهل المسألة كعامده).

ولكن هل أن المنهج القديم أو المنهج الحديث أخذها هذه الضرورة والوجوب بنظر الاعتبار في مناهجها التعليمية أم لا؟!

المنهج القديم الذي يعتبر نفسه ملازماً للعلوم الدينية والشرعية لم يأخذ مع مزيد الأسف هذه الضرورة بنظر الاعتبار ولم يعتبرها من أساسيات منهجه التعليمي. ففي المرحلة الأولى المتمثلة بالمكاتب يعلم الطفل القراءة والكتابة إلى مرحلة ختم القرآن ولكن بدون فهم ولا استيعاب لأن عمره ومستواه الفكري لا يستوعبان الفهم والتدبير، وفي المرحلة الثانية أو ما يسمى بمرحلة المقدمات فيبتدئ بدراسة الصرف ثم النحو ثم المنطق والبلاغة وثم ينتقل إلى الفقه والأصول والدراية والحديث. وفي هذه المرحلة عادة يكون الطالب قد أجتاز سن الرشد، هذا للطالب المجتهد المستمر في الدراسة وهؤلاء لا يشكلون ٣٪ من المجتمع والباقون محرومون حتى من هذه الكتب الفقهية العلمية.

نعم لا ننكر أن الوعاظ وبعض رجال الدين يقومون ببيان مسائل الحرام والحلال، ولكن لم يكن هذا برنامجاً منهجياً للدراسة العلمية. لذا يجب وضع منهج دراسي علمي مبرمج للدراسة من مستوى سن السادسة من العمر إلى سن الثامنة من العمر أي سنتين لتعلم القراءة والكتابة وأربع سنوات لمعرفة ضروريات الحياة وبالذات القوانين والأحكام المتعلقة بالحياة اليومية قبل سن البلوغ وبعده مع المقدمات العلمية المرتبطة بها ولكن في مستوى (التعبد والحفظ والتلقين) وحينما يشتد عضد الولد أو البنت يتوسع افق فكرهما بيتدنان بالدخول في المرحلة الثانية من العلم الكمالي الذي سوف نتكلم عنه.

ولكن قبل الدخول في بحث العلم الكمالي لا يفوتنا تحليل ونقد المنهج التعليمي الحديث في هذه المرحلة الضرورية. فكما شرحناه إن المرحلة الأولى من التعليم الحديث الذي يتمثل بالمرحلة الابتدائية من السادسة إلى العاشرة والمتوسطة وحتى الإعدادية أي حتى سن الثامنة عشرة من العمر التعليم فيه يتركز على القراءة والكتابة وثم الحساب والهندسة والرياضيات والجغرافية والتاريخ والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية وغيرها، يأخذ الطالب المبادئ من كل هذه العلوم، ولكن لا يعرف على الإطلاق موقعه في هذا العالم وفي المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يعرف من الأمور الحياتية، خيرها أو شرها حُسنها أو قبحها. ولا يعرف ما هو واجبه في هذه الحياة وما هي مسؤوليته وما هي حقوقه. فعجيب أن لا يرتكب الإجرام لأنه لا يعرف قبحه، وعجيب أن لا يقتل الآخرين لأنه لا يعرف عقابه!!، ولكن إذا لم يعمل ذلك فلأن الفطرة الإنسانية تنبذ وتقبح معظم المفسد فالإنسان بالبدهة يتعد عنها والسبب الآخر تربية وتلقين وتفهم الأبوين للطفل لقبح كثير من الرذائل والإجرام. وهذان السببان لا علاقة لهما بالمنهج التعليمي.

والخلاصة أن المنهج الحديث أبعد عن التربية والإنقاذ من المنهج القديم. وقد نرى عملياً أن المتخرج من معاهد الدراسات الحديثة لا يعرف أبسط أمور الحياة

وقوانين المعيشة التي تستوجب الخير له وتصرف الشر عنه، وإذا دخل الحياة العملية يكون فاقداً للقيم الروحية والخلقية والاجتماعية، وبعضهم يصبح وحشاً كاسراً يهدد بفناء الحضارة.

المرحلة الكمالية أو التعليم الاختياري

قبل أن نخوض البحث في التعليم الكمالي أو الاختياري يقتضي تعريف العلم والمعرفة والفلسفة لنثبت موقعنا عند البحث في التعليم.

العلم في اللغة (هو إدراك الشيء بحقيقته) (١) والعلم في الاصطلاح هو الوقوف على واقع أمر تعليمي كعلم الرياضيات والحساب والفلك والفيزياء والكيمياء والفقه والحديث وغيره والتعليم هو جعل الفرد يعلم واقع الشيء مادياً كان أم مجرداً تطبيقياً كان أم نظرياً.

والمعرفة في اللغة (هي إدراك الشيء على ما هو عليه) (٢). وفي الاصطلاح هي (عملية إنعكاس الواقع وعرضه في الفكر الإنساني) (٣). والمعرفة تستخدم في النشاط العملي من أجل تغيير العالم وإخضاع الطبيعة للمتطلبات الإنسانية.

أما الفلسفة، ففي اللغة (هي علم الأشياء بمبادئها وعللها الأولى والكلمة يونانية مركبة في الأصل من فيلو أي محبة وصوفي أي الحكمة، فيكون تأويلها (محبة الحكمة)) (٤). وفي الاصطلاح تعريف الفلسفة واسع جداً إذ ذهب كل فيلسوف عملاق من فلاسفة التاريخ إلى تعريف الفلسفة حسب رأيه ومعتقده. ولكن إذا أردنا اختزال أقوال هؤلاء العظماء لنا أن نعرف الفلسفة بما يلي (هو الوقوف على أسرار الأشياء وجذورها وعللها ومعرفة القوانين العامة التي تربط الأشياء بعضها ببعض في هذا الوجود).

لو اتفقنا في الرأي من أن الرشد الحقوقي للإنسان هو بعد البلوغ القانوني والشرعي. والفرد يحاسب ويمنح له حقه بعد هذا البلوغ، وعليه أن يعرف في هذه المرحلة منهج الحياة ومتطلبات العيش، ويتعلم القوانين والمسائل المتعلقة بذلك.

نرجع إلى المقدمة التي ذكرناها في تعريف العلم والمعرفة والفلسفة لنرى معنى كل منها. المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه. بينما العلم هو إدراك الشيء بحقيقته وبعبارة أخرى المعرفة هي الاطلاع والإدراك للقوانين والمسائل على ما هو عليه تعبدًا وتقليدًا. والعلم هو إدراك القوانين والمسائل بأدلتها وحقيقتها ولكن بما أن العلم يستوجب السعة الفكرية والتعمق الكبير ومعرفة المقدمات وكل هذه الأمور أعلى من مستوى إنسان لم يبلغ سن الرشد، لذا يجب اتباع المعرفة بدل العلم، أي معرفة القوانين والمسائل الحقيقية أو الشرعية تعبدًا وتقليدًا وبهذه المعرفة يتمكن الإنسان أن يحصل على الحد الأدنى من العيش السعيد الرغيد.

ولكن إذا أراد الفرد أن يعرف المباني والأصول والمقدمات واللوائح والأسباب والحقيقة، لوضع هذه القوانين وكيفية أستنباط المسائل والأحكام من أجل الحصول على فناعة أكثر للارتياح النفسي وبالنتيجة اللذة الكاملة من العمل المطلوب منه. وكذلك التقدم في خط الصعود للكمال من مرحلة الحيوان الناطق إلى الكمال الإنساني، يتمكن من دراسة العلوم المختلفة التي بعضها مقدمات وبعضها متون، والجهد في ذلك حتى وصول مرحلة الاجتهاد في الأخذ بالرأي، وأكثر من ذلك الخوض في الفلسفة التي هي كما في التعريف (الوقوف على أسرار الأشياء وجذورها وعللها ومعرفة القوانين العامة التي تربط الأشياء بعضها ببعض في هذا الوجود) ونحن نعرف جيداً أن الوقوف على العلل أمر لم يكن باليسير، كل ذلك يمكن الحصول عليه بل هنالك توصيات مؤكدة من قبل المشرع للأديان السماوية والعظماء من اصحاب الآراء الوضعية للحصول على هذه العلوم ومعرفة العلل والأسباب إلى الحد الذي يتمكن الإنسان المحدود الحصول عليه.

ولكن هذه العلوم والفلسفات كما ذكرناها تهب المتعلم لها والمحقق فيها لذة أكثر أمام جهد أكثر. ولكن لم تكن في المرحلة الضرورية الوجودية أي أن الإنسان الذي لم يحصل عليها لم يشق في الحياة، ويتمكن أن ينال الحد الأدنى من متطلبات

الوجود الإنساني في حياته. ولذا أسمىه التعليم الكمالي وأقصد بهذه الكلمة مقابل الضروري، لأنه اختياري وليس إجبارياً.

وكتيجة لهذا البحث أود القول بأن المناهج التعليمية بإعتقادي، من الناحية الموضوعية لم تكن ملائمة للحاجة الإنسانية ولا أريد أن أقول أنها لم تكن خالية من المعطيات، كلا بل كانت ذات معطيات كبيرة للإنسان فالمناهج الحديثة خدمت البشرية في الجانب المادي لتسخير الطبيعة لصالح الإنسان والقديمة منها خدمت البشرية في إعطاء القيم الروحية والمعنوية للإنسان، ولكن أريد أن أقول إنها غير كاملة ومن الممكن أن تكون أكمل وأفضل كما بينته خاصة بالنسبة للتعليم الإجباري وسوف أكون شاكراً ومديناً بالجميل لمن يصححني ويرشدني إلى موارد الخطأ أو السهو أو الانزلاق مع الامتان والعرفان.

الهوامش

١. المنجد ص ٥٢٧
٢. المنجد ص ٥٠٠
٣. الموسوعة الفلسفية ص ٤٨٢
٤. المنجد ص ٥٩٣

النهضة الحسينية وصلتها بقاعدة اللطف

بحث كتبه السيد محمد علي الشهرستاني لمجلة الجامعة الإسلامية ونشر في العدد الثالث في السنة الثانية من المجلة، تموز - أيلول ١٩٩٥ / صفر - ربيع الآخر ١٤١٦ هـ.

النهضة الحسينية وصلتها بقاعدة اللطف

النهضة: قيام جماعة أو فرد بما يقتضيه نظام الشرع أو المصلحة العامة، كالحركة التي قام بها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (١).

والنهضة الحسينية هي النهضة التي خلدت الإسلام وأحيت معالم الدين بعد الاندثار وأصبحت مناراً يستضيء به كل من أراد القيام في وجه الطغاة والمردة ومشعلاً لا تخمد ناره بل يزداد توهجاً كلما أنقضت الأيام وتعاقب الليل والنهار. والمنابر الحسينية تملأ الآفاق، والمجالس الحسينية تزداد يوماً بعد يوم في جميع أنحاء المعمورة حتى لا يخلو قطر ولا بلد من أدنى العالم إلى أقصاه إلا والأعلام الحسينية ترفرف فوقه، ومآتم العزاء تقام فيه، ولا تخلو مكتبة إسلامية إلا وأدب الطف ووقائع عاشوراء وتاريخ القيام الحسيني يشغل ركناً منها. ومع ما كتب المؤرخون والأدباء والمحللون والنقاد حول هذه الواقعة الخالدة ومع ما بينه الوعاظ والخطباء من مأس وأسرار لهذه النهضة الإنسانية لا تزال كثير من أسرار هذه الواقعة التاريخية غامضة خفية لم يتطرق إليها أحد.

ولعل هذا البحث وهو صلة النهضة الحسينية بقاعدة اللطف يبين أحد هذه الأسرار، ففي الوهلة الأولى يستغرب القارئ وجه الصلة بين النهضة الحسينية التي هي التضحية بأعلى معانيها والتفاني والفداء والقتل والسبي، وبين اللطف الذي هو

أعلى موارد المحبة والرحمة والعطف والحنان. ولكن نسأل الله أن يوفقنا لمعرفة وجه الصلة بين هذين النقيضين بمنه ورحمته.

اللطف في اللغة كما عرفه الفيروزآبادي في القاموس المحيط:

(اللُّطْفُ، بالضم من الله: التوفيق، واللطيف: البرُّ بعباده، المحسن إلى خلقه

بإيصال المنافع إليهم برفق ولطف) (٢).

وجاء في مجمع البحرين:

(«لطف» قوله تعالى: (هو اللطيف الخبير) ١٠٣/٦ اللطيف من أسمائه تعالى

وهو الرفيق بعباده يوصل إليهم ما ينتفعون به في الدارين ويهيء لهم ما ينتسبون به إلى المصالح من حيث لا يعلمون، ومن حيث لا يحتسبون.

واللطف في عرف المتكلمين: ما يقرب من الطاعة ويبعد عن المعاصي، ولا

حظ له في التمكين، ولا يبلغ الإلجاء لمنافاته للتكليف، كالجذب من الزنا إلى مجلس العلم.

وقد يكون من الله تعالى كخلق القدرة للعبد، وإكمال العقل، ونصب الأدلة،

وتهيئة الآت فعل الطاعة، وترك المعصية، فيكون واجباً عليه تعالى) (٣).

واللطف في الاصطلاح يبينه العلامة السبحاني في كتاب الإلهيات بما يلي:

(إن اللطف، في اصطلاح المتكلمين، يوصف بوصفين:

١. اللطف المُحصِّل.

٢. اللطف المُقرَّب.

اللطف المحصل عبارة عن القيام بالمبادئ والمقدمات التي يتوقف عليها تحقق

غرض الخلقة وصونها عن العبث واللغو، بحيث لولا القيام بهذه المبادئ والمقدمات

من جانبه سبحانه، لصار فعله فارغاً عن الغاية، وناقض حكمته التي تستلزم التحرز

عن العبث، وذلك كبيان تكاليف الإنسان، وإعطائه القدرة على امثالها.

ومن هذا الباب بعث الرسل لتبيين طرق السعادة، وتيسير سلوكها. اللطف المقرب عبارة عن القيام بما يكون محصلاً لغرض التكليف بحيث لولاه لما حصل الغرض منه وذلك كالوعد، والوعيد، والترغيب والترهيب، التي تستتبع رغبة العبد إلى العمل وبعده عن المعصية (٤).

وبحث اللطف وقاعدته بحث كلامي معمق لا يسعنا الخوض فيه في مثل هذا البحث ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (٥) وكتاب الإلهيات الذي أخذنا منه.

وتبسيط القول في قاعدة اللطف هو:

أن اللطف المحصل هو ما يقتضي على الله، في غرض الخلق، تأديته بحيث يجعل المخلوق قادراً على القيام بالتكليف الذي به - أي بالتكليف - يتمكن الإنسان من نيل السعادة والرخاء في الحياة، ولولا هذا التكليف لم ينل الإنسان السعادة والرخاء، وإذا لم ينل الإنسان السعادة كان خلقه عبثاً ولغوياً، وصدور اللغو من الله غير جائز وغير معقول.

واللطف المقرب هو توفيق الإنسان - المخلوق - وإعداد الموجبات التي تقر به من الطاعة والقيام بالتكليف وتبعده عن المعصية، من أجل وصوله لى إلى الرخاء والسعادة.

فاللطف المحصل كما ذكرناه من مستلزمات الخلق لأن الخلق بدون هداية لغو وعبث. ولذا فإنني أعتقد أن هذا النوع من اللطف لا يمكن إطلاق اللطيف عليه بل هو جزء من ضروريات الخلق وبما أن الكامل لا يصدر منه إلا الكمال، لذا فإن جعل المخلوق قادراً على القيام بالتكليف إفاضة من الله كإفاضة الخلق عند إخراجه، من العدم إلى الوجود.

ولكن اللطف المقرب نعمة ورحمة من الله تبارك وتعالى إن شاء الله أسبغها على عباده وإن شاء لم يسبغها، والآية الكريمة ﴿فَأَلَمَّا حُجِرُوا وَفَوَّنَهَا﴾ (٦) والآية

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢) ﴿وَالَّذِي فَذَّرَ فَهَدَى﴾ (٨) هي في بيان القسم الأول - الذي يسمونه باللطف المحصل - وأما الآيات الكريمة ﴿زُسلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (٩) ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١٠) (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) (١١) وخطبة الإمام علي (عليه السلام): (فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويشيروا لهم دفائن العقول) (١٢) فهي تبين القسم الثاني من اللطف والذي عرفوه باللطف المقرب.

وعلى وجه الإجمال فإن اللطف من شؤون الحكمة فمن وصفه (عليه السلام) بالحكمة، نزهه عن اللغو والعبث، ولا بد من قبول قاعدة اللطف، ولكن القول في الواجب على الله، خاصة في اللطف الذي يسمى باللطف المقرب فهو غير ثابت، ويؤيد هذا الرأي قول الشيخ المفيد الذي يقول: أن وجوب اللطف من باب الجود والكرم، فقد جاء في أوائل المقالات:

(أن ما أوجبه أصحاب اللطف من اللطف، إنما وجب من جهة الجود والكرم، لا من حيث ظنوا أن العدل أوجه، وأنه لو لم يفعل لكان ظالماً) (١٣).
كانت هذه المقدمة في تعريف النهضة الحسينية وقاعدة اللطف والآن ندخل في صلب البحث لمعرفة الصلة بينها.

قاعدة اللطف يستفاد منها في الاستدلال على إرسال الرسل والأنبياء فهي تبدأ من قوله تعالى: (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) (١٤) فبعد أن أخرج (إنسان) من العدم إلى الوجود سوى بين أجزائه وتكوينه ليكون كل موجود (إنسان) على شكله وصورته وشم قدر كل شيء بقدره ومقداره وبعده وخواصه، وجاء دور الهداية وكانت هذه الهداية تكوينية وتشريعية، التكوينية منها الآية الكريمة (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) والتشريعية منها الآية الكريمة (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن

يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً (١٥).

وفي الهداية التشريعية تظهر قاعدة اللطف وإعطاء مهمة حمل الأمانة لهداية الناس وإرشادهم، وكان أنتخاب حمل الرسالة بالصورة التي ذُكرت في دعاء الندبة:

(اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي وأهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعملك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك) (١٦).

وهكذا ابتدأت الرسالة والهداية، عن طريق الأنبياء والرسل إلى الخلق أجمعين من آدم (عليه السلام) إلى سيد من خلقه وصفوة من أصطفاه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً كما في حديث أبي سلمى - راعي أبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - قال:

(سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ليلة أسرى بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) قلت (والمؤمنون) قال: صدقت يا محمد من خلفت في أمتك؟ قلت خيرها. قال علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يارب. قال يا محمد إني اطلعت على الأرض اطلاعة فأخترتك منها فشقت لك إسماً من اسمائي فلا أذكر إلا ذكرت معي فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فأخترت منها علياً وشقت له أسماً من اسمائي فأنا الأعلى وهو علي.

يا محمد إني خلقتك وخلقنا علياً وفاطمة والحسن والحسين والإئمة من ولده من شبح نوري وعرضت ولايتكم على السموات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدتها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم.

يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يارب.

قال لي: ألتفت عن يمين العرش فألتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلون وهو في وسطهم - يعني المهدي (عليه السلام) - كأنه كوكب دري. وقال يا محمد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزتي وجلالي إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي (١٧).

فنال شرف إيصال اللطف الإلهي إلى الناس ونقل الهداية إليهم رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ونهض بأعباء الرسالة، داعياً الناس إلى كلمة لا إله إلا الله ونبذ الأنداد ليخرجهم من الجهالة وحيرة الضلالة، ولكن الناس بدلاً من الألتفاف حوله وشكره على جميل صنعه والحمد لله على جزيل لطفه، نقموا عليه وحاربوه وطردهوه وأذاقوه أمر العذاب حتى قال (ما أؤذي نبي مثلما أؤذيت)، فكانت هذه هي الصورة الأولى لجزاء الإحسان بالإساءة واللطف بالنكران.

وحينما ناصره صلحاء أصحابه وآزره المتجبون من خلصائه نزلت الآية الكريمة على نبيه (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي) (١٨) ولكي لا يلتبس على الناس أمرهم فيتصوروا أن ما عمله كان من أجل حفظ أجره في المودة إلى قرباه جاءت الآية الكريمة (وما أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على رب العالمين) (١٩) في خمس مرات مكررة وكذلك، وهو الأهم (قل ما أسألكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله) (٢٠) أي أن المودة التي طلبتها منكم لأنفسكم ولمصلحتكم، وهذه المصلحة لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، ويتبع سبيل المهتدين (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) (٢١).

ومع ما أكده رب العالمين في قرآنه الكريم من أن العناء الذي لاقاه رسول الله

(ﷺ) والعذاب الذي تحمله كان للناس ومن أجل خيرهم ورخائهم، نرى الناس يواجهون هذا اللطف الإلهي لإسعادهم وإرشادهم بأبشع أنواع الإساءات إلى أعز خلقه، رسول الرحمة وهادي الأمة.

وإن قال قائل كان هذا العناء والجفاء من الكافرين والمشركين واللذين مردوا على النفاق. نقول ولكن مع الأسف الشديد نرى المقربين منه (ﷺ) في ساعة احتضاره وهو على فراش الموت يعاملونه أبشع معاملة.

يقول البخاري في صحيحه، باب كتابة العلم:

روى ابن عباس وقال:

لما حضر النبي (ﷺ) وفي البيت رجال فيهم عمر بي الخطاب قال: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده».

قال عمر: إن النبي غلبه الوجه وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، وأختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والأختلاف قل: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع» (٢٢).

ومن بعد وفاته.

يقول ابن سعد في طبقاته:

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبق حول رسول الله إلا أقاربه، وهم تولوا غسله وتكفينه وهم: علي والعباس، وأبناء الفضل وقثم، واسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس بن خولي الأنصاري (٢٣).

ها هنا أريد أن أقف أول وقفه مع أصحاب الضمائر الحية وأهل العلم والفضل والذين يدعون عشق الحبيب، من الماضين والحاضرين، من الذين يتعصبون في الرأي ومن الذين ينصفون في القول، وأناشدهم الله بمقدساتهم.

أهكذا يعامل رسول الله (ﷺ)؟! أهكذا يقابل اللطف الإلهي لهداية الخلق؟!
!! فوالله لو أن رئيس عشيرة أو عميد أسرة أو زعيم قبيلة مات رأيت قومه يلتفون
حول بيته بالعويل والصراخ والضجيج والبكاء لفقد دعامة عزهم فكيف برسول
الله (ﷺ) منقذ البشرية وهادي الأمة ورسول الرحمة!!! بأي عذر يمكن أن نعتذر
غير قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو
قتل انقلبتم على أعقابكم) (٢٤).

ولئن قيل لنا ولكن القوم أنشغلوا بأمر أهم من ذلك وهو مصير الأمة وحفظ
الرسالة وصون الإسلام من التشتت والضياع.

نقول لهم - لو فرضنا جدلاً ما تقولون - هل دار الحديث في السقيفة عن الحكم
الإلهي، والنص القرآني والسنة المحمدية والحديث النبوي عن مصير الأمة وصون
كيانها وولاية أمرها، أما كانت عنعنات قبلية وتقاسم في الأمانة والوزارة. وماذا
ترضى به قريش وماذا ينكره الأنصار.

هذا نص ما نقله البخاري في صحيحه، في كتاب الحدود.

السقيفة برواية الخليفة عمر.

(قال: إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه، أن الأنصار أجمعوا في سقيفة
بني ساعدة وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى
إخواننا الأنصار، فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة
يوعك، فلما جلسنا قليلاً، تشهد خطيبهم فأثنى على الله، ثم قال: أما بعد، فنحن
أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط... فأردت أن أتكلم، فقال
أبو بكر: على رسلك. فتلكم هو، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال
في بديته مثلها أو أفضل، قال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف
هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم
أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي ويدي أبي عبيده، فلم أكره مما

قال غيرها، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيفها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثرت اللفظ وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وثم بايعه الأنصار) (٢٥).

فبالله عليكم أيها الفقهاء والمحدثون الذين تعملون بكتاب الله وسنة نبيه هل هذا هو أسلوب معرفة حكم الله والتكليف الشرعي؟! أم أنه الأسلوب السياسي الانقلابي الذي اشار إليه القرآن الكريم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم) وسند الرواية لا غبار عليه فهو من الخليفة الثاني وفي أصح كتب الحديث.

وهل أن اللطف الإلهي بتشريع الدين وأحكامه لهداية البشرية، يجب أن يواجه بمثل هذا الجفاء بل أكثر من ذلك تُعد المخططات السياسية لقطع سبيل الهداية واستبداله بالعادات القبلية والعنعنات الجاهلية فبدلاً من أن يقال لا يرضى الله ورسوله بذلك يقال لن ترضى قريش والآخر يقول منا أمير ومنكم أمير ولم يتطرق أحدهم لولاية أمر الله وخلافة رسوله، والمحاولة تبقى مستمرة في كتمان الرسالة وتحريفها وحذف بعض الروايات أو حذف جميعها وحذف بعض أقوال الصحابة وتأويل بعضها حسب المصالح المقتضية إلى النهي عن كتابة سنة رسول الله (ﷺ) - ومن أراد الاطلاع على تفصيل ما أشرت إليه فاليراجع معالم المدرستين للعلامة العسكري (٢٦).

فهل قطع اللطيف الرؤوف الرحيم لطفه عن هذه الأمة وعن الناس جميعاً مع هذه المحاولات و....

كلا، بل كلف أعز خلقه بعد رسوله، علي وفاطمة، للأستمرار بالمهمة مع التحلي بالصبر والثبات لإبقاء تعاليم الهداية ومعالم لطفه على خلقه في صون الدين عن العبث والأضمحلال فحينما تخلف علي بن أبي طالب وجماعة من كبار

الصحابة عن بيعة أبي بكر وتحصنوا في بيت فاطمة، قال اليعقوبي في تاريخه:
(فبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن
أبو طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله) (٢٧).

(فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا
فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن
الخطاب أجتت لتحرق دارنا! قال نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة) (٢٨).

أو هل تعلمون أي دار هذا الدار وأي باب هذا الباب!!؟

هذا الدار الذي نزلت فيه آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (٢٩).

قال ابن عباس: (شهدت رسول الله ﷺ) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي
بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل
البيت، إنما يريد الله... الصلاة رحمكم الله» كل يوم خمس مرات (٣٠).

وعن أبي الحمراء، قال: (حفظت رسول الله ثمانية أشهر في المدينة ليس من
مرة يخرج إلى الصلاة الغداة إلا أتى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال:
«الصلاة، إنما يريد الله...») (٣١).

يقول سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي: (ثم أنطلق بعلي (عليه السلام) يعتلي
عتلاً حتى أنتهي به أبو بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد، وأبو
عبيدة الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، والمغيرة ابن شعبة، وأسيد
بن حضير، وبشير بن سعد وسائر الناس حول أبي بكر (عليه السلام)) (٣٢).

(ثم قال: (عمر) قم يا ابن أبي طالب! فبايع، فقال: فإن لم أفعل؟ قال: إذا والله
نضرب عنقك، فأحتج عليهم ثلاث مرات، ثم مد يده - من غير أن يفتح كفه -
فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منه.

فنادى علي (عليه السلام) قبل أن يبايع - والحبل في عنقه: يا ابن أم، إن القوم أستضعفوني وكادوا يقتلونني (٣٣).

فهل تخاذل علي وخاف من القتل؟! أم أطاع أمر ربه في إثارة الهوان لحفظ بيضة الإسلام وتحمل أعباء الاستمرار في إيصال اللطف الإلهي إلى الخلق.

فإن قلنا هاب القتل وأثر الحياة، كذبنا، لأنه (عليه السلام) يقول: (إن ابن أبي طالب آانس بالموت من ثدي أمه) وقال حينما صرع في محرابه: (فزت ورب الكعبة) فالموت لعلي فوز وسعادة والحياة مع الظالمين شقاء وعذاب.

إذاً لا بد وأن يكون هذا التسليم بأمر رب العالمين عن طريق رسوله (صلى الله عليه وآله).

يقول سليم بن قيس في حديث طويل، عن سلمان: ثم أقبل النبي (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) فقال:

(يا علي إنك ستلقى من قريش شدة من تظاهرهم عليك وظلمهم لك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم، فقاتل من خالفك بمن وافقتك، فإن لم تجد أعواناً فأصبر وأكف يدك، ولا تلق بنفسك إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة أنه قال لأخيه موسى: إن القوم أستضعفوني وكادوا يقتلونني) (٣٤).

ويستمر علي (عليه السلام) في دوره الرسالي لصيانة الشريعة من التحريف والعقيدة من التغيير ليبقى اللطف الإلهي مستمراً على الخلق، فيجاري الخليفة الأول والثاني والثالث ناصحاً لهم، مصححاً لأخطائهم، مبيناً لحلال الله وحرامه، حافظاً لشوكة الإسلام، صائناً للقرآن، رافضياً لسنن التحريف، وهو يقول: لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولو لم يكن فيه جور إلا عليّ) همه سلامة الإسلام والمسلمين، وهل سأل أحد أي المسلمين؟! ألم يكن هؤلاء المسلمون هم الذين حرقوا عليه داره، واسقطوا للزهراء جنينها، وكسروا ضلعها وألقوا الحبل في عنقه... و... ولكن اللطف الإلهي على الخلق يقتضي الفداء لإبقاء الهداية لهم وعليّ هو المكلف بهذا

الصون والحفاظ فيجب عليه أن يسلم ما سلمت أمور المسلمين ولو لم يكن فيه جور إلا عليه.

حتى يصل الدور إلى خلافته، فيلتف الناس حوله للبيعة وهو غير راغب لها ورافض قبولها ولكن نفس موجبات اللطف الإلهي والهداية توجب على علي (٣٥) قبولها.

لعله بحلمه، بتقواه، بزهده، بعدله، بعلمه وحكمته، وحتى موقعه من الرسول (ﷺ) وكونه من بطن قريش، يتمكن من إبقاء أحكام الله مصونة من التحريف نافذة في عباد الله لهدايتهم وإصلاح أودهم. وهو بنفسه يصف العلة في هذا القبول في خطبته الشقشقية (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله من العلماء، على أن لا يقادوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها، بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز) (٣٦).

فعلي (عليه السلام) غير راغب في الخلافة ولكن أمر الله في صون الإسلام وأخذ حق المظلوم من الظالم يلزم علياً قبول الخلافة، وخطأً وبهتاناً إن تصورنا أن غضب الخلافة ظلم على علي (عليه السلام) فهو غير راغب لها ولكن مطيع لأمر الله متفان في ذات الله، وإنما غضب الخلافة وانزواؤه منها ظلم في حق الناس وجور على الأمة والبشرية جمعاء.

ولنعد الآن ثانية إلى اللطف لنرى مراحل وأبعاده على المقياس البشري وعلى ضوءه نعرف البون الشاسع بينه وبين اللطف الإلهي.

حنان الأبوين الذاتي يتجلى في اللطف على الأولاد في مرحلة الطفولة البريئة، بالتربية والتعليم والإرشاد من جانب واحد، لأن الطفل في حداثة سنه معصوم غير قادر على تشخيص الحسن من القبيح وإذ أشد عضده وأصبح قادراً على التمييز يضعه الأبوان أمام المسؤولية والحساب فيتلفان عليه ويحسنان إليه وإذا شعرا

منه التمرد وعدم الإلتزام بالنصح والتوجيه يوبخانه، ثم يزجرانه وينهرانه وإذا أصر على عمله القبيح يضربانه، حتى إذا بلغ سن الرشد ومرحلة التكليف تغير أسلوب هذا اللطف الذاتي، فإن أحسن الولد إليهما وقدر خدماتهما ولطفهما وحنانهما أحتضناه وغمراه بالدعاء والدعم والتأييد وإن جحد حقهما وخالف أوامرهما نبذاه وطردها وإن أصر على غيه وجحوده ناله عقوقهما وأن لاحظا فيه الشقاوة والتعدي على الآخرين هدها بالويل والثبور، وإن وصل الأمر به إلى الإجرام يقفان في صف المظلوم لأخذ حق هذا المظلوم ولو أدى إلى قتل ولداهما هذه هي الطبيعة الإنسانية - لا الحيوانية - مع ما للوالدين من حنان ذاتي ولطف فطري على ولداهما. ولكن اللطف الإلهي على العباد لطف ثم لطف ثم لطف، لطف مقرب، ثم لطف عظيم، ثم لطف خارق، إلى أن يصل اللطف إلى العبارة التي في الدعاء: يا أَلُطْفَ من كل لَطِيف (٣٧).

المعادلة في هذه المرحلة تكون بالصورة التالية:

اللطف، يقتضي لطفه على خلقه أن ينتخب أعزهم ليكلفه تحمل جميع أنواع العذاب والعناء كي يسعدهم، ويهديهم لاستغلال جميع أنواع الحياة التي سخر لهم.

ولكن هؤلاء المخلوقين بدل الشكر والحمد على جميل صنعه لهم، تغلب عليهم شقوتهم فلا يقبلون هذا اللطف، والبعيد منهم يعذب رسول الرحمة، والقريب منهم يهينه في فراش موته، وبمجرد وفاته يتركه على مغتسله، ليذهب إلى تقسيم الإرث والغنيمة والحكم.

غير أن اللطف لعظمة لطفه لا ينتقم من هذا المخلوق، بل يعطيه فرصة ثانية ويكلف ثاني أعز خلقه بالسير قدماً في حفظ الرسالة، والهداية ويطلب منه تحمل جميع أنواع العذاب.

ولكن المخلوق في هذه المرحلة أيضاً لا يترك حامل أعباء الهداية واللطف،

لحالته حتى يموت علي فراشه فيتركه ويتعد عنه - كما فعلها مع رسول الله (ﷺ) - بل يقدم علي قتله في محرابه، ليقول للطيف هكذا أعامل لطفك وإحسانك بالإساءة.

وفي هذه المرحلة رُب قائل يقول ولكن لم تكن فعلة قتل علي (ﷺ) إرادة جماعية، بل كان عملاً فردياً، فلا يجوز تحميل الأمة مسؤولية عمل فرد من أفرادها. والرب جل وعلا، لإتمام حجته على الناس يأمر علياً (ﷺ) بنقل أعباء الهداية إلى رابع أعز خلقه، بعد أن قدم ثلاث ضحايا من أعز خلقه. فيقول علي (ﷺ) في وصيته كما رواها الكليني عن سليم بن قيس، قال: (شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن (ﷺ) وأشهد علي علي وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لأبنة الحسن: يا بني؟ أمرني رسول الله (ﷺ) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتابي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله ودفعت إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين... (٣٨).

والحسن يصعد منبر أبيه ويؤبنه بعد الفاجعة الكبرى ويقول:
(لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون...)
(٣٩).

فبايعه الناس جميعاً وبايعته البصرة والمدائن والعراق كافة وبايعه الحجاز واليمن وبايعه كافة فضلاء المهاجرين والأنصار، ولم يتخلف عن بيعته - فيما نعلم - سوى معاوية بن أبي سفيان ومن لف لفيفه (٤٠).

ولكن حينما يرفع الشيطان (معاوية) رأسه ويستغل جميع أنواع الخطط السياسية الجهنمية الخبيثة للقضاء على سبط رسول الله، تصل الحالة إلى ما قاله اليعقوبي في تاريخه: (فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظالم ساباط وقد كمن له الجراح بن سنان الأسدي، فجرحه بمعول

في فخذيه وقبض الحسن (عليه السلام) على لحيته الجراح ثم لواها، فدق عنقه، وحمل الحسن بعدها إلى المدائن (٤١).

وفي رواية الطبري ما نصه (بايع الناس الحسن بن علي (عليه السلام) بالخلافة، ثم خرج بالناس حتى أنزل المدائن...

فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر، ألا أن قيس بن سعد قد قتل فأنفروا فنفروا ونهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان تحته...) (٤٢)

ومن خلال ما حدث يرينا اللطيف الخبير كيف أن الجحود لم يكن فعل فرد فحسب بل الأمة جميعها جاحدة ظالمة، ولعله -عليه السلام- قال لنا، رددتم لظفي وإحساني لهدايتكم وإنقاذكم بالإساءة والظلم والجحود، وقد الهمتكم في نفوسكم (فجورها وتقواها) فأخترتم فجورها ظلماً وعدواناً على أنفسكم وحياتكم، وأطعتم الشيطان الذي صعد المنبر فيكم يقول: (يا أهل الكوفة: أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، إلا أن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط أشرطته فتحت قدمي هاتين) (٤٣).

وهذا الشيطان نفسه يقول للمغيرة بن شعبة (وأن أخا هاشم يصرخ به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل يبقى مع هذا، لا أم لك والله دفنا فنا).

هنا نصل الى بيت القصيد، ونشاهد كيف حدثت النقلة النوعية في اللطف الإلهي والرعاية الربانية التي وصلت ذروتها في هذا المنعطف التاريخي الخطير.

يسيطر معاوية بن أبي سفيان على عقول الناس وكل وجودهم وذلك بالتوغل في نفوسهم عن طريق الإغواء والاحتيال، بإثارة عواطفهم واحاسيسهم تارة، وتارة أخرى بغسل أدمغتهم وتطميعهم، وهدفه من ذلك كله دفن الرسالة المحمدية (دفناً دفناً) وبهذا يحاول قطع سبيل الهداية وإطفاء نور الله، ويصل مخططهم الجهنمي

هذا إلى مرحلة يعين فيها ولده يزيد خليفة على المسلمين، ويزيد هذا يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

دعوننا نناقش ظروف هذه النقلة النوعية التي أشرت إليها:

في المرحلة الأولى، وفي سقيفة بني ساعدة، وما آل الأمر إليه بتشكيل الخلافة الراشدة - كما يسمونها - دار الصراع فيه على الخلافة والزعامة والرئاسة والولاية، ولكن ظلت مظاهر الإسلام محفوظة باقية، وكان التحرك في ظلاله وتحت لوائه. وفي المرحلة الثانية، بعد خلافة علي (عليه السلام) بدأ القاسطون والمارقون والباغون على الخلافة الشرعية الإسلامية يحاولون التثبيت بالدين والعادات القبلية جنباً إلى جنب لإثارة الحروب الداخلية والانشقاق في صفوف المسلمين، ولكن على أقل تقدير كان الدين لا يزال يؤخذ ببعضه ويمزج بالعادات القبلية والعنعنات الجاهلية، ولذا تضعضعت أصول الهداية ومعالم التوحيد.

ولكن في المرحلة الثالثة، بعد خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) حينما استتب الأمر لمعاوية وصعد المنبر في مسجد الكوفة وخاطب المسلمين بقوله: (أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج...) نسف بخطابه هذه الأصول الإسلامية ووضعها تحت قدميه وغير الحكم الإسلامي إلى ملك عضوض.

وأما في المرحلة الرابعة حينما تربع يزيد بن معاوية على كرسی الملك وقال:
فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

قطع بكلامه هذا سبيل الهداية الإلهية وحاول القضاء تماماً على الرسالة المحمدية.

نلاحظ، كيف تدرجت المخططات البشرية في القضاء على اللطف الإلهي الذي تجلى في إرسال الرسل والأنبياء، لإسعاد الناس وهدايتهم، والتي بيّنها رب العالمين في كتابه الكريم (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون)(٤٤).

لقد كانت حالة الرعاية الربانية واللفظ الإلهي على الناس حتى المرحلة الثانية، متجسدة في دعوة الخلق إلى هدايتهم عن طريق الإيمان، والتقوى، والتعقل. ولكن في المرحلة الثالثة والرابعة، استغل من باع حظه بالأبخس الأدنى، استغل عواطف الناس وأحاسيسهم والناس همج رعا عانتهم شقوقهم على قبول هذا المستغل، (ونسوا حظاً مما ذكروا به) (٤٥)، و(إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) (٤٦) فكانت الطامة الكبرى واوشك نور الله أن يطفأ. ولكن اللطيف العليم يقول (ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) (٤٧).

فاقتضى عظيم لطفه على خلقه - كما اعتقده - ان ينتخب لهذه المرحلة الرابعة وما بعدها أسلوباً لإفاضة اللطف يختلف عن الأسلوب الذي اختاره لرسوله (ﷺ) وهذا الأسلوب هو الأسلوب العاطفي الحسي.

ولم يكن هذا التغيير بدءاً، ولا علماً مسبقاً بجهل، بل كان في لوجه المحفوظ، اطلع عليه رسوله في موارد كثيرة كما في خبر كعب وحديث أسماء بنت عميس وحديث أم الفضل ورواية زينب بنت جحش وحديث أبي أمامة وروايات أم سلمة وغيرها (٤٨).

ولكن بما أن العالم عالم الأسباب والمتغيرات، والحكيم من يرهن الأمور بأوقاتها وأحواله، لذا لا يستبعد أن يكون التغيير في الأسلوب حسب القرائن والشواهد.

شاء الله أن يقدم قرباناً من أغلى قرباينه ويكتب الشهادة لواحد من أعز خلقه ل يتم الحجة على الناس ويريهم كيف أنه وصل في اللطف عليهم إلى مرحلة لا يمكن للبشرية دركها أو تصورها. لعلهم يتحسسون ويصحون من سكرتهم، ولعل عواطفهم تسوقهم إلى إدراك لطفه في هدايتهم، لا حاجة منه إليهم ولكن لأجل أنفسهم، لعلهم يعقلون، لعلهم يتذكرون ولعلهم يفلحون.

وأراد عزّ وجلّ أن يثبت للبشرية والناس إلى يوم القيامة، إلى أية مرحلة من الجلال والعظمة وصل لطفه عليهم وإلى أية مرحلة من الدناءة والشقاوة وصل جحود خلقه، لعلهم يتعظون وتسوقهم عواطفهم إلى الأخذ بأحكام الهداية لنجاة انفسهم.

دعونا نتابع تفاصيل هذا القربان المقدس من خلال النهضة الحسينية.

بعد أن مات معاوية بن أبي سفيان (كتب يزيد إلى الوليد يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وخاصة على الحسين (عليه السلام)) ويقول له: إن أبي عليك فاضرب عنقه - ثم أوردوا الخبر إلى قولهم - فغضب الحسين وقال: ويل لك يا ابن الزرقاء أنت تامر بضرب عنقي كذبت والله ولؤمت ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبنا فتح الله وبنا يختم الله، ويزيد فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله (٤٩).

هنا يرى الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه امام حرامين، حرمة مبايعة يزيد الفاجر الفاسق شارب الخمر والمستهتر بمقدسات الإسلام وهو أمر مردود قطعاً، وحرمة إلقاء النفس في التهلكة لعدم وجود الناصر والمعين، فيتوقف حتى يصل إليه القرار والأمر الإلهي بالخروج والقيام المسلح مع اليقين الحاصل باستشهاده وسبي عياله.

والإمام (عليه السلام) يشير إلى هذا الأمر الإلهي في مواطن عديدة منها في الاعتذار من ابن عمه عبد الله بن جعفر الطيار - وكان عبد الله يصر عليه بعدم الخروج للعراق - يقول الإمام الحسين: (إني رأيت رؤيا فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له، عليّ كان أولى، فقال عبد الله: فما تلك الرؤيا؟ قال (عليه السلام): ما حدثت بها أحد وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي (٥٠).

ومنها ما نقله العلامة المجلسي في البحار، ما نصه: (وفي سحر تلك الليلة ارتحل الحسين فأتاه ابن الحنيفة وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها وقال: ألم تعدني

النظر في ما سألتك؟ قال: بلى، ولكن بعدما فارقتك أتاني رسول الله (ﷺ) وقال: يا حسين أخرج فإن الله تعالى شاء أن يراك قتيلًا، فاسترجع «محمد» وحينما لم يعرف الوجه من حمل العيال معه وهو على مثل هذا الحال قال الحسين (ﷺ) قل شاء الله تعالى أن يراهن سبايا (٥١).

وفيما بينه الإمام (ﷺ) ووضوح تام من أن الذي قرر تقديم القربان، هو الله تبارك وتعالى، كما طلب من إبراهيم (ﷺ) تقديم إسماعيل قرباناً في قوله تعالى: (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فأنظر ما ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) (٥٢) مع هذا الفارق، أن الذي كان لإبراهيم امتحان للأب والابن ولكن ما كان لأبي عبد الله الحسين (ﷺ) كان تقديم قربان واقعي فعلي.

أما العلة في تقديم هذا القربان، فبينها الإمام الحسين (ﷺ) في وصيته التي كتبها عند خروجه من المدينة وسلمها لأخيه محمد بن الحنفية والذي يقول فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لا أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا، اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (٥٣).

فقول الإمام (ﷺ) (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)

فيه صراحة تامة أن السبب في تقديم نفسه كقربان هو إبقاء الرسالة الإسلامية. ولكن إبقاء الرسالة، مع المحاولة لتولي الحكم والسيطرة على ولاية المسلمين؟! ومن أجل انتزاع الخلافة من بني أمية وجعلها إرثاً بالوصية في بني هاشم - كما يزعم بعض المغرضين - أم فقط و فقط إبقاء الرسالة والمحافظة على الإسلام!؟.

خطبة الإمام (عليه السلام) عند خروجه إلى العراق تبين حقيقة الأمر.

قال الحسين (عليه السلام) في خطبة له عند عزمه الخروج في العراق: (الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النوايس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم رضي الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين) (٥٤).

فعبارة (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النوايس وكربلاء...) فيها وضوح كامل من اليقين بالقتل، فكيف يمكن تصور انتزاع الخلافة من بني أمية لمن قطع بالموت والشهادة!؟.

ولما كان الناس لا ينظرون إلى الأمور إلا من الجانب الدنيوي ولا يعملون إلا بالمعادلات الحسية، نراهم جميعاً، القريب والبعيد منهم يحاول منع الحسين (عليه السلام) من الحركة إلى العراق ويحذره من القتل وهو عالم بذلك من يوم ولدته أمه، وموطن نفسه على ذلك، ولذا لا يلتزم ينصحهم وإن كان فيهم أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن جعفر ووجهاء القوم كابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن مطيع وغيرهم، لأن الأمر الإلهي مقدّم على نصيح العباد.

وحتى في اليوم الذي وصل إليه خبر الغدر بسفيره مسلم بن عقيل وإبلاغه نبأ استشهاد لا يغير هذا الخبر عزمه ومسيرته، ولكن بما أن القربان المطلوب هو

الحسين (عليه السلام) بنفسه والباقون ربما تبعوه للعافية والدنيا، يتم الإمام حجته على من تبعه ويجعلهم في حل منه. فيخرج لهم كتاباً ويقرؤه عليهم:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه أتانا خبر فطيع، قتل مسلم ابن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فليصرف، ليس عليه منا ذمام) (٥٥) فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً حتى بقي في الصحابة الذين جاؤوا معه من المدينة.

ويسير ركب التضحية حتى يصل كربلاء، ويحل رحاله فيها، بعد أن لاقى الحر بن يزيد الرياحي على رأس جيش منعه من دخول الكوفة أو الرجوع إلى بلد أو ثغر من الثغور. ونحن لا يمكننا التطرق إلى جميع هذه الأحداث والوقائع، ولكننا نشير فقط إلى النقاط التي تهتم بحثنا هذا.

في ليلة العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هجرية يقول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) - (أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام حيث يسمع الصوت، فقال: إنا قد آجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرجنا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا تارككم) ثم يقول الإمام زين العابدين:

(جمع الحسين أصحابه بعدما رجع رسول عمر بن سعد، وذلك عند المساء. فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أئني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن كرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وأني أظن يوماً من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وأني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن

القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري) (٥٦).

هذا الموقف الرهيب يعطي أعلى مثال للفداء، ففي المقاييس البشرية عند ساعة العسرة يطلب المظلوم ناصراً ومعيناً، ولكن هذا القربان يتجرد من جميع العواطف البشرية وينصهر في رضى الله الذي يقول عنه (رضى الله رضانا أهل البيت) وهذا الموقف يعتبر أسمى بكثير من موقف إسماعيل (عليه السلام) لأبيه حينما قال له: (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إنشاء الله من الصابرين).

وعشية يوم عاشوراء تكون الواقعة، واقعة لم ير التاريخ مثلها إطلاقاً.

يقف الحسين (عليه السلام) ليتم الحجة على القوم قبل أن ينازلهم أو ينازلوه، فيكون السيف بينهم، يقف بينهم ليعرف نفسه قبل أن يقتلوه، ويوضح لهم رسالة السماء في اللطف عليهم بإرسال الرسل والأنبياء والأوصياء لهدايتهم وصلاتهم ونجاتهم، لتكون الحجة بالغة، وتعي البشرية قدر هذا القربان ومنزلته وموقعه من جانب، ودناءة وشقاء هؤلاء العباد وإصرارهم على محاربة دين الله ولطفه ورحمته من جانب آخر.

يقول الطبري في تاريخه (٥٧):

فلما دنا القوم دعا براحلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته، دعاء يسمعه كل الناس: «أيها الناس! اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما الحق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، واعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين».

إلى أن قال:

«أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل

يحق لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (ﷺ)، وابن وصيه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله (ﷺ) قال لي ولأخي - هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضربه من اختلقه! وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟...

ثم قال لهم الحسين (ﷺ):

«فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري، منكم ولا من غيركم. أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟! أو بقصاص من جراحة؟..»

لم تكن خطبة الإمام الحسين (ﷺ) هذه تظلماً واسترحاماً. إنما كانت لإتمام الحجّة وتأكيداً على الهدف الذي من أجله والنهضة التي أعلنها، لعل أحداً من القوم يكون له ضمير يتحرك وعقل يتفكر كما حدث للحرب بن يزيد الرياحي.

ولم يكتف بهذا الخطاب وحده، فقد وقف فيهم ثانية كما قال سبط بن

الجوزي (٥٨):

ثم إن الحسين (ﷺ) ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه، ووقف بأزاء

القوم وقال: «يا قوم! إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله (ﷺ)».

وقال الخوارزمي: لما عبأ ابن سعد أصحابه، فأحاطوا بالحسين من كل جانب

حتى جعلوه في مثل الحلقة خرج الحسين من أصحابه فأتاهم فاستنصتهم، فأبوا أن

ينصتوا فقال لهم: ويلكم! ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي! وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد وقالوا: أنصتوا له فقال:

تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً! أحين استصرختمونها واليهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاً لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها، كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة! وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الأثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم! أهؤلاء تعضدون، عنا تتخاذلون؟! أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، تآزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر وأكلة للغاصب!.

ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة، والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسونه والمؤمنون، وجحور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرم» (٥٩).

أما تفاصيل واقعة يوم عاشوراء فلا يمكن نقلها في هذا البحث الموجز، ولكن نقل لكم الصورة التي أعطاها الإمام الحجة ابن الحسن العسكري (عليه السلام) في زيارة الناحية المقدسة، والتي نقل منها بعض المقتطفات المقتضبة (٦٠).

«السلام على من جعل الله الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على من الأئمة من ذريته... السلام على من بكته ملائكة السماء، السلام على من ذريته الأزكياء... السلام على الرضيع الصغير، السلام على الأبدان السلية، السلام على العترة القرية، السلام على المجدلين في الفلوات... السلام على من افتخر به جبرائيل، السلام على من ناغاه في المهدي ميكائيل، السلام على من نكث ذمته، السلام على من هتكت حرمة، السلام على من أريق بالظلم دمه... السلام

على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام على البدن السليب،
السلام على الثغر المقروع بالقضيب.

السلام عليك فإني قصدت إليك ورجوت الفوز لديك... فلئن أخرتني الدهور،
وعاقني عن نصرك المقدر، ولم أكن لمن حراك محارباً، ولمن نصب لك العداوة
مناصباً، فلائدنبك صباحاً ومساءً، ولأبكين لك بدل الدموع دماً، حسرة عليك
وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب، وعضة الاكتياب...

ثم يصف الحادثة فيقول (ﷺ):

حَتَّى إِذَا الْجُورَ مَدَّ بَاعَهُ، وَأَسْفَرَ الظُّلْمَ قِنَاعَهُ، ودعا الغي أتباعه، وَأَنْتَ فِي
حَرَمِ جَدِّكَ قَاطِنٌ، وللظالمين مباينٌ، جليس البيت والمحراب، معترل عن اللذات
والشهوات، تنكر المنكر بقلبك ولسانك، عَلَى حَسْبِ طَاقَتِكَ وَإِمكَانِكَ، ثُمَّ
اقتضاك العلم للإنكار، ولزمتك أن تجاهد الفجار، فسرت في أولادك وأهلك
وشيعتك ومواليك وصدعت بالحق والبينة، ودعوت إلى الله بالحكمة والموعظة
الحسنة، وأمرت بإقامة الحدود، والطاعة للمعبود... قاتلوك بكيدهم وشرهم وأمر
اللعين فمنعوك الماء ووردوه وناجزوك القتال وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام
والنبال... قد عجبت من صبرك ملائكة السموات، فأحدقوا بك من كل الجهات
وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب
صابر، تذب عن نسوتك وأولادك حتى نكسوك عن جوادك فهويت إلى الأرض
جريحاً تطوُّك الخيول بحوافرها وتعلوك الطغاة بيواترها، قد رشح للموت جبينك،
واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك تدير طرفاً خفياً إلى رحلك
وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهلك وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك
قاصداً محمماً باكياً، فلما رأَت النساء جوادك مخزياً ونظرن سرجك عليه ملوياً،
برزن من الخدور وناشرات الشعور، على الخدود لاطمات وبالعويل داعيات،
وبعد العز مذلات، وإلى مصرعك مبادرات، والشمر جالس على صدرك مولع

سيف على نحره، قابض على شيبته بيده، ذابح لك بمهنته قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك، وسبي أهلك كالعبيد، وصدفوا في الحديد فوق أقتاب المطيات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق يطاف بهم في الأسواق.

فالويل للعصاة والفساق، لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا الإيمان، وحرفوا آيات القرآن... وفقد بفقدك التكبير والتهليل، والتحرير والتحليل، والتنزيل والتأويل، وظهر بعدك التغيير والتبديل، والإلحاد والتعطيل... وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت الملائكة تعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها والجنان وخزانها». وبهذا نكتفي من زيارة الناحية المقدسة. وفي يوم الحادي عشر من محرم الحرام حملت النساء والأطفال على السبي، وقالت النسوة، بالله عليكم ألا مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطعي الأوصال قد طعمتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحتهم الخيل بسنابكها، صحن ولظمن الوجوه وصاحت زينب: يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطوع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة، فأبكت كل عدو وصديق (٦١).

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهي تقبل منا هذا القربان (٦٢).

وكانت هذه اللحظة، وكان هذا الكلام (إلهي تقبل منا هذا القربان) هي اللحظة الحاسمة والقول الفصل الذي يدور بحثنا عنه، وهي والله الصورة المثلى لعظمة اللطف الإلهي من أجل هداية البشرية، ويؤيد هذا القول ما قالته الحوراء زينب الكبرى للإمام علي بن الحسين بعد هذه اللحظات الرهيبة، مباشرة.

جاء في تاريخ يعقوبي:

(وأما علي بن الحسين فإنه لما نظر إلى أهله مجزرين وبينهم مهجة الزهراء بحالة تنفطر لها السموات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، عظم ذلك عليه واشتد قلقه، فلما تبينت ذلك منه زينب الكبرى بنت علي (عليها السلام) أهمها أمر الإمام، فأخذت تسليه وتصبره وهو الذي لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، فوالله إن هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهو معروفون في أهل السماوات إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بها للطف علماً، لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً» (٦٣).

هكذا قدّم رسول الله (ﷺ) وأهل بيته الأطهار وكذلك قدمت فاطمة الزهراء، سيدي شباب أهل الجنة، قرباناً إلى الله ﷻ ليقدمه ﷻ إلى البشرية، لعلهم يهتدون ويسعدون وتصحو ضمائرهم، بإثارة عواطفهم وتهيج مشاعرهم فيفهمون حقيقة قوله تعالى: (ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) (٦٤).

فهل ترك هذا القربان أثره المطلوب على البشرية جمعاء؟! وهل تمكن أن يبقى صوت (محمد رسول الله) مدوياً في الآفاق كل يوم ملايين المرات إلى قيام يوم القيامة، ولم يدفن (دفناً، دفناً)؟! وهل أثبت هذا القربان بشهادته وفدائه، أن الخبر جاء والوحي نزل وثبت قول رسول الله (ﷺ): (حسين مني وأنا من حسين)؟! وهل أثبت هذا القربان الحديث الشريف (للحق دولة وللباطل جولة)؟! فبقى الإسلام بأصوله وفروعه لهداية البشرية يملأ الخافقين، ولم يبق من الظالمين أثر. نعم في هذا المنعطف الخطير من تاريخ الإسلام، قادت المعركة العاطفية، بطلة

كربلاء زينب الكبرى بنت الإمام علي وأخت الحسين، بإمامة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ولكن كيف؟!..

يقول الخوارزمي في مقتله وابن أعثم في فتوحه:

(وساق القوم حرم رسول الله ﷺ) كما تساق الأسارى، حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعون...

وقال بشير بن حذيم الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي يومئذ - ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتفرغ عنه - وأومات إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطيبين الأخيار آل الله، وبعد! يا أهل الكوفة! ويا أهل الختل، والخذل والغدر! أتبيكون؟ فلا رقات الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً. تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم! ألا وهل فيكم إلا الصلف، والطنف، والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنه، أو كقصعة على ملحوده، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبيكون وتنتحبون؟! أي والله فأبكوا كثيراً وضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشارها، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً، وإنى ترخصون، قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم ومدرة ألسنتكم، ألا ساء ما تزررون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة!

أندرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي حريم له أصبتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات

يتفطرن منه، وتنشق الأرض منه، وتخر الجبال هدا، إن ما جئتم بها لصلعاء، وعنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض وملاء السماء. أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أشد وأخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يسخفنكم المهل، فإنه ﷺ لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلا إن ربكم لبالمرصاد». قال بشير: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، سيكون ويحزنون ويتفجعون ويتأسفون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم (٦٥).

كانت هذه الخطبة بداية الثورة لتوعية الناس.

وخطبت فاطمة الصغرى، وأم كلثوم بنت علي والإمام زين العابدين (عليهما السلام) بمثل خطبة الحوراء زينب الكبرى (وقال الراوي: فارتفعت الأصوات من كل ناحية ويقول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون) (٦٦).

وفي المصدر نفسه (قال الراوي: ثم إن ابن زياد جلس في القصر للناس وأذن أذاناً عاماً وجيء برأس الحسين (عليه السلام) فوضع بين يديه وأدخل نساء الحسين (عليها السلام) وصبياناه إليه فجلست زينب بنت علي متنكرة فسأل عنها فقيل زينب بنت علي فأقبل إليها فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أجدوئكم فقالت: إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يؤمئذ، هبلتك أمك يا بن مرجانة... فقال لها ابن زياد لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: لعمرى لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاك فقد أشتفيت) (٦٧).

وبعد أخذ الأسارى من أهل البيت إلى الشام، روى الطبري وقال:

جلس يزيد بن معاوية ودعا أشراف أهل الشام، فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوا إليه والناس ينظرون.

وروى ابن أعثم والخوارزمي وأبن كثير وغيرهم، أن خليفة المسلمين يزيد جعل يتمثل بأبيات ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وقال الشعبي، وزاد عليها يزيد فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٦٨)
وتم يستمر ابن طاووس فيقول:

(قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام) فقالت:

«الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه كذلك يقول: (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) (٦٩) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء، أن بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة، وحين صفا ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا أثماً ولهم عذاب مهين) (٧٠) أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك حرائرك وأماءك وسوقك بنات رسول الله (ﷺ)، وسبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطناً في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشفن والشنان، والأحن والأضغان، ثم

تقول غير متأنم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنانيا أبي عبد الله (ﷺ) سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمحضرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، يارقتك دماء ذرية محمد (ﷺ) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكيت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله (ﷺ) بما تحملت من سفك دماء ذريته، وأنتهكت من حرمة في عترته ولحمته وحيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٧١) وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد (ﷺ) خصيماً وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سولك، ومكنك من رقاب المسلمين بنس للظالمين بدلاً، وإيكم شر مكاناً، وأضعف جنداً، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تنحلب من لحومنا، وتلك الخبث الطواهر الزواكي، تتنابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعيل، ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكذ كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تमित وحيناً ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي، ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة،

ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود، حسبنا الله ونعم الوكيل» (٧٢).

كانت هذه المواجهة الشجاعة، الجريئة الحاسمة من عقيلة بني هاشم لطاغية العصر يزيد الصاعقة الأولى التي صعقت المخطط الأموي للقضاء على الإسلام والذي أنه يزيد في البيتين:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
ولذا ساد الارتباك مجلس يزيد وأمر الخطيب أن يرقى المنبر.

في فتوح ابن أعثم ومقتل الخوارزمي: أن يزيد أمر الخطيب أن يرقى المنبر ويثني علي معاوية ويزيد، وينال من الإمام علي والإمام الحسين، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأكثر الوقعة في علي والحسين، وأطرب في تقرير معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين، ويلك أيها الخطيب! أشريت رضا المخلوق بسخط الخالق، فتبوا مقعدك من النار.

ثم قال: يا يزيد أئذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب، فأبى يزيد فقال الناس: يا أمير المؤمنين أئذن له ليصعد، فعلنا نسمع منه شيئاً. فقال لهم: إن صعد المنبر هذا، لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً. ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود.

وكانت خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، هذه، هي الصاعقة الكبرى التي قصمت ظهر الحكم الأموي ومخططات يزيد ومعاوية، الجهنمية الخبيثة للقضاء على الإسلام، وغيرت هذه الخطبة، مجرى التاريخ الإسلامي من الأفول إلى الصعود، وأنقذت البشرية من الضلالة والجهالة، والشقاء والهمجية، إلى نور الإسلام وهداياته، وإلى العز الإنساني وكرامته، والمسيرة مستمرة إلى يومنا هذا.

صعد الإمام علي بن الحسين المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أيها الناس، أُعْطِينَا سِتًّا، وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّمَاةَ، وَالْفَصَاحَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا (ﷺ)، وَمَنَا الصِّدِّيقَ، وَمَنَا الطَّيَّارَ، وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ، وَمَنَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الْبَتُولَ، وَمَنَا سَبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَيِّدًا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتَهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي:

أنا ابن مَكَّةَ ومِنِي، أنا ابن زَمْزَمَ والصفاء، أنا ابن مَنْ حَمَلَ الزَّكَاةَ بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ، أنا ابن خَيْرِ مَنْ اتَّزَرَ وَارْتَدَى، أنا ابن خَيْرِ مَنْ اتَّعَلَّ وَاحْتَفَى، أنا ابن خَيْرِ مَنْ طَافَ وَسَعَى، أنا ابن خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَلَبَّى، أنا ابن مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فِي الْهَوَاءِ، أنا ابن مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَسُبْحَانَ مَنْ أُسْرِيَ، أنا ابن مَنْ بَلَغَ بِهِ جِبْرَائِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، أنا ابن مَنْ دَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أنا ابن مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أنا ابن مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى، أنا ابن مُحَمَّدٍ الْمَصْطَفَى، أنا ابن عَلِيِّ الْمُرْتَضَى، أنا ابن مَنْ ضَرَبَ خِرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أنا ابن مَنْ بَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، وَقَاتَلَ بَيْدَرَ وَحُثَيْنَ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، يَعْسُوبَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَاتَلَ النَّاكثِينَ، وَالْقَاسَطِينَ، وَالْمَارِقِينَ، سَمَحَ سَخِيًّا، بُهْلُولَ زَكِيًّا، لَيْثَ الْحِجَازِ، وَكَبْشَ الْعِرَاقِ، مَكِّيَّ مَدَنِيًّا، أَبْطَحِي تِهَامِيًّا، خَيْفِي عَقَبِيًّا، بَدْرِي أَحُدِيًّا، شَجْرِي مُهَاجِرِيًّا، أَبِي السَّبْطِينَ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أنا ابن فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، أنا ابن سَيِّدَةَ النِّسَاءِ، أنا ابن بَضْعَةَ الرَّسُولِ...

قال: ولم يزل يقول: أنا أنا حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذّن أن يؤذّن، فقطع عليه الكلام وسكت.

فلما قال المؤذّن الله أكبر. قال علي بن الحسين: كبرت كبيراً لا يُقاس، ولا يُدرك بالحِوَسِّ، لا شيء أكبر من الله. فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي:

شَهِدَ بِهَا شِعْرِي، وَبَشَّرِي، وَلِحْمِي، وَدَمِي، وَمُخِّي وَعَظْمِي. فَلَمَّا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ. التَفَّتْ عَلَيَّ مِنْ أَعْلَى الْمَنْبَرِ إِلَى يَزِيدَ وَقَالَ: يَا يَزِيدُ! مُحَمَّدٌ هَذَا جَدِّي أَمْ جَدُّكَ؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدُّكَ فَقَدْ كَذَبْتَ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ جَدِّي، فَلِمَ قَتَلْتَ عَتْرَتَهُ» (٧٣).

وروى ابن أعثم بعد ذكر ما سبق وقال: أمر يزيد بعلي بن الحسين وأخواته وعماته رضوان الله عليهم، ففرغت لهم دار فنزلوها وأقاموا أياماً يبكون وينوحون على الحسين عليه السلام (٧٤).

واستمرت هذه الثورة العاطفية، وتغلب الدم على السيف، وأصبح الأئمة عليهم السلام يساقون البكاء وإقامة العزاء بالشهادة بين يدي الحسين (٧٥) وقد لاحظنا الإمام المنتظر عليه السلام يقول في زيارة الناحية (فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلا أندبك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (ولقد شققن الفاطميات الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميات، على الحسين بن علي، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب) (٧٦). وقال عليه السلام لأبي عمارة - شاعر أهل البيت عليهم السلام: (من أنشد شعراً في الحسين بن علي فأبكى فله الجنة).

وكل هذا يعني أن إقامة الشعائر الحسينية والمظاهرات الصاخبة وإثارة العواطف الإنسانية للنهضة الحسينية، هي التي تثير حفيظة الناس وتحسسهم وتسوقهم إلى معرفة الإمام الحسين عليه السلام والمدرسة التي ينتمي إليها والمثل العليا التي تمتع بها والرسالة التي دعا إليها وضحي من أجلها، فتستيقظ ضمائر الناس وتهتز مشاعرهم، كل حسب مستواه وعلى قدر عقله وإدراكه وتشخيصه.

ففي المواقب الحسينية والمسيرات التأبينية، نلاحظ الطفل في المقدمة، يشارك في رفع الأعلام واللافتات، وهو لا يدرك من هذه المشاركة إلا اللعب والترفيه،

والنائح الذي يلطم على صدره، لا يسوقه إلى المشاركة في العزاء، إلا الرياء أو الحصول على الأجر والثواب، والفاضل المثقف، يتقدم المسيرة مشاركاً بوعي لإعلاء كلمة الدين، ومساهمةً في إحياء واستمرار النهضة الحسينية، والعالم المحقق الفقيه، يشارك في مجالس العزاء، عارفاً بأسرار الثورة الحسينية وأبعادها، وشتان ما بين الأول والأخير، ولكن النتيجة للجميع سواء، وهو التقرب إلى الله، والتعرف والارتباط عبر هذا الطريق برسالة السماء.

فالطفل باعتياده على المشاركة في هذه المواقب والمراسيم، ضمان لإبقائه على الخط الإلهي والعامي بمشاركته في المسيرة - ولو كان رياءً، لأن الرياء في تعظيم شعائر الدين مقبول - ولطم صدره على الحسين (عليه السلام) توطيد وتثبيت على صلته بمبادئ الهداية.

والعالم الفاضل، والفقيه المحدث، بطبيعة الحال معرفته بأسرار النهضة تلزمه المشاركة والمساهمة في تعظيم شعائر الإسلام.

هكذا تبقى النهضة الحسينية الوسيلة المثلى لإيصال اللطف الإلهي إلى الناس أجمعين، وهذه هي النتيجة التي توخينا الوصول إليها في بحثنا هذا (النهضة الحسينية وصلتها بقاعدة اللطف). ولكن هذا جانب من المعادلة، وتبقى المعادلة بحاجة إلى التوازن والاعتدال.

فالطرف الأول من هذه المعادلة يتلخص في الاقتضاء والوجوب، وهو كما يلي:

- المفسدون في الأرض يتولون الحكم، ويتحكمون في رقاب المسلمين.
- والمحافظ على هذا النوع من الحكم والملك، يقضي القضاء على سبيل الهداية الإلهية.
- ولكن اللطف الإلهي يستوجب إنقاذ الناس، وإن مارس هذا الإنسان أشنع أنواع الإجرام، وارتكب أفظع صور الهمجية.

- هذا اللطف للهداية لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق الإثارة العاطفية للناس.
- الإثارة العاطفية اقتضت تقديم قربان.
- فكان سيد شبان أهل الجنة الحسين بن علي (عليه السلام) هو القربان.

فإذا كان اللطف الإلهي اقتضى تضحية واحد من أعز الخلق لله، لهداية الناس وإرشادهم. وهؤلاء الناس بدلاً من قبول اللطف والإحسان، قالوا هذا اللطف الجحود والظلم والعصيان.

فما هو أجر وثواب من أطاع الله ورضي بأن يكون القربان؟
وما هو جزاء الأم التي ولدت وأرضعت ورعرت هذا القربان؟
هنا يأتي دور الطرف الثاني من المعادلة.

- الإمام الحسين (عليه السلام) هو صاحب الحق في جميع الهداية والرشاد والسعادة التي نالها الناس من جراء إبقاء خط الرسالة مستمراً إلى يوم القيامة. لأنه لو لم يقدم الحسين (عليه السلام) ما قدم يوم عاشوراء لانقطعت الهداية وعاش الناس يتخبطون في الجهالة همجاً راعاً.
- والعطاء الإلهي للإمام الحسين (عليه السلام) كان في ثلاثة أمور:

١. جعل الأئمة من ولده: أي جميع الهداية والرشاد الدنيوي والأخروي وصل إلى الناس من ولد الحسين (عليه السلام).

٢. استجابة الدعاء تحت قبته: أي معالجة جميع الهموم الروحية والأمراض النفسية وقضاء حوائج الناس تحت قبته.

٣. الشفاء في تربته: أي جعل تربته شفاءً للأسقام وعلاجاً للأوجاع، فراحة الناس الجسمية في تربته.

- وأما عطاؤه وإحسانه على الزهراء فاطمة فبينها علي (عليه السلام) في حديث سليمان بن محمد عن ابن عباس قال:

سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم على فاطمة وهي حزينة فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: يا أبا ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم القيامة قال: يا بنية إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرائيل عن الله (تعالى) أنه قال: أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا ثم أبي إبراهيم ثم بعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

ثم يبعث الله إليك جبرائيل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور فيقف عند رأسك فيناديك يا فاطمة بنت محمد! قومي إلى محشرك، فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك...

ثم ينصب لك منبر من نور فيه سبع مراقي بن المرقاة والمرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور، ويصطف الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره وأقرب النساء معك من يسارك حواء وآسيا فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرائيل (عليه السلام) فيقول لك: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقولين: يا رب أرني الحسن والحسين فيأتيانك، وأوداج الحسين تشخب دما وهو يقول: يا رب خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني.

فيغضب عند ذلك الجليل، ويغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنم عند ذلك زفرة ثم يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم ويقولون: يا رب إنا لم نحضر الحسين، فيقول الله لزيانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار، فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسن من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه.

ثم يقول جبرائيل (عليه السلام) يا فاطمة سلي حاجتك فتقولين: يا رب شيعتي، فيقول الله (تعالى): قد غفرت لهم، فتقولين يا رب شيعه ولدي فيقول الله قد غفرت لهم، فتقولين يا رب شيعه شيعتي فيقول الله: انطلقني فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة (٧٧).

كان هذا عطاء الله للزهراء التي قدمت ولدها قرباناً لإنقاذ الناس من الضلالة وحيرة الجهالة، وشفيعاً يوم الجزاء هذه، تجير هذا العطاء الإلهي العظيم للناس بالشفاعة لهم وإنقاذهم من النار.

سبحان الله! ويا للعجب! كل النعم والألطاف، والخير والبركات، في النهاية تنصب في أحضان الإنسان الظلوم الجهول، وهم لا يعلمون، وهم لا يفقهون، وهو لا يؤمنون وهو لا يتدبرون... و....و.

وقبل أن نصل إلى الختام يجب أن أقول:

لا يلتبس على القارئ الكريم، أن ما قلناه يعني حصر هداية الناس بالحسين والزهراء فلولا رسول الله (ﷺ) وما ضحى في سبيل إيصال الرسالة لما كان دور لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) للحفاظ على الرسالة، ولو لا علي وفاطمة وما ضحيا لما كان دور للحسن والحسين ولو لا الصبر الحسنی وتحمل الضيم لاستمرار الرسالة لما تمكن الإمام الحسين (عليه السلام) من تحقيق النصر لهضته، وكلهم نور واحد.

فالناس بكل ما يملكون من خير وهداية، ورخاء ونعمة، مدينون بها إلى الله (ﷻ) (ولرسوله ﷺ) وأهل بيته الأطهار.

ورسول الله (ﷺ) وأهل بيته بكل ما لاقوا وما تحملوا من عذاب وبلاء لا زالوا مدينون إلى الله تبارك وتعالى، فهو الذي اختارهم لرسالته وارتضاهم لغيبه، وجزاهم على ما تحملوا وما عانوا، وما أصابهم، بما يتناسب من تضحياتهم، وإن جبر هؤلاء المعصومين هذا الجزاء للخلق، والناس، العباد.

ولكن أين الذي يجازي الله عظيم لطفه ومنه!!؟

هنا تقف سفينة المساكين، وتسقط جميع الحجج والبراهين، ويقف المعصومون حيارى يتضرعون ويندبون إلى الله بالبكاء والعويل، ويقول الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة: (فها أناذا يا إلهي بين يديك، يا سيدي، خاضع ذليل حقير لا ذو براءة

فأعتذر ولا ذو قوة فأنتصر، بأي شيء أستقبلك يا مولاي، أسمعني أم ببصري، أم بلساني، أن بيدي، أم برجلي، أليست كلها نعمك عندي وبكلها عصيتك).

والإمام زين العابدين (عليه السلام) يقول في دعاء سحر رمضان الذي علمه لأبي حمزة الثمالي يقول: «أفلساني هذا الكال أشكرك، أم بغاية جهدي في عملي أرضيك، وما قدر لساني يا رب في جنب شكرك، وما قدر عملي في جنب نعمك وإحسانك» (٧٨).

فاللهم! عفوك، عفوك، ياقدوس، عفوك ولا عملي يا أرحم الراحمين، إلهي! فوحقك ليس لنا إلا ما وعدتنا في كتابك الكريم (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) (٧٩).

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

١. هبة الدين الشهرستاني، نهضة الحسين ص ٩.
٢. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ١١٠٢.
٣. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين ج ٥ ص ١١٩-١٢٠.
٤. الشيخ جعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج ٣ ص ٥١-٥٣.
٥. تجريد الاعتقاد للمحقق الخواجه نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٣هـ وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ. ص ٣٥٠-٣٥٦.
٦. سورة الشمس، آية ٨.
٧. سورة الإنسان: آية ٣.
٨. سورة الأعلى: آية ٢-٣.
٩. سورة النساء: آية ١٦٥.
١٠. سورة البقرة: آية ٢٥.
١١. سورة التوبة: آية ٣.
١٢. خطبة التوحيد للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نهج البلاغة.
١٣. الشيخ المفيد، أوائل المقالات ص ٢٥-٢٦.
١٤. سورة الأعلى: آية ٢-٣.
١٥. سورة الأحزاب: آية ٧٢.
١٦. مفاتيح الجنان، دعاء الندبة ص ٥٣٢.
١٧. شيخ الإسلام الجويني فرائد السمطين (باب فضائل المهدي ومقتل الحسين عليه السلام)، والذي قال فيه الذهبي: (من أعظم المحدثين والعلماء وأطراه في تذكروته بالإمام المحدث الأوحى والأكمل).
١٨. سورة الشورى: آية ٢٣.
١٩. سورة الشعراء آية ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.
٢٠. سورة السبا: آية ٤٧.
٢١. سورة الفرقان: آية ٥٧.
٢٢. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم ١/٢٢-٢٣.
٢٣. طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٠/٢.

٢٤. سورة آل عمران: آية ١٤٤.
٢٥. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الحبلى من الزنا/ ٤/ ١٢٠.
٢٦. العلامة السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين ج ١، ص ٤٠٢-٤٣٦.
٢٧. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦.
٢٨. ابن عبد ربه ٣/ ٦٤ وأبو الفداء ١/ ١٥٦.
٢٩. سورة الأحزاب: آية ٣٣.
٣٠. رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية «وأمر أهلك» من الدر المنثور.
٣١. أبو الحمراء مولى رسول الله، اسمه هلال بن حارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب ٢/ ٥٩٨، وأسد الغابة ٥/ ١٧٤. ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٨.
٣٢. سليم بن قيس الهلالي المتوفى حدود سنة ٩٠ للهجرة أصله سليم بن قيس ص ٣٥.
٣٣. نفس المصدر السابق ص ٤٥.
٣٤. دعاء الجوشن الكبير، مفاتيح الجنان المعرب ص ٩١.
٣٥. أصل سليم بن قيس الهلالي ص ٢٠-٢١.
٣٦. الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية، ص ٨ (صحي الصالح).
٣٧. الكافي، الوافي ٢/ ٧٩.
٣٨. تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٦.
٣٩. الشيخ حسن القبيسي، ماذا في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٦.
٤٠. تاريخ اليعقوبي.
٤١. تاريخ الطبري.
٤٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ١٦.
٤٣. مروج الذهب للمسعودي، ج ٣، ص ٣٦١. وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ١٠١.
٤٤. سورة الذاريات: آية ٥٦-٥٧.
٤٥. سورة المائدة: آية ١٣.
٤٦. سورة لقمان: آية ٢١.
٤٧. سورة التوبة: آية ٣٢.
٤٨. يمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الروايات والأخبار في معالم المدرستين ج ٣ ص ٣٠-٥٤.
٤٩. علي بن موسى بن جعفر بن طاوس المتوفى ٦٦٤. اللهوف في قتلى الطفوف ص ٩-١٠.
٥٠. الطبري ٦/ ٢١٩. ابن الأثير ٤/ ١٧. ابن كثير ٨/ ١٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٤٢.
٥١. البحار ج ١٠ ص ١٨٤. اللهوف لابن طاوس ص ٢٧-٢٨.

٥٢. سورة الصافات: آية ١٠٢.
٥٣. فتوح ابن أعثم ٥/ ٣٤، مقتل الخوارزمي ١/ ١٨٨.
٥٤. اللهوف في قتل الطفوف ص ٢٦، مثير الأحزان ص ٢٩.
٥٥. الطبري ٦/ ٢٤٦، أنساب الأشراف ج ١/ ١٦٨.
٥٦. اللهوف في قتل الطفوف ص ٣٩.
٥٧. تاريخ الطبري ٢/ ٢٢٩.
٥٨. تذكرة الخواص للسطح بن الجوزي ص ٢٥٢.
٥٩. ابن حجر في الإصابة ج ٣، ص ٢٠٥.
٦٠. مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي زيارة الناحية المقدسة التي زار بها الإمام الحجة (عليه السلام) جده الإمام الحسين (عليه السلام).
٦١. مثير الأحزان لابن نيا ص ٤١.
٦٢. الخطط المقرية ج ٢، ص ٢٨٠.
٦٣. الكبريت الأحمر ج ٢، ص ١٣، عن الطراز المذهب.
٦٤. سورة الذاريات: آية ٥٦-٥٧.
٦٥. تاريخ ابن أعثم ٥/ ٢٢١-٢٢٦، ومقتل الخوارزمي ٢/ ٤٠-٤٢.
٦٦. اللهوف في قتل الطفوف ص ٦٩.
٦٧. (م. ن) ص ٦٩-٧٠.
٦٨. (م. ن) ص ٧٩.
٦٩. سورة: آية ١٠.
٧٠. سورة آل عمران: آية ١٧٨.
٧١. سورة آل عمران: آية ٦٩.
٧٢. اللهوف في قتل الطفوف ص ٧٩-٨١.
٧٣. فتوح ابن أعثم ٥/ ٢٤٧-٢٤٩، ومقتل الخوارزمي ٢/ ٦٩-٧١.
٧٤. فتوح ابن أعثم ج ٥/ ص ٢٤٩-٢٥٠.
٧٥. التهذيب للشيخ الطوسي ج ٢، ص ٢٨٣.
٧٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٣ ص ٢٢٥-٢٢٧ باب تظلم سيدة النساء فاطمة الزهراء في القيامة.
٧٧. الإمام الحسين (عليه السلام)، دعاء عرفة (مفاتيح الجنان المغرب) ص ٢٦٧.
٧٨. الإمام زين العابدين (عليه السلام) دعاء أبي حمزة الثمالي (مفاتيح الجنان المغرب) ص ١٩٣.
٧٩. سورة الزمر: آية ٥٣.

دمعة حزن

الكلمة التي القاها الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني في مؤسسة الإمام الخوئي في لندن بمناسبة الحفل التأبيني السنوي للإمام الخوئي ونجليه السيد محمد تقي والسيد مجيد الخوئي سنة ٢٠١٣، وقد نشرت الكلمة في مجلة مؤسسة الإمام الخوئي

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه غيره، والصلاة والسلام على رسول الرحمة وهادي الأمة، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(اللهم لك الحمد على ماجرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لازوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية. وزخرفها وزبرجها، فشرطو لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي).

هذه الحكمة البالغة، والطريقة المثلى، التي رسمها الله تعالى لاختيار انبيائه المرسلين، وأوليائه المقربين، وعباده الصالحين، فلم يقدسوا، ولم يقربوا، ولم تكن درجاتهم رفيعة، ومنزلتهم متعالية، إلا بعد عرضهم على سلسلة من الاهوال، وامتحانهم بشتى الاحوال، فان اجتازوها بنجاح وقبلوها بالترحاب، كانت لهم الدرجات العلى، في مراحل مختلفة ومدارج متقاربة، من سيد الخلق اجمعين وخاتم الانبياء والمرسلين، الى العلماء الصالحين والفقهاء البارعين.

لقد كان سيدنا الامام السيد ابو القاسم الخوئي (رحمته) احد هؤلاء العظام الذين

دخلوا التاريخ بمرجعيتهم الشمولية على العالم الشيعي في زمانهم، ولم يدخل سيدنا الامام الخوئي في التاريخ من باب واحد، إنما دخله من أبواب متعددة، بفقهاء وأصوله، بتفسيره ورجاله، والاعظم من ذلك بجهاده وقيامه، خاصة في هرمه وشيخوخته، فكان سيدنا الامام الخوئي (تذُّر) أفقه فقهاء عصره ' وأكبر علماء زمانه، تنحصر فيه المرجعية العليا، وتعود اليه العامة في تقليدها، ويتوافد اليه العلماء من أقصى العالم الى أقصاه، لاخذ الفتوى منه، والوقوف على وجهة نظره في أمور دينهم.

ومما تفرّد فيه الامام الخوئي (أعلى الله مقامه) في فقّاهه ومرجعيتّه تربيتّه وتعليمه لثلاثة أجيال من المراجع والفقهاء العظام في مدرسته، وفي زمانه كان الجيل الاول يتمثل بالمرجع الديني الكبير السيد محمد الروحاني، الذي رجعت اليه الامة بعد وفاة إمامنا الخوئي.

والجيل الثاني تمثل في المرجع الديني العظيم الشهيد الامام السيد محمد باقر الصدر الذي ذاع صيته في العالمين.

والجيل الثالث تمثل في المجتهد الكبير الشهيد المجاهد السيد عبد الصاحب الحكيم الذي كان في الحوزة الدينية في النجف الاشرف تتناقل فضله وعلمه رغم صغر سنة رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جنانه.

أما المرجعية العظمى في زماننا هذا والمتجسدة في سيدنا الامام السيستاني (دام ظله) فما هي إلا إمتداد لنفس المدرسة الفقهية.

أما في علم الاصول واستنباط الاحكام، فكان وحيد دهره، لا ينازعه أحد في علمه، ولا ينافسه عالم في إستدلاله، بعيد النظر عميق الفكر، دقيق في تحليله بصير في آرائه، قوي في حجته، جريء في أقواله سلس في بيانه، مقنع في برهانه، واضح في تفسيره.

الى جانب ذلك كله كان يتطلع الى مستجدات الامور بدقة وينظر في المتغيرات بدقة بالغة، ولذا تمكن من وضع أصول جديدة ومباني حديثة في علم الاصول

ضوء التطور العلمي والتراث الاصيل مما دعا الكثيرين الى تسميته بالمجدد الكبير في علم الاصول.

كما كان دور الامام الخوئي تدثر في علم التفسير دوراً رائداً لم يسبقه الي مثله غيره، وقد انعكس في تفسيره البيان ولكن من سوء الحظ لم يتمكن أعلى الله مقامه من الاستمرار فيه لانشغاله في الفقه والاصول.

أما تجربته في علم الرجال، وهو ركن أساس في الجرح والتعديل، والمحك الاول الاطمئنان الي وصول السند الي المعصوم فكتابه (معجم رجال الحديث) الذي يرجع اليه كل فقيه ويرتوي من عذب مافيه كل محدث ومحقق، أصدق مثال على ما بذله سيدنا الخوئي من جهد وعناء في سبيل معرفة طبقات الرواة وتصنيفهم. أما جهاده أعلى الله مقامه، فإني أقتصر في خطابي هذا على وقوفه في وجه الحكم الظالم، والنظام الغاشم البعثي الصدامي، واحتضانه للانتفاضة العراقية المشرفة سنة ١٩٩١م بعد أن التف الشعب حوله وطلبوا منه التصدي لهذا النظام فشكل اللجنة التاريخية المعروفة لحفظ أموال الناس واعراضهم، وصون كراماتهم والدفاع عن أرواحهم، لايبالي سطوة الوحش الغاشم، ولايهاب أسلحة العدو الظالم، وحين غدروه ودخل عليه الجلاوزة من كل مكان، من الارض والسماء، ومن اليمين والشمال واقتادوه مع نجله محمد تقي (عليه السلام) الي مقر شوكتهم ومعقل مخابراتهم، لم تلفظ شفتاه إلا بالشكر والاستغفار، وكان يردد مقولة جده الحسين (أحتسبه بعين الله)، وبقي الظالم الملعون ينقله من مكان الي مكان ومن دار الي دار وهو في السادسة والتسعين من عمره الشريف، حتى توفاه الله الي رحمته، ونقله الي واسع مغفرته، والامة في حزن وأسى، ولوعة وشجى، لفقدان هذا العالم الهمام والوتر الضرغام.

ولم يكتفِ النظام الملعون بوفاته تدثر بل منع تشييع جثمانه الطاهر خوفاً من ثورة الجماهير وانتفاضة الابرار والاخيار، فحمل جنازته بعض المقربين على

أكتافهم الي مثواه الابدي ومأواه السرمدي، فإننا لله وإنا اليه راجعون، والعاقبة للمتقين (تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) - هود - الآية - ٤٩

وكان هذا الشبل من هذا الاسد، فقد تولى الشهيد المرحوم المغفور له حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد تقي الخوئي نجل الامام الراحل، المهام الجهادية والنضالية والخدماتية في تلك الاجواء الارهابية وظل النظام الاجرامي، بحنكة وسياسة وجرأة وشجاعة، يصلح أمور الناس، ويتعاون في شؤون المرجعية مع الامام السيستاني (مد ظله)، ولكن حكمته في عمله ومهارته في تصرفاته كانت تغضب النظام الفاشي وعندما جاء الى لندن في أول زيارة له بعد الانتفاضة، طلبنا منه جميعاً البقاء حفظاً على حياته وصوناً لسلامته، فكان يرفض ذلك ويقول، كيف لي أن أقوم بذلك، ومن يعين المظلومين على الطغاة، ومن يعيل الارامل والايتام من الفقر والفاقة، ومن يساعد الناس في مواجهة الاراذل والابواش ومن يحافظ على حوزاتنا الدينية فرجع الى مسقط رأسه وكانت الشهادة من ورائه، فما ان وصل الى العراق طلب النظام التعاون معه، فرفض وصمد راسخاً في عقيدته حافظاً لجأشه، قوياً في إرادته، فخطط النظام للقضاء عليه وتصفية وجوده، فأرداه قتيلاً مع ثلة من أقربائه وزملائه بحادثة سير مفتعلة فانا لله وإنا اليه راجعون.

وعندما دخل بقية هذه النخبة الصالحة النجل الهمام سماحة العلامة السيد عبد المجيد الخوئي الى النجف الاشرف على غفلة من أهلها، دخلها ليحسم أمرها ويصلح شأنها ويحافظ على مراجعها، وكان بيان مكتبه انه صلى الفرض في مسجد الكوفة والزيارة في مسجد السهلة وكان هذا البيان بارقة الامل في زوال حكم الطاغية وتسكين القلوب للحفاظ على أرواح الابرياء وحقن الدماء وكانت هذه والله لخطوة جريئة وانجاز عظيم جزاه الله خيراً وأحسن أجره ولكن اليوم ارتحل عنا (ابو حيدر) واستشهد في حرم جده ونحن نقيم له العزاء ونسكب له الدمع حزناً

والمأ ولوعة لما دهاه والقلوب حرى والعيون عبرى فقدناه فقدناه وليس لنا إلا ان نقول انا لله وإنا اليه راجعون.

حدثني سماحة الشيخ المهاجراني قال: (حينما حذرت المرحوم من السفر العاجل قال لي: (لئن امكن من انقاذ اثنين من الموت والهلاك خير لي من أقتل او أموت) هذا هو السيد عبد المجيد، من عرفه فقد عرفه، ومن لم يعرفه - وهم كثيرون- فليعرفه، لقد كان علوياً في ولائه، حسينياً في هواه، صلباً في عقيدته، قوياً في حجته، مقداماً، هميماً، شجاعاً، جريئاً في رأيه، صريحاً في بيانه إذا عزم على امر لم يهبه، او اقتنع بقضية تناهاها، يخوض المهاول بجرأة وعزيمة ويتحدى الصعاب بارادة قوية، هكذا كان شهيدنا الغالي، ولكن خسرناه، والخسارة عظمت غير اننا نواسي انفسنا بالبقية الباقية من علمائنا المجاهدين الاخيار والمناضلين الابرار، شيوخاً وكهولاً وشباباً ونقدم أحر التعازي لذوي الفقيد ولكم جميعاً، فكلنا مشتركون بالمصاب كما نتقدم جميعاً لتعازينا القلبية الى اسرة المرجع الديني الاعلى الامام الخوئي رحمته والى اسرة مؤسسات الامام الخوئي الخيرية.

واستميحكم عذراً فلست بواعض وانتم الذين تعضوني وترشدوني، ولكن لي التفاتة هامة وتوصية عامة فنحن في خضم هذا الانتصار العظيم بزوال الطاغية وجلاوزته أمام فتنة كبرى واختبار رهيب ان تجاوزناه تجاوزنا الصعاب وان فشلنا فيه كانت عاقبة امرنا الذلة والهوان، والعالم يراهن على تصرفاتنا وينظر بدقة متناهية الى تطلعاتنا، علينا التعالي على الجراح والتغاضي عن الاحقاد والتناسي للويلات والالام ودعونا نحسب ما أصابنا عند الله، ولا نطلب الاخذ بثاراتنا إلا من الحكيم العادل الجبار، فبهذا وحده شفاء للقلوب واطمئنان للنفوس وهو الذي لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض.

ولنكن واعين حذرين ننظر للامور والوقائع بدقة وبصيرة ونستمع الى الاقوال بوعي وتأمل لانساق الى العواطف والاهواء والاشاعات والتحريضات.

سادتي ان بلدنا الحبيب بحاجة في بناء مستقبله والقضاء على ويلات الحرب الى العقول المبدعة والسواعد الماهرة والخبرات المتطورة، والحمد لله فأنتم حصلتم عليها في هذه الاقطار الغربية، وحق وطنكم عليكم وحاجة اخوانكم لكم يستوجب نقله الى عراقنا العزيز، المثقل بالأساء والضراء فلا تبخلوا عليه وعاهدوا الله على ذلك كان الله في عونكم انه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد علي الشهرستاني

في ندوة بيروت للدفاع عن المرجعية والعتبات المقدسة في ١٨/٦/١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله المنتجبين
سادتي العلماء الأجلاء، اصحاب المعالي والسعادة، أخواتي، أخواني
سلام من الله عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدني ويشرفني أن ارحب بكم في هذه الندوة الكريمة بأسم الجامعة العالمية
للعلوم الإسلامية وأقدم لكم فكرة موجزة عن الدواعي والأهداف التي أستوجبت
هذه الندوة الفكرية، تاركاً أبحاثها وكلماتها لأصحاب السماحة والسيادة العلماء
الأعلام، والأساتذة الكرام.

سيداتي سادتي كل أمرء ينظر الى الحياة بمنظاره الخاص ويرى الأمور من زوايا
أختصاصه وجهة تفكيره. فطبيعي جداً أن تنظر الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية،
الى الأحداث المفجعة والمصائب المؤلمة، وهتك الحرمات والتعدي على
المقدسات، التي حدثت في العراق على أيدي جلاوزة النظام الصدامي بمنظارها
الخاص، وهو الدفاع عن العلم والثقافة، والمعاهد والمدارس، والتراث التاريخي
والفني، وصون كرامة العلماء والأساتذة خاصة حينما يكون المرجع الأعلى وأعلم
علماء الفقه والأصول في عصره محتجز في بيته، قعيد في داره لا يمكن له أن يزور
أحد أو يزار.

فلم يعد الصمت جائزاً، ولا السكوت عن الحق ممكناً، والعالم يتغنى في الدفاع

عن حقوق الإنسان والمنظمات العالمية بآلافها المؤلفة من العدد والعدة تدعي القيام بتنفيذ وثائق وقرارات هيئة الأمم.

فإن صدقوا فيما يدعون، زدناهم بوثائق قريمة، وبمستندات واضحة، وحجج وأدلة قانونية دامغة، مدعومة بمطالب الملايين من شعوب العالم.

وإن لم يكن لأقوالهم ومواعيدهم مصداقية إلا فيما يتعلق بمصالح البعض (وهذا هو الأرجح) أتمننا الحجة عليهم وتركنا هذه المنظمات لتكون طرفاً للشعوب ورغباتها.

من هذا المنطلق أنطلقنا تاركين التحرك السياسي لرجال السياسة والعسكري للعسكريين والثقافي والأكاديمي لنا الجامعيين.

فقررنا عقد ندوة علمية أكاديمية للدفاع عن تراثنا التاريخي في كربلاء والنجف ودعم المرجعية الدينية، وبالفعل انعقدت الندوة الأولى في لندن بتاريخ ٢٤ و ٢٦ آيار، شارك فيها كبار العلماء والأساتذة الجامعيين وذوي الاختصاص في الفن الإسلامي وكانت لهم أبحاث قيمة خاصة بالنسبة للجامعة العلمية في النجف الأشرف عبر مسيرتها الطويلة ونتاجها الثري.

أما أساتذة الفن والعمارة الهندسية الإسلامية فقدموا أبحاث قيمة عن أهمية العتبات المقدسة وتأثيرها على الحضارة البشرية، وعن النفائس الفنية والأثرية النادرة التي لا يمكن صنع المثل لها في الحال الحاضر، واعتبروا التعدي عليها وتهديمها جريمة لا تغتفر، ويجب محاكمة المعتدين على هذا الحق الإنساني والتراث البشري.

كما تضمن البرنامج معرضاً للصور التاريخية والأثرية عن كربلاء والنجف وعرضاً لأفلام وثائقية عن القصف والدمار الذي أصاب مرقد الأمام علي والأمام الحسين وأبي الفضل العباس (عليه السلام).

وفي أثناء انعقاد هذه الندوة طلب منا الكثيرون من رجال الفكر والعلم أن يتكرر

هذا البرنامج في حلقة متواصلة، وتنعقد هذه الندوة في عواصم أخرى بعد العاصمة البريطانية، فكان لنا الفخر أن أستضافنا المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لأنعقاد هذه الندوة الثانية في بيروت، العاصمة العربية العريقة والرائدة للثقافة والأدب والعلم، أمّين عقد الثالثة في الهند بعدما أستلمنا دعوة من المجلس الأعلى لعلماء وخطباء الهند، والرابعة في الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من مؤسسة الأمام الخوئي الخيرية في ديترويت.

أما أهداف إقامة هذه الندوة هي عبارة عن: -

١. بيان قدسية العتبات عند المسلمين وبالأخص أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وإيجاد جو ملائم دولي للضغط على العراق من أجل حماية المدينتين المقدستين كربلاء والنجف، وتوفير الحقوق الأساسية لكل فرد في العالم لزيارة هذه الأماكن ومزاولة الشعائر والمراسيم الدينية كما هو مقرر في الأعلام العالمي لحقوق الإنسان.

٢. بيان الأهمية التاريخية والأثرية والفنية لمرآقد الأئمة وتأثيرها على الحضارة البشرية والمطالبة بالحفاظ عليها، ومعاينة المعتدين على تدميرها.

٣. بيان الأهمية الأكاديمية والعلمية لجامعة النجف الدينية التي يمتد تاريخها الى قرابة الف سنة ومطالبة المنظمات العالمية المعنية وبالذات منظمة الأونسكو للتدخل السريع لأيقاف هدم هذه المدارس والكليات والمكتبات التابعة لهذه الجامعة وأطلاق سراح الأساتذة والطلاب والعلماء، وبالذات رفع الاحتجاز عن زعيم الحوزة المرجع الأعلى الأمام الخوئي لمزاولته نشاطه العادي ورعايته لأتباعه ومقلديه من أبناء الأمة الإسلامية.

إننا نلفت انتباه أصحاب القرار في العالم الى نقطة جوهرية وحقيقة علمية وهي أن المقدسات لكل فرد وكل مجتمع، هي الخطوط الحمراء التي لا يجوز تجاوزها والتغاضي عنها، وهي التي غيرت مجرى التاريخ في كل حقبة وفي كل زمان

وقلبت جميع الموازين والأعتبارات، وعند المسلم محرمات وواجبات، وهذه المحرمات والواجبات تتغير أحكامها بأعتبارات ثانوية، فمثلاً الصوم يحرم على المريض والصلاة تسقط على الخائف على حياته، وأكل الميتة يحل على المضطر كل ذلك لأن هذه الأحكام لوجود الانسان وسلامته، فهي نسبية تتغير أمام مقدس الوجود، وهذا المقدس أيضا يصبح نسبيا أمام مقدس الدفاع عن حريم الإسلام ومقدساته.

فعند المسلم الملتزم يتصاغر كل شيء ويتلاشى، حينما يصطدم مع مقدس الدفاع عن العقيدة حتى حياته ووجوده، وهذه حقيقة لا مفر منها، وإن لاحظنا إن ردود الفعل لا تشير إلى ذلك فباعترادي أمرين:

الامر الأول: التهام المجحف الموجه للشيع بالارهاب وجعلهم في صفوف المعتدين والمتجاوزين فإن أرادوا الدفاع عن انفسهم قلبه أعدائهم الى الصاق تهمة الأرهاب وتعريفهم الى العالم ظالمين وليس بمظلومين.

الامر الثاني: الضغوط الكبيرة من العلماء والمفكرين على عامة الناس بالتروي وضبط النفس والتعالي على الجراح.

ولكن إلى متى سيدوم هذا الحال؟! الحكم على هذا متروك لأصحاب القرار. إننا من منطلقنا الأكاديمي والعلمي نناشد العلماء والمفكرين من شرق العالم الى غربه ومن شماله الى جنوبه، ونستصرخهم ونستنجد بهم للوقوف صفا واحدا مدافعين عن اقدم جامعة علمية انسانية ودينية في العالم، وإعادة الحرية للمرجع الأعلى الامام الخوئي، كما وقفوا لإعادة الحريات لأستاذ جامعي كزاخورف أو نددوا بأعتقال طالب طرد من مدرسته، فعشرات الآلاف من الطلبة قتلوا أو أعتقلوا أو نفوا من ديارهم، وجميع المدارس سويت بالأرض والمكتبات أحرقت او نهبت، ولم تكن فعلت هولاءكو ببغداد أكثر من هذا لا والله.

لقد أنتفض لبنان بجميع طوائفه وطبقاته حينما تعرض البطريك الماروني

للأهانة ودخل بعض الرعاع الصرح البطرياكي، ولكن لم نر ردود فعل تتناسب مع حجم الكارثة العلمية الدينية الأنسانية التي حلت لأعلى مرجع ديني كالحبر الأعظم وتدنيس أقدس المشاهد الدينية.

وهنا أستنجد بالأعلام العربي والعالمي وأخاطب ضمائرهم الحية وأتمنى عليهم أن لا يصادروا حقوق هذه الطائفة المحرومة لمصالح اصحاب القرار، واضعف الأيمان أيضا هذه الاصوات والصرخات الى العالم.

ختاما اتقدم بالشكر الجزيل لجميع السادة والسيدات الذين شاركونا في هذه الندوة واهص بالشكر سماحة العلامة الكبير الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وسماحة العلامة المفكر الإسلامي الكبير السيد مرتضى العسكري، الذي ابى الا ان يشارك في هذه الندوة فتحمل اعباء السفر مع ضعف حاله وكبر سنة فلکم الشکر منا جميعا والسلام

الدكتور محمد علي الشهرستاني

رئيس مجلس أمناء الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

بيروت ١٨/٦/١٩٩١

من ابداعات العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني
(تذُر)

صلة الفن بالعتيدة الاسلامية وامير المؤمنين ﷺ

المعماري فيلسوف يحاول إلزام المجتمع اتباع نهج جديد في
الحياة عن طريق تصاميمه المعمارية والإنشائية

بحث من اهم بحوث المغفور له المهندس المعماري العبقرى السيد الشهرستاني، الذي
استخدم علمه وخبراته الهندسية والمعمارية في الربط بين صلة الفن بالعتيدة من خلال
بحته الذي القاه قبل ٢١ سنة في افتتاح المعرض الفني لمهرجان الإمام علي (عليه السلام)
بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير الأغر في فندق ماريوت (لندن) سنة
١٩٩١م

فتحدث المرحوم عن الأسباب الموجبة لإقامة المعرض وصلته بالإمام علي
(عليه السلام). واشتمل البحث على ثلاثة أقسام وهي:
القسم الأول: أسس العقائد البشرية ومبانيها.
القسم الثاني: صلة العتيدة بالفن.
القسم الثالث: صلة الفن بالإمام علي (عليه السلام).
واليكم نص البحث المتميز للمغفور له السيد الشهرستاني:
الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد ﷺ وعلى أهل بيته
الطاهرين.

سادتي الكرام: إن الهدف الغائي والأمنية الكبرى لأبناء البشر منذ أن خلُقوا

وإلى يوم هم باقون على سطح هذه الكرة الأرضية هو الحفاظ على وجودهم والتمتع بهجة الحياة.

وللوصول إلى هذه الغاية والأمنية أودع الله في وجود الإنسان غريزتين هما الخوف والرجاء تسوقانه إلى هذه الغاية المنشودة بصورة فطرية لا إرادية.

ومن هنا انطلق الإنسان ليلوذ بموجود قوي قادر يصونه من الهلاك ويسخر له طاقات الكون الكامنة لينال الخير والبهجة في الحياة. فنرى بعضهم يؤمن بالله وآخرين يعبدون الشمس والقمر وكثيرين يعتبرون الأصنام والحجر والشجر آلهة لهم.

مدرسة الاهي

وبهذه الصورة تظهر مدرستان أساسيتان للعقيدة، مدرسة الإلهي ومدرسة البشرى.

مدرسة الإلهي تتمثل في رسالة الأنبياء والرسل نبي بعد نبي ورسول بعد رسول يحملون التعاليم الإلهية والشرائع السماوية من الله الواحد الأحد إلى البشرية جمعاء، ولذا فإن جذور هذه الأديان والشرائع السماوية واحدة، وإن تصوّر البعض تعددها، لأن القرآن الكريم يقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

فما كانت تبلى أحدهما بسبب التحريف والتزييف حتى كانت تظهر الأخرى برسالة سماوية ناسخة ومجددة لسابقتها. وعلى هذا الأساس فإن العقيدة الصحيحة المقبولة من هذه الأديان هي العقيدة التي تثبت وتبرهن ارتباطها بمبدأ التشريع كالسلسلة حلقة بحلقة وعروة بعروة.

مدرسة البشرى

أما مدرسة البشرى فتبتدأ من الخرافة المتمثلة في عبادة الأصنام والأحجار والشجر والحيوان حتى ظهور دور العقل الذي طرحه الأيونيون والفيثاغوريون بتركيزهم على الحسابات والرياضيات.

ويأتي غوغياس السوفسطائي لينقض كل شيء فيقول: « لا شيء موجود، أو إذا وجد شيء ما فهو غير قابل للمعرفة، أو إذا كان قابلاً للمعرفة فهذه المعرفة غير قابلة للانتقال إلى الغير ».

إلى أن تظهر الدارس الفلسفية الكبرى التي تبدأ من سقراط ثم أفلاطون الذي يعلن سلطان العقل ويتدع مدرسة الاشراق ويركز على الحكومة والسياسة. ثم يخلفه أرسطو الذي يدعو إلى مدرسة المشاء ويصنع ميزاناً لمعرفة الواقع والحقيقة ويُسميه بعلم المنطق ولذا يُلقب بالمعلم الأول.

ويضع موت الاسكندر عام ٣٢٣ ق. م حداً لنهاية الازدهار اليوناني كما يقول بيردو كاسيه في كتابه الفلسفات الكبرى: « بيد أن الفتح المقدوني وسيطرة روما ثم امتدادها المسيحية وانتشارها. كل ذلك ساعد على انحطاط المثل الأعلى الوطني والعادات الفكرية اليونانية انحطاطاً مستمراً تجاه قوة مخيلة الشرقيين وورع الساميين ».

ظهور الاسلام

وعند ظهور الإسلام وتقدم العلم والبحث الفكري في الشرق يظهر الفلاسفة المسلمون وفي مقدمتهم الفأرابي الذي نقح وأضاف الكثير إلى المنطق بعد أرسطو بالاستفادة من العمق الفكري الإسلامي. ولذا لقب بالمعلم الثاني وتبعه ابن سينا في القرن الحادي عشر الميلادي وابن رشد في القرن الثاني عشر الميلادي.

وفي هذا القرن يظهر الفكر الصوفي ومدرسة العرفاء بواسطة الغزالي والسهوردي وهو الفكر الذي يعبر عنه الغزالي بقوله: « أن التصوّف مالوا إلى العلوم الإلهامية » ويحتدم الصراع بين فلاسفة الأشراق والمشاء من جهة وبين أقطاب التصوف من جهة أخرى حتى ظهور صدر المتألهين الشيرازي الذي يحاول الجمع بين الإشراق والمشاء في القرن السابع عشر الميلادي.

وفي هذا القرن يطرح ديكرت نظرياته الفلسفية ومنهجية تحقيقه للعلوم في

الأوساط الغربية وتوضح المبادئ الأولية للعلوم التجريبية. ويظهر نيوتن في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وي طرح قوانينه الميكانيكية التجريبية.

الثورة الفرنسية وعصر النهضة

و ثم يبدأ التحول الجذري في العالم الغربي بنجاح الثورة الفرنسية والنهضة الصناعية وتمد الفلسفة الرأسمالية المادية حذورها لتسيطر على العالم كله حتى ظهر هيغل الذي رحب بالثورة الفرنسية وتمرد على النظام الإقطاعي للملكية وكان لفلسفته أثر كبير على تطور الماركسية التي أنقذت أهم عناصر الفلسفة الهيجيلية - وهي الجدل - وحوّلته إلى نظرية تقوم على تطور الطبيعية والمجتمع والفكر.

وعند طرح كارل ماركس مؤسس الشيوعية، لفلسفته المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي تعاون معه انجلز في صياغة مبان الحزب الشيوعي المنفيسست سنة ١٨٤٨م والذي اعتبر ولادة للاشتراكية الشيوعية في العالم. وهكذا تعاقبت الآراء الفلسفية والعقائد الإلهية وتتابعت من يوم عرف الإنسان نفسه إلى يومنا هذا. ولم تكن الحروب الطاحنة والصراعات الداعية والغزوات المتلاحقة في تاريخ البشرية إلا نتاجاً لهذه التباينات الفكرية والعقائدية. وكل هؤلاء العباقرة وعمالقة الفكر وأتباعهم وأنصارهم يدعون أنهم منقذون للبشرية وهم الذين يؤمنون طموح أفراد البشرية في الحفاظ على وجودهم والتمتع ببهجة الحياة وتسخير الطبيعة والكون لصالح هؤلاء الأفراد. ولكن مع مزيد الأسف كل منهم ينقض الآخر.

فالخرافات المتجسدة في طلب العافية من الصنم بنحر الشاة أو طلب الخير من الشجر بشد الخيوط بها أو طلب الشفاء من البقر بالتبرك بفضلاته، كلّها تنقض بالعقل السليم. والسفسطة المتمثلة بقول الشاعر:

كل مافي الكون وهمّ أو خيال أو نقوش في مرايا أو ظلال

فإنها تنقض بالحس والوجدان. والفلسفة ينسفها كبير فلاسفة المشاء، ابن سينا بقوله: « إن الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف من

الأشياء إلا الخواص والأعراض واللوازم ولا نعرف الفصول المقومة لكل واحد منها، بل نعرف أنها أشياء لها خواص وأغراض». وقول كبير فلاسفة الإشراف شهاب الدين السهوردي في حكمة الإشراف: « في بيان الوفاء بإعطاء الحدود الحقيقية حقوقها صعب جداً لجواز الإخلال بذاتي لم نطلع عليه، ولكثرة ما يقع فيها من الأغاليط الحدية ». وصدر المتألهين الشيرازي الجامع للفلسفتين يقول في أسفاره « لهذا وقع الاختلاف بيننا »، وهذا الاختلاف هو الدليل القاطع الذي يثبت عدم الوصول إلى الحقيقة التي هي ثابتة غير متغيرة. وهذا ما حدث بعينه للفلاسفة الغربيين المتأخرين فكل منهم ناقض عدله وأبطل نظرية غيره.

أما المتصوفة والعرفاء الذين اعتقدوا بالعلوم الإلهامية وحدا بهم استدلالهم إلى أن الله حقيقة لا بشرط شامل لوحدانيته وهو مقام جلاله ومستوعب لاستعلائه وهو أن كل الأشياء والظواهر فيض عنه، وتبعاً لذلك فإن الهدف الأسمى للحياة هو الالتحاد بالذات الإلهية والإيمان بوحدة الوجود، فقال محي الدين العربي: «سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها». وقال حلاج:

ليس في جبتي سوى الله وحده لا شريك إلا هو

أي أن الحجر والشجر والبقر والبشر كلها ذات الله. وهذا ما ينزده العقل ويرفضه الوجدان.

منهج ديكارت

أما منهجية ديكارت ومَن تبعه من أساطين العلوم التجريبية كنيوتن وبيكون وداروين وفرويد واينشتاين، هذه المنهجية التي تعد اليوم الركيزة العظمى للتقدم التقني والفني، فهي أيضاً متزلزلة لا توصل إلى القطع واليقين لأنها مرتكزة على الاستقراء التجريبي والديالكتيكية المادية للوصول من الجزئي إلى الأصل الكلي، ومعرفة العلة للتحكم في المعلول وتنظيمه. ويعرفته يمكن وضع القوانين والأنظمة المتعلقة بحياة الإنسان وكيفية تسخير الطبيعة لصالح البشر وتنظيم الصلات المادية في الكون.

ولكن إذا كانت معرفة العلة مترتبة على الاستقراء. والاستقراء منه ناقص ومنه تام. ومعرفة العلة التامة لا يمكن حصولها إلا عن طريق الاستقراء التام. والاستقراء التام يستلزم استيعاب جميع الخواص والأحوال والظروف المحيطة بما يدور حوله الاستقراء. وهذا الاستيعاب يستلزم بالضرورة العلم التام بكل ما في الوجود والخليقة. وهذا العلم ينحصر انحصاراً مطلقاً بذات خالق الموجودات.

إذاً لا يمكن أن يكون هذا الاستقراء والمنهج الديالكتيكي استقراء تاماً يبلغ مستوى الحجية القطعية في معرفة العلة، إلا إذا كان مطابقاً لما يقوله الله. ولهذا السبب نرى أن القوانين المدنية الوضعية وحتى القوانين الهندسية والميكانيكية والكهربائية والطبيعية تتغير وتفقد قيمتها من مدة إلى مدة. أما آراء كارل ماركس وانجلز ولينين الشيوعية حول المادية التاريخية والاقتصاد السياسي فقد نسفت نفسها بنفسها فوفرت علينا بحثها وتحليلها.

وإذا كانت نتيجة هذه الصراعات الفكرية العقائدية أن يكون العالم البشري اليوم في شقاء وحيرة وتخبط يواجه مشاكل ومعضلات جدية وجذرية تهدد وجوده على سطح الأرض ناهيك عن الراحة النفسية والتمتع الصحيح بهجة الحياة.

الإصلاح في الدول النامية

فشعوب الدول النامية وما تُسمى بالعالم الثالث، تعاني الجهل والفقر والتشرد والحرمان، وشعوب الدول الراقية تعاني التسبب والفلتان وانفصام عرى العلاقات العائلية والاجتماعية بالإضافة إلى تلوث البيئة والأمراض المستعصية والعذاب النفسي، فهي على شفا حفرة هارة من الممكن أن ينهار صرحه في كل آن.

وقادة الفئة الأولى لا ينكرون في إصلاح أمور بلدانهم، وقادة الفئة الثانية لا هم لهم سوى السطوة وسيطرة بعضهم على بعض، لذا تتركز جهودهم على سباق التسلح والإعداد لتسخير الفضاء ومحاولة التفوق في أبحاث الحروب الكيماوية والذرية. فالبشرية اليوم وأكثر من أي يوم مضى في أشد الحاجة إلى مبادئ وأنظمة

تنقذها من فناء حتمي يهددها، أنظمة تؤمن لها حياة سعيدة رغيدة، تعطيتها الطمأنينة والهناء، وراحة البال واستقرار الخيال. وأني لا أريد بهذا العرض العاجل أن أسحب خط البطلان على جميع الأنظمة والمبادئ والعقائد بل أعتقد بما يعتقد به كل مسلم، أعتقد بالمنهج القرآني القائل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾.

الاسلام وتعاليم اهل البيت

ولا أريد أن أطرح الإسلام وتعاليم محمد وعلي □ كعقيدة بديلة للأنظمة والمبادئ الأخرى، إنما أريد أن أمد يد الطلب والرجاء من على هذا المنبر وفي هذه المناسبة التاريخية العظيمة وباسم (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) و(المركز العالمي للأبحاث الفنية) و(الجامعة التكنولوجية العالمية) إلى الزعماء الدينيين من كل دين ومذهب والفلاسفة والمفكرين والساسة ورجال القانون والعلماء التجريبيين والفنيين والأساتذة الجامعيين والأكاديميين لتأسيس مركز عالمي لأسس المعرفة وأصولها، وبالتعاون مع منظمة الاونيسكو المركز الثقافي العالمي، لتولي البحث والتحقيق عن سبل المعرفة وأصولها ومبانيها، ليتمكن هذا المركز من وضع نظام فكري عقائدي يؤمن للبشرية غايتها وأمنيتها، وهي كما ذكرت في مستهل حديثي الحفاظ على وجوده والتمتع بهجة الحياة، لعلنا نتمكن من إحداث المنعطف التاريخي لحياة الإنسان. وإني لأهيب بشبكات الإعلام ورجال الصحافة للتعاون معنا في تحقيق هذا الهدف، فلهم الكلمة المسموعة عند الناس ولهم التأثير المباشر على توعية الأفكار. أما الفن الذي يعد المعبر الواقعي عن ثقافة الشعوب بعيداً عن الزيف والتمويه، والدليل الصادق على حضارة الأمم وتراثها فانه يعتبر النموذج الحي للتفكير الإنساني وخلفياته الفكرية ومكون معتقداته. فحينما يجف القلم ويتلثم اللمعان وتعجز اللغات عن بيان مقاصد الكاتب والمتكلم، ولا تتمكن الكلمات من التعبير عما في سريرة الإنسان وباطنه، تأتي ريشة الفنان

ويأتي أزميل الحرفي ليعبر عن أمور تدرك ولا توصف فتخرج من القلب وتقع في القلب، متحدية تباين اللغات وتفاوت المستويات، وتعارض القوميات بصورة لا إرادية طبيعية تترشح من مكنون العقيدة الباطنية للفنان. فهو صوفي يكتسب خبرته من العلوم الإلهامية ولكن لا يعتقد بالدليل القائل أن الهدف الأسمى هو الاتحاد بالذات ليؤمن بوحدة الوجود.

فلسفة المعماري

والمعماري فيلسوف يحاول بدراساته وآرائه المنطقية إلزام المجتمع اتباع نهج جديد في الحياة عن طريق تصاميمه المعمارية والإنشائية، ولكن لا ينخرط في الاستدلالات الفلسفية ليصبح أسيراً مسيراً بواسطة عقله فقط. لذا نرى بكل وضوح وجلاء كيف أن المعتقدات الدينية والجذور الفكرية تنعكس في آثار الفنانين والحرفيين والمعمارين. فلو استعرضنا الآثار الباقية والتراث المتروكة لوجدنا أصد مظاهرها في المباني والمعابد والكنائس والمساجد والمدارس قديماً وحاضراً. ففيها يحاول الفنان الابداع والسعي في الوصول إلى قمة مهارته وكفائته، فهي نماذج لمكنون التفكير الباطن لمعتنقي المذاهب والأديان والملل والنحل.

وهنا يأتي دور التحليل والتدقيق، إذ نرى عبدة الأوثان يزيون معابدهم بتمائيل وصور لآلهتهم التي يعتبرونها مظهر القوة والخير والعطاء، فنرى في هذه المعابد تماثيل لإنسان ذو عشرة أيدي أو لموجود نصفه إنسان ونصفه حيوان له خرطوم يظهر القدرة والقوة.

ونرى في الكنائس والكثدرائيات صور وتمائيل للعدراء والمسيح ﷺ أو لملائكة ذوي أجنحة في غاية الابداع والروعة الفنية، كل ذلك لأن المسيحية رغم كونها عقيدة سماوية لكن الاعتقاد بالتثليث واعتبار المسيح ابن الله، جعلها ذات صلة بالمادية والتسجيم، مع هذا الفارق أن التمثال الذي يصنعه المسيحي هو تمثال إنسان أو تمثال طفل بريء لا يظهر فيه معالم القدرة كما كانت عند تماثيل الوثنيين.

اقسام النقوش المعمارية

أما المعلم الذي يعتقد بوحدانية الله المتعالي عما يصفون فإنه يعتقد التجرد في أعماله وفنه، ففي الوقت الذي يريد أن يظهر غاية مهارته وامكانياته في منشأته الدينية كدليل صادق على تعلقه بعقيدته ودينه يحاول أن يجعل من أثره هذا وسيلة لعروج نفس المبتهل، وسوق فكر الناظر إلى عالم علوي لا متناهي بعيداً عن العوالم المادية الدنيوية. فالنقوش المعمارية في المساجد والمدارس والحسينيات والأماكن المتبركة إما آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أشعار دينية أو رسوماً تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أسلمية وخطائية وهندسية أو كما يعبر عنها بعض الخبراء سماوية ونباتية وهندسية وجميع هذه الرسوم والنقوش ذات طبيعة واحدة تبدأ من نقطة ثابتة وتتحرك إلى ما لا نهاية. أي أنها تتحرك من المحدود إلى اللامحدود أو من الإنسان إلى الله.

وهذا هو الفرق الجوهرى بين الفن الإسلامى والفنون الأخرى فهو فن مجرد تشكيلي نابع من الروح والنفس الإنسانى بعيداً عن التأثيرات المادية فطبعي من أن يكون مفعوله روحياً ونفسياً يعطى الطمأنينة والارتياح للإنسان.

علاقة الفن بالإمام علي عليه السلام

أما علاقة الفن بالإمام علي عليه السلام وسبب إقامة هذا المعرض الفني بمناسبة هذا المهرجان فهو واضح وجلي جداً. إذ أن الفنان المعتقد بمذهب من المذاهب والمؤمن بمدى من المبادئ حينها يحاول إظهار فنه ومهارته نراه مرتبطاً بصورة تلقائية ولا إرادية بأعظم شخصية يؤمن بها. فالفنان الهندي تظهر في جميع أعماله مظاهر وصور الكريشنا والبوذي لبوذا والمسيحي للعدراء. فطبعي ان يظهر في كل أثر من آثار الفنان المسلم مظاهر لمحمد وعلي عليه السلام في خطه، في نقوشه، في أثائه، وفي المباني والمنشآت التي اشتغل فيها. وأكثر من ذلك نرى المحارب يطلب نقش « لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار » على سلاحه لأنه يعتبر علياً مظهر الشجاعة، والمعلم والأستاذ يضع فوق رأسه لوحة « أنا مدينة العلم وعلي بابها

« لأنه يعتقد بأن من أراد العلم يجب عليه أن يدخل من باب علي عليه السلام، وهكذا الشاعر يترنم بوصف علي لأنه لا يجد أكمل منه صفات ومآثر، وهكذا الحرفي والإداري والعسكري والمدني فكل منهم يجد في علي ضالته، ومن هذا المنطلق نرى في بعض اللوحات الزيتية ونقوش السيراميك وأعمال النسيج أن الفنان حاول أن ينقش اسم علي في الكلمة وفي الأرضية فلا تكون في اللوحة غير اسم علي عليه السلام وهو يريد أن يقول إن كل شيء من علي وفي علي.

وسوف تلاحظون كيف أنّ الفنان المسلم حاول أن يظهر من الدمار زينة للحياة، ففي بعض الاسطوانات المعروضة والتي هي بقايا طلقات المدافع الجبارة حاول الفنان أن يبدلها إلى مزهريات للأوراد وينقش قول الإمام علي «اتق شر من أحسنت إليه»، ويكتب عليها هذا الشعر: لي خمسة أظفي بهم حر الجحيم الحاطمة المصطفى والمرضى وابناؤهما والفاطمة أو الآية الكريمة ﴿... يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وهكذا أراد الفنان المسلم أن يثبت بعمله هذا أنّ الدمار والنار يظفيه حب علي ويجعله برداً وسلاماً.

من هذا المدخل الذي دخلتُ أريد أن أخرج بالقول ان استحسنت وأعجبتك هذا الفن المترشح من ولاء علي عليه السلام فاسأل عن تعاليمه ومبادئه لعلك تجد فيه ضالتك وتنال أمينتك. والآن هيا بنا لنرى ما ترك الفنان المسلم من تحف وآثار لها التأثير العميق على الحضارة البشرية قديماً وحديثاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

ذي الحجة، ١٤١٠ / تموز ١٩٩٠

الكلمة التي أقيمت في مؤتمر الحضارات الإسلامية
في ديترويت - أمريكا في سنة ١٩٩٢م
تحت عنوان (عوامل تخلف المسلمين)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله
الطيبين الطاهرين

سلام من الله عليكم ورحمة وبركات

لوالقينا نظرة إجمالية على مراحل الحركة الفكرية للمجتمع الإسلامي من بداية
القرن العشرين إلى يومنا الحاضر لوجدناه ينقسم إلى مراحل ثلاثة:

- المرحلة الأولى: هي مرحلة تأثير الحضارة الغربية على المجتمع الإسلامي،
ودخول الاختراعات والصناعات الحديثة إلى بلاد المسلمين، ومحاولة استبدال
الدراسات القديمة بالدراسات الحديثة، واندفاع الناس إلى الدعوة للغرب،
والانصهار في المدينة الغربية، وتقديس التقنية الحديثة ونبذ العلوم الدينية الأصيلة،
حتى وصول الحال إلى تعبير المتعلم في الكتب الصفراء، وتعظيم المتخرج من
الكليات الجديدة، وكاد الخطر هذا يحدق بالمجتمع الإسلامي إلى درجة القضاء
على المثل الأخلاقية والثقافة الدينية لولا التصدي لذلك.

- أما المرحلة الثانية: فقد تمثلت بتصدي المرجعية الشيعية لهذه الحملة
الحضارية الجائرة وكان من أقطابها المقدس السيد «عبد الحسين شرف الدين»
الذي تمكن بأسلوبه العلمي والأدبي الرائع أن يغيّر الأسلوب التقليدي القديم

وبزيارته لمصر وحضوره على الساحة كعملاق فكري وبمراجعاته مع أبرز علماء العصر الشيخ «سليم البشري» استقطب توجه الشباب المعاصر، والمقدس السيد «محسن الأمين العاملي» في سوريا، الذي تمكن من تأسيس المدارس الحديثة ومزج العلوم الجديدة بالقديمة وكانت مدرسة المحسنية واليوسفية لا تزال مناراً ومعهداً يتخرج منه الكثيرون الذين وصلوا إلى الذروة والفضيلة. والمرحوم الشيخ «محمد حسين كاشف الغطاء» الذي تمكن بسحر بيانه وجذابية أسلوبه أن يجلب أنظار العالم إلى المرجعية الشيعية في المؤتمرات الدولية وبرسالته الوجيزة (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) استقطب أنظار الشباب وتوجه الجيل إلى المثل الإسلامية العليا.

وقد كلل هذا التصدي المصلح والمفكر الإسلامي الكبير السيد «هبة الدين الشهرستاني» بكتابه الإسلامية العلمية المتطورة (كالهيئة والإسلام) و(المعارف العالية) و(أجوبة المسائل الدينية) و(مجلة العلم) و(المعجزة الخالدة) وغيرها التي أثبت فيها أن الاكتشافات والنظريات العلمية الحديثة لم تكن جديدة على الإسلام فقد قال وتكلم وأنبا الإسلام عنها من قبل وحينما أعلن نظريته عن الذرة قبل اكتشافها من قبل الغرب استغرب العالم بذلك.

ولكن مع مزيد الأسف كان يحارب داخلياً لأفكاره التجديدية المتطورة السابقة لأوانها ولا أنساه إذ قال لي يوماً: (كنت أنزل في القبو «سرداب السن» وأقفل الباب على نفسي عندما كنت أكتب الهيئة والإسلام، كي لا يطلع أحد على ما أحرر خوفاً من تكفيري).

وحاربه الاستعمار الغربي بكل قواه حينما وجده الضخرة الصماء أمام عجلة اجتياجه للشرق حتى أخذ منه بصره وأعماه.

- وجاء دور المرحلة الثالثة: التي تمثلت بالتحرك السياسي الشعبي فحينما انتقل السيد «موسى الصدر» إلى لبنان بناءً على دعوة المغفور له المقدس السيد «عبد

الحسين شرف الدين» وتولى شؤون الطائفة بعد الراحل العظيم خطط لحصول الطائفة الشيعية على حقوقها في لبنان وأسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ونهض بتثقيف الشباب الشيعي وحاول إرسال أكبر عدد ممكن منهم إلى الغرب للتعلم، وكان «الصدر» أول مَنْ وفق للتنسيق مع الأجهزة السياسية للحصول على الحقوق الشرعية للشيعية، فلم يرق ذلك لأعداء الإسلام فغيبوه.

وعندما باشر الشهيد السعيد السيد «محمد باقر الصدر» بإنارة أفكار الشباب المسلم خاصة في العراق وكتب روائعه المعروفة، فلسفتنا، واقتصادنا، والأسس المنطقية للاستقراء، وأثبت ضحالة الفكر الغربي، وأصالة الفكر الإسلامي، وأثار الوعي والصحة في النفوس، وخشي منه الغرب فقتله أشقى الآخرين ومضى شهيداً سعيداً إلى رضوان ربه.

وحينما فجر الإمام «الخميني» الثورة في إيران وأسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية وصل التحرك السياسي الشعبي ذروته وزلزل العالم زلزالاً شديداً راق له نفوس الكثيرين وانزعج منه أناس آخرون، وتغيرت المعادلات وتداخلت الأوراق، وكان لهذا الحدث تبعات وإفرازات لا يزال الغرب يحسب لها الحساب.

هكذا كانت مراحل الحركة الفكرية للمجتمع الإسلامي في القرن العشرين وعلاقتها الثقافية مع الغرب، وقد تخلل ذلك أيضاً صراعات دموية إثر الحرب العالمية الثانية بين الغرب والإسلام كثورة العشرين في العراق والتي قادها المرجع الديني الأعلى الميرزا «محمد تقي الشيرازي».

وعلى أثر الغزو الفكري والتقني والاقتصادي والسياسي الذي شنه الغرب على الإسلام، من بداية هذا القرن، كان المفكرون والعلماء والقادة المسلمون يفكرون دائماً ويدرسون ويحللون أسباب تخلف المجتمع الإسلامي، وعللوا تقدم وتفوق الغرب.

لقد كان التلمذ على يد سيدي المصلح السيد «هبة الدين الشهرستاني» عاملاً ومحفزاً أساسياً لأن أوقفَ نفسي للإسلام، وأعتبرها جندياً صغيراً في ركب

العلماء، وأضطلع بمهمة التحري ودراسة أسباب التخلف هذه منذ خمسة وأربعين عاماً، وبالضبط من يوم كنت بخدمة سيدي الأستاذ نجتاز الحدود العراقية الإيرانية عائدون إلى الوطن، فقال سيدي السيد «هبة الدين الشهرستاني»: (إنَّ سعادة البشرية تتحقق برفع الألوان من على خارطة العالم السياسية) وكان يقصد بذلك وحدة العالم وانصواء الشعوب تحت لواء واحد.

وبعد ما يقارب نصف قرن من التحري والتحقيق والدراسة والتفحص والتحرك في أرجاء العالم أضع لأول مرة، النتائج التي توصلت إليها بكل تواضع واعتذار على هذه الوريقات وبغاية الاختصار والإيجاز لعل التذكير بها يجدي نفعاً (فَدَكَّرُ إِنَّ نَفَعَتِ الذِّكْرَى).

لقد توصلت في هذه المدة إلى بعض الحقائق الواقعية، ولكنني لم أكن قادراً على التصريح بها أو التعبير عنها، يقيناً مني بعدم تمكن المجتمعات التي عشت فيها من تقبل هذه الحقائق لأنها لم تكن قابلة للتصديق والقبول من قبلهم، وكانت سابقة لأوانها.

وكان المجتمع يُقدِّرُنِي عندما أنفذ عملاً فنياً جباراً ولكن في الوقت نفسه ينبذني حينما أعلن عن النتائج الفلسفية والعلمية التي توصلت إليها.

لقد حاولت مع مَنْ أعانني في التفكير والتنفيذ، أن نسلك طريق التجربة في شتى الميادين وكنا نتصور بادئ ذي بدء أن التخلف الأساسي للمسلمين وشعوب العالم الثالث يكمن في التأخر الفني والتقني فحاولنا أولاً الاطمئنان على قوة التفكير والإبداع والخلاقية الفنية عند الفرد المسلم، فقدمت آخر تصميم لاختراع المحرك الدوراني في العالم إلى دائرة تسجيل الاختراعات البريطاني وتم تسجيله عالمياً منذ سنة ١٩٦٣م تحت رقم (٩٧٠،٠٠٤) وهي محفوظة في أرشيف المكتبة البريطانية وعرفت أننا غير متخلفين في التصميم والاختراع ولنا أن نقفز إلى أمام المصمم الغربي.

وقلنا لعل التخلف في التنفيذ فتوكلنا على الله ﷻ وتقبلنا مسؤولية تنفيذ

مشاريع تعد الأكبر من نوعها في العالم كأكبر مصانع الإسمنت في العالم، وأكبر الخزانات الحديدية في منى، وتصنيع أكبر الجسور المتحركة في العالم، وأكبر سايلوات العالم بعد أن عجزت شركات عالمية عملاقة ألمانية ويابانية وأمريكية من تنفيذها، وكان النجاح حليفنا بعون من الله ورعايته، وعرفنا أن المسلم مع قلة خبرته قادر على تنفيذ معظم المشاريع العالمية بالإنكال على الله.

وقلنا لعلنا في الإنشاءات قادرين وفي الصناعة متخلفون، فأدخلنا صناعة الصلب والفولاذ في إيران ببودقة سعتها ٣٠ كغم وأنتجنا جميع أنواع الصلب والفولاذ وجميع قطع الغيار للمصانع والمعدات وحينما نجحت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م وأممو المصنع بصفته من الصناعات الأم كانت سعة إنتاج المصنع ٧٠ الف طن سنوياً.

وفي نهاية السبعينات انتقلنا إلى المجال العالمي لتجديد الطاقات التقنية العالمية ونقلها من الدول الراقية إلى الدول النامية وإجراء التجارب التي مررنا بها في بلداننا إلى المستوى الدولي، فأسسنا في بداية الثمانينات المركز العالمي للأبحاث الفنية في لندن، وفي سنة ١٩٨٥م تمكنا من حل مشكلة الغذاء في العالم عن طريق المؤتمر العالمي الذي عقد في جاكارتا، والذي أثبتنا فيه أن أندونيسيا لوحدها قادرة على تأمين غذاء العالم، والمنطقة الاستوائية تتمكن من تأمين مواد غذائية لخمسة أضعاف نفوس العالم الفعلي، فلا مشكلة للبشرية من حيث الغذاء والطعام ولا مشكلة في زيادة النسل.

وفي سنة ١٩٨٧م عقدنا مع منظمة اليونسكو ومنظمة هيئات (منظمة الإسكان لهيئة الأمم المتحدة) المؤتمر العالمي للإسكان، وأثبتنا فيه كيف يمكن تأمين السكن لكل إنسان مهما بلغ مدخوله الشهري، فلا مشكلة للبشرية من حيث الإسكان.

وفي سنة ١٩٨٨م أسسنا مع منظمة اليونسكو الجامعة العالمية للعلوم التكنولوجية التي تتمكن بأسلوب مبتكر وجديد حل مشكلة الدراسات التقنية والتكنولوجيا العليا للعالم.

وبالنتيجة توصلنا إلى أن المشاكل العالمية لا تكمن في التخلف الفني والتقني، بل تكمن في الأنظمة والقوانين المتبعة في العالم، فدعوتُ لتأسيس خزان المعرفة، في مؤتمر الغدير في لندن والمؤتمر الثالث للفلاسفة الأفروآسيويين في القاهرة، وهو ما أدعو إليه الآن في هذا المؤتمر.

إنَّ الواقع الخطير الذي يمر به العالم في الحال الحاضر، هو أكبر وأهم وأوسع من التفسخ العائلي والفساد الأخلاقي والإدمان والخلاعة ومرض الأيدز وغيرها، فهذه هي إفرازات الأنظمة والقوانين المعمولة بها فعلياً في العالم، والتي وصلت الآن إلى مرحلة تنخر بالجدور وفي أي لحظة من اللحظات من الممكن أن ينهار صرح الغرب كما انهار الصرح الشرقي بعد جلاله وجبروته، إنَّ الذي كُنَّا نهمس به في آذان بعض الخواص ولم نكن لتجرأ التصريح به لعامة الناس حتى المثقفين منهم لنا أن نعلنه اليوم على الأشهاد بعد أن أثبت الواقع التنفيذي والحسي ذلك.

كتب وليام. س. ليند مدير مركز الحركة الحضارية المحافظة في مؤسسة التربية والأبحاث الحرة في الكونغرس الأمريكي في مقالة تحت عنوان (دفاعاً عن الحضارة الغربية) نشره في مجلة (Foreign Policy) السياسة الخارجية في عددها (٨٤) بتاريخ خريف ١٩٩١م يقول فيه:

(لقد ابتدع الغرب التحديث في السنين الوسطية للألف الثاني بعد الميلاد وبذلك أصبح الغرب سيد العالم يصمم ويبنى الأساطيل ويخترع الأسلحة ويشفي الأمراض ويؤسس التجارة ويحميها ويقىم المستعمرات للسيطرة على الثقافات الأخرى. وبحلول نهاية القرن الماضي كانت سيطرة الغرب شاملة وعلى الرغم من أنَّ بعض أجزاء العالم لم تكن مستعمرة بالمعنى الصريح إلا أنها كانت بصورة كاملة خاضعة للتوجه الغربي).

وثم يقول تحت عنوان الغرب في انحداره: (في سياق هذا القرن تضاءلت السيطرة الغربية إلى درجة خسر الغرب في مدة تقل عن القرن السيطرة على العالم

التي امتلكها في سياق منتصف الألف الثاني بعد الميلاد).

إلى أن يقول: (أما روسيا التي نهضت اقتصادياً باتزان في سنة ١٩١٠م فقد عانت ظروفاً صعبة بعدما أرسلت ألمانيا الإمبراطورية إليها سلاحها الأكثر قدرة على التدمير وهو لينين، في قطار محكم السرية).

هذا هو بيت القصيد، فلم تتداعى أركان الإمبراطورية الروسية الشيوعية ولم ينهد بنيانها، في صراع وحرب عسكري كما انهض الكيان النازي في الحرب العالمية الثانية، ولم يفقد الاتحاد السوفيتي هيمنته ونفوذه في العالم لضعف سياسي، إنما تداعى البنيان بسبب نظامه الإشتراكي الشيوعي المركزي اللينيني، وفي أيام معدودة أصبح عاليها سافلها كزجاجة هشّة سقطت فانكسرت وأصبحت كالرذاذ.

كيف كان ذلك ولماذا حدث ما حدث، هنا يأتي دور التحليل العلمي الأكاديمي لهذا الحدث الخطير.

تعد الغرائز الفطرية البشرية الملازمة لوجود الإنسان مرجعاً غائباً لكل استدلال ولكل بحث ولكل تحقيق، فما كان من الدليل مطابقاً للفطرة الإنسانية كان ذاتياً ثابتاً مقبولاً لا يتغير، وما كان منه مخالفاً للفطرة الإنسانية كان متغيراً تصورياً زائلاً غير مقبول، والحالة نفسها في الأنظمة والشرائع والقوانين فما كانت منها مطابقة للفطرة البشرية ضمن لها البقاء، وأنّ ضعف نور إشعاعها بسبب النسخ والمسح في التنفيذ، وما كانت من هذه القوانين مخالفة للفطرة كانت عرضية زائلة سرعان ما تمحى مع زوال العوارض الموجبة لظهورها.

كانت فلسفة «كارل ماركس» و«أنجلز» الاشتراكية الشيوعية التي أكملها ونفذها «لينين» مبنية على أساس مخالف للغريزة الإنسانية ومتعارض مع الفطرة البشرية.

فإحدى الغرائز الذاتية في الإنسان هو الأمل والرجاء للحصول على حياة أفضل، وهذا هو العامل الأساسي في سعي الإنسان وكده وعمله وخلاقته وثباره.

وكان الأصل الأساسي للإشتراكية الشيوعية هو (لكل فرد على قدر حاجته

ومن كل فرد على قدر طاقته) وهذا شعار وهاج مبهرج له من قوة الأغراء بجعل المضطهد المحروم، والجاهل العامي يشعر بأنه سوف يصل إلى برجه العاجي، إذا ما تبع هذا الشعار.

هذا الإغراء جعل العرض يتغلب على الذات، فسار في الركب من سار وتبع هذه المدرسة من تبع فكانت الويلات والآفات، والسائرون في هذا الركب لا يعرفون أن ذات الإنسان يتعارض مع الكد والتعب لمصلحة الغير.

ولعبت ردود فعل الرأسمالية والإقطاعية العالمية التي كانت تضطهد الطبقة العامة من الناس دورها الفعال في ازدهار هذه المدرسة، وأخذ القوس بالصعود حتى عمّت الشعارات المغرية شعوب العالم أجمع وأخذ الخطر يدق أبواب الغرب العملاق.

ولكن سرعان ما أخذ العرض المتمثل بالشعارات المغرية، يفقد أثره ومصداقيته وتبتدأ الأصالة الذاتية إلى استعادة أصالتها، واستوعب الإنسان المفكر والفعال وصاحب النشاط والخلاقية أنه يسعى ويكد لمصلحة الإنسان الكسول المتهرب عن العمل، ويضغط العالم على نفسه ويبتكر ويتج لمصلحة الإنسان الآخر المتخلف فكرياً واجتماعياً.

فحدّ من نشاطه وقلل من إهتمامه بعمله وترك التفكير والخلاقية والتحسين، فقل الإنتاج وتدهورت النوعية.

وفي هذه المرحلة ابتدأ القوس بالتزول وانتقل الازدهار إلى الركود وثم إلى الكساد - حسب تعبير علماء الإقتصاد - وحينما استوعب أصحاب القرار خطورة الموقف وجدوا أنفسهم أمام خيارين، خيار إعلان بطلان وفشل الفكر والمذهب الشيوعي، وخيار السقوط والانهيار، وحدى بهم كبرياؤهم وغرورهم إلى التعتن في غيِّهم فتداعى البيان من أصله وأساسه، وثبت بطلان وفشل الفكر والمذهب وسقطت الإمبراطورية.

وخطأ يتصور البعض أنَّ ما حدث كان من جراء مهارة الجهة المعادية أو من ضمن مخططات لعبة الأمم، والخطأ بعينه اليوم يهدد الكيان الغربي رغم كل الانتصارات التي حققها الغرب بعد حرب الخليج وبعد سقوط الإمبراطورية الشيوعية في العالم.

يقول «وليام ليند» في مقاله الآنف الذكر: (ويجب على أمريكا أن لا تسمح لانتصارها السهل على العراق أن يقنعها بأن التكنولوجيا الحديثة تُحيي من جديد الجبروت السابق للغرب، فالتكنولوجيا ستنتشر وتبقى الديموغرافية - التوزيع السكاني على مساحة الأرض - القضاء والقدر، في وقت تتقلص فيه حصة الغرب من عدد سكان العالم) ويضيف أيضاً: (لقد ولت سيطرة الغرب وهيمنته وذهبت هباءً منثوراً في حروبه الأهلية، وقد يصبح الوجود الحقيقي للحضارة الغربية مهدداً بالزوال في القرن الحادي والعشرين إذا ما استمر الانحطاط داخلياً مترافقاً مع تصاعد عداة الحضارات الأخرى في الخارج).

نعم فالأغراض السياسية الاقتصادية في المذهب الرأسمالي ضمن مفهوم (المنفعة العامة) يعرفها العالم الأمريكي Kenneth Bulding هي: الحرية والعدالة والاستقرار والتقدم، وهذه هي الأصول الأساسية التي بني النظام الرأسمالي الغربي عليها، وهي التي كانت عوامل التقدم والاجتهاد، كما أنها من المتطلبات الذاتية الفطرية المطابقة للغرائز والفطرة الإنسانية، وهي تختلف عن المبادئ الشيوعية التي كانت عرضية متغيرة، ولكن ليس بكماله وتمامه، بل أنها قضية نسبية تابعة لأبعاد وحدود معينة، فالحرية التي منحت للفرد كانت عاملاً مهماً لأن يبذل الشخص ما في وسعه وما في مقدوره من كفاءة، وما في ذهنه من خلاقية وابتكار، وإدارة وتنظيم لزيادة وتحسين إنتاجه، لأنَّ مردوده كان يرجع إليه قبل أن يرجع لغيره وكانت النتيجة رفع مستوى حياته، والذي كان يؤدي الى تقدمه وتقدم مجتمعه.

فأخذ القوس بالصعود وتقدم الغرب وسيطر على العالم، ولكن!!!

الحرية لا تؤدي مفعولها الصحيح إلا في ظل العدالة، فإذا تحققت العدالة تم الاستقرار، وإن تم الاستقرار هدد الببال وتحقق التقدم.

فكان لا بد من معرفة الحدود والفصول المقومة لهذه الحريات الفردية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ومعرفة هذه الحدود خارجة عن قدرة البشر كما يقول عنها عملاق الفلاسفة «ابن سينا» في تعليقاته: (إنَّ الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف الأصول المقومة لكل واحد منها).

ولعدم التمكن من معرفة حدود هذه الحريات طبيعي من أن واضعي ومقنني القوانين المدنية يقعون في الخطأ، ولذا نشاهد أن الحرية إن تجاوزت حدها انعكست سلبياً إلى الضرر والضرار.

وها هنا يتغير القوس من الصعود الى الانحدار، وتبديل زيادة الإنتاج بالنسبة إلى المصروف، إلى زيادة المصروف بالنسبة للإنتاج بسبب الإسراف والكسل والاسترخاء فينتقل المجتمع من دور التقدم والازدهار إلى دور الكساد فتزداد البطالة وهي الحال الفعلية للمجتمع الغربي وهذه البطالة مستمرة في الزيادة باطراد ولا يلوح في الأفق ما يوقف ذلك.

والقادة السياسيون أصحاب القرار الغربي يقفون اليوم أمام خيارين كما وقف قرناؤهم الشيوعيون، خيار تحديد الحريات بقرار سياسي، وهذا غير ممكن لأنَّ الشعب يرفضه وإنَّ أصروا على ذلك ينحيمهم الشعب عن الحكم.

وخيار الاستمرار على هذا الوضع الذي نتيجته السقوط الحتمي والانهيار القطعي.

فهم كلاعب الشطرنج الذي يحصره خصمه في نقطة، إن تقدم خسر وإن تأخر خسر، هذا هو الواقع الفعلي للغرب.

لذا لجأ أصحاب القرار إلى سياسة أقتلونى ومالكاً، أقتلوا مالكاً معي، فحينما

وجدوا أنفسهم مترحلقين على مدارج الانحدار بسرعة قصوى ولا يتمكنون من إيقاف هذا الترحلق، حاولوا دفع الدول النامية المتحركة صعوداً على سُلّم التقدم إلى الوراء خوفاً من أن يلحقوا بهم ويتفوقوا في المستوى عليهم كما هو في الرسم البياني.

وذلك بخلق الحروب والصراعات الدموية والثورات والانقلابات والقضاء على البنية الاقتصادية والبنية التحتية، ولكن عبثاً ما عملوا فلم يجد ذلك حتى حرب الخليج وفشائح البنوك الإسلامية التي اختلقوها لإصلاح أمورهم وتحسين اقتصادهم، لأن هذه الأمور عرضية وسقوطهم أمر ذاتي طبيعي.

لذا يقول «وليام ليند» في نفس المقال: (ويقتضي استراتيجية الدفاع الحضاري تشتيت صفوف الخصوم حيثما كان ذلك ممكناً، وقد استطاع الرئيس «جورج بوش» إتمام هذه المهمة على نحو ناجح في خلال أزمة الخليج).

ويقول أيضاً: (لكن هزيمة «صدام حسين» لا تعني في جميع الأحوال اندحاراً للقوى المعادية للغرب داخل الإسلام، وثمة خطر كامن على الغرب من الإسلام قد يتطور إذا ما تحللت الإمبراطوريات السوفيتية، وفي هذا الحال سيتعرض للخطر الجناح الأعظم للغرب الممتد من البحر الأسود حتى فلاديسبورك بشكل خطير وحالما تسعى الجمهوريات الإسلامية السوفياتية الانضمام إلى إخوانها في العالم الإسلامي) ويخرج بهذه النتيجة: (وقد يطرح الإسلام أو بعض عناصره الأصولية التحدي الأول).

هنا أريد أن أفق ووقفه صادقة ومخلصة وأوجه خطابي إلى المستر «وليام ليند» وإلى جميع العلماء والأكاديميين الغربيين المعنيين بالدراسات الإنسانية وسبل إنقاذ شعوبهم وإنقاذ الحضارة الغربية لأقول لهم:

نعم، الإسلام وبالذات الأصوليون منهم يطرحون التحدي الأول، ولكن تحدي الحوار لا تحدي الصراع، والمساعدة والتعاون في سبيل إنقاذ الغرب لا تحدي المواجهة والخصومة والعداء، وهذا عرضٌ غريبٌ وعجيبٌ، ولربما تصوره البعض كذب وخداع.

ولكن هذه هي الحقيقة بعينها للأسباب التالية:

- أولاً: إنَّ الغرب يتحرك في محور واحد فحتى الصالحون والمخلصون منهم إنَّ تحركوا في سبيل خدمة البشرية توقعوا من الناس الأجر والثواب فإنَّ لم ينالوا نصيبهم من ذلك أصابهم اليأس والقنوط وهذا ذاتي طبيعي، ونحن أيضاً إنَّ تحركنا لعمل الخير نتوقع الأجر والثواب، ولكن مع فارق جوهرى واحد إننا نقدم الخدمة والتضحية للقريب والبعيد في سبيل الله ولا نتوقع الأجر من الناس إنَّ أجرنا إلا على الله، وإنَّ كان قبول هذا الأمر صعب عندكم كما كان أمر الشهادة في سبيل الله غير مفهوم لديكم، ولكن في النهاية استوعبتموه.

- ثانياً: نحن الآن باعترافكم يا مستر «وليام» في سُلَّم الرقي وأنتم في منزلق الانحدار والخوف على المنحدر وليس الخوف على المتسلق، لذا فإننا نتكلم من منطلق العطاء والاستغناء وليس من منطلق الذل والاسترحام.

- ثالثاً: إنَّ الفصول المقوِّمة والحدود الخطرة للحريات الموصلة إلى العدالة البشرية، موجودة في قوانيننا وأنظمتنا لأنها من الله الخالق لمقومات هذه الفصول والحدود، وهي غير موجودة في القوانين الوضعية البشرية التي تعملون بها، وإنَّ صمام الأمان الذي يمنع قوس الحرية من النزول موجود في شريعتنا وغير موجود في قوانينكم المدنية.

- رابعاً: إنَّ تعاوننا معكم في سبيل خلاصكم وحاورناكم فافتنعم بمنطقنا كسبنا أمرين عظيمين:

- الأمر الأول: هو الخلاص من عدائكم لنا، ومن مخططاتكم ضدنا، ومن ضغوطاتكم علينا.
- الأمر الثاني: هو الخلاص من حملات أهلنا السائرين على خُطاكم ونهجكم والمعتقدين بعظمتكم وجلالكم.

وخلاصة الكلام إنني أدعوكم من على هذا المنبر وعلى مسمع من الأشهاد للحوار العلمي والمنطق العقلي، وأدعو إلى الإسراع في تأسيس خزان المعرفة، كما دعوت إليه في أول هذا البحث وذلك للمناقشة في سبل خلاصكم وخلصنا، فنحن ندعوا إلى السلم والأمان، وهذا ديننا وديددنا، وسنتنا وسيرتنا، فما محمد (ﷺ) إلا رسول يخاطبه ربه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) وقد نسبتم إلينا الأرهاب زوراً وبهتاناً ونحن لا نريد إلا الخير للناس أجمعين، وها نحن ندعوكم إلى الحوار فجربونا واختبرونا فإن كنا كاذبين إفضحونا وعيرونا، فإن كنا صادقين فلماذا لم تستفيدوا من صالح ما عندنا برحابة صدر وبشاشة وجه.

واعلموا أن القضاء على بصر مصلح ك (هبة الدين الشهرستاني) وتغييب منقذ ك (موسى الصدر) وقتل عظيم ك (الشهيد محمد باقر الصدر) واغتيال هذا وذاك لن ولم يغير المسيرة، فهذه سنة الله في خلقه ووعد الذي قطعه على نفسه (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ديترويت

د. محمد علي الشهرستاني

رسالة كتبها السيد محمد علي الشهرستاني

الى أحد العلماء الأندونيسيين جواباً على رسالته التي يعاتب فيها السيد محمد علي على ترك إيران ونصحته بالتعاون مع الجمهورية الإسلامية

السيد حسين الحبيشي (أبو موسى) من كبار علماء أندونيسيا المجاهدين وكانت له صلة وطيدة مع الدكتور الشهرستاني وعند زيارته لإيران بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية أرسل رسالة الى السيد الشهرستاني وهو يحثه على الرجوع الى إيران والتعاون مع الجمهورية الإسلامية بعد سقوط نظام الشاه.

سيدي وأخي الاعز سماحة العالم الفاضل السيد ابا موسى الحبيشي دام ظله:

سلام من الله عليكم ورحمة وبركات وبعد.

استلمت رسالتكم الكريمة اليوم ٢٩ رجب المرجب. انها حقا رسالة رقيقة يشعر قارئها بمدى غيرتكم الاسلامية وحفظكم على بيضة الاسلام، ورغبتكم في التضحية بكل ما اتاكم الله في سبيل اعلاء كلمة الله وكلمة الله هي العليا.

سيدي اني اقول صدقا ان ما تطرقتم اليه من نصحي وتذكيري بالعمل للجمهورية الاسلامية الوحيدة، اثار الغبطة والسرور في قلبي اذ جعلني اتجراً لأقول حقائقاً لم يسبق ان قلتها بهذه الصورة. ولكن معرفتي لشخصكم الكريم الانسان العالم الفاضل المستوعب لدقائق الاحكام، والمخلص المنصف الذي يعطي الحق حقه وينصف في القضاء وعمق الامور، يجعلني ملزماً لأن اكتب ما اكتب والله على ما اقول شهيد، أملاً ان لا يكون ذلك اشراً ولا رياءً، انما قول حق يسجل للتاريخ ووصية مني لأولادي يعتبرون به ويعملون على نهجه انشاء الله، واسأل الله ان يريني الحق حقا فاتبعه والباطل باطلا فاجتنبه.

سيدي لقد ظلمونا بظن السوء فينا ان تصورونا هجرنا الجمهورية الاسلامية

لمال ابتزوه منا او لحق اخذوه عنا، فو الله ان بعض الظن اثم، ولم يساورني الفكر يوما ان اهجر الحكم في ايران لما عملوه معي او لما صنعوه في مالي، وكما قلت فالمعطي كريم منان خزانه رحمته لا متناهية يعطي من يشاء بغير حساب، وخاصة وان ما في ايدينا امانة يستردها متى شاء. ولكن الناس منهم اثم بسلبه حق غيره، ومنهم محسن بالبذل في سبيل رضى الله. غير ان للهجر ابعاد واسرار وخفايا اكثر من الذي يتصوره عابر سبيل، وليتني تمكنت من استيفاء حق هذه الابعاد والاسرار، ولكن البيان قاصر والقلم عاجز والهداية من الله، (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)، غير انه رشحات ترشح من الهداية الى القلم والبيان، فيتمكن المنصف المتعظ ان يتعظ بها، وقد قال عز من قائل (فذكر ان نفعت الذكرى).

سيدي استمحيكم عذرا ان اقول قبل الخوض في العلل والاسباب علي ان اسرد قصة حياتي كي تقف على نوع فكري وطريقة معاملتي مع الانظمة ومع الحياة، وعندها يمكنكم ارشادي وتوجيهي، وليس منا معصوم عن الزلل والانزلاق، وانا من المؤمنين بقول النخبة الصالحة (رحم الله امرئ اسدى الي عيوبي).

سيدي الحبشي، انني ولدت وترعرعت في مسقط رأسي كربلاء، في عائلة من ابرز العائلات شرفا وكرامة وسيادة (هكذا سجل التاريخ ما قلت)، وكان جدي لأمي زعيم العائلة، وكان يتمتع بالثراء والترف، وكان والدي وهو ابن اخ جدي، رجل دين معوز وكنا نعيش عيشة ضنك وفقر، ولن انسى ما كانت تعمل امي بسرد القصص في الامسيات كي ننام لأنه لم يكن يوجد في البيت ما يسد رمق جوعنا، وانت تعلم كم يكون الامر قاسيا على اب لم يتمكن من تأمين لقمة العيش لأولاده، ولكن هذا الاب كان يصبر على كل هذا الشقاء ولم يقترب الى عمه (وبيته ملاصق لبيتنا) ليسبغ عليه بماله وعطائه، لأنه كان يرى ان في المال شبهة وفي طريقة اقتنائه معصية، والام مقتنعة بهذا المنطق المثالي فلا تضغط عليه بالضغوط المشينة وانا واخواني واخواتي رضعنا من هذا الثدي وترعرعنا على قوت حلال كان يكتسبه هذا الاب من حياكة للجوارب او ما شابه.

ولما بلغت سن الرشد، لم يكن لي هم سوى الدعوة والعمل في سبيل نشر الدين الحق ابتداءً من ابناء محلتي ومدينتي، وانطلاقاً الى العالم اجمع، ولم يكن في الساحة انذاك من يعمل في هذا الحقل غير سيدي واستاذي الفقيه العبقري السيد هبة الدين الشهرستاني الذي نبذه المجتمع الجاهل، لأنه كان من المجددين لزمانه ومن المتحررين في افكاره وتطلعاته، عندما جاءنا في اواسط الخمسينات ونحن في بغداد سيدي ابا احمد شهاب، يطلب داعية الى اندونيسيا وكان كريما في عرضه وطلبه اذ استعد لتقديم جميع المكافآت والعطاءات، ولكن مع الاسف رجع صفر اليدين خائب الظن، وكان لهذه الخيبة وقع عظيم في نفسي اذ ارى من اننا نملك من غزارة العلم وعمق التحقيق واصالة العقيدة والرأي ما لنا ان نصارع بها كل ذي قوة، ولكن لم نتمكن ان نؤمن انسانا واحدا يغطي الدعوة في اكبر بلد اسلامي في العالم، فعهدت على نفسي ان انذر وجودي لهذا العمل وان اعمل بكل ما اتاني الله من قوة وسلطان في سبيل نشر الدعوة والعقيدة وتطبيقها، فالشريعة وسيلة والتطبيق هو الغاية، ولكن مع مزيد الاسف جاء دور الثورات والانقلابات العسكرية، وكنت ارى ما لا يراه غيري مما سوف يؤول اليه البلد فكنت غير راض بما حدث وخوفاً من ان اكون من المسحوبين بالسيارات في شوارع العاصمة آثرت السفارة الى ايران للأستمرار في رسالتي، وبعد مدة وجيزة والحمد لله اسست المؤسسة العالمية للخدمات الاسلامية لنشر الدعوة في جميع انحاء المعمورة.

وكان الجو جو اختناق وملاحقة ولكن الحمد لله لأننا ركزنا على العمل الثقافي من الدعوة دون المساس بالقضايا السياسية، فكان لنا الاستمرار بعونه وحفظه تعالى. ولتغطية نفقات هذه المؤسسة، اسست شركة الابحاث الهندسية، وكان عهدي الى اخي وابن عمي ان لا نأخذ من الدخل الاقتصادي الوارد الينا الا ما يغطي مصاريفنا اليومية في مستوى لسان متوسط عادي والباي يخصص لتغطية مصاريف العمل الاسلامي، وكنت ارجو بعلمي هذا التوفيق في الخروج بأربعة

معطيات ايجابية:

١. تغطية نفقات الدعوة والاكتفاء الذاتية عدم مديد الاستجداء اليأ الآخرين.
 ٢. استيعاب الطاقات المؤمنة المخلصة التي لصدقها واخلاصها لا تتمكن من العمل في المؤسسات الاقتصادية والتجارية التي همها الحصول على الدخل حلالا كان ام حراما.
 ٣. رفع المستوى الاقتصادي والفني والتكنولوجي للمجتمع الاسلامي، المؤمن وغرس الثقة في نفوس ابنائنا من انهم قادرين على تنفيذ اهم الاعمال العالمية وادقها، لأنهم يتمتعون بطاقة لا متناهية وهي ارادة الله وبالنتيجة اثبات هذا الواقع، (ان امتزجت العقيدة بالعمل يتمكن الانسان ان ينفذ ما لا يقدر على تنفيذه الغير).
 ٤. تاسيس وحدة اقتصادية مخلصه في عملها لا يهملها الدخل انما يهملها الحلال والحرام، لأن الدخل لا يعود على الفرد، فلذلي لا يمكن للأهواء ان تتدخل في الاعمال فتخون او تقصر او تغدر او تجني، ومثل هذه المؤسسة امنية كل انسان في الحياة وهو تجسد واقعي لتطبيق الاسلام علما وعملا.
- ابتدأنا من الصفر المطلق دون رأس مال يذكر وجعلناها تجربة ان وفقنا فيها اعلناها وعرضناها على العالم للعمل عليه، وان فشلنا فيه نكون نحن كبش الفداء ولا يصل الضرر الى احد غيرنا، ولكن ما كان لله ينمو، فالحمد لله وبحوله وقوته وفقنا الى ما لا يمكن تصوره ودركه، فاليوم شهد الله وعلم حينما انظر الى ما انجزناه لا يمكنني تصديقه، ومن نحن بصغر حجمنا وقلة خبرتنا وعدم وجود المال عندنا حتى نتمكن ان ننجز ما عجزت العمالقة عن انجازه.
- وخلف كل مشروع عظيم عالمي وحيد من نوعه انجزناه قصة تثبت اننا لم نقم بالتنفيذ بطاقتنا، انما عجزنا عن التنفيذ، فلذنا بالله فأخذ بأيدينا ودفعنا الى الامام فأتممنا ما تعهدنا به، وبرغم الكبت والاضطهاد الذي كان الحكم يعاملنا به، ورغم

عدم سماح النظام لنا بالقيام بالمشاريع الصناعية الاساسية، وزج اسم شركتنا في القائمة السوداء، فكرت في اقامة صناعة تكون النواة والاساس لباقي الصناعات نكتفي به ذاتيا ان ادلهمت علينا الاحوال ومنعتنا العمالقة عما نحتاج، فتم قراري على صناعة الفولاذ وهو في الاحتكار المطلق للذين توصلوا الى اسراره، ونحن لا نملك من المال ما يغطي كلفته ومن العالم ما يرشدنا الى اسراره ومن الشوكة ما نساوم، ولكن كان لنا شيئا واحدا وهو اليقين بالله وبقدرته وارادته، فشرعنا ببودقة صغيرة سعتها ٣٠ كيلو غرام، وبمن الله علينا انتجنا الفولاذ، ولا انسى يوم جلس ابي على التراب لوضع الحجر الاساس وعيناه مغرورتان بالدموع يسحب التراب بيديه وكل وجوده ابتهاج الى الله بالتوفيق.

كانت هذه هي الدفعة الحاسمة للعجلة بالتحريك فوقفنا الله لما لا يمكن لذي منطق ان يدركه، وعرضنا الانتاج على صناعات الصلب في المانيا وطلبنا الانتماء اليهم، وحينما وجدونا واقفين على جزء كبير من اسرار صناعة الصلب، قبلونا اعضاء وقدموا لنا الكتب والكتيبات السرية المتعلقة بأسرار هذه الصناعة، وفي خلال ثمانية سنوات كنا نرود الصناعات الايرانية بكل ما يعسر عليها او يوقف عملها من قطع الغيار المصنعة من انواع الصلب ولم يسندنا احد قط بل كنا نسير الامور بيد بترء وعصب مشلول، ولا انسى يوم جاء الشاه لزيارة احدى المعارض العالمية في طهران وكانت لنا غرفة، فلما وصل الينا قال ما تصنعون؟ قلت الفولاذ والصلب. قال الصلب!!! . فقلت نعم الصلب. قال مع اية جهة؟ قلت بخبرتنا ودون التعاون مع اية جهة. قال اين هو المصنع؟ قلت بالقرب من طهران. فالتفت الى وزير الصناعة فطرق الاخير برأسه الى الارض، فخرج على مشاهدة الانتاج، ووصلت به الدهشة الى درجة نادى زوجته وقال لها تعالي وانظري اولاد المشايخ اصبحوا ينتجون الصلب والفولاذ، وتغيرت لهجته معي وقال هل تحتاج الى اية مساعدة؟ قلت لا وشكراً.

وهكذا كانت احدى اعمالنا الناجحة والحمد لله، ولكن حينما جاءت الثورة

المباركة، وكانت سعة الانتاج من الصلب والفولاذ وتصنيع الصاج ٤٠ الف طن سنويا، امتهتها الحكومة لأنها كانت الوحيدة من صناعات الام الغير مشمولة بباقي البنود، فصادروها ولم يشتروها، وهل تتصور ان تأسفنا على ما اخذوه منا وما صادروه؟ والله وهذا قسم ويمين اننا لم نأسف للمال الذي ابتزوه، ولكن نأسف لعدم تمكن الحكومة من الاستفادة من المصنع، اننا لاقينا ما لاقينا من انواع العذاب لأن يُستفاد من المصنع لمثل هذا اليوم، يوم تحتاج الجمهورية الاسلامية لعدددها واسلحتها الى الصلب وقطع الغيار الكافر عليه فيضطر الى شراء الاسلحة من الد اعدائه، وشبكات الاعلام الغربية بأفلام وثائقية تنشر على العالم مراحل هذه الصفقات، ان قلبنا يقطر دما ان نرى كيف تلافينا هذا الذل والهوان للأسلام من قبل ان يكون شيء، وكيف يفرطون به وعندهم ما يغنيهم عن ذلك.

ماذا تقول ياسيدي في الزهراء فاطمة عليها السلام، اذ وقفت في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي تخطب خطبتها الغراء مطالبة بحقها في فذك وبما اورثه لها والدها، او هل كان ذلك لحطام الدنيا؟؟! او لحكم مسخوه وكذب افتعلوه وشهادة زور شهدوه، فوالله ان ما يحز في قلوبنا اننا حينما نتنقد ما مسخوه من احكام وما استهتروه من حرمان ابتدعوه في الاسلام يتصوره البعض بل الجميع ان ما تقول نكاية بهم لأنهم سلبونا حقنا واخذوا مالنا.

سيدي عليّ ان ارجع الى قصة حياتي، فبعد ان نبذونا من ايران، كانت لنا اعمال في العراق اكبر مما كانت في ايران، وبمباشرة الحرب العراقية الايرانية، طردوا الشركة وصادروا اموالها لأنها كانت تحمل الجنسية الايرانية. وفي السعودية ايضا امتنعوا عن دفع طلبنا لأننا نحمل الجنسية العجمية، فأصبحت اجوب البلاد والعالم مفتشا عن مكان اقدر فيه متابعة رسالتي في الحياة، وجئت الى بلدكم اندونيسيا وباقي بلدان شرقي آسيا لهذا الغرض، وكم كنت تواقا للأستيطان عندكم، ولكن مع مزيد الأسف لم ارى المناخ المناسب لما كنت ارجوه.

ورغم كل ما حدث لي كنت ثابت العزم قوي الارادة متكلا على الله طالبا العون والمدد منه لتوفيقي في العمل من جديد صفر اليدين مع تجربة من الحياة نلتها وخبرة في الاعمال حصلت عليها، وقد قررت العمل والالتحاق بزملائي الذين استوطنوا في انكلترا لمباشرة العمل من هناك، ولكن في طريقي مررت ببلبان وساعدني الحظ في ان التقي بعائلة الامام الصدر (المغيب) واطلعت على وضع جنوب لبنان وحاجته الماسة للفكر والتخطيط والتنمية، فوجدت ان من واجبي ان احط الركب هنا، فقررت الاستيطان فيه رغم مخالفة الاهل والاحبة، الا اني اؤمن من ان العمل الرسالي يفوق كل شيء والحافظ هو الله.

فأن كانت الابدان للموت انشأت فقتل امرئ في الله اولى وافضل

وضمن ما خططت له وباشرت التنفيذ به اقامة مجمع سكني كامل لأبناء الطائفة من اجل رفع المستوى الفكري والمعيشي للمؤمنين، وذلك بقروض شخصية استقرضتها للتنفيذ، وكنت امل ان تسترد في سنتها، غير ان الطامة الكبرى حلت والاجتياح الاسرائيلي قصف المشروع وجنوده سرقوا المواد والمعدات، وبعدها في حرب الجبل اخذ كل شيء، فبقيت مع ديوني لا اعرف كيف اردتها الى اصحابها، فهجرت قهرا الى لندن ولكن الحمد لله لم يثبط عزمي واستست المركز العالمي للأبحاث الفنية لتكوين بنية علمية تكنولوجية في اعلى المستويات لخدمة الشعوب المحرومة والمستضعفة (الرجاء مطالعة الكراس بدقة).

وفي كل بلد دخلت وحللت فيه لاقيت اضطهادا ومعاناة ومحاربة، ولكن حينما كانت تضيق بي الامور، كنت احمل متاعي على كتفي وادور في البلدان فأن وجدت من يفيدهم متاعي فرشته بين ايديهم وتعاونت معهم وزودتهم بكل ما في وسعي وطاقتي، فأذا ثارت الثائرة وحسدوني على وجودي تركت سبيلهم الى ارض تقبلني (الم تكن الارض واسعة).

وحرام عليّ اذا اراد مني قومي خدمة او فكرا او عملا ان اشح بما اتاني الله من

خير والله يعلم ان لا فرق عندي في ذلك كانوا من قبل لي من المضطهدين او من المكرمين، فبرغم ما حدث لي في ايران يراجعني كبار مسؤوليهم في امور تعصى عليهم فأقدم لهم النصيح والفكر والخدمة دون اي تردد او تأمل لأن ذلك يعود للشعب المحروم المسكين فليس لي الا ان اكون كذلك، وورغم ما حدث لي في لبنان من خسارة في الدمار والخراب وورغم ما قذفني به احد المسؤولين الكبار واتهمني في الصحف بالترفة بين المسلمين واهانة الشيعة جائي انسان عزيز علي الى لندن يطلب مني حل مشكلة بناء مرفأ للطائفة واخذ يتوسل لي في مساعدتهم والحضور الى لبنان، فقلت سعياً على الرأس مشياً على القدم، وانا والحمد لله عاكف الان على تنفيذ هذا الميناء رغم الاهوال والاحوال التي لا يطيقها ابنا البلاد انفسهم.

اما شأني مع قومي في ايران (وهو جوهر الكلام) فتاريخه يعود الى الخمسينات، حينما هاجرت من العراق الى ايران بعد الانقلاب العراقي المشؤم الذي جلب الويل والبلاء على خيرة اصحابنا في تلك الديار، وقد كانت لنا شركة العدل للتجارة والانشاء وكنا بحكم الضرورة والاختلاط برجال الاعمال نعلم ما لا يعلمه غيرنا ونرى ما لا يراه سوانا وكنا نتنبأ لما يحدث بعد هذا الانقلاب وقد كنت من قبل واقفا على احداث ايران في بداية الخمسينات زمن الدكتور مصدق وما آل اليه الامر، لذا هاجرت من العراق الى ايران سنة ١٩٥٨ وابتدأت عملي كمهندس عادي في مكتب استشاري سرعان ما انيطت الي اعمال جسام نفذتها حتى سنة ١٩٦٥ وكان من بينها توسعة الحرم الرضوي في خراسان والذي اعتبره البروفسور روش (وهو اكبر اساتذة الباطون في العالم) اعتبره اهم او اعقد عمل شاهده في حياته، وكان من نتاج ذلك أن تعرف علي الكثيرون من المهندسين الملتزمين ورجال الدين المثقفين، وعندها أسست شركة الابحاث الهندسية للهدف الذي ذكرته آنفا وكانت شركتنا مركزا ومعقلا للشباب الجامعي الملتزم وهم هؤلاء الذين يديرون الحكم القائم في ايران من رئيس وزارئهم الى معظم وزارئهم ومسؤوليهم اذ كانوا

من موظفي الشركة او المتعاقدين للعمل معها او من المستفيدين من امكانياتها، وكان هذا الانجذاب الينا لأشراكنا في الهدف والذي هو تطبيق الشريعة في الحياة والعمل على نشر الدعوة بين الناس في كل مكان غير ان قسم كبير منهم لم يشاركني الفكر في التنفيذ او الطريقة التي توصلنا الى الهدف والذي كنت ولا ازال اعتقد به وهو الطريق الايجابي البناء، اي طريق تكوين الشخصية وبالضرورة السيطرة على الامور، ولكن كانوا بعضهم يتبعون رأي الاستاذ مهندس بازرگان ومن معه وهو الطريق السلبي، اي انه يجب القضاء على الحكم وقطع دابره اولا ومن ثم التفكير في التكوين والبناء، ولذا كنا مشتركين في الهدف مختلفين في الوسيلة، واما رجال الدين الذين يقبضون على زمام الامور فقد منا معاندير لجنة الاجابة على الشبهات الدينية التي كانت باكورة المؤسسة العالمية للخدمات الاسلامية. وكانت الحالة نفسها فبعض منهم كان يشاركني في الرأي وهم الان خارج الحكم وبعض منهم كان يخالفني الرأي في الوسيلة وهم الان في الحكم، ولكن الى نجاح الثورة المباركة كنا سائرين قدما الى الامام جنبا الى جنب اذ كانوا هؤلاء الاخزان بحاجة الى النتائج الايجابية التي كنت استحصل عليها والتي كنا نزودهم بها من ترجمة وطبع للكتب والكتيبات الدينية باللغات المختلفة وتوزيعها في مستوى العالم بصورة ايجابية، وعندما قبضوا على زمام الامور كانوا والحمد لله في غنى عما نقدم اليهم اذ اصبحت حكومة غنية مقتدرة لها البنية المادية ملايين المرة مما كانوا يحصلون عليه منا، فالغنى عنا ونجاح اطروحتهم (النجاح الظاهري) كانتا كافيتان لأن تكون نظرتهم الينا شذرة، وقبل ان يزجوا بنا في السجن ونحن المسالمون في حياتنا تركنا ايران وكما قلت نحمل زادنا ومتاعنا لمن يريد ذلك.

واما سبب هجرنا لهم وما أخذنا عليهم واني اشهد الله على ما اقول فلن يكن لما اخذوه منا ولما سلبوه عنا ولا لنكران الجميل، كما وانه لم يكن ايضا لما اسأؤوا من سمعة للاسلام ولمذهب اهل البيت بالذات من قتل انفس زكية بريئة يعترفون بها

او هتك للحرمان لم ينكروها او ابتزاز اموال يقرون بها او ما الى ذلك من معاصي سوف يكونون مسئولون عنها امام خالقهم يوم الحساب، انما الامر والادهي والاعظم والاكبر حكومة اسلامية تمسخ الاحكام وتفتي بغير ما انزل الله وتعمل على قوانين واحكام حاربوا.

سيدي اخاطبك وانت العالم الفاضل واطلب حكمك وقضائك وانا واثق بأخلاصك قل لي بالله الم يكن قدر الانبياء والرسل وكرامة الاتقياء وعظم شأنهم لما ضحوا به ولما عانوه من تعذيب وتقتيل وتنكيل وتقطيع في سبيل ايصال الهداية الالهية المتجلية في الاحكام الدينية الى البشرية والى اقوامهم واممهم او هل كانت لأنهم عذبوا وقتلوا، فان كان هذا لوحده فكم وكم ممن نزلت بهم المصائب والهلاك بصور ابشع واتعس ولم يكن لهم حق على الناس لأن ما عملوه كان لسلطان او لجاه او لمال او ما لاقوه يعود مردوده الى ما ارادوه. ولكن من ضحى بكل ما لديه من غال ورخيص وافنى نفسه في سبيل اسعاد البشرية بايصال الهداية الالهية الى الناس، الناس مدينون لهذا الانسان بكل خير يعملون اليه وكل سعادة ينالونها وفي هذا يكمن اسرار الاية الكريمة (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) الانسان الذي (نيتته خير من عمله) العمل الذي يكون تحت غطاء (انما الاعمال بالنيات). وكما ان البشرية جمعاء مدينة لرسل الله وانبيائه بكل هداية ينالونها هؤلاء هم بنفس النسبة اصحاب حق لان يلعنوا ويتبرؤا ممن مسخ هذه الهداية وشوه الاحكام الالهية لصالح نفسه كي ينال السلطان لأيام محدودة قلائل وقطع سبيل الخير والمعروف عن من كان معه وعن من بعده، ويكون مسئولا عن شقائهم، والتاريخ يتكرر والايام يداولها الله بين الناس فمنهم شقي ومنهم سعيد. فخير الناس من نفع الناس، وشرهم من قطع عنهم الهداية ودعى الى الظلال.

وقد وصف الحبيب محمد (ﷺ) هذه الحالة بحديثه الشريف (والذي بعثني

بالحق نبياً وبشيراً لتركن امتي سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل حتى لو ان حية من بنى اسرائيل دخلت في حجر لدخلت في هذه الامة حية مثلها) ونرى ضرافة التكرار في قول هارون لموسى (□) (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) الذي يكرره علي (عليه السلام) حينما يرغم على المبايعه اذ يتوجه الى القبر الشريف ويقول (ان القوم استضعفوني) وبعينه يقول المرجع الديني الذي يحاكم في الجمهورية الاسلامية.

سيدي لقد قيل قديما (يرى الحاضر ما لا يرى الغائب) وكم كنت اتمنى ان لا اعلم شيئا ولم افهم فاكون من المستضعفين في الارض احكم في الامور بطواهرها واتلقى القضايا ببساطتها. ولكن هذا هو كفران للنعمة فالعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء. والناس على ما اقسامهم بالمسئوليات والتبعات ثلاث: اناس لا يستوعبون المشكلات وليست لديهم طاقة على حلها وهم الذين وصفهم مولاي امير المؤمنين (عليه السلام) (همج رعا يعنون كل ناعق) والعذاب يأتي من هؤلاء والرقه والشفقة ايضا على هؤلاء واناس يستوعبون المشكلة وليست لديهم طاقة على حلها وتداركها وهؤلاء هم السواد المثقف الذين يتحسسون للمشكلة ويبرؤن انفسهم بأن لا الطاقة لديهم على حلها والقضاء عليها. واناس يستوعبون المشكلة وقد من الله عليهم بطاقة وامكانية لأستيعابها والعمل على الخلاص منها هؤلاء هم الذين انعم الله عليهم اذ اختارهم عن سواهم وهم الذين يحترقون لينبروا الاخرين فحياتهم في شقاء ونفوسهم في عذاب يبيعون دنياهم باخرتهم ولله يعملون وله يضحون. وها هنا تتجلى عظمة الرسل والاولياء الذين يصهرون وجودهم في بودقة الدفاع عن الشريعة ويتحملون المصائب العظام في سبيل صون الاحكام من التحريف والتزيف ومحاربة البدع والافتراءات. فان كنا نحن لهم من التابعين وعلى هديهم سائر فاعظم همنا في حياتنا هو صون العقيدة من كل تغيير ولا يجوز ان يكون همنا المال والجاه والسلطان.

سيدي اكرر واقول ان هذا هو جوهر الكلام، فاني اشهد الله ورسله وملائكته

ان اعظم ما يهدمني ويؤلمني ان تقوم حكومة اسلامية باسم الاسلام بمسخ الاحكام ونسخها واحداث البدع فيها والزعيم اليوم فقيه مبسوط اليد له من السلطان ما لا يقبل منه العذر ومسؤولية الفقيه المبسوط اليد يختلف تماما عن الفقيه المخلوع اليد وفي كتب الفقه ابواب مسهبة في هذا البحث الذي لا اريد التطرق اليه.

سيدي في ختام هذه الرسالة اريد ان اذكر سماحتكم نقطتين جوهريتين اشرت اليها من قبل. الاولى اشارتك في رسالتك الاخيرة الى قولي (اننا نتخوف من ان تكون بطانة الامام اشتراكيون شيوعيون) وتقول (لكن الوقائع هو خلاف ما تخافون منها الخ) سيدي كانك لم تسمع عشرات المرات كلمات هذا الامام نفسه حينما اعلن هذه الحقيقة بيتي شفثيه بالنسبة لرئيس جمهورية انتخبه برايه الذي صوته الى جانبه وهو بنى صدر الاشتراكي الذي لاذ بالفرار ومحكوم عليه بالقتل لما عمل من اعمال مشينة مخالفة للإسلام بصفته المسؤول الاول في الحكومة الاسلامية وكانك لم تعرف كيف زكى بازركن ورفع الى درجة العليين وكيف تحامل عليه حملات شعواء في خطابهاته والامر لا يزال كذلك ونحن نتظر من الملعون غدا من الذين يُزكون اليوم.

سيدي لقد قلت لكم مع مزيد الاسف يرى الحاضر ما لا يرى الغائب وان كانت هذه الحقائق ملئت الخافقين ولم تكن باسرار.

واما الاشارة الثانية فهي الى ما قلته سيادتكم في مطار جاكارتا من انهم تمكنوا ان يُركعوا اعظم العمالقة والجبابرة اشهد حقا ان هذا الكلام وقع في نفسي لدقائق ولحظات واقتنعت به ولكن سرعان ما عاد الوعي الي فاتتهبت الى نفسي، اي تركيع؟ تركيع الطفل لآبيه بأخضاعه لتأمين ما يحتاج اليه، تركيع الضعيف الحامل للسلاح الناري للقوى البطل المجرد، تركيع اخذ الرهينة الجبان للقوي المقتدر الحريص على حياة الرهينة، ام تركيع علي لعمر بن عبد ود في الخندق ان تركيع شيعة لبنان لمارين اميركا و(نيوجرسي) ومن ثم زف جنودهم بسلام الى بوارجهم

وطردهم من بلادهم. ام تركيع شباب ضحوا واستماتوا لطرده اسرائيل من ارضهم بعد ما عجز العرب جميعهم من تزحزحهم عن اي شبر دخلوه.

سيدي انت العالم الفاضل كيف يجوز لنا ان نأخذ الاحاسيس ونترك المنطلق العلمي المقبول كيف يمكن ان نعتبر بالاثر الظاهري الزائل ونترك ولا نعتبر بعواقب الامور ومآل الاحداث الم ترى الى ما كان من جراء هذا التركيع القصير، كان حربا قضى على ما لا يقل عن ثلاثمائة الف شيعي مؤمن مخلص وابادة ثروة لا يمكن تعويضها في عشرون سنة وشقاء لمعاقبين بلغوا مئات الاف وشعب غيور قدم بالاخلاص كل ما يملك حتى دينه وعقيدته. فأنا لله وانا اليه راجعون.

سيدي وارجو ان تعذرني وتغفر لي لما قلت (فانها شقشقة هدرت) والله اسئل ان يهدينا جميعا لما فيه رضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي الشهرستاني

في سبيل التقريب بين الثقافات البشرية

بسم الله الرحمن الرحيم

احمده جل وعلا، واصلي على خير بريته محمد المبعوث رحمة للعالمين
وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.
اصحاب السيادة رجال الفكر واعلام الرأي،

ان مفهوم الثقافة ومدلولها من الامور العسيرة التي تاهت مخيلة المفكرين
والباحثين في تعريفها ووصفها، وقد قال احد المتتبعين وارباب التحقيق انه جمع
مائة وواحداً وستين تعريفاً للثقافة، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عظمة
مفهوم هذه الكلمة وتحديد المراد الخاص منها، وعلى وجه الاجمال فمهما كان
المدلول لهذا اللفظ في اللغة أو الاصطلاح، عند القدماء والمعاصرين، وعند
الاعلام الشرقيين والغربيين، فإنه يبقى عنصراً أساسياً من حياة الانسان، بل من
حياة الامم والشعوب، يتوارثه جيلاً بعد جيل على مر التاريخ.

فالمدلول اللغوي للفظ الثقافة ان عرفه ابن منظور في (لسان العرب) بالحدق
والفهم، وابن السكيت بسرعة التعليم، والفيروز ابادي في القاموس بالحدق والخفة
والفطنة، وصاحب معجم الوسيط بالتأدب والتهذيب والتعليم.

او ان عرف ماثيو ارنولد المدلول الاصطلاحي لهذه الكلمة في كتابة (الثقافة
والفوضى) بـ (ان الثقافة هي محاولتنا للوصول الى الكمال الشامل عن طريق العلم
بأحسن ما في الفكر الانساني مما يؤدي الى رُقي البشرية)، وعرفه مالك بن نبي في

شروط النهضة (الثقافة هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي)، وادوارد تايلور في كتابه (الثقافة البدائية) (الثقافة هي ذلك المركب الكلي الذي يشمل على المعرفة والمعتقد والفن والادب والاخلاق والقانون والقدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في المجتمع)، او ما نسب الى المفكرين الاوربيين في عصر النهضة ولا سيما الى الالمان منهم انهم (جعلوا الثقافة تشير الى المعرفة غير الوصفية، ذات الاحكام التقويمية كالديانات والاعتقادات والاخلاق والفلسفة والاداب والفنون)، أو ما عرّفه العلماء والاكاديميون السوفيت في الموسوعة الفلسفية (ان الثقافة هي كل القيم المادية والروحية التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ).

كل هذه التعاريف تشير الى حقيقة واحدة، هي ان الثقافة عبارة عن مجموعة التعاليم والانظمة والطقوس والقيم التي يستفيد منها الانسان في حياته للوصول الى الكمال والرقي البشري، والتثقيف هو كيفية فرض أو اقناع المجتمع بقبول وتنفيذ هذه التعاليم والانظمة والطقوس، والمثقف هو الانسان او المجتمع المستوعب لهذه التعاليم والانظمة والطقوس.

أما الحضارة فأنها بأعتقادي من ترشحات وافرازات ونتائج الثقافة ولم تكن الحضارة هي الثقافة نفسها كما يعتقد الكثيرون، لأن الحضارة لم تتحقق لولا الثقافة، فأن كانت تالية تلو الثقافة فلا يمكن ان تكون نفسها، بل الثقافة حينما تطبق على الساحة وتخرج من حيز القوة الى الفعل تصبح حضارة.

وأما الخلاف الجذري بين اصحاب الرأي، فلم يكن على تعريف الثقافة او التثقيف او المثقف، انما وقع الخلاف في اصول ومصادر اخذ هذه التعاليم والانظمة والطقوس من جهة، وفي صحة بنود هذه التعاليم والانظمة والطقوس وسقمها من جهة أخرى.

فالسؤال الاول: من هو صاحب الصلاحية في وضع هذه التعاليم؟ والسؤال

الثاني: هل ان هذه التعاليم تؤدي الى الهدف المنشود، الذي هو الكمال والرقي البشري ام تسوقه الى الويل والشبور؟

ها هنا وقع الخلاف الجوهرى، فلو كانت الامم والشعوب والملل والنحل جميعها متفقة على مصادر ثقافتها ومجتمعة على اليقين من الوصول الى غايتها، لما وقع الخلاف بينهما اطلاقاً، وكانت للبشرية ثقافة واحدة موحدة.

ولكن هذه الثقافات تتباين بتباين العقائد والاديان والمذاهب والآراء، والثقافة ما هي الا مجموعة من التعاليم والانظمة والطقوس الاعتقادية لكل ذي عقيدة وان شاهدنا بعض القيم والطقوس خارجة عن الاطار الاعتقادي الفعلي لقوم ما، فانها لم تكن الا راسب من عقيدة سالفه سكت عنها المعتقد الفعلي لهم او اقرها.

كما ان مصادر وجذور هذه الثقافات اما سماوية من مبدأ تشريع الهى اخذه افراد البشر عن طريق الانبياء والرسول، ايماناً منهم بصحتها ويقيناً بضرورة العمل بها، أو وضعية من مبدأ تشريع بشري وضعه فرد من افراد البشر او جماعة من نخبة الناس، واعتقد الآخرون بصحتها وضرورة العمل بها ايضاً.

وهي عبارة عن طقوس وعقود وحقوق، او بعبارة اخرى: عبادات ومعاملات، تشتمل على جميع او معظم شؤون الحياة الانسانية، ولكن مصادر هذه الثقافات كما ذكرنا تتباين من حيث التشريع بين مصدر الهى ومصدر بشري، وثم تتباين بين المصادر البشرية الى ما لا تعد ولا تحصى كما تتعارض ايضاً في بنود احكامها واساليب طقوسها ومفردات قيمها وبيان حقوقها، وهذا التعارض في البنود والمفردات اوسع من التعارض في مصادر التشريع.

هذه التباينات الثقافية من حيث مصدر تشريعها، وبنود احكامها وطقوسها، كانت السبب في الحروب الدامية، والغزوات المتلاحقة، والصراعات الدائمة بين المجتمعات البشرية.

فالثقافات البشرية بأعتقادي في صراع دائم وخلاف قائم، وهذا رأي ادلي به الى

هذا المؤتمر الموقر في سؤاله (الثقافات في حوار ام في صراع).

ولدعم هذا الرأي أراني مضطر لتحليل الموضوع بايجاز، واملي ان لا اترك الداء بدون دواء، بل احاول تقديم مشروع للتقريب بين الثقافات البشرية الى هذا المؤتمر الجليل، لعلنا نخرج بالحل من معضلة تعارض الثقافات التي اورثت الشقاء والعناء للبشرية جمعاء.

سادتي اعلام الفكر، لم تكن ثقافة اي مجتمع بشري كائنا ما كان الا وسيلة يتوسل بها لنيل غايتين في حياته، فهي اما طقوس وعادات وتقاليد يتشبث بها لدفع الشر والخوف والوحشة والهلاك عن نفسه، او تعاليم واصول وانظمة يتبعها للوصول الى حياة افضل تمنحه اللذة والبهجة والراحة في الحياة، وما يعتقد بها الانسان ويعمل عليها من ثقافة فهي كل غايته في الحياة ولولاها لم تكن للحياة عنده قيمة، وهذه خاصية ذاتية للانسان ولا علاقة لها بتعلمه وفهمه ودركه، فهو يشعر ويؤمن من ان الحياة لا قيمة لها بخوف مستمر يلزم وجوده، او بعيشة حيوانية يستعبده فيها الغير ويسخره كما تسخر الدواب.

هذا الشعور شعور ذاتي فطري ملازم لوجود الانسان، ولذا فهو ينساق تلقائياً الى اكتساب شيء يقيه شر الخوف والوحشة في الحياة، ويعطيه الامل للتقدم في سبيل الكمال.

هذه هي الثقافة، او الدين، او العقيدة، سمها ما تشاء ولا ارى فرقاً بينها اطلاقاً، وهذه الثقافة هي المقدس الذي لولاه لما كان لوجود الانسان قيمة في الحياة، والخلاصة ان اي انسان مهما كانت له من ثقافة فهو يعتقد بأن اصول ثقافته هذه هي المقدسات التي يجب ان يتمسك بها ويدافع عنها، ولو ادى ذلك الى فنائه وموته، لان الحياة لا قيمة لها بدون هذه المقدسات.

ولو استعرضنا مثلاً واحداً لهذا الواقع لربما ازدادت قناعتنا بهذه الحقيقة. لنأخذ مثلاً العقيدة الاسلامية او الثقافة الاسلامية، ونستعرض احكام السماء نرى

ان اهم الطقوس والواجبات تتغير طبيعتها واحكامها باعتبارات ثانوية، فمثلاً: الصوم يحرم على المريض، والصلاة تسقط عن الخائف، وأكل الميتة يحل للمضطر، كل ذلك لان هذه الاحكام شرعت لوجود الانسان وسلامته وصلاحه، فان تعارضت هذه الاحكام مع الهدف من تشريعها فانها تتبدل الى عكس ما كانت عليه، ولكن اذا تعرضت الشريعة نفسها الى الخطر وحُشي ضياع ذلك او القضاء عليه، ولكن الحكم يتغير ويجب على هذا الانسان المعتقد بهذه العقيدة ان يدافع عن عقيدته ولو بهلاك نفسه والشهادة، فهذا الانسان الذي تغيرت جميع الاحكام لسلامته وحفظ وجوده نراه عند تعرض العقيدة للخطر ملزم بتضحية نفسه من أجلها.

اذن فالاحكام نسبية امام مقدس الوجود، والوجود الانساني نسبي امام مقدس العقيدة، فاقدم المقدسات عند المسلم هو عقيدته وثقافته، والحالة نفسها في جميع المعتقدات والثقافات وان شذعن ذلك من شذفاً يقاس عليه.

فلو آمننا بهذا الواقع واقنعنا بأن الوجود الانساني يتلاشى امام مقدس العقيدة والثقافة، فطبعي من ان نعتقد بان الثقافة هي اقدس المقدسات عند جميع البشر مهما اختلفت مستوياتهم وتفاوتت الوانهم وتناقضت طباعهم.

وبتباين الثقافات تتباين المقدسات وهنا تظهر حالتان:

الحالة الاولى: هي حالة الاستقرار والركود، وعدم التعارض والتضاد فيما بين هذه الثقافات على الساحة في الامور الحياتية.

والحالة الثانية: هي حالة الحركة والتضاد والتعارض على الساحة في الشؤون اليومية للحياة.

ففي الحالة الاولى نرى التعايش السلمي والعيش المشترك بين شعوب العالم مع تضاد ثقافات وتباين معتقداتها، بينما نشاهد في الحالة الثانية الحروب والغزوات وقتل النفوس البريئة ونهب الاموال والخراب والدمار.

والحالتان في مرحلة القوة مشتركتان، ولكن في مرحلة الفعل مختلفتان، فاصل

الخلافاً والتضاد بين الثقافات ذاتي ثابت، بينما التعايش والتفاهم عرضي متغير يتغير بالمصالح المشتركة والظروف المحيطة والقيادات والزعامات المسيرة لاصحاب هذه الثقافات وما الى ذلك من اسباب.

لذا نرى اقواما وشعوبا متضادين في العقيدة والثقافة، يعيشون جنباً الى جنب في عيش ملؤه الاستقرار والتفاهم، واذا بريق يشعل الفتيل، وتتفجر القنبلة ويزول العرض فيرجع كل قوم الى اصلهم، وتندلع الحروب اعواماً طويلاً وسنوات متمادية، ثم يظهر العرض ثانية من جديد ويتمكن من تجميد الاصاله الذاتية فيرجع الوثام لبرهة لا يعلم مداها، أقصيرُ أم بعيدٌ.

هذه سنة الحياة، ولنا من التاريخ المعاصر نماذج وعبر نستعرض منها الخلافاً والصراع الهندي الباكستاني، والعربي الاسرائيلي والايرواني العراقي، لنعرف مدى مصداقية دعوانا وصحة تحقيقنا، وهذه الامثلة الثلاثة فيها عبر قيمة، فالهندي والباكستاني بين شعبين يشتركان في التقاليد والبيئة، ويتعدان كل البعد في العقيدة الدينية، فلا يتفقان الا في اصل واحد وهو كونهما من البشر، والعربي والاسرائيلي يتنافران في التقاليد والطباع بالرغم من اشتراكهما في الاعتقاد برسالة السماء، اي قبول مصدر التشريع ولكنهما يختلفان في الدين اي مفردات التعاليم والاصول والطقوس، والايرواني والعراقي يتفقان في كثير من التقاليد والطباع ويختلفان في بعضها، ويشتركان في مصدر التشريع وفي معظم بنود التعاليم والاصول والطقوس ولكن يختلفان في بعض الامور الجوهرية منها، فهذه الامثلة الثلاثة لها ان تعطي جميع اوجه الفرض والاحتمال لبحثنا وتحقيقنا.

للقوف على العقيدة الهندية بصورة دقيقة، واخذ المعلومات من مصادرها الموثوق بها، سافرت الى الهند، والتقيت بعدد من اعلام العقيدة الهندية، وفي مقدمتهم البروفيسور (S.S.ANTAR KAR) رئيس قسم الفلسفة في جامعة بومبي، وهو احد المعتنقين لهذه العقيدة ومن اصحاب الرأي في الثقافة الهندية،

وكان لي معه حوار حول اصولها، ومبدأ تشريعها، والمقدسات الاساسية فيها، ونظرتها الى الاديان والثقافات الاخرى، وكانت النتيجة ان الديانة او العقيدة الهندية لم تكن في الواقع كما يتصوره الناس ديانة واحدة أو ثقافة موحدة، وانما هي مجموعة فدرالية من المعتقدات أو الثقافات ولكنها تشترك في اصول واحدة فهم لا يعتقدون بوجود خالق للعالم بل العالم في معتقدهم قديم، والهدف من الحياة امور ثلاثة:

- معرفة النفس SAT
- معرفة الطبيعة CHIT
- والتمتع بهجة الحياة ANANDA

وعند سؤالي اياه: ما هي التعاليم والاصول والطقوس التي تسوقكم الى تحقيق هذه الاهداف؟ ومن المشرع لهذه التعاليم؟ اجاب قائلاً: ان المشرع لهذه التعاليم نحن انفسنا، وهي اصول وطقوس نراها مناسبة بتناسب البيئة والطبيعة والمكان، واتباع هذه الثقافة وهذه التعاليم يختلفون في مفردات احكامهم وطقوسهم، باختلاف المكان وفقاً للطبيعة والبيئة التي يعيشون فيها، ولذا فإن العقيدة الهندية مجموعة فدرالية من المعتقدات والثقافات.

كان الشعب الهندي بعقائده هذه ولا يزال يعيش جنباً الى جنب مع المسلم الذي يعتبر الاصل الاساسي في عقيدته هو الاقرار بالوحدانية لله الخالق للكون، ولا يجوز له العمل برأيه، بل ان ضمان سعادته في الحياة هو العمل بالتعاليم والاصول والاحكام والطقوس التي يأخذها من الله ﷻ عن طريق نبيه فقط، ولا شك ولا ريب من ان هذه المقدسات التي هي من مبدأ بشري مخلوق، متضادة متعارضة مع تلك التي من مبدأ الهي خالق، وهذه المقدسات تمثل وجود كل من الطائفتين، وهذا الخلاف ذاتي ثابت، غير ان المصالح المشتركة كانت من الاغراض التي جعلت الفريقين لا يحركون ساكناً حتى اشعل المغرض الفتيل وقتل ثورا أمام

معبد، والقى بجثة خنزير في باحة مسجد، فاندلعت النار وكان ما كان حتى اليوم، وشظاياها مشتعلة، اذ تقوم في هذه الايام مسيرة هندية تسمى بمسيرة عشرة الاف ميل، تطالب بتهديم مسجد قال احدهم انه كان مسقط رأس (راما).

أما اليهودية التي هي عقيدة الهية، ولها كتاب سماوي هو التوراة، فهي ايضا تتمثل في مجموعة من المذاهب المتعارضة، غير انها جميعا تشترك في اصل توحيد الله، ونبوة موسى بن عمران (عليه السلام)، فهي في مبدأ التشريع ولكنها مختلفة في اصولها، فممنهم من يعتقد بضرورة العمل والاعتماد على كتاب العهد القديم كله وليس التوراة وحدها، كفرقة القرائين اذ ترفض التلمود وتقول ما هو الابدعة ابتدعها الحاخامون ولفقوها وقالوا للناس انها شريعة شفوية مصدرها الاله، وانها يجب ان تقدر، بينما المذهب الرئيسي لليهود هو مذهب التلموديين الذي يعتبر التلمود هو المصدر الرئيسي الاخر لدى اليهودية بعد التوراة، ويطلقون عليه اسم الشريعة الشفوية مقابل الشريعة المكتوبة (التوراة)، والتلمود هو مجموعة من التعاليم والاحكام التي دونها الاحبار والحاخامون باللغة الارامية، كما ان المذاهب اليهودية تشترك في اصل واحد آخر هو الحفاظ على الشريعة (هلخا) والشريعة باتفاق المذاهب تقول: ان خلاص اليهود من الجور والظلم، يتم بخلاص الارض المقدسة اورشليم وفي هذا الخلاص تنعم البشرية بالسعادة والعدل والاستقرار، وان كانت المذاهب اليهودية تختلف في كيفية الخلاص، فمنهم من يعتقد باخلاص الطبيعي دون حرب او اراقة دماء عند ظهور المسيح الموعود، ومنهم من يعتقد بوجود التخليص ولو بالقهر والقوة، وقد استفادت الصهيونية العالمية (التي هي حركة دينية سياسية) من هذا الرأي وحاولت بتجنيد قواها اقامة الدولة الاسرائيلية التي تعد في نظر بعض الفرق اليهودية غير شرعية، رغم ان الحكومة التي شكلتها الصهيونية بادى ذي بدء، والى الان تتكون من عناصر علمانية، ولكن حاولت ان تعطي الحكومة الاسرائيلية صبغة شرعية دينية لينضم الى الدفاع عن عقيدتها كل مشرع يهودي بالالزام.

اما العرب وهم الذين اعطوا الصراع جانبا اسلاميا ايضاً، والدفاع عن الشريعة والعقيدة من اقدس المقدسات عند المسلم، تعارضت المقدسات ولعب الاصل الذاتي دوره واختفى دور العارض، والمصالح المشتركة التي كان يعيش فيها اليهودي الى جانب المسلم في معظم البلدان، فبقي الصراع والحرب قائماً الى يومنا هذا.

والمثال الأخير هو الصراع والحرب الايرانية العراقية، فرغم اتفاق الشيعيين في العقيدة والدين والثقافة الاسلامية، والايمان بوحدانية الله، ورسالة محمد ﷺ، والاتفاق على معظم التعاليم والاحكام والعبادات، واتباع كتاب سماوي واحد هو القرآن، والمشاركة في قبلة واحدة، فالخلاف يتمثل في بعض اصول المذاهب وفروعه الفقهية، فالايرانيون الذين يعتقدون مذهب اهل البيت، الجعفري الامامي الاصولي، يختلفون مع اهل السنة والجماعة الذي يعتقد به القائمون على الحكم في العراق، وان هذا الخلاف وان لم يكن جذرياً واسباسياً، واعلام المذهبيين يحاولون على مر التاريخ الاسلامي حل الخلافات ولكن هناك خلاف جوهري على نظام الحكم، وكيفية اخذ الاحكام بعد وفاة الرسول ﷺ، فالسنة يعتقدون ان الخلافة بعد رسول الله امر متروك للأمة والشورى، وقد اجمع المسلمون على خلافة ابي بكر الصديق، والخليفة ولي امر المسلمين امره مطاع، وحكمه فصل، ومصدر التشريع هو الكتاب والسنة استناداً لحديث نقله الامام مالك بن انس في الموطأ: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي)، بينما يعتقد الشيعة الامامية ان الخلافة والامامة امتداد للرسالة وضمان لصحة التشريع، ولذا فانه يجب ان يكون بالنص الصريح من قبل الله، والاية الكريمة (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون) فيها التصريح على ولاية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، هذا بالاضافة الى حديث الغدير المتواتر وغيره، كما يعتقدون بان القرآن وحده لا يمكن ان يكون مصدر التشريع بشهادة القرآن نفسه

(منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) واستناداً الى الحديث المتواتر من رسول الله ﷺ: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي (وانهما) لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، واستناداً الى ما ذكر فان نظام الحكم بعقيدة اهل السنة والجماعة ان ولي المسلمين هو الحاكم العادل المنتخب القائم بالسيف، بينما يعتقد الامامية بأن ولي امر المسلمين بعد رسول الله هو الامام علي (عليه السلام) واحد عشر اماماً معصوماً من وله آخرهم المهدي المنتظر الذي يملئ الله به الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً، وهو الغائب عن الانظار، وفي فترة الغيبة الكبرى فان ولاية امر المسلمين مفوضة الى الفقيه بنص من الامام الغائب: (واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله)، ويجمع فقهاء الامامية على ان هذه الولاية لم تكن مطلقة كما هي للولي المعصوم، بل هي في امور اربعة: الولاية في بيان الاحكام والفتوى، والولاية في الحكم والقضاء، والولاية في الامور الحسبية، والولاية في المصالح العامة المشتركة للمسلمين واقامة الحدود وحتى القسم الاخير يختلف فيه الفقهاء بالنسبة لمبسوط اليد، وغير مبسوط اليد، ولكن الامام الخميني تفرد من بين فقهاء الامامية فاجتهد، وقال ان هذه الولاية تسري حتى على الامور الخاصة الشخصية للمكلف، وولاية الفقيه كولاية الامام المعصوم وولاية رسول الله ﷺ وعلى كل حال من الاحوال وكيفما اعتبرنا هذه الولاية فالفرق بين العقيدتين بالنسبة لنظام الحكم والولاية جوهرية مهم، واستفاد حاكم العراق من هذا الخلاف العقائدي فتمصص بلباس الدين ورغم ان نظامه بعني اشتراكي علماني وأثار شعبة ضد النظام الاسلامي الايراني ونسب اليهم المروق عن الدين ونعتهم بالمجوس واعداء الاسلام واستفاد من هذا الخلاف ايضاً في استمالة الدول العربية المسلمة الاخرى وسحب الاموال الطائلة منهم لأنه عرف ان تعارض المقدسات العقائدية ذاتي ثابت، واما الزعيم الروحي الايراني اقام الجمهورية الاسلامية

الايرائية على اساس العقيدة والثقافة الاسلامية فقد استفاد من نفس التعارض الذاتي المقدس في تجنيد جيوشه وافراد امته الذين كانوا يفجرون انفسهم بالالغام ليعبدوا الطريق لمن خلفهم، وهكذا كانت الحرب الضروس التي جاوزت ثمانية اعوام، واليوم نرى بوضوح ان العرض يدخل الساحة من جديد والمصلحة تقتضي ان يتنازل من اشعل الحرب عما اشعل الحرب ويحاول ان يجمد التعارض الذاتي فالى متى يدوم هذا، العلم عند الله.

وهكذا نرى ان تباين الثقافات وتعارض المعتقدات كيف كانت ولا تزال الاسباب الذاتية في صراع الشعوب وحروبها وبالنتيجة اسباب شقائها وتعاستها. وهذا هو الداء فما هو الدواء؟!

منذ اكثر من ثلاثين سنة وانا مولع بمعرفة اسباب التخلف والتأخر في شعوب العالم وبخاصة شعوب العالم الثالث وانا منها اشعر بدقة وعن كذب بحرمانها ومصائبها وقد جبت العالم من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه بحثاً عن اسباب التخلف والتقدم، وكنت اتصور بادئ ذي بدء كما يتصور الكثيرون ان اسباب التخلف والتقدم هي العلوم الحديثة والتقنية المتطورة فأسست في بداية الثمانينات (المركز العالمي للأبحاث الفنية) لغرض استقطاب التقنية الحديثة ونقلها الى الدول النامية وحقاً انني لاقيت تجاوباً كبيراً من العلماء الفنيين الغربيين فكان معنا في مدة وجيزة ما ينيف عن الف مستشار من مستوى حملة جوائز نوبل وبروفيسور الى اعضاء مراكز ابحاث عالمية من الاقطار المختلفة، وكانت احدى السبل التي سلكناها لتحقيق هذا الهدف، هو عقد المؤتمرات الدولية للتنمية، وكانت اولها في (جاكارتا) عاصمة اندونيسيا سنة ١٩٨٥، والتي أعطينا فيها حلاً لتأمين الغذاء للبشرية واثبتنا في الكتاب الذي كتب لهذا الغرض كيف ان اندونيسيا لوحدها قادرة على تأمين غذاء اربعة مليار من نفوس البشر في الحال الحاضر والمنطقة الاستوائية قادرة على تأمين غذاء لعشرين مليار من نفوس البشر،

وكانت الثانية في لندن سنة ١٩٨٧ بالاشتراك مع الاونسكو وهيئات المنظمات العالميتين للثقافة والاسكان وكان موضوعه تأمين السكن في الدول النامية وأثبتنا في الدليل الذي قدمناه الى المؤتمر كيف يمكن تأمين السكن لكل ذي دخل مهما ضؤل دخله، وهي دراسة مستوفية لجميع الجوانب الفنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبعد حل مشكلة التغذية والاسكان لسكان العالم وحل مشكلة التعليم التقني العالي بتأسيس الجامعة التكنولوجية العالية بالاتفاق مع منظمة الاونسكو. بعد ذلك عرفت أن مشكلة التخلف والحرمان لم تكن المشكلة التقنية او الفنية انما المشكلة الاساسية هي مشكلة منظمة والقوانين، المدنية منها أو الدينية، وتعود جميع جذورها الى المعتقدات والثقافات ويشترك في هذا الحرمان الغرب المتقدم كما يشترك فيه الشرق النامي، بل مشكلة الغرب أمر وأدهى ولنا في ذلك حديث طويل.

والحل باعتقادي يتلخص في تجنيد الطاقات الفكرية وجمع اصحاب الرأي والتحقيق من علماء الدين والفلاسفة والمفكرين ورجال القانون والعلماء التجريبيين تحت مظلة واحدة وتأسيس مركز عالمي لأسس المعرفة أو (THINK TANK) يتناقش فيه اصحاب الآراء المتفاوتة ويتبدون في نقاشهم من نقطة الوفاق ويستمررون بمنطق سليم مقبول مرحلة بمرحلة فأما أن يقنعوا او يقتنعوا، وفي النتيجة سوف يصلون بصورة حتمية الى نتيجة واحدة وتعاليم موحدة وهي الامنية الغائية للثقافة البشرية ولكن بشرطها وشروطها وفي مقدمتها الاخلاص وصدق النوايا وترك التعصب وتناسي الخلفيات والرواسب.

سادتي الكرام، ارشاد الامم والشعوب امانة في اعناقكم انتم رجال الفكر واصحاب الرأي ها هنا وفي كل مكان والمثقفون من الناس يحسبون لأقوالكم واراتكم الف حساب ويتظرون منكم التصدي للزيف الباطل والخلاف وان كان (مع مزيد الاسف والاسى) عامة الناس كما عرفهم الامام علي عليه السلام (همج رعاي يتبعون كل ناعق) ينساقون وراء العواطف والاحاسيس ولكن هذا لا يقلل من

مسؤولياتكم فللعالم دور وللسياسي دور، ولتضامن وتعاقد ولنبك ولا نتابكى.

فكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقرر لهم بذاكا
اذا جرت الدموع على الخدود تبين من بكى ممن تسباكى

وفي الختام اتمنى واطلب من شبكات الاعلام والصحافة في كل مكان ان يتعاونوا مع رجال الفكر واعلام الرأي كما يتعاونون مع رجال السياسة والاقتصاد فالامة لها حق عليهم والناس يسمعون ويقرأون ويأخذون منهم القسط الاوفى من الثقافة والمعلومات وعن طريقهم يمكن الوصول الى قلوب الناس وادمغتهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور سيد محمد علي الشهرستاني

رئيس مجلس ادارة المركز العالمي للأبحاث الفنية

رئيس مجلس امناء الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية

بحث للعلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني منهج الإمام علي عليه السلام في الانتفاضة ضد الظالم

لاقامة دولة الحق

تصدي أمير المؤمنين للحكم يعد أول انتفاضة جماهيرية

في تاريخ الإسلام

الفارق بين الانتفاضة الشرعية والانتفاضة الدنيوية أن الأولى تقوم على الإخلاص والإيمان برضى الله والتجرد عن الذات والتفكر في خير الناس وصلاحهم.. والثانية هدفها القفز على كرسي السلطة والتحكم برقاب الناس من شروط قيام الانتفاضة: العلم ووجود الناصر واستحصال حق المظلومين من الغاصب والطاغى

لندن - الجامعة العالمية:

الإمام علي عليه السلام هو ذلك الطود الشامخ الذي لا يرقى إليه الطير، وقطب الرحي الذي ينحدر عنه السيل وهو كما يصفه الشريف الرضي « مَنْ يغمس في الحرب مسلطاً سيفه فيقطع الرقاب ويجدل الأبطال، ويعود به ينظف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها الأضداد وألف بين الأشتات».

وللإمام علي عليه السلام نفحات ومكرمات، وفي حياته مصائب وويلات، فيوماً يضع أقدامه في محل وضع الله يده ويوم يُساق كالأسير إلى المسجد وجلاوزة الأمة يشهرون على رأسه السيف قائلين إن لم تباع قتلناك. ويوماً يصرع أشجع شجعان

العرب بضربة ويقلع باب خيبر بقبضته ويوماً آخر يقعد قعدة الضنين ويشتمل شملة الجنين ليبقى صوت لا إله إلا الله، محمّد رسول الله مدوياً في الآفاق.

هذا هو الإمام علي عليه السلام من جمع الأضداد واستوعب المناقضات والأشتات ومارس الصعاب وجرب الناس وخاض الحروب وعرف فنونها، فمن هو أحرى وأدرى منه بالواجب الشرعي والتكليف العيني للدفاع عن بيضة الإسلام والجهاد في سبيل الله.

من هذا المنطلق أنطلق فأبّين منهج الإمام علي عليه السلام للانتفاضات الشيعية في وجه الظالم من أجل إقامة دولة الحق ورفع راية الإسلام عالياً خفاقاً.

موارد الظلم

حينما تنصفح كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة وندرس تاريخ حياته، كل منا يقف عند ما يهمه وما يعنيه للاستشهاد به والاستفادة منه ولكن الجميع يقفون عند موارد التظلم وعند الحوادث المأساوية التي مرت علي الإمام عليه السلام. ولعل من أروع خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان موقعه من الإسلام واغتصاب حقه ونهب تراثه ومعاملة الأمة له، هي خطبته الشقشقية غير أننا دائماً نركز في هذه الخطبة على الصدر الأول منها ونردّها ونحفظها لأولادنا ولكننا نغفل عن القسم الجوهري والأساسي منها والذي يرسم لنا خطأ واضحاً جلياً لكيفية العمل الجهادي وشروط الانتفاضات الشرعية وعواملها.

يقول الإمام علي عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز».

يبين الإمام علي عليه السلام في هذا المقطع من خطبته الأسباب التي دعت إلى قبوله الخلافة بعد عثمان ومع أن الحكومة الإسلامية في هذا الدور وفي هذه المرحلة

الدقيقة والصعبة كانت تمر بأحرج الأدوار ومن الممكن تماماً أن تتلقفها بنو أمة لإقامة ملك عضوض، وعلي (عليه السلام) يعلم نوايا معاوية تجاه الإسلام والتي أسرّ بها للمغيرة بن شعبة في قوله: « وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأبي عمل يبقى بعد هذا، لا أم لك والله إلا دفناً دفناً ».

قيمة الدنيا عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

ففي مثل هذه الظروف يجب على الإمام علي (عليه السلام) أن يقبل الخلافة بلا قيد ولا شرط، ولكنه يقسم قسماً فيقول: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لم أكن لأقبل الخلافة وإمرة المسلمين إلا بتوفر هذه الشروط التي لولاها لكنت ألقى حبلها على غاربها ولكنت أترك شأن هذه الأمة في آخرها كما تركتها في أولها.

وتظهر العلة التامة والنقطة الجوهرية في اتخاذ القرار بترك هذه المهمة الخطيرة في قوله (عليه السلام): « ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز »، ولا شيء أقل شأنًا من عطفة عنز وهي كناية عن قيمة الدنيا عند علي (عليه السلام) وعند باقي أولياء الله.

فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي يقول: « والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلي قفولها ويطول في الثرى حلولها؟ » لا يمكن أن يقبل بأمر لا تتوفر فيها شروط رضى الله ورضى رسوله. والحكم بين الناس أقرب الأمور إلى إمكانية ظلم بعض العباد أو غضب شيء من الحطام.

أصول الانتفاضة الشرعية

ولعله من المناسب أن أستشهد بقول الشهيد الصدر (رحمته الله) والذي أنقله من دائرة المعارف الشيعية تحت عنوان « هل كان الأئمة يحاولون تسلّم الحكم؟ » ما نصه: « يبقى سؤال واحد قد يتبادر إلى الأذهان وهو أن إيجابية الأئمة هل كانت تصل إلى مستوى العمل لتسلّم زمام الحكم من الزعامات المنحرفة أم تقتصر على

حماية الرسالة ومصالح الأمة من التردّي إلى الهاوية وتفاقم الانحراف».

والجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى توسع في الحديث يضيق عنه هذا المجال غير أن الفكرة الأساس في الجواب المستخلص من نصوص وأحاديث عديدة أنّ الأئمة لم يكونوا يرون الظهور بالسيف والانتصار المسلح أنياً، كافياً لإقامة دعائم الحكم الصالح على يد الإمام. إنّ إقامة هذا الحكم وترسيخه لا يتوقف في نظرهم على مجرد تهيئة حملة عسكرية بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن إيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة.

إذاً فالأصل الأساسي الأول لكل قيام شيعي عقائدي وانتفاضة شرعية هو الاخلاص الكامل والإيمان برضى الله والتجرد عن الذات والتفكر في خير الناس وصلاحهم حسب الموازين الشرعية وإن شذّ أحد عن هذه القيود تكون انتفاضته دنيوية للقفز على كرسي السلطة والتحكم برقاب الناس أعاذنا الله شره.

أما الأصل الثاني فهو قبول التكليف الشرعي ولزوم طاعة الله في كل حال من الأحوال وهذا ما نفهمه من كلام مولانا علي (عليه السلام)، فهو بقسمه « أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة » وقوله: « لأفئتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عزز »، يبيّن لنا أنه لم يكن راغباً في الحكم وتولي الخلافة ولكن لأن الشروط فرضت عليه القبول، فهو مطيع لأمر الله راض برضى الله. فالتسليم لأمر الله تعبداً وإيماناً موافقاً كان للميل الإنساني أم مخالفاً له، شرط أساسي جوهري في الانتفاضة والقيام في وجه الظالم والدفاع عن العقيدة. والذين يخالفون ذلك بحجج يدعون أنها صحيحة واردة، ما هي إلا تمويه للحق وإغواء للناس.

أما الأصل الثالث بل الشرط الذي يجب أن يتحقق في قائد الانتفاضة وراشدها هو العلم. إذ قال (عليه السلام): « وما أخذ الله على العلماء »، فالمهمة والمسؤولية واقعة على عاتق العلماء وفي هذا أمران: الأمر الأول هو انحصار المهمة بالعلماء وأما الباقون فهم تابعون، والأمر الآخر يترتب على المقصود من كلمة العلماء، فيا ترى

مَن هم العلماء؟ هل المقصود منهم الخبراء السياسيون وعلماء فن القتال وقادة إدارة الحروب؟ أم علماء الدين الذين يعرفون الحرام من الحلال ولهم الولاية في استنباط الأحكام ومعرفة مواطن رضى الله ورسوله ومواقف الزلل والانحراف. فإن قلنا بالأول مستدلين بالمصالح المرسله والتفتح الاجتماعي فخبراء المراكز العالمية للدراسات الاستراتيجية والمحللون السياسيون أكثر خبرة من غيرهم لأنهم يعرفون خلفيات الأحداث وأسبابها وعللها ونتائجها. ولكن إن قلنا بالثاني فَمَنْ كان « من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه » يُعدُّ من العلماء المعنيين وعلى الناس أن يتبعوه ويقلّدوه وبما أن الأصل الثاني هو قول التكليف الشرعي ولزوم طاعة الله فواضح تماماً بأن العلماء الذي أشار إليهم أمير المؤمنين عليه السلام هم مراجع التقليد بعد رسول الله والأئمة المعصومين عليهم السلام.

أما الأصل الرابع فهو بيان للأسباب الموجبة للقيام والانتفاضة فقال عليه السلام بعد جملة « وما أخذ الله على العلماء: » « ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم »، وهذا يعني أن المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء عدم الاقرار والموافقة على استئثار الظالم بحقوق الضعفاء والعمل على استحصال حق المظلومين من الغاصب والطاغي وهذا تعبير عن جواب القيام في وجه الحكومات الظالمة والطاغية وأعوانهم وأنصارهم. والذي يُستفاد من هذا الأصل هو وحب القيام وعدم السكوت ولكن بشرطها وشروطها التي بيّنها عليه السلام في الأصلين الخامس والسادس.

الأصل الخامس: وهو قوله « وقيام الحجة بوجود الناصر »، أي أن الحجة تتم على العالم للقيام في وجه الظالم بوجود الناصر، والذي أشار إليه أمير المؤمنين هو وجود الجيش الإسلامي الذي أعلن بيعته له وأظهر ولائه له، فلو لم يكن هذا الجيش الناصر له لأسقط عنه التكليف كما أسقطه عن نفسه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان جليس داره قعيد بيته.

ومن هذا نستنبط أن الأصل الخامس من أصول الانتفاضة والقيام بوجه الظالم

هو توفر القدرة والامكانية العسكرية بوجود الناصر وفي غير هذه الصورة ربما صدقت أحكام أخري كحرمة إلقاء النفس في التهلكة كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أما الأصل السادس: هو قوله عليه السلام «لولا حضور الحاضر»، وكان يعني بذلك تهافت الناس وحضورهم المكثف عنده مطالبين إياه بقبول الخلافة والتصدي للحكم وطلبهم مبايعتهم له وهذا هو الشرط الآخر من شروط الانتفاضة والقيام بوجه الظالم فلو لم يتحقق الطلب الجماهيري والرغبة الملحة واتفق الكلمة على القيام والانتفاضة لم يكن النجاح مضموناً ومكفولاً، فالأكثرية الساحقة تلعب دوراً هاماً في كل ثورة وقيام.

أول انتفاضة جماهيرية

وهكذا نرى أن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام يبين لنا أصولاً ستة عدّها الأساس في قبوله لتولي الحكم والتصدي للخلافة وهي أول انتفاضة جماهيرية في تاريخ الإسلام، ويُعدّ هذا المنهج الذي رسمه الإمام علي عليه السلام، الانموذج الأعلى لأصول الانتفاضة لكل مسلم مؤمن معتقد وملتزم بأحكام دينه ومبادئ شريعته، ولم يكن هذا المنهج خاصاً بالشيعة بل منهج حق للمسلمين يجب أن يسيروا على هديه.

والآن نتقل إلى الشرط الآخر من القضية وهو الممارسة الفعلية للأئمة عليهم السلام في الحياة الإسلامية في ضوء المنهج العلوي.

عاش الأئمة عليهم السلام جميعاً في ظل حكومات تعتبر نفسها إسلامية ولكنها تمارس أنواع الظلم والتعسف والنفاق والطغيان، ومن الطبيعي وفي ضوء ما بيّناه بناء على العهد الذي أخذه الله من العلماء وهم على رأسهم أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، والأمر كان أدهى من ذلك فقد كان الأئمة عليهم السلام هم أكثر الناس جميعاً من المضطهدين والمظلومين، فكيف واجهوا هذا الظلم وهذا الطغيان؟!

لقد كانت الاستراتيجية العملية لهذه المواجهة على نوعين:

١. استراتيجية تقتضي التحرك السلمي أو ما يسمى بالمهادنة والمصالحة.

٢. استراتيجية تقتضي التحرك العسكري والقيام المسلح.

وعند دراسة تاريخ الأئمة عليهم السلام نلاحظ أن العدد الأكبر من هؤلاء الأئمة الأطهار اختاروا استراتيجية التحرك السلمي ما عدا الإمام الحسين عليه السلام الذي اختار استراتيجية التحرك العسكري، والإمام المهدي المنتظر عليه السلام الذي سوف يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بالقيام المسلح كما في الروايات والأحاديث.

أما الإمام علي عليه السلام ففي الشطر الأول من إمامته أرغم على التحرك السلمي ولكن في الشطر الأخير من إمامته اختار التحرك العسكري، غير أن الذي يحز في القلب ويدمع العين الحملات الظالمة والأقوال المغرضة أو الجاهلة التي توجه إلى الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله، حول مهادنة معاوية وقبول الصلح معه، وكنت أتمنى أن يتسع لي الوقت لأقف عند حياة هذا السبط المظلوم محلاً للملابسات التي حصلت في مدة خلافته وأسباب هدمته.

ولكن دعونا نلقي الآن نظرة على تعامل بعض الأئمة المعصومين عليهم السلام مع الأنظمة الجائرة التي عاشوا في أكنافها، وقبل الأئمة فلنبداً برسول الله صلى الله عليه وآله: ينزل الوحي على محمد صلى الله عليه وآله ويكلفه برسالة يجب عليه أن يمضي فيها ويبلغها لقومه ولل البشرية أجمع، فيعلن الرسول ذلك بكلمته المعروفة « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »، ولكن يجابه بالرفض والتصدي، فيا ترى هل يتوقف أم هل يواجه هذا التصدي ويستمر برسالته؟ وإن قرّر المواجهة وأراد الاستمرار هل يختار التحرك السلمي أم يختار التحرك العسكري؟

حينها يشعر بالضعف وقلة الناصر وعدم التمكن من الخصم لا خيار له إلا التحرك السلمي فيُعذب ويضطهد وتستمر هذه المواجهة حتى تتخذ قريش قرارها بقتله، لذا يقرّر الهجرة إلى المدينة، وفي المدينة التي تنوّرت بنوره، يلقي أعواناً وأنصاراً فيشكل حكومته، ويعلن التحرك العسكري ويخوض معركة بدر وأحد

والأحزاب، وحينما تشتد قوته يقرّر التوجه إلى إسقاط النظام في عقر داره.
 هنا نلاحظ عندما كان الأصل الأول والثاني والثالث والرابع من أصول الانتفاضة
 والقيام متحققاً والأصل الخامس والسادس متعذراً يختار رسول الله ﷺ التحرك
 السلمي في مكة، وحينما يتحقق الأصلان الخامس والسادس في المدينة المنورة
 (بحضور الحاضر ووجود الناصر) يعلن الرسول ﷺ تحركه العسكري.

وحينما يتوجه لفتح مكة ويصل إلى الحديبية، يلتقي بجيش الشرك ويكون
 هو الأقوى على الساحة ولكن تطلب منه قريش الصلح، فيصالحهم. هنا يتبادر
 إلى الذهن أول نقض للأصول الستة من أصول الانتفاضة لأنها جميعاً متحققة،
 فالمفروض على رسول الله ﷺ حسب الموازين المتعارفة الزحف إلى مكة
 وفتحها في سنته هذه. ولكن لم يعمل ذلك بل وقع مع قريش صلح الحديبية.

لكن الجواب على ذلك واضح جداً، إذ الأصل الثاني من الأصول المذكورة
 يقول « قبول التكليف الشرعي ولزوم طاعة الله في كل حال من الأحوال »، فإذا
 كان الأمر الإلهي يلزم الصلح هل يجوز لرسول الله مع توفر الشروط الاستمرار في
 الحملة وفتح مكة؟! كلا، ثم كلا ومن يرى غير ذلك فهو ملعون مطرود عن رحمة
 الله لأن الآية تقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا
 أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾.

وننتقل الآن إلى الإمام علي عليه السلام. لم يكن الإمام علي عليه السلام يرى نفسه في حياة
 رسول الله ﷺ إلا أخاً مطيعاً منفذاً لأوامر رسول الله ونواهيته، ولكن بعد وفاته
 ترتب عليه التكليف إلى تحكيم الأصل الخامس والسادس وهو « وجود الناصر
 وحضور الحاضر ».

ومن أجل اتمام الحجة يأخذ الزهراء فاطمة عليها السلام وفي يديه سبطا رسول الله
 يدور بهم بيتاً بيتاً علي المهاجرين والأنصار يطلب منهم نصرته ولكن لا ناصر ولا
 معين والحكم يقوى عليه إلى المرحلة التي يحرق باب بيته ويقوده بحبل في عنقه

إلى المسجد (كما يرويه سليم عن سلمان) وفي المسجد تُشهر السيوف على رأسه ويُقال له إن لم تباع قتلناك، هنالك يوجه الإمام علي عليه السلام وجهه نحو قبر الرسول ويتلو الآية الكريمة: ﴿... ابْنِ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي...﴾ ولسان حاله يقول لو كان قتلي يحقق إقامة حكم إلهي عادل لرضيت بالقتل، فالقتل لعلي فوز وكرامة وهذا ما قاله عند استشهاده « فزتُ ورب الكعبة ».

وبعدم وجود الناصر والمعين يبائع ولكن يعلن رفضه السلمي للنظام القائم، ومتى رأى كظّة ظالم أو سغب مظلوم يحاول جهده امكانه ألا يقار على ذلك، ومتى تمكن من إصلاح أمر أو تعديل حكم أصلحه وعدّله غير مبال في ذلك أن هذا الإصلاح يخدم الحكم أم يضره، لأن الهدف هو إقامة حكم الله وتطبيقه على العباد، والسلطة لم تكن إلا وسيلة لذلك، ومتى تحقّق الهدف لا ضرورة للوسيلة، ولذا يقول عليه السلام « لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولو لم يكن فيه جور إلا عليّ »، وهكذا يستمر الإمام إلى مقتل عثمان سائراً على استراتيجية التحرك السلمي، ولكن بعد قبوله للخلافة يتغير تحركه ويختار التحرك العسكري ويعلن انتفاضته ضد الطغاة والبعثات والمارقين والقاسطين بموجب الأسباب والعلل والأصول التي بيّنها في شقشقيته.

ومن بعد الإمام علي عليه السلام يأتي دور الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله، وكما أشرت إليه وددتُ التفصيل فيه ولكن مضطر لضيق الوقت أن أمر على ذلك مرور الكرام بسررد العناوين فقط.

الإمام الحسن عليه السلام يصعد المنبر بعد استشهاد أبيه ويطلب من الناس البيعة بموجب الحكم الإلهي وبموجب وصية الإمام من قبله. الناس يبائعونه في مثل هذه المرحلة وتحقق له متطلبات القيام المسلح ضد الباغين على الحكم الشرعي كما عمله أمير المؤمنين عليه السلام من قبل، فيرسل برسائل إلى معاوية يطلب منه النزول عند حكم الله، ولكن معاوية يجيب في النهاية « لم يبق بيننا إلا السيف »، الإمام يجند جنده ويعلن الحرب على معاوية، وحينما يعي معاوية أنه خاسر في المعركة

العسكرية يقرّر التحرك السياسي، وينجح نجاحاً باهراً في هذا التحرك السياسي بإغواء القادة والجيش الحسيني بالمال ويعمل على تسميم أفكار العامة بطابوره الخامس وبث الفتنة بالاشاعة أن الإمام حقن دماء المسلمين بقبول الصلح وينتهي الأمر إلى ما ينقله اليعقوبي في تاريخه ما نصه: « فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن ومضى في مظلم سباط »، وما ينقله الطبري في تاريخه ما نصه: « فبينما الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر، ألا أن قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فانفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته ».

في هذه الحالة تتغير الموازين والأصل الخامس والسادس الذي كان « وجود الناصر وحضور الحاضر » يغيبان لذا تنعكس الآية إلزاماً ويضطر الإمام الحسن عليه السلام إلى المهادنة والمصالحة كما فعل علي عليه السلام من قبل في مسجد رسول الله.

وعلي وجه الاجمال فتحرك الإمام الحسن عليه السلام في القيام والانتفاضة لم يختلف اطلاقاً عن تحرك جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام، إنما كان تحرك الأب والجد مع عدم « وجود الناصر » تحركاً سلمياً في البداية وأصبح تحركاً عسكرياً مع وجود الناصر في النهاية. أما الإمام الحسن عليه السلام فقد كان تحركه عسكرياً من البداية مع « وجود الناصر » وأصبح سلمياً عند فقدان الناصر في النهاية.

أما الإمام الحسين عليه السلام فلم يشذ عن هذا المنهج القويم من حيث الأصول والمبدأ، وإن تصوّر الناس أن المنهج الحسيني يختلف عن المنهج الحسيني فهما إمامان قاما أو قعدا. فحينما تولى الإمام الحسين عليه السلام أمر الإمامة بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام استمر في المنهج السلمي مع معاوية لأن الظروف الموجبة لمثل هذا المنهج لم تتغير، خاصة « عدم وجود الناصر »، إلى أن مات معاوية وتولى دفة الحكم الأموي ابنه يزيد.

في هذه المرحلة تغيرت الظروف وتوافد الوافدون على سبط رسول الله وانهالت عليه رسائل الدعوة للقيام والنهضة والانتفاضة معلنة ولائها ونصرتها له، غير أن الامام الحسين لم يكن واثقاً من ذلك كله - وهذا ما ثبت بعد ذلك - ولذا

فقد اكتفى بتصعيد المواجهة مع الحكم بالاصرار على عدم مبايعة يزيد بالخلافة،
ويزيد يصبر على أخذ هذه البيعة حتى آل الأمر به الى اصدار قرار بتصفية الامام عليه السلام
ولو كان متعلقا باستار الكعبة.

هنا يرى الامام الحسين عليه السلام نفسه امام حرامين، حرمة مبايعة يزيد الفاجر الفاسق،
شارب الخمر والمستهتر بمقدسات الاسلام وهذا مردود قطعاً فيقول (مثلي لا
يباع مثل يزيد) وحرمة القاء النفس في التهلكة لعدم وجود الناصر والمعين،
حتى يصل اليه القرار والأمر الالهي بالقيام المسلح مع (عدم وجود الناصر) ومع
اليقين الحاصل باستشهاده وسبي عياله، وهذا الأمر الالهي يبينه عليه السلام في مواطن
عديده منها في الاعتذار من ابن عمه عبد الله بن جعفر الطيار زوج الحوراء زينب
بظلة كربلاء وكان عبد الله بن جعفر يصبر عليه بعدم الخروج للعراق، يقول الامام
الحسين عليه السلام (اني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماض له،
عليّ كان أو لي، فقال عبد الله: فما تلك الرؤيا؟ قال عليه السلام: ما حدثت بها أحدا وما
أنا محدث بها حتى ألقى ربي).

ومنها ما نقله العلامة المجلسي في البحار ما نصه (وفي سحر تلك الليلة ارتحل
الحسين عليه السلام فأتاه ابن الحنفية وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها وقال: ألم تعدني النظر
في ما سألتك؟ قال: بلى، ولكن بعد ما فارقتك أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا حسين
أخرج فإن الله تعالى شاء أن يراك قتيلاً، فاسترجع «محمد» وحينما لم يعرف الوجه
في حمل العيال معه وهو على مثل هذا الحال قال الحسين عليه السلام قد شاء الله تعالى
أن يراهن سبايا).

كما يبين عليه السلام هذا الأمر الالهي بوضوح تام في خطبته عند عزمه الخروج الى
العراق (الحمد لله ما شاء ولا قوة الا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة
على جيد الفتاة، وما اولهنيب الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي
مصراع أنا لاقية، كاني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء
فيملأن مني أكراشا جوفاً واحوية سغياً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله
رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين).

ونحن نفهم من كلماته عليه السلام « وأمرت فيها بأمر أنا ماض له عليّ كان أو لي » و« يا حسين أخرج فإن الله تعالى شاء أن يراك قتيلًا » و« خير لي مصرع أنا لاقيه » أنه عليه السلام تلقى أوامر خاصة تختلف في ظاهرها عن الموازين المتعارفة أي أنها أوامر بالخروج والاستشهاد مع عدم وجود الناصر كما تلقى رسول الله صلى الله عليه وآله أوامر بالصلح مع قريش مع توفر جميع شروط وضمان الانتصار. هذه تسمى نصوص خاصة تترتب على الحالات الاستثنائية ولا يجوز تعميمها، ومن هنا وقع الالتباس بين الناس، ولكن الموازين الشرعية واضحة جلية فيها ثوابت قطعية وأخرى ظنية معتبرة لا يمكن تخطيها أو تجاوزها.

وهنا أرجع ثانية إلى كلام الشهيد الصدر عندما قال: « إن إقامة هذا الحكم وترسيخه لا يتوقف في نظرهم - أي الأئمة عليهم السلام - على مجرد تهيئة حملة عسكرية بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن إيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة ».

نعم هذا جوهر الحديث فالإعداد لجيش عقائدي يهذب نفسه ويتخلى عن أهواءه ويخلص في عمله ويعي واجباته ويلتزم العمل بتكاليفه بعيداً عن الدوافع الشخصية والمصالح الفردية والحزابات القومية والقبلية ضروري قبل كل شيء، وهذا لا يتم إلا بالالتفاف حول الإمام المعصوم والتوسل إلى الله بتعجيل الانتفاضة العالمية الشاملة تحت قيادته وولايته، « فاللهم كن لوليك الحجة بن الحسن العسكري صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً »، اللهم اجعلنا من أعوانه وأنصاره والمنتظرين له، والسلام.

الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رحمته الله

مؤسس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

محاضرة قيمة متميزة لسماحة العلامة المجاهد الدكتور
السيد محمد علي الشهرستاني رضوان الله عليه:

**سر الولاية التي اسبغت على امير المؤمنين وعلى الأئمة من ولده
ﷺ، وعظمة العصمة التي رفعتهم من مستوى المخلوقين إلى ما
دون مستوى الخالق**

ولاية الامام علي بن ابي طالب ﷺ في ظلال القرآن الكريم ورحاب
شهر رمضان المبارك

**كيف يرتبط التشريع الاسلامي بالولاية بحكم الضرورة العقلية
والفطرة البشرية؟**

محاضرة متميزة للمغفور له ساحة العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني
القاهها رضوان الله عليه قبل سنوات على طلاب الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية
بمناسبة استشهاد امير المؤمنين ﷺ .

قال رضوان الله عليه:

ربما كان الحرّي بي كما جرت العادة عليه أن أخصص كلامي في ليلة استشهاد
سيدنا ومولانا وإمامنا بالحق أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وأخوض
عباب شخصيته الفذة المتعالية في السمو والكمال والذي قال فيه ألد أعدائه عمرو
بن العاص:

علي الدر والذهب المصفي وباقي الناس كلهم تراب

أو أتكلم في علمه الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

« أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها ».
 أو أصف شجاعته التي شهد بحقها الحبيب محمد ﷺ في يوم الخندق إذ قال:
 « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين ».

ولربما أنقل عن زهده وكرمه الذي صرح به القرآن الكريم في الآية المباركة:
 ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ .

أو ألقى الأضواء على فضله وعدله الذي دان لها العالمون وملئ الخافقين وما
 نقلته الصحاح الستة من الأحاديث النبوية في حقه.

غير أنني آثرت أن أترك كل ذلك وأبحث في سر الولاية التي اسبغت عليه وعلى
 الأئمة من ولده ﷺ عظمة العصمة الخارقة التي رفعتهم من مستوى المخلوقين إلى
 ما دون مستوى الخالق. ولكي نعرف الولاية علينا أن نعرف القرآن الكريم، ولكي
 نعرف القرآن علينا أن نعرف سر نزوله.

بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
 وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

﴿ حَمْدٌ! وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ! إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ! فِيهَا
 يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾
 ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ! وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ! لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ
 أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

صدق الله العلي العظيم

فلنركب هودج النور ولنتحرك ونتنقل من بداية الخلق، في سفر التكوين، في
 ظلال القرآن الكريم وفي رحاب هذا الشهر المبارك والليلة المقدسة ليلة القدر،

خاشعين خاضعين نلتمس العلي القدير أن يرينا الحق حقاً فتبعه والباطل باطلاً فنجتنبه. وأنا أتضرع إليه تضرع مسكين مستكين أن يشرح صدري ويحلل عقدة من لساني وأن لا أنطق إلا بالحق وأن لا أتكلم إلا بما فيه رضاه إنه سميع مجيب.

الرسالة والولاية

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى! الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ! وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ وقال عز من قال على لسان نبيه موسى بن عمران عليه السلام إذ سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ! قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

خلق الله الخلق ليفيض عليهم نعمة الوجود وهذا شأن اللطيف الذي يفيض النعمة بلا انقطاع. ولكن الخلق لوحده مع ما فيه من نعمة غير أنه لم يكن غاية اللطف، إذ أن كمال اللطف هو الخلق والهداية أي إراءة الطريق لنيل السعادة الكاملة. ولذا نرى عليه السلام يُقرن الخلق بالهداية فيقول ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ! وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، وكذلك قوله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾. فلما كانت الهداية ملازمة للخلق فإن مستلزمات الهداية يجب أن تكون متوفرة عند الخلق بالضرورة.

ما هي مستلزمات الهداية؟ الهداية إراءة الطريق، وإراءة الطريق من أركانها الأساسية وضع النظم والقوانين والتوصيات والأحكام التي ترشد العامل بها إلى الصلاح والفلاح وتذر المتخلف عنها والمخالف لها بالشقاء والهلاك. وركنها الآخر هو تولي إيصال هذه الأحكام والتوصيات والأنظمة إلى المخلوقين وبيان شرحها وتوضيحها وتنفيذها.

فالركن الأول هو ما نسميه بالتشريع. والركن الثاني هو ما نسميه الرسالة والولاية، ولكل من هاذين الركنين مستلزمات.

التشريع

فمن مستلزمات الركن الأول وهو التشريع:

أولاً: أن يكون من عند الله إذ لا يمكن لأحد من المخلوقين أن يضعه لعدم استيعابه لما في الكون من أسرار في الخليقة، وفاقد الشيء لا يعطيه. ولإثبات كون أي تشريع تدعى به من الله تبارك وتعالى يجب إثباته بالإعجاز.

ثانياً: أن يكون مستوعباً لكل ما في الوجود من أسرار ترتبط بهداية الإنسان وسعادته لأن يكون حياً قابلاً للعمل به والاتكال عليه في جميع العصور والأزمان وفي كل محل ومكان.

وأما مستلزمات الركن الثاني أي الرسالة والولاية فهي عبارة عن:

أولاً: العصمة، أي عدم احتمال الزلل واتباع الهوى والأغراض ليكون أداء الأمانة بصدق وإخلاص.

ثانياً: الارتباط الدائم بمبدأ التشريع للاستفاضة منه ومعرفة العامل والأسباب والاستثناس بما يقصده الشرع في بيانه وكلامه ومعنى هذا هو وجوب تعيينه من قبل الله تبارك وتعالى.

وحديثنا الليلة بعونه تعالى يدور حول التشريع وبحث مستلزماته وسوف نرى كيف يرتبط بالولاية بحكم الضرورة العقلية والفطرة البشرية.

وإني لأريد أن أشير هنا إلى نقطة جوهرية لم أر من تطرق إليها من قبل ولعلها كانت واردة وصحيحة.

لما كان من مستلزمات الهداية هو التشريع أي نزول القرآن، ولما كان التشريع بالضرورة مع خلق الإنسان، أي أن نزول القرآن كان مع خلق الله لآدم عليه السلام ولكن بالقوة وليس بالفعل، والنزول الفعلي كان بالتدريج على صاحب الرسالة. ومعنى هذا أن الآية الكريمة حينما تقول ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ربما كان النزول

هذا بالقوة في ليلة القدر أي ليلة خلق الله البشر، وهذا لا يتعارض مع الأحاديث الواردة في نزول القرآن إلى السماء الرابعة في ليلة القدر والله أعلم.

فلنعد إلى التشريع الذي شرّعه الله للناس كان على قسمين: قسم محدد بزمان يتبدء مع نزول الوحي على صاحب الرسالة وينتهي بظهور الرسول الذي يليه كما كانت لأولي العزم من الرسل قبل نبينا محمد ﷺ وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، والقسم الثاني ما كان أبدياً أزلياً حتى قيام الساعة كرسالة نبينا محمد ﷺ كما في قوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

ولما كان حديثنا عن القرآن الكريم فلنعلم أن التشريع الذي شرّعه الله للبشرية جمعاء من يوم نزول الوحي على سيدنا ونبينا محمد ﷺ إلى قيام الساعة هو ما جاء بين دفتي القرآن الكريم كما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

معجزة القران

والقرآن يجب أن يكون معجزة ليكون شاملاً لمستلزمات الهداية. فالإعجاز هو الإتيان بالدليل المفعم الذي لا يتمكن المخلوق الإتيان به مهما بلغ من الذروة في الكمال العلمي والفني أو الترويض الروحي والعقلي. ليثبت صاحبه من أن هذه الظاهرة من قبل الله وليست من قبل المخلوقين. وأنتم تعرفون أن المعجزة التي أتى بها الأنبياء ﷺ كانت مسايرة لأرقى العلوم والفنون في ذلك العصر.

فقد روي عن ابن السكيت أنه قال لابي الحسن الرضا ﷺ: لماذا بعث الله

موسى بن عمران عليه السلام بالعصا واليد البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى عليه السلام بآلة الطب؟ وبعث محمد عليه السلام بالكلام والخطب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: « إن الله بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، واثبت به الحجة عليهم. وأن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب فأتاهم من عند الله لم ليم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وأن الله بعث محمداً عليه السلام في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، واثبت به الحجة عليهم، وهذا هو قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ . فلو كان العرب وهم أبلغ الناس على الإطلاق في ذلك الزمان وفيهم النابغة وصاحب المذنبه والمعلقة وغيرهم، وهم على أشد العداة لرسالة محمد عليه السلام فهل كان من المعقول أيسكتوا ولم ينطقوا ببنتي شفاه. والقرآن يضيق عليهم الخناق ويتنازل فيقول: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، فلم يقدرُوا ولن يقدرُوا على ذلك وقد قال الوليد بن المغيرة لأبي جهل حينما طلب منه أن يقول في القرآن قولاً « فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم في الأشعار مني ولا أعلم برجزه مني ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله أن لقوله لحلاوة، وأنه ليحطم ما تحته، وأنه ليعلو ولا يعلى » .

إذا تعمقنا في باقي المعجزات نراها بعيدة كل البعد عن القرآن الكريم قياساً بعظمة إعجازه فمعجزات الأنبياء كانت تقتصر على أزمانهم وتحدد بالذين شاهدوها واقتنعوا بها وبالذين وثقوا بأقوال هؤلاء الماضين منهم وصدقوهم فكانوا يؤمنون

برسالة هذا الرسول. غير أن إعجاز القرآن لم يكن كذلك، فالقرآن الكريم معجزة خالدة لم ينته أثره ومفعوله ابتداءً من أول آية نزلت على رسول الله ﷺ فأمن بها خديجة وعلي □، واستمر في تحديه لعرب الحجاز ونجد واليمن وكل بقاع العالم وهو يقول: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالجنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فَمَن كان في العِراق أو الشام أو الجزيرة أو البادية أو مَن عاصر الرسول في حياته أو أراد أن يتبعه بعد مرور العصور والأزمان وتمادي الدهور والأجيال لا يحتاج للسمع أو الاستماع إلى هذا وذلك ليصدقه أو يشكك فيه كي يعرف أن معجزة محمد ﷺ صادقة أم كاذبة إنما له أن يقف بنفسه على المعجزة والمجال مفتوح أمامه ليتحداه فإن يتحداه كان هو صاحب الإعجاز وإلا عليه الإذعان وهذا هو سر خلود إعجاز القرآن.

اندماج المعجزة بالرسالة

والأمر الآخر الذي لم أر مَن تطرق إليه هو اندماج المعجزة بالرسالة فالمعجزات الأخرى هي وسيلة لإثبات صدق إدعاء صاحب المعجزة، فموسى ﷺ أراد بمعجزته أن يجعل قومه يؤمنون بالتوراة وعيسى ﷺ أراد أن يثبت لهم صدق ادعائه في نزول الإنجيل عليه. ولكن القرآن الكريم هو نفسه يقول أنا بإعجازي أثبت من أني من الله وهذا سر كبير في صيانتها من التحريف والتشويه.

فمثلاً نحن جميعاً نؤمن بإعجاز موسى وعيسى □ ولكننا لا نؤمن بهذا بالصورة التي جاءت في التوراة والإنجيل الذي بين أيدينا لأنه يشتمل على أمور تتشعر منها الجلود ولا يتحملها الوجدان. ولكن لا يمكن أن يقول أحد أنا اعترف بإعجاز القرآن ولا أعترف بما فيه لأنه من عند غير الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾، فاندماج المعجزة في الرسالة نفسها هي معجزة بحد ذاتها.

وأما الضرورة الثانية الملازمة للتشريع فهو الاستيعاب لكل الأزمان والأقوام

ولجميع الأمور المتعلقة بحياة الإنسان من يوم نزول الرسالة إلى يوم القيامة، أي يوم انتهاء مفعوله التشريعي مروراً بجميع العصور والأزمان، مهما تغيرت الأحوال وتمادت الأيام وتغيرت الحضارات وتقدمت العلوم، ليكون ذا فائدة للهداية وذي أثر في إفاضة الكمال على الخلق.

فهل القرآن الكريم كذلك؟ وهو كتاب شرع لقوم يركبون الإبل ويشربون الطرق ويقتاتون على القد والورق (كما وصفتهم الزهراء عليها السلام) لا يعلمون من العلم شيئاً ولا يفقهون من الحياة إلا التفاخر والتناحر.

واليوم وقد اخترق البشر أقطار السموات ونفذ في تخوم الأرض وخلق الذرة وروض الوحش واطلع على العلوم الغريبة وعرف دقائق الفنون، هل أن هذا التشريع لا يزال يسبغ عليه الهداية ويريه طرق الفلاح والنجاح؟

إن ما نقول ونؤمّن به هو هذا بعينه وليس غيره وعلينا الإثبات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

في تفسير العياشي سُئل أبو عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام) عن المحكم والمتشابه؟ قال عليه السلام: «المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله».

المحكم والمتشابه

في الحياة ظواهر وصلات وارتباطات ثابتة لم تتغير بمرور العصور والأيام ما دامت السموات والأرض، والأمثلة عليها كثيرة منها مثلاً إضافة عدد إلى عدد وبقاء النتيجة ثابتة أو ملازمة الحرارة للنار، أو الجاذبية إلى الأرض، أو احتياج الإنسان إلى الطعام أو ضرورة الحياة للنمو وما شاكل ذلك.

وهناك أيضاً ظواهر وصلات متغيرة كتقدم الإنسان في العلم والمعرفة أو

إمكان السيطرة على الطاقات أو سُرع التحرك من مكان إلى مكان أو تغير الأظعمة والألبسة والمسكن والبيئة والعادات والعلاقات فهذه كلها متغيرة.

فما كان منه غير متغير تكون قوانينه وأنظمته ثابتة لم تتغير ولن تتبدل وما كان منه متغيراً فلا بد وأن تكون القوانين والأنظمة لهذه الارتباطات متغيرة أيضاً.

ولما كان القرآن في دوره أزلياً أبدياً كان المفروض أن يكون شاملاً لقوانين لم ولن تتغير وقوانين تتغير بموجب التغيرات التي تطرأ على البشرية في جميع أدوار الرسالة. وهي كذلك بالفعل فالمحكمات هي التي لم تتبدل ولن تتغير وتعمل، والمتشابهات هي التي تشبهه على جاهله يفسرها الراسخ في العلم بعد الإطلاع من المشرع على ما يعنيه ويؤوله بناءً على مقتضى المتغيرات في كل زمان.

وفي القرآن الكريم نماذج حية وساطعة لآيات كانت متشابهة في عصر نزول الوحي وأصبحت محكمات، وكذلك آيات كانت محكمات واليوم نعتبرها متشابهات، وقد نقل منها الكثير سيدي الأستاذ العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني في كتبه: « المعجزة الخالدة »، « الهيئة والإسلام »، « المعارف العالية » وقد نقل بعضها سيدنا الخوئي في بيانه أنقل بعضها:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا! وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾، وكذلك ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾، هاتين الآيتين كانتا متشابهتين في عصر الرسالة إذ لم يكن للناس معروفاً في ذلك العصر كيف أن الجبال تكون أوتاداً لتثبت الأرض ولكن اليوم مع الإطلاع على قانون الجاذبية نرى كيف أن الجبال بأوزانها تشكل كتلة ثابتة تحفظ التوازن في جاذبية الكرات وهي كالأوتاد تثبت الأرض في مكانها. وكذلك لم يدركوا كيف أن الجبال تمر مر السحاب مع ما يرونها جامدة ثابتة ولكن العلم بعد اكتشافه لدوران الأرض أثبت كيف أن الأرض والجبال جميعاً تدور وتمر مر السحاب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ! بَلَىٰ قَادِرِينَ

عَلَى أَنْ نَسْوِي بَنَانَهُ، لم يدرك المفسرون الأوائل لماذا خصّ الله البنان في دقة إعادة الخلق للحساب، ولكن التقدم العلمي الحديث أثبت من أن بصمات البنان هي العلامة الفارقة في تشخيص الناس والأفراد.

والمثال الآخر قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾، فلم يكن سر هذا المثال واضحاً للمتقدمين، وفي الوجود أسراراً أدق وأعظم، كان لله أن يضرب بها الأمثال غير أن العلم الطبيعي وضح أن التركيب الفسيولوجي للبعوضة يشبه التركيب الفسيولوجي للفيل وهو أعظم الحيوانات فلذا أراد الله أن يقارن الأصغر بالأكبر ليكون عبرة لمن اعتبر.

والعكس في ذلك فقد كانت آيات محكمات واليوم نعدّها متشابهات كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ! وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، فالله تبارك وتعالى يعطي الإبل مثلاً لعظيم خلقه كالسمااء ولو قارنا هذا المثال بأسرار الخليقة التي أطلعنا عليها اليوم نراه مثلاً بسيطاً صغيراً، ولكن كان هذا المثال هو أرقى ما يمكن تقريب عظمته لأذهان البدو الرحل الذين يعتبرون الإبل بتركيبه وصبره هو غاية الكمال في الخلق.

وقد تطرق سيدنا الشهيد الصدر في كتابه «المرسل، الرسول، الرسالة» إلى قول المستشرق الإنكليزي (أ. جنيري) أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد عندما اكتشف دور الرياح في التلقيح ما نصّه: «إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يتوصل العلم في أوروبا إلى ذلك بعدة قرون»، ويشير بذلك إلى قوله ﷺ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾، والكثير من هذه الآيات لا يسع المجال لذكرها.

أما التشابه ففيه أمران أساسيان:

الأول: هل أن علم التشابه منحصر بالله تبارك وتعالى أم متعد إلى علم البشر، وللناس أن يفهموه ويعملوا به؟

الثاني: لو كان علم التشابه متعد إلى غير الله، فهل يتمكن كل إنسان راسخ في العلم الإطلاع وله أن يفسر ويؤول أم هناك خاصة من الناس لهم علمه ومعرفته؟

قال سيدنا العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» (في باب هل يعلم تأويل القرآن غير الله سبحانه): « هذه المسألة أيضاً من موارد الخلاف الشديد بين المفسرين ومنشأ الخلاف الواقع بينهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وأن الواو هو حرف عطف أو إستئناف، فذهب بعض القدماء والشافعية ومعظم المفسرين من الشيعة إلى أن الواو للعطف وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه من القرآن، وذهب معظم القدماء والحنفية من أهل السنة إلى أنه للاستئناف وأنه لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله.

الراسخون في العلم

لاشك في أن العلم بما في الوجود من مخلوقات وكائنات منحصر بالله تبارك وتعالى ولا يشاركه في ذلك أي موجود آخر لأنه هو الخالق وما دونه مخلوقات، والمخلوقات لا علم لها بأسرار الخلق وكما قلنا فاقد الشيء لا يعطيه، ولكن المتشابهات إن كان علمها منحصراً بالله وحده ولا يتمكن أحد من البشر الاطلاع عليها فوجودها في القرآن الذي جاء لهداية البشر لغو زائد والعياذ بالله، والقرآن كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. إذاً فلا بد وأن تكون هذه المتشابهات قابلة للفهم من قبل البشر ليتمكنوا الاستفادة منها في الأعصار المختلفة والأزمنة المتفاوتة ما دام للقرآن مفهوم تشريعي. فقول الإمام الصادق عليه السلام في المتشابه: « ما اشتبه على جاهل » هو بحد ذاته دليل على إمكان فهم البعض لهذا المتشابه، ولكن من هم هؤلاء الأفراد من البشر الذين يقدرّون على فهم المتشابه ولهم صلاحية تأويله وتفسيره.

قال سيدنا الإمام الخوئي في بيانه اختصاص فهم القرآن: إن فهم القرآن مختص بمن خوطب به، وقد استندوا في هذه الدعوى إلى عدة روايات واردة في هذا الموضوع كمرسلة شعيب بن أنس عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة: «أنت فقيه أهل العراق؟» قال: نعم.

قال عليه السلام: «فبأي شيء تفتيهم؟» قال: بكتاب الله وسنة نبيه.

قال عليه السلام: «يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟» قال: نعم.

قال عليه السلام: «يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً - ويلك - ما هو إلا عند الخاصة من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وما ورثك الله تعالى من كتابه حرفاً».

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله».

وفي تفسير الصافي عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وفيه عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ».

وعدم تمكن عامة الناس حتى العالم والفاضل والعقري والنحير من فهم جميع القرآن وبخاصة المتشابه منه وتفسيره وتأويله هو أمر بدهي فطري فما اختص به الله تبارك وتعالى وخصه بنفسه وهو المشرع والواضع له لا يمكن لأحد التعلم إلا بتعيين منه فمن عينه ونصبه وأعطاه شهادة الارتباط به كان له الصلاحية في أن يطلع على ما يقصده المشرع في تشريعه وما يعنيه في بيانه وكلامه، وهذه الشهادة جاءت في الكتاب إذ قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، والذي اتفق المفسرون ورواة الحديث فيه أن الآية نزلت في حق علي عليه السلام. ويسند ذلك ويعززه ما جاء في المتواتر الذي نقله المسلمون جميعاً من رواة الحديث عند العامة والخاصة، وهو حديث الثقلين عن رسول الله صلى الله عليه وآله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل

بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»

فبالخلاصة في سطور أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق نعمة منه وهداه السبيل كمالاً في اللطف ووضع أنظمة الهداية بين دفتي القرآن الكريم، ولأن يكون القرآن أبدياً خالداً إلى يوم القيامة جعله آيات محكمات وأخر متشابهات لديمومية بقائه.

وأعطى صلاحية تفسير وتأويل المتشابه إلى (الراسخون) في العلم وهم أهل بيت النبي ﷺ. فمادام القرآن كتاب هداية للبشر كان من باب اللطف فرضاً أن يكون المفسر والمؤول إلى جانبه فإن فقد المفسر والمؤول فقد القرآن مفعوله، وإن فقد القرآن مفعوله لا حجة لله على خلقه ويكون الخلق عبثاً.

فلهذا ولهذا جاء في الحديث: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها».

فاللهم كُنْ لوليك الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليه وعلى آباءه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصرأً ودليلاً وعينا حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيه طويلاً وهب لنا رأفته ورحمته وعونه ودعائه وخيره ما ننال به سعة من فضل وفوزاً عندك يا كريم.

بسم الله الرحمن الرحيم
 ماذا قال العلامة الراحل الدكتور السيد محمد علي
 الشهرستاني (طاب ثراه) في سيدة نساء العالمين (عليها السلام)

دافعت عن ميراث الامة وثارت على الظلم والجور واغتصاب
 الحقوق ونقض العهود ومسح الأحكام وابتزاز الأموال

فاطمة الزهراء (عليها السلام) .. أول ثائرة في الإسلام

كيف نستلهم من الزهراء (عليها السلام) الخط الجهادي المرسوم للمرأة
 للسير على هديها والعمل على نهجها؟

في احتفالية اقيمت في حرم الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية قبل عدة سنوات
 بمناسبة ذكرى وفاة سيدة نساء العالمين البتول ابنة السيد خديجة وام ابها فاطمة
 بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوج امير المؤمنين علي (عليه السلام) وام الحسين (عليه السلام) .
 والقى سماحة السيد محمد علي الشهرستاني كلمة متميزة عن ثورة الزهراء (عليها السلام)
 ضد الظلم، ويسرنا ان ننشرها للقراء والباحثين للاستفادة من رؤية المغفور له حول
 الاحداث التي مرت بالزهراء بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) .. واليكم نص الكلمة:

فاطمة الزهراء، يا ابنة الطهر والرسالة، يا أم السبطين، يا سيدة نساء العالمين،
 يا ابنة خديجة ويا عقيلة أمير المؤمنين، أيتها البتول العذراء عليك مني سلام الله
 ورحمته وبركاته.

إخواني وأخواتي، في هذا الحفل القدس وفي هذه الأيام العصيبة المدلهمة

بالعذاب والشقاء، وفي هذه الذكرى العطرة علينا أن نركب هودج النور ونتحرك في ظلال العصمة، في رحاب أسمى وأنبل وأقدس وأعظم سيدة خلقها الله من صلب آدم من تراب، وأسبغ عليها جلاباب العلم والفضل والكمال في أظهر بيت أذهب عنه الرجس وطهره تطهيرا، لنتهم منهما مسيرتنا في الحياة، ونحذو على خطاها في أمر ديننا ودينانا.

إخواني وأخواتي لا أريد أن ألتهم من الزهراء سبيل الخلاص وأعتبر من سيرتها السلوك صراط النجاة، لأني مسلم أو لأن جدتي فاطمة فأتعصب لديني أو أمجد أسلافي، إنما في الديباجة أعرف الزهراء بلسان مسيحي معاصر أنصف محرر، وتحرر فاستعرض الصديقة ببراعة قلمه، وصفاء قلبه، هذا هو سليمان كتاني « فاطمة وتر في غمد » يقول:

إيه فاطمة ..

إيه فاطمة يا غمراً تحلى بالعفاف فطاب رضابه

ويا عَنقاً تجمل بالمكرمات فذكى إهابه

لقد عقب خط وصلك بينت عمران يا ابنة المصطفى

فتلك مريم ما فرشت الأرض إلا من نفس الزنابق وأنت النفحة الزهراء ما نفذت الطيب إلا من مناهل الكوثر فالخط خط الطهر والعفاف ما زنت الأرض إلا خفف إرهاقها ولا عانت الأجيال إلا لون آفاقها والأرض لولا هذا الأثير يغمرها تأجاً والزمن لولا هذا العبير يرشقه يأساً

يا بتول يا أم أبيك .. لقد كانت النبوة طفلك البكر

داعبته بيد، قبلته بفم، عانقته بعين، رافقته بقلب، ضممته بشوق، داعبته بروح

فاشتعلت بين حناياك أشواق السما والتهبت في محجريك أثقال المعاني.

لقد ذاب التراب في المصهر يا ابنة الجنة .. هكذا أصبحت يا ابنة أبيك، أصبحت الوصية.

يا طيب الأمومة.. يا منتهى العفة، يا طهارة المردن....

يا ابنة البقيع، يا عديلة مريم يا قيثاره النبي يا ثورة اللحد يا وترأفي غمدي يا فاطمة.
نريد أن نلتهم من الزهراء هذه صفاتها ومن صديقه هذه مكرماتها، نريد أن نلتهم
العفاف، نريد أن نلتهم الصدق، نريد أن نلتهم العز، الكرامة، سمو النفس، نبل
الأخلاق، تركية النفس، تربية الشمل والجهاد في سبيل الله.

نريد أن نعرف مسيرتها لتتعظ، لتتعلم، من أجل أنفسنا ومن أجل خلاصنا من
فتنة نحن فيها، وبلية نخوض عباها، وويلات نعيش في أرجائها.

إنّ صاحبة الذكرى هالة من نور لا يمكن استيعاب طباشير أشعتها، في باقة
محددة تعرف أبعادها، وتعاليمها بحر زاهر لا يمكن خوض عباها، فليس لنا ونحن
في عجالة محاضرة أن نتكلم عن كل ما نريد أن نسلتهم من الزهراء، غير أننا آثرنا أن
نختار أهم ما نحتاج إليه في ظروفنا وأحوالنا، وما يتعلق بأهم أمر يشغل بالنا، وقد
تعارضت الآراء حوله واختلقت التطلعات إليه، ألا وهو شأن المرأة المسلمة في
الجهاد والدفاع عن كرامة الإسلام ووصون العقيدة والحفاظ على الدين وصراطه
المستقيم، فلنخص البحث في الاستلهام من الزهراء عليهن السلام الخط جهادي المرسوم
للمرأة للسير على هديها والعمل على نهجها.

الزهراء فاطمة عليها آلاف التحية والثناء هي أول امرأة في الإسلام ثارت على
الظلم والجور واغتصاب الحقوق ونقض العهود ومسح الأحكام وابتزاز الأموال،
ولعل أقوى وأهم وأبرز موقف لها في هذا المضممار خطبتها الغراء في مسجد أبيها
كما نقلتها أمهات كتب السير والحديث والتاريخ، وفي مقدمتها شرح نهج البلاغة
لابن أبي الحديد المعتزلي، والاحتجاج للطبرسي وهي تعطي الصورة الرائعة
لكيفية المعارضة والصمود، وتعطينا دروساً كيف ندخل وكيف نستمر وأي سلوك
نسلك ومتى نستشهد بالدليل وفي أي موقع نعطي الحجج الدامغة وفي أية مرحلة
نتوقف ولأي سبب نتراجع مع ما لنا من قوة وسلطان.

كما وأن الجدير بالذكر قبل استعراض الخطبة التركيز على نقطة جوهرية حساسة للغاية وهو الطهر والعفاف، فالزهراء عليها السلام وهي القائلة « خير المرأة أن لا ترى رجلاً ولا رجل يراها »، تشترك في أكبر اجتماع رجالي لإعلان الاحتجاج والمعارضة للحكم القائم، فهل هذا تعارض أو تضاد أم إمكان للجمع والتوفيق والتنسيق.

الجواب على كل ذلك ما فعلته فور دخولها إلى المسجد وكما هي في الرواية: « ولما منعت فاطمة فدكاً وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيلها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء... »
 هذه هي الكيفية بالمباشرة تحضر الجمع ولكن تضرب بينها وبين القوم سترأ لا يمكن النظر إليها وليس لها أن ترى الرجال، وتبتدء بالعاطفة أولاً بيكاتها ومنطق العاطفة في بعض الأحيان أقوى وأجدى نفعاً.

وتبتدء بالبلاغة والفصاحة وسحر البيان والقوم معظمهم أهل هذا السحر لثبت مقدرتها وفضلها عليهم حتى فيما يجيدون ويحسنون، وهذه هي الخطوة الأولى، فتقول عليها السلام: « الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن أولها، جمّ عن الإحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدّها وتفاوت عن الإدراك أبدّها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها... » إلى أن تقول: « وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباها، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة وبستر الأهاويل مصونة وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور وإحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع الأمور. ابتعثه الله إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه وإنفاذاً

لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقاً في أديانها عكفاً على نيرانها عابدة لأوثانها منكراً لله مع عرفانها، فأنازل الله بأبي محمد ظلمها وكشف عن القلوب بهمها وجلّى عن الأبصار غممها وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية وبصرهم من العماية وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار، فمحمد من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه وأمينه وخيرته من الخلق وصفيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.»

فبعد أن تشرح مهمة القائد ودوره الرسالي إلى قومه وإلى البشرية جمعاء ومعاناته وارتياحه بالخروج إلى الرفيق الأعلى، وهذا هو الدور الثاني من الاحتجاج لتذكير الناس بالالتفاف حول القائد والمؤسس. تبتدئ عليه السلام بالتذكير بالميثاق والعهد الذي هو الحجة البالغة بين القاعدة والزعيم، فتقول: «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم وعهد قدمه إليكم وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع، بينة بصائره منكشفة سرائره منجلية ظواهره مغتبطة به أشياء قائداً إلى الرضوان اتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وبياناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة وشرائعه المكتوبة»

وتم تعرج الزهراء عليها السلام على الاستدلال العلمي والمنطقي وتخوض في فلسفة الأحكام وبيان عللها فتقول: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام

منسأة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتنب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرمة الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء».

وهذا هو سر سرد علل الأحكام ليكون لأهل العلم والفضل منهم أهل الحل والعقد وأما الباقيون فهم همج رعا يتبعون كل ناعق والويل والشار لقوم خرج القرار من أيدي علمائها وفضلاتها والمفكرين فيها والمخلصين لها.

ومن ثم تبدأ الزهراء عليها السلام في جلسة المحاكمة هذه بتعريف نفسها وصلتها بمنقذ الكون وبيان دور المنقذ لهذه الأمة فتقول: «أيها الناس اعلموا أنني فاطمة وأبي محمد، أقول عوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله، فبلغ الرسالة صادعا بالندارة مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، أخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، وكتتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطع الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القد، أدلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله، بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)، أو نجم قرن

الشیطان أو فغرت فاعرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفي حتى يبطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجدداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفیائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلاباب الدين ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)، فهيهات منكم وكيف بكم؟ وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟) بَشِّرْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وفي هذه المرحلة تبدء ﷺ بلائحتها الدفاعية واحتجاجها القانوني على ما غصبوه وما ظلموه، بحجج دامغة ونصوص واضحة وأحكام جلية، فتقول: «أيها المسلمون، أغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فريا أفعل على عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ (، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (، وقال:) وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (، وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي

أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)، وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون، و(لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ)، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)»

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: « يا معشر النقيية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الغميمة في حقي والسنة عن ظلامتي أما كان رسول الله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ ! »

واستمرت ﷺ باتمام الحجة وبيان التكليف بأسهاب واختتمت كلمتها بهذه العبارة: « فبعين الله ما تفعلون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون (وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)».

ولكن ومع الأسف كل الأسف لم ترَ آذاناً صاغية ولا قلوباً واعية، بل كانت كالحجارة الصماء (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ)، إلا رفرقة دموع تدور في بعض العيون.

فرجعت إلى بيتها تجر أذيال الخيبة والحل السياسي، فقررت الحل العسكري فدخلت على زوجها هزبر الميادين ضرغام العرين وقالت له: « اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الاجدال فخانك ريش الاعزال... » فلما سمع كلامها ثار عزمه وقال « عليّ بسيف ذي الفقار والقباء الأصفر اليوم

أقلب سافلها عاليها وأنا أبو الحسن»، وإذا بالمؤذن يتبدأ الأذان فيقول لها الحيدر الكرار: «ولكن سوف لا يبقى هذا الصوت»، فتتعلق فاطمة به وتثنيه عن عزمه وتهدهء ثورته.

هكذا تتوج الزهراء ثورتها وقيامها فإن تعارض المبدأ الأساسي، ضربت بكل عواطفها وأحاسيسها عرض الحائط وانصهرت كما ينصهر الشمع لينير وهي في موضع القوة والسطوة والجبروت، ولكن كل ما حاكته ونسجته ونظمته من بيان واحتجاج وإيثار كان لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، عالياً مدوياً نقياً صافياً لا خدش عليه ولا غبار، فإن كانت النتيجة من ثورتها انقطاع صوت البشير النذير أو استغلال نشوة الانتصار في نقض الميثاق وفسخ العهود ونيل السلطان والتمتع بالغنائم والأموال فلا، ثم لا، ثم لا، وكان ما كان.

أفاطمة تطلب بميراثها لأن فذك غني بأشجاره، غزير في مائه، طيب في ثماره؟ لا والله، ففاطمة التي اقتنعت في يوم عرسها بثوبين من صوف وقطيفة وخمار، واقتنعت بفراش من خيش محشو بليف، وقنعت بقدر واحد وجرة خضراء، ورحى لجرش حبات الشعير يشتريها علي بدرعه الذي باعه ليقدمها مهراً لربة هذا البيت القدسي الذي (يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا)، مع ما فيه ضحك وهزل وضعف.

أتطالب بذك لتزيد مالا لمالها أو تكون ثروة لنفسها؟ أم لإرضاء زوجها الذي اكتفى من دنياه بطمريه ومن زاده بقرصيه والقائل: «واله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً خير لي من أن ألقى الله وأنا ظالم لبعض العباد»، ومن يقول: «إن امرتكم هذه عندي أهون من شسع نعل»، أم تريد فاطمة أن تمتلك فذك لتتركه إرثاً لولديها سيدي شباب أهل الجنة؟!

لا والله، إنما هي دروس وعبر تركوها لنا لنعتبر ونسير على هديهم فنعرف متى نغضب ومتى نسكن ومتى نثور ومتى نهدهء، كيف نهذب أنفسنا بالعفة والتقوى،

وكيف نتحلى بالأدب والفضيلة والعلم والمنطق، لتكون حجتنا دامغة ولساننا فصيح وعقولنا متفتحة وعهودنا موثوقة وصلاتنا بساداتنا وقادتنا متينة.

لقد كانت ثورة فاطمة (عليها السلام) على خطب عظيم لا أعظم منه، وأمر جليل لا أجل منه، وما قيمة فذك أمام ذلك، كانت ثورتها لتوثيق أو اصر الخط الرسالي الذي جاء أبوها من أجله، وجاءت الرسل من قبله، وضحوا بكل غالٍ ورخيص وعانوا ما عانوا من أجل إيصال الهداية إلى البشرية جمعاء. فلم يكن لهم قرار ولا استقرار ولم يتوانوا قيد أنملة في سبيل أداء هذه الأمانة. وإذا بالصديقة الحوراء ترى والعهد قريب والجرح لما يندمل كيف تمسخ الأحكام وتزيف الأقوال وتغير السنن ويضرب بالميثاق عرض الحائط، والعهد لا يعمل به، من أجل سلطان زائل وحكم مخدوش وهيمنة جوفاء.

فهي ترى بأم عينها كيف أن أقواماً سوف يتبعون هؤلاء الماسخين الشامخين وهم يتصورون أن الحق فيما يقولون وحكم الله في سيرتهم والهداية باتباعهم والناس ضعفاء في عقولهم مندفعين وراء عواطفهم متأثرين بأحاسيسهم فإن قيل لهم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » كانت هذه لهم حجة وان أبطله العقل ورفضه الضمير وإن قيل لهم « حسبنا كتاب الله » اعتبروها القول الفصل وإن تعارضت مع الكتاب نفسه، وإن قيل له « قال رسول الله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث » اعتبروها صدق المقال، وإن تعارضت مع سنة الله في خليقته، فتريد الزهراء (عليها السلام) أن تمنع هذا المسخ والنسخ لاتباع الناس الحق ورسالة السماء فتعلن النعمة والثورة وتتم الحجة والبينة فإن اعتبر الناس سعدوا وإن لم يعتبروا هلكوا والله يقول: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا).

إخواني وأخواتي، إن كنا معتقدين ومقتنعين بالزهراء (عليها السلام) ورسالتها وسيرتها وهديتها فليكن غاية همنا كل عمل جهادي يتحتم علينا أن نضع الله نصب أعيننا ونسعى جاهدين لمعرفة ما طلبه الله منا، متحررين عن عواطفنا مستبشرين بهدي

نبينا وأئمتنا المعصومين ونحن نبتهل إلى العلي القدير أن يرينا الحق حقاً لتبعه
والباطل باطلاً لنجتنبه.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصدقت نبوءة المغفور له سماحة السيد الشهرستاني حيث تتحدث وسائل
الاعلام العالمية الان عن الدور الجهادي للمرأة البحرانية اللائي استلهمن من
الزهراء عليها السلام خط الجهاد ضد الظلم وإغتصاب الحقوق.

كلمة سماحة السيد محمد علي الشهرستاني (طاب ثراه)

بمناسبة ولادة الإمام الحسن عليه السلام يكشف

المخطط السياسي الرهيب لمعاوية ضد الامام الحسن عليه السلام

للسيطرة على دفة الحكم والتحكم في رقاب المسلمين

كان التحرك الإسلامي من يوم نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى يوم نزول الوحي بالآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، تحركاً عقائدياً دينياً محضاً وما من حركة فيها ولا قرار يتخذ وما نطق وينطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وحي يوحى له وبصورة وثيقة مرتبطة بالله وبما يرضيه.

ولكن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يدفن بعد، ظهر على الساحة الإسلامية تحرك سياسي مدروس منسوج من قبل، أصولها وجذورها مرتبطة بعضها ببعض، وقد تكلمت عن كيفية ذلك من التاريخ المدون بواسطة الفئة التي نسجت خيوط هذا التحرك السياسي في درس التاريخ الإسلامي للسنة الثالثة كمدخلة في درس الدكتور إبراهيم بيضون، فمن اطلع عليها اطلع ومن لم يطلع عليها فسوف يطلع عليها عندما يصل السنة الثالثة من الجامعة.

ولكن مع مزيد الأسف لم تسنح لي الفرصة في إكمال المدخلة التي تنتهي باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وتوقفت عند استشهاد الإمام علي عليه السلام واليوم بمناسبة ولادة الإمام الحسن عليه السلام أبين بعض الشيء من هذا المخطط السياسي الرهيب الذي كان الهدف منه السيطرة على دفة الحكم والتحكم في رقاب المسلمين.

ارتقى الإمام الحسن عليه السلام منبر أبيه ليؤبنه فقال: « لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه... إلى آخر الخطبة ».

وكان من جملة المستمعين إلى الإمام الحسن عليه السلام رجل يترقب انتهاء كلامه وما إن أتمه حتى قام على قدميه وانحدر كالسيل الجارف يهدر بصوته العالي قائلاً: « معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ». كان ذلك الصوت صوت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فبايعه الناس وأهل الكوفة وبايعته معها البصرة والمدائن وبايعه الحجاز واليمن، ولم يتخلف عن بيعته سوى معاوية بن أبي سفيان ومن لفّ لفه.

يقول الطبري والمسعودي وابن الأثير: « وكان على هذه الشاكلة من عناصر الكوفة إبان بيعة الحسن عليه السلام أحزاب منها الحزب الأموي، الذي يشتمل على أمثال عمرو بن حريث وعمارة بن الوليد بن عقبة وحجر بن عمرو وعمرو بن سعد بن أبي وقاص وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري وإسماعيل وإسحاق ابنا طلحة بن عبيد الله وأضرابهم. فكتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة، واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عند دنوهم من عسكره أو الفتك به « بالرغم من بيعتهم له. وتحرك الخوارج في الكوفة أعداء علي بن أبي طالب فجعلوا يحيكون الفتن والفساد، وقد تظاهروا في نصرتهم للحسن وهم يعملون على الفتك به سراً. فكتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية يطلب منه البيعة فأجابه معاوية « فاحذر أن تكون ميتتك على أيدي رعاي من الناس »، هكذا كان جواب معاوية وابتدأه بالعدوان وخروجه على إمامه والخليفة المفترض الطاعة الذي بايعه المسلمون.

فأعلن الإمام الحسن عليه السلام التعبئة العامة للجيش وقد انخرط في هذا الجيش أمثال الأشعث بن قيس وعمرو بن حريث وعمرو بن سعد وشمر بن ذي الجوشن

وما شابه ذلك. وكان الخطر المتوقع من انخراط هؤلاء في جيش الإمام الحسن عليه السلام أكبر من الخطر المنتظر من أعدائه الذين يصارحونه العداء وجهاً لوجه. ولم يتمكن الإمام من منع انخراط هؤلاء في جيشه لعلمه بأنهم سيعملون معه ما عملوا مع أبيه في رفع المصاحف وقبول التحكيم. فهم يدعون الدفاع عن الحكم الشرعي.

وحينما يرى معاوية ضعفه العسكري بفضل العمل السياسي وينجح نجاحاً باهراً في ذلك، فهو قدير في شراء الضمائر الرخيصة وبما أوتي من دهاء ومكر حاول بث جواسيس يتأبطون في رواحهم ألوان الكذب ويتزودون في عدوهم الأخبار والمعلومات عما يجري في الكوفة وشكل طابوره الخامس من المرتزقة الذين انتشروا في الجيش الحسيني ممن ذكرنا أسماءهم. وحاول هذا الطابور الخامس تثبيط عزائم الجيش الحسيني بنشر الأكاذيب والأخبار الملفقة وتضخيم قوة معاوية وتضعيف إمكانات الإمام فكان كالمسم ينتشر ويغير أفكار الناس والجند.

وكانت هذه هي المحاولة السياسية الأولى التي نجح فيها معاوية بتقويض الجيش الحسيني من الداخل وإثارة الكوفة معقل الخلافة على الإمام الحسن عليه السلام. ورأى الإمام الحسن عليه السلام أن يتخذ من المدائن بما لموقعها الأهمية مقرّاً لقيادته العليا وقد أخبر بأن جيوش الشام قد وصلت إلى (مسكن) وليس بين المدائن و(مسكن) أكثر من خمسة عشر فرسخاً.

ونظر عن يمينه وعن شماله وتصفّح ملياً الوجوه التي كانت تدور حوله ليختار منهم قائد مقدمته التي صمم على إرسالها إلى مسكن، فلم ير من كرام العشيرة وخلاصة الأنصار أكثر اندفاعاً للنصرة ولا أشد تظاهراً بالإخلاص من ابن عمه الموتور من معاوية في ولديه القمرين، عبيد الله بن عباس أحد أولئك المرتجزين للحرب المستهينين بالحياة، تحفزه الغيرة الدينية وتلهمه العنعنات القبلية في الأخذ بثار ولديه من معاوية. فعهد إليه عهده وأرسل معه اثني عشر ألف من فرسان العرب

وقراء المصر الرجل منهم يزيد الكتيبة. وقال له شاور هذين يعني قيس بن سعد بن عبادة وسعيد بن قيس الهمداني. وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس فإن أصيب فسعيد بن قيس، وثم وجه قائداً آخر في أربعة آلاف إلى معاوية وكان من كندة وأمره أن يعسكر بالأنبار ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره.

فلما علم معاوية بالقائد الكندي أرسل إليه « أنك إن أقبلت إليّ أوليك بعض كور الشام والجزيرة غير منفس عليه » وأرسل إليه خمسمائة ألف درهم فقبض الكندي المال وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته.

فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف وتقدم إليه بمشهد من الناس وتوكيده فحلف له بالأيمان المغلظة التي تقوم لها الجبال إنه لا يفعل كما فعل صاحبه ولا يعذر ولا يخون. فلما وصل إلى الأنبار أرسل إليه معاوية رسلاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه بخمسة آلاف درهم ومناه ولاية كما قال لصاحبه.

فانقلب على الحسن وأخذ طريقه إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود. وحاول المحاولة نفسها مع قائد الجيش عبيد الله بن عباس القائد الملتهب بالحماسة للحرب والموتور من معاوية بابنيه المقتولين، وكما يقول اليعقوبي « وكان إيمان معاوية بالسفالة البشرية إيماناً لا حد له وهو إيمان يقوم على الاعتقاد بأن أقوم الناس خلقاً وأشدهم عزماً وأتقاهم فضيلة قد تستغويه الأطماع ويذله الحرص ».

فأرسل معاوية رسالة لعبيد الله يقول فيها: « أن الحسن سيضطر إلى الصلح وخير لك أن تكون متبوعاً من أن تكون تابعاً وحمل إليه ألف درهم ».

فدخل هذا القائد الموتور المتحمس حمى معاوية ليلاً، دخول المنهزم المخذول الذي يعلم في نفسه أي اثم عظيم أتاه.

وخلفت هزيمة عبيد الله بن عباس في (مسكن) التشاؤم الذريع ولم يقتصر أثرها على (مسكن) ولكنه تجاوزها إلى المدائن أيضاً فكانت النكبة الفارقة بكل معانيها.

وهكذا نرى كيف تمكن معاوية بمخططه السياسي الثاني الذي كان يركز على شراء الضمائر الرخيصة من السيطرة على الموقف، بالمال الذي غصبه وابتزّه من ولايته في الشام.

أما مخططه الجهنمي الثالث المؤثر والمؤلم فقد كان في « إيفاد كل من المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن الحكم إلى الإمام الحسن بالعدد الهائل من كتب الخونة من رؤساء الكوفة وزعماء قبائلها (يعرضون له السمع والطاعة ويتبرعون له بالمواعيد ويتخذون عنده الأيادي) ليطلع عليها وليعرف نوايا أصحابها من متطوعة صفوفه ».

والمغيرة ورفاقه الذين دخلوا معسكر المدائن حين أذن لهم بدخوله لعرض هذه الكتب على الإمام، لم يغادروا المعسكر حتى زرعوا في ميدانه أكبر فتنة في الناس، وهنا كانت الطامة الكبرى ونقطة الصفر في العرف العسكري.

خرج وفد العدو وهو يستعرض في طريقه مضارب الجيش الذي كان هدف الأنظار في حركته وهدف الأسماع في حديثه. فقال بعض أفراده لبعض - وهم يرفعون من أصواتهم ليسمعهم الناس « أن الله قد حقن بابين رسول الله الدماء وأسكن الفتنة وأجاب إلى الصلح » فما كان من حديثهم هذا إلا الفتنة نفسها.

يقول اليعقوبي في تاريخه: « فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن له الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمعول في فخذه وقبض الحسن عليه السلام على لحية الجراح ثم لواها، فذق عنقه وحمل الحسن بعدها إلى المدائن وقد نرف نرفاً شديداً واشتدت به العلة ».

فلما رأى الحسن تفرق القوم عنه فعل ما فعل، أما الصلح فكما ينقله الطبري: « أن معاوية أرسل إلى الحسن صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها ما شئت فهو لك ». وأما ما كتبه الإمام الحسن عليه السلام بالنسبة لبنود الصلح فقد أخفاها التاريخ لأسباب لا تخفى على أولي الألباب، وصاحب كتاب « ماذا وراء التاريخ » ينقل عن كتاب « صلح

الحسن « ما تمكن من جمعها من شرح صحيح البخاري المادة الأولى « تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبسيرة الخلفاء الصالحين ». المادة الثانية من عمدة الطالب (ص ٥) « أن يكون الأمر للحسن من بعده فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد ».

إلى آخر المواد التي لا مجال لذكرها في هذه المحاضرة، ومن الممكن مراجعتها في كتاب « صلح الحسن » للشيخ راضي ال ياسين.

وكان طبيعياً أن يتفق الفريقان بعد توقيعها الصلح على مكان يلتقيان فيه على سلام فتم الاتفاق على مسجد الكوفة. وكان لابد لمعاوية أن يستبق إلى المنبر فسبق وجلس عليه وخطب في الناس ومما قال: « يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وكل شرط أشرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلا ثلاث إخراج العطاء عند محله، وإقبال الجنود لوقتها وغزو العدو في داره، فإن لم تغزوهم غزوكم ».

وعند هذا أكتفي لأبين كيف أن التحرك الإسلامي من بعد رسول الله أصبح سياسياً بعدما كان عقائدياً غير أن الفرق في البداية لقرب المؤامرة من دور الرسالة كانت المجاملات الإسلامية إلى حد ما محفوظة تحت عنوان الشورى وغير ذلك، ولكن عند معاوية بلغت الحالة إلى درجة من الجرأة والتجاوز حدا لا مثيل لا. فيقولها على مسمع أكبر تجمع إسلامي « ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم ». ليعلن على الملأ نقده للعهد والميثاق. اذن ابن هو من قول الحق (إنما يتذكر أولوا الالباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق). وقد استمرت هذه المؤامرة حتى عهد يزيد.

والغريب العجيب أن الإمام الحسن لم يعانٍ من ابن هند فقط بل يعاني من أقرب مقربيه والذين كانوا على مرأى من جميع ما حدث حتى يصل الأمر بأحدهم فيقول

للإمام « يا ابن رسول الله لم هادنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ ».

فأجابه الإمام: « يا أبا سعيد ألسْتُ حجة الله تعالى على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي؟ »، قال: بلى.

قال عليه السلام: « ألسْتُ الذي قال رسول الله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ » قال: بلى.

قال عليه السلام: « فإذا أنا إمام إذا قمت وأنا إمام إذا قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية (..) يا أبا سعيد إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى، لا يجوز أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام لما حرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام لفعله لاشتباه وجه الحكمة عليه، حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سختم عليّ لجهلكم وجه الحكمة، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل ».

العلامة الراحل سماحة السيد محمد علي الشهرستاني
في يوم تكريم الجامعة للمرحوم شيخ الخطباء الدكتور
أحمد الوائلي

مجالسه احدثت ثورة دينية وثقافية وتصحيحية للمنبر الحسيني

لندن - الجامعة العالمية:

كان العلامة الراحل سماحة السيد محمد علي الشهرستاني من اشد المعجبين بمدرسة المغفور له الشيخ الوائلي التجديدية في الوعظ والإرشاد، وظهر ذلك جليا من خلال كلمته التي ألقاها في الحفل الذي أقامته الجامعة العالمية لتكريم الشيخ الراحل قبل وفاته بسنوات، كما سيتبين للقارئ مدى تواضع المغفور له العالم الجليل السيد الشهرستاني من خلال كلمته المباركة فقال:

نجتمع اليوم لتكريم عبد من عباد الله أتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما، ألا وهو سماحة العلامة الكبير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي. ولكن قبل أن أدخل في صلب الحديث أودُّ الإشارة إلى بعض النقاط التالية:

إن سماحة العلامة الجليل الدكتور الوائلي أجل من أن يكرم وأعرف من أن يُعرف، فما نقوله هنا من مقولة وصف الشمس في رابعة النهار.

إنَّ التكريم يجب أن يكون من عدل المكرم أو ممَّن هو أعلى شأنًا وأنا لستُ في هذه المنزلة ولكن كُلفت فامتثلت.

ماذا يسعني أن أضيف إلى فصيح الكلام المشثور وعذب الشعر المنظوم في وصف هذا العبقرى الموهوب وأنا ألكن اللسان متعثر في البيان إلا أن يعيرني

المكرم طلاقة لسانه وفصاحة بيانه لأتمكن من أداء الموضوع حقّه والوصف جماله .
سادتي الأجلاء أن الذي نحتفل بتكريمه عبقرى موسوعى شاعر أديب عالم فاضل
توج فضائله وخصاله بالخطابة والوعظ والإرشاد فلَقَّب بعميد المنبر الحسينى .

وإننى لا أتمكن من أحيط فى موقفى هذا بجميع خصاله خاصة وجود من هم
أفضل منى فى أداء الموضوع حقّه شعراً ونثراً. ولكنى أنتخبت موهبة من مواهبه
وفضلاً من فضائله للكلام حوله ألا وهى مدرسته التجديدية فى الوعظ والإرشاد
وتتقيف المثقف قبل العامة وكشف الغموض عن الأشياء قبل شرح العبارات .

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ . وفى الحديث الشريف: « العلم نور يقذفه الله فى
قلب من يشاء » .

فهل التمييز هذا عشوائى والعياذ بالله أم لحكمة وحساب، فإن قلنا لحساب
اقتضاه العلم الإلهى المسبق فرفع ووضع نرى أن جمهور العلماء يميلون إلى أن
الحكمة تقتضى وجود العلة قبل العلم المسبق ويستشهدون بزيارة الصديقة الزهراء
عليها السلام « يا ممتحنة امتحنتك الله الذى خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنتك
صابرة » وبمقدمة دعاء الندبة « الحمد لله على ما جرى به قضائك فى أوليائك الذى
استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذى
لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرط عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنية
وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم ... »
والآن ما هى العلاقة بين هذه المقدمة وبين من نكرمه سماحة العالم الفاضل

الدكتور الشيخ أحمد الوائلى؟

تتلمذ شيخنا الجليل على يد آية الله المجدد المغفور له الشيخ محمد رضا
المظفر أعلى الله مقامه فأخذ منه التجديد وترعرع فى أحضان مدينة العلم، أثرى
المعاقل العلمية الدينية وتحرك بين حلقاتها العلمية ينتهل العلوم المختلفة ويقف

على أسرار المعارف الإسلامية حتى إذا نضح عوده انتقل إلى المدارس الحديثة، وأكمل مدارجها بالحصول على شهادة الدكتوراه فكان أهلاً لأن يجمع بين العلوم القديمة عمقها وغزارتها ودقة النظر فيها وأصالة التحقيق في أجزائها. وبين العلوم الجديدة بسلاسة أسلوبها ومنهج الإقناع فيها، واختار المنبر الحسيني للإرشاد والتوجيه والنصح والتوضيح في أسلوب شيق متسلسل فصيح جذاب مؤسساً لمدرسة جديدة طالما افتقر الفكر الشيعي الإمامي لمثلها.

أدركتُ من خطباء العرب البارزين العلامة المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ كاظم آل نوح والشيخ محسن أبو الحب وكنتُ أحضر مجالسهم وأسمع خطاباتهم، لقد كانت الصبغة الطاغية على منهج حديثهم ووعظهم المنهج التاريخي الأدبي والأخلاقي وهو منهج عرفاني تعبدي تقبلي يركز على بيان النص وإعطاء الشرح ويكون نصيب المستمع الحفظ والثواب والاطمئنان على صحة دينه ومذهبه، فلم يكن للشباب والطبقة المثقفة (حسب اصطلاحهم) بعد أن بهرتهم المدنية الحديثة وتعلموا في مدارسهم أسلوب الإقناع، وجود يذكر في هذه المجالس.

لقد سمعتُ المرجع الديني الكبير آية الله الشيخ حسين الوحيد الخراساني في إحدى محاضراته وهو يقول العبارات للعوام والإشارات للخواص. هكذا انطلق شيخنا الجليل الدكتور الوائلي فحينما باشر بارتقاء المنبر الحسيني خطيباً وواعظاً ومرشداً انتخب لنفسه أسلوباً علمياً تحليلياً استدلالياً يتلو آية من آيات الذكر الحكيم ويتناول جميع جوانبها من حجية الظهور إلى التفسير والتأويل ثم ينتقل إلى الإشارات الخفية المتعلقة بالشؤون الحياتية والشواهد الطبيعية والثواب والمتغيرات محللاً أجزائها موضعاً غوامضها مركزاً على حجتها مستدلاً بالبراهين القاطعة داخضاً الشبهات المزيفة. فوجدت الخاصة ضالتها وتهافت الشباب على حضور مجالسه فكانت ثورة ثقافية وتفتحاً كبيراً ورجوعاً إلى الدين الحنيف وتصحيحاً للرؤية وأصبحت هذه المدرسة بداية تحول في المنبر الحسيني وحتى في كتابة المقالات والكتب والرسائل. فله در شيخنا الجليل العلامة الدكتور الوائلي وعلى الله أجره.

ونحن في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية منذ الأيام الأولى لبداية المسيرة طلبنا من سماحته تزويدنا بإرشاداته وتوجيهاته، فكان خير عون لنا وأفضل داعم لهذه الجامعة وفضلاً عن قبوله مشكوراً لعضويته في الهيئة العلمية للجامعة وشرفنا بإعطاء محاضرات درس التفسير على المنهج المبتكر الذي اختص به، وكان دوماً ودائماً خير مشجع لنا وخير معين.

والآن أنتهز الفرصة بعدما خرجت لهذه الجامعة من نطاق العمل الفردي والانتماء الخاص إلى النطاق الواسع المتعلق بالطائفة والكيان الشيعي بحصولها على الاعتراف الرسمي من قبل الحكومة البريطانية وعضويتها في اتحاد جامعات العالم الإسلامي وتعاقدها مع بعض الجامعات العربية والإسلامية وتوسع مجال التعليم فيها إلى الدراسات العليا والدكتوراه، والمباشرة منذ أربع سنوات بالدراسة عن طريق الانتساب فضلاً عن الدراسة المباشرة وانتشار رقعة عملها في أنحاء العالم من أستراليا إلى كندا والولايات المتحدة مروراً بمعظم بلدان العالم ووجود ما يقارب ثلاثين مركزاً امتحانياً في أنحاء العالم. وأخيراً أضيفت كلية القانون والفقه المقارن وكلية اللغة العربية إلى الجامعة.

أنتهز هذه الفرصة لأطلب من سماحته بالذات أن لا يحرمنا من توجيهاته العلمية ومواهبه الفكرية، وكذلك أطلب من أخي سماحة الحجة الدكتور السيد محمد بحر العلوم وبقية العلماء الأعلام والأساتذة الأكاديميين الكرام أن يزودونا بتوجيهاتهم المثمرة جزا الله الجميع خيراً.

ختاماً أبتهل إلى العلي القدير في أن يحفظ سماحة العالم القدير عميد المنبر الحسيني الدكتور الفاضل الشيخ أحمد الوائلي (*).

د. السيد محمد علي الشهرستاني

(*) رحل الى رحمة الله تعالى في ٢٠٠٣م

الفصل الثاني

المقترحات والنظم الأساسية التي كتبها
الدكتور محمد علي الشهرستاني
لبعض المشاريع الحيوية في العالم

المنهج الذي قدمه الدكتور محمد علي الشهرستاني لتأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

قرنين من الزمن أو ما ينيف والتكنولوجيا الحديثة تلعب الدور الأول في تنظيم حياة الشعوب، وتتولى الصدارة في توجيه القدرات في العالم البشري.

فمنحت القدرة والعظمة لبعض الدول وسلبت السطوة السيطرة من البعض الآخر. والإنسان المتحرك في مدارج الكمال يتطلع دوماً ودائماً إلى حياة أفضل، معنوياً كان أو مادياً، ولا شك من أن التكامل المادي أطبع مذاقاً وأعذب طعماً عند الأكثرية الساحقة من الناس، لأنه يساير الأحاسيس ويلمسه العالم والجاهل، والغني والفقير، والغبي والعقري.

ومن هنا كان الانطلاق!!!

فإن عرضت الدول المتقدمة تكنولوجياً منتجاتها الصناعية التي تعطي المستثمر راحةً بعد العناء، ولذّةً بعد الشقاء. نرى الناس يتهافتون عليها مستعدين لأن يُعطوا ما عندهم ويهبوا ما لديهم للحصول على هذه الوسائل المريحة، أو الأجهزة المليحة، أو الأسلحة الفظيعة.

والمنتج المجهز لا يتوانى في أن يفرض شروطه للبيع كيفما يشاء ويطلب تعويض ما لديه بما يريد وما يرضيه. وها هنا تظهر الخاصية الاستعمارية الاستثمارية في فرض الإرادة وتسخير المحتاج. فالقوي من له التكنولوجيا المتقدمة، والضعيف من افتقر

إلى ذلك، والسيطرة تنتقل من شد العضلة وقوة المتن، إلى عبقرية الفكر وخلاقية العقل والدماغ.

فإن أرادت أمة أن تبقى كريمة عزيزة حرة مستقلة لا تمد يد الذل إلى غيرها، ولا تساوم على حساب شرفها بشيء، ولا تلتمس العون والمعونة من الآخرين، لا سبيل لها إلا التسلح بالعلم والتكنولوجيا، والتحقيق والتمحيص، والبحث والتنقيب، للوصول إلى الأسرار التي وصلت إليها الأمم المتقدمة، والوقوف على المكنون من العلل والأسباب التي تتحكم في المعلولات، وتوجيه هذه الأسباب والعلل إلى الهدف المطلوب، بالإضافة إلى التصرف فيها والسيطرة عليها.

وها هنا تظهر فكرة تأسيس مركز عالمي للأبحاث الفنية التكنولوجية على المستوى العالمي الواسع، لاستقطاب الطاقات والقوى التكنولوجية الحديثة المتبعثرة في العالم من كفاءات فردية، واختصاصات جماعية، ومراكز علمية، وشركات تجارية فنية، ومعاهد ثقافية، والتنسيق بينها وبين مراكز الدراسات العالمية ومصادر التكنولوجيا المتقدمة، لتكون نتاجها في صالح الأعضاء المنتمين والمتسبين، وصالح الدول الضعيفة والمفتقرة إلى الخدمات الفنية العامة.

وهذا المركز سوف يحتفظ بكيانه وسيادته العالمية في سبيل خدمة الشعوب، غير متطع بأي طابع سياسي ينحاز في أي عمل من أعماله أو نشاط من نشاطاته على أية دولة أو حكومة، بأية صورة من الصور.

الأهداف

مئات من الكفاءات البشرية والابتكارات الفكرية تذهب مع الريح وتدفن حالما تولد، لعدم وجود من يكثرث بها، أو من يستمع إليها، وعشرات من الاختراعات العظيمة المسخرة لقوى الطبيعة والمنسقة لارتباطها، لا يتمكن أصحابها من إخراجها من عالم القوة إلى حيز الوجود، لعدم توفر الشروط والإمكانات لهم.

ومئات الآلاف من الجنيهات بل الملايين منها تصرف عبثاً وهدرأً، لأغلاط فنية يرتكبها أناسٌ ليست لهم صلاحية القيام بها.

- وملايين من الشعوب تبقى محرومة لعدم وجود مَنْ يخطط لثرواتها الطبيعية.
- وأخيراً وليس بآخر، كثير من الحكومات المخلصة تبقى محكومة مغلوبة على أمرها لأنَّ مصادر التكنولوجيا العالمية تُقتر عليها العلم وتمنعها من الخبرات الفنية، أو تساومها في شرفها واستقلالها. وما إلى ذلك من تلفٍ وهدرٍ وحرمانٍ وضياحٍ، علاجها في إقامة مركز عالمي للأبحاث الفنية، وعليه فإننا نلخص الأهداف بما يلي:
- ١- استقطاب أكبر عدد من ذوي الدراسات الفنية العليا في جميع المجالات والفروع الهندسية والتقنية، والتنسيق بين خبراتهم وتجاربهم، وجمعهم تحت مظلة المركز العالمي للأبحاث الفنية والتعرف التام على النبوغ العلمي والتفوق العملي الذي يتمتع به كل عضو له مثل هذه الإمكانيات والعمل على تشجيع وتأييد وإسناد هذا التفوق بالطاقات الموجودة في المركز والمتمثلة في أعضائه الآخرين، والسعي في الاستفادة من هذه الكفاءات والابتكارات في المجالات العملية والمشاريع التنفيذية حيثما اقتضت الحاجة، وأينما دعت الضرورة.
 - ٢- استقبال الأفكار الجديدة من تصاميم واختراعات، والعمل على دراستها ومناقشتها وتعديلها وإكمالها، واتخاذ الإجراءات اللازمة لتسجيلها عالمياً لصالح صاحب الفكرة والتصميم والعمل على الاستفادة منها في المجالات العلمية وإخراجها من عالم القوة إلى عالم الفعل في نطاق عالمي واسع.
 - ٣- العمل على دراسة المشاريع المهمة في الحقول الإنشائية، والصناعية والزراعية، وفي كل مجال يتمكن المركز من البتِّ فيه، ويقدر على دراسته، دراسة جذرية علمية تستوعب كل جوانب المناقشة والتمحيص والتدقيق، والتعديل أو تصحيح تصاميم ودراسات هذه المشاريع، أو وضع مخططاتها من جديد بواسطة أبرز الخبراء الموجودين لدى المركز وعن طريق أكبر عدد من المهندسين باختلاف اجتهاداتهم، بحيث يصبح المشروع مستوعباً لجميع الامتيازات والأرجحيات، وخالٍ من جميع العيوب والنقصان (إلى حد الإمكان)، ولأنَّ

تكون النتيجة الادخار في الأموال الطائلة التي تذهب هدرًا، وتصرف جزافًا، بدون سبب منطقي أو توجيه علمي مقبول من جراء نقص الدراسات، وأخطاء التصاميم الفنية.

٤- القيام بالدراسات الفنية والتكنولوجية والاقتصادية للثروات الطبيعية المدخرة في البلدان الضعيفة، والغير مستغلة من قبل حكوماتها أو شعوبها لعدم وجود الخبرة الفنية الكافية لديها، وإعداد تصاميم لمشاريع صناعية أو إنشائية أو زراعية، لاستثمار الثروات الكامنة والتي من شأنها تشغيل الأيدي العاملة والحصول على الأموال الطائلة، وبالنتيجة زيادة الدخل القومي وتحسين الوضع الاجتماعي والإنساني، والتي هي الغاية المنشودة لكل الشعوب.

٥- الحصول على آخر ما توصل اليه العلم البشري، والتكنولوجيا الحديثة عن طريق المشاركة العلمية، والتبادل التكنولوجي مع الجامعات العالمية ومراكز الأبحاث الدولية والمصانع والشركات الهندسية المتقدمة فنيًا، وعقد اتفاقيات ثقافية معها لتزويدها بنتائج الأبحاث التي يتوصل إليها المركز لقاء حصوله على جميع النتائج الفنية والأبحاث التقنية التي تتوصل إليها هذه المراكز والمعاهد (وهي حالة ١٠٥٠٠ مول بها في الأوساط العلمية العالمية).

ومن ثم إمكان وضع هذه المعلومات في متناول أيدي الحكومات والشعوب الضعيفة للاستفادة منها في حالة تضييق الدول المتقدمة عليها أو مساومتها لها بما لا يليق إنسانياً أو لا يقبل خلقياً.

المعطيات

إنَّ الخاصية المهمة لهذا المركز العلمي العالمي هي الإفاضة بمعطيات وفوائد وخيرات حمة على المفيد والمستفيد في آنٍ واحد، فهي إذ تفيض على الأعضاء والمنتسبين بمنافع كثيرة، تُخدم مصالح الشعوب والحكومات خدمات عظيمة.

المعطيات للأعضاء والمنتسبين:

١- لكل عضو مشترك في هذا المركز والذي يقدم طلب العضوية، ويوافق عليه من قبل إدارة المركز أن يستفيد من جميع الإمكانيات الموجودة لدى المركز، من الحصول على المعلومات التكنولوجية والخبرات الفنية والمصادر العلمية، وكذلك الجواب على الأسئلة والمشاكل والمعوقات الفنية الموجودة لديه، لتسيير عمله وتقدمه العلمي والعملي بدون أي أجر أو بدل، ولكن لقاء تقديمه المعلومات المطلوبة منه فيما يتعلق بالنشاط الفني والعمل العلمي الذي يزاوله ويرتبط به في منطقة عمله.

٢- يستحصل العضو على المجلة الدورية للمركز والتي سوف تقوم بإصدارها لجنة النشر والعلاقات العامة مجاناً وبدون عوض وبصورة مستمرة ما دام هو عضواً في المركز العالمي للأبحاث الفنية.

٣- يحق لكل عضو من الأعضاء أن يقدم أفكاره الخلاقية، وتصاميمه المبتكرة إلى المركز العالمي للأبحاث الفنية لدراستها وتفحصها، فإن نالت المصادقة والموافقة فإن المركز سوف يتولى جميع الخدمات الضرورية لتنسيق الفكرة وإكتمالها وتسجيلها تسجيلاً دولياً، يضمن فيه حق العضو المخترع، كما يقوم المركز بتقديم التوصيات اللازمة إلى الجهات المعنية للاستفادة من هذه الفكرة أو الأفكار لمصلحة صاحب الفكرة وحسابه، وكل ما يستوفيه المركز لقاء هذه الخدمات هي المصاريف الواقعية التي يتكبدها لهذا الغرض.

٤- من المقرر أن يستفيد المركز من أعضائه لإعداد بعض التصاميم والدراسات والاستشارات المطلوبة منه، ففي هذه الحالة سوف يدفع المركز أجور وأتعاب الأعضاء الذين يستفاد منهم في تنفيذ مثل هذه الأعمال أو الدراسات، أو الذين يقدمون النصائح الاستشارية للجهات المتعاقدة مع المركز.

٥- يقدم المركز العالمي للأبحاث الفنية بعض الزمالات العلمية والدراسية للأعضاء المتفوقين والبارزين للقيام بدراسات علمية وأبحاث اختصاصية في المجالات التي تقتضيها الضرورة، ويقررها مجلس إدارة المركز.

٦- يستحصل العضو على شهادة فخرية لانتسابه إلى المركز العالمي للأبحاث الفنية بعد اجتيازه الاختبار العلمي الذي سوف يقرره مجلس إدارة المركز أسوة بالمعاهد والمراكز العلمية المتقدمة.

٧- يتمكن العضو من الحصول على العمل في النقاط المختلفة من العالم حسب الحاجة والمتطلبات عن طريق المركز العالمي للأبحاث الفنية، كجزء من الخدمات التي يقوم بها المركز للاستفادة من طاقات وإمكانات أعضائه.

المعطيات للشعوب والحكومات:

١- إنَّ مثل هذا المركز الذي سوف يدأب بجميع طاقات أعضائه في جميع أنحاء العالم من أجل البحث العلمي والتحقيق الفني، للوصول إلى كل ما يرغب إليه العالم من تسخير للطاقات الطبيعية والكونية في سبيل رفاهية البشرية، لا بد وأن يقدم لشعوب العالم وحكوماتها (إن شاء الله) الشيء الكثير من النتائج العلمي والعملية، خاصة وأنه بقوامه وقوام أعضائه يرجو أن يقدم خدماته خالصة مخلصه، لا لصالح سياسة دون أخرى، ولا لقومية دون قومية، إنما للبشرية جمعاء. وبهذه الصورة فلا شك من أنَّ معطيات هذا المركز إلى الشعوب والحكومات سوف يكون أكثر نتاجاً وأعظم خيراً وأقوم أثراً.

٢- إنَّ المركز العالمي للأبحاث الفنية بدراساته الجذرية والأساسية، وتمحيصه للقضايا الفنية بنطاقه الواسع، في تصميم المشاريع الحكومية العامة لا بد وأن يقلل الكلفة، ويقتصد في النفقات التي تذهب هباءً وتلفاً في كثير من المشاريع التي يتم تصميمها وتنفيذها بصورة ارتجالية غير مدروسة.

٣- سوف يكون المركز العالمي للأبحاث الفنية معقلاً للعلوم والمعارف والخبرات والدراسات والتصاميم والمشاريع الفنية، ومنه تتمكن الحكومات أن تستمد حاجتها لدى الضرورة، وعند اقتضاء الحاجة، دون أن يُعيق هذا الإمداد جوانب سياسية أو عقبات عنصرية أو عقائدية.

٤- ومن المعطيات المهمة والقيمة التي يتمكن أن يهبها المركز العالمي للأبحاث الفنية، للشعوب والحكومات هي: الدراسات التي سوف يقوم بها لاستثمار الموارد الكامنة والثروات الخفية الموجودة في الأقطار والبلدان المختلفة، وعلى أثرها تنظيم المشاريع الاقتصادية المربحة التي من شأنها رفع المستوى المعاشي والاجتماعي للشعوب، وتقوية البنية المالية والمعنوية للحكومات من جراء قيامها بالمنجزات العمرانية والصناعية والزراعية.

القوام الأساسي للمركز العالمي للأبحاث الفنية

يتشكل المركز في قوامه من ركنين أساسيين:

أولاهما القسم الإداري والعلمي، والذي يتكون من التنظيم الإداري للمركز وكيفية إدارته واتصالاته وعلاقاته العامة بالمراكز العلمية والثقافية، وإلى غير ذلك من الشؤون، لقيام المركز بمهمته الأساسية وهو البحث العلمي، والتنقيب الفني وما شاكل ذلك لتنفيذ أهدافه ومقاصده.

والقسم الآخر هو القسم الاقتصادي والمالي، الذي من شأنه تأمين الدخل اللازم لتغطية النفقات والمصاريف الضرورية لقيام المركز بأعماله الأساسية من دراسات وأبحاث، والذي سوف يكون عن طريق العقود والاتفاقيات التي يقوم بتنظيمها القسم المالي مع أصحاب المشاريع، لقيام المركز بإعداد التصاميم لهم أو تولى الإشراف الفني على أعمالهم أو تزويد الدراسات الفنية لهم.

أما العضوية والانتساب إلى هذا المركز فمن المقترح أن يكون على النحو التالي:

١- عضو شرف: وهي أعلى مراحل الانتساب واسمى مدارج الفخر، ولا تمنح إلا للأعضاء الذين لهم درجة دراسة الدكتوراه، وسبق لهم وأن خدموا العلوم الفنية في ميادين التدريس أو التحقيق أو التنفيذ مدة لا تقل عن عشرين سنة، أو شخصيات علمية امتازوا بالنبوغ الفني، وقدموا للبشرية اختراعات أو اكتشافات أو تصاميم وحيدة من نوعها وخدموا الإنسانية والعالم لمدة لا تقل عن عشرين سنة.

٢- عضو ممتاز: وتمنح هذه العضوية لذوي الكفاءات من حملة الشهادات الأكاديمية العليا، وسبق لهم وأن اجتازوا خبرة علمية أو عملية في ميادين التدريس والتحقيق أو التنفيذ مدة لا تقل عن عشرة سنوات، قدموا خلالها خدمات فنية للمجتمع البشري وفي النطاق الذي كانوا فيه.

٣- عضو منتسب: أما الانتساب للمركز العالمي للأبحاث الفنية فسوف يكون لحملة الشهادات الجامعية في العلوم الفنية والتكنولوجية، والذين يعتقدون بأهداف المركز ويستعدون للتعاون والعمل معه حسب مقتضيات ومتطلبات الحاجة.

الخاتمة

وهكذا فمن أجل الخدمة العامة الشاملة، التي تعم فائدتها شعوب العالم وفي مقدمتها الشعوب المحرومة، وكذا فائدة الأسرة الفنية في أنحاء المعمورة، في أي مستوى وأية درجة كانوا، وأية مهمة أو مهنة يشغلون، تتقدم الهيئة المؤسسة للمركز العالمي للأبحاث الفنية بدعوة جميع الأشخاص الذين يحملون الشهادات الفنية العالية من مهندسين وأساتذة وباحثين، بالإضافة إلى الشركات الهندسية والاستشارية والتنفيذية والمصانع الانتاجية، إلى الانتماء إلى هذا المركز العلمي العالمي وإملاء وتوقيع طلب الانتماء المرفق بهذه الأوراق وإرساله إلى إحدى عناوين هذا المركز في الولايات المتحدة أو إنجلترا أو لبنان لدراسته وإرسال بطاقة الانتماء بعد المصادقة إليهم.

أملنا أن تتمكن جميعاً من خدمة البشرية في الحقل الفني بعون الله وتوجيهه وقدرته.

المشروع الذي قدمه الشهرستاني في سنة ١٩٩٠
للدعوة الإسلامية في الأقطار المختلفة بعد تخرج الطلاب
في الجامعة وتنظيم برنامج عملهم في أنحاء العالم بإشراف
الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن)

بسمه تعالى

فكرة المباشرة بعمل الدعوة الإسلامية
في الأقطار المختلفة من العالم

الفكرة:

إرسال الخرجين أو الخريجات إلى إحدى الدول الإسلامية (العربية) أو الأجنبية
للمباشرة بالدعوة الإسلامية والتربية الدينية للمثقفين، وبالذات من النساء والرجال
وتوسيع نطاق تعريف الناس بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وعقائدهم وفقههم.
وإلى جانب ذلك تعريف الطلاب الراغبين في الدراسات العليا بالجامعة العالمية
للعلم الإسلامية للتسجيل في هذه الجامعة بالانتساب أو الدراسة المباشرة.

مراحل العمل:

العمل الذي يجب أن يُقام في مرحلتين:

-المرحلة الأولى / الزيارة الاستطلاعية: في هذه المرحلة يجب عمل زيارة
للقطر المعني لمدة تقريبية مقدارها شهر واحد، يجب الاطلاع فيها على أوضاع البلد
وجمع أكبر كمية من المعلومات التالية لدراستها مع الجامعة ووضع البرنامج التنفيذي

للعمل المطلوب، أما المعلومات التي يجب الحصول عليها على سبيل العد لا الحصر فهي:

١- الوضع السياسي: من النواحي التالية، الحريات، الضغوطات، الانتهاكات، شدة الرقابة وضعفه، حرية الاجتماعات والمجالس، والإجازات والرخص المطلوبة.

٢- الوضع الاقتصادي: الدخل القومي والفردى (جيد، متوسط، ضعيف) الموارد المالية (أعمال حرة، موظف أو عامل، مساعدات حكومية)، مستوى الغلاء (مقارنة بين بعض الأسعار مع إنكلترا) القوة الشرائية، أجره العامل والحد الأدنى للرواتب، راتب خريج جامعي، السكن (قيمة الإيجارات، توفر السكن للإيجار)، الضرائب الحكومية (على المساكن في المطارات، على المواد الاستهلاكية، وغيرها).

٣- الوضع الثقافي: نسبة الأمية والتعليم، المستوى الثقافي العام، الجامعات الموجودة، الإقبال على الدراسة الجامعية.

٤- الوضع الديني: التزام ديني أم عدم الالتزام، نسبة المساجد والمدارس الدينية، الرغبة العامة على الدراسة الدينية خاصة بالنسبة للشريعة الإمامية، المغريات الدنيوية ومراكز اللهو (البرنامج التلفزيوني، السينمات، الملاهي ومحلات اللهو البريئة).

٥- الوضع الاجتماعي: كيفية العلاقات بين الناس (حميمة، متوسطة، ضعيفة)، الزيارات والاجتماعات العائلية (قبولات، ولائم، مناسبات، سهرات، دواوين) الاختلاط بين النساء والرجال، الطبقات الاجتماعية (فصل بين الطبقات أم اختلاط، نظرة كل طبقة الى الطبقة الأخرى، نسبة كل طبقة)، إمكانية التوغل في العوائل الثرية.

٦- الوضع الصحي: الوضع الصحي العام (أصحاء، وباء متفشٍ، نسبة المرضى...)،

التأمين الصحي، وضع العلاج (المستشفيات الحكومية، المستشفيات الخاصة، حق المعاينة للأطباء المستقلين)، وضع الدواء والصيدليات وقيمة الدواء، كيفية معالجة الفقراء، المستوصفات الخيرية، النظافة العامة والرقابة الصحية.

٧- الوضع المناخي: الجو (حار، بارد، صحراوي، جبلي، رطب، جاف)، وضع الأمطار وفصله، الرياح الموسمية، الحد الأعلى والأدنى التقريبي لدرجات الحرارة والرطوبة النسبية، نسبة الأشجار والمناطق الخضراء، طبيعة التربة (رملية، طينية، صخرية)، الحدود البحرية (طول الحدود البحرية، إمكانية وفعالية الاستفادة من الشواطئ البحرية).

٨- الوضع المدني (التمدن الغربي): (متمدنة، في طريق التمدن، متأخرة)، وضع الطرقات (الداخلية في المدن، بين المدن، نوع الطرقات، إشارات المرور، وسائل الأمان)، المباني الحكومية والعامة (شاهقة ام واطئة، حديثة أم قديمة، ضخمة أم متواضعة)، الخدمات العامة (الماء، الكهرباء، التلفون، الغاز، البريد، المواصلات العامة... وغيرها)، المراكز التجارية والمحلات (حديثة وغنية وفاخرة، جيدة، متأخرة)، الحدائق والملاعب العامة، نظام السير ووضع السيارات، المطارات والمواني.

المرحلة الثانية / بعد الحصول على المعلومات المذكورة في المرحلة الأولى وبعد الرجوع إلى لندن، يجب وضع برنامج العمل التنفيذي الذي يجب أن ينفذ في القطر المعني وذلك في مدة لا تتجاوز شهر واحد.

وعليه فلا يمكن إعطاء تفاصيل عن العمل المطلوب تنفيذه في المرحلة الثانية ولكن على سبيل المثال وأخذ فكرة إجمالية عن ذلك يمكن إعطاء بعض الأمثلة التالية:

أ. في مجال العمل الديني: وبفرض أن الشعب ملتزم نسبياً وهناك توجه ورغبة إلى النشاطات الدينية يمكن العمل على ما يلي:

١- الداعي / الداعية يحاول في بادئ الأمر المشاركة في المجالس والمساجد

الموجودة، ويشارك الباقين في صلاتهم واحتفالاتهم ويبذل غاية جهده في تكوين صلات وعلاقات وصدقة مع الناس، كما يحاول انتخاب الأشخاص الذين يتوسم فيهم الإيمان، الإخلاص، التحرك، النشاط، خفة الدم والرغبة والاندفاع إلى الدين.

٢- بعد ذلك يحاول دعوتهم إلى بيته أو إلى الحسينيات أو إلى المسجد لقراءة بعض الأدعية الأسبوعية، كدعاء كميل، والسمات، والندبة والتوسل (إذا كانوا شيعة) وبصورة تدريجية يطرح بعض المسائل الفقهية والشبهات الدينية ويحاول الإجابة عليها (طبيعي الصبغة العامة يجب أن تكون إسلامية وليست مذهبية).

٣- في المرحلة الثالثة من العمل الديني يحاول إقامة حفلات بالمناسبات الدينية، كولادة الرسول الأعظم، المبعث النبوي، نصف شعبان، الإسراء والمعراج، يوم عاشوراء وذلك بمشاركة أساتذة جامعيين وشخصيات علمية وأدبية في إعطاء المحاضرات.

٤- إلى جانب هذه النشاطات يدعو للانتساب أو الالتحاق المباشر بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.

ب. في مجال العمل الاجتماعي: طبيعي بفرض أن الوضع العام السياسي والاجتماعي يسمح بذلك ويمكن العمل على ما يلي:

١- يحاول الداعي / الداعية بعد استقطاب عدد لا يقل عن خمسة أشخاص التنسيق معهم لزيارة العوائل الفقيرة والتحدث إليهم والاطلاع على مشاكلهم، ومن المستحسن أخذ بعض الهدايا أو الحلويات أو الشكولات للأطفال لكسب محبة الأبوين في آنٍ واحد.

٢- محاولة المشاركة في فواتح وأتراح ومآسي الناس من جميع الطبقات وتلبية جميع الدعوات للمشاركة المكثفة في المناسبات الاجتماعية.

٣- عمل علاقات اجتماعية مع الطبقة الراقية من المجتمع لغرض الوساطة عندهم من أجل حل المشاكل الإدارية والحكومية للطبقة الضعيفة.

ج. في مجال العمل الاقتصادي: وحسب البرنامج الذي سوف يعد لهذا الغرض، يمكن العمل على ما يلي:

١- محاولة جمع صدقات وتبرعات من الطبقة المرفهة والطبقة المتوسطة لتوزيعها بصورة نقدية أو عينية - عن طريق لجنة مصغرة - على الفقراء والطبقة الضعيفة خاصة المتعفين من النساء والرجال.

٢- تأسيس صندوق قرض الحسنة لمساعدة المعوزين لإقامة حِرَفٍ بسيطةٍ وصغيرة لهم.

٣- تعويد الناس على الذورات النقدية والعينية وتوزيع ذلك على الطبقة الضعيفة.

٤- بعد استقرار الوضع، يجذب تحريض الطبقة المتوسطة والغنية على دفع الوجوهات الشرعية.

د. في مجال العمل الثقافي: وحسب البرنامج الذي سوف يتم إعداده لهذا الغرض يمكن العمل على ما يلي:

١- يمكن عمل تجمع للأطفال بين السادسة إلى الثانية عشر في بيوت الأولياء بصورة دورية ليوم العطلة (الجمعة أو الأحد حسب نظام البلد) ولمدة لا تتجاوز ساعتين لتعليم الأولاد (المبادئ الدينية، أو اللغة العربية، أو الأمور الأخلاقية والتربوية) لإعدادهم للمستقبل.

٢- عقد مجالس دورية في البيوت لتعليم وحفظ القرآن والأحاديث النبوية، والتأريخ الإسلامي، وسيرة الأئمة.

٣- عمل جلسات للأطفال بين السنتين والستة سنوات دورية في البيوت مع الاستفادة من بعض الألعاب وعرض أفلام فيديو دينية وتربوية بما فيه الكارتون وكتب القصص الملونة.

٤- عمل زيارات للجامعات والتحدث إلى الطلاب الجامعيين وطرح بعض المواضيع العلمية ومناقشتها.

هـ. في مجال الأعمال التنموية: وبعد إعداد المنهج المناسب لذلك يمكن تحريض ودعوة رجال الخير والصلحاء إلى إقامة المؤسسات الخيرية مثل:

أ. النوادي الثقافية.

ب. المكتبات.

ج. المستوصفات.

د. المدارس.

هـ. دور العجزة والمسنين.

و. دور الأيتام.

ز. دور المعاقين وغيرها.

وكذلك يمكن تشجيع رجال الأعمال أيضا لإقامة وحدات استثمارية بأرباح

مدروسة مثل:

أ. مشاريع سكنية.

ب. محلات تجارية تعاونية.

ج. مشاريع ترفيهية شرعية.

د. مؤسسات تجارية وغيرها.

هذا بعض الشيء الذي يمكن العمل عليه في المجالات المختلفة

علاقة الداعي / الداعية مع الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

مبدئياً يمكن تنظيم هذه العلاقة بالصورة التالية (وبموجب عقد معتبر بين

الطرفين):

أ. مسؤوليات الجامعة:

١. تأمين مصاريف ذهاب وإياب الداعي / الداعية والإقامة لمدة شهر لتنفيذ المرحلة الأولى (حسب الميزانية والمبلغ المقطوع الذي يتم الاتفاق عليه).
 ٢. تعيين راتب شهري (يتفق عليه) لتغطية جميع مصاريف الداعي / الداعية بما فيه السكن ولمدة سنة واحدة.
 ٣. إعطاء التوجيهات اللازمة وتأمين بعض الكتب (على قدر إمكانيات الجامعة) والإجابة على الرسائل والتقارير المقدمة من الداعي / الداعية.
 ٤. الدعم المعنوي للداعي / الداعية في المحافل الدينية والرسمية وغيرها.
- ملاحظة // بعد سنة واحدة من العمل إذا تمكن الداعي / الداعية من تأمين راتبه والمصاريف المتعلقة، العقد يستمر لسنتين أخرى وبعده يجب أن تغطي الجهات المستحقة على مصاريف السنوات الثلاث بالإضافة إلى المصاريف والراتب الجاري للداعي / الداعية.

ب. مسؤوليات الداعي / الداعية:

١. بذل كل الإمكانيات المتوفرة شرعاً وعرفاً ووجداناً في سبيل تنفيذ البرامج المطلوبة في المرحلة الأولى والثانية.
٢. تقديم تقرير أسبوعي مفصل وكامل عن النشاطات والمنجزات والمعوقات والالتزامات، والعمل على تنفيذ جميع التعليمات الصادرة من الجامعة.
٣. محاولة جمع الوجوهات الشرعية وإرسالها الى المرجع عن طريق الجامعة والحصول على الإيصالات المطلوبة من المرجع عن طريق الجامعة.
٤. محاولة الحصول على أكبر عدد ممكن من طلاب الانتساب والمباشرة للجامعة.
٥. تنفيذ جميع الأعمال (كحلقة وصل أو مدير فرع) المتعلقة بالدراسة في الجامعة والمطلوب العمل به في القطر المعني.

الرسالة التي وجهها الدكتور محمد علي الشهرستاني
في ٢٥/١١/٢٠٠٣ الى مساعد الأمين العام للأمم المتحدة
بمناسبة انعقاد مؤتمر التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣
الذي انعقد في لندن

سيدتي الفاضلة الدكتورة ربا خلف الهندي مساعد الأمين العام للأمم المتحدة
المدير الإقليمي - المكتب الإقليمي للدول العربية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
بعد التحية ومزيد الاحترام

لقد إطلعت قبل مدة من خلال بعض الصحف العربية الصادرة في لندن على
تفاصيل تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ الذي تم تقديمه للاجتماع
الذي انعقد في لندن، وقد أثار اهتمامي البالغ كماله وتماهه، خاصة الإستراتيجية ذات
الأركان الخمسة التي اقترحها التقرير لترعرع المعرفة كخطوة أولى وأساسية للتنمية
البشرية العربية

سيدتي الفاضلة منذ نصف قرن من الزمن ونحن نحاول تنفيذ إستراتيجية مشابهة
تماما لما اقترحه التقرير خاصة الرجوع الى صحيح الدين في مجال التنمية البشرية، وفي
نقاط مختلفة من العالم، وكنا متحفظين في إعلانها لنرى النتائج التي سوف نصل إليها
في تطبيقها وتنفيذها، فإذا نجحت عرضناها على البشرية مع تطبيقاتها كي لا تكون
نظريات جوفاء أو تصورات غير قابلة للتطبيق، وإن فشلت كنا كبش الفداء لها.

لقد حققت هذه الإستراتيجية نتائج رائعة في مجالات التنمية البشرية من تأسيس
المركز العالمي للأبحاث الفنية (International Centre for technical)

(research) في لندن عام ١٩٨٢ وتقديم برنامج محاربة المجاعة وكيفية تأمين الغذاء لسكان العالم في المؤتمر الدولي الذي إنعقد في اندونيسيا عام ١٩٨٣ والقضاء على مشكلة الإسكان في العالم من خلال المؤتمر الدولي الذي أنعقد في لندن بالمشاركة مع هايتات (HABITAT) والأيسكو سنة ١٩٨٧، كما طرحنا برنامج الدراسة الجامعية المتكاملة الذي يجمع بين الدراسة التقليدية والدراسة المفتوحة والدراسة الالكترونية من خلال تأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية ((I.T.U International Technological University التي تبتها اليونسكو وقال عنها مستر مايور:

(I.Y.U will bring great credit to Unesco)

وتم تأسيسنا للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن - التي قال عنها المدير التنفيذي للمجلس البريطاني للاعتراف بالدراسات الجامعية والدراسات العليا في تقريره:

(the College had a very explicit mission to deliver a high quality of education to those who might otherwise be excluded , and the inspectors considered that it was fulfilling that mission)

وهذه الجامعة التي وقعت مع الأيسيسكو (إتحاد جامعات العالم الإسلامي) اتفاقية تطوير المستوى الدراسي في جامعات العالم الإسلامي.

وفي مجال التنمية التكنولوجية حققت هذه الإستراتيجية انجازات تعد بعضها الأهم أو الأكبر في العالم في المجالات الصناعية والزراعية والإنشائية وغيرها، يمكن الاطلاع عليها من كتيب (الإستراتيجية الإسلامية للتطوير التكنولوجي المرفق).

كل ذلك بالإستراتيجية المتقاربة جدا إلى الإستراتيجية التي طرحها تقرير التنمية

الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣.

سيدتي لم أذكر ما ذكرت من تجاربي هذه إلا لدعم إستراتيجيتكم بالأمثلة التطبيقية والتنفيذية على الساحة العملية منذ نصف قرن، خاصة بعد شحن الأدمغة بأن الدين هو سبب تخلف الشعوب وشقائها، ومن ذكر المنهج الديني في عمله أو إستراتيجيته، فاشل أو كاذب أو مستغل.

ولربما قال قائل إذاً لماذا تأخرت الشعوب الإسلامية وأفل نجمها؟ أقول لأن هذه الإستراتيجية نفذت بإرادة فردية مدعومة بالتوكل على الله ولم تنفذ بالإرادة العامة وعلى صعيد الأمة، وما كان الجزء فيه فالكل فيه أصدق ويد الله مع الجماعة.

سيدتي توجد لدينا في الجامعة العالمية دراسات معمقة من خلال رسائل الدكتوراه للطلاب أو من خلال البحوث الفردية للأساتذة في مجال المعرفة، وصلتها بالبعد الديني من العمق القرآني والسنة النبوية، تطرح معادلات رياضية قطعية يمكن العمل عليها في قضايا التنمية البشرية والتنمية التكنولوجية منها بحث (أزمة الحضارة المعاصرة وأطروحة الخلاص) التي قدمناها في ندوة (الحضارة الإنسانية بين التصور الديني والنظريات الوضعية) التي أقيمت في جامعة لندن بالمشاركة مع (SOAS) سنة ١٩٩٣.

والآن يمكن تقديمها للحكومات العربية وشعوبها فإذا كانت هناك إرادة مؤكدة للنظر فيها، نحن على أتم الاستعداد لتقديمها من خلالكم إلى أصحاب القرار للمناقشة والمداولة فأن كانت صائبة يعمل بها أو بجزء منها وأن لم تكن صائبة تترك لتذهب في أدراج الريح.

كما لا يفوتني القول أن عدداً كبيراً من الأكاديميين العراقيين في لندن قد كلفوا الجامعة في اجتماع عام (قبل حرب العراق) أن تولى مهمة التنسيق العام لوضع استراتيجيات عراق المستقبل (بعد الدورة الانتقالية) ولذا فأنا أسسنا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن مركز دراسات عراق المستقبل فإنا حبذا لو أصدرتم تعليماتكم بتعاون المكتب الإقليمي للدول العربية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

معنا للتعاون في وضع الاستراتيجيات العامة والتفصيلية لعراق المستقبل أو تزويدنا بالمعلومات المتوفرة لديكم أنها ضرورية جداً لهذه الدراسات.

مع الشكر الجزيل والامتنان والتقدير والإكبار

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. محمد علي الشهرستاني

رئيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

في مرآة الآخرين

كتب الدكتور سلمان عبد الجليل القيسي في كتابه
 (من حديث المجالس الأدبية والمنتديات الثقافية في بغداد)
 تحت عنوان
 (تحت خيمة المجالس، الدكتور السيد محمد علي
 الشهرستاني)

أسهم المسلمون في تقديم العلوم والفلسفة خلال مرحلة تمتد سبعة قرون، من القرن السابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر، فعلى سبيل المثال نبغ في الكيمياء جابر بن حيان، وفي الفلسفة الكندي والغزالي وابن رشد، وفي الرياضيات الخوارزمي، وفي الطب الرازي، وفي البصريات ابن الهيثم، وفي الفيزياء البيروني، وفي التاريخ ابن خلدون.

وفي القرن الحالي استلهم العالم الفذ ابن العراق ونابعة العصر الدكتور «الشهرستاني» علمه الهندسي من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، فضلاً عن وفرة معرفته وغزارة علمه، فتوصل إلى تخطيط لوضع استراتيجية مدروسة صحيحة للتفكير والعمل التنفيذي للتنمية الإسلامية في جميع شؤون الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فأسس في سنة ١٩٦٤م شركة الأبحاث الهندسية الدولية وبدأت هذه الشركة نشاطاتها من إيران وخرجت لتنفيذ المشاريع الكبيرة في السعودية ولبنان وسورية والعراق وإنكلترا والولايات المتحدة والهند وباكستان وليبيا وأخيراً أندونيسيا.

ونفذت مشاريع في حقول مختلفة كتخطيط المدن وإقامة المجمعات السكنية إلى المباني العامة كالمستشفيات والفنادق الكبيرة والمباني التجارية والثقافية والاجتماعية إلى المباني الأثرية والتأريخية في حقل الأعمال الإنشائية، والمواني والأعمال البحرية إلى الخزانات العظيمة، وخطوط الأنابيب إلى مصانع السكر والسمنت والصلب

والحديد، والمصافي والبيروكيمياويات ومحطات توليد الطاقة ومطاحن الدقيق إلى الصوامع الخرسانية والحديدية والجسور الثابتة والمتحركة.

وكان المشروع الأول توسعة مقام الإمام الرضا (عليه السلام) في خراسان إيران، هذا البناء الذي بناه المأمون بعد أن دفن أباه هارون الرشيد فيه، وبعد ذلك دفن إلى جانب رأسه الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وأصبح هذا المقام مزاراً للشيعة يصل رواده إلى (١٢) مليون زائر سنوياً، ولما كان المقام يضيق بأهله طلبت الحكومة الإيرانية من أهم الشركات الاستشارية الإسكندنافية تقديم حل لذلك فعجزوا عنه وكذلك كبار المهندسين الألمان.

وتقدم «الشهرستاني» متبرعاً لرفع الجدران الأربعة من المقام وترك آلاف الأطنان من القبة الأولى والثانية الذهبية معلقة في الهواء، وبعد أن تم تنفيذه طلبوا من أكبر أساتذة الخرسانة المسلحة في العالم (البرفسور روش) للكشف عليه والاطمئنان على سلامته وعند مشاهدته لما جرى قال بالحرف الواحد: (إن هذا أعظم عمل فني شاهدته في حياتي).

الدكتور السيد «محمد علي الشهرستاني» من مواليد كربلاء سنة ١٩٣٢م، أكمل دراساته العليا في الهندسة الدولية من إنكلترا سنة ١٩٨٧م، وله دراسات حوزوية من مرحلة السطوح إلى مرحلة البحث الخارج.

خبرته في العلوم الهندسية والعمارة الإسلامية:

١. تطوير وحل مشاكل الحجاج في منى (الطرق، السكن، الجمرات، المجزرة).
٢. تنفيذ أكبر الصوامع الخرسانية في العالم في معمل الإسمنت (اب يك) في إيران.
٣. تنفيذ مركز الإمام الخوئي الثقافي في بومبي، وهو مشروع يضاهي (تاج محل).
٤. تصميم وتنفيذ وتوسعة مقام الإمامين الجوادين (□) (رفع العمودين

اللذين يحملان القبتين الشريفتين) بعد إن عجز عدد من الاستشاريين العالميين تنفيذ ذلك.

٥. تسقيف الصحن الحسيني الشريف واستبداله برواق مع جميع الأعمال التزيينية والزخرفية الإسلامية تحت التنفيذ.

٦. مصمم ومنفذ أطول الجسور الحديدية المتحركة في العالم لفتحة حرة طولها ٥١م (في منافسة دولية).

٧. مصمم ومنفذ أكبر الخزانات الحديدية في العالم في السعودية (بعد أن عجزت شركة ارامكو عن تنفيذها).

ذلك هو العالم الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني الرجل الحوزوي والمحاضر الدائم الحضور في المجالس الأدبية والدينية والثقافية في بغداد.

الكفاءات الوطنية تضع البدائل التخطيطية لمدينة كربلاء المقدسة وناحية الحر

تاريخ الخبر: الأحد ٢٣ شوال ١٤٢٨ - ٢٠٠٧/١١/٤



عقد يوم السبت (٢٠٠٧/١١/٣م) على قاعة ضيافة العتبة الحسينية المقدسة مؤتمر برئاسة رئيس المركز العالمي للأبحاث الفنية الدكتور (محمد علي الشهرستاني) حضره عدد من المهندسين والأكاديميين وممثلي المكاتب الحوزوية في المدينة المقدسة. استهل المؤتمر بتلاوة أي من الذكر الحكيم أعقبه حديث للخبير العالمي العراقي الدكتور (محمد علي الشهرستاني) الذي أشار في بدايته إلى المكانة العظيمة التي تحظى بها مدينة كربلاء المقدسة، ودورها التاريخي الديني والحضاري طيلة الحقبة الماضية. ثم تناول بعد ذلك الوضع الفعلي للمدينة وتقسيمها الحضاري وموجبات التخطيط المستقبلي من حيث زيادة عدد السكان والتوسعات التي سوف تطرأ عليها

من توسع في رقعتها والتقدم التكنولوجي إلى جانب التغيرات السياسية والتنبؤات المستقبلية والتأثيرات الإقليمية.

وتابع قائلاً: إنَّ «التخطيط الجديد يجب أن يضع في الحسبان العوامل المؤثرة فيه والتي منها موضوع العتبتين المقدستين وأماكن الجذب الطبيعية والمناطق الحارة في هذه المدينة» مبيناً أنَّ «مدينة كربلاء المقدسة يجب أن يكون لها تخطيطان أحدهما التخطيط العام للمدينة، والآخر التخطيط العقائدي الذي يجب أن يُراعى فيه الشعائر الحسينية والمراسم العاشورائية».

مقدماً بعد ذلك خمسة بدائل تخطيطية لمدينة كربلاء المقدسة واضعاً مميزات ومساوئ كل بديل.

وفي لقاء أجراه موقع (العتبة الحسينية المقدسة) مع الدكتور (محمد علي الشهرستاني) أشار قائلاً: «إنه في العام الماضي أعلنت مديرية التخطيط العمراني التابعة لوزارة البلديات والأشغال العامة مناقصة دولية وعامة لتحديد التخطيط الأساس لمدينة كربلاء المقدسة وقد كان للمركز العالمي للأبحاث الفنية مشاركة بتقديم عطاءاته».

مبيناً «أنَّ المناقصة رست على المركز المذكور وتم توقيع العقد مع المديرية العامة للتخطيط العمراني» وأردف قائلاً: «إنَّ العمل كان على مراحل عديدة حيث كانت المرحلة الأولى تتضمن مهمة جمع المعلومات والبيانات عن طريق الدراسات الميدانية، في حيث تناولت المرحلة الثانية تقويم وتبويب جميع البيانات التي تم جمعها، أما في المرحلة الثالثة فتم تسقيط تلك المعلومات على الخرائط ووضع البدائل المناسبة لها».

وبيَّن الدكتور الشهرستاني: «إنَّ المطلوب من المركز تقديم ثلاثة بدائل إلا أنَّ المركز قام بتقديم خمسة بدائل لأنه وجد حالات أخرى ضرورية موجودة» مشيراً إلى «إنه بعد إكمال المراحل الثلاث الأنفة الذكر أقدمنا على تأسيس جلسات متكررة مع النخب المثقفة في مدينة كربلاء المقدسة للاستئناس بأرائهم».

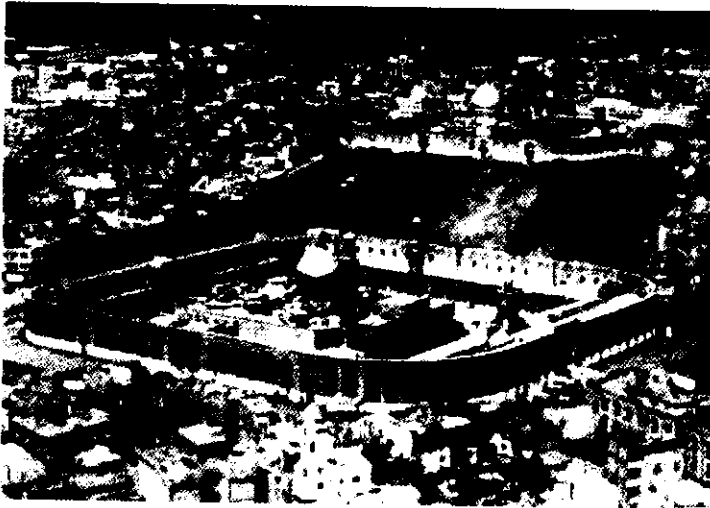
وتابع الشهرستاني حديثه: «إنَّ الجلسة الأولى التي عقدت السبت (٣/١١/٢٠٠٧م)

جمعت ممثلي المكاتب الحوزوية في المدينة المقدسة وذلك لسماع اقتراحاتهم وآرائهم من الناحية الشرعية والاجتماعية وإبداء ملاحظاتهم بهذا الخصوص».

مبيناً أنه «سيتم عقد اجتماع آخر يوم غد الاثنين (٥/١١/٢٠٠٧م) مع محافظ كربلاء المقدسة ومسؤولي دوائر الدولة ورؤساء الأقسام وذوي الاختصاص فيها، ومن ثم سيتم عقد اجتماعات مع التجمعات المدنية والتقابات وغيرها» موضحاً أنه «سيتم جمع الآراء التي يتم تدوينها من خلال الاستبيانات التي نقوم بتوزيعها في الاجتماعات المتكررة ومن ثم يتم فحص نتائج الاستبيانات للخروج بالبديل الأفضل والتي سيعقبها مرحلة إعداد الخرائط التنفيذية التي سيتم إخضاعها للاستفتاء العام، ومن ثم سيتم إرسالها للمديرية وللوزارة للمصادقة عليها ومن ثم سيتم المباشرة بالمشروع».

إعلام العتبة الحسينية المقدسة

اخواني برلمانين منتدى البرلمان العراقي أليت ان اتقل هذا الموضوع لما له من اهمية في نفوس جميع العراقيين أن ما يحصل في كربلاء اليوم هو تسقيف الروضة الحسينية المطهره وبناء قاعات في الطابق الثاني للروضة واحببت ان اسمع وجهة نظركم في هذا الموضوع لاسيما ان كان فيكم من ذوي الخبرة لينير لنا ما يحصل اهو جيد ام غير جيد.



وجهة نظر كتبها: رشيد الخيون

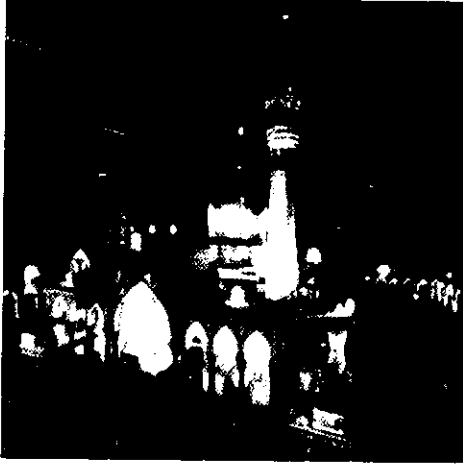
«تسقيف الصحن الحسيني كارثة!» لعلَّ كربلاء والنجف، اللتين أنشأتهما، أو أحيتهما، الأضرحة، أضافتا إلى أسباب نشأة المدن، على ما أورده أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ): «إنَّ المدن تُبنى على الماء والمرعى والمحتطب والحصانة» (الإمتاع والمؤانسة)! لهذا لا معنى للمدينتين بلا مسببات إحيائهما. وإن جرى الحديث عن إعادة تخطيط عمرانهما، فلا يعني سوى تلك المزارات، وما حولها من بقية التفاصيل! تلك مقدمة لأهمية الروضة الحسينية لتاريخ وحاضر كربلاء، وما حصل من كارثة بتسقيف صحنها، هزت المعمار المعروف محمد مكية، وهو يُقلب صور عملية التسقيف. وقد سألتني ماذا ترى؟! قلتُ: ورشة حدادة! قال: «لم يُعتد على يعتصر مكية، والأصلاء من معماري العراق، ألم على ما يضمّر لبغداد ومدن العتبات من تشويه وفوضى! فهل رأيتم صحن مسجد أو ضريح أو دير يُحجب عن السماء بأطنان من الحديد! وما مصير القبة ومنازيتها، وهي تبدو، بعد التسقيف، جسماً مكوراً ملقى على السطح! كان يدلف الزائر من فضاء الصحن، المفتوح إلى السماء، مملوءاً بالطمأنينة التي يبعثها المكان. بينما أخذ يدلف إلى خان، لا إلى روضة ضوءها الشمس وهوؤها الفضاء. تأتها الطيور، المحرمة على الصياد، من ألف عام ويزيد. أما فكر المسقف بإلفتها للمكان! وهي الخائم التي جعلها المخيال الشعبي تطوف حول مذبح الإمام الحسين! جاء في الدليل العراقي الرسمي لعام ١٩٣٦: «يقوم ضريح مُقام الحسين، عليه السلام، وسط صحن عظيم في كربلاء تتلأأ فيه القبة الذهبية مع مئذنتيها الأبريزيتين. أما الصحن فمن أفخم الجوامع في العراق». لا يرى هذا المشهد بعد تحول الصحن المضيء إلى خان معتم، فليس هناك من عازل بينه وبين الطريق، حيث يدلف الزائرون إلى جوف خان. مرَّ على الروضة الحسينية ثنائي عمارات، الأولى بين أن يكون الباني جماعة من بني أسد، حيث دفنوا شهداء الطف، وبين المختار بن عبيد الله الثقفي (قتل ٦٧هـ). أما الثانية فعلى يد عبد الله المأمون (ت ٢١٨هـ)، والثالثة

على يد المنتصر بالله (قتل ٢٤٨هـ)، والرابعة أقامها الداعي الصغير بعد سقوط العمارة السنة ٢٧٣هـ، والخامسة قام بها عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢هـ)، وأقام الصحن الصغير. والسادسة أقيمت بعد حريق الروضة السنة ٤٠٧هـ، والسابعة شيدها الناصر لدين الله (ت ٦٢٢هـ). أما الثامنة فمن فعل السلطان الجلائري العام ٧٦٧هـ، وهي التي شهدها ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، وقال فيها: «على باب الروضة الحُجاب والقُومة، لا يدخل أحد إلا بإذنهم... وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة» (الرحلة). وفي ما بعد حدثت تجديدات قام بها شاهات صفويون وسلاطين عثمانيون. أتيت على هذا التاريخ كي أضع أمام مسؤولي الدولة: أنه لم يفكر أحد بفعلة التسقيف، على مر الأزمان، مثلما فعلت في زمانهم، وما سيسجله التاريخ ضدّهم من نكبة عمرانية! لقد سجّل ضد متصرف كربلاء آنذاك (١٩٤٨) الإساءة لهدم الصحن الصغير، القائم منذ العهد البويهي، ومن قبله ضد من هدم منارة العبد (١٩٣٥)، التي أقامها صاحب جامع مرجان الشهير ببغداد، العام ٧٦٧هـ، وتُعد الثانية قواماً وضخامةً بعد ملوية سامراء. وقد كتب ابن سادن الروضة عبد الجواد الكلیدار (ت ١٩٥٩): «لم يبق لهما من أثر إلا في أعماق النفوس الحريصة على الآثار الفنية القديمة.. وكان لنا أمثالها ولم نُقدرها» (تاريخ كربلاء)! وقال آخر في توسعة الصحن وسبقوها إن شهد تسقيفه: «وربما يُزال كالسيل.. إن بني الصحن على التعديل!» أقول: من غير التسقيف، على الدولة ألا تجامل في أمر عمران مدن العراق، وتمنحها لمؤسسات خيرية إيرانية! ومنها ما لم يرسم خطأ، ولم يضع حجرة في مشاريع إيران العمرانية! أسألوا حوزات إيران ومعماريها: هل يعتمدون تلك الجمعيات لإعمار ديارهم! وهل يوافقون على تحويل عتبات خراسان وقُم إلى خانات! لا تعجبوا، فما يأتي من إيران ما ليس له رواج هناك! لا بد للحكومة وللحوزة الدينية التحرك لتصحيح ما سكنتنا عنه من عبث في الروضة الحسينية، وما سيعبث في المعالم العمرانية الأخرى! ما رأيكم لو حدث التسقيف في العهد السابق، ألا نقيم الدنيا ولا نقعدها! ونعده خراباً لحضارة البلاد، وعبثاً طائفاً بمقدساتها.

ملاحظة: بعد أن تم إنجاز التسقيف أخبرني المرحوم الدكتور محمد علي شهرستاني بأن الدكتور المهندس محمد مكية ومن كان يؤيد وجهة نظره قد تراجعوا عن رأيهم السابق وأقروا بأن العمل عند إنجازه كان ناجحاً وموفقاً. وقد نشر هذا الرأي في جريدة الشرق الاوسط اللندنية عام ٢٠١٠.

العتبة الحسينية هل اصابها ام اخطأت؟

بقلم: سامي جواد كاظم



في العراق مورد سياحي مهم جدا على صعيد السياحة ومنهل روحي وعبادي نقي وصافي على مستوى المراقد المقدسة لما يحتويه من عتبات واضرحة لا يمكن ان تخفى او تجهل مكانتهم في العالم قاطبة. هذه العتبات نالت ما نالت من الاهمال مع التهديم من قبل الطغاة الذين تسلطوا على العراق ومن قبل الارهابيين الذين دفعت بهم دول الجوار ومن على شاكلتها. وبالرغم من ذلك نرى ان هذه العتبات وبظل جهود الخيرين المشرفين عليها بدأت تتنفس الصعداء بعد ان اتاحت لها الفرصة لرفع ركام الماضي وتطوير ما يستحق من تطوير. والامر المائز بين هذه العتبات هو العتبية الحسينية المقدسة حيث لو احصينا الداخلين الى العراق للسياحة الدينية فاننا سنخرج بنتيجة ان للحسين عليه السلام القاسم المشترك لكل الزيارات حيث لا يمكن للزائر ان لا يزور الحسين بل والمكوث في كربلاء اكثر من بقية المحافظات.

هذا الامر يستوجب الالتفات الى كربلاء كمدينة مقدسة من جهة والعتبة الحسينية

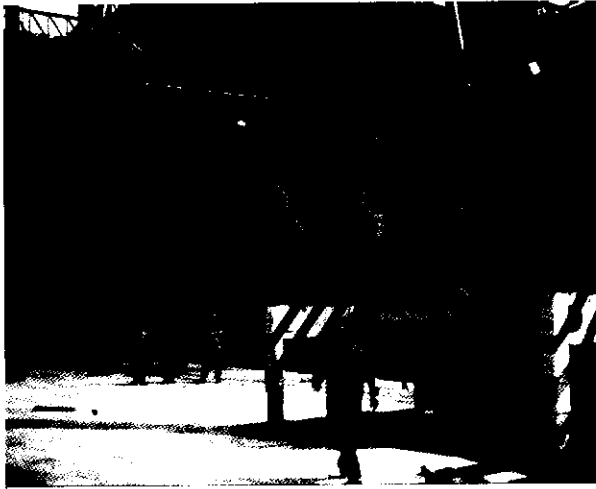
نفسها من جهة اخرى، ومن جملة التطويرات والاستحداثيات التي امتازت بها كربلاء هو مشروع التسقيف الذي لم تقدم عليه ولا عتبة اخرى في العراق فهل اصابت ام اخطأت العتبة الحسينية في ذلك؟! . اخر عمارة للعتبة الحسينية المقدسة كانت في بداية القرن الثامن للهجري ٧٦٧ هـ بنى السلطان أويس بن الحسن الجلائري القبة الداخلية وأحاط المشهد بصحن مسور وبنى الحرم الموجود حالياً، ٧٨٦ هـ بنى السلطان أحمد بن أويس المنارتين وزينهما بالذهب ووسّع الصحن، انتهوا جيداً الى كلمة (ووسع الصحن) .

ولو شك بالعمل الهندسي فكان يمكن لبقية العتبات ان تتجاوز الاخطاء الهندسية وتقوم بتسقيف عتباتها، وهذا لم يحصل اذن هنالك قصور منهم مغلف بالتبريرات الواهية. واما الحديث عن التراث والاثار التي تحتص بها العتبة فهذا امر مرفوض لان العتبة ليست تراث او اثر بل انها منهل روعي عبادي يفرغ به عشاق الحسين عشقهم والاستحداثيات التوسعية اليوم ستصبح انجاز يشار اليه بالبنان غداً. الازدياد الهائل لزوار الامام الحسين (عليه السلام) من داخل العراق ومن خارجه يجعل المرء يقف مذهولاً امام هذه الاعداد التي تستحق ان تنعم بالخدمات التي تناسب وصاحب المرقد.

الحياة تتطور وفي كل اصقاع العالم فلماذا المنع للعتبة وهل نحن ناتي الحسين من اجل قبة ذهبية ام لاجل الراقد تحت القبة الذهبية فان بقينا نتحدث عن القبة والمنائر فاننا نكون قد منحنا الفرصة لمن يقول اننا نعبد القبور وهذا يرفضه الجميع بما فيهم المشكلين على التسقيف. استغربت كثيراً من الدكتور صاحب الحكيم وهو يتحدث عن التطور في الفاتكان وينتقد التطور في العتبة الحسينية لماذا هل هم احق بالتطور منا؟ يقول الدكتور ان القباب في التسقيف تحجب قليلاً من القبة الذهبية وتعجبت من هذا التبرير اقول لو نظر الى القبة من جهة باب القبلة فانك ستري منارة صغيرة عليها ساعة تحجب مساحة من القبة اكبر من المساحة التي تحجبها القباب الصغيرة لو نظرت لها من خارج العتبة. هنالك من طالب باعادة منارة العبد التي هدمت في

بداية القرن العشرين ولو اعيدت الامتنع رؤية القبة عندما تكون بين الناظر والقبة. قلت للسيد الحكيم لقد اجريت استطلاع عن التسقيف فكانت النتيجة ٩٥٪ تؤيد التسقيف فاجابني انهم لا يفهمون، بالله عليكم هل هذه اجابة؟! العجب تطالبون الحفاظ على الاحجار من جهة ومن جهة اخرى تنادون بتطوير الفقه الاسلامي من خلال الغاء بعض الفتاوى التي مصدرها قول المعصوم عليه السلام معتبرينها تخلف.

في زمن الطاغية سن قانون بان لا يمكن بناء عمارة اعلى من المنارة على بعد ١٢٠ متر منها وعليه يمنع على اهالي كربلاء ان تبني ناطحات سحاب مواكبة للتطور العالمي في مجال الاعمار الهندسي، لماذا هل ان كربلاء لا تستحق ذلك؟! انا لا اتحدث عن التطورات الاعمارية والهندسية لبقية المراقدة المقدسة خارج العراق لانها شيء رائع كما وانها لم تواجه اي انتقاد على عكس العتبة الحسينية المقدسة. وانا اجزم لو شاءت الاقدار وجاء من يريد ان يضيف على التسقيف تطوير اخر فان الذين ينددون اليوم سينددون غدا رافضين هذا التطوير باعتبار المساس بالتسقيف. وطالما ان التاريخ ذكر ان احمد بن اويس وسع الصحن فانه سيذكر ان الشيخ الكربلائي سقّف ووسع الصحن نقصد في عهده.



المشروع عبارة عن شقين في آن واحد هما إنشاء الطابق الثاني وتسقيف الصحن الشريف بعد ان عرجت الدماء الى السماء.. وصدر الامر برفع القواعد وتشيد بيت في كربلاء.. كعبة تحج اليها افئدة العارفين وتنهل ماشاءت لزيد سفرها.. تحلق فيه الانفس وتعانق امامها الشهيد.. زحفوا اليه من كل فج عميق رجالا وركبانا لسان حالهم " ابد والله ما ننسى حسيناه " ذلك هو الضريح المقدس لسيد الشهداء (عليه السلام).. ضريح جعل الجليل في تربته الشفاء وقبول الدعاء.. هو ضريح اقض مضاجع الطغاة على مر التاريخ.. فهدم وحرث ونثرت ارضه للزراعة.. وفي زمن قريب رمي بالقذائف والصواريخ محاولين خاب فألمهم ان يطفأوا نور الله بايديهم لكن يابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الظالمون..

واليوم يتسابق القائمون على خدمة هذا الضريح المطهر الزمن لتطوير هذه العتبة المشرفة حيث يجري العمل على قدم وساق لانشاء طابق ثاني لهذه العتبة المقدسة فضلا عن البدء بمشروع التسقيف للصحن الشريف.. من خلال عمل جبار وجهود كبيرة لانجاز هذا المشروع التاريخي.. وللوقوف على تفاصيل هذا الاعمال توجهت مجلة النجف الاشرف نحو كربلاء المقدسة وتجولت بالمرقد الشريف وتتبع الاعمال وكان هذا التحقيق:

النجف الاشرف: ماهو الغرض من مشروع التسقيف وماذا يضيف للروضة الحسينية المقدسة؟

حيث اجابنا عن هذا السؤال سباحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الامين العام للروضة الحسينية بقوله:

مما لا يخفى على الجميع بعد سقوط النظام البائد وتنفس محبي اهل البيت (عليهم السلام) لاجواء الحرية، كيف ان الشعائر العبادية المختلفة قد تصاعدت في تنوعها وحجمها، فهناك الزيارات المليونية في مناسبات متعددة كزيارة الاربعين والنصف من شعبان وعرفة، مضافا الى الزيارات الموسمية الاخرى التي تشهد توافدا بمئات الالاف

من الزائرين، وزيارة ليلة الجمعة الاسبوعية، التي تشهد توافد عشرات الآلاف من الزائرين من مختلف محافظات العراق، اضافة الى توافد الآلاف من الزائرين من خارج العراق، كما اصبح واضحا لدى الجميع ان هذا التوافد الضخم صار يوميا وليس في المواسم المتفرقة خلال السنة، واذا لاحظنا اداء هذه الشعائر الحسينية والعبادية - والبعض منها في كل يوم - في موسمي الشتاء المتصف بالبرودة الشديدة، وموسم الصيف المتصف بالحرارة الشديدة، ادركنا حجم المعاناة التي يعيشها مئات الآلاف بل الملايين من محبي اهل البيت (عليهم السلام) في اداءهم لصلاة الجماعة والجمعة ومراسم الزيارة المستمرة طوال شهور السنة واسابيعها، بل اكثر من ذلك، كل هذه الاسباب دعت المخلصين من خدمة الامام الحسين (عليه السلام) للتفكير بصورة جدية لرفع هذه المعاناة شبه اليومية، وهنا لاسبيل الى ذلك الا بأحد طريقين:

١. اما بنصب الخيم التي تفتح وتغلق بحسب الحاجة، وهذه الآلية غير وافية برفع هذه المعاناة بصورة تامة، اضافة الى عدم تناسبها مع جمالية عمارة العتبة المقدسة.
 ٢. التسقيف الثابت، وهذا يحقق الهدف المطلوب من توفير الاجواء المريحة للزائرين، حيث يمكن تكييف الصحن الشريف بعد تسقيفه بهذا الشكل.
- النجف الاشرف: لكن الا يلغي هذا التصميم الصحن الشريف الذي هو جزء أساسي من التصاميم المعمارية للأضرحة المقدسة؟
- الشيخ عبد المهدي الكربلائي:

نعم يمكن هذا لكن الحل موجود وهو منطقة ما بين الحرمين التي تتميز بفضاء مفتوح ويطل على العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية وبمساحة قدرها (١٥٠٠٠) متر مربع، بالإضافة إلى أنه سيتم مستقبلاً إنشاء صحن كبير يضم العتبتين المقدستين وبمساحة كبيرة لغرض استقبال الأعداد المليونية من الزائرين بعد أن تتم عملية الاستملاك. بطريقة مشابهة للإضافات المسقفة التي دججت المرقد الطاهر للإمام الرضا (عليه السلام) باصحنه الخارجية فضلاً عن التجربة المشابهة التي حدثت في مرقد السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

النجف الاشرف: سماحة الشيخ الجليل هل بالامكان ان تقدم لنا فكرة معينة عن التصاميم الهندسية لمشروع التسقيف المزمع انشاءه في الروضة الحسينية المقدسة؟
الشيخ عبد المهدي الكربلائي:

نظرا للحاجة المتزايدة إلى استحداث وتطوير مؤسسات وأجهزة العتبة الحسينية المقدسة، من قبيل قاعات وأماكن متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والاجتماعية لقد أنجزت دراسة أولية لهذا المشروع، ووضعت اللمسات الأخيرة له تماشياً مع النسيج المعماري للصحن الشريف، وعُهد بالمشروع لأحد الخبراء العالمين العراقيين من خلال الجهة المصممة والمنفذة (شركة الأبحاث الهندسية الدولية) وبكوادر عراقية وطنية صرفة. وقد سبق وأن عمل مصمم المشروع دراسة كاملة وأعد بعض الخرائط المعمارية والإنشائية، لتسقيف الصحن الشريف واستبداله برواق واسع وكبير، يتمكن أن يسع لخمسة أضعاف أو أكثر من الوضع الفعلي الذي يسعه الحرم الحالي لاستقبال الزائرين، والتصاميم جاهزة وكاملة، والتنفيذ جارٍ على قدم وساق. ولذا يعتقد المصمم أن مشروع بناء الطابق الثاني لحجرات الصحن، ومشروع التسقيف الذي أعقبه، هما في الحقيقة مشروعان متداخلان ويكمل بعضهما البعض الآخر، لان المستوى الذي يجب فيه التسقيف هو نهاية الجدار الخارجي للصحن، أي أن تسقيف الطابق الثاني ينضم إلى تسقيف الصحن ليكون سقفاً خارجياً واحداً، ولكن من حيث العناصر الإنشائية والتقسيمات المعمارية والزخرفة الداخلية فهو يشمل جدار السقف في الصحن من الداخل دون المنشآت في الطابق الثاني وبهذا الاعتبار يمكن أن يختلف عما هو عليه في الصحن الشريف، لذا يمكن اعتباره مشروعين منفصلين بعضها عن بعض. كما يمثل النسيج المعماري في المباني الإسلامية وحتى المباني الأخرى، جزء لا يتجزأ من التصميم والتوسعة والترميم، لذا كان على المصمم المعماري أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة، وأن لا تكون تصاميمه بعيدة أو متقاطعة، مع النسيج الموجود، وحتى المواد الأولية يجب أن تكون أما نفس المواد السابقة أو مماثلة لها قدر

الإمكان، ووجدنا ضرورة لأن يكون المهندس المعماري ملماً تماماً بتفاصيل الهندسة المعمارية الإسلامية، وبشيء من المعلومات الإسلامية الأصيلة.

المشاكل والمعوقات

هل واجهتكم مشاكل او معوقات معينة اثناء الاعداد لهذا المشروع الكبير؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

في الحقيقة لما كنا نريد أن نضع طابقاً على طابق، أو نبني قسماً إضافياً إلى أي مبنى قديم كانت عناصره الإنشائية على أصول تختلف مع الأصول والمباني الحديثة، فيجب على المصمم أن يكون ملماً بجميع أبعاد القوى والأحمال وتأثيراتها، وكيفية معالجتها حتى يتمكن أن يتبع نفس الأصول والدراسات والحسابات في القسم الجديد الذي يريد تصميمه أو العمل عليه، وإلا سوف يواجه مشاكل وأخطاراً ربما لا تكون هيئة أو بسيطة. إذ أننا حينها نتكلم عن إضافة طابق أو تسقيف ساحة مفتوحة، يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار جميع العناصر والأقسام التي نحاول أن نحملها أثقالاً جديدة، سواء كانت في الأسس أو في الأعمدة أو الجدران أو السقوف القديمة، ولما كان هذا المشروع تسقيف ساحة مفتوحة بفتحات كبيرة جداً أو إضافة طابق آخر إلى الطابق الأرضي (أي مضاعفة الأحمال) لذا يجب التفكير في الاستفادة من مواد إنشائية مقاومة تماماً وخفيفة إلى حد الإمكان، ومتناسبة مع النسج المعماري المراد تنفيذه، ولا يجوز التفكير في المواد الإنشائية المتداولة، كالطابوق والمواد الإنشائية الأخرى الثقيلة الوزن المعمول بها في الأعمال المتعارفة. من كل هذا كان عمل المصممين والجهة التنفيذية شاقاً جداً لمعالجة هذه المشاكل لكن والحمد لله تم تجاوز العديد منها..

فقد كان بالإمكان تنفيذ وانشاء سقف تقليدي كما في الحرم النبوي الشريف وغيرها من الأماكن الإسلامية لكن اصرارنا على إظهار هذه الكفاءة والتحدي بان الكفاءة الموجودة هنا توازي الكفاءة الغربية ولا تقل عنها شأننا فقد تم إنشاء هذا السقف بدون اي اعمدة رغم السعة الكبيرة في الفتحات الواقعة في الحرم الشريف

والعمل على تجانس النقوش الموضوعة في السقف مع الحرم من قاشاني ليصبح ذو نسيج معماري متجانس وبطبيعة الحال ان النقوش القاشانية ذات سمك كبيرة ووزن ثقيل والحمد لله إلى الآن وبالعبارة الإلهية فقد تحدينا كل المشاكل لهذا المشروع.

النجف الاشرف: مشروع التسقيف يؤدي إلى الغاء وجود الباحة التي هي الصحن وهو عنصر مهم من عناصر العمارة الإسلامية كفي تم التجاوز وملائمة هذا الإشكال؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

الكل يعرف ان هذه المراقد لم تكن منذ البداية على هذه الصورة إنما مرت عليها مراحل عمرانية متعددة حتى تكاملت وصولاً الى هذا الشكل، فيوم بني مرقد الإمام الحسين عليه السلام لم تكن حوله هذه الأروقة وبالذات رواق السيد إبراهيم المجاب وكما يذكر التاريخ ان قبر السيد إبراهيم المجاب كان في الصحن الشريف في فضاء مفتوح ولكن أحد الأمراء جاء وبنى هذا الرواق وكذلك في باقي المراقد نرى هذه الحالة.. والصحن الشريف لم يكن بهذه السعة انما بسبب ادوار مختلفة على مر التاريخ تمت التوسعة التي نراها بالوقت الحاضر، إذن النسيج العام كان عبارة عن مركز مقام يحيط به الصحن الشريف وما جرى في أذهاننا على ان الحرم يوجد داخل صحن فهذا الشيء لا نريد ان نحاربه ولا نريد ان نتركه إنما يمكن بعد تسقيف هذا الصحن الشريف بصورة طبيعية وملزمة إلى من يتولى الأمر بعد ذلك ان يستملك المباني المحيطة بها ويبدلها إلى صحن.

النجف الشرف: هل صادفت عملكم مشكلة معينة وكان حلها اعجزياً؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

العمل كله اعجاز خطوة بخطوة والمصمم هو الإمام الحسين عليه السلام حينما تصعب الأمور وعندما نتوقف عند مشكلة نلوذ به وإذا به يحل لنا القضية على احسن طريقة ممكنة ولهذا كله إعجاز ولست أنا وغيري المصمم المصمم هو الإمام الحسين والإرادة الإلهية فوق كل شيء. هذا هو شعارنا.

فكرة عن معمارية هذا المشروع

وللوقوف عند معمارية هذا المشروع وأهم معالمه النهائية توجهت النجف الاشرف نحو الدكتور محمد علي الشهرستاني مصمم المشروع وتوجهت له بهذا الاسئلة:
النجف الاشرف: ماهي اهم معالم هذا المشروع الكبير وكيف سيكون شكله النهائي؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

تم اعداد دراسات تركز على تسقيف الصحن الشريف وإبقاء هذه المساحات مفتوحة دونها أعمدة وقوائم وسطية، لذا فكرنا كثيرا ودرسنا أكثر المواد الإنشائية الخفيفة الوزن والمقاومة، لتحمل الأثقال في الفتحات الكبيرة، والقابلة لتغطيتها بمواد الزخرفة الإسلامية، فوقع الاختيار في النهاية بعد الدراسة لخيارات أخرى على ألواح Sandwich panel بسماكة ٢٦ سم والقادرة على منع انتقال الحرارة بسمك متر ونصف من الطابوق، حيث يتوسط اللوح مادة (الفلين) العازل بسمك (٢٠٦) سم، ومن حيث الوزن لا يزن المتر المربع منه أكثر من (٢٠٠) كغم، ومن حيث التحمل والمقاومة يتمكن أن يتحمل (٢٠٠) كغم لكل متر مربع من الأوزان الحية، فالحسابات المعمولة لأوزان السقوف (الميتة والحية) هي (٤٠٠) كغم/م^٢ والهيكل الحديدي والعناصر الإنشائية محسوبة على أساس هذه الأحمال، في فتحة بعرض سبعة أمتار، حيث أنها اخف من (الكونكريت) وأكثر مقاومة للعزل الحراري، كما تثبت عليها قطع الكاشي الكربلائي المنقوش والمكتوب عليه كما هو الحال في جدران الصحن الشريف بحيث تتناسب تماما مع النسيج الإسلامي. توضع هذه اللوحات جنبا إلى جنب بدون أن يكون لها انعكاس ظاهري من داخل المبنى على جسور حديدية متينة وخفيفة، في فتحات بين ١٨ إلى ٢٧ متر (يمثل كلا منهما عرض الصحن من الغرب والشرق على التوالي)، ويمكن أن تكون في مواقع معينة حسب الطلب، وتوجد كذلك أقسام متحركة تفتح وتغلق كهربائيا عند الحاجة، وتوجد على جوانب

هذه الجسور شبابيك لإنارة الرواق الحديد بنور الشمس بمجموع ٢٤٠ شباكاً موزعة على (١٤) فتحة تغطيها قباب متحركة، وفوق الجدران العلوية للحرم الفعلي شبابيك زجاجية يمكن من خلالها مشاهدة القبة المباركة. هذه الجسور الحديدية من حيث الدراسات الإنشائية والفنية يستحسن أن تكون ممتدة من على الحائط الخارجي للحرم المبارك إلى الجدار الخارجي للصحن الشريف ومرتكزة على أعمدة تستقر على جدار الحجرات من داخل الصحن، وهذا يؤثر تأثيراً أساسياً من حيث المقاومة، وبالنتيجة تقليل وزن الجسر الحديدي إلى نسبة كبيرة، كما سيتم إن شاء الله وضع ١٤ قبة - بعدد المعصومين (عليه السلام) - متحركة كهربائياً، ويتم التحكم بها آلياً لفتحها عند الضرورة، تتراوح أقطارها (بالمتر) في ١٢٦ القبة النبي (صلى الله عليه وآله) و (٩) لقبتي أمير المؤمنين والسيدة الزهراء (عليها السلام) و (٦) لقبب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الأخرى.

النجف الاشراف: تصميم السقف المعد فيه العديد من الفتحات المتحركة كيف سيتم ترتيبها وماهي الية فتحها وغلقها؟
الدكتور محمد علي الشهرستاني:

في الحقيقة تتخلل هذه السقوف ١٤ قبة كبيرة تتراوح اقطارها من ١٢ م إلى ٦ م وهي بأسماء المعصومين الاربعة عشر، ووتوسط هذه القباب قبة باسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالتحديد في مدخل باب القبلة بقطر متر ١٢ وتوجد على يمينها وشمالها قبتين باسم الامام علي وفاطمة (عليهما السلام) وهما بقطر ٩ متر لكل واحدة منهما وبعد ذلك قبة جانبية للمعصومين ١٢ بقطر ٦ م ما عدا القبة الخلفية التي ستكون باسم الحجة (عليه السلام) ولها خاصية خاصة لإمام زماننا لذا كانت بقطر ٩ متر، حقيقة هذه السقوف سقوف متحركة من الممكن ان تنفتح تماماً وتنغلق عند الحاجة وعند الضرورة والتحكم فيها تحكم كهربائياً وهذا العمل عمل ميكانيكي وتكنولوجي.

النجف الاشراف: هل هنالك شيء شفاف سوف يكون في الصحن بحيث يسهل رؤية القبة الشريفة من قبل الزائر؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

كما تلاحظون في الصورة بان الذي يدخل للصحن بل فوق الجدار الموجود في الحرم هنالك فراغ إلى السقف هذه ستكون من الشبك الزجاجي ولهذا سوف يكون الذي يدخل الصحن الشريف من اي جهة يراه بشكل طبيعي وهذا الزجاجي من النوع العازل للحرارة والتكييف من الداخل موجود والرؤيا موجودة والإنارة أيضاً موجودة.

النجم الاشراف: وماهي مدة التنفيذ المفترضة لانجاز هذا المشروع؟

الدكتور محمد علي الشهرستاني:

الزمن التخميني لتنفيذ المشروعين هي (٣٦) شهراً بإذنه تعالى، حيث أفترض للأول (بناء الطابق الثاني لمنشآت سور الصحن الشريف) ما يقارب (٢٤) شهراً، والذي بوشر في البدء به فعلاً في ٢٠٠٥ / ١١ / ١١ م، والزمن التخميني لتنفيذ المشروع الثاني (تسقيف الصحن الشريف) يستغرق حوالي ستين ونصف منذ بدأ العمل به في ٢٠٠٦ / ٩ / ٥ م.

جهود جبارة للتنفيذ

من جانب اخر التقت مجلة النجم الاشراف المشرف على الشؤون الهندسية في العتبة الحسينية حيث حاوره مراسل المجلة واستفسر عن اهم الاسس التي اعتمدت في تسقيف الحرم الشريف؟
المهندس محمد حسن:

ظهرت الحاجة الماسة لأماكن واسعة لزوار العتبات المقدسة وخاصة الإمام الحسين عليه السلام خصوصاً في المناسبات الكبيرة هو الذي دعى إلى التفكير بجدية في موضوع تسقيف الصحن الشريف لإضافة مساحة تعادل ٧ آلاف متر مربع إلى الحرم الشريف وكما تعلمون ان مساحة الحرم الشريف لا تتجاوز ١٥٠٠ م مربع، كما تم اعتماد الهياكل الحديدية الخفيفة قياساً بالهياكل الكونكريتية نظراً لضعف التربة في

الصحن الشريف بسبب وجود المياه الجوفية اسفل سطح التربة.

النجم الاشرف: ماهو رأيكم بالخبرات التنفيذية خاصة الخطوات الحديثة في

اسلوب العمارة في الروضة الحسينية الغير متداول في البلد؟

المهندس محمد حسن:

ينفذ العمل الميداني بكادر من العمال العراقيين وبشكل موقعي في داخل الصحن الشريف، كما أخذ المنفذ بعين الاعتبار نقطتين رئيسيتين الأولى هي الحصول على بدائل حقيقة لهذا التصميم بدائل غير تقليدية لتنفيذها.. حيث ان المشاريع في العراق مثلا تستخدم الكونكريت المسلح لإنشاء السقوف والجسور والأعمدة هذا يؤدي إلى كلف عالية بالإضافة إلى الوقت الذي يتطلبه القالب. والثانية ان تنفيذ هذا المشروع يجب ان يستمر رغم وجود الزوار فلا يمكن ان نقطع جزء من الصحن او نوقف حركة الزائرين لاجل العمل في باقي التفاصيل الإنشائية كما في الطرق التقليدية ولذلك تم اللجوء بالنسبة للهياكل الحديدية فقط اما باقي النقوش والأقواس والقبب فهي تحاكي النقوش الإسلامية ولا تتعد عن الأوقاس والنقوش الموجودة في الصحن الشريف ولذلك ترى التغليف بالكاشي الكربلائي والأواوين نفسها ونفس الأقواس بالإضافة إلى المرايا التي تكون تحت القبب والكاشي الكربلائي الذي يزين كافة السقوف من الداخل وهذا لا ينافي العمارة الإسلامية ولا ينافي التصميم المعمارية الإسلامية الموجودة داخل الصحن في الحرم الشريف.

النجم الاشرف: ممكن ان نعرف أول تاريخ للمباشرة في هذا المشروع والخطوات

التي اعددت لها؟

المهندس كاظم صالح الأموي:

المشروع عبارة عن شقين في آن واحد هما انشاء الطابق الثاني والتسقيف وقد تم المباشرة في ٥ / ١١ / ٢٠٠٥ في انشاء الطابق الثاني على الجهة الشرقية وهي جهة باب الشهداء وباب قاضي الحاجات.. والتنفيذ الاولي بصورة عامة بالنسبة للطابق الثاني

هو عبارة عن مد جسور كونكريتية موزعة للأحمال على سقف الطابق الأول والذي هو السقف القديم للصحن هذه يتم انشاءها والتي تعتبر الاسس للأعمدة الحديدية او الهيكل الحديدي الذي يمثل الطابق الثاني لان عمل الطابق الثاني عمل متداخل عبارة عن هيكل حديدي وتغليف بالطابوق ثم الاجراءات المتعارف التي هي مثل الكاشي الكربلائي الذي يلائم النسيج الموجود في الطابق الاول فتم صب الجسر ثم خطوات تنفيذ الأعمدة والجسور التي سوف تثبت على هذا الجسر الكونكريتي الذي بدوره يوزع الأحمال على الأعمدة في الطابق الأول التي بدورها تنقل الأحمال إلى الاسس القديمة للروضة الشريف، والعمل متداخل عند بدأ صب الجسر بدأ معه عمل ورشة الحدادين ولا بد من الاشارة هنا ان العمل ينفذ بخبرات عراقية مئة بالمئة.

النجف الاشرف: كيف توفقون بين انجاز العمل وتوافد الزائرين؟

المهندس: كاظم صالح الأموي

هذا سؤال مهم ففي المناسبات الكبيرة نقوم قبل يوم من الزيارة او المناسبة بإدخال مواد العمل والورشة إلى داخل الحرم وفي الجهة الشمالية التي هي جهة باب المودة فترتبها لتجنب مزاحمة الزائرين اما في باقي الايام عند العمل نضطر لوضع حواجز بشكل جادر او حواجز حديدية لمنع الزائرين من التواجد ضمن المنطقة.. ونحرص قدر الامكان في اتمام العمل بأسرع وقت لضمان راحة الزائرين وعدم مضايقتهم وتحقيق الإنسيابية في حركة الزائرين داخل الروضة.

وفي نهاية هذه الجولة قدم مراسل مجلة النجف الاشرف شكره وتقديره للاخوة الذين التقاهم واعطوه جزءا من وقتهم.. سائلا الله ان يوفق الجميع لكل خير.

الى الخيون ومكية تسقيف الصحن الحسيني كارثة عليكم

سامي جواد كاظم

شيء جميل عندما يكتب الكاتب في موضوع معين يتناول نقد او مدح فكرة معينة فيستعين باصحاب الخبرة في مجال هذه الفكرة حتى يدعم مقاله بالايفكار والاراء التي تزيد من متانة طرح الراي والاجمل هو حسن الاختيار لهذه الكفاءة المتخصصة بالفكرة المراد الكتابة عنها والاروع من هذا وذلك عندما يكون راى المتخصص يصب في صلب الفكرة. والشيء التعيس عندما يروم الكاتب الحط من فكرة معينة مستعينا بكفاءة تنحرف عن المقصود من الفكرة والنظر الى بعد لا يرتبط باصل الفكرة ومن ثم ربط انتقاد الفكرة بدوافع كامنة اصلا في صدر الكاتب لا علاقة لها بالموضوع. والاسوء عند الكاتب عندما يستعين بخبرة مشهود لها عند ذوي الاختصاص بحيث لا يمكن لنا مناقشة راياها في اختصاصها. الكاتب رشيد الخيون والكفاءة محمد مكية والموضوع تسقيف الصحن الحسيني الشريف، والمقال نشر في جريدة الشرق الاوسط السعودية ليوم الاربعاء ١١/٣ وموقع صوت العراق لنفس اليوم عنوان المقال (مكية: تسقيف الصحن الحسيني كارثة)، من خلال اقحام الفطحل المعماري مع قوة سلبية العنوان يوحى بمضمون المقال وكان القارئ حكم على التسقيف من خلال عنوان المقال. ولكنني قرأت بدقة ما كتبه هذا الكاتب والذي كثيرا ما كتبت عن شطحاته في كتبه وكتاباتاته لانه يدس بها سموم كما كان معاوية يدس السم في العسل. العيب عندما تكتب بالاستماع الى طرف واحد من غير الطرف الاخر فان

الحكم مهما كان سيكون جائر. نحن لا نشك ولا يمكن لنا ان نشك بخبرة وكفاءة المعماري محمد مكية وعلى الطرف الاخر هنالك معماري عملاق اخر هو السيد محمد علي الشهرستاني وللاول انجازات فللثاني كذلك ولاننا على مقربة وتماس مع مراحل عمل التسقيف في الصحن الحسين الشريف لهذا سيكون لنا كلام يختلف جذريا مع ماورد في المقال. يقول الخيون في مقاله (وما حصل من كارثة بتسقيف صحنها، هزت المعمار المعروف محمد مكية، وهو يُقلب صور عملية التسقيف. وقد سألتني ماذا ترى؟! قلت: ورشة حدادة! قال: «لم يُعتد على عمارة الروضة مثل هذا الاعتداء! بل أجدها فاجعة وإهانة»!). اقول للخيون ومكية ان الصورة التي قلبتها كانت في المرحلة الاولى للتسقيف والان لو اتاحت لكم الفرصة واطلعتم على التسقيف لما رايتم اثر للحديد، واما وصف السيد مكية التسقيف بالكارثة والفاجعة والاهانة فهنا نقف عندها. لنسال الاخ مكية هل انت ضد التسقيف اصلا ام انك ضد طريقة التسقيف؟ فلو كان السؤال الاول والاجابة نعم فالمبررات التي قلتها يا سيد مكية والتي طبل لها الخيون مبررات واهية كثيرا ما ردت من غيرنا ولكن من باب في الاعادة افادة نود الرد فالتراث والاثار تلك تحفظ في اماكن خاصة ياتيها الزائر او السائح للتعرف على تاريخ ولها اوقات دوام خاصة لا يمكن تجاوزها من قبل الزائر، اما ضريح الامام الحسين عليه السلام فهو منهل عقائدي وروحي عبادي دعائي فاذا ما المت بشخص ما لائمة او نائبة فان الملجأ والملاذ هو ضريح الحسين عليه السلام فالعلاقة بيننا وبين صاحب الضريح وليس قبة الضريح فالقبة تبقى وقد تنسف كما هو الحال في سامراء والتي هي الان في طور البناء وكانها ورشة حديد!! فالكلام عن الاجواء الروحانية والنظر الى السماء وشرطها ان تكون بمسافة محددة من الضريح هذا امر عاطفي لا علاقة له بالواقع حيث ان الاخوة لم يطلعوا ولا اقول تجاهلوا الملايين التي تحيي المراسم الحسينية في المناسبات الحسينية والتي تزدحم للدخول الى الحرم تحت السقف مع استحالة الوصول الى الشباك، فاذا ما سقف الصحن وجعل المنطقة المحيطة به هي الصحن الخارجي والمكشوفة للفضاء وبمساحة اوسع بكثير عن الصحن القديم والتي يمكن

لها ان تستوعب هذه الاعداد المليونية الزاحفة صوب الحسين ما الخلل في ذلك؟! .
السير على الاقدام للحج فيه اجر عظيم والاجر على قدر المشقة فلا اعلم من الذي
ادخل علينا خردة من الحديد والبلاستيك مع استخدام الوقود تحت اسم السيارة او
الطيارة او القطار لتمنع عنا الاجر وتلاعب بعواطفنا!!! . في حديث لي مع السيد
صاحب الحكيم والذي له رأي نفس رأي الكاتب ومكية قلت له لماذا لا تنظر الى
العناء الذي يتحملة الزائر من حر او برد وهو يؤدي الصلاة او مراسم الزيارة في
الصحن اجابني ان منظر القبة والمئذنتين منظر رائع وكان الصلاة والدعاء لا تقبل
الا بالنظر اليها، واسترسل بالحديث ليذكر لي زيارته للفاتيكان في ايطاليا وكيف
اذهلته بناية الفاتيكان العملاقة والفن المعماري الحديث وشساعة المساحة قلت له
عجبا تمتدح الفاتيكان واذا ما اردنا التطوير في كربلاء نلام اي قسمة هذه!! ان مسالة
الكارثية والفاجمة تعطي الدليل القوي للوهابية للتكبير بالشيعه انها تعبد القبور ولا
علاقة لها بالله ﷻ ولا اعلم لماذا تحاولون الحفاظ على الاحجار وترفضون التغيير
والتطوير؟ والعكس مع الاحكام الشرعية التي تريدون لها التغيير والتطوير ضارين
عرض الحائط النصوص الداعمة للاحكام. وذكر الخيون في مقاله المراحل التي تطور
اعمار الروضة الحسينية وتوقف منتصف القرن الثامن للهجرة مع الاطناب والمديح
لتلك المراحل، لا اعلم لماذا نقف عند منتصف القرن الثامن ولا نستمر اسوة بما هو
عليه العالم من تطور؟ لماذا هذا الكيل بمكيالين؟ ستجدون الاجابة في نهاية مقال
الخيون وما بها من افرازات كانت غايته نفثها فاستنجد اولا بمكية ليجعل افرازاته
شرعية ولكننا سنرد. وان كان رأي السيد مكية في كيفية التسقيف فكان الاخرى به
ان يوضح الافضل والاصح كما وانه على بعد مسافة قصيرة جدا من صاحب الفكرة
والشرف عليها السيد الشهرستاني في لندن فمقره لا يبعد عن دار مكية بالقرب من
المتحف البريطاني، ناهيك عن اجهزة الاتصال الحديثة والعصرية حيث تستطيع
الاتصال والاستيضاح والرد والنقد، اما استخدام الكارثة والاهانة من غير ادلة
يكون الكلام شعوري لا عقلي. للسيد الشهرستاني عدة انجازات رائعة وناجحة

على غرار مشروع التسقيف في بلدان اخرى يشار لها بالبنان والامتنان. التسقيف هو اضافة وليس هدم فلم يتم تغيير المعالم (التراثية) للبناء القديم، ولو انجز هذا العمل بوقت اسرع مما هو عليه الان وشوهد بعد الانجاز لظهرت الروعة باحلى صورها، واذا ما فكرت ادارة العتبة في الرد على مكية او الخيون فافضل حل هو بناء مشروع اخر اضافة للتسقيف فعندها سيكون التسقيف مبجل وتراث ولا يجوز المساس به والمشروع الجديد كارثة واهانة!!! وختام المقال هو نوايا الخيون التي يريد ان يفصح عنها فقد ذكر (على الدولة ألا تجامل في أمر عمران مدن العراق، وتمنحها المؤسسات خيرية إيرانية! ومنها ما لم يرسم خطأ، ولم يضع حجرة في مشاريع إيران العمرانية! اسألوا حوزات إيران ومعماريها: هل يعتمدون تلك الجمعيات لإعمار ديارهم! وهل يوافقون على تحويل عتبات خراسان وقم إلى خانات! لا تعجبوا، فما يأتي من إيران ما ليس له رواج هناك)، هنا المغالطة عن جهل ام تجاهل فالرد اولى واوجب، يا اخي الخيون لا اعمار في العتبات الايرانية لغير الشركات الايرانية هذا اولا وثانيا من اين لك ان الشركات الخيرية الايرانية هي المشرفة على مشروع التسقيف لماذا هذا الاتهام الباطل؟ وما دخل الحوزات التي تشير اليها فان الاعمار ليس امره بيد الحوزة في العراق، كما وان في مشهد الرضا هنالك عدة صحون ومسقفة وواسعة بحيث لو انك اخطأت وزرت خراسان فانك ستتيه في مشهد الامام الرضا (عليه السلام). نعم قد لا يعلم الاخوة القراء ان لك اكثر من مقال تتكلم فيه عن فكرة معينة ثم تعرج على علماء ومراجع وحكومات شيعية لا هوى يجمعك معها فتنفت سموك وهذا امر مكشوف. ولاحظوا اخواني القراء اخر عبارة قالها الخيون (ما رأيكم لو حدث التسقيف في العهد السابق، ألا نقيم الدنيا ولا نقعدها! ونعده خراباً لحضارة البلاد، وعبثاً طائفاً بمقدساتها!) اقول للخيون لو ان صدام يعلم علم اليقين ان التسقيف هو كارثة لا قدم عليه في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ولكنه يعلم انه تطور واعمار وعليه فهذه المراقذ حسب ادبيات صدام والبعث لا تستحق التطوير بل العكس.

جهود السيد محمد علي الشهرستاني في تسقيف الصحن الحسيني تستحق وقفة

بقلم: سامي جواد كاظم

قد لا نصل الى نتيجة اذا كنا على خلاف بمسألة نظرية مثلاً فقهية تاريخية وقد تكون النتيجة محسومة الا ان احد الاطراف يصر على الدليل المادي فعندها ينتهي النقاش من غير قناعة ونتيجة، ولكن عندما يكون الخلاف على امر محسوس بالحواس الخمسة فخلاف الواقع الملموس يكون الحماقة والجهل بعينه.

وهناك شطط من هنا وهناك يرفض مشروع التسقيف الرائع الذي شيد على الصحن الحسيني الشريف فالحجج الواهية تارة تكون التراث وتارة بخس خبرة السيد الشهرستاني المشرف والقائم على العمل ومن بمعيته من شركته. ولان جهود هذا الرجل حاضرة في كربلاء والكاظمية وسامراء فهذا لا يأتي من فراغ.

ونحن ندخل الى الصحن الحسيني الشريف ظهراً ترشقنا نسائته الباردة فتطفأ حرارة شمس الظهيرة في جسدنا ونرى خطباء المنابر يخطبون وهذا يستمع وذاك يصلي واخر مضطجع وهم يعيشون اجواء الايمان والراحة كل هذا بفضل التسقيف وكلام المخالف خرط القتاد طالما الملموس رائع فلا يعنين الجدل، فلو تجولت الساعة الواحدة ظهراً في كل العتبات المقدسة فانك ستجدها خالية او بعض الزوار الذين يمكن عددهم على عكس الصحن الحسيني الشريف.

اما محاولة النيل من خبرة السيد الشهرستاني فيعد هذا او هن من بيت العنكبوت وشاءت الفرصة ان يتحدث السيد المهندس الشهرستاني عن مشاريعه وبدا حديثه

عن سامراء فجاءت اجابته لمن يعتقد انه لا علاقة له باعمار سامراء فقال عن ذلك: إن العمل في مرقد الإمامين العسكريين (□) ينقسم إلى ثلاث أقسام:

القسم الأول: وهو عبارة عن إعادة ما دمرته يد الإرهاب، وما هدم من المرقدين في القبة والمآذن والأروقة وباقي الأجزاء الأخرى.

القسم الثاني: هي الأعمال التكميلية أو ما يسمى بـ (finishing).

القسم الثالث: التوسعة في المرقد الشريف.

حيث أن القسم الأول وبالعبارة الإلهية، باشرنا به بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٠٨ برفع الركاب من الأقسام المهدامة في البقعة المباركة، وبعد تنظيفه أعددنا المقام لكي يكون مؤهلاً لتوافد الزوار ووضعنا سقفاً بارتفاع أربعة أمتار كي يتمكن العمال والأشخاص الفنيون من العمل في القبة دون التعارض مع دخول وخروج الزائرين وبالفعل بعد أسبوعين من المباشرة بالعمل في أساسات المنارة والقبة كان من الممكن إقامة صلاة الجماعة داخل الحرم الشريف، وإقامة العزاء والمآتم وحيث وصل عدد الزائرين في بعض المناسبات إلى أعداد مليونية، وكل ذلك لم يؤثر في سير العمل بفضل ما قمنا به بتوفيق من الله من سقوف مؤقتة.

أما الأعمال الإنشائية التي ابتدأنا بها في الأروقة، حيث كان كل الركاب تقريباً قد نزلت في الأروقة فنظفنا الأروقة وباشرنا ببناء القباب التي كانت موجودة في الأروقة منذ أربعة أو خمسة أشهر وبعد ذلك بدأنا ببناء القبة بالذات، حيث قمنا بهدم بعض الأجزاء المتبقية منها والمصدعة، ثم أعدنا بناءها بالطابوق إلى فوق الشبايك مباشرة وتحت قوس القبة، ووضعنا حلقة خرسانية بعرض ٣م وبسمك ٧٠سم تحت القبة وبعد ذلك باشرنا بوضع الجسور الحديدية التي رأيتموها للقبة الداخلية، وبعد أتمامنا للقبة الداخلية قمنا بالمباشرة ببناء القبة الخارجية ووضعنا لها الجسور الحديدية وإن شاء الله بعد أسبوع أو أسبوعين سينتهي البناء في القبة المطهرة وكذلك المآذن.

وكذلك باشرنا بالمآذن وتم صب جدران المآذن إلى ما تحت الرقبة، أيضاً القسم

العلوي هو في طور الانتهاء في مدة لا تتجاوز بحول الله شهرا واحدا، هذا الهيكل الخرساني للمرقد بعد ذلك سيتم الانتقال إلى مرحلة تغليف المرقد الشريف بالقاشاني والمرايا والتذهيب وغيرها.

أما الجدار والمناطق المحيطة بالعتبة فقد قامت اللجنة المكلفة بدراسات موسعة والاتصال بالمناشئ التي لها القرار في ذلك.

أما الحديث عن منظمة اليونسكو التي تعد المرجع للخبراء في هذا الشأن فقد أوضح الشهرستاني ان الحكومة ارتأت أن تكون هناك جهة دولية تقوم بالاتصال المباشر لهذا المشروع - أي إعادة البناء - لأن المسألة حساسة جداً، وقد ارتأت تكليف المنظمة أو من ينتمي لها بعمل التصاميم الخاصة بالمشروع، وكما قال لي رئيس منظمة اليونسكو (كنا نحب أن نأخذ من العراقيين، وراجعنا المنظمة في باريس فوجدنا اسمك في ضمن المهندسين الذين يرشحون لمثل هذه الأعمال وقال لي: وجدت أنك الوحيد الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة ولكن مكتبك الآن في لندن وقد أحلت نفسك إلى التقاعد)، فقلت له: نعم ولكنني عدت إلى العمل؛ لأن هذه المسألة تعني كمسلم أكثر من غيري.

أما أنا فقد كُلفت بشكل مباشر من المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف) أن اذهب إلى سامراء وأشرف على مجريات العمل وقدمت اللجنة العليا التي كانت معدة من رئيس الوزراء لنا عرضاً في أن نقوم بالأعمال التصميمية والإنشائية بأنفسنا ونحن رحبنا بذلك، حيث كانت هناك خلفيات لدى اللجنة المشرفة عني، حيث كنت مشرفاً للآثار التاريخية التي كانت تحت إشراف اليونسكو. فقدمت التصاميم الأولية إلى اللجنة وكانت هناك رسالة خاصة من رئاسة الوزراء لي مباشرة كي أباشر وأشرف على العمل بالتعاون مع اللجنة العليا لإعمار المرقد الشريف.

والآن التصاميم والأشرف العام يكون من جانبي أما المباشرة فهي من جانب

اللجنة العليا وبمراقبة الممثل الرسمي لمنظمة اليونسكو، حيث يقوم بتصوير وتوثيق كافة التفاصيل يوماً بيوم، بل ساعة بساعة وإرسالها إلى مقر اللجنة في باريس، حتى إذا كان هنالك شيء من الخطأ أو الاشتباه لا سمح الله يتمكنون من التنبيه إليه، واليونسكو هي منظمة عالمية ثقافية مهتمة بالآثار والتراث ولكن ليس لها أية جهات تنفيذية معينة، فهم لا يمتلكون خبراء في التصميم أو التنفيذ، بل يستفيدون من الخبراء الذين يعملون بجهات أو شركات معينة.

أما الذين يتبحرون بالآثار والتراث فقد أوضح السيد الشهرستاني هذه المسألة بالقول هناك موضوعين، الأول موضوع أن المباني أثرية فعلاً والثاني أن هذه المباني بُنيت لأغراض أخرى، هذه أول مرحلة، ثانياً التقدم العلمي والتكنولوجي.

بالنسبة للقسم الأول أستطيع أن أقول هذا الكلام ينطبق على آثار بابل أو آثار نينوى أو طاق كسرى أو أمثالها فإذا أردنا أن نرممها كونها أثرية يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ما كان يعمل بها وإن لم يكن مقدوراً عليه، يعني الطابوق الذي بُني به عين الأثر قبل أربعة آلاف سنة مثلاً يجب أن نصنع طابوقاً مشابهاً له قدر الإمكان، حتى يُبين الشكل الكلي والعام لأجل أخذ فكرة عامة بأن الأثر نفسه والهدف الذي أنشئ من أجله يبقى نفس الهدف، فإن البناء إذا كان أثرياً فقط، يجب أن يبقى أثرياً ولكن المباني كلها إذا لم تكن بهذه الصورة، صحيح أنها بُنيت بحقب تاريخية قديمة، ولكنها لم تُبن للغرض الأثري، فمثلاً البناء الذي بُني على قبر هارون الرشيد بناه ولده المأمون ودُفن فيه الإمام الرضا عليه السلام، فكانت المسافة قريبة جداً بين الحائط والضريح مما تزامم مرور الأشخاص بشكل كبير لذلك أصبح ملحاً على أهل العقل أن يوسعوا المكان، فزُرع الجدار؛ لأن الجدار أصبح عائقاً أمام الزائرين، في حين كان الجدار في حينه كافياً للمكان.

وفيما كان عدد الزائرين في السنوات الخوالي لا يتعدى الآلاف وأصبح الآن يُعد بالملايين فليس من المنطق أن لا ارفع جداراً أصلاً ليس فيه غرض أثري وإنما هو غرض إنشائي، فالعمل إذا كان إنشائياً جاز لنا تغييره.

القسم الثاني: وهو التقدم التكنولوجي فبالنسبة للقبة كان الجدار بسمك ثلاثة أمتار بين القبة الداخلية والخارجية، الآن الجدار تهدم، فهل من الصحيح أن أعود لنفس البناء أم أنني أستطيع أن أستخدم التكنولوجيا الحديثة مع المحافظة على نفس الطابع والشكل القديم؟ والبقاء على المقومات العامة للفن المعماري والإنشائي الذي بُنيت فيه، هذا من جانب.

من جانب آخر لو أردتُ أن أعيد البناء بالطابوق لأصبح لدينا وزناً يتعدى الـ ٥ آلاف طن، بينما الحديد الذي أنشئ الآن لا يتعدى وزنه الـ ٢٠٠٠ طن، وكذلك مقاومة ما قمنا به ستكون ضعف أو أكثر من ما كان موجوداً من قبل، مع مراعاة إن الموقع حتى لو أُصيب مستقبلاً بقذائف - لا سمح الله - فإنها لا تؤثر في القبة، فهذه الأمور أمور إنشائية وتكنولوجية درست دراسة دقيقة مع مراعاة الجانب المعماري والفني، وسيكون هناك تغليف بنفس الطريقة القديمة من الكاشي الكربلائي والقاشاني والفسيفساء والذهب وغيرها، وهذا لا يمكن أن يكون نفسه، لا بد أن يكون جديداً.

وعن مقدار تعاون العتبة الحسينية مع مشروع بناء المرقدين الشريفين في سامراء تحدث الشهرستاني: تعاون لا يمكن أن تحده الكلمات، فهم الذين باشروا وبدءوا بإزالة الركाम، حيث أنشأوا هيئة عليا من مسؤولي العتبة وتعاونوا في رفع هذا الركام إضافة إلى الدعم المادي والمعنوي الكبير، حيث كانوا السباقين لكل عمل يصب في منفعة و أنجاز المشروع.

هذا القدر اعتقد يعطي فكرة عن ماهية خبرة هذا الرجل في هذا المجال الذي يعد المشرف الاول على اعمال التسقيف وملحقاته من نقوش وصناعة الكاشي الكربلائي وما الى ذلك لوازم.

هل تسقيف العتبة الحسينية قضية سياسية؟!!

هل تسقيف العتبة الحسينية قضية سياسية؟!! بقلم: سامي جواد كاظم المناظرات والحوارات تكون رائعة عندما تستوفي شروطها وتنتهي بنتيجة واهم شيء في المحاور ان يلم بكل تفرعات الموضوع اولا وثانيا عدم التفرع الى مواضيع جانبية حتى لا يبتعد عن اصل الموضوع، وبين هذا وذاك انظر الى ما يقال ولا تنظر الى من يقول. مسألة تسقيف العتبة الحسينية المقدسة وما كتب عنها ادت الى ردود افعال مؤيدة ومنتقدة وهنا لا بد من تحليل الاراء المنتقدة لانها الى الساعة لم يكن ردها بالشافي والوافي. الردود اخذت جانبيين اما تراثي وهو الظاهر او سياسي طائفي وهو الباطن وهذا الباطن لا ياتي من استنباط بل لوجود قرينة تدل عليه ولم اجد رد هندسي معماري واحد، انا لست ضليع بالهندسة المعمارية او المدنية وعليه عندما يكون الرد علمي هندسي فاني ساعرض الرد على اصحاب الاختصاص اما عندما يكون تعليل الرد المنتقد للتسقيف هو التراث والاثار فهنا لنا الكلام. بداية لا يختلف اثنان ان العلوم وجدت لخدمة الانسان ومن ضمنها الهندسة فان جل اهتمام المختصين فيها هو تسخير الخبرة الهندسية لديهم لانشاء مشروع يصب في خدمة الانسان وعدا ذلك خرط القتاد. فلو ابتدأنا بالنقاش عن مشروع التسقيف هل هو في صالح الزائر الكريم ام لا؟ ان كان الجواب نعم فيها، وان كان لا فالشرط ذكر الاسباب حتى نعرف الى اي مدى عقلانيتها، لرب قائل يقول صحيح ان الغاية خدمة الانسان الا ان هنالك بديل لمشروع التسقيف هنا نقول له هات ما لديك حتى يكون ردك علمي، اما ان اكتفي بالقول كارثة او طامة وما الى ذلك من كلمات انشائية لا تغني القارئ قيد شعرة من العلم فهذا كلام شطط. انا لا اتناول على كل من لديه شهادة جامعية بهذا الاختصاص

فكيف اذا كان مثل الخبير محمد مكية ولكن المحتم عليكم هو افهام من لديه اشكال اما الاجابة بالكارثة ولا يجوز النقاش فهذا يرجعنا الى عهد بائد لا يتمناه المرء. ولا نريد ان نكرر ذكر المراحل الاعمارية التي مرت بها العتبة الحسينية المقدسة وكيف كانت هذه المراحل يشار لها بالبنان ولم يتصدى لهم مهندس بالقول ان هذا كارثة. اذا كانوا بالامس عملوا واليوم تراث فالتسقيف غدا سيكون تراث. واما الاعتبارات العرفية نعم العرفية وليست العلمية الا وهي ضرورة وجود صحن يلف حول الحرم فهذه ستبقى كما هي عليه من خلال التوسعة التي ستجعل الصحن الخارجي يحيط بالعتبتين واعتقد مساحته ١٥٠٠٠ متر مربع وعندها يبقى الاعتبار العرفي وان كنت لا التفت اليه ان كان لا يصب في خدمة الانسان. مسالة المشاعر والاحاسيس فانها تاتي من خلال النسق المعماري الذي يكون من سنخ القديم وهذا ما هو عليه التسقيف اما مسالة مشاهدة القبة والمنائر فهل هنالك مسافة محددة لرؤية القبة؟! واذا ما تجاوز الزائر هذه المسافة يكون قد خدشت احاسيسه وطقوسه العبادية بل وقد تعتبر غير مستجابة!!!. والجانب الاخر الموجود طي التراث هو من هي الشركات وما هي جنسياتها؟ وانها تابعة لدولة ايران فان هذا هو الغاية من الانتقاد ولا دخل للهندسة المعمارية والتراث بذلك، والذي اجج هذا الانتقاد هو ان السيد الشهرستاني اثنى على الخبرات الهندسية الشيعية هنا اكرر الشيعية وعلى ما يبدو ان هذه الكلمة تثير حفيظة بعض الناس واذا ما اضيف لها ايران تكون قد فتحت الباب على مصراعيها لانتقاد التسقيف. انا انظر على ارض الواقع في ايام الصيف والشمس الحارة الحارقة ارى الزائرين الكرام وهم يتحاشون الجلوس تحت الفتحات المخصصة للقباب لان اشعة الشمس تحرق رؤوسهم واجسادهم وكذلك في الشتاء فني الايام الماطرة اشاهد الزائرين وهم يتجنبون فتحات القباب لسقوط المطر وتجنبهم لهذه الفتحات هو لوذهم تحت التسقيف، لهذا تجد دوائر خالية من الزوار وسط الصحن وهي المكشوفة للسماء. واحدى انجازات السيد الشهرستاني والذي هو مشرف الان على اعمار العتبة العسكرية في سامراء احدى انجازاته في الكاظمية هو توسيع الممر داخل الحرم من

جهة قدمي الامامين عليهما السلام بطريقة فنية هندسية تحاشى الإضرار بالقبتين من خلال تهديم الجدار السميك داخل الحرم والمستندة عليه القبتين، واخيرا هل يعقل مؤسس ورئيس الشركة العالمية للاستشارات الهندسية الدولية في لندن لا خبرة لها ولا لرئيسها ويسمح لها بمداولة العمل في لندن؟ وبعد كل هذا لا بأس قد تكون هنالك ملاحظات هندسية لا معرفة لي بها بل وحتى لا اناقشها لانها ليست من اختصاصي ولكن المحصلة النهائية التي الامسها هو حجم الارتياح الذي يتنعم به الزائر الكريم وهو يؤدي مراسم الزيارة تحت التسقيف. ولا اخفيكم امر ان السيد الشهرستاني صعب في تقبل الراي الاخر ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول راينا ولكن الراي العلمي وليس التهجمي والاستفزازي. اجريت استطلاع بخصوص التسقيف ومن خارج العتبة الحسينية ومن مختلف المحافظات بل حتى المغتربين العراقيين وكانت النتيجة اكثر من ٩٤٪ تؤيد التسقيف. بتاريخ ١٧ / ١١ / ٢٠٠٦ عقدت ندوة علمية في العتبة الحسينية المقدسة بحضور اساتذة في علمي الهندسة المعمارية والمدنية من جامعة بغداد والكوفة وضيوف من الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية والتكنولوجية بالاضافة الى الاخوة المهندسين العاملين في العتبة مع مهندسين من مجلس اعمار كربلاء وعدد من الدوائر ذات الشأن الهندسي في المحافظة مع طالب عراقي يحضر للدكتوراه في الهندسة من احدى جامعات اوكرانيا، وتمت مناقشة السيد الشهرستاني حول التسقيف وفي مختلف الاشكالات الهندسية.

الفصل الرابع

الحفل التأبيني الذي أقيم في النجف الأشرف

بمناسبة مرور أربعين يوم على رحيل

العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

حفل تأبينني بمناسبة مرور أربعين يوم
على رحيل السيد محمد الشهرستاني في النجف الاشرف الذي
أقامته مؤسسة بحر العلوم الخيرية؛ ومركز النجف للثقافة
والبحوث السبت ٠٢-٠٤-٢٠١١ م

باسمہ تعالیٰ



منهج

الحفل التأبينني بمناسبة مرور أربعين يوم على رحيل
العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

النجف الاشرف ٠١-٠٤-٢٠١١ م الموافق ٠٢ صبح الثامن ١٤٣١ هـ

القرن الكريم .

مقدم الحفل السيد علي بحر العلوم - مركز النجف للثقافة والبحوث .

كلمات العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم .

كلمات الدكتور عبد الرزاق عبد الجليل العيسى - رئيس جامعة الكوفة .

قصيدة شعرية للسيد محمد جمال الدين .

كلمات الدكتور علاء الربيعي - عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة .

قصيدة شعرية للسيد رضا القريني .

كلمات الدكتور محمد مهدي هادي - معاون عميد كلية صدر العراق الجامعة .

قصيدة شعرية لكاتبها الدكتور مهدي العلي - رئيس قسم الدراسات العليا / الجامعة العالمية لندن .

كلمات أسرة التقدير المهندس الدكتور السيد احسان الشهرستاني

تناول طعام المشاء

كلمة سماحة العلامة السيد محمد بحر العلوم بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور السيد الشهرستاني جند كل طاقاته وإمكاناته في سبيل خدمة العقيدة والوطن. إن الشخصية الفذة يبقى صاحبها حيا في ضمير عارفيه، مجسدا في أعماله التي يترك بصماته عليها، وهي تتسلق المجد، ولا تغفو مع الزمن، ولا ترهقها الأيام حتى وإن عادته في كثير من الأحيان. هؤلاء الأشخاص قلائل في مجتمعاتهم، لأنهم حددوا حياتهم للمصلحة العامة، وهم في هذا العالم المترامي الاطراف يصارعون الحياة حلوها ومرها، ويأخذون الدنيا طريقا لاخرتهم، رغم العوائر الزمنية المرغبات والمهثئات منها وليس هذه الخصيصة سهلة المنال، ولا صعبة التحقيق إذا ما اخذ الموضوع بالمعادلة الدقيقة في مقياس الاختيار الصعب ورغم كل ذلك فالنجاح حليفهم في الأغلب لأنهم مخلصون في نياتهم.

السيد الشهرستاني حين التقيناه على طاولة المهجرين والمهاجرين في لندن، كان ابن الخمسينيات من عمره، فقد كان مولده عام ١٩٣٢ ميلادي، وهو من سلالة علمية خاضت غمار المرجعية الدينية والزعامة الاجتماعية في كربلاء المقدسة، لعل بداياتها القرن الحادي عشر الهجري، وكان في مراحل الأولى من حياته الثقافية طالب علم يدرس في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، وحين أكمل قسطا في مسيرته الدراسية الحوزوية، رغب ان يجمع معها دراسة أكاديمية في بغداد وبريطانيا برغبة منه عارمة، متوجها فيها إلى اختصاص الهندسة فبرع فيها بكل جدارة حتى أصبح رائد العمارة الإسلامية بفخر، واستطاع أن يبدع فيها ايما إبداع بحيث انجز فيها ما لم يتوصل إليه الكثير من المهندسين العالميين ك: توسعة

مقام الإمام الرضا (عليه السلام) في مشهد خراسان إيران، ورفع جدران قبة حرمه المطهر، وفي هذا السياق ذاته تصميم وتوسعه حرم الإمامين الجوادين □ في الكاظمية، ورفع العمودين اللذين يحملان القبتين الشريفتين. وكذلك تسقيف الصحن الحسيني الشريف، واستبداله برواق مزين وزخرفة اسلامية. وإعادة أعمار مرقد الإمامين العسكريين □ في سامراء، وانشاء القبة والمنارتين في حرمهما، وبناء المسجد الكبير بطابقين بمساحة ٦٠٠٠ متر. ووضع تصميم لمدينة كربلاء والحرم، وتصميم ثلاث مدن للزائرين في كربلاء، وتنفيذ واحدة منها على طريق كربلاء نجف، ومعظم هذه الاعمال جرت بإشراف ” اليونسكو ” واختياره عضوا فيها وممثلا لها في كثير من الاعمال الهندسية التي نفذت في بعض دول العالم، وهي تدل على عمق افاقه الفكرية، وسعة امكاناته الفنية في تطوير العمارة الإسلامية، ليصبح رائدا فيها، باعتراف المؤسسات العالمية والمتخصصين.

كل ذلك إلى جانب أعماله الهندسية المدنية الكبرى في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا، وغير ذلك مما يطول الحديث عنها، ويشير إلى هذا وأكثر من هذا الكتاب الذي اعد من قبل الأستاذ الدكتور حميد مجيد هدو بعنوان ” السيد محمد علي الشهرستاني رائد العمارة الإسلامية ” والتي ارتأت ادارة « مركز النجف للثقافة والبحوث ” طبعه وتوزيعه في هذا الحفل الارباعي تكريما للفقيد الغالي.

لقد عرفنا المرحوم السيد الشهرستاني في الثمانينات من القرن الماضي يوم نقلتنا الهجرة من الوطن إلى الغربية المرهقة خلال تسلط العهد المباد، وكنت اسمع عنه بما يثير الإعجاب دون ان التقي به، وجمعتنا الغربية، وشدت بيننا الأواصر العراقية الحميمة، وحين اقتضت منا ظروف التغرب العمل الدؤوب بالتخلص من الإعمار المدمر لوطننا الحبيب وهو النظام السلطوي، كنا نبحث على من ينخرط في هذا المسلك معنا على ان يلبس كفته اما عن نفسه او نيابة عن واحد او احاد من ذويه وأهل بيته المقربين استعدادا لظلم الحاكم الطاغى الذي لا يملك اسلوبا يقيه

فيما غنمه من مكسب سلطوي الا بالحديد، او زنزاة الموت.

في هذا المخاض العسير تعرفنا على السيد الشهرستاني وكنت ورفيق المشوار السياسي، المرحوم الشهيد السيد مهدي الحكيم نعمل على تأسيس مشروع يمكن من خلاله ممارسة نشاطنا الديني، والعلمي، والسياسي، والاجتماعي، فقررنا إنشاء مؤسستين نحقق من خلالهما ما نصبو اليه من خدمة العقيدة، والدفاع عن الوطن، وبالفعل تأسس « مركز اهل البيت الإسلامي » تحملت انا مسؤوليته، و« رابطة اهل البيت العالمية » تحمل السيد الشهيد الحكيم مسؤوليتها، ولكل منهما أهدافها، ودواعي تأسيسها، وأخذنا نبحت عن اعضاء لهاتين المؤسستين، فكان السيد المرحوم الشهرستاني من أوائل المستجيبين لنا، بل كان متوهجا عزيمة وعزيمة على العمل في مجالات العقيدة، وصالح الوطن مما كلف الأمر، ولم يك انصهاره معنا في الجو المنعم بالمخاطر في سبيل تحقيق مصلحة دنيوية، سواء اكانت منفعة مادية، أو من اجل غاية شخصية، بل لاحظنا منه تشجيعا بروح مهبذة، وصدقية عالية في تنامي العمل بكل فعالياته مادامت الحرية موفرة للعاملين في ميدان العقيدة غير المخل بأمن البلاد التي استضافتنا، أو الدفاع عن الوطن بما لا يمس الصالح العام بهم.

كان الفقيه السيد الشهرستاني حريصا للغاية ان يظهر وجه العراق الأصيل خلال الفترة القاسية للعهد المباد، وإظهار معاناة شعبه الابي من قسوة وضيم السلطة ودمويتها ووحشيتها الخارقة مع شعب اعزل الا من إيمانه بعقيدته، وإخلاصه لوطنه، ولهذا كان يشارك في الندوات العالمية اين ما يمكن وصوله إليها للدفاع عن شعب العراق وكشف الدمار في النفس والنفس في كل البنى التي يقوم عليها الوطن في مسيرته الحياتية، وخاصة فيما يتعلق بالعتبات المقدسة، فضلا عن الآلاف بل ملايين الضحايا الذين ازهقت أرواحهم ظلما، ولا ذنب لهم إلا رفضهم لنظام فقد كل القيم الإنسانية والأخلاقية. ومن المؤسف ان بعض من وصل إلى سدة الحكم اليوم يتباكى على النظام البائد، ويطالب باسم « المصالحة »

مع السفاكين والموغلين بدماء الشعب المظلوم.

كان السيد الشهرستاني يهتم للشعب العراقي المشرد، ويعمل على تعويض ما فقدته من حياة معرفية بعد تشريده من وطنه وحرمانه من ثقافة التعليم والتربية، فأسس الجامعة العالمية للعلوم التكنولوجية والإسلامية في لندن ومازالت قائمة وتخريج العديد من طلاب الدراسات العليا يحملون شهادة الماجستير والدكتوراه وبعضهم عاد للوطن حاملا شهادتها باعتراز وتقدير، وهذا العمل الثقيفي يؤكد على بعد وسعة آفاق هذه الشخصية الفذة في المجال الفكري.

الحق الحديث عن هذه الشخصية الخلافة يستدعي مجالا واسعا لما عرفته من صدقيته، وما لمست واقعيته لديه من خلال أعماله التي كان لا يبغي من ورائها نفعا ماديا أو مصلحة شخصية، إنما كان عمله لله سبحانه، والأجر يطلبه منه تعالى يوم القيامة، ساعة الحساب.

فقد كان حرصه الأكيد على ان يجسد الحديث النبوي « اذا مات المؤمن انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له، وفي تصوري تجسدت هذه النقاط الثلاث بلطف من الله ورعاية ائمة اهل البيت (عليهم السلام) فيه.

وكنت عازما ان اكرم الراحل السيد الشهرستاني في حياته عندما يتم افتتاح بناية « معهد العلمين للدراسات العليا في النجف الاشرف والذي اشرف على تشييد بنائها، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، وعلى جميل أعماله الكريمة التي عشتها معه يوم التقيت به في أوائل الثمانينات من القرن الماضي، وما هذا الحفل التأبيني الا بعض الواجب، والاعتراف بتعاطفه الصادق في عمله الإسلامي أو الوطني.

وأنا على قناعة تامة بان أولاده على خطى والدهم الراحل، ولن يحيدوا عن إكمال العمل الذي بدأه الفقيد، وخاصة الأخ المهندس الدكتور السيد إحسان فهم خير خلف لخير سلف.

عزائي لهذا الإرث الكريم المتجسد في أولاده، وأسرته، وطلابه، فلهم ولكافة هذه الأسرة العريقة العزاء الوافر، ولعارفي فضله الصبر الجميل من الله سبحانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة رئيس جامعة الكوفة الدكتور عبد الرزاق العيسى

العلامة المجاهد الدكتور السيد محمد بحر العلوم المحترم

السادة العلماء الاعلام المحترمون اصحاب الفضيلة والوجاهة الكرام الحفل

الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لاريب في ان غياب الاعزاء مؤلم للنفس ولكن عزاؤنا في عظيم الفقد وحرقة الذكرى ان المثول الروحي حاضر بيننا لامثال هؤلاء الكبار باخلاقهم واثارهم وانجازاتهم وسيرتهم العطرة الذكر وفقيدنا الذي نجتمع اليوم لاجله ذاكرين ومأبين لذكره يقف على رأس القائمة الطويلة التي نفخر بها في سجل مفاخر العظماء لهذه الامة العظيمة أنه المعماري الرائد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني سليل دوحه العلم والخلق النبيل ﷺ وفي الوقت ذاته الذي أنعى هذه الذكرى اليوم أيها الاخوة الاعزاء خسرتة الاجيال العراقية من ابنائنا الاكاديميين في مجاله ومجالات تخصصه وخبراته التي نحن بأمس الحاجة اليها وذلك نتيجة للسياسات الطائفية الاقصائية التي مارسها النظام السابق المقيت على ابناء الشعب العراقي الكريم الامر الذي أدى الى حرمان جيل بل اجيال كاملة من الاحتكاك بهذه الطاقة العلمية الخلاقة على ان السيد الشهرستاني مثال لسلسلة طويلة من امثاله من العظماء الذين حرم الطلبة والمتعلمون في الجامعات والمؤسسات العراقية من عطائهم التدريسي والعلمي المباشر وعلى الرغم من ذلك كله كان السيد ﷺ يتحين الفرصة لخدمة وطنه ورموز مقدساته علما وعمرانا والشواهد على عبقريته في ذلك كثيرة فهو صاحب الريادة في توسعة الروضة المقدسة للامامين الكاظميين (عليه السلام) أبان النظام

السابق وهو كذلك صاحب الريادة ايضا في اعادة اعمار مرقد الامامين العسكريين في سامراء بعد التطاول الهمجي عليهما بعد سقوط الصنم البعثي وهو كذلك صاحب فكرة التسقيف في المرقد الحسيني المقدس وهناك الكثير والكثير وقد تحدث عنها السيد العلامة بحر العلوم قبل قليل ' فانا لله وانا اليه راجعون وقال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام).

صدق الله العلي العظيم

وفي ختام حديثي لا اقول الا السلام على السيد الشهرستاني يوم خطط ونفذ في خدمة اجداده المعصومين ويوم يبعث حيا ورحمة الله وبركاته.

المعرشون في تلافيف العشق

قصيدة الشاعر السيد مهند جمال الدين

الى روح العلامة المهندس السيد محمد علي الشهرستاني

لم تنطفئُ وولاءٌ منك يشتعلُ
 مَنْ سافروا في رحاب العشق مارحلوا
 من اوقدوا عمرهم صبراً.. طريقهمُ
 الى الخلود... الى وجه السما يصلُ
 سيحملون قناديلاً دموعهمُ
 ويرفضون حياة عاقها الكسلُ
 وأنت في دارة الانوار محضُ هوى
 قد كنته وجعاً ذابت به المقلُ
 من "الحسين" من النبع الذي نهلت
 منه سنينك ما طالت بها السبلُ
 توجتها عملاً تبقى سفينتهُ
 تنجيك في غدها وهداً وتحثفلُ
 وكنت تبحثُ في نهريك عن وطنِ
 يبني ولاءً لتنسى داءها العللُ
 لكن قومك من صاغوا حكايتنا
 لا حرّكوا ساكناً... لا حزننا سألو

نحتاج عمراً جديداً كي نكون لهم
 عمراً تفرد فيه الماء والعسلُ

والعاشقون بطون الأرض تحملهم
 مروا على بابك العلوي وارتحلوا
 اولاء من ركزوا "شعبان" ملحمةً
 وجسدوها ولم يُعرف لهم مثلُ
 هم وحدهم يمنحون الفجرَ أوسمةً
 هم وحدهم انبياءُ العشق والرسل
 وها هي الشمسُ ما جفت أشعتها
 ولا طوتها الليالي وهي تنخذلُ
 كانت هنا وأبو الثوار حملها
 جيلاً فجيلاً الى الآتين تنتقلُ
 وعانقت رافديها وهي من ألم
 تصيحُ: يا سهلُ يا أهوار يا جبلُ
 تلك الشعوبُ التي ضاقت بأدمعنا
 لما سُحقنا وتاهت دوننا الحيلُ
 حتى نسينا جراحَ الأمس فهي بنا
 ضلّت طريقاً وقد أسرى بها الأجلُ
 أعلامُ ثورتنا الكبرى مرفرفةً
 لكل من قطعوا حباً ومن وصلوا

شعت علي "تونس الخضراء" وافترعت
 تحيي النهار وتُفني ليل من ثملوا
 وأيقظت مصرَكي تُجلي "مباركها"
 وتسترّد زماناً كلّه أمل
 وطوقت في "طرابلسٍ معمرها"
 من جُن عقلاً ولم يافل به خَبَلُ
 فخطّ نهجاً علي منوال صاحبنا
 إذ عاش منكسراً لكنه بطل
 ولم يعد "صالحاً صنعاء" تُسمعه:
 ارحل سريعاً فركب الظلم مرتحل
 وهل يَلدّ بنا زادٌ بلا وجع
 وفي "المنامة" جرحٌ ليس يندمل
 أهلك "بحرين" ذنبٌ في عروبتنا
 ما كنت فيها سوى الآهات تقتتل
 غالتك حقداً وقد نامت ضمائرُها
 ولم يعد في ذرى أحسابها خجل
 "لو كنت من مازنٍ لم تُستبح إبلاً
 وأسرعت نحوك الركبان والابل
 وفي "الجزيرة" درعٌ في توجسه
 لم تبقَ روحٌ ولا حسٌّ ولا رجل

أصنامها في رياضِ الجورِ شاخصاً
وحقدها في ظلامِ الأَمسِ متصلُ
لكنها دورةُ الأيامِ دائرةُ
ماذا ستفعل لو جاءتك يا "هبلُ"
فسوف يأتي زمانٌ لا نرى صنماً
يعيش دهرأً وقد يغفوبه الأزلُ

قصيدة الشاعر السيد رضا القزويني

تفرقَ اليومُ في مسراكٍ للاجلِ
 شملُ العلومِ مع الايمانِ والعملِ
 وكان شخصكَ قبلَ اليومِ يجمعُها
 حتى غدوتَ لدينا مضربُ المثلِ
 وعشتَ في الناسِ زهدا في مباحِها
 والنفسُ تواقَّةٌ ترنو الى زحلِ
 كي تبلغَ الذروةَ القصوى لكلِ هدى
 فيما تُخططُ للاهدافِ والسبلِ
 من المشاريعِ في الاعتابِ باهرة
 لأعينِ الخلقِ في الابداعِ والجللِ
 فيما تسخرُ من ذوقِ وهندسةِ
 لكي تقيمُ صروحَ الدينِ والمُثلِ
 فتستطيلُ على الدنيا ببهجتِها
 مشاهدُ الآلِ في فنِّ وفي حُللِ
 مما يليقُ بأهلِ البيتِ أروقةً
 فيها مهابطُ أملاكِ مع الرسلِ

فلا تُضاهي سَنَاهَا أَي شَاهِقَةً
 من المعابدِ فِي الدنْيَا وَمَنْ مِثْلِ
 وَقَدْ عَقَدْتَ شَبَاباً مِنْكَ فِي وَلِهِ
 حَتَّى الْمَشِيبِ لِإِرْسَاهَا بِلَا مَلِيلِ
 وَحِينَ غَادَرْتَهَا قَصِراً حَنَنْتَ لَهَا
 حِنَوَ يَعْقُوبَ فِي وَجْدٍ مَعَ الْوَجَلِ
 عَلَى تَرَاثٍ لِأَهْلِ الْبَيْتِ قَدْ فَتَكَتْ بِهِ
 يَدُ الْبَغْيِ فِي أَحْقَادِهَا الْأُولِ
 فَعُدَّتْ تَعَمَّرُهَا مِمَّا حُيِّتَ بِهِ
 فِي نِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ عِلْمٍ وَمَنْ عَمَلِ
 حَتَّى ثَوِيَتْ كَرِيماً فِي جَوَارِهِمْ
 جَنَّبَ الْحَسِينَ فَأَكْرَمَ ذَاكَ مَنْ نَزَلَ
 وَاحْسَرْتَاهُ أَبَا إِحْسَانَ إِنَّكَ
 لَمْ تَعِشْ لِتَبْلُغْ مَا تَرْجُوهُ مِنْ أَمَلِ
 هَذِهِ دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحَسِينُ غَدَتْ
 بِلَاقِعاً تَتَشَكَّى وَطَاءَةَ الْأَمَلِ
 أَمَا الطَّغَاةُ فَلَمْ يَأْلُوا بِدَوْلَتِهِمْ جَهْداً
 لِتَدْمِيرِ مَا شِدْنَا مِنْ الْقَلِيلِ
 قَتلاً وَسَبِيّاً وَتَشْرِيداً لِأَهْلِهَا
 وَهَدْمُ مَا كَانَ مَعْموراً بِلَا خَجَلِ

حتى تَنْفَسَ هذا الشعبُ في غسقِ
 نسائمِ الفجرِ بالتحرييرِ من هبلِ
 يوماً تخفَى بهِ الطاغِي بحفرتهِ
 فاستبشَرَ الشعبُ بالآتيسِ في عجلِ
 وراحَ يعقدُ آمالاً تخيلَ في أبنائهِ
 الصيدُ من زاكٍ ومنتحلِ
 فنالَ مَنْ خُطِطَ الاعمارُ ما وعدتْ
 خلافةُ السحبِ في رعدِ بلا بلبلِ
 وكنتَ فيمنَ يرى الايامَ سانحةً
 لكي نَعْمُرُ ما قد صابَ من شللِ
 وقد رسمتَ لها في كلِّ ما بلغتْ
 يداكِ موهبةً تشفي مِنَ العليلِ
 لكن أيديكِ لمْ تبلُغْ بما بلغتْ
 آمالكِ الغرُّ الا النزرِ كالوشلِ
 فكانَ ذلكَ إبداعاً ومأثرةً
 تحكي المراقدُ عنها روعةَ العملِ
 أصبتَ علماً وإيماناً ومنزلةً
 وقلماً اجتمعتْ هاتيكِ في رجلِ
 أصابَ بحرُ العلومِ الشهمُ قيمتها
 والبحرُ يُعرَفُ قَدْرَ الدرِّ في الحللِ

فشاد بالامس في ذكراك بالنجف
 الأغر يوم وفاء خير محتفل
 وفي غدٍ وغدٍ تحكي مراقدنا
 آثارك الغر للأجيال والملل
 أما مدينتك الغراء ما برحت تشكوا
 الى الله في صمتٍ من العليل
 فكربلاء كأن الله شاء لها
 صبراً على كل أمرٍ غيرٍ محتمل
 تضيقُ صدرأً بآلام فتكتمها
 ولا تضيقُ من الزوارِ والنزلِ
 أي الحواضر في الدنيا يؤم لها
 عشرون مليوناً من حافٍ ومنتعلٍ
 كالقاصدين مغاني كربلاء قطعت أقصى
 المسافات من سهلٍ ومن جبلٍ
 فتلتقي طرقات عاك الزمان بها
 كأنما هدها الزلال في الازل
 أو أنها من بقايا الكهف خلدها
 أصحابها اثراً يبقى مع الطلل
 أو أنها من بلاد البؤس ليس بها
 نفضٌ يضاهي غناها أعظم الدول

لقد صبرنا على السبع العجافِ عسى
نصحوا بثامنةٍ من غشيةِ المطلِ
تُروى بلاداً فتهدى في مواردها
وكربلاداً تروى بقيةِ الوشلِ
وكان منها عطاءً قد غدا مثلاً
في الانتفاضةِ أرباسها على القليلِ
وقدمتُ شهداءً لم نجدْ لهمُ ذكراً
على ألسنٍ تشدوا بمحتفلِ
تُبنى المشاريعُ في الاطرافِ عاجلةً
أما مشاريع أرضِ الطفِ بالشللِ
خطَّ الفقيدُ الى اعمارها خُططاً
كان النصيبُ لها في سلةِ الهملِ
لكننا اليومَ في ذكرأه في أملِ
كنّا نعيشُ ولا زلنا ولم يزلِ
بأنَّ مستقبلَ الايامِ يوقفنا
إنَّ العراقَ سيجنى لسعةِ النحلِ
إنَّ ألعقونا من السمِّ الزعافِ
فما بعدَ التصبرِ إلا لذةِ العسلِ
وإنَّ راحلنا المبرورِ تغمره
ضيافةٌ لأمير المؤمنين علي

كلمة الدكتور حميد مجيد هدّو

بسم الله الرحمن الرحيم

أحقاً طوتك يد الموت إذ حسبت بك الموت يفنى إنتحارا

هكذا تلبدت في ذهني هذه الفكرة وأنا أستمع الى نعيك فلا أعبي منه إلا أنك رحلت ببدنك بعد أن رسمت للخلود سطرأً لا تمحوه الليالي والايام... سطرأً رسم على ناصية الدنيا بأحرف من المجد كل إنجازاتك - أيها الفقيه العزيز - عبر ما يزيد على عقود ستة من الزمن.

هكذا أنت صرح يشمخ على هامات كل ما يخلد الانسان في ضاحية الدهر، فالعمر عند الخالدين لا يقاس بالسنين والشهور والايام... عشقت من الدنيا المنجزات وكل ماجد رهن عشقه، وعشقت يا أبا إحسان أن تجلو عرائس المجد بقلم الفجر يخط على الدنيا لون ذلك العشق وكأنك أيها الراحل الغائب الحاضر كنت تتمثل فيما تعشق.

وأي عشق أعظم من عشق العمل والابداع والعقيدة.

لم تصرفك مهمّات العمل الهندسي عن الاستغراق في ترجمة فكري الديني فرُححت تخوض غمرات هذا الفكر المجدد والثير حتى لم يبق لدى ناظر إليك شك في أنك متخصص بذلك العلم فكانت الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية الى جانب تلك المشاريع العمرانية والانشائية العملاقة التي عجزت عن تنفيذها عقول لها في الساحة الفنية العملية شأن لا ينكره مُنكر، تُرى هل أنفذت نظرية الحلول والتناسخ رأيها فيما أنجزت مما يتناثر تصنيفه في عالم التخصص والانتماء؟ أم تراني

أعجز عن أن أجيب عن سؤال من يسأل كيف اقترنت علوم العقائد بتخصصاتها وتعريفاتها وماتحملة عُقد الاستنتاج والاستقراء بالعلوم البحتة التي لا تقوم إلا على القوانين الجامدة والتي لا تقبل المناقشة، وإذا كنت قد آمنت سيدي أبا احسان بأن كل علم يفرض نفسه على الساحة فأنَّ إجتماع هذين الميدانين معجزة لا يعدلها إلا إجتماعُ الماء بالنار.

وهل تُرانا نصدق قول علماء التربية بأن التخصص في التوجه العلمي يمثل الدعامة الكبرى في النجاح، فلا محيص لنا من أن نؤمن بأنك قد ركبت متن المعجزة، وأنت قد توشحت النبوغ بمعناه الذي قرره علماء النفس والتربية وهذا ماهو كائن فيك تشهد به منجزاتك المتكاملة في كلا الميدانين.

فمن توسعه الركنين الشرقي والغربي داخل حرم الامامين (عليه السلام) الى تسقيف الصحن الحسيني المشرف، الى إعمار العتبة العسكرية المطهرة بعد أن دمرها الارهاب البغيض الى كل مالم أذكره من المشاريع التي توجت بها أعمالك، وعلى ذلك نجحت كل إنجازاتك فيهما فتقلبت على صعيد العلم الشرعي والمعرفة العقلية ذات المدى الواسع الذي يوصف بالاجتهاد من بلغه وصعيد العلم المادي الذي يلعب فيه دور الابداع والابتكار والوصول من أقصر الطرق فكنت فارس الميدان والمجلى في حلباتها أيضاً.

أيُّ جهبذ أنت حين تهيمن على المجلس أياً كان رواده!! فبين الفقهاء أنت الفقيه وبين الادباء أنت الاديب، وبين المفكرين أنت المفكر، وبين المعماريين أنت سيد الموقف لا يشق لك غبار ولا يبلغ شأوك منه أحد.

ويوم تصل الى ماتريد يقف أهل الفن أمامك صفيين: يحدجانك بأبصار معجبة غابطة، وأخرى حاسدة حاقدة، تقف شامخاً أمامهم ولسان حالك يقول:

وسهام العدا وغيظ الكنود

أنا ترْبُ الندى وربُّ القوافي

سيدي أبا إحسان:

إذا كان موقفي هذا لايسع ذكر حرف مما تمثلت به حياتك فأسمح لي أن اقف مبهوراً بما كنت عليه كما تُبهر الشمسُ عين الارمد فلا يقوى على مقاومتها لانها بذلك تزيده عمىً وتبقى هي ساطعة الضوء لاتشوبها شائبة، ويكفيك فخراً أن الناظر إليك يعجز عن رؤيتك إلا من خلال جسم معتم، وكان الاحرى به ياسيدي أن لايمدُّ نظره إليك بل ينظر الى آثارك ومنجزاتك وماكنتَ عليه عبر ستين عاماً أو تزيد.

أيها السادة المعزّون:

تلك شقشقة هدرت من فم نزعت فيه لواعج الاسى على أمرين أحلاهما مرّ، أولهما أنني قد تأخرت في التعرّف على الراحل الغالي وكان الاجدى بي أن أبحث عنه بين جحافل العباقرة والمجاهدين يوم تشرفت بزيارة مشهد الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقد كان الفقيه قد أنجز مشروعه الخالد لتوه في تصحيح الخطأ المعماري الذي امتد قروناً والذي عجزت عنه كبريات الشركات الهندسية العالمية وما جرّ بعد ذلك من إنجازات فاقت خيال الجهد الهندسي على صعيد عالمي.

أما الثانية فقد تمثلت في تأخري عن إستيعاب هذا الفكر الخلاق المبدع الذي كان يحمله في عقله العجبار، ولو أنني أحمدُ الله تعالى الذي وفقني أخيراً الى توثيق سيرته الذاتية ومسيرته الانجازية سواءً أكانت في الجانب المعماري أم في الجوانب العقائدية والاجتماعية في كتاب رأى النور، ولكن بعد رحيله (رضوان الله عليه). وكل الذي أريد أن أنوه به عن هذا الكتاب اني توخيت فيه الدقة المتناهية في التوثيق مشافهةً وهذا مايكسبه الاهمية المطلوبة لمن يريد بعد ذلك أن يكتب عنه (عليه السلام).

أيها السادة الاماجد:

إن السيد الفقيه لم يخسر برحيله عنّا بل فاز بالخلد في جنات النعيم، ولكن الخاسر الاوحد هي تلك المشاريع التي مازالت وستبقى رهناً بفكره وإبداعه وأخلاصه في العمل.

وإذا كنّا نستغيث الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا صبراً على فقدته فالله نسأل أن

يعوّض هذا الصبر بأن يبعث إلينا بمن يسدّ خَلَّةَ فقدته، ولنا فيمن نخص بالتعزية مندوحةً بأسرته الكريمة وأصدقائه الأوفياء وعارفي فضله، ذلك أن فقدته إبتلاء من الله سبحانه يختبر به صبر الصابرين ممن يهتمهم أمرُ الدين والدنيا.

وعلى الله قصدُ السبيل واليه المرجع والمآب، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دمعة وفاء

إلى روح الأب والمعلم

الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني (طيب الله ثراه)

شعر الدكتور إبراهيم العاتي

عميد الدراسات العليا

الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن)

نَمْ قَرِيرًا فَقَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَا
 رَفَعُوا نَعَشَكَ الْكَرِيمَ مَنَارًا
 وَفَوَادًا يَحْنُو عَلَى كُلِّ نَفْسٍ
 مُذْ تَسَامَيْتَ حِكْمَةً وَجِهَادًا
 لِلْمَعَالِي وَوَسَدُوهُ عِمَادًا
 وَضَمِيرًا إِلَى التُّهَى مُنْقَادًا
 يَا أَبَا الْمَكْرَمَاتِ هَبْنِي بَيَانًا
 مُذْ نَعَاكَ النَّاعِي وَحُزْنِي مُقِيمًا
 شُغِلَ الْأَكْثَرُونَ فِي زُحْرِ الْقَوْلِ
 وَكَذَا الْمُصْلِحُونَ يَفْنُونَ ذَاتًا
 وَجِرَاحِي تَضَاعَفَتْ أَعْدَادًا
 كَمْ تَنَادَى لِلصَّالِحَاتِ وَشَادَا
 وَدَعَّ النَّفْسَ تَسْتَرِيحُ بِأَرْضِ
 وَبَكَتُهُ الْعْيُونَ فَيضًا مِنَ الْعِلْمِ
 لَمْ يَمُتْ مَنْ أَقَامَ لِلْعِلْمِ صِرْحًا
 لِلْبَطُولَاتِ دَكَّتِ الْأَوْتَادَا
 ثَرِيًّا وَكَوْكَبًا وَقَادَا
 يَهَبُ الْخَيْرَ وَالْهُدَى وَالرَّشَادَا
 فَلَقَدْ زَلْزَلَ الْمُصَابُ كِيَانِي
 فَفَقَدَ الْعَامِلُونَ فِيكَ مِثَالًا
 وَاصْطَفَى الْمُتَرْفُونَ أَرْدِيَةَ الدُّنْيَا
 يَتَجَلَّى كِي أَحْسَنَ الْإِنْشَادَا
 وَاكْتَسَى الْأَفْقُ بِالسَّوَادِ حِدَادَا
 وَلِلْفِعْلِ قَدْ وَرَيْتَ الزِّنَادَا

وَأَثَرَتْ فِي الْحَيَاةِ مَعَادَا
 يَا رَبِّيبَ الْعُلَى وَيَا دَوْحَةَ الْفِكْرِ
 لَكَ فِي كُلِّ بُعْعَةٍ مَعْلَمٌ فَذُّ
 وَضَمِيرٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ يَهْفُو
 وَلَالِ النَّبِيِّ عَشْتٌ وَفِيَا
 أَظَلَّتْ فِي فَيْئِهَا الرِّوَادَا
 وَصَرَخٌ يُسَطِّرُ الْأَمْجَادَا
 يَصْطَفِيهَا تَأْمَلًا وَاجْتِهَادَا
 ذَاخِرًا حُبَّهُمْ لِأَخْرَاكَ زَادَا
 كَيْ يَزْفُوا لِغَيْرِهِمْ إِسْعَادَا
 وَمَلَاذَ الْأَجْيَالِ إِنْ ظَلَمَ الدَّرْبُ
 وَيَدُ حُرَّةً إِلَى الْخَيْرِ تَسْعَى
 قَدْ حَبَاكَ الدِّينُ الْحَنِيفُ يَقِينَا
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مَا رَفَّ قَلْبُ
 وَعَزْمًا يَجْلُو الْخُطُوبَ الشَّدَادَا
 فَتُلْقَى مِنْ الْإِلَهِ سَدَادَا
 حِينَ أَخْلَصْتَ لِلِإِلَهِ اعْتِقَادَا
 يَذْرُفُ الدَّمْعَ فِي السَّطُورِ مِدَادَا

كلمة الختام للدكتور المهندس السيد إحسان الشهرستاني نجل الفقيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سماحة العلامة السيد محمد بحر العلوم (دام عزه)

السادة أصحاب السماحة والفضيلة والسيادة المحترمون

الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قبل كل شيء أود ان اتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة بحر العلوم الخيرية ومركز النجف للثقافة والبحوث على هذه المبادرة النبيلة في إقامة الحفل التاييني للفقيه الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رحمته الله وكذلك الحضور الأفاضل سائلاً العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لمراضيه بما أن اجتماعنا في هذا الحفل التاييني لغرض أستعراض بعض رؤى وافكار السيد الفقيه فأود الإشارة الى جانب من هذه الرؤى التي حسب نظري كان لها دورٌ في تكوين شخصية هذا الرجل الكبير. فهو بحق كان تلميذاً للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني طاب ثراه، الذي أدرك بأن أحد أسباب التخلف في المجتمع الإسلامي هو عدم الثقة بالنفس عند المسلمين، وكمثال لمدى تأثير هذا التخلف على المجتمع الإسلامي آنذاك أود الإشارة الى الحادثة المعروفة: أن البدوي عندما شاهد الطائرة تُحلّق فوق رأسه لأول مرة قرأ الآية الكريمة ((أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت)) أستخفافاً بالتعاليم الإسلامية العالية.

فالعلامة هبة الدين باشر بالتصدي لهذا التخلف بوسائل متنوعة وخاصة الفكرية منها حيث أصدر مجلة في ذلك الوقت وأطلق عليها أسم مجلة العلم للأشارة الى أهمية العلم من جانب ولوفرة المصادر العلمية في التراث الإسلامي من جانب آخر. وأعطى أمثلةً قيّمةً في هذا الصدد ولكن لم تكن كافيةً بسبب الحاجة الى التطبيق العملي لهذه الأمثلة.

المشكلة إنّه كل ما قيل لنا لم يكن كافياً ليوضح السبب الرئيسي في كوننا نعاني من التباطؤ في حركة التقدم التقني في يومنا هذا، ونحن نشعر جلياً بهذا الأمر حيث ان المسلمين ومنذ زمن بعيد ليس لهم دورٌ يذكر في آخر مستجدات التقدم التقني الحديث.

وأعني بأن معتنقي الدين الإسلامي لم ينتجوا عملاً فنياً قيماً معتمدين في انتاجه على عقيدتهم، نعم هناك نخبة من المسلمين الذين يعملون في المؤسسات الغربية والذين حققوا منجزات تُذكر مشابهة لمنجزات زملائهم من الغربيين ولكن تجدر الإشارة الى أنّ هؤلاء النخبة من الباحثين كانوا غالباً ما يؤمنون بقيم الثقافة الغربية في تحقيق منجزاتهم ولم يقدم أحدٌ منهم نظرية قيّمة تستند الى التعاليم (المفاهيم) الإسلامية.

السؤال الذي غالباً ما يُطرح هو: اذا كان العلماء المسلمون قدموا في الماضي منجزات قيّمة، فمن المؤكد أنهم قادرون على تقديمها مجدداً.. إذن لماذا لا نشاهدها اليوم؟

إنّ فقيدنا الدكتور الشهرستاني قد شعر بشكل عميق بهذه المسألة، وعرف الأجابة عنها وأعتقد بهذه الأجابة.

المشكلة تكمن كما أشار إليها بوضوح (أثناء خطابه في مؤتمر الفلاسفة (الأفرو- آسيوي) الذي انعقد في القاهرة في نهاية الثمانينات)، قال:

المشكلة هي الانانية في الذات الانسانية

و هو يقصد اذا كنّا نريد ان نكون ناجحين كما كان أسلافنا من قبل، فيجب علينا

ان نتخلى عن نفس الامارة ونربط انفسنا بالقدرة الالهية المطلقة من خلال التمسك بحبل الله المتمثل بخط أهل البيت.

وقد انتهج السيد الفقيه هذا النهج وكان ناجحاً وحقق انجازات لم يستطع تحقيقها حتى المهندسين الغربيين المعاصرين له. هكذا كان ديدنه.

ولا يعدّ هذا النهج من الناحية النظرية استثنائياً وإنما يعد قاعدة حسب التعاليم الاسلامية وقد اشار العلي القدير الى هذا المعنى في القرآن الكريم

((ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)).. الآية ١٣٩ سورة ال

عمران.

رجاء لاحظوا ان الآية بصيغة الحاضر وليس المستقبل أي حينما تكونوا مؤمنين

فأنتم بالتأكيد ستكونون الاعلون.

السيد الفقيه كان دائما يردد ويستفيد من القول المأثور ((يقيني يقيني)).. فهو

كان مؤمناً وكان موقناً.

في هذه العجالة المتوفرة، أود أن أشير الى النظرية الحاصلة من وراء هذه

الحقيقة: كيف يمكن أن يعطي الأيمان لصاحبه المقدرة لإنجاز الأعمال الفنية؟!

لفهم هذه النظرية يجب علينا الرجوع خطوة الى الوراء والتعرف على كيفية

عمل العقل البشري.

ان المدخل لفهم هذه الفكرة هو ان العقل البشري له جانبان من القدرة وليس جانب

واحد، حيث كانت الفكرة التقليدية السائدة لدينا بأن العقل هو مقر الذكاء والتفكير

والمنطق، بينما تكون قلوبنا مقراً للمشاعر وعدم الحيادية والسلوك اللامنطقي.

وهذه الفكرة الخاطئة كانت مبنية على اساس فرضية الاصول المنطقية التي وضعها

أرسطو وسار على خطاها علماء الاسلام. لقد كان من أكبر الأخطاء التي ارتكبوها

هو تأكيدهم على المنطق وتجاهلهم للعواطف، بعد كل هذا أصبحت ثقافة عامة

بين العلماء بأن المنطق هو الذي يحدد الحقيقة وان العواطف لها نزعة شخصية (أو

ذاتية)، يمكن اعتبار هذا الأمر صحيحاً ولكن بفعلهم هذا قد أهملوا نصف الفعاليات التي يمتاز بها العقل البشري. إن التجارب الحديثة التي أجريت على العقل أثبتت حقيقة وهي أن النصف الأيمن من الدماغ له وظيفة مختلفة تماماً عن وظيفة النصف الأيسر. حيث يكون النصف الأيمن مسؤولاً عن الجوانب العاطفية للسلوك البشري بينما يكون النصف الأيسر مسؤولاً عن السلوكيات المنطقية والفكرية. ولكن كلاهما يشكّلان أجزاء العقل ومقومات عملية التفكير البشري.

أود أن أشير هنا الى ثلاث ملاحظات:

١. العقل أو القلب؟

ان الفرق بين العلم والدين هو الفرق بين العقل والقلب. نحن لحد الان لم نكوّن او نكتشف نظرية شاملة توحد بين هذين الجانبين من التفكير البشري لكي تعطي لنا حلاً واحداً يمكن فهمه وادراكه. في الحقيقة، الحكمة هي التوحيد بين عمليتي التفكير المنطقي وبين المشاعر. ومن حسن الحظ، هنالك توجه اليوم نحو معرفة الكثير عن دور اللاوعي في عملية التفكير وهذه الحركة تحاول ان تتخلص من حصر الادراك بالتفكير المنطقي فقط وكذلك تؤيد بأن التفكير الواقعي للإنسان يتشكل من خلال العواطف أيضاً. ان نتائج البحث في العقل بشكل منفصل يمكن أن تُنمّي نموذجاً شاملاً بحيث يمكن للعواطف (ما نطلق عليها بالقلب أو النصف الأيمن من الدماغ) أن ترتبط بشكل صحيح بالفعاليات المنطقية.

٢. ما هي الافتراضات؟

أذا ما نظرنا عن كُتب الى أي بحث علمي، سوف نجد بعض ”الافتراضات” أو ”الفرضيات”، وهذه الافتراضات في الحقيقة ناتجة عن تجربتنا الذاتية، أو من مشاعرنا. فنحن لا نستطيع ان نعثر على أي بحث علمي خال من وجود هذه الافتراضات الذاتية. فعلى سبيل المثال، يكتب اينشتاين في تفسير نظريته النسبية الشهيرة قائلاً:

أن أفكاره الأصلية في هذه النظرية كانت تستند الى فرضيتين:

١- لكل مادة حيثما كانت في الفضاء يوجد لها معدل كثافة لا يساوي صفراً

٢- مقدار حجم الفضاء مستقل عن الزمن

بعد ذلك يستمر لتعليل افكاره على تطور هذه الافتراضات. مجرد نظرة فاحصة ودقيقة لهذه التعاليل سوف تُظهر مدى الأعتماذ على عواطفه او انفعالاته أو عقائده في عمله، حتى الفرضيات المذكورة اعلاه فهي من الواضح افتراضات قابلة للجدل، فعلى سبيل المثال يمكن أن يعترض شخص ما، على أن اينشتاين قد استند في رأيه على استقلالية الفضاء عن الزمن، ويتهني هذا الجدل بتقديم نظرية جديدة تثبت علاقة دائمية بين الفضاء والزمن.

النقطة الرئيسية التي يجب أخذها بنظر الأعتبار هو كوننا بشر فأن اعمالنا العلمية تتأثر بعواطفنا وبجانب اللاوعي من عقولنا. وهذا الأمر لا يقلل من اصالة هذه الأنجازات العلمية لأن اللاوعي هو أيضاً جزء من الدماغ وهو متأثر بأدارة جزء الواعي من الدماغ كما في اعمالنا الفكرية.

٣- يمكن للمشاعر الأنسانية أن تكون أيضاً مصدراً علمياً.

يمكن القول بأن جميع البشر عمليا يستخدمون مشاعرهم في اعمالهم وبعض الأحيان نطلق على هذه المشاعر بـ "الرؤى". ان العلماء العلمانيين يجب ان يعيروا اهتماماً أكثر تجاه معتقدات الأنسان. وفي نفس الوقت يجب على طلاب العلوم الدينية أن يتخلوا عن المخاوف التي تتابهم في اظهار واختبار عقائدهم. في الحقيقة، نحن نرغب في تقديم نظام يساهم في تيسير استخدام مناسب لمشاعر الأنسان ورؤاه في البحث العلمي، هذه النظرة، مستقبلية. ما يمكن ان نقوم به اليوم هو ايجاد نظريات جديدة تستند الى معتقداتنا ونلاقيها مع التجارب العلمية. فاذا ما فشلت لا نتخلي أو نُخطأ المعتقدات ولكن نغير ونُحدث النظرية ونستمر في نفس الوقت.

هنا يمكن أن ندعي بوجود مصدر قوي جداً قد حُرّم منه العالم الغربي، وهو

طاقات مباحة من مصدر الخليقة وهو رب العالمين. ان الأسلام هو صراط مثالي للتفكير العلمي. نحن ندرك اليوم كيف كانت قوة هذا المصدر وكيف تمكن من تحويل عرب الجاهلية الى قادة للعالم أجمع وسادة للمعرفة في عصورهم، فيمكننا ان نُحيي هذه القوة ثانيةً بشكل مساو للتجربة السابقة وربما أفضل.

الخلاصة

لطالما أكد السيد الفقيه نظرياً وتطبيقياً على المفهوم التالي:

من الجلي القول بأن الظروف البيئية المحيطة ككل يمكن أن تؤثر بقسوة على قوة ارادة الباحثين، ولكن هذه الظروف يمكن أن تتغير بقوة إرادتنا أيضاً،

و هو لا يتحقق الا ب ((الارادة المؤكدة)) (كما كان يكرره السيد الفقيه) فقط حينما نؤمن في قرارة انفسنا بقدرتنا على تغيير ظروفنا الحالية ونصبح أكثر انتاجية. هذه الخطوة بارغم من صغرها سوف يكون لها بحق تأثير حجر الدومينو على بقية عناصر المجتمع الأخرى ويمكن لها أن تنتشر سريعاً بين الأفراد والمؤسسات. نحن لا يجب علينا الأنتظار لحين يصبح كلُّ شيءٍ ملائماً للعمل لكي نتحرك، بل على العكس بالضبط، نبدأ التحرك لعمل ما بوسعنا دون أن نغير أدنى اهتمام لنجاح اعمالنا أو فشلها.

يجب أن نكون مفعمين بالأمل والحماس لأن وراءنا طاقة عظيمة لامتناهية وهي العناية الألهية.

شكراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية تقيم حفلاً تأبينياً للفقيه "الشهرستاني" بمناسبة أربعينته

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته التي تركت الأثر البالغ في نفوس محبيه ومجايليه بعد الخدمات التي قدمها للعتبات المقدسة والمرجعية الدينية طوال سنين حياته المباركة، أقامت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المطهرة الأسبوع الماضي، حفلاً تأبينياً واسعاً بمناسبة أربعينية الفقيه الراحل السيد محمد علي الشهرستاني؛ وذلك على قاعة خاتم الأنبياء بالصحن الحسيني الشريف لاستذكار آثاره وتجاربه ووصاياه القيمة التي تركها على الصعيدين العربي والعالمي.

وأولى فقرات حفل التأبين بدأت بقراءة آيات من القرآن الكريم ومن ثم قراءة الحاضرين من الأكاديميين ورجال الدين والمسؤولين في الحكومة المحلية والعتبتين المقدستين؛ سورة الفاتحة ترحماً على روح الفقيه الشهرستاني (رحمه الله) تبعها كلمة الأمانة العامة للعتبة الحسينية المطهرة ومن ثم قراءة قصيدة رثاء بحق شيخ العمارة الإسلامية ألقاها الشاعر الحسيني محمد رضا القزويني وتلاها عرض تسجيل فيديو للفقيه الراحل وهو عبارة عن محاضرة دينية بعنوان (قاعدة اللطف الإلهي)، ومن ثم عرض فلم وثائقي عن حياة ومنجزات السيد الشهرستاني (رحمه الله) ومشاريعه الإنسانية والعمرانية في العتبات المقدسة والدول العربية والأجنبية.

وقال السيد أفضل الشامي نائب الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة: "لا نستطيع التحدث عن رجل قضى أكثر عمره في خدمة المراقد المقدسة للأئمة الأطهار (عليهم السلام)، فقد بدأ نشاطه وهو في عز شبابه ولم يتوقف حتى أواخر أيامه، وكان بالفعل أحد مصاديق حديث الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (كونوا لنا دعاءً صامتين)".

وتابع، "كنا نرى الفقيد (رحمته الله) وهو يتكى على عصاه يجول في الصحن الحسيني ينظر في هذه الزاوية وتلك وكان يعمل على تقديم شيء في هذا المكان الشريف ليكون له ذكراً وخدمة لسيد الشهداء وزائريه، وعمل على تصميم وبناء مسقف الصحن الحسيني الشريف خدمة لزائري المرقد الحسيني صيفاً وشتاء".

وأضاف الشامي، "لقد كان السيد الشهرستاني أول المبادرين للذهاب إلى سامراء وإعادة بناء مرقد الإمامين العسكريين (رحمتهما الله)، فهو لم يبحث عن الشهرة والمادة لغناه عنهما، وإنما فكر في كيفية خدمة مرقد أهل البيت (رحمهم الله) في تلك الظروف الأمنية الحرجة وكان له بالفعل ما أراد ليتم إعادة بناء المرقد الشريف من جديد".

ودعا الشامي في نهاية حديثه بأن "يمنّ على الفقيد الشهرستاني بشفاعته جده المصطفى وآله الأطهار (رحمهم الله)، وأن يوفق الجميع بأن يسيروا قُدماً ويتعلّموا من سيرة الفقيد (رحمته الله) كيفية خدمة أئمة الهدى (رحمهم الله)".

من جانبهم أعرب الحاضرون في الحفل التأييني عن حزنهم وتأسبهم بالفقيد الراحل (رحمته الله) وما قدّمه من خدمات جليلة طوال سني حياته والتي ستبقى شاهداً على عظمته، وإن الأمة الإسلامية والعالم أجمع فقد أحد خيرة الرجال.

وأشار أحد مجاليه وهو الدكتور مصطفى هاشم زيني إلى إن "الفقيد الشهرستاني يعدّ ظاهرة بحدّ ذاته لا يمكن أن تتكرر مرة ثانية"، مثنياً بالوقت نفسه "دور الأمانة العامة للعتبة الحسينية في استذكار السيد محمد علي الشهرستاني وإقامة مثل هذا الحفل التأييني المهيب".

ويذكر ان شيخ العمارة الإسلامية الفقيد الشهرستاني من مواليد كربلاء ١٩٣٢م ودراساته الهندسية كانت في جامعة بغداد (الهندسة المدنية) ودراساته العليا (الدكتوراه) في الهندسة الدولية من انكلترا (جامعة دلر مونده) سنة ١٩٨٧م وله دراسات حوزوية من مرحلة السطوح إلى مرحلة البحث الخارج.

وفي مجال الفنون التشكيلية والعمارة الإسلامية فله خبرة لا تقل عن ٦٠ عاماً، وقام بتنفيذ مشاريع عظيمة تعد الأكبر من نوعها في العالم كالخزانات الحديدية في منى وعرفات وبناء صوامع أكبر معامل الأسمنت في العالم وإقامة أكبر معمل سكر في العالم وجسور حديدية لأوسع الفتحات في العالم.

كما عمل على تطوير صحن الإمام الرضا (عليه السلام) وكذلك بناء مسقف الصحن الحسيني الشريف، وإعادة بناء مرقد العسكريين (عليهم السلام) بعد تهديمه، وله الكثير من المشاريع الإنسانية ومنها مؤسسة خدام أيتام آل محمد لرعاية الأيتام والأرامل في خمس محافظات عراقية منها كربلاء المقدسة.

كلمة للسيد الدكتور المهندس إحسان الشهرستاني نجل
الفقيد في الحفل التابيني الذي أقامته العتبة الحسينية
المقدسة بمناسبة أربعينية الفقيد

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قبل كل شيء أود ان اتقدم بالشكر الجزيل الى القائمين في الروضة الحسينية المباركة وعلى رأسهم سماحة الحجة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي على هذه المبادرة النبيلة في إقامة الحفل التابيني للفقيد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رحمته الله وكذلك الحضور الأفاضل سائلاً العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لمراضيه.

نحن اجتمعنا هنا لتأيين رجل خدم الائمة وكان فخورا بأن يكون خادماً لهم ما كان حياً. فلنتأمل لحظة لنرى بعض الخلفيات الداعية لهذا الرجل العظيم لأتخاذ هذه المصير. فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الذي يدعونا إلى تحمل المتاعب في سبيل خدمة الائمة عليهم السلام وزوارهم وعتباتهم؟

الجواب يكمن في فهم هدف الخلقة. فالهدف من الخلقة كما رسمه الخالق نفسه هو التعبد، كما جاء في الآية الكريمة: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون). فالهدف من كل عملية الخلقة هي ليست إلا التعبد لله جل جلاله. ولكن ما هو التعبد؟ وكيف نعبد الله سبحانه؟ لأن افكارنا أقصر بكثير من استيعاب مفاهيم هذا التعبد.

فالله تعالى يفسر كلامه هذا في محل آخر، حيث قال في الحديث المعروف بالكساء: ((إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً

مضيئه ولا فلكا يدور ولا بحرا يجري إلا في محبة هؤلاء الخمسة)). وكما وضح فيما بعد، هؤلاء الخمسة هم: فاطمة وابوها وبعلمها وبنوها. فالعبودية التي هدف الخلق مرتبطة تماما بمحبة أهل البيت عليهم السلام.

وليس هذا الاستنتاج ببعيد، فيقول الامام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: ((من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم. وقال ايضا: من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله)). فالتعبد للأئمة عليهم السلام هي نفس التعبد لله تعالى كما أراد وفسر هو جل جلاله.

ونرى هدف الخلق في مكان آخر في كتاب الله. ولكن في هذا المكان قد لبست بأعلى نوع من التورية. فاستفاد الله تعالى المتشابهة من الآيات وبما فيها من الاختبار للناس، لبيان أمر مهم ومصيري للناس وهو بيان سبب خلقتهم بشكل أوضح. فالله هو الخالق ويعلم خائفة الأنفس وما تخفي الصدور وهو العالم بمقدرة المنافقين في تغيير مفاهيم الحق وتشويههم الحقيقة. فاستفاد من طريقة سماه هو بالمتشابه لنقل هذه الحقيقة. فما هذه الحقيقة وأين هذه الآية الكريمة؟

الآية ببساطته تقول: ((و وجدك ضالاً فهدى)). فهناك تفاسير عديدة لهذه الآية بدليل غموضه وامكانية حمله على عدة تفاسير. ولكن بما عندنا من القرائن - كما أشرنا إلى بعضها آنفاً، فنأول الآية بأنها تعطي سبباً رئيسياً لخلق الخلق، وهو ضياع مكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند المخلوقات، فخلق الله الخلق بسماءها وأرضها وجبلها وبحارها، لسبب واحد وهو: معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فبداية الخلق كان نور نبينا ونهاية المطاف يكون مدى معرفتنا به وبأهل بيته الاطهار عليهم السلام كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: ((حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبارٌ عنيد ولا شيطانٌ مرِيد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم

وثبات مقامكم وشرف محللكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه.))

فنستنتج بأن عبودية الله يتحقق في عبوديتنا لهم. في كوننا عبدا لهم حقيقةً. وهذا ما نقره فعلا عند استئذان الدخول للحرمين الامامين الهمامين أمير المؤمنين والحسين (عليه السلام). فعند الدخول لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) نقول: ((عبدك وابن عبدك وابن أمتك جاءك مستجيرا بدمتك)). وبهذا نقر بعبوديتنا له من أب وأم. وفي اذن الدخول لحرم أباعبدالله (عليه السلام) نصرح أكثر بأننا فعلا أرقاء لهم وفي طاعتهم تماما. فنقول: ((عبدك وابن عبدك وابن أمتك المقر بالرق والتارك للخلاف عليكم)).

الجدير بالذكر بأن عبوديتنا لله (عليه السلام) عبودية المخلوق الذي ليس لديه أي شيء لله الخالق الباري جل جلاله وعبوديتنا لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) من نوع عبودية الرق الذي لا أمر له لمن هو ولي كل أمره. فيرجى ملاحظة هذا الفرق بين العبوديتين.

ولكن هل نحن واقعا عبيد لأئمتنا؟ هل نعرف ما هو العبيد والرق؟ فالعبيد ليس لديه أي مزية من مزايا الانسانية، بل ليس لديه حرية ولا أرادة ولا قول. فهو تابع لمولاه لا يسبقه بالقول وهو مطيع لأمر مولاه. فالجدير بالذكر أن كلمة الرق في اللغة يعنى ورق فارغ ليس فيه شيء. فالرقيق والعبيد ليس لديهم شيء. كلما عندهم فهو متعلق لمواليهم.

صحيح بأن ظاهرة العبيد لم تكن ممدوحا ونحن نحمدالله تعالى على إلغاء العبودية بيننا، ولكن أنا شخصيا آسف على غياب العبودية، فقط لأنه لم نعد نعرف ما هي العبودية لكي يتسنى لنا التأسى بها لنصبح عبدا لأئمتنا الكرام كما يريدون منا أن نكون.

فهنا أود الإشارة إلى معلومة مهمة قد غاب عن كثير من أعيننا. صحيح بأننا المؤمنون المتدينون الزائرون لقبور أئمتنا بكل احترام، ولكن هل يمكن أن نكون بغير ما يريدون؟ والجواب مع كثير الأسف هو نعم. فأعطيك أمثلة قليلة عن هذه الحقيقة.

قال امامنا وقائدنا الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام في جواب اسئلة من الشيعة: ((لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون)) وبعد هذه العبارات يعطينا كيفية زيارته المعروف بـ ((آل ياسين)). رجاء لاحظوا أن الإمام يخاطب جمع من شيعته الذين يحبون زيارته ويعلم أنهم سيزورونه بهذه الزيارة الجميلة. ولكن في نفس الوقت، ينذرنا بأننا لا نسمع الى كلامهم ولا نعقل لما أراد الله.

في مثال الثاني نقرأ في دعاء الندبة: ((وجعلته للمؤمنين منا اماماً)). فالامام صاحب الزمان ليس إماماً لكل من يقرأ دعاء الندبة أو لكل الشيعة كما هو عصمة وملاذ لهم. بل هناك تخصيص، فهو أمامٌ للمؤمنين منا فقط. وبالتأكيد هذا التخصص يعني كثيراً لمواضعنا نحن الشيعة الموالين للإمام صاحب الزمان عليه السلام، فليتذكر العاقلون. فأنا شخصياً أعتقد غياب مكان قبر فاطمة الزهراء عليها السلام حتى منا الشيعة هو ليس إلا عدم احتفاظنا لما يجب أن نكون.

و في دعاء المعروف بدعاء زمن الغيبة الذي يبدأ بـ ((اللهم عرفني نفسك)) نقرأ شيئاً يخوفنا جداً. فهذا الدعاء، لخاص الخواص. الذين يريدون أن يذعنوا بخضوعهم وخشوعهم للإمام عليه السلام في ظروف الصعبة في آخر الزمان. ولكن الامام يحذرنا في آخره قائلاً: ((اللهم لا تجعلني من خصماء آل محمد عليه السلام ولا تجعلني من أعداء آل محمد عليه السلام ولا تجعلني من اهل الحق والغيظ على آل محمد عليه السلام)) فالنفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي. فنستعيد بالله سبحانه بأن لا يكلنا على أنفسنا طرفة عين أبداً وكذلك لا يفرق بيننا وبين أئمتنا طرفة عين أبداً. فخدمة أئمتنا لا يعطينا العصمة ولا يمنعنا بأن نتبع هوى أنفسنا. فنستجير بالله من ذلك.

ولكن طوبى لمن يعلم من هو ولمن يخدم. فنحن عبيد الموالين الذين جهم يعتبر هدف للخلفة. فطوبى لمن يخدم هذه العتبات وطوبى لمن يعرفهم حق معرفتهم وطوبى لمن يحترمهم حق احترامهم فقبورهم في القبور وأرواحهم في الأرواح. ففي الختام أحب أن أعلن أن أعمال التطور في الروضة الحسينية كما في باقي

الروضات لم تنتهي بوفات الدكتور الشهرستاني، فعلمه باق ونحن قادرين على تنفيذ بعض مشاريعه الأخرى الذي كان يُود أن يوفّق لإنجازها، كبناء قبة كبيرة فوق هذه القبة أو رفع القبة الحاضرة ومشروع تصغير الأعمدة حول الضريح الشريف وبالذات الذي يقع بين القبر الشريف وقبر حبيب ابن مظاهر. فالأمر عندكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تقيم مجلس الفاتحة

على روح الاستاذ الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

بتاريخ: الإثنين ٠٧-٠٣-٢٠١١م الموافق ٠٦:٥٤ مساء

تكريماً للجهود القيمة والعطاء المشرف في خدمة أهل البيت عليهم السلام والعتبات المقدسة، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة في رحاب الصحن الكاظمي الشريف (صحن التوسعة الجديد) مجلس الفاتحة على روح خادم العتبات المقدسة الدكتور المهندس السيد (محمد علي الشهرستاني)

وحضر مجلس الفاتحة أسرة الفقيد والأستاذ الحاج (فاضل الانباري) الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة وأعضاء مجلس الإدارة وخدمة الامامين الجوادين عليهم السلام كما شهد مجلس الفاتحة توافد جموع غفيرة من المعزين والشخصيات الدينية والعلمية والسياسية والأمنية وشيوخ العشائر والوجهاء، والتي أعربت عن بالغ حزنها لفقد احد رجالات العراق ورائد من رواد العمارة الإسلامية.

الفصل الخامس

(أصدقاء الرحيل)

ما كتب عن الدكتور محمد علي الشهرستاني بعد وفاته
في الصحف والمجلات والمجالس

مدفنه في كربلاء

محمد علي الشهرستاني (١٣٥١هـ / ١٤٣٢ هـ)

العلامة الدكتور المهندس السيد محمد علي ابن السيد محمد صالح ابن السيد مرزا علي ابن السيد صالح بن السيد محمد حسين ابن السيد محمد مهدي ابن ابي القاسم ابن مرزا روح الله بن جلال الدين الحسن بن مرزا رفيع الدين محمد الصدر ابن جلال الدين محمد (ابو الفتوح) ابن صدر الدين المشهور بـ ميرزا سيد الشهرستاني . ويستمر نسبه حتى يصل الى السيد موسى ابي سبحة ابن السيد ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم . ويعتد المرحوم الشهرستاني من كبار المهندسين المعماريين في العالم وقد ساهم في تصميم وتنفيذ مشاريع عمرانية وانشائية كبيرة وبخاصة في تعمير العتبات المقدسة في ايران والعراق منها :

انشاء الطابق الثاني لصحن الامام الحسين وتصميم وتنفيذ تسقيف الصحن الحسيني الشاخص اليوم وكذلك اعادة اعمار روضة الامامين العسكريين في سامراء بعد الحادث الاجرامي في تفجيرها وهدمها وكذلك تصميم وتنفيذ بناء الصحن الجديد الذي اطلق عليه صحن الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (تذُّ) والذي يقع في الجهة الشمالية من صحن الامامين الكاظمين وهو قيد الانجاز الان .. ومشروع توسعة الروضة الكاظمية المقدسة ومشهد الامام الرضا (عليه السلام) وتصميم وتنفيذ مركز الامام الخوئي في بومبي بالهند الذي يضاها تاج محل .

ومن مشاريعه ايضا تاسيس الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في لندن وغيرها من المشاريع الخدمية والعمرانية التي لا يتسع المجال هنا لذكرها وقد تضمنها الكتاب الذي صدر بعنوان (محمد علي الشهرستاني رائد العمارة الاسلامية) معزراً بالصور

والوثائق من تأليف الفقير الى الله الدكتور حميد مجيد هدو.
 رحل الى بارئه بعد عمر حافل بالاعمال الجهادية الاسلامية الفكرية والمعمارية
 والتربوية والاجتماعية والخيرية.. وقد كتبت هذه الترجمة وكتابنا هذا قد تم انجازه
 فأعدنا تصميمه وادخلنا هذه المادة في الكتاب في اليوم نفسه الذي رحل به عنا ..
 توفي في احدى مستشفيات طهران بعد اجراء عملية جراحية له ونقل في اليوم الثاني
 الى العراق وشيخ تشيعاً حافلاً في الكاظمية وسامراء والنجف واخيراً في كربلاء
 حيث دفن في مقبرة الاسرة الى جانب جده لأمه السيد ابراهيم الشهرستاني مدخل
 باب السدرة في الجانب الشمالي من الصحن وكانت وفاته يوم الاثنين ٢٤ ربيع الاول
 ١٤٣٢هـ، ٢٨/٢/٢٠١١.

مجالس الفاتحة على روحه الطاهرة

انعقد أكثر من مجلس فاتحة في عددٍ من البلدان منها:

- * مجلس الفاتحة الذي أقامته أسرة الفقيد في كربلاء لمدة ثلاثة أيام.
- * مجلس الفاتحة الذي أقامه ساحة الحجة السيد جواد الشهرستاني في قم المقدسة.
- * مجلس الفاتحة الذي أقامته الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في لندن.
- * مجلس الفاتحة الذي أقيم في طهران.
- * مجلس الفاتحة الذي أقامته مؤسسة الامام الخوئي في لندن.
- * مجلس الفاتحة الذي أقامته الامانة العامة للعبة الكاظمية المقدسة في الصحن الجديد.
- * مجلس الفاتحة الذي أقامته مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية.
- وهناك مجالس تأبين أخرى انعقدت في عددٍ من البلدان في العالم.

قالوا فيه

* " أنت عدة رجال في رجل واحد، وأنا مقصّر لأنني لم أكتب عنك للآن "

(ساحة العلامة الحجة السيد مرتضى العسكري ٢٠٠٤م)

* " الشهرستاني عبقرى الأعمار "

(العلامة الدكتور حسين علي محفوظ)

* " لقد كان الفقيه محمد علي الشهرستاني عاملاً مخلصاً في ميادين التربية والتعليم والثقافة الإسلامية والعمل الإسلامي. أهداف إلى خدمة قضايا الأمة؛ وتحقيق نهضتها الحضارية المرتجاة؛ وسيظل اسمه منقوشاً في سجل العلماء الدعاة الصادقين المخلصين الذين قدموا جليل الخدمات للإسلام والمسلمين... "

(الدكتور عبد العزيز التويجيري ٢٠١١م (الرباط - لندن)

المدير العام لمنظمة الأسيكو - الأمين العام لاتحاد جامعات العالم الإسلامي

* " فقدناه عاملاً مخلصاً وفقدته خسارة للإسلام والعراق وللمدرسة أهل البيت (عليه السلام) "

ساحة الحجة الشيخ محمد باقر الناصري ٢٠١١م

* " سخر كل حياته وطاقاته في سبيل خدمة الإسلام ومذهب أهل البيت (عليه السلام) وقد حمل الإسلام عقيدة ورسالة امتزجت بروحه ووجدانه... "

الشيخ حسن علي التركي

مدير مجلس الثقافة والاعلام الإسلامي وإمام الجمعة والجماعة في مؤسسة دار الإسلام - لندن

* " ان العطاء الذي قدمه الدكتور الشهرستاني سيبقى رافداً للأجيال القادمة بتأجتها

الزاخرة بالعطاء... "

الدكتور عادل عبد المهدي - نائب رئيس جمهورية العراق ٢٠١١م

* " اتسم الفقيه الشهرستاني بدقته في التفكير والتخطيط والعزم الشديد والمثابرة القوية... "

ساحة الدكتور السيد فاضل الميلاني - لندن ٢٠١١م

* " كان الراحل العزيز أحد القمم العلمية والأصاحية عند المسلمين في العصر الحديث... "

الدكتور إبراهيم العاتي - لندن ٢٠١١م

نشرت جريدة المواطن البغدادية التي يصدرها الدكتور السيد إبراهيم بحر العلوم الوزير النفط العراقي الاسبق الكلمة الآتية بعد يومين من الاحتفال التأبيني:

أقيم في مدينة النجف حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يوم على رحيل العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني بحضور كبير من مكاتب المرجعيات والعتبات المقدسة في النجف و كربلاء والكاظمية ومن المثقفين والأكاديميين.

مؤسسة بحر العلوم الخيرية ومركز النجف للثقافة والبحوث أقاما الحفل تكريما واحتراما لشخصية الشهرستاني الذي بذل نصف قرن من عمره في سبيل الوطن.

العلامة السيد محمد بحر العلوم أكد لجريدة "المواطن" لعلنا نفي بعض ما رأيناه من الفقيه الراحل العلامة السيد محمد الشهرستاني رائد العمارة الإسلامية بالمواقف سوى كان في سبيل العقيدة او خدمة الوطن العراقي في المهجر فانه شارك في كل المواقف التي كانت تقف فيها المعارضة بالإضافة إلى المواضيع الدينية التي كنا بحاجة إلى نشرها بصورة تنسجم مع بلاد الغربة" مضيفا " الحفل الذي أقمناه هو بعض الواجب والوفاء لهذه الشخصية الكريمة التي ضحت بكل ما تستطيع من اجل الوطن والشعب العراقي"

فيما أكد الدكتور ابراهيم بحر العلوم الوزير السابق للنفط لـ "المواطن" ان " استذكار احد الشخصيات العراقية البارزة العلامة الدكتور السيد الشهرستاني رائد العمارة الإسلامية ويعتبر من الأوائل في هذا الميدان وبالتالي كان يفترض ان يكون تكريم له من قبل معهد العلمين للدراسات العليا ولكن رحل الى باربه الأعظم وترك بصمات واضحة في اغلب منطقة الشرق الأوسط وأوربا من خلال أعماله المعمارية والمدنية الكبيرة التي نفتخر بها اليوم إضافة إلى أعماله الثقافية والاجتماعية" مبينا " من أعماله الثقافية الكبرى هو الجامعة العالمية الإسلامية التي تأسست في لندن في التسعينيات من القرن الماضي وتخرج منها مئات من

الطلبة في مختلف الاختصاصات الإنسانية وكذلك خدماته الجليلة للعتبات المقدسة وتحديدًا بالنسبة للحرم الكاظميين والحضرة العباسية والحسينية وحرم العسكريين“.

وأشار بحر العلوم إلى أن ” الشهرستاني يعتبر ممثل منظمة اليونسكو العالمية ومن الشخصيات التي يتحدث عنها الغرب بإمكانياتها الفنية والمعمارية إضافة إلى إمكانياتها الثقافية وهو سليل الأسرة الشهرستاني الأسرة الكربلائية التي عرفت بعلمائها وكتابها“

ولفت إلى أن ” اليوم هو استذكار وجزء من الوفاء لهذه الشخصية التي بذلت قرابة نصف قرن من الزمن في المنفى تقدم للوطن وتقدم للعراقيين والأمة الإسلامية ما تستطيع تقديمه نتذكر في هذه المناسبة الأعمال التي قام بها دفاعاً عن العتبات المقدسة في الانتفاضة الشعبانية وكان له دور كبير في إيصال الرسالة إلى المنظمات الدولية بضرورة حماية العتبات المقدسة من بطش وعبث النظام الصدامي وكذلك أيضاً له دور كبير في إقامة مهرجان الغدير الكبير الذي أقيم في لندن في عام ١٩٩٠ برعاية الإمام السيد الخوئي“

وأضاف بحر العلوم إلى أننا ” نفتقد شخصية اليوم ونتذكرها بإجلال واحترام وإقامة الحفل التأسيني من قبل مؤسسة بحر العوم الخيرية ومركز النجف للثقافة والبحوث هو نوع من الوفاء لهذه الشخصية الجليلة“

إلى ذلك أكد السيد أحمد علي الشهرستاني لـ ” المواطن ” أن ” السيد محمد الشهرستاني كان منذ صغره لديه علاقة مع الأمور الإسلامية خاصة العلاقة مع أهل البيت (عليه السلام) دائماً كان يحاول العمل في المشاريع المفيدة لخدمة أهل البيت وتوسيع الأمور المذهبية والدينية“

مضيفاً ” الشهرستاني هو الذي أسس جامعاً كبيراً في لندن وأسس أول فضائية التي سميت ” القائم ” في لندن ولديه أعمال في أغلب الدول العربية ومنها السعودية

ومدن سامراء و كربلاء والكاظمية إضافة إلى اخذ منه الاستشارة في بناء الحسينيات والجوامع”

مبيناً ” في كل العلوم كان لديه فكرة منها الفقهية الفنية والميكانيكية والمعمارية وغيرها لكنه في اخر سنوات عمره توجه الى خدمة مرآقد اهل البيت وأتباعهم ” ومن جانبه اكد أفضل الشامي. نائب الأمين العام للعتبة الحسينية لـ ” المواطن ” ان ” جزء من الوفاء الذي قدمه الشهرستاني في مجالات عديدة للعراقيين نشارك في الحفل التأييني بمناسبة مرور ٤٠ يوم على وفاته ”

مضيفاً ” نأمل أن يأخذ الشهرستاني استحقاقه من التقدير والوفاء لما قدمه في الفترة الماضية لذا سيقام في يوم الجمعة القادمة حفل تأييني له تقديراً ووفاء لشخصيته الجليلة ”

فيما اكد عبد الرزاق العيسى رئيس جامعة الكوفة لـ ” المواطن ” ان ” في حياته خسارة الأجيال العراقية من ابننا الأكاديميين في مجالات تخصصه وخبراته التي نحن بأمس الحاجة اليها نتيجة للسياسات الطائفية والاقصائية التي مارسها النظام السابق المقيت على أبناء الشعب العراقي الأمر الذي أدى إلى حرمان جيل بل أجيال كاملة من الاحتكاك بهذه الطاقة العلمية ”

مبيناً ان ” السيد الشهرستاني مثال لسلسلة طويلة من أمثاله العظماء الذين حرم الطلبة والمتعلمون في الجامعات والمؤسسات العراقية من عطائهم التدريسي والعلمي المباشر وعلى الرغم من ذلك كله كان الشهرستاني يتحين الفرص لخدمة وطنه ورموز مقدساته علماً وعمراً والشواهد على عبقريته في ذلك كثيرة ”

أصدر مكتب سماحة المرجع الديني
آية الله الفقيه السيد حسين إسماعيل الصدر (دام ظلّه)
بيان تعزية بوفاة الدكتور المهندس السيد محمد علي
الشهرستاني، وفيما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم
(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي
وَادْخُلِي جَنَّتِي)

صدق الله العلي العظيم

غادرنا اليوم إلى حيث رحمة الله (ﷺ) السيد محمد علي الشهرستاني (ﷺ).
وإذ يرتحل الأستاذ الدكتور المهندس الشهرستاني محفوفاً بالدعاء إلى الله (ﷻ)
أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يسكنه فسيح جناته، فإن ما تركه السيد الجليل
له أثر طيب وبصمات جميلة وخالدة في الهندسة الإسلامية احتضنتها العتبات
المقدسة للمراقد الطاهرة في أماكن كثيرة من الحواضر العربية والإسلامية.

نسأل الله جلّ في علاه أن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

وإننا لله وإننا إليه راجعون

مكتب سماحة المرجع الديني

آية الله الشيخ محمد باقر الناصري ينعى الدكتور محمد علي الشهرستاني

قال تعالى: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظَرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا)

صدق الله العلي العظيم

بفقد الرجل الصالح والعامل الجاد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني الذي وافاه الأجل وهو في العمل والجهاد. فقدنا عاملاً مخلصاً وفقده خسارة للإسلام والعراق ولمدرسة أهل البيت (عليه السلام) وكان مثلاً للوعي والصدق والأمانة قل نظيره. صحبناه في المهجر يعمل ويبتكر وسائل العمل ويبدل كل ما في طاقته فكان المخطط والمنفذ والذراع في الصالحات والعين واليد للمرجعية الدينية في مشاريعها الإسلامية في مختلف مناطق العالم في الشرق والغرب وفي كل مكان. فحين أصبح للإعلام والفضائيات دور هام في الساحة البشرية، وأغلقت في وجوه المخلصين، كان الشهرستاني المبادر لتأسيس قناة إسلامية (قناة القائم في لندن) وحين اشتدت الحاجة وعلى صوت الجامعات قام رحمه الله بتأسيس الجامعة الإسلامية في لندن ومد فروعها لكثير من البلدان الإسلامية وغيرها من تواجد المسلمين والعالم وحين امتحن الإسلام ومدرسة أهل البيت (عليه السلام) في الهند والعالم تحركت المرجعية الدينية لبناء المؤسسات والمدارس الإسلامية. والقرى ومساكن لفقراء الأمة وحين أزاح الله النظام الصدامي المارق عن العراق كان من المسارعين للعودة إلى العراق وبادر مع الهيئات المشرفة على العتبات المقدسة

في كربلاء والكاظمين فأصلح ما أفسده المفسدون وهو صاحب فكرة تغليف
 باحة الصحن الحسيني وتوسيعه لاستقبال ملايين الزوار واستيعاب صحوة الأمة
 وحريتها في المسيرات المليونية وحين طغى البغي الطائفي بحربه على العتبات
 المقدسة ووقعت جريمة البعث الإرهابي بتفجير مشهد العسكريين في سامراء
 كان المبادر والمهاجر لسامراء لإعادة بناء حضرة العسكريين وهو الثقة عند
 العلماء وعند الممولين لأعمار المساجد والمراقد المطهرة في العراق وخارجه
 وكذلك في المشاريع الإسلامية في شيكاغو وأمريكا لاستيعاب الصحوة الإسلامية
 المتنامية في زنوج أمريكا وهكذا كان شخصية عالمية يمد الأمة بإمكاناته العلمية
 والمادية والفكرية ولم يرحل إلا حين قرت عينه بنجاح هذه المشاريع فجزاه الله
 عن الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ورفع الله درجته وحشره مع أجداده الطاهرين والهم
 أهله ومحبيه الصبر والأجر مات وفي قلبه مشاريع ومشاريع وأفكار إسلامية لرفع
 مستوى المسلمين والمؤمنين.

رحمك الله أيها العبد الصالح وعوض الله الأمة والأسرة في خسارتها بفقدانك.

(وإنا لله وإنا إليه راجعون)

وداعاً... رجل العلم والعمل والفضل(*)

الدكتور حميد مجيد هذو

قد يكون للإنسان أن يُنعى إذا تخرمته يد المنون ولكن لا يُنعى تأريخه ومآثره. وقد يدرج الجسد في أكفان المنية صورة لا تفتأ أن تبلى على مدى السنين، ولكن تأريخه يحلق في سماء الخلود بالقدر الذي صنعه لنفسه رائده وهو يملأ الدنيا بصور المجد الذي يستعصي على النسيان..... بهذه الفكرة أنعى إلى العالم كل العالم جسد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني لا روحه... أنعى صورته لا هورقلياه..... أنعى توقف العطاء والفضل والإبداع برحيله وأي عطاء، وأي أبداع أستطيع أن اعرض للقارئ أو السامع أعظم من:

- ١- توسعة حرم الإمامين الكاظمين من الجهتين الشرقية والغربية.
 - ٢- تسقيف صحن الإمام الحسين عليه السلام.
 - ٣- أنشاء صحن جديد في الجهة الشمالية من الصحن الكاظمي وبمواصفات معمارية اسلامية عالية.
 - ٤- انشاء ثلاث مدن للزائرين في كربلاء.
 - ٥- إعادة بناء مشهد الإمامين العسكريين في سامراء.
 - ٦- وضع تصميم أساسي لمدينة كربلاء آخر لمركز المدينة الذي اسماه بالتصميم العقائدي.
- هذه أبرز المشاريع التي كان يشرف عليها ويقوم بها - عليه السلام - وهناك مشاريع أخرى قيد الانجاز ذات أهمية إنشائية ومعمارية تراثية.
- أما المنجزات السابقة فهي كثيرة منها:

(*) نشرت في جريدة المواطن البغدادية في ٣٠/٣/٢٠١١ بعد رحيل الفقيد مباشرة.

- ١- تأسيس جامعة في لندن بأسم الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.
 - ٢- توسعة حرم الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد.
 - ٣- انشاء محطة قطار خراسان.
 - ٤- انشاء خزانات المياه العملاقة في المشاعر المقدسة في مكة المكرمة.
 - ٥- بناء مركز الإمام الخوئي في مدينة مومبي بالهند على غرار تاج محل.
 - ٦- انشاء فضائية (قائم) لبث البرامج الفكرية في عقائد أهل البيت عليهم السلام.
 - ٧- معمل الصلب في طهران.
 - ٨- شبكة الجسور للسكك الحديد في إيران.
 - ٩- ميناء الازاعي في بيروت للحركة الإسلامية منظمة أمل.
 - ١٠- المشاركة مع العلوية السيدة رباب الصدر (شقيقة الإمام موسى الصدر) في بناء مؤسسات ثقافية واجتماعية وتربوية في لبنان.
 - ١١- أنشاء صوامع للحبوب ومعامل للاسمنت كبيرة في أماكن عديدة من العالم ناهيك عن مشاريعه - عليه السلام - في اندونيسيا وساحل العاج والسنغال وغيرها من البلدان.
- نال عددا من الأوسمة والدروع والجوائز من اليونسكو في باريس ومن مؤسسات معمارية تراثية في الولايات المتحدة ومن جامعات عريقة عراقية وعربية وأجنبية كما أثنى على جهوده كبار المعماريين في العالم ناهيك عن ثناء علماء الدين والمراجع لما قدمه للمشاهد المقدسة من خدمات إنشائية معمارية ومساع خيرية وخدمات إجتماعية.
- وهو في كل ذلك لم يتوخ المصلحة النفعية الذاتية فخرج من هذه الدنيا خالي الوفاض لا يملك مالا ولا ذهبا ولا عقارا بل قدم لآخرته تجارة لن تبور وزادا إنسانيا لن ينساه التاريخ كل عمله لوجه الله تعالى وخدمة الإسلام.
- رحمه الله وانزل عليه شايب مغفرته إنه سميع الدعاء.

سماحة الشيخ جلال الدين الصغير

ينعى الفقيد في خطبة له من خطب الجمعة بجامع براثا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيد الأنام حبيب إله العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمد اللهم صل على محمد وآل محمد وعلى الهداة الميامين من اهل بيته الطيبين الطاهرين اللهم صل على ايتك الكبرى ونبأك العظيم الصديق الاكبر والفاروق الاعظم سيدي ومولاي مولى المتقين الامام امير المؤمنين على ابن ابي طالب وصل على الصديقة الطاهرة والبضعة المنتجة كسيرة الضلع مسقطه الجنين المغضوبة المغضوبة المظلومة الشهيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وصل على سبطي نبي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة اللهم وصل على ائمة المسلمين وحماة الدين سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تركها غرق وهوى علي بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر ابن محمد وموسى ابن جعفر وعلي ابن موسى ومحمد ابن علي وعلي ابن محمد والحسن ابن علي والحجة المنتظر المهدي اللهم صل عليهم صلاة كثيرة دائمة زاكية نامية فاضلة باقية تدوم بدوام عرشه وتبقى ببقاء ملكوته.

لابد لي في البداية ان اذكر رحيل المهندس البار والمؤمن الصالح الدكتور محمد علي الشهرستاني رضوان الله تعالى عليه والذي لم اذكره في الاسبوع الماضي بسبب ايثاري للحديث عن الامام الراحل السيد محسن الحكيم رحمته الزكية هذا الرجل الذي وافاه الاجل وهو مغمور بسعادات كبرى اذ اياديه كانت

ولازالت وستبقى واضحة الاثر في مرقد الائمة عليها السلام في الكاظمية اذ هو الذي وسع مابين الضريح الشريف وما بين الحائط تذكرون ان المساحة التي كانت قبل ذلك ضيقة جدا بحيث ان اثنين اذا ما مرّا لا يمكن فسح المجال لثالث وهو الذي ترك آثاراً واضحة على مرقد أبي الفضل العباس والامام الحسين عليهما السلام وهو الذي كان له شرف الشروع ببناء مرقد الامامين المظلومين العسكرين عليهما السلام ولعنة الله على من أساء اليهما وفرط بهما مثل هذه السعادة بل دعني اقول بمثل هذه الصدقة الجارية التي تركها الدكتور الفاضل لا يمكن أن يحظى بها كل أحد لا بد ان له كرامة خاصة هي التي اوصلته الى هذا المقام وكنت قد أشرت كثيراً وأنا اؤمن بذلك بان من ينتدب لخدمة اهل البيت عليهم السلام لا ينتدب من نفسه وانما هم من ينتخبونه لذلك تذكرون أحاديثنا عن بناء جامع براهنا وبقية ما نعتقد به هو ان بيوت اهل البيت عليهم السلام لا يمكن ان يكرم بخدمتها او ببناءها او باسداء أي ما من شأنه خدمة لها الا ان يكون بامضاء منهم فهم أصحاب البيوت وهم من يأذن بذلك او لا يأذن كثيرون جاءوا لكي يقدموا هنا او هناك خدمة ولكنهم منعوا والكثيرون من جاءوا طواعية يحاولون بشتى الجهود ان يبذلوا ما يبذلون في اماكن اخرى فلا يتمكنون ويدفعون دفعا باتجاه مكان محدد اذكر هنا كشاهد جاءني في يوم من الايام في عام ٢٠٠٤ لعله او في عام ٢٠٠٥ رجل أبلغني الاخوان بان لديه حقوقا يريد ان يدفعها كنت مشغولا دخل هذا الرجل واذا به عليه ملابس لا توحى بانه من اهل الحقوق رجل من ملابس يبدو فقيرا جدا قال لي انا لذي حقوق اريد ان ادفعها وضع امامي كيسا كبيرا وكان هذا الكيس مملوءاً بالدولارات وقال لا يغرنك منظري عن مخبري انا مقاول وجئت من ساحة العمل الى هنا مباشرة لكن منذ اربعة اشهر انا احمل هذا المال ذهبت الى فلان... لا يفسح المجال لي لاسباب عجيبة وغريبة أيضاً الى ان وجدت نفسي بالصدقة ولم أكن انوي ان آتي هنا لادفع لم آتي هنا الا للصدقة قلت لعل فلاناً هنا موجود واتخلص من هذه الحقوق وجاء واعطى وقال هل لي ان

اشترط قلت له لا يجوز لك الاشرط هذه الحقوق هي مال الامام عليه السلام ومال الامام الى المرجع قال هل يمكن ان ادخل هذه الحقوق في بناء المسجد قلت له انا لا ادخل الحقوق الشرعية في عملية البناء هذا المال مال السيد الشهرستاني وسيذهب الى السيد الشهرستاني اطال الله في عمره الشريف خرج ممتنا وعلى وجنتيه دمعه قال باني عسى ان اوفق واشترك في بناء هذا المسجد. الغرض مثل هذا الرجل (السيد الشهرستاني) حينما نجد كيف تكالبت الناس على الوظائف والمناصب وما الى ذلك وكان بإمكانه أن يحظى بأعلى مناصب من مناصب الدنيا هو لم يؤثر الا منصباً واحداً هذا المنصب هو أعظم المناصب دنيا واخرة هو ان يكون خادماً لاهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام انا أعرفه منذ اكثر من ٣٠ سنة وتحديداً منذ عام ١٩٨٠ علاقتي به ولم أجد منه إلا حديث الخدمة للشعب العراقي ولأهل البيت عليهم السلام حتى حينما بادر لتأسيس الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية قال: نصب عيني كيف يمكن لي أن أخدم أهل البيت عبر الساحة الاكاديمية الرجل مهندس ما شأنه في إنشاء هذه الجامعة ولا أدري إن كانت هذه الجامعة قد افتتحت كلية الهندسة فيها او لا ولكن ما أعرفه هو أول ما بدأ بدأ بعلم أهل البيت عليهم السلام وقد وفق في هذا العمل توفيقاً كبيراً أجد في رحيله خسارة كبيرة الرجل رغم انه كان مهندساً اكاديمياً ولكنه كان ايضاً حوزوياً فذاً وكانت علومه الحوزوية عالية بالشكل الذي يجعل خسارته واقعا خسارة لا يمكن أن تعوض اللهم الا ان يذهب سعيداً بعمله فرحاً بقاء أجداده الطاهرين هنيئاً له رحلته الى أحضان جده أمير المؤمنين عليه السلام ولمثل عمله فليعمل العاملون.

مدير عام منظمة الايسيسكو الدكتور عبد العزيز التويجري

سيظل اسم العلامة السيد الشهرستاني منقوشا في سجل العلماء الدعاة الصادقين المخلصين الذين قدموا جليل الخدمات للإسلام والمسلمين الرباط - لندن - الجامعة العالمية:

بعث الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري مدير عام منظمة الايسيسكو وأمين عام اتحاد جامعات العالم الإسلامي ببرقية عزاء ومواساة إلى عميد الدراسات العليا بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية فضيلة الدكتور إبراهيم العاتي وكافة أفراد أسرة وزملاء وتلامذة ومجبي الفقيه المجاهد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني الذي وافته المنية يوم الاثنين الموافق ٢٨ فبراير الماضي في طهران إثر مرض ألمّ به عن عمر ناهز ٧٩ عاماً قضى معظمه في خدمة العلم والشريعة السمحاء.

وجدير بالذكر ان منظمة الايسيسكو للتربية والعلوم والثقافة، ومقرها المملكة المغربية، تأسست عام ١٩٧٩ استجابة لتطلعات الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي ولآمال الأمة الإسلامية في تحقيق التعاون والتضامن والتقدم والازدهار في إطار العمل الإسلامي المشترك.

واستشرافاً للتحديات التي تواجهها الدول الأعضاء في المجالات التربوية والعلمية والثقافية والاتصالية، وإدراكاً لأهمية هذه المجالات في تحقيق التنمية والتقدم والازدهار، دون تفريط في تراث الأمة المجيد، ووعياً بالآواصر التي تجمع شعوب العالم الإسلامي المتمثلة في وحدة الحضارة والقيم العقديّة والروحية والأخلاقية والثقافية، وسعياً إلى تشجيع التفاعل الحضاري وتعزيز هذه الآواصر الحضارية والثقافية والفكرية المشتركة، وتفعيلاً لمبادئ التضامن

والتكافل والمساواة لتقوية التعاون بين الدول الأعضاء للنهوض بالتربية والعلوم والثقافة والاتصال بالوسائل الملائمة كافة.

وكان للفقيد إسهامات كبيرة نهضت بالجوانب التعليمية والاكاديمية لمنظمة الايسيسكو بعد انضمام الجامعة إلى عضوية اتحاد جامعات العالم الإسلامي عام ١٩٩٨ واستعانت الايسيسكو بخبرات العلامة السيد الشهرستاني لتطوير التعليم في جامعات العالم الإسلامي.

وفيما يلي نص البرقية التي بعث بها الدكتور التويجري الى فضيلة الدكتور العاتي:
 ”فلقد المنى النبأ الذي نقلتموه إلى في رسالتكم التي أشكركم عليها عن وفاة سماحة العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رئيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية تغمده الله بواسع مغفرته واسكنه فسيح جناته.

وإزاء هذا المصاب الجلل التي تلقيناه بحزن واسى ابعث من خلالكم إلى أسرة الفقيد وأهله والى زملائه من أساتذة الجامعة وطلابها والى الجمهور العريض من محبيه ومريديه وتلامذته بأحر التعازي وعمق المواساة سائلا الله تعالى للفقيد واسع الرحمة والمغفرة والرضوان ولكم جميعا جميل الصبر والسلوان.

لقد كان الفقيد العلامة الدكتور محمد علي الشهرستاني عاملا مخلصا في ميادين التربية والتعليم والثقافة الإسلامية والعمل الإسلامي الهادف إلى خدمة قضايا الأمة وتحقيق نهضتها الحضارية المرتجاة وسيظل اسمه منقوشا في سجل العلماء الدعاة الصادقين المخلصين الذين قدموا جليل الخدمات للإسلام والمسلمين أمطره الله بشايب رحمته

وتفضلوا سعادة العميد بقبول فائق التقدير وبالغ الاحترام.“

المدير العام

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

العلامة الدكتور محمد علي الشهرستاني..

د رائد النهضة الدينية والثقافية والتربوية الحديثة

بقلم: جاندارك بو عيسى خلف

تُخبرنا السيرة الذاتية لهذا العالم المُخضرم انه بذل حياته للتوعية والتثقيف ونشر رسالة التعليم الأكاديمي بعزم وإنسانية.

لقد تعرفت على الجامعة العالمية بواسطة الدكتور عطا العجيل وعرفت مكائنها وأهميتها الأكاديمية. ولاحقاً، علمت بأن العلامة الشهرستاني هو مؤسس ورئيس هذه الجامعة المتألقة، وهو العالم والمفكر، فزادني اقتناعاً بالانضمام إليها والاستحصال على شهادة علمية منها لما لها من سمعة طيبة وبرامج علمية متميزة وحضور مؤثر في بريطانيا خاصة والوطن العربي عامة. وهذا فخر لي أن أنتسب، وأنا المسيحية، إلى جامعة تُقدّس العلم ولا تفرق بين مذهب أو جنس أو عرق، وهذا معروف لدى أهل البيت ومن شيمهم النبيلة.

إنها رسالة الجامعة العالمية الحقيقية والصادقة النابعة من التراث المشرقي والفكر العلمي المتزن والباهر، فانتسبت إليها بثقة وعزم ومن دون أي تردد.

أما عالما الراحل السيد محمد علي الشهرستاني، فهو باحث وكاتب متعدد الأبعاد، متنوع الأفكار... محاور ومفكر لامع... مؤسس الجامعة العالمية في بريطانيا ومراكز ثقافية وخيرية عدة ساهمت في التربية والتقدم الرصين.

قدّم رؤية جديدة، تقوم على تلمس نشأة التفكير الديني الفلسفي ودعا إلى تدريس علم الكلام في أقسام الفلسفة، وإلى البحث عن أوجه الأصالة والابتكار في الفلسفة الإسلامية. وهو بذلك يعتبر من أبرز رواد الفكر الإسلامي الحديث.

سليل أسرة عريقة، اشتهر كثير من أبنائها بخدمة الفكر والعلم، نشأ في كنف التقوى والصدق.

شدد على الحوار ورفض لغة التكفير عبر اعتماد المنطق والحكمة ورفض الجهل الذي هو العامل الرئيس لكل الصراعات. ويعتبر الدكتور الشهرستاني من عمالقة الهندسة العراقية حيث شارك في إعادة إعمار حرم الإمامين العسكريين ومن المؤسسين لمهرجانات الغدير الكبرى التي عقدت في بريطانيا عام ١٩٩٠ ورابطة أهل البيت عام ١٩٨٣ ومن أنشط الشخصيات العاملة في خدمة المشاريع الثقافية والتربوية والاجتماعية في عدد من دول العالم.

كان مثلاً للوعي ومرجعاً في العلم ومخلصاً للكتابة.

رحم الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: {مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} سورة الأحزاب: ٢٣
 وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي} سورة الفجر: ٢٧ ٣٠

بقلوب صابرة مؤمنة ونفوس مطمئنة تلقينا خبر وفاة الأستاذ والأب المربي فضيلة المهندس الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني (رحمه الله).

لقد كان السيد الفقيه مثال الرجل العالم العامل المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، لقد عرفناه نحن طلبة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية أبا فاضلا مربيا عالما عاملا مجاهدا، مؤمنا تقيا بكل معاني الإيمان والتقوى، مواليا لأهل بيت العصمة والطهارة بكل معاني الولاء. وكان حسينيا بكل ما لهذه الكلمة من معنى؛ فكانت دموعه تسبق كلماته عند ذكر اسم الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد سخر هذا الرجل كل حياته وطاقاته في سبيل خدمة الإسلام، ومذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فما كان يعرف الراحة. لقد حمل الإسلام عقيدة ورسالة امتزجت بروحه ووجدانه، فكان يحملها أينما حلّ أو ارتحل. وسخر كل طاقته من أجل نشر كلمة الإسلام، وإيصال رسالته السمحاء إلى كل نقطة وصل إليها، فأسس المؤسسات والكليات الإسلامية والعلمية من أجل إيصال الرسالة بالمعنى والشكل الصحيحين.

ولقد تنبه مبكرا إلى أهمية الإعلام، فأطلق قناة فضائية باسم قناة (القائم) في تسعينيات من القرن الماضي، في محاولة سباقية لنشر كلمة الإسلام وإعلام منهج أهل البيت (عليهم السلام) في العالم الغربي.

وكان من بركات جهوده إنشاء الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية التي خرجت المئات من طلبة العلوم الإسلامية والمبلغين والمثقفين من مختلف أرجاء العالم، والذين يحتل الكثير منهم مراكز مرموقة في بلدانهم في يومنا هذا.

لقد تميز السيد الفقيه بتواضع منقطع النظير، فكان يجلس مع الطلبة يحاورهم ويستمع لملاحظاتهم، ولم يكن يمنعه الموقع من احترام وجهة نظر الطالب إن رآه مصيبا؛ بل والاعتذار إليه، فكم رأيناه يذرف الدمع رقة وحنانا على أبنائه الطلبة، بل ويبادر بتقبيل رؤوس بعضهم تواضعا وعطفا وتشجيعا لهم.

لقد خسرت ساحة العمل الإسلامي الخيري بفقده رجلا عاملا عظيما من الطراز الأول، وسيترك فقده فراغا واضحا.

رحم الله سيدنا الجليل أبا إحسان، الذي كان بحق أبا للإحسان والعطاء، ونعاهده نحن أبناءه وتلاميذه على المضي قدما على نهجه؛ نحمل الرسالة التي عمل من أجلها طوال حياته، حتى نحقق له ما تقر به عينه وهو في مرقدته بجوار حبيبه الإمام الحسين (عليه السلام) الذي كان من أمنياته أن يتشرف بالعمل على توسعة وإعمار مرقدته الطاهر، وقد أعطاه الله ذلك وقرت عينه باكمال إعمار المرقد الطاهر في حياته، ونسأل الله أن يقر عينه برؤية الإمام الحسين (عليه السلام) في العالم الآخر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع النبيين والأئمة الطاهرين، والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

سلام عليك سيدنا أبا إحسان يوم ولدت ويوم عملت وجاهدت في سبيل الله بكل ما أوتيت من قوة وإمكانات، وسلام عليك يوم رحلت عن هذه الدنيا راضيا

مرضيا، وسلام عليك يوم تبعث حيا.

وإننا بفقدك لمحزونون ولكن لا نقول إلا ما يرضي الرب عنا؛ إننا لله وإننا إليه راجعون.

عن طلبة الجامعة:

الشيخ حسن علي التريكي

(مدير مجلس الثقافة والإعلام الإسلامي)

وإمام جمعة وجماعة مؤسسة دار الإسلام لندن)

لعلو همته ورقى فكره وطاقته الإنتاجية المشهودة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني (طاب ثراه) في سجل القادة العظماء

بقلم أية الله الدكتور السيد فاضل الميلاني
عميد كلية الشريعة - الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن

كلمة وفاء وعبرة في ذكرى ارتحال رجل عظيم عرفناه وعاصرناه وتعاوننا معه وتعلمنا منه الكثير، وهو الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني رضوان الله عليه، والذي يستحق أن يسجل في سجل القادة العظماء.
فما هي العوامل التي تصنع الرجال العظماء؟.

في اعتقادي أن هناك ثلاث خصوصيات إذا اجتمعت فإنها تصنع من الرجل شخصا قياديا عظيما.

العنصر الأول هو علو الهمة، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذه الخصوصية عن رسول الله والأئمة الأطهار عليهم السلام أجمعين تبين لنا موقع علو الهمة في صياغة الشخصية القيادية، واذكر لكم على سبيل المثال قول أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول "قدر الرجل قدر همته" ويقول "من شرفت همته عظمت قيمته" ويقول الامام الباقر عليه السلام "لا شرف كبعد الهمة". هذا في الجانب الايجابي أما في الجانب السلبي فنقرأ عن الامام الصادق عليه السلام "ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي، قصر الهمة وقلة الحيلة وضعف الرأي".

إذا لعلو الهمة دور أساسي في بناء الشخصية القيادية، وسمعنا كثيرا أن همم الرجال تزيل الجبال.

و حين يتحدث الشاعر الحسيني رضوان الله عليه في مقدمة حديثه عن الرثاء يقول:

عندي من العزم سر لا أبوح به حتى تبوح به الهندية الخدمُ
تحدث عن عزم وعلو همة، ونظير ذلك نقرأ للشاعر الكبير الحسيني السيد حيدر الحلبي قوله:

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم

فلا مشت بي في طرق العلا قدمُ

هذه التعبيرات عن همة الرجل وعلو الهمة عنده. أما العنصر الثاني في تصوري في بناء الشخصية القيادية هو قوة الفكر والرأي، ووجدنا في أحاديث كثيرة "أن تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة". وحينما يعمل الإنسان فكره ويدقق ويتفكر ويتدبر ويبحث مليا ويعيد النظر وتكون رؤيته ثاقبة يكون هذا هو العنصر الذي يعطي للإنسان قيمة أساسية لشخصيته وعظمته.

أما البعد الثالث فهو أن يعمل الإنسان بكامل طاقته الإنتاجية. فهناك على سبيل المثال معامل في مجال التجارة والاقتصاد تعمل بربع طاقتها الإنتاجية وأخرى بنصف طاقتها وثالثة بسبعين في المائة من طاقتها. وهذا صادق على كثير من المشاريع الاستثمارية ولكن المشروع الناجح هو الذي يستطيع المدير فيه أن يسيره بكامل طاقته الإنتاجية.

إذاً هذه في تصوري علو الهمة ودقة التفكير والعمل بكامل الطاقة الإنتاجية هي العناصر الثلاثة لصياغة الرجل القيادي العظيم.

وإذا أضفنا إليها عامل الوراثة ووجود القدوة والمثل الذي يقتدي به الإنسان في حياته ويتعلم من مثارته وصبره وتفكيره وأخلاقه وعلومه، فإذا اجتمعت هذه الأمور نجد رجلاً مخلصاً في عمله قائداً فذاً عظيماً يستحق أن يسجل في سجل العظماء.

بعد هذه المقدمة نلقي نظرة على فقيدنا الغالي الذي أشرف بان تكون لي معه صحبة طويلة دامت لأكثر من ٤٠ سنة.

عملنا سويا في مشاريع كثيرة استشرناه تضافرت جهودنا في مجموعة من المشاريع الهامة في مقدمتها تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية إلى مهرجان الإمام علي بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على بيعة الغدير، إلى تأسيس مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية في لندن التي لا تزال احتفظ بالرسالة التي بعث بها الله العظمى السيد الخوئي تتنرُ عندما كتبت إلى سماحته إننا بحاجة إلى مؤسسة ثقافية ومركز ديني لإنقاذ الشباب، واعتز وافتخر بأنه كتب بخطه الشريف يقول "كنت منذ زمن طويل أفكر في تأسيس مراكز دينية في أوروبا لإنقاذ الشباب ورعايتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وحيث أبدت استعدادك للقيام بذلك فانك فتحت علي نافذة لتحقيق أمنية طالما كنت اصبوا إليها" ثم قال رضوان الله عليه "ابداً على بركة الله واستعن بأخوة علي رأسهم الدكتور المهندس السيد محمد علي الشهرستاني".
وبالفعل تعاوننا في هذا المشروع وفي مجالات ومشاريع أخرى كثيرة.

وطيلة هذه المدة التي أشرف بصحبة هذا الرجل العظيم الذي له إنجازات رائعة من جملتها أنه أسس مع أخيه السيد مهدي الشهرستاني رضوان الله عليه والذي توفي قبله بعشرة أيام فقط _ونستغرب لهذه المفاجأة بوفاة السيد مهدي قبل أخيه بأيام معدودة- فقاما منذ ٣٥ سنة بتأسيس أعظم مصنع للفولاذ في الشرق الأوسط ولا يزال المصنع في انتاجه العظيم في إيران يعتبر نتاجا مميزا التخطيط السيد محمد علي وتنفيذ أخيه السيد مهدي رضوان الله عليهما.

إن هذه الإنجازات كلها وغيرها الكثير مما لا أشير إليها تحكي لنا أولا: علو همة هذا الرجل.

ثانيا: دقته في التفكير والتخطيط وعزمه الشديد ومثابرته القوية.

ثالثا: انه كان يعمل بكامل طاقته الإنتاجية. كان لا يضيع ساعة ولا اقل من ذلك

من وقته إنما كان يعمل ليل نهار وجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته.

وأما العامل الوراثي فهو ينتمي إلى أسرة عريقة طيبة خدمت الفكر الشيعي في العراق وإيران والعالم الإسلامي. أما القدوة فانه كان يحدثني إن قدوته في أعماله العلامة الكبير آية الله السيد هبة الدين الشهرستاني رضوان الله عليه الذي كان وزيرا للمعارف أيام العهد الملكي في العراق وقام بخدمات جليلة جدا آنذاك.. وأتذكر جيدا أن من أوائل الكتب التي قرأتها في صباي هو كتاب الهيئة والإسلام لهذا العالم الجليل، يتحدث عن علم الفلك - وكان يسمى قديما بالهيئة- ويطبق جميع الاكتشافات التي وصلته إلى ذلك الوقت في زمانه، على أحاديث الأئمة عليهم السلام.

وقد كتب على ظهر الغلاف هذا الحديث للإمام الصادق عليه السلام (إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس).

وكان السيد محمد علي الشهرستاني رضوان الله عليه يعد العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني تدفؤ قدوة له.

فقد أنجز فقيدنا الكثير وستبقى آثاره إن شاء الله باقية بهمة أخوته وزملائه وبأساتذة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية والعاملين بها وبطلابنا وطالباتنا الذين تخرجوا في الجامعة والذين لا يزالون يدرسون.

وأملنا بالله تبارك وتعالى أن تبقى ذكراه خالدة وان يوفق العاملين في الجامعة والعاملين في مشروعات الفقيد للاستمرار في خط ومنهج الراحل الدكتور المهندس السيد محمد علي الشهرستاني رضوان الله عليه.

الدكتور ابراهيم العاتي

يتحدث عن السيد الشهرستاني: الدور والرؤية

الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني هو أحد القمم العلمية والإصلاحية عند المسلمين في العصر الحديث. والعلمية هنا تعني بها الشاملة للعلوم الطبيعية والتكنولوجية، علوم العصر، والعلوم الإنسانية والإسلامية.

العلم والعمل:

فإنه من القلائل ومن النادرين الذين جمعوا بعمق بين هذين الجانبين، جانب ما يسمى بعلوم النظر وعلوم العمل أو علوم الدين وعلوم الدنيا كما قال القدماء. فهو الكاتب المتعمق في علوم الفقه والعقائد والتاريخ الإسلامي، كما هو المهندس صاحب المشاريع الكبرى الإبداعية في مجال إختصاصه وهو الهندسة المعمارية وخاصة العمارة الإسلامية التي يعد أشهر روادها في العصر الحديث، فجمع بين إختصاصه العلمي المعماري والإبداعات الأخرى في مجال التصنيع في مجالات أخرى غير جانب الهندسة، فهو مبتكر المحرك الدوراني وعنده براءة اختراع هنا في أوروبا، وأنشأ مصانع عديدة مثل مصنع الفولاذ والصلب في إيران في السبعينات، وهو الذي حل مشكلة المياه في منطقة المشاعر في منى بمكة المكرمة في السبعينيات حينما استطاع أن يقيم خزانات مياه ضخمة في هذه المنطقة. أما مساهماته في تعمیر وترميم وتوسيع العتبات المقدسة في مدينة مشهد وكربلاء والكاظمية وسامراء والنجف فتحتاج إلى حديث مفصل ومطول لنوفيهما حقها.

المشاريع الثقافية:

هذا طرف من الجانب العلمي العملي الهندسي الذي تميز به السيد الشهرستاني . وهناك الجانب الثقافي، فهو منذ الستينيات أي منذ أكثر من أربعين عاماً أنشأ مؤسسة الخدمات الإسلامية العالمية، وكانت مهمتها ترجمة الكتب الإسلامية لمدرسة أهل البيت (عليه السلام) إلى اللغات المختلفة كالإنكليزية والفرنسية والإيطالية، وفي ذلك الوقت الذي كان يندر فيه أن تجد كتاباً عن التشيع أو مدرسة أهل البيت باللغات الأجنبية، وإذا بهذه المؤسسة تترجم أصول الكافي للغة الإنكليزية مع العلم أن هذه الكتب القديمة من الصعب ترجمتها وضبطها، كما ترجموا تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي للغة الإنكليزية، وكتاب (إقتصادنا) للشهيد السيد محمد باقر الصدر للغة نفسها، كما أصدروا منذ ذلك الحين كثيراً من الكتب الموجزة في العقائد وفي التاريخ وفي الفقه باللغات الحية المختلفة. وكانت تلك الكتب توزع مجاناً لكثير من المؤسسات الإسلامية والثقافية والمكتبات في العالم أجمع. فساهمت هذه المؤسسة في تعريف العالم بمدرسة أهل البيت وبالإسلام عموماً، وابعاد الناس عن النظرة القائمة على نوع من الأوهام والخرافات.

المركز العالمي للأبحاث الفنية والجامعة التكنولوجية:

وننتقل إلى الجانب الأكاديمي الذي تمثل في تأسيسه في لندن خلال الثمانينيات للمركز العالمي للأبحاث الفنية (ICTR) الذي جمع فيه ما يقرب من ألف عالم بهما فيهم علماء من الحاصلين على جائزة نوبل كالبروفسور عبد السلام الذي حصل على جائزة نوبل للفيزياء كان عضواً في هذا المركز، وكان هدفه نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة إلى العالم الإسلامي لأنه ليس بالإمكان تحقيق نهضة حقيقية في العالم الإسلامي إلا بالمعرفة وبالوصول على أسرار التكنولوجيا فكان يجمع العلماء في مؤتمرات وورشات عمل، وبذل جهوداً جبارة في هذا المضمار وأقام مؤتمرات دولية مهمة كمؤتمر الإسكان بالتعاون مع الأمم المتحدة ومؤتمرات

أخرى بالتعاون مع اليونسكو وغيرها من المؤسسات الدولية. ثم أسس الجامعة التكنولوجية (ITU) التي قامت بتطوير التعليم في شرق أوروبا وفي تركيا وكان لها نشاط بارز اعترفت به منظمة اليونسكو.

الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية:

وبعد تلك التجارب العلمية المتخصصة أسس عام ١٩٨٨ الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وكان رأيه أن التجربة المنهجية التي حصل عليها في المؤسسات العلمية تمكنه من تأسيس جامعة إسلامية تستفيد من المناهج الحديثة التي تسير عليها الجامعات التقنية والعلمية وكانت فكرة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية تقوم على الاستفادة من تقنيات العصر والتكنولوجيا الحديثة لنشر التعليم الثقافي الأكاديمي الإسلامي وخاصة في مدرسة أهل البيت عليه السلام على أوسع نطاق، وتخرج جيل من المبلغين يفقهون علوم الدين ويجمعون بينها وبين معطيات وعلوم العصر ليكون هنالك مبلغ يعيش عصره ولا يعيش العصور الماضية فقط، كي يستطيع أن يخاطب الناس بالعقلية الحديثة أو بالمنهجية واللغة التي يفهمها المعاصرون. وكان الإختيار أن يكون التأسيس الأول في بريطانيا ثم تكون لها فروع في مناطق العالم المختلفة في أفريقيا وآسيا والعالم العربي والإسلامي وأميركا وغيرها، والحقيقة كانت فكرته فذة يعني هو فكر قبل أن تظهر الثورة التكنولوجية وتطور الإنترنت خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة. فقد كان هنالك التعليم المباشر التقليدي في الجامعة وجهاً لوجه الأستاذ والطلبة في القاعة ويلقي المحاضرة، ولكنه أضاف الى ذلك أن المحاضرة كانت تسجل على أشرطة فيديو ثم تسجل على كاسيتات في ذلك الوقت قبل أن تظهر فكرة الأقراص المدمجة ثم الى ما هو أكثر من ذلك، والاستفادة من فتح مراكز في بلدان العالم المختلفة، فالجامعة العالمية لها مراكز في أكثر من ٣٥ دولة تستخدم التعليم المباشر والتعليم عن بعد حيث ترسل لهم الكتب والملازم والأقراص أو شرائح (USB) المتضمنة للمحاضرات التي

يستطيع رؤيتها في الكمبيوتر، يضعها الطالب ويرى أمامه الأستاذ يلقي المحاضرة كأنه في القاعة، وإذا كان عنده ملاحظات يدونها ويرسل الأسئلة عبر الإنترنت، والعالم اليوم أصبح قرية كبيرة أو صغيرة كما يقال، فلذلك قد تجد إضافة إلى الطلبة الموجودين في بريطانيا هنالك طلبة موجودون في استراليا وفي دول الخليج وفي إيران وفي العراق وفي أميركا وفي كندا وفي غيرها من الدول الأوروبية المختلفة، وقد ساهم هذا في نشر علوم مدرسة أهل البيت والعلوم الإسلامية عامة بطريقة حديثة أكاديمية على أوسع نطاق مع الاستفادة من أفضل الأساتذة في هذا المجال. أضف إلى ذلك كان الدكتور الشهرستاني حريصاً على التواصل مع الكفاءات العلمية والاستفادة من خبراتها في تسيير مشاريعه الأكاديمية، ولذا قبل أن يؤسس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ويباشر العمل أرسل مناهجها للعديد من الكفاءات الأكاديمية في العالم العربي والإسلامي ليعرف رأيهم وملاحظاتهم، وكنت ممن وصلتني رسائله ﷺ في الثمانينات في الجزائر، فكتبت له بعض الملاحظات وأثنت على المشروع واقترحت بعض المواد، فكان حريصاً قبل أن يباشر العمل على الاستشارة.

حينما جئت إلى بريطانيا لتسجيل محاضراتي في مادة المذاهب الفلسفية وكان مهتماً بهذه المادة وكان يقول: إن الطالب يجب أن يطلع على مختلف التيارات الفكرية الحديثة ليتعرف على التطور الفكري الذي بلغه العقل الإنساني، لأنه يعتمد على قاعدة قرآنية أساسية وكان كثيراً ما يستشهد بهذه الآية الكريمة: "وبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب" نحن مطالبون إذن بحكم القرآن وبأمر الباري ﷻ على أن نستمع لجميع الأقوال، لمختلف الأقوال، وهذا دليل الرحابة والحرية الفكرية الحقيقية الموجودة في الإسلام "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" نحن مطالبون بمعرفة مختلف الآراء ثم نتخب الأفضل بناءً على الدليل والبرهان. وكان دائماً يخاطب الطلاب

يجب أن تصل إلى اليقين بما تقرأ ولا أن تسلم تسليمًا أعمى لتصل إلى الحقيقة واليقين عن طريق الدليل العقلي والبرهان النقلي الصحيح والموثوق.

كان يركز على البحوث لأن الجامعة الناجحة يجب أن تكون مركزاً للأبحاث، ولذلك كما أسس المركز العالمي للأبحاث الفنية ويقصد بالفنية التقنية التكنولوجية اقترح أن أباشر إضافة إلى تدريسي في كلية الشريعة بتأسيس قسم للدراسات والبحوث، فأسسنا قسم الدراسات والبحوث العلمية، وكان الهدف أن نركز على بحث المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يمر بها المسلمون، حيث يرى أن هذه تحتاج إلى ورشات عمل تتم عن طريق الندوات والمؤتمرات وتنشر بعد ذلك في مجلة أكاديمية تصدرها الجامعة، وفعلاً أصدرنا مجلة الجامعة الإسلامية وكانت مجلة رصينة ومحكمة أصدرت منها ثمانية أعداد، وكانت الأبحاث فيها باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية، وكانت تنشر أيضاً وقائع الندوات فكان هناك ندوات علمية متخصصة كندوة التعليم بين المناهج القديمة والحديثة وصدرت في عدد خاص في المجلة، وندوة عن (الحضارة الإنسانية بين التصور الديني والنظريات الوضعية) التي ناقشنا فيها مشكلة الحضارة والتطور الحضاري والصراع الحضاري قبل أن يكثر الحديث عنه في السنوات الأخيرة، فمنذ حوالي عشرين عاماً أقمنا تلك الندوة الدولية بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط في جامعة لندن (SOAS)، وعولج موضوع الحضارة من جوانب الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد وطبعت وقائعها في كتاب خاص. كان السيد الشهرستاني يرى أن الجامعة يجب أن لا تكتفي فقط بتخريج الطلاب، ولكن الجامعات المتطورة إنما تستاز عن غيرها برصانة أبحاثها وبمكانة أبحاثها وعدد الباحثين والأبحاث التي تصدر عنها كل عام فكان يركز على هذه الناحية.

دوره في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو):

ماذا أقول؟ الحديث طويل عن شخصية الدكتور الشهرستاني، فهناك دوره في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو)، وقد ساهم في مؤتمرات اتحاد جامعات العالم الإسلامي في كوالامبور وتونس والشارقة والرباط، وكذلك في المؤتمرات التي عقدتها الأيسيسكو، كان له بحث مهم عن الأبعاد الدولية لحقوق الإنسان. وقد وقع كرئيس للجامعة العالمية مع الدكتور عبد العزيز التويجري رئيس الأيسيسكو على عدة اتفاقيات لتطوير التعليم في الجامعات العربية مثل جامعة القاهرة وجامعة المنصورة وجامعة دمشق وغيرها.

كان له مساهمات عالمية وكانت له رؤية فلسفية أيضاً وأنا من واقع اختصاصي في الفلسفة كانت تدور بيني وبينه محاورات فلسفية عميقة كان الرجل فيها صاحب رأي يعني بصراحة لا يقل عن الفلاسفة والمفكرين الكبار، كان يناقش آراء ديكرت وإبن سينا والفارابي ثم يبدي رأيه الخاص في هذا المجال. وأيضاً حضر المؤتمر الدولي للفلسفة الذي عقد في القاهرة ومؤتمر آخر دولي للفلسفة عقد في الهند. هذه جوانب قد لا يعرفها الكثيرون عن شخصية الفقيه الكبير الدكتور محمد علي الشهرستاني.

إعمار العتبات المقدسة:

لا أنسى أنني قلت في بداية حديثي عن الفقيه الغالي أنه كان عالماً مصلحاً وكان أيضاً عالماً عاملاً، ومسألة العمل التي ركز عليها القرآن الكريم {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}، حقيقة كانت قيمة العمل مقدسة عند الدكتور السيد الشهرستاني طيب الله ثراه، كان كتلة من العمل والنشاط، يعني عمله مقدم على قوله، وكثير من أعماله لا يتحدث عنها أو يباهي بها كما يفعل الكثيرون. كان يعمل بصمت ويعمل طول نهاره وفي سنه وظروفه الصحية في السنوات

الأخيرة أنجز ما لم تنجزه حكومات وشركات ومؤسسات، فالذي أنجزه من إعادة إعمار العتبات المقدسة من إبداعات وإنجازات وتوسيع الروضة الكاظمية يشكل إعجازاً هندسياً عندما رفع القباب التي بنيت منذ قرون بدون أعمدة وعمل لها رافعات ومستندات علوية، وتوسعة الصحن الكاظمي ببناء صحن جديد، وإعادة إعمار العسكريين بعد الهجوم الإرهابي الحاقق وبقي مدة طويلة الضريح الكريم المقدس مهتماً بصورة مؤلمة وتثير الضغائن والكراهية والتعصب الطائفي، فبادر في تلك الظروف الحساسة، وفي تلك المنطقة الخطرة التي كان يتواجد فيها الإرهابيون، بادر هو إلى الذهاب بنفسه وبدأ بالإعمار، ثم بدأت الناس تزور المقام، والحمد لله وصل إلى قريب النهاية قبل وفاته وقرت عينه بذلك. أيضاً إعادة بناء طابق ثاني للصحن الحسيني المطهر وتسقيف الصحن الحسيني وجعله جزءاً من الرواق بعمارة إسلامية لا تكاد تختلف عن العمارة التي بنيت قبل مئات السنين.

هذه الإنجازات تمت في ظروف صعبة وخطرة، كان - ﷺ - يمر بطرق يتواجد فيها إرهابيون يقتلون الناس على الهوية وخاصة من أتباع مدرسة أهل البيت وذهب الكثير من الضحايا، ولكنه كان مؤمناً بقضاء الله وقدره وموطناً نفسه على الشهادة، ويردد باستمرار الآية الكريمة: "الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين"، لم يبحث عن حمايات ولا عن قصور كان زاهداً ويجلس في غرفة متواضعة قرب الصحن الحسيني وكذلك في الكاظمية ليكون قريباً من العمل.

المصلح المجدد:

كان السيد الشهرستاني من المصلحين المجددين وتأثر كثيراً بالعلامة المصلح المجدد السيد هبة الدين الشهرستاني (تت) حيث لازمه في مطلع شبابه. هذا المصلح الكبير والفقير العالم كان قد جمع أيضاً بين كونه نبتاً للحوزة العلمية في النجف وكربلاء وسامراء وأيضاً كان له إهتمام غير عادي وغير مسبوق بالنظريات العلمية وخاصة علم الفلك. أصدر في أوائل القرن العشرين عام ١٩١٠ كتابه

الشهير "الهيئة والإسلام" والهيئة هي تسمية قديمة لعلم الفلك، المسلمون كانوا يسمون علم الفلك علم الهيئة فأراد أن يثبت النظريات الفلكية الحديثة ويفند النظريات القديمة الفلكية ويثبت النظريات الحديثة طبقاً لحقائق القرآن الكريم والسنة المطهرة وروايات أهل البيت عليهم السلام وكان كتابه يدور حول هذا المحور، فهو رائد التفسير العلمي ما سمي التفسير العلمي في القرآن والإسلام الذين صاروا يتكلمون عنه منذ ثلاثين عاماً.

كان السيد هبة الدين قبل أكثر من قرن من الزمان يكتب ويثبت هذا الموضوع فنال شهرة واسعة وترجم كتابه أيام الدولة العثمانية الى اللغة التركية والإنكليزية والأوردية ولغة الملايو وغيرها وأحدث ضجة كبيرة.

ثم أصدر مجلة العلم في النجف عام ١٩١٠ وكانت في ذلك الوقت من أوائل المجلات التي صدرت في العراق، كانت تعنى بشؤون العلم الحديث والنظريات العلمية الحديثة وموافقة القرآن الكريم لهذه النظريات وعدم الصدام بين العلم والدين، كما تصور أصحاب النظريات أو العقول التي جمدت على القديم أو التي انبهرت بالجديد، فالدكتور السيد محمد علي الشهرستاني تأثر بهذا المصلح الكبير، فهو رجل يميل الى التجديد والى الوحدة ومن هنا كان تأثره بالإمام السيد عبد الحسين شرف الدين والإمام السيد موسى الصدر فرج الله عنه، وكان رفيق درب السيد موسى في جهاده وفي حركته في السبعينات وكثير من مشاريعه نفذها وحتى بعد تغييره بقي الى جانب المشرفين على مؤسسات الإمام الصدر، ومن يذهب الى صور ليرى البناية الفخمة والعمارة الجميلة لمؤسسات الإمام الصدر التي نفذها وهندسها السيد الشهرستاني ليرى إبداع هذا الرجل.

كان عليه السلام مؤمناً بالدور العلمي وقدرة العلم على النهضة بالأمم وأن نهضتنا الحضارية لا يمكن أن تكون إلا على أساس العلم الملتزم بالقيم الروحية السامية التي يحملها الدين الحنيف، ولذلك كان شعار الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية

هو الآية الكريمة {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}.
وحتى اللحظات الأخيرة قبل أيام من دخوله المستشفى ورحيله السريع الذي
آلمنا وفجعنا كان ﷺ يتابع معي شؤون الطلبة وقضاياهم ومشكلاتهم. لذلك كان
فقدته خسارة كبيرة ندعو الله أن يصبرنا عليها، ونبتهل للباري جل شأنه أن يسكنه
فسيح جنانه ويحشره مع أجداده الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

الدكتور السيد عادل عبد المهدي يقدم التعازي لذوي الفقيد الراحل السيد محمد علي الشهرستاني

عزى نائب رئيس الجمهورية السيد عادل عبد المهدي ٦-٣-٢٠١١ ذوي
الفقيد سماحة السيد محمد علي الشهرستاني خلال عدة اتصالات هاتفية وكلاً
على انفراد مع السيد جواد الشهرستاني ونجل الفقيد الدكتور احسان الشهرستاني
والدكتور حسين الشهرستاني.

وعبر فخامته عن عمق حزنه ومواساته بفقد شيخ المعمارين في الفن الاسلامي
الراحل السيد محمد علي الشهرستاني، مثنياً في الوقت ذاته على السيرة العلمية
الزاخرة بالعطاء والتاريخ الطويل من الفكر والمنجزات الكبيرة حيث تمثل خسارته
خسارة مؤسسة كاملة.

كما أكد فخامة السيد النائب على ان العطاء الذي قدمه الفقيد سيبقى رافداً
للاجيال القادمة بتتاجاتها وانجازاتها، داعياً الباري ﷻ ان يسكنه فسيح جنانه
ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

مكتبة الجوادين العامة في العتبة الكاظمية المقدسة تقيم ندوة خاصة

حول الاستاذ الدكتور الراحل السيد محمد علي الشهرستاني

أقيمت في مكتبة الجوادين العامة ندوة خاصة حول العلامة السيد "محمد علي الشهرستاني" وذلك ضمن سلسلة ندواتها الثقافية الشهرية حيث بين المشاركين في الندوة نبذة موجزة عن السيرة الوضاعة للسيد الراحل التي تميزت بالإبداع والتجديد وتقديم كل ما فيه إسهام من أجل النهوض بالواقع الإنساني عامة، وواقع المسلمين خاصة، فكان ممن تحدث بهذه المناسبة سماحة الشيخ "محمد خليل السنجري" حيث تحدّث عن البعد الفكري والثقافي بتدثر للسيد الشهرستاني، ثم تلاه الأستاذ الدكتور "حميد مجيد هدو" الذي ألقى على الحاضرين كلمة قيمة أشاد فيها بتلك الجهود التي قام بها السيد "الشهرستاني" وقد أجاد الدكتور "هدو" بمشاركته في هذه الندوة وبيّن ما يتعلق بالسيد من رفعة ومنزلة إضافة لفضله وتواضعه، ثم تحدث الدكتور "مهدي التميمي" وبعده الأستاذ "مكي البغدادي" عن آثار الإنسان العالم وأثره في المجتمع، ثم تلاهما الأستاذ "إسماعيل الجابري" الذي تحدث بإيجاز عن محاور عدة تتعلق بجهود السيد "الشهرستاني" ومنها ما يتعلق بجهوده الكبيرة والعظيمة في الخارج بيان ما يتعلق بمظلومية الشعب العراقي من النظام الدكتاتوري وما لحق بالمؤمنين من أذى وظلم النظام الذي تجاوز الحد بالاعتداء على المرجعيات الدينية وطلبة العلوم، وكذلك تحدث عن جهود السيد في بيروت بإصدار جريدة تبين الفكر الإسلامي وما يتعلق بتراث أهل البيت (عليه السلام) وعلمائهم، ثم ختم المجلس بكلمة السيد "محمد إياد السيد جواد الشهرستاني"

الذي تحدث عن تفاني السيد "محمد علي الشهرستاني" بأستاذه المصلح الكبير السيد "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" وكيف أن الفقيه كان مهتماً جداً بتراث أستاذه "الشهرستاني" فقدّم للمكتبة عدة أجهزة حاسوب ومجموعة كبيرة من الأقراص الليزرية للرسائل الجامعية لتكون "مكتبة الجوادين العامة" في مقدمة المكتبات في العراق في هذا المجال، إضافة لجهوده "رحمته" في إقامة المؤتمر العلمي حول فكر السيد "هبة الدين الحسيني الشهرستاني" وذلك بالتعاون بين الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن مع جامعة الكوفة.

فكانت الندوة مثمرة بالآراء والأفكار الكبيرة للعلامة السيد "محمد علي الشهرستاني" الذي افتقدته المحافل العلمية العالمية والمراكز البحثية والمؤسسات الإنسانية.

علماً أن الفقيه كان قد قدّم محاضرة علمية في الندوة الثقافية الثانية للمكتبة تناولت الفكر التجديدي لأستاذه السيد "هبة الدين" وذلك في يوم الخميس ٢٠٠٨/١/٣ م.

رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية تنعى الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني

اللهم صل على محمد وال محمد وعجل فرج قائم ال محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون

تنعى رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية بقلوب راضية بقضاء الله وقدره
وفاة رجل من رجال الشيعية في العالم وهو الأستاذ الدكتور السيد محمد علي
الشهرستاني (رئيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) الذي كان من مؤسسي هذه
الرابطة عام ١٩٨٣

ومن أنشط الشخصيات العاملة في خدمة المشاريع التعليمية والخيرية في عدد
من دول العالم. لقد ختم حياته الحافلة بالنشاطات النافعة بمشاريع لتوسعة مباني
العتبات المقدسة في العراق ودفن في صحن الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.
رحم الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه ورزق أهله وذويه وأجباهه
الصبر والأجر.

إنا لله وإنا إليه راجعون

محمد الموسوي

رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية

كتب الباحث سامي جواد كاظم ٢٠١١/٠٣/١٢ السبت ٠٧/ربيع ثاني/ ١٤٣٢ هجري

اصدق مثال لمن يبقى حيا بعد مماته في عصرنا الحالي هو السيد محمد علي الشهرستاني الذي عاش حياة حافلة بالعطاء والابداع والذي لم يكل او يمل من التجديد مع كل يوم جديد ياخذ خطوة من عمره باتجاه الموت بل وحتى صارح المرض من اجل العطاء وقد قدم مشاريع فريدة من نوعها في تصميمها وهندستها ومثل هكذا شخص من الطبيعي ان يعترض بعض المنتقدين ممن يعانون من امراض نفسية تجاه الامتياز، رحل ولا زالت اعماله شامخة تدل على مكانته بين الوسط الذي عايش انجازاته.

عايشته عن قرب كان متحمساً لعمله يكره الخطأ يواصل الاشراف على كل صغيرة وكبيرة له ذاكرة ممتازة بحيث انه عندما كان يراجع الخريجين من جامعته توقف امام اسمي قال هذا الاسم اذكره جيدا انه من كتب عني، وكنت متاملا ان يزين توقيع الكريم شهادة الماجستير الا ان يد المنون حالت دون ذلك وان شاء الله الخير في خلفه.

بعض انجازاته التي تستحق ان نقف طويلا امامها اذكرها لكم على عجلة منها

- ١- توسعة حرم الامامين الكاظمين من الجهتين الشرقية والغربية.
- ٢- بناء الطابق الثاني وتسقيف صحن الامام الحسين (عليه السلام).
- ٣- تصميم وانشاء صحن جديد في الجهة الشمالية من الصحن الكاظمي وبمواصفات معمارية اسلامية عالية.
- ٤- تصميم ثلاث مدن للزائرين في كربلاء وتنفيذ واحدة منها على طريق كربلاء - نجف.
- ٥- اعادة بناء مشهد الامامين العسكريين في سامراء.

- ٦- توسعة حرم الامام الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد.
- ٧- انشاء خزانات المياه العملاقة في المشاعر المقدسة في مكة المكرمة.
- ٨- انشاء فضائية (قائم) لبث البرامج الفكرية في عقائد اهل البيت (عليهم السلام).
- ٩- انشاء صوامع للحبوب ومعامل للاسمنت كبيرة في اماكن عديدة من العالم ناهيك عن مشاريعه - (عليه السلام) - في اندونيسيا وساحل العاج والسنغال وغيرها من البلدان.

نال عدداً من الاوسمة والدروع والجوائز من اليونسكو في باريس ومن مؤسسات معمارية تراثية في الولايات المتحدة ومن جامعات عريقة عراقية وعربية واجنبية كما اثنى على جهوده كبار المعمارين في العالم ناهيك عن ثناء علماء الدين والمراجع لما قدمه للمشاهد المقدسة من خدمات ومساغية للخير وخدمة المجتمع.

في كربلاء يعتبر تسقيف الصحن الحسيني الشريف قمة في ابداعاته الهندسية والخدمية الذي اسدى هذا المشروع خدمة جبارة في وقاية الزائرين من الحر والبرد وقد اثبت خطأ من تعرض لهذا المشروع بالانتقاد بل اثبت ان انتقادهم للتسقيف جاء لغاية ضد الحسين (عليه السلام) والا لديه كثير من المشاريع الهندسية على غرار التسقيف في بقية العتبات المقدسة فلماذا كربلاء دون غيرها؟

اليونسكو هي من كانت تبحث عنه لتكليفه بهكذا مشاريع عملاقة ذات البعد التاريخي الاسلامي ليقينها بما يتمتع به هذا الرجل من خبرة واسعة وشاسعة في هذا المجال.

انه الابن البار للمرجعية العليا في النجف الاشرف وقد اثنى عليه السيد ابي القاسم الخوئي رحمته الشريف والذي نعته بولدنا وكذلك اثنى عليه السيد علي الحسيني السيستاني وكان موضع ثقة في تكليفه بالاعمال الهندسية ذات الاهمية الخاصة واجمل ما في الرجل عندما مزج علم الهندسة بعلم الفقه فانه على درجة عالية من الثقافة الدينية وكان له حضور في الدراسة الحوزوية وقد قطع مراحل

متقدمة فيها وكلل حبه للعلم بتأسيسه جامعة عالمية في لندن تحت اسم الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية ولديها فروع في عشرات من الدول العالمية، ولا اعلم لماذا المماثلة من قبل الجانب العراقي في الاعتراف بها علما ان العالم يفضلها على الجامعات العراقية في اعتماد شهادتها.

واخيرا نسال الله ﷻ ان يتغمده برحمته الواسعة وان يكمل ولده احسان

مسيرته.

السيد محمد علي الشهرستاني..

امة وقدوة

بقلم علي مرسل

مدير قسم التسجيل - الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن:

مع تسليمي بقضاء الله ﷻ لم اصدق حتى اللحظة ان المغفور له سماحة السيد محمد علي الشهرستاني قد وفاه الاجل!.. لقد هز رحيل الفقيه مشاعري بشدة، حيث تشرفت بالعمل مع سماحته لما يقرب من ربع قرن من الزمان، منذ تأسيسه للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية إلى وقت رحيله، وكان لي ولزملائي الآخرين ولهيئة التدريس بالجامعة وطلابها نعم الأب المربي والقدوة الحسنة والعالم الفذ.

ومع حرصه الشديد على دقة المواعيد في الحضور والانصراف والنظام الصارم في العمل، كان يستمع إلى كل الآراء عطوفا متسامحا إلى ابعد الحدود. ولم يبخل علينا الراحل الكريم بعلمه ومعرفته الواسعة في مجالات عديدة. فعندما ينصحك أو يرشدك تحس بذلك العملاق الذي سبر أغوار التجربة الإنسانية وأستخلص منها الخبرة ليقدمها إليك على طبق من ذهب. وللفقيه مواقف مشهودة مع الموظفين وهيئة التدريس والطلاب على وجه الخصوص. واذكر له تأثيره الشديد إلى حد البكاء عند سماعه عجز طالب من الطلاب من تسديد الرسوم الدراسية رقم قلتها، وكان يطالبني بإعفاء غير القادرين من دفع المصروفات حتى لا يحرم طالب علم من دراسة علوم أهل البيت ﷺ والانتفاع بها ونشرها.

وتميز الراحل الكريم بالإخلاص والقصد الحسن بالصدق في القول والعصمة من النفاق والرياء والطمع وكان بسيطا في مسكنه وملبسه ومأكله، شفافا بعيدا عن المصالح الذاتية متزها عن الدنيا بعيدا عن سفاسف الأمور، كما اشتهر بعبقريته

وسرعة بديهته وحضوره الذهني وثباته عند الملمات.

ويتمي الفقيه إلى الجيل الفريد من علمائنا الموسوعيين الكبار، الذين يتسمون بشمولية النظرة والإطلاع الواسع والإلمام بالمعارف على مختلف ألوانها، كان مهندسا بارعا، لقب بشيخ العمارة الإسلامية، فيلسوفا نلوذ بطروحاته الفلسفية العميقة، ومفكرا ومخترعا هندسيا ومؤلفا بارزا في علوم شتى.

وقضى الراحل حياته كلها باسم الله وعلى منهج أهل البيت عليهم السلام، ولم يدخر وسعا في ذلك رغم ضخامة مشروعاته وقلة الإمكانيات المادية. كان لا يخشى الفشل ولإيهاب أحدا فعلمني الثقة بالنفس والتعلق بالعناية الإلهية للوصول إلى قمة الأداء في العمل والكفاءة الإنتاجية.

وبعد ذهاب نظام صدام حسين البائد انتقل الراحل إلى العراق لإعادة أعمار العتبات المقدسة. وفي السنوات الأخيرة تمسك بالبقاء في كربلاء المقدسة، وكان يقول انه قد هيا نفسه إلى لقاء ربه جوار جده الامام الحسين عليه السلام. وارتحل الفقيه وترك وراءه مشروعات عظيمة ومواقف مشهودة في الدعوة الى الله عز وجل وستبقى ذكراه وأعماله وتوجيهاته حاضرة ابد الدهر راسخة في قلوب وعقول أبنائه ومحبيه وتلامذته وستكون إنجازاته نبراسا للمحافظة على كيان الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.

وسنظل سيدنا ومعلمنا ووالدنا العزيز على نهجك الذي زرعت بنا من الوفاء والحنان والإخلاص.

وسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا.

برحيل العلامة المجاهد الدكتور السيد محمد علي

الشهرستاني (تتمة)

الأمة الإسلامية تترمل

لندن - مصطفى الدسوقي

نعم ترملت الأمة الإسلامية برحيل المربي الفاضل العالم المجاهد الدكتور المهندس الفقيه والفيلسوف النابغة السيد محمد علي الشهرستاني استاذي ومثلي الاعلى وقدوتي، فبموته فقدت الأمة علماً كوكبا من كواكب الهداية في سمائها ورمزا من رموزها البارزين، فقدت عالما جليلا عاش عمره كله في خدمة العلم والإسلام واهل البيت والبشرية كلها.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة"

قال تعالى: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ". وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر. وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر. وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر. وروي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): يا كميل، هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

كان العالم الجليل السيد محمد علي الشهرستاني ينتمي إلى الفكر الإصلاحية الذي يرى في التعليم الحل لازمات المجتمع الإسلامي، وكان يؤمن بان أحد أهم معايير تقدم الأمم ورفقيها في سلم الحضارة هو مدى تقدم مؤسساتها التعليمية التي تساهم في بناء مجتمع مؤهل ومدرب من خلال تخريج أجيال ذات كفاءة عالية وشخصية متميزة قادرة على الإبداع والعطاء وتحقيق التقدم الحضاري المنشود عن طريق نشر العلم على أوسع نطاق تطبيقاً لقوله تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) وهي الآية الكريمة التي اتخذها المغفور له شعاراً للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية التي أسسها قبل ما يقرب من ربع قرن في المملكة المتحدة بأسلوب مبتكر يهدف إلى إتاحة فرص الالتحاق بالتعليم العالي إلى أكبر عدد ممكن من الطلاب.

وعرف الفقيه بفكره التجديدي والإصلاحي المستنير، وله إسهامات جلييلة في خدمة البشرية في مجالات شتى أبرزها التعليم والعمران، فبذل الكثير من الجهد والمال من اجل الارتقاء بالمؤسسات الإسلامية والتعليمية في العالم، بالإضافة إلى جهوده في إعادة أعمار العتبات المقدسة في العالم الإسلامي وحمائتها من العوامل البيئية ومن العدوان. وهو من الرعيل الأول الذي ساهم في دعم المرجعية الدينية في النجف الاشرف من خلال العمل على استنهاض منظمات حقوق الإنسان في دعم الانتفاضة الشعبانية وحفظ العتبات المقدسة من همجية النظام البائد في العراق. نال التقدير والجوائز العلمية من قبل العديد من المؤسسات الإسلامية والعلمية العالمية، وله العديد من المؤلفات والدراسات والبحوث الإسلامية والثقافية والعلمية التي أثرى بها المكتبات الإسلامية والعلمية، ومسجل باسمه حق براءة اختراع محرك الديزل والبترول في دائرة الاختراعات البريطانية.

وبدأ المجاهد الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني المولود في كربلاء سنة ١٩٣٢ حياته بدراسات حوزوية من مرحلة السطوح إلى مرحلة البحث

الخارج، وظهرت عليه علامات النبوغ المبكرة، فحاول الانفتاح على العلوم الأخرى التي لم تكن تدرس في الحوزة العلمية، فوجد ضالته لدى المصلح الكبير سماحة آية الله السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني الذي تعهده منذ نعومة أظافره فأخذ عنه الكثير من فكره الإصلاحية النهضوي إضافة إلى العلوم الفقهية والعقلية والعلوم الطبيعية، فإذا به وهو صغير يتفوق على أقرانه وبتقدمهم في العلم، ولورعه الشديد كان يقدمهم كذلك في إمامة الصلاة. ومع دراساته الحوزوية التحق السيد الشهرستاني بكلية الهندسة في جامعة بغداد وتخصص في الهندسة المدنية وتخرج منها بتفوق، فواصل تعليمه العالي ليحصل على درجة الدكتوراه في الهندسة الدولية من جامعة دلمونده بالمملكة المتحدة عام ١٩٦٧. وللفقيد رضوان الله عليه مؤلفات واطروحات وبحوث إسلامية وثقافية وعلمية عديدة من أهمها المدخل إلى علم الفقه وأزمة الحضارة المعاصرة وأطروحة الخلاص والنهضة الحسينية وصلتها بقاعدة اللطف وغيرها. وبعد حياة عامرة بالجهاد والكفاح والعمل الشاق انتقل إلى رحمة الله الاثنين ٢٨ فبراير - شباط الماضي في إحدى مستشفيات طهران العلامة الدكتور شيخ العمارة الإسلامية الدكتور المهندس محمد علي الشهرستاني بعد مرض لم يمهل طويلاً. ونقل جثمان الفقيد على متن طائرة خاصة من طهران إلى بغداد مروراً بالكاظمة وسامراء والنجف الأشرف، ثم إلى مثواه الأخير حيث دفن في كربلاء المقدسة جوار جده الإمام الحسين عليه السلام.

رعاية خاصة من العلامة السيد الشهرستاني رضوان الله عليه لفرع الجامعة في إقليم كوردستان العراق وقفة في رحيل

كتب: الدكتور عثمان علي ميرانبك - رئيس فرع الجامعة العالمية للعلوم
الاسلامية في أربيل.

كان شغفي بحب العلم وتعلمه شاغلاً جل فكري، فدفعتني مذ أن كنت في
مرحلة الدراسة الاعدادية الى المطالعة الخارجية، ولازلت أحتفظ بقصاصات
الورق ووريقاتها التي دونت عليها بعض الملاحظات ونقلت إليها بعض الجمل
والفقرات والمواضيع في السياسة والتأريخ وما الى ذلك.

رغم الشوق الشديد الى مواصلة الدراسة بعد مرحلة البكلوريوس في القانون،
الا ان بعض الشروط القاسية حالت دون تحقيق ذلك، وعلى رأسها بل أهمها
موافقة الجهة الحزبية المتمثلة بحزب البعث الحاكم آنئذ والذي كان يسيطر على
مجمل مناحي الحياة في البلاد ومؤسسات الدولة منذ أواخر الستينات.

حالما استقر بنا الحال في لندن بعد عقود من السنين طرق الى مسامعي وجود
جامعة إسلامية فيها، أسسها ويرأسها ويديرها عراقيون، ويمكن الدراسة فيها
باللغة العربية كذلك الى جانب اللغة الانكليزية، لكن استعصى علي في بادئ
الأمر الاستدلال عليها أو على أي معلومة يوصلني إليها، الى أن استدعيت يوماً
لحضور ندوة لبعض شخصيات المعارضة العراقية في (مركز كربلاء للبحوث
والدراسات). تفاجئت بوجود مقر تلك الجامعة في نفس البناية. فذهبت مع أحد
الأصدقاء الذي كان على معرفة بهم. استقبلنا عميد الدراسات العليا برحابة صدر

وترحيب حار وودي وهدوء وإتزان وكان الاستاذ الدكتور إبراهيم العاتي الذي لا يزال يشغل نفس المنصب في الجامعة وي بذل قصارى الجهد بكل تواضع وصدق وأمانة دون كلل أو ملل رغم بعض مصاعبه الصحية، فسجلت في تلك الجامعة لاكمال الماجستير والدكتوراه في القانون فيها بعد أن إلتقيت أيضاً برئيسها، وتم نيل الشهادتين منها فيما بعد بعونه تعالى ودعم من رئيسها وعميدها وكادرها الطيبين.

تكررت اللقاءات والندوات لبعض أطراف وشخصيات المعارضة العراقية في المركز المنوه عنه. وفي إحدى المرات عام ٢٠٠٢ إلتقيت من بين من إلتقيت هناك بذلك الرجل العبقرى ذو الكلام الفلسفي والإنسان المتواضع الغزير بالعلم والثقافة والأدب، يبدي آراء سديدة تنم عن المعرفة الفائقة والاخلاص والتفاني من أجل العراق وشعبه، مع الاستعداد اللامحدود لتقديم خبراته الفنية وعلمه وإمكاناته من أجل العراق وشعبه بعد إزاحة نظام الحكم الدكتاتوري لصدام المقبور. كان ذلك الرجل هو الاستاذ الدكتور السيد محمدعلي الشهرستاني رئيس الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية.

بعد أيام من ذلك تلقيت رسالة دعوة منه للمشاركة في مؤتمر للأكاديميين العراقيين لبحث ودراسة الأوضاع وما يمكن القيام به لعراق ما بعد نظام حكم صدام. فكان لابد من الحضور والمشاركة وتبادل الآراء والمقترحات. ثم لقاء آخر دعاني إليه في مقر الجامعة مع بعض المختصين للتباحث حول دستور للعراق وقوانين تحل محل بعض القوانين الجائرة السائدة آنذاك، وكانت له آراء ومقترحات سديدة دوماً.

وبعد فترة قصيرة تلقيت طلباً آخراً منه يكلفني القيام بالعمل على عقد مؤتمر دستوري في مقر الجامعة ودعوة الأساتذة والمختصين للمشاركة في إعداد مقترح مشروع أو مبادئ دستور لعراق ما بعد صدام- وحينها كنت قد أعددت مقترح مشروع دستور لعراق ما بعد صدام- الا اننا فوجئنا في تلك الأيام بقيام جهات

أخرى عراقية معارضة بمثل تلك المهمة، فأثرنا التراجع عن عقد المؤتمر المزمع عقده كي لا تتشتت الجهود والأفكار والتوجهات والجهات.

كانت هذه الجامعة وستبقى أحد المعالم العلمية البارزة التي تشهد لهذا الرجل العظيم، وأحد إنجازاته العلمية والانسانية والدينية التي لا يقدم عليها الا من كان يتصف بصفات ذلك الرجل الملهم المحب لدينه ووطنه وبني شعبه والعلم والثقافة والانسانية. هذه الجامعة التي قدمت خدمات جليلة للعديد من الكوادر العلمية وطلبة العلم في مختلف المجالات، لاسيما للعراقيين منهم بالدرجة الأساس في بريطانيا وخارجها. وكان إقليم كردستان العراق منذ سنوات قبل سقوط نظام حكم الطاغية صدام والى يومنا هذا أحد أهم المناطق التي وصلته خدمات هذه الجامعة وشملته برعاية خاصة وتسهيلات مقبولة علمياً وتخفيضات في الأجور الدراسية التي هي بالأساس متدنية مقارنة بغيرها من الجامعات حتى في داخل بلداننا أيضاً. إلا ان صعوبة الاتصال والتواصل مع داخل الاقليم لم يكن سهلاً قبل سقوط نظام الحكم المقبور، لهذا لم تتمكن الجامعة من تحقيق رغبتها في رفع درجة وزيادة مستوى تقديم الخدمات العلمية لأبناء الاقليم كما كانت تحلم به وترغب فيه. ولكن منذ بداية عام ٢٠٠٥ تم التشاور بيني وبين الجامعة من خلال الاستاذ الدكتور الفاضل إبراهيم العاتي والتباحث مع السيد الدكتور الشهرستاني وتم الاتفاق على فتح فرع للجامعة في إقليم كردستان العراق على أن يكون مقره في مدينة أربيل وتغطية العمل في المناطق المجاورة كذلك. ورغم ان الاتفاق الاولي بيننا كان لمدة عام واحد قابل للتجديد، ورغم إدراكي المسبق بأن ما سوف أتقاضاه نتيجة عملي هذا ومتاعبه الكثيرة جداً لا يتعدى تسديد ثمن تذاكر السفر في أحسن الأحوال، إلا أن حبي العلم وتقديم الخدمة للبلاد والمواطنين والتعامل الايجابي اللامحدود من قبل الجميع في الجامعة دفعني للاستمرار في أداء هذه الخدمة التي إعتبرتها تطوعية لمدة خمسة أعوام كاملة. وتمكن الفرع

هناك من تخريج عدد من خيرة الكفاءات العلمية من ذوي الخبرة الجامعة بين النظرية والعملية والاختصاصات المختلفة، وبينهم عدد من القيادات الحزبية والوزراء وأعضاء البرلمان وقضاة التمييز ودرجات المحاكم الاخرى والمحامين والمدرسين ورجال الدين وغيرهم من الجنسين، وذلك لمرحلة الماجستير لما يزيد على اربعين طالباً، ولمرحلة الدكتوراة لما يزيد على عشرة طلاب، ولا يزال عدد المنتسبين من الطلبة غير المتخرجين فيه يزيد عما ذكر. ومن الجدير بالذكر فان الغالبية العظمى من خيرة أساتذة الجامعات في الاقليم وقسم من مدن الموصل وكركوك وبغداد كانوا يتعاونون مع فرع الجامعة بكل ود وإخلاص.

ان ذلك فخر لذلك الرجل الذي وافته المنية للأسف الشديد قبل فترة قصيرة. وبذلك يكون العراق عموماً والجامعة والعلم والانسانية قد فقد معلماً مهماً وأستاذاً قديراً وفيلسوفاً بارعاً ومهندساً ماهراً خبيراً مشهود له على مستوى العالم وإنساناً أكاديمياً علمياً باهراً لا يمكن تعويضه بسهولة. فرحمة الله على الاستاذ الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني. وأسكنه الله فسيح جنانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

development.

- A reference book on: "Appropriate Urban Planning in Developing Countries": A guide to Low-Cost Housing and urban development.

- Problems of Contemporary Civilisation and its Solution (in Arabic)

- Imam Hussain Uprising and its relation to Compassionate Law (in Arabic)

In recent years he has head a charity for orphans in Iraq.

Awards:

A Commendative Medal of Honor (Gold) award for outstanding achievements is given to him by the American Biographical Institute. Moreover, the Distinguished Leadership Award was also given to him by the American Biographical Institute.

Although he designed something new (invention) in almost any project, but he patented only two of them internationally. These are:

- Rotary Combustion Engine design, patented in England in ١٩٦١
- New design for modular roof structure, patented in England in ١٩٨٨

Publications:

- General Editor of "International Journal for Development Technology"
- General Editor of "Islamic University" Journal
- A monograph on: "Transmigration and Resettlement in Indonesia", A novel proposal for the second stage

in Karoun, Iran. He was able to compete and win projects from international giants such as Krupp of Germany and Hitachi of Japan.

He was an architect in profession. Yet he did all the static calculations as well. He designed several hotels. He built many sugar and cement factories. But his greatest technical achievement was the expansion of hall of Imam Reza's (pbuh) shrine. He did this while all others including foreign engineers failed to achieve. He repeated the same technique in other shrines including ones in Iraq.

Social Activities:

His social activities start from his childhood when he participated in religious mourning programs. Then he was first to introduce loudspeaker in these programs. His home was always a centre of religious activities. Even his office was a hub for student activities. He then participated and gave lectures in several conferences in which he advocated for social harmony between West and Islam. He even organized a program of social reform in which students of his universities were encouraged to go back to their countries upon graduation and work for their societies as adequately paid employees.

In ١٩٨٢, he formed the International Centre for Technical Research (ICTR) in London, as a centre to transfer western technology to the developing countries. One offspring of this centre was the establishment of the International Technological University in collaboration with UNESCO.

His intellectual activities did not stop at the above. He was the first to broadcast religious and documentary programs called "Qa'im Channel". Moreover, he has organized many think tank and lobbying activities. The most famous one was organization of multi-activity program called "Ghadeer Festival" in London to celebrate the ١٤th century anniversary of the "Ghadeer Khum" event.

Technical Achievements:

Following formation of a construction company that became one of top companies in Iran within few years, he was first to introduce the steel production know how to Iranian industry. Some of works carried out under his management were the largest in the world at that time such as the cement silo in Abyek, Iran; the steel water reservoir in Muna, Saudi Arabia; and the sugar cane plant

in his journey and continued to follow his route. He was eventually successful and gave without any parsimony. A journey that took six decades, faced many ups and downs but did not stop him until he achieved what he has intended to do. He planned well and carried out his plans well. He did this for the sake of God and indeed whatever is made for God, grows.

Intellectual activities:

Following a bad experience in failing to send a preacher to Indonesia, he formed the World Organisation for Islamic Services (WOFIS) in Iran. This centre translated booklets to English and distributed them to almost all Islamic centres all over the world free of charge. This activity was then enhanced by formation of the International Colleges of Islamic Sciences (ICIS) in London. This university was admitted as a member to the Federation of the Universities of the Islamic World (FUIW). One of products of ICIS was formation of the Future Iraq think tank in London before collapse of Baath regime in Iraq. It has also organised several international conferences in addition to graduating hundreds of undergraduate and PhD students. He has printed several articles and some books.

He started the journey carrying dilemmas of his nation, but he stuffed it with knowledge and crowned them with his best jewel: His trust in the Almighty God. He utilized all his wealth, health and faith in order to serve his people, his ideology, and the teachings of Islam. He had good resources for this: his ancestors, the fourteen infallibles (pbuh) and one thing unique to him, his pure will. What can one expect when all is required is to serve. When a powerful God is behind a pure will, everything becomes possible. This was his motto. And this is what he wanted to convey to future generations. He practiced what he believed and some of the works mentioned in this book are just examples of this guideline. He worked day and night, travelled all over the world, met all sort of people from lay workers to presidents. He established charities, think tanks, research centres and two universities. But what was most important to him was to serve Imams. He redeveloped several shrines of infallible Imams starting from Imam Reza's (pbuh) shrine in Mashhad, Iran and continued the same in all other shrines in Iraq after the fall of the tyrant.

I studied all his books and writings. He answered humbly to my questions and told me all I needed to know. I found him a man who did not bother the rough storms

famous for; a knowledge that can be used as an example for others. It can show the way to those who want to follow the same path. This is the essence and use of biography.

In short, detailing characteristics of great men is part of human culture and history. It can not be separated from events surrounding that person. Writing biography of such people is a contribution to the history since the latter is nothing but a study of human activities, be it in the distant past, past, present or contemporary. It is no wonder that many writers wrote about sages in religion, society, politics, or science for a long time. Their styles in these writings have varied but they all have a common aim of contributing to the history by detailing the characteristics and activities of their individual heroes. In doing so, they wrote down the progress of a human mind and what it can do to human society in all its details.

The writing at hand is such a work. And for the sake of academic scrutiny, I would like to say that I have personally checked all the facts written down in this biography from original documents, his personal effects, and from direct questions and answers I had with Dr Shahrestani as well as my personal research.

reality of history by pinpointing the re-action between the person in picture, be it a politician, an academic, a scientist or a revival, and the forceful forces of his culture and society. It is possible that biography become even more important than history, as some philosophers have suggested, because it is the core event in it. History, some suggest, is biography of great men. However, biography is subject to the same scrutiny as history does. It should have the same correct resources, well documented, or directly obtained from the source. As such, writing a biography is not an easy task. Only those who master the skills of a historian can write a biography and should mix it with artistic feelings of a writer.

A biography is not a mere compilation of events from birth to death of a person. It is all about a story of a man with a heart. It is about a great man who contributed to the events of history itself. The notion of Great Man has been and it is pivotal to the study of history which is full of stories about great men and their achievements. It is this part of history which is useful for future generations and gives the necessary enlightenment.

Writing about a symbol in human being is the best way to document the characteristics in which he became

Abstract:

Biographical literatures have established their importance amongst other historical literatures due to its importance. If the history is known for its indication of truth for human characteristics; and it is studied from different angles in order to be verified and completed, the biography of individual is a testimony of a real event. If the history is a theory, biography is a fact within that history. This fact becomes more important, considering the person in picture had a changing role in the course of history itself. By studying details of successful individual human beings, their reaction with their environment, their standings, their views, and their achievements, we in fact, contribute to the writing and understanding of the human history.

Therefore, biography is an art of history. However, it can only be considered useful, if the writer details the

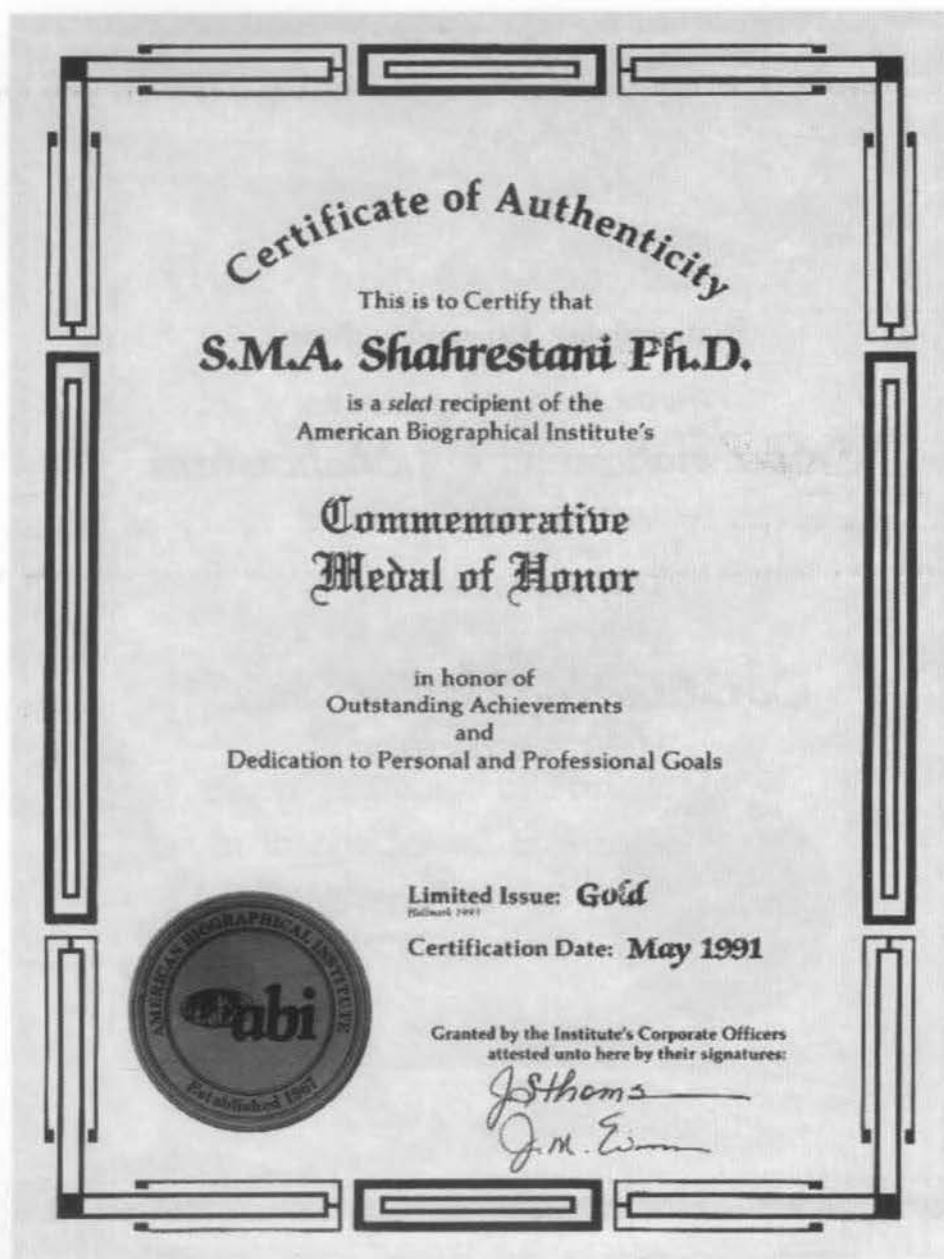
الفهرست

٥	الإهداء
٧	مقدمة
١١	إشراقات مضيئة متلاثلة
١١	النبع
١٤	الجدور
٢٣	الإشراق الوضاء
٣٢	مرحلة التفتح
٣٦	بداية نضج المدارك
٤٤	كلية الهندسة في بغداد ومرحلة النضوج
٤٨	بعد التخرج في كلية الهندسة
٥٥	رحلته إلى إيران
٥٧	محطة قطار خراسان (مشهد)
٥٩	المشروع العظيم لتوسعة حرم الإمام الرضا (عليه السلام)
٧٦	اختراع المحرك الدوراني وتسجيله عالمياً في إنكلترا
٨١	تأسيس شركة الأبحاث الهندسية الدولية
٨٥	السفر إلى أندونيسيا لتقديم المشاريع الاستثمارية
٨٩	أول من أسس صناعة الصلب والحديد في إيران
٩١	إقامة أكبر الصوامع (السايلوات) الخرسانية في العالم
٩٣	المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية (W.O.F.I.S)
٩٧	إعداد الدعاة والمبوعوثين للانتشار في العالم
١٠٠	الانتقال إلى المملكة العربية السعودية
١٠٢	إقامة أكبر خزانات الحديد للماء في العالم لحجاج بيت الله الحرام
١٠٦	استصلاح الأراضي في العراق
١٠٩	في لبنان بعد خروجه من العراق
١٠٩	ميناء الأوزاعي في بيروت
١١٧	الانتقال إلى بلد الضباب
١١٧	تأسيس المركز العالمي للأبحاث الفنية
١٢٢	مؤتمر القضاء على الفقر والمجاعة في العالم (في أندونيسيا)

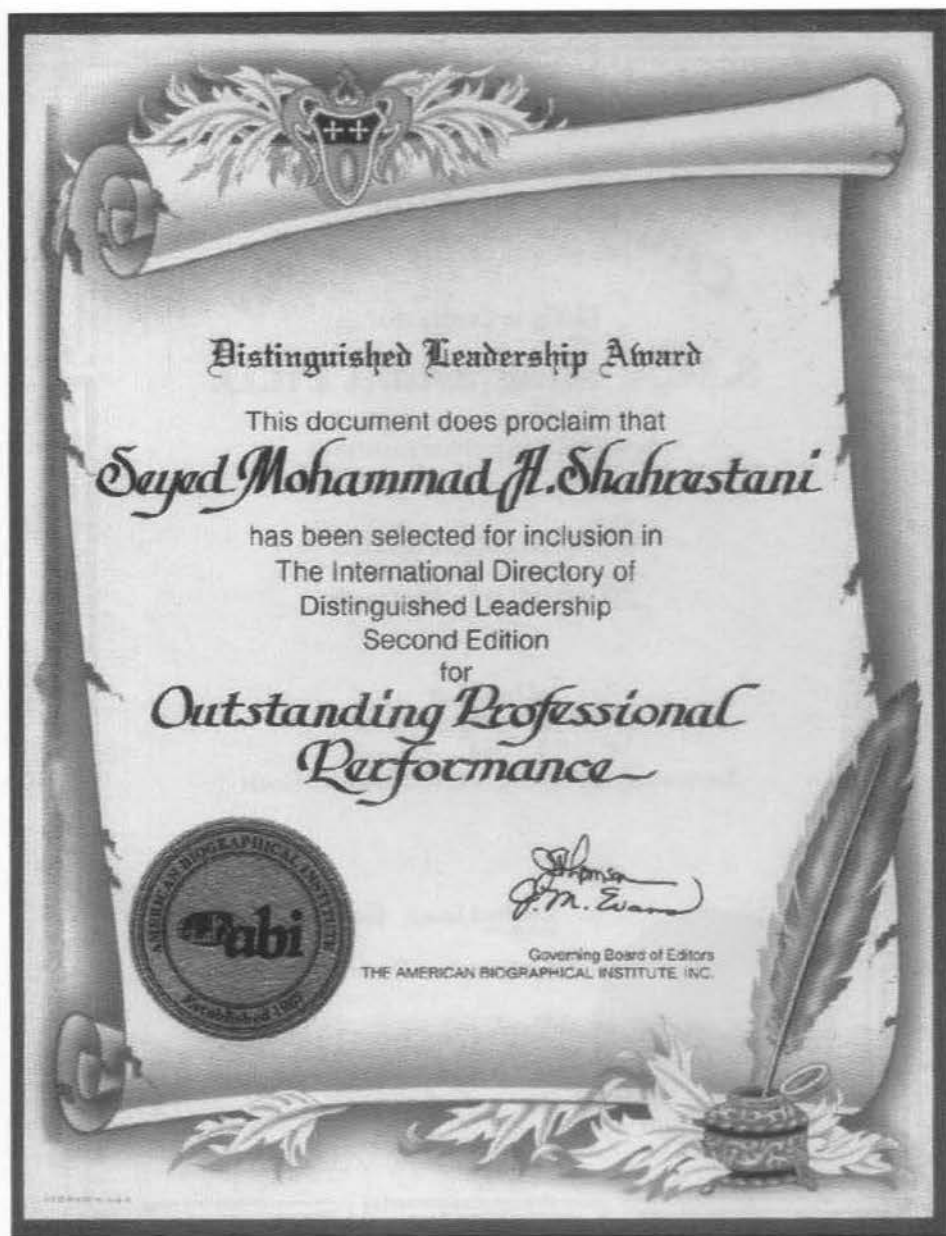
- ١٢٦ مؤتمر الإسكان العالمي بمشاركة اليونسكو وهيبنتا (في لندن)
- ١٢٨ تأسيس الجامعة التكنولوجية العالمية
- ١٣٣ تأسيس الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية
- ١٤٧ الدروس الأساسية المتعلقة بالمنهج العلمي
- ١٤٩ أسلوب التحقيق العلمي في الدراسات الحديثة
- ١٥٩ إقامة أول قناة فضائية شيعية في العالم
- ١٦٦ مؤتمرات اندفاع عن المرجعية والعتبات المقدسة في أنحاء العالم
- ١٦٩ مشروع المزارع النموذجية والمستوطنات في ساحل العاج (أفريقيا)
- ١٧٣ مهرجان الإمام علي (عليه السلام) بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير
- ١٧٧ مركز الإمام الخوئي في بومبي
- ١٨٠ مركز الإمام الخوئي في نيويورك
- ١٨١ مركز دراسات عراق المستقبل
- ١٨٥ العودة إلى الوطن
- ١٨٦ إعمار وتوسعة العتبة الكاظمية المقدسة
- ١٩٢ مشاريع عمرانية في كربلاء
- ١٩٧ المشروع العظيم لتسقيف صحن الإمام الحسين (عليه السلام) وبناء الطابق الثاني
- ٢٠٥ المشروع العظيم لبناء الصحن الكاظمي الجديد
- ٢١٠ المشروع العملاق لإعادة إعمار مرقد الإمامين العسكريين (ع) في سامراء
- ٢٢٢ التخطيط الأساس لمدينة كربلاء والحرم
- ٢٣٦ مؤسسة خدام أيتام آل محمد (عليه السلام)
- ٢٤١ مدينة الامام علي (عليه السلام) للزائرين
- ٢٤٥ تخطيط مركز مدينة الكاظمية المقدسة
- ٢٤٦ صفوة تجارب ووصايا الشهرستاني
- ٢٥٩ الفصل الأول: ثمرات قلمية وأفكار نوارنية
- ٢٦١ أزمة الحضارة المعاصرة واطروحة الخلاص
- ٣٠٥ بعض الافتتاحيات التي كتبها السيد محمد علي الشهرستاني
- ٤٣٣ دمعة حزن
- ٤٤٤ من ابداعات العلامة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني (رحمته)
- ٤٩٣ منهج الإمام علي (عليه السلام) في الانتفاضة ضد الظلم لاقامة دولة الحق
- ٥١٨ ماذا قال الراحل الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني في سيده نساء العالمين (عليها السلام)
- ٥٣٦ في يوم تكريم الجامعة للمرحوم شيخ الخطباء الدكتور أحمد الوائلي
- ٥٥٨ الرسالة التي وجهها الدكتور الشهرستاني الى مساعد الأمين العام للأمم المتحدة
- ٥٦٣ الفصل الثالث الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني في مرآة الآخرين
- ٥٩٩ الفصل الرابع الحفل التأسيسي في النجف الأشرف بمناسبة مرور أربعين يوم على رحيل العلامة
- ٦٣٩ الفصل الخامس أصدقاء الرحيل

ملحق

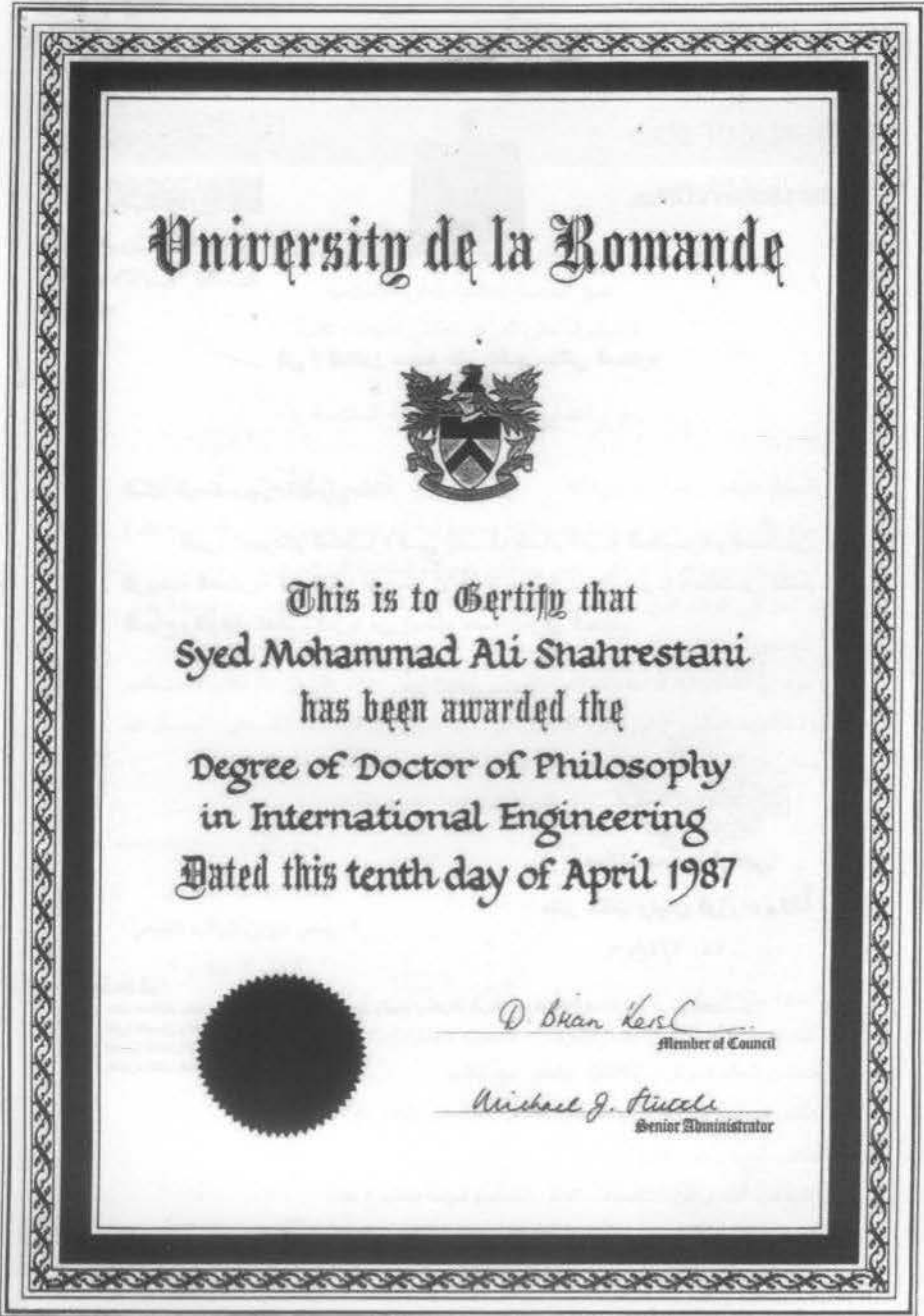
لعدد من الشهادات التقديرية
ورسائل الشكر المقدمة للراحل الكبير
الدكتور محمد علي الشهرستاني رحمته الله
ويليه ملحق لبعض الصور



رسالة المعهد الأمريكي لتقييم الشخصيات العالمية والتي يذكر فيها منح المداية
 الذهبية للدكتور محمد علي الشهرستاني لمنجزاته العالمية



الشهادات التي منحها المعهد الأمريكي لتقييم الشخصيات العالمية تقديراً للدكتور
محمد علي الشهرستاني لموفقياته الإدارية



شهادة الدكتوراه للسيد محمد علي الشهرستاني

جمهورية العراق

REPUBLIC OF IRAQ



جمهورية العراق

مكتب رئيس الوزراء

Prime Minister's Office

No:

Date: / /

العدد م ر ن / ٥٩ / ١٩٦٦

التاريخ ٢٠٠٩ / ٤ / ١٦

إلى / الدكتور محمد علي الشهرستاني المحترم

م / شكر وتقدير

السادة عليكم ورحمة الله وبركاته

تقديراً لجهودكم المتميزة في إكمال بناء القبة المطهرة والمأذنتين للروضة العسكرية الشريفة ، لا يسعنا إلا أن نوجه شكرنا وتقديرنا ، متمنين لكم النجاح والتوفيق الدائم والمزيد من العطاء خدمة للعراق الجديد.

مع التقدير

صالح حميدي الركابي

مدير مكتب رئيس الوزراء وكالة

٢٠٠٩/٤/١٦

نسخة منه إلى /

- مكتب مستشار رئيس الوزراء للشؤون إحصاء وإحصاء وإحصاء / مكتبكم المرفقة ٢٣ في ٢٠٠٩/٤/١٦ التام ... مع التقدير.
- دائرة التسجيل والدراسم.
- إدارة التذاكر.
- إدارة الكتب والمطبوعات.



بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف الشيعي

العدد: ١٥٥
التاريخ: ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٤

الى / السيد الدكتور محمد علي الشهرستاني المحترم
عميد الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية
والمشرف على المركز العالمي للابحاث الفنية

م / اعمار الروضة الكاظمية المقدسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بناءً على التداول الذي تم بيننا وبمشاركة سماحة اية الله السيد حسين الصدر (حفظه الله) نبارك لكم جهودكم الخيرة في اعمار وتطوير العتبات المقدسة في العراق وخارجه .
و نحن في الوقت الذي نشكر لكم مبادرتكم الطيبة والمخلصة في اتمام مشروع توسعة حرم الامامين الجوادين (ع) والاشراف على تركيب الشباك الجديد للضريح المقدس .
نود ان نعلمكم انه قد حصلت الموافقة على البدء بالعمل اعلاه على ان يتم تقديم تصاميم ومخططات المشروع الى دائرة الشؤون الهندسية في ديوان الوقف الشيعي . نسأل الله تعالى ان يوفقكم لمشاريع الخير والبر والباقيات الصالحات انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



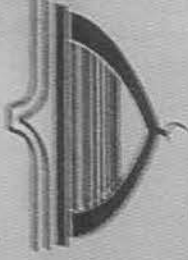
حسين بركة الشامي
رئيس ديوان الوقف الشيعي

٢٨ / ٣ / ٢٠٠٤



نسخة منه الى /

المرجعية الدينية في النجف الاشرف - للتفضل بالعلم مع الاحترام
مجلس الحكم الموقر - للتفضل بالعلم مع التقدير
مكتب سماحة اية الله السيد حسين الصدر - للتفضل بالعلم مع التقدير
مكتب السيد رئيس الديوان
المجلس البلدي في الكاظمية - للعلم وتسهيل مهمة المتبرع لطفاً
دائرة الشؤون الهندسية - للتعاون مع المتبرع في اتمام العمل رجاء



شهادة تقدير

جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

تتقدم رئاسة ديوان الوقف الشيعي بالشكر والثناء والتقدير
للجهود الكبيرة التي بذلتها

السيد الدكتور محمد علي الشهرستاني

في توسعة الروضة الكاظمية الشريفة سائين العلي
التقدير أن يجعله من بناء العتبات المقدسة في العراق
إنه ولي التوفيق

بغداد في ٦ شعبان ١٤٢٥ هـ
٢٠ أبريل ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد: ٧٣٨

التاريخ: ٢٠٠٥/١٠/٢٠

No.

Data:

مكتب

سماحة آية الله الشئيد حسين الصدر

(دام ظله)

التمتع لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف خلقه وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين

إلى/ حضرة الأستاذ الفاضل العالم الجليل الدكتور المهندس سليل العترة الطاهرة

السيد محمد علي الشهرستاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أبارك لكم أعمالكم المباركة في المشاهد الشريفة والعتبات المقدسة جميعاً ومنها ما تم في
الروضة الكاظمية المقدسة بخبرتكم وإشرافكم مع ما تحملون من خلق رانع وروح تقية وإخلاص
عال لذا أتمنى منكم الابتداء بمشروع تطوير وتوسعة الصحن الكاظمي الشريف داعياً لكم بالصحة
والعافية وأن تكونوا دائماً بخدمة الإسلام العظيم وبخدمة الأئمة الطاهرين وأن تبقى أياديكم الكريمة
وبصماتكم المباركة في كل العتبات المقدسة والمشاهد الشريفة وإن يكون ذلك لكم من الباقيات
الصالحات وتجمعون بذلك خير الدارين سعادة الدنيا والآخرة أنه ارحم الراحمين.

الصدر

السيد حسين السيد إسماعيل





الأخ الفاضل الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني، توفيقاً لكم

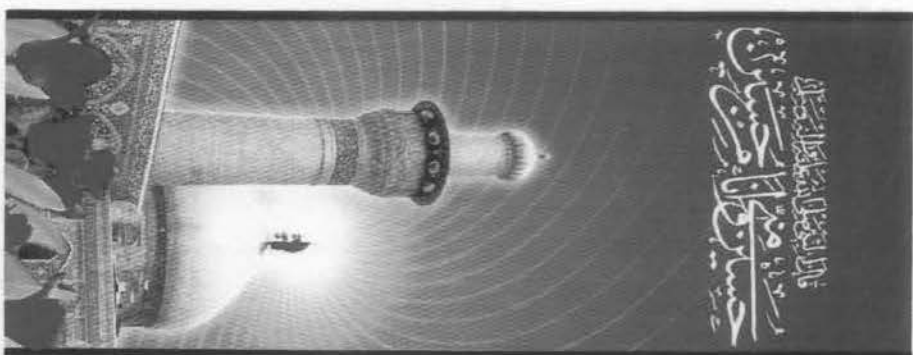
شكر وتقدير

يسر الأمانة العامة للعتبة الحسينية المطهرة وبمسعدني شخصياً أن أتوجه لجنابكم الكريم بالشكر والتقدير على الخدمات الجليلة المباركة والجهود المخلصة المبذولة من قبلكم لتقديم أفضل الخدمات للروضة المطهرة وازدياد الكرام وعملكم الدؤوب بإنجاز المشاريع المتطورة المختلفة...

تقبل الله أعمالكم وجزاكم خير الجزاء وشكر سعيدكم، وندعوه تعالى أن يسدد خطاكم ويوفقكم لكل الخير ويمن عليكم بحسن العاقبة ويرزقكم شفاعتة الحسين عليه السلام يوم الورود.

الله سميع مجيب.

عبدالمستن علي السلام
 الشيخ عبد الهادي الكربولي
 الأمين العام للعتبة الحسينية المطهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

العدد: ١٧٩

التاريخ: ٢٠٠٥/٤/١٧

No.179

Data:17/4/2005

مكتب

سماحة آية الله السيد حسين الصدر
(دام ظله)

الإمام أبو عبد الله العباسي والهادي والسلام على آله وأهله الطيبين الطاهرين وأصحابه الزكيين

إلى / حضرة الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

تحية طيبة مشفوعة بالحب والتقدير والاحترام والاعتزاز ومقرونة بالدعاء لكم لخدمة دين

أهل البيت عليهم السلام.

ويعد...

نتمنى من معاليكم أن تشاركونا بالفرحة والسعادة بتنصيب ضريح الإمامين الجوادين

(عليهما السلام) وتحمل مسؤولية الإشراف الفني على كل ذلك وكل ما يتعلق بهذا الموضوع

إيماناً منا بخبرتكم وإخلاصكم الكبير.

الصدر

السيد حسين السيد إسماعيل



Baghdad Municipality
Mayor's office



أمانة بغداد
مكتب أمين بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٩
٢٠٠٨

Ref:

العدد : ٥٩٦/٤/٢٠٠٨

Date:

التاريخ : ٢٠٠٧/٢/٢٦

السيد محمد علي الشهرستاني

م/ شكر وتقدير

نظراً لجهودكم الكبيرة التي بذلتموها وتبذلونها حالياً في تطوير الروضة الكاظمية المقدسة بشكل خاص ومدينة الكاظمية بشكل عام ومشارككم في كافة حملات التوعية التي أسهمت في نظافة المدينة وإظهارها بشكل يليق بمكانتها الدينية والسياحية وتسخير إمكانياتكم العلمية والهندسية والمادية .
لا يسعنا إلا أن نسجل لكم شكرنا وتقديرنا العالين
والله ولي التوفيق..

لعمري بالدم
٢٠٠٧/٢/٢٦

صابر نيات العيساوي
أمين بغداد

٢٠٠٧/٢/٢٦

نسخة منه إلى

مكتب أمين بغداد
دائرة العلاقات والإعلام
دائرة بلدية الكاظمية
دائرة بلدية الشعلة



الإمام الحسين عليه السلام
القادسية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
والكنا له غافلين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الطاهرين

تهدية
العدد: ٢٤٤٢
التاريخ: ١٥/٥/٢٠٢٠ م ١٤٤٢ هـ
للتاريخ: ١٦/٤/٢٠٢٠ م

إلى: جناب الأخ الفاضل الدكتور محمد علي الشهرستاني - دامت توفيقاتهم -
الموضوع: شكر وتقدير

بسر الأمانة العامة للحجة الحسينية المقدسة منثلة بالأمين العام للحجة ومسؤوليها ومتسببها أن تتوجه لشخصكم الكريم بالشكر والتقدير البالغ على جهودكم المخطصة للبليولة التي نصب في حلقة مدينة كربلاء المقدسة ومرقد سيد الشهداء وزائريه الكرام التي هي موضع فخرنا واعتزازنا والتي نالت إعجاب وتثمين الجميع على مستوى محافظات القطر وخارجه.

هنا وتقدم أيضاً بالشكر والتقدير للإخوة العاملين تحت إمرتكم بلهودهم المتواصلة للبليولة واستجابتهم لتوجيهاتكم السديدة.

سائلين للمولى القدير أن يوفقكم جميعاً لمزيد من الخير والسداد ويكتب لكم الأجر والثواب.

انه سمع بحبيب.



خادم الإمام الحسين عليه السلام
عبد للهدي العكر بلادي
الأمين العام للحجة الحسينية المقدسة

الهاتف: ٢٢٢٢٦٥١٢ - ٠١٤ - الفاكس: ٢٢ ٢٢٥١٤ - ٠١٤ - بريدنا الإلكتروني: info@imamhussein.org - البريد الإلكتروني: contact@imamhussein.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلس

محافظة بغداد

الى حضرة السيد الاستاذ الدكتور المهندس الملا محمد
محمد علي الشهرستاني في المؤتمر

شهادة شكر وتقدير

يسعد مجلس محافظة بغداد ان يحيي مؤسسي الجالس البغدادية وروادها
وحضارها الكرام معترًا بتقدير هذه التحية اعترافًا بفضلهم وتعبيرًا عن
تقديره لدورهم في الاحتفال بيوم بغداد وخدمة الثقافة والعرفة والسلام
في بغداد الحبيب ، والثقافة ، والسلام .

الراج

معين الكاظمي

(رئيس مجلس محافظة بغداد)

١٤٢٩ هـ

٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المذبح الأستاذ محقق المحقق المحقق

نظر اللجنة الدكتور المهندس محمد علي الشهستاني رحمه الله

المسؤولية الفنية عن اعمار العنينة المدسة (الاماميين العسكريين)

نقله الراعي الأخير وهو المسؤول الاول عن الشؤون الفنية

مع القدير

٢٠٠٨/١٠/١٠

رسالة دولة رئيس الوزراء الأستاذ نوري المالكي بخط يده
الى الأستاذ حقي الحكيم رئيس لجنة إعادة اعمار مقام الامامين
العسكريين (ع) في سامراء



جمهورية العراق
مديرة الوقف - الشيخ
مجتهد - رئيس المصلي

العدد: ٢٠٧/١
التاريخ: ١٤٢٠ /
الموافق: ٢٠٠٩ / ٤ / ٧

السيد الدكتور الأستاذ محمد علي الشهرستاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وهدبكم دواننا أطيب التحايا

وردنا باعتراف رسائلكم الكريمة آخذة بأطراف الفضل شامدة وناهيك يا شامد عدل بجهودكم في خدمة من يسترحم في خدمتهم كل بذل وتشركرم قبل أن نيشورنا أن رحلة الشرف هذه بعد أن أخطأنا بلسان وعابانك وحصرتها بدرابك أضحتت قائداً وناهيك والركم ورفاقتكم بعد الله من ثرائها وطيبتها سالتين الله أن يكبكم ولانساوكل السالين في سفر من تشرف بخدمة أمراء الدين وسادة خلقه .. انه صبح الدعا ..

صالح محمد الهدي

رئيس دوان الوقف الشيعي

٢٠٠٩/٤/٧



تشميل:

السيد المهندس مدير الأعمال - موهام القادسية / شريف بقم الكركي الشيرازي محمد علي الشهرستاني

REPUBLIC OF IRAQ
Prime Minister Office
The Technical Committee for Reconstruction
Al-Askary Shrine



مكتب رئيس الوزراء
اللجنة الفنية لإعمار
الروضة العسكرية
الشريفة

No.:

Date: / / 200

الس / الدكتور محمد علي الشهرستاني المحترم

م / توسعة الروضة العسكرية الشريفة

العدد: ١٢٤٩

التاريخ: ٢٠٠٨/١٠/١٤

تحية طيبة:

لقد حصلت موافقة دولة رئيس الوزراء على مقترح توسعة الروضة العسكرية الشريفة والمعدلة بشكلها الاخير المرفق طيا والتي تم تقديمها من قبل اللجنة الفنية لاعادة اعمار الروضة العسكرية الشريفة تحت اشرافكم ، لذا نرجو التفضل بالعمل على تهيئة كافة المستلزمات للبدء بالانجاز علما بان كوابر المجلس الاعلى للاعمار كافة على استعداد للتعاون والتنسيق في هذا المجال مع التقدير.

المراقبات:

- صورة عن خرائط عدد ٣

م. حسن الحكيم

مستشار رئيس الوزراء لشؤون إعادة الإعمار والبيئة
رئيس اللجنة الفنية لاعادة اعمار الروضة العسكرية الشريفة

٢٠٠٨/١٠/١٤

صورة عنه الى :

- مكتب دولة رئيس الوزراء / يرجى التفضل بالاطلاع مع التقدير
- السادة اعضاء اللجنة الفنية لاعادة اعمار الروضة العسكرية الشريفة / للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- المدير الادارية

Republic of Iraq
Shia endowment
Secretariat General
Holy Kadhumian Meaw



جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي
الإدارة العامة
للعتبة الكاظمية المقدسة

حضرة العالم الفاضل السيد الدكتور محمد علي الشهرستاني (حفظكم الله)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة مملوءة بالإحترام والتقدير من المولى القدير الموقية والسداد
كتابكم المرقوم (١٢٤) بتاريخ ٢٠٠٨/١/٤ نشكركم
على إهتمامكم ومثابرتكم المستمرة لخدمة الروضة الكاظمية المقدسة .
نظراً لتوجيهات سماحة آية الله الفقيه السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (دام ظله)
تم بعون الله الموافقة من قبل سماحته للمباشرة بالمشروع وحسب التداول
راجين إعلامنا البرنامج الموضوعي والزمني لهذه المرحلة من المشروع ليتم تداول
آلية التنسيق والتعاون لاحقاً بإنشاء الله تعالى .

خادم الإمامين الكاظمين (ع)

الأمين العام للعتبة الكاظمية المطهرة

الحاج فاضل علي عبد الأنباري



نسخة منه إلى

- مكتب سماحة آية الله الفقيه السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (دام ظله) / لتفضل بالإطلاع . مع التقدير
- مكتب السيد الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة / مع التقدير
- إضبارة الأوراق / للحفظ



This is to certify that

RESEARCHING ENGINEERS INTERNATIONAL
 is a member in good standing of the
**National Association
 of Home Builders**

of the United States
 and is pledged to observe the high ethical standards
 of business practice set forth by this association


 President

PATRICIA CEDERBERG
 Notary Public State of Texas
 My Commission Expires April 24, 1985
 Bonded by L. Alexander Lovett, Lovett Surety Corp.



PATRICIA CEDERBERG
 Notary Public State of Texas
 My Commission Expires April 24, 1985
 Bonded by L. Alexander Lovett, Lovett Surety Corp.

*I declare this document
 to be true and accurate*

Patricia Cederberg

July 31, 1981

شهادة تقديرية من الجمعية الوطنية للبناء / الولايات المتحدة الأمريكية

Texas Association
of Builders,  affiliated
with NAHB Inc.



This is to Certify that

RESEARCHING ENGINEERS INTERNATIONAL CO.

IS A MEMBER IN GOOD STANDING AND IS PLEDGED
TO OBSERVE THE HIGH ETHICAL STANDARDS OF
BUSINESS PRACTICE SET FORTH BY THIS ASSOCIATION

4-79

[RENEWAL DATE]

John J. Ferrell

Executive Vice-President

شهادة تقديرية من جمعية البنائين الامريكية - تكساس



إدارة بغداد / حارة السماوي
مادة الخطمية
٤ و ٥ / تشرين الثاني / ٢٠٠٩

شهادة تقديرية

الى المرکز العالمي للابحاث الفيزية المحترمين
تتمينا لمشاركة شركتكم الفعالة في مسابقة تطوير المنطقة المحيطة
بالصحن الكاظمي الشريف وحصولكم على المركز (الثالث) يسرنا ان نقدم
شكرنا وتقديرنا لكم املين مساهمكم القادمة في بناء مدينة بغداد
ومن الله التوفيق


٢٠١٥

الدكتور صابر العيساوي
امين بغداد

Brussels, Friday 13 March 1998

CENTRE FOR TECHNICAL RESEARCH IN
Professor BHASKAR NATH
253 KILBURN LANE (UNIT 5)
W10 4BQ LONDON
UNITED KINGDOM

SUBJECT: "CENTRAL CONSULTANCY REGISTER of DG1A"

Dear Professor BHASKAR NATH

We are pleased to inform you that we have received and processed your file.

Your company is therefore registered in our central database and bears the number:

UNK-22897

Please refer to this number to identify your organization for further contacts with our Units.

For your convenience, please find enclosed a copy of your present registration. Please check this document and do not hesitate, should there be any errors, to return it for correction to the following address:

CCR Central Consultancy Register of DG1A

C/o SACES

E-Mail: saces@ibm.net

Tel: +32.2.511.81.20 Fax: 511.99.43

Rue de la Concorde 21, B-1050 Brussels

Yours Sincerely,

E. Thielmann

unpaged computer-generated document

وثيقة إعتقاد المركز العالمي للابحاث الفنية كشركة إستشارية أوروبية

جامعة الكوفة
كلية الآداب

شهادة تقديرية



إلى أ.د. المهندس محمد علي الشهرستاني المحترم

تثميناً وتقديراً لرعيتكم الكريمة معلوماً ومادياً المؤتمر الملتقى الأول لدراسة المصمود الفكرية
والإصلاحية لآية الله السيد هبة الدين الشهرستاني (قدس سره) المصطفى بتاريخ ٣١/٣ - ٢٠١٠/٤/١م
في كليتنا نقدم لكم هذه الشهادة التقديرية مع كل المرفقان وعظيم الامتنان

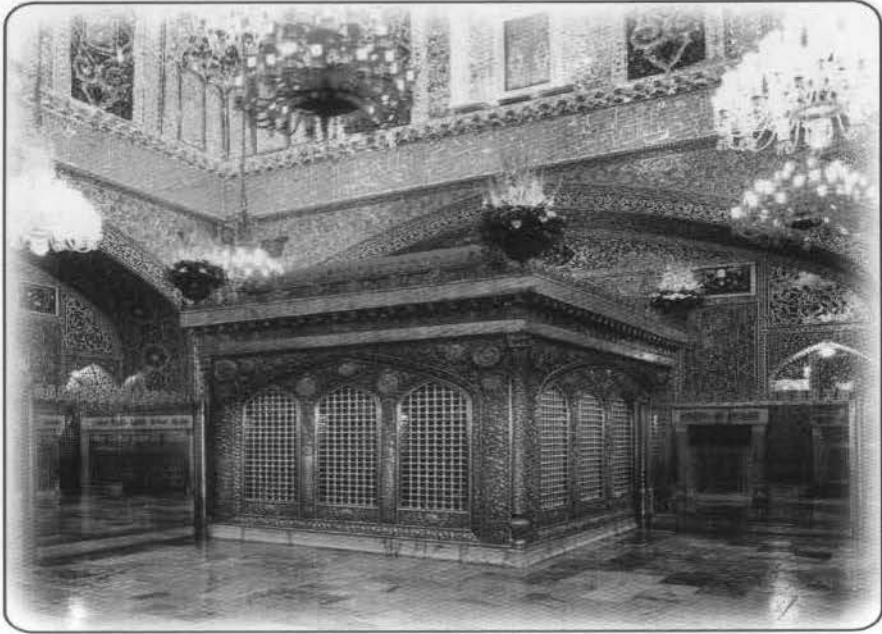




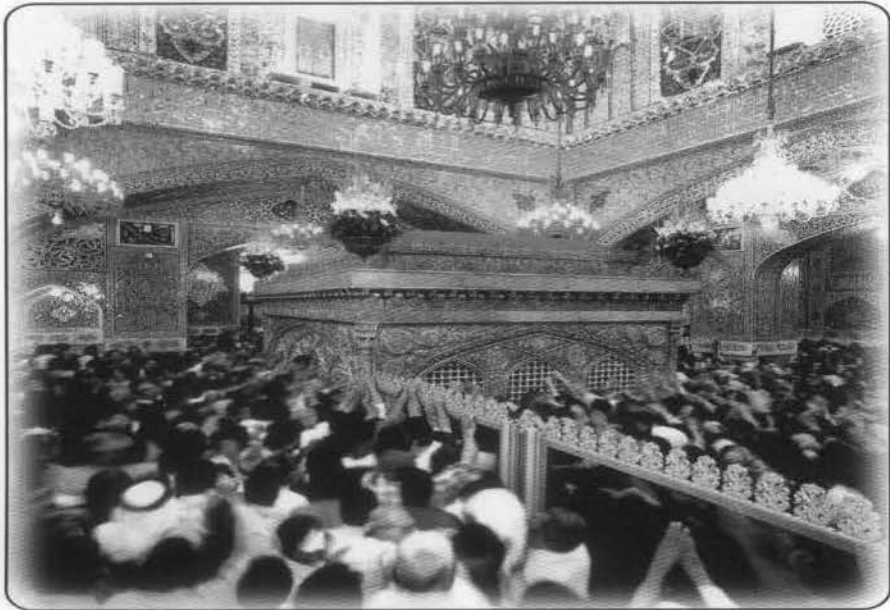
الجسر الحديد المتحرك بطول ٥١ م من دون عمود



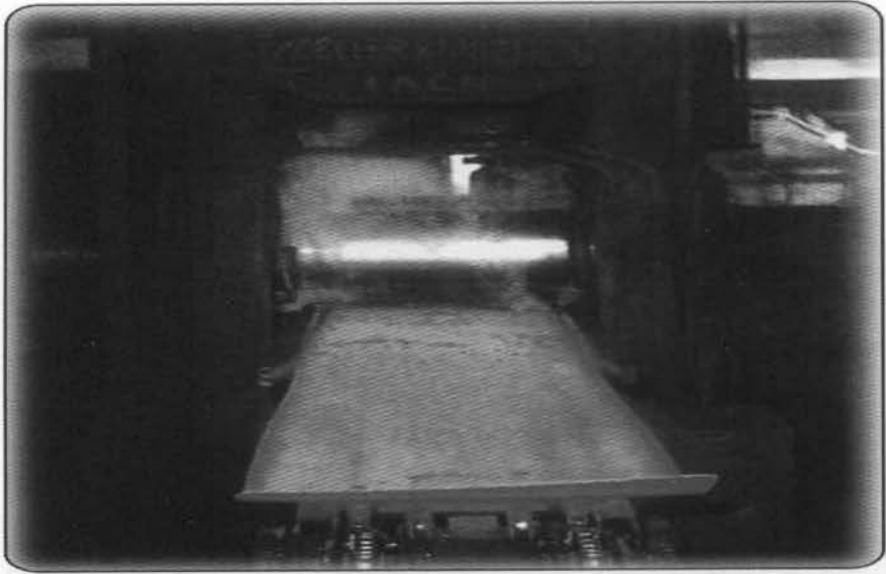
الجسر الحديد المتحرك



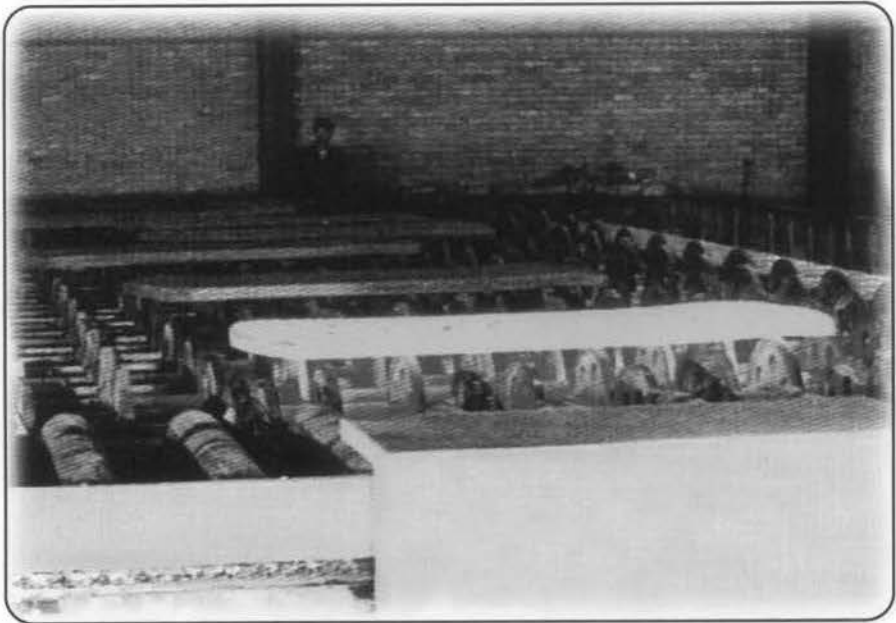
من داخل الحرم الرضوي المقدس بعد توسعته



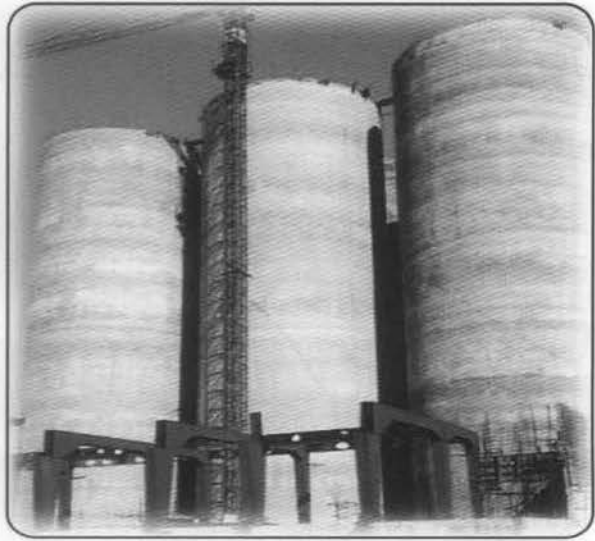
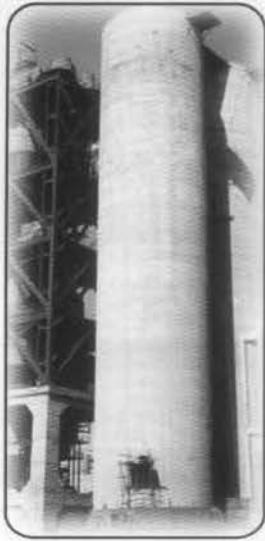
الضريح الرضوي المبارك بعد توسعته



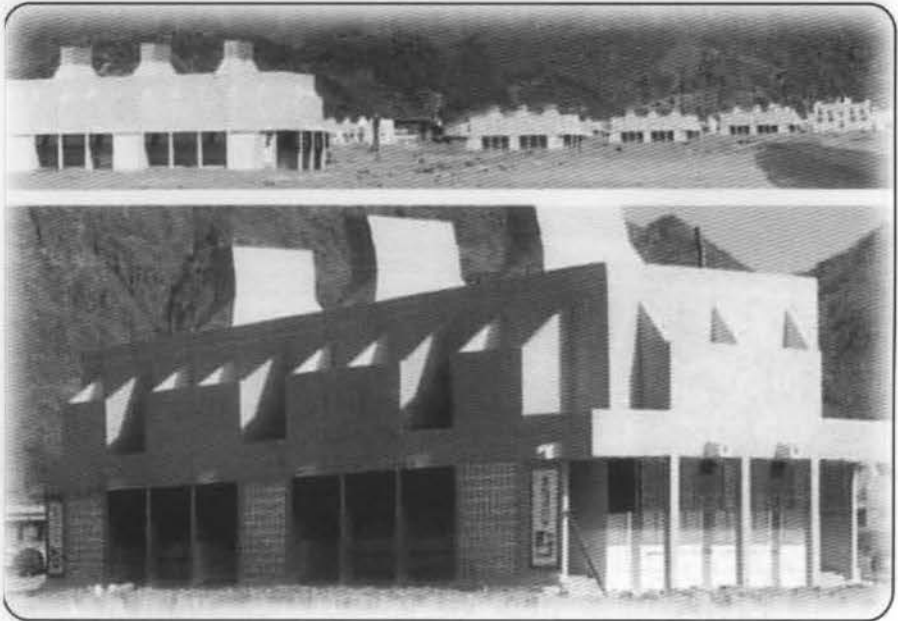
معمل الصلب والفولاذ في إيران



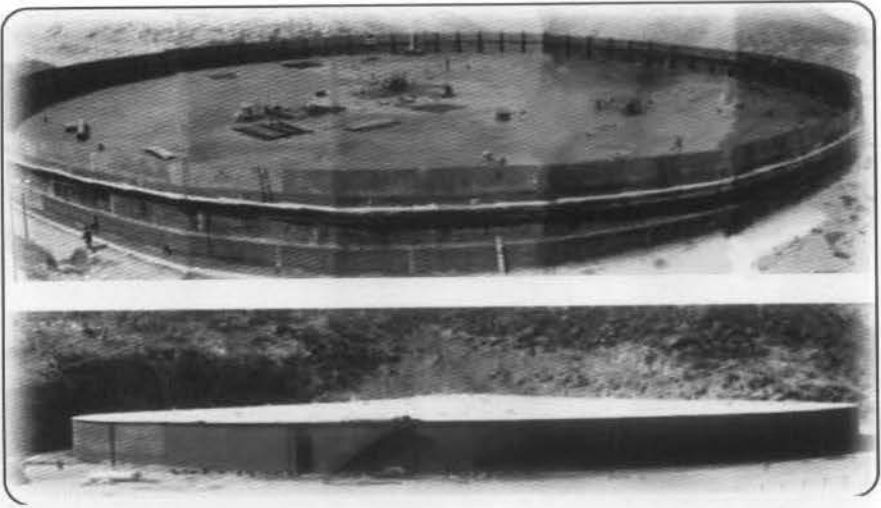
معمل الصلب والحديد في إيران



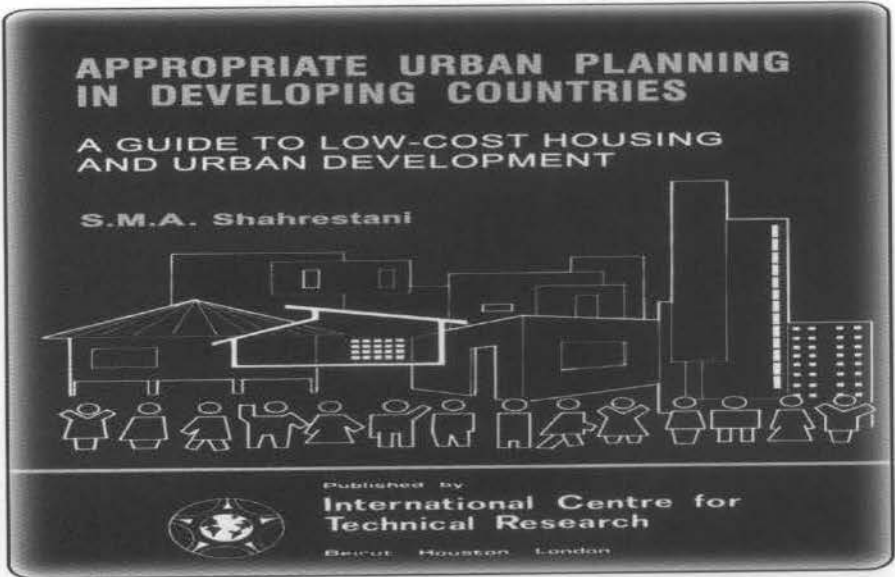
سائلوات معمل سمنت أبيك / إيران



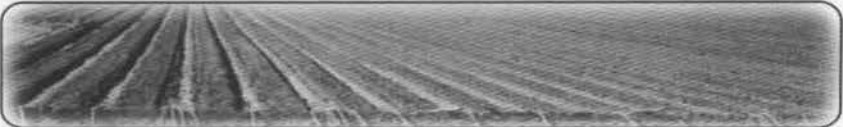
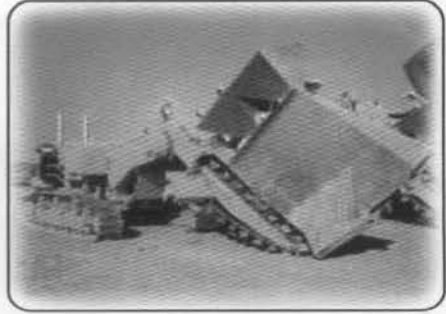
صور من المباني التي نفذت في منى سنة ١٩٧٧م



أكبر خزان حديد في العالم / منى - مكة المكرمة



الكتاب الذي عالج مشكلة السكن في العالم من الناحية الفنية والاجتماعية والذي قدمه السيد الشهرستاني لمؤتمر الاسكان في لندن سنة ١٩٨٧ م



صور من مشروع استصلاح الاراضي في العراق سنة ١٩٧٧م



مع العلوية السيدة رباب الصدر في تفقد المشاريع التي أسس لها شقيقها سماحة السيد موسى الصدر في لبنان



الشهرستاني يشرح مشروعه السكني في خلدة- لبنان ١٩٨٢م



مدرسة الزهراء للأيتام التابعة لمؤسسة الامام الصدر في صور - لبنان



ندوة لاستصراخ الضمائر والدعوة لإعادة بناء مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام



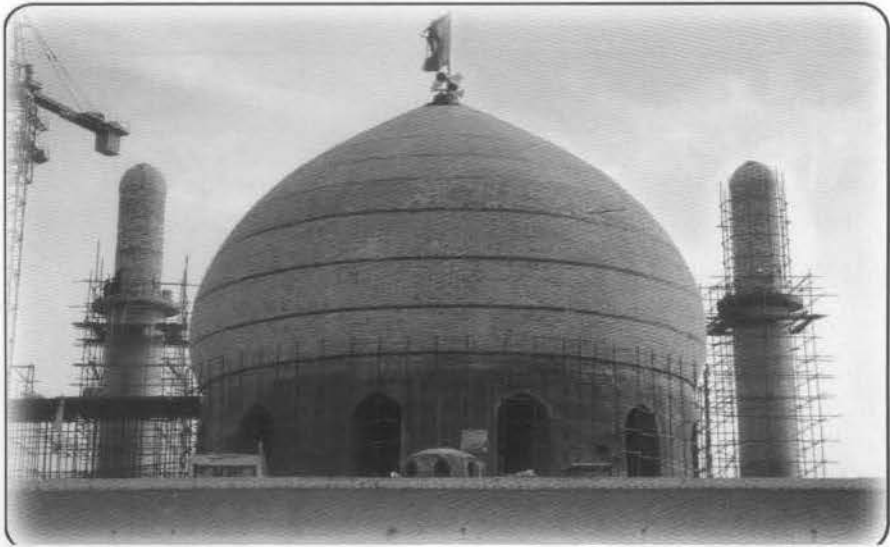
الشهرستاني يتوسط العاملين في سامراء الى جانب هيكل القبة الشريفة



الشهرستاني يتوسط المهندسين المشرفين الى جانب الركام الذي خلفه التفجير
الإجرامي




على قبر الامامين العسكريين والسيدة نرجس والسيدة حكيمه عليهما السلام بعد رفع الانقاض



قبة الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء والمنائر بعد اكمال بنائهما



الشهرستاني متأماً مع رئيس الوزراء السيد نوري المالكي بعد تفجير قبة الامامين
العسكريين 



الشهرستاني في إحدى رحلاته الى أندونيسيا



الشهرستاني في مؤتمر الاسكان العالمي في لندن سنة ١٩٨٧ م



الشهرستاني يوقع اتفاقية التعاون بين جامعة الكوفة والجامعة العالمية للعلوم
الاسلامية



الشهرستاني يوقع اتفاقية التعاون
بين جامعة ذي قار والجامعة العالمية للعلوم الاسلامية



احدى جلسات مناقشة رسالة الدكتوراه في الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية
(فرع بغداد)



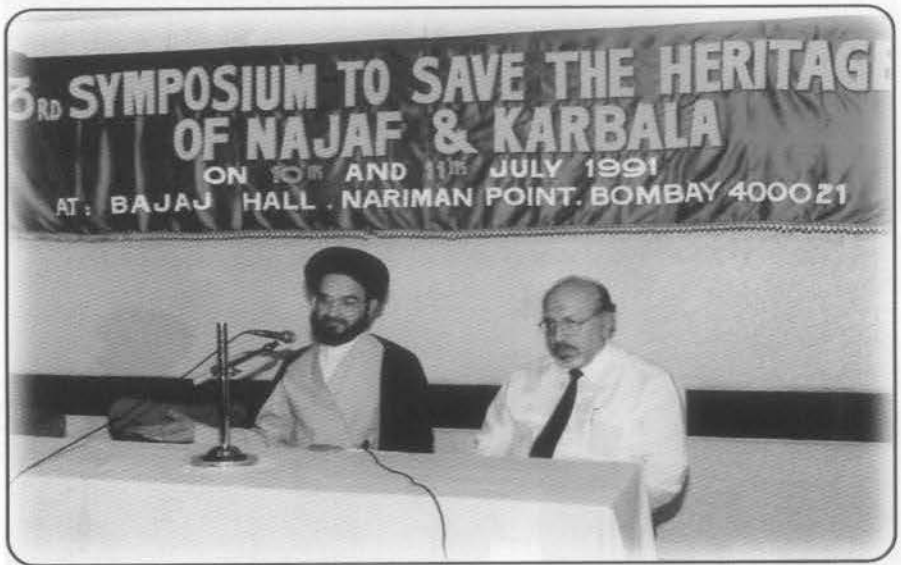
جامعة الكوفة تكرم الدكتور الشهرستاني لمشاركته في مؤتمر السيد هبة الدين
الشهرستاني الاول في النجف



الشهرستاني مع د. حميد هدو- ود. حسن الحكيم في جامعة الكوفة خلال مؤتمر
السيد هبة الدين الشهرستاني الاول



الشهرستاني يحضر مناقشة أطروحة دكتوراه في فرع الجامعة العالمية في بغداد



في ندوة الدفاع عن المرجعية والعتبات المقدسة في بومباي - الهند سنة ١٩٩١م






قناة الإفتاء الإسلامية الموقية قائم

ونظراً للاقبال المتقطع والتظير من الطلاب في جميع أنحاء العالم ولعدم إمكانية استيعاب جميع المؤهلين للقبول، لوجود مقر الجامعة في انكفراً حيث التكاليف الباهظة وصعوبة حصول الطلاب على تأشيرة الدخول، وضعت الجامعة برنامجاً للدراسة عن طريق الانتساب يتم فيه تزويد الطلاب بالاشربة الصوتية للمحاضرات والمراجع والملازم ويجزى في نهاية العام الدراسي الامتحان النهائي في البلد الذي يقيم فيه الطالب، وكذلك يوجد قسم للدراسات العليا لتبيل درجة الدكتوراه، وأخيراً هذا الانتجاز العلمي الرائد والفريد الا وهو الدراسة عن طريق الأقمار الصناعية.

مدة الدراسة أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من خلال مستوى دراسي رفيع انتخبت منهاجه بدقة متناهية وأساندة هم الأفضل في مجال اختصاصهم كما وأن الشهادة المنسوجة من الجامعة معترف بها ومن خلالها يستطيع الطالب مواصلة دراسته العليا.

EUTELSAT-II-F3, KU BAND

16° East, POLARIZATION: H

Frequency: 11.163 GHz

Audio: 6.6 & 7.2 MHz

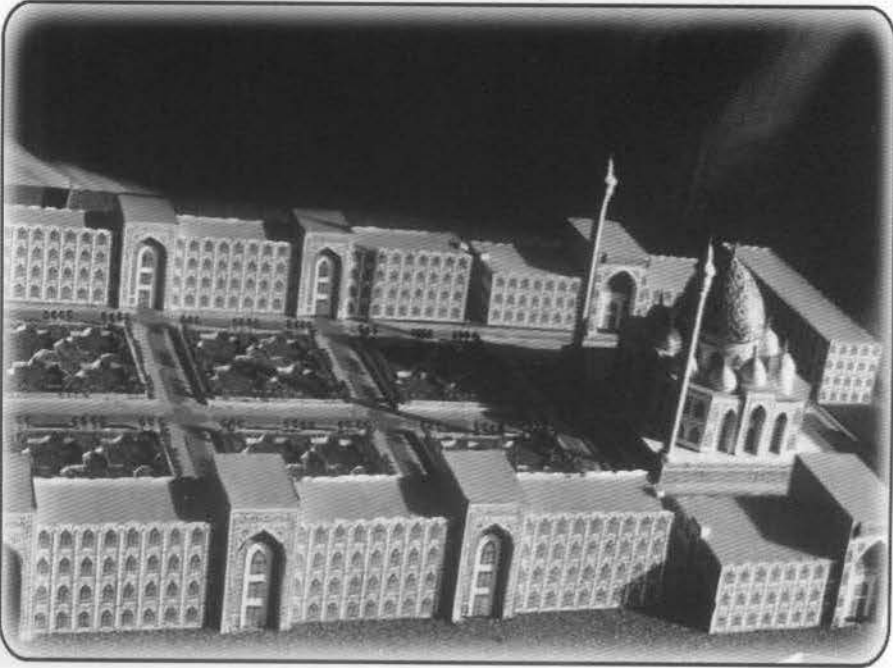
Audio Pre-emphasis: J17

23:05 - 24:05 GMT

جزء من كتلوك قناة قائم الإسلامية؛ أول قناة فضائية شيعية تؤسس في العالم



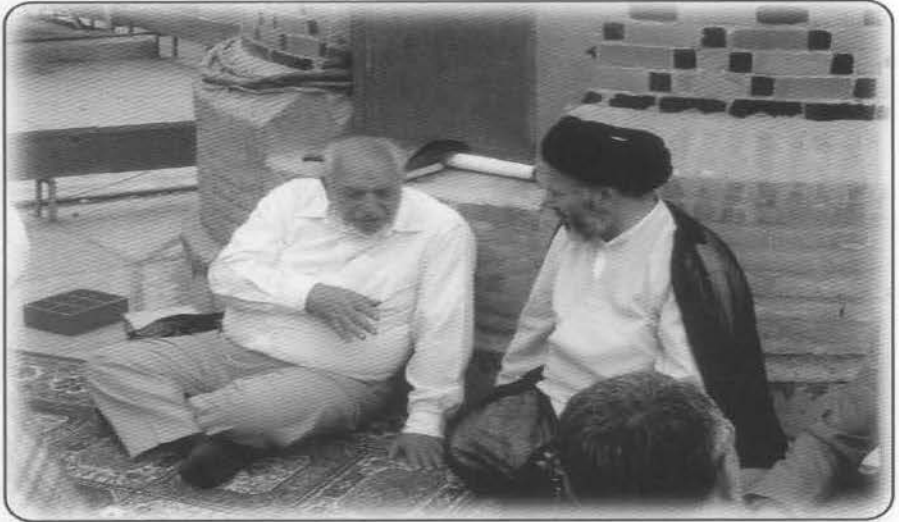
في ندوة الدفاع عن المرجعية في بيروت سنة ١٩٩١م ويظهر في الصورة الوسطى الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان وهو يستمع الى شروح السيد الشهرستاني



من تصاميم مركز الامام الخوئي في بومباي - الهند



صور لمركز الامام الخوئي في بومباي



في حديث عن توسعة حرم الامامين الجوادين عليه السلام بصحبة السيد حسين بركة الشامي
رئيس ديوان الوقف الشيعي السابق



توسعة حرم الامامين الجوادين عليهما السلام ونصب الضريح الجديد



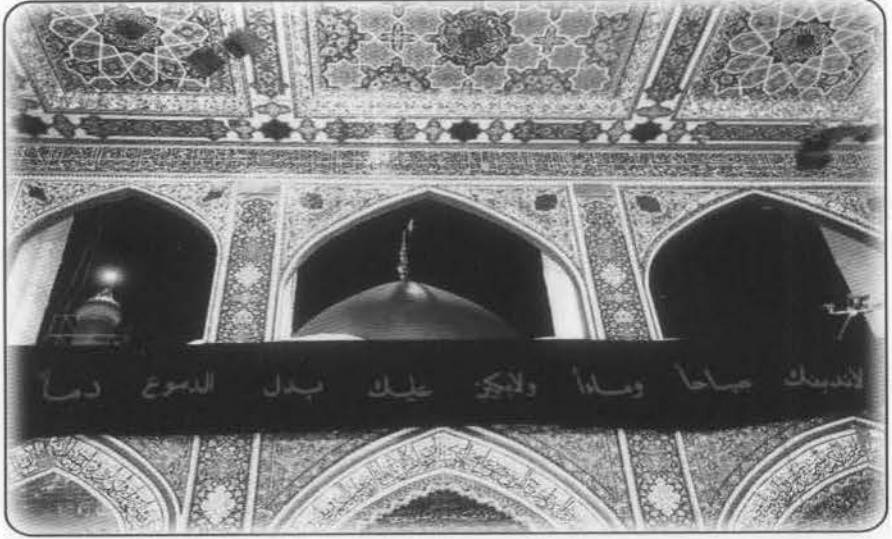
الشهرستاني في حالة تأمل الى جوار الامامين الجوادين عليهما السلام



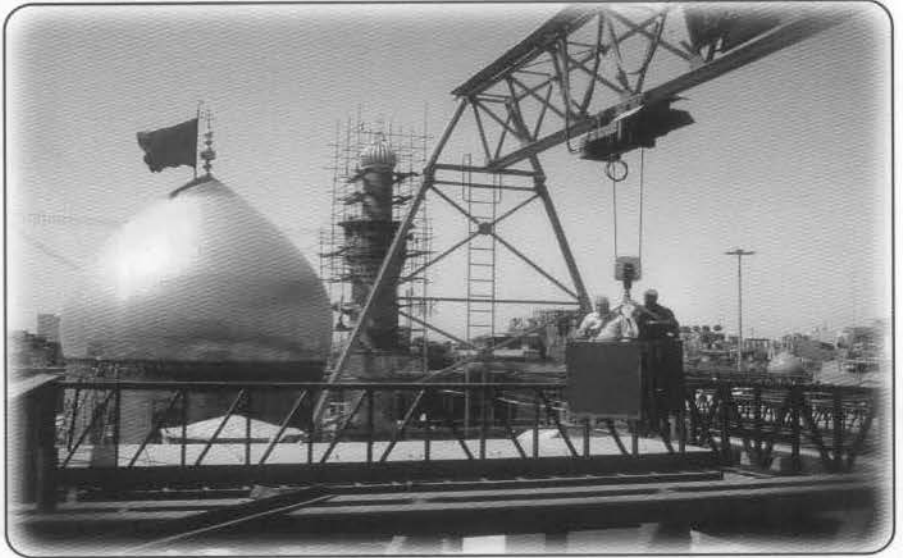
ديوان الوقف الشيعي يكرم السيد الشهرستاني بمناسبة افتتاح توسعة حرم الامامين
الجوادين عليهما السلام ورفع أعمدة الحرم



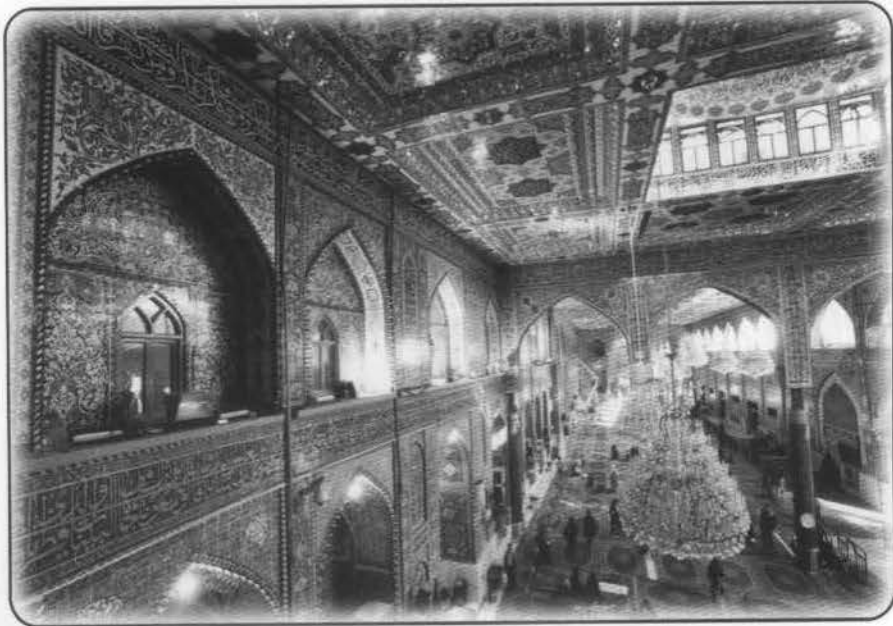
صور من الداخل للمرافق الصحية وأماكن الوضوء



تسقيف الطابق الثاني من صحن الامام الحسين عليه السلام



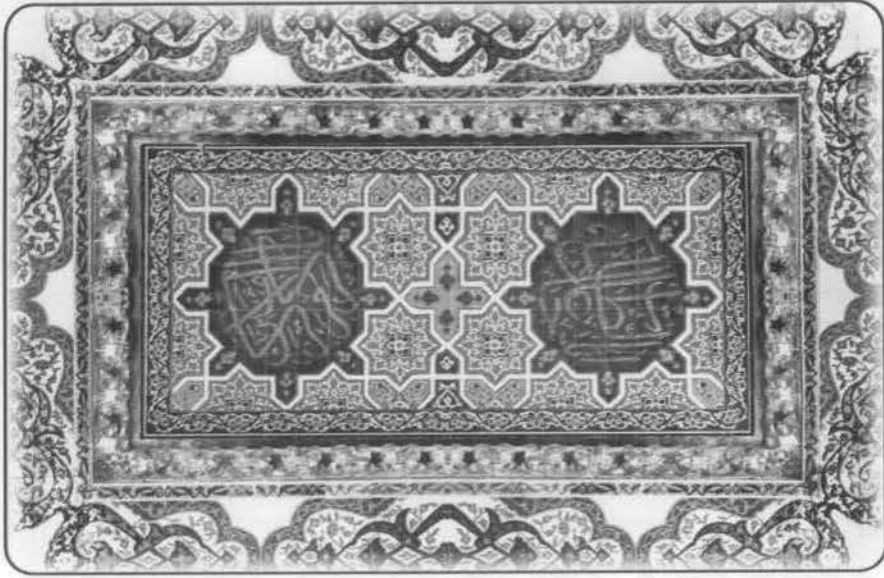
الاعمال الجارية في تسقيف صحن الامام الحسين عليه السلام ويشاهد السيد الشهرستاني وهو محمول على رافعة يتابع التسقيف



تسقيف صحن الامام الحسين عليه السلام وتغطيته بالقاشاني المذهب



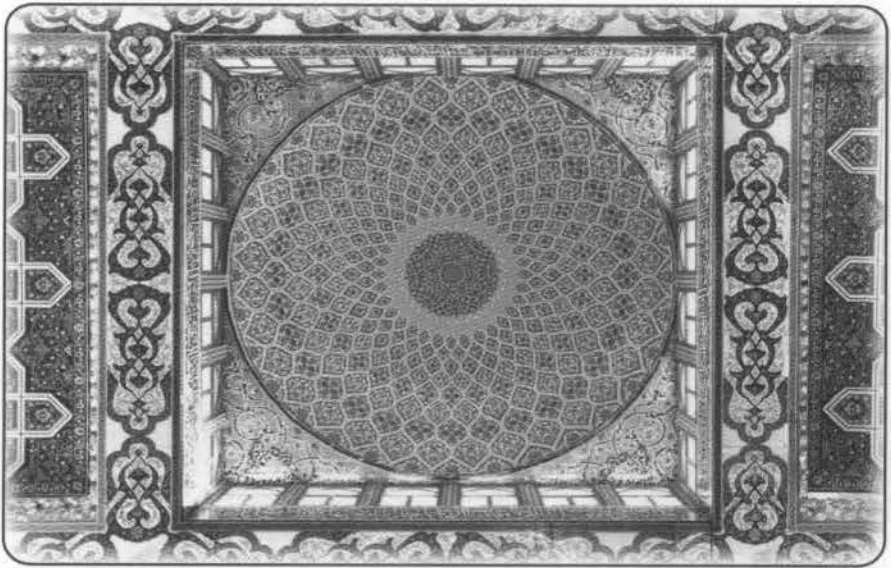
الضلع الجنوبي لسقف صحن الامام الحسين عليه السلام



من نقوش سقف الصحن الحسيني الشريف



الشهرستاني يشرف على قطعة فنية من الكاشي الكربلائي المذهب قبل وضعه على
السقف



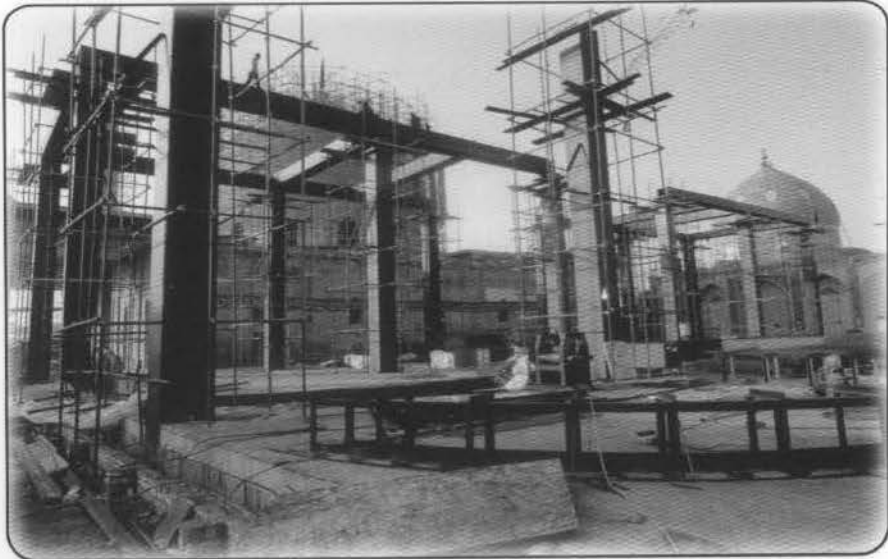
احدى القباب الاربع عشرة المتحركة في سقف الرواق الجديد



جانب من الصحن الكاظمي الجديد



الشهرستاني يتابع العمل مع فريق المهندسين في الصحن الكاظمي الجديد



المسجد الكبير خلف الروضة العسكرية والذي منه يمكن الدخول الى سرداب
الغيبية (تحت التنفيذ)



صورة من الصحن الكاظمي الجديد



صورة تمثل تخطيط مركز الكاظمية المقدسة الذي قدمه السيد الشهرستاني الى أمانة بغداد



المقترح الاول للصحن الحسيني الكبير الذي تم تقديمه



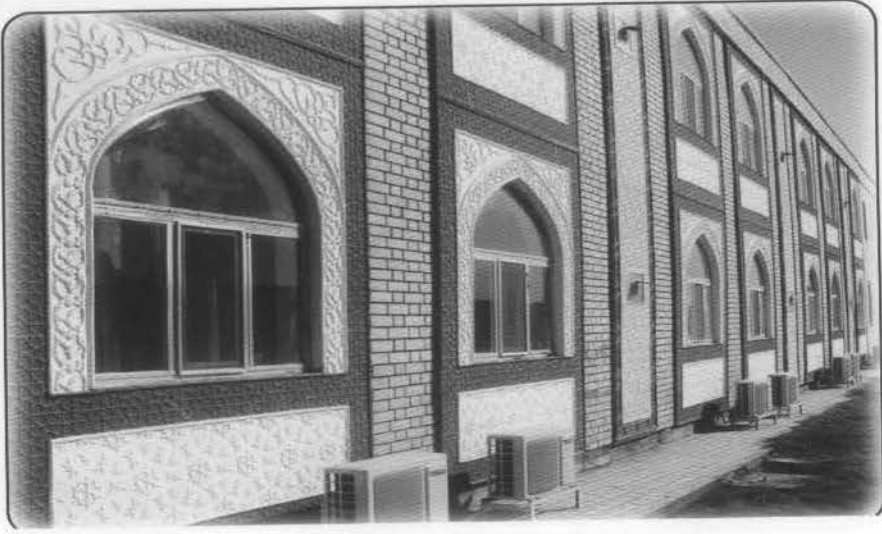
المقترح الثاني للصحن الكبير (الحسيني والعباسي) الذي تم تقديمه



التخطيط الاساس الذي تم المصادقة عليه من قبل رئيس الوزراء السيد نوري
المالكي ووزير البلديات رياض غريب



الحديقة العامة المنشأة فوق المرافق الصحية (باب قبة الامام الحسين عليه السلام)



المنظر العام لمدينة الامام علي عليه السلام للزائرين



القسم الفندقية لمدينة الامام علي للزائرين في كربلاء



الشهرستاني يمسح على رأس يتيمة من ضحايا الارهاب



مجموعة من أيتام الكاظمية يتوسطهم السيد الشهرستاني



الشهرستاني يتقدم موكب أيتام آل محمد في ذكرى استشهاد الامام الحسين عليه السلام



يتامى آل محمد في أحضان السيد الشهرستاني الذي يرعاهم



جانب من موائد الافطار التي أقامها الشهرستاني للأرامل والايتام في كربلاء المقدسة



الشهرستاني يتوسط مجموعة من الايتام في كربلاء المقدسة



الشهرستاني على رأس وفد مؤسسة الايتام مع سماحة الشيخ عبد المهدي
الكربلائي الامين العام للعبة الحسينية المقدسة



الشهرستاني يتوسط العاملين في مؤسسة خدام أيتام آل محمد عليه السلام والجامعة العالمية
للعلوم الاسلامية في الكاظمية



الشهرستاني يفتتح مؤتمر السيد هبة الدين الشهرستاني الاول في جامعة الكوفة



جلسة الافتتاح للمؤتمر العلمي الاول لدراسة جهود آية الله السيد هبة الدين الشهرستاني الفكرية والاصلاحية في جامعة الكوفة



الشهرستاني في أحد المؤتمرات الدولية الذي أقامته أمانة بغداد



الشهرستاني مع لفيف من طلبة الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية فرع كربلاء المقدسة



حفل تخرج طلبة الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية وتوزيع الشهادات للمراحل
الثلاث (البكالوريوس ، ماجستير ، والدكتوراه)



الفقيه مع نجله الدكتور السيد إحسان الشهرستاني وهما يشرفان على أعمال تعمیر
مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء



جانب من تشييع المغفور له في الصحن الكاظمي الشريف



المشييعون يؤدون صلاة الجنازة على الفقيد رحمته الله في الصحن الكاظمي الشريف



منتسبو الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة يحملون جثمان الفقيد في الصحن الكاظمي الشريف



المشيوعون يحملون نعش الفقيد على الاكتاف في الصحن الكاظمي الشريف



تشيع الفقيد رسمياً وشعبياً في كربلاء المقدسة



حفل تأييني للمرحوم الشهرستاني الذي أقامته مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية المقدسة بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل الشهرستاني رحمته الله



المشاركون في الحفل التأسيسي للمرحوم الشهرستاني في مكتبة الجوادين العامة في الكاظمة